

تصوير أبو عبيد الرحمن الكروبي

تفسير
القرآن العظيم
(تفسير ابن كثير)

الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي

تجنيق
عبد الرزاق المحمدي

المجلد الثاني

سورة الطور - سورة الناز

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

(تفسير ابن كثير)

لِلْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ
ابن كثير القرشي الدمشقي
(٧٠١ - ٧٧٤ هـ)

تَحْقِيقُ
عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْحَمْدِيُّ

المجلد السَّارِسُ
سُورَةُ الطُّورِ - سُورَةُ النَّاسِ

الناشر
دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)

1432 هـ - 2011 م

ISBN: 978-9953-27-015-9

© جميع الحقوق محفوظة للناسر

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة الناسر على ذلك كتابة ومقدماتاً.



الناسر

دار الكتاب العربي

العنوان : بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبيلوس - الطابق الثامن

ص.ب. : 11-5769 بيروت 1107 2200 لبنان

هاتف : 861178 - 862905 - 800811 - 800832 (+9611)

فاكس : 805478 (+9611) بريد إلكتروني daralkitab@idm.net.lb

www.dar-alkitab-alarabi.com

مواقعنا:

www.academiainternational.com



وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[٦٣٢٢] قال مالك عن الزُّهري، عن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم، عن أبيه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا - أَوْ: قِرَاءَةً - مِنْهُ ^(١). أَخْرَجَاهُ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ.

[٦٣٢٣] وقال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: شَكَّوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي، فَقَالَ: «طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ». فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ يَقْرَأُ بِالطُّورِ وَكِتَابُ مَسْطُورٍ ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ①﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ⑩ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑪ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ⑬ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑮ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑯﴾

يُقَسِّمُ تَعَالَى بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ: أَنَّ عَذَابَهُ وَقَعَ بِأَعْدَائِهِ، وَأَنَّهُ لَا دَافِعَ لَهُ عَنْهُمْ. فَالطُّورُ هُوَ: الْجَبَلُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ أَشْجَارٌ، مِثْلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى، وَأَرْسَلَ مِنْهُ عِيسَى. وَمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَجَرٌ لَا يُسَمَّى طُورًا، إِنَّمَا يُقَالُ لَهُ: جَبَلٌ. ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ②﴾، قِيلَ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. وَقِيلَ: الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ الْمَكْتُوبَةُ الَّتِي تُقْرَأُ عَلَى النَّاسِ جِهَارًا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ③﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④﴾.

[٦٣٢٤] ثَبِتَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ بَعْدَ مُجَاوَزَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: «ثُمَّ رُفِعَ بِي إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخَرٌ مَا عَلَيْهِمْ». يَعْنِي يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ وَيَطُوفُونَ بِهِ، كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ الْأَرْضِ بِكَعْبَتِهِمْ. كَذَلِكَ ذَاكَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، هُوَ

(١) صحيح. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٧٦٥ وَ ٣٠٥٠ وَمُسْلِمٌ ٤٦٣/١٧٤ وَأَبُو دَاوُدَ ٨١١ وَالنَّسَائِيُّ ٩٨٧ وَفِي «التفسير» ٥٤٩ وَابْنُ مَاجَةَ ٨٣٢.

(٢) صحيح. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٤٦٤ وَ ١٦١٩ وَ ٤٨٥٣ وَمُسْلِمٌ ١٢٧٦/٢٥٨ وَأَبُو دَاوُدَ ١٨٨٢ وَالنَّسَائِيُّ ٢٩٢٥ وَفِي «التفسير» ٥٤٨ وَابْنُ مَاجَةَ ٢٩٢٧.

كعبة أهل السماء السابعة. ولهذا وُجد إبراهيم الخليل - عليه السلام - مُسنداً ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كلِّ سماء بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له^(١): بيت العزّة. والله أعلم.

[٦٣٢٥] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا روح بن جَنَاح، عن الزهري، سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «في السماء السابعة بيت يقال له: المعمور بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له: الحيوان، يدخله جبريل كل يوم، فينغمس فيه انغماساً، ثم يخرج فيتنفض انتفاضة تخر عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلون فيه، فيفعلون، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً، ويؤلى عليهم أحدهم، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة^(٢)». هذا حديث غريب جداً، تفرد به روح بن جَنَاح هذا، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم: الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم، قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة، ولا سعيد، ولا الزهري.

وقال ابن جرير: حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن سمالك بن حزب، عن خالد بن عزرّة: أن رجلاً قال لعلي: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حُرّمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلّي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، لا يعودون فيه أبداً. وكذا رواه شعبه وسفيان الثوري، عن سماك. وعندهما أن ابن الكوّاء هو السائل عن ذلك. ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب، عن طلح بن عثام، عن زائدة، عن عاصم، عن عليّ ابن ربيعة قال: سألت ابن الكوّاء عليّاً عن البيت المعمور، قال: مسجد في السماء يقال له: الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبداً. ورواه من حديث أبي الطفيل، عن علي بن مثله. وقال العوفي، عن ابن عباس: هو بيت حذاء العرش، تعمّره الملائكة، يصلّي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والربيع بن أنس، والسدي، وغير واحد من السلف.

[٦٣٢٦] وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة، لو خرّ لخرّ عليها، يصلّي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرّجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم^(٣)». وزعم الضحاك أنه يعمّره طائفة من الملائكة يقال لهم: الجن، من قبيلة إبليس، فالله أعلم.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ ومسلم ٢٦٤/١٦٤ من حديث قتادة عن أنس به وتقديم.

(٢) لا أصل له في المرفوع. أخرجه العقيلي ٥٩/٢ - ٦٠، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١٤٧/١. ساقه العقيلي في ترجمة روح بن جَنَاح، وقال: لا يتابع عليه. وقال ابن حبان في ترجمة روح بن جَنَاح: يروي عن الثقات ما إذا سمعها الإنسان الذي ليس بالمتبحر في صناعة الحديث شهد لها بالوضع. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يهتم به إلا روح بن جَنَاح، قال الحافظ عبد الغني: هذا حديث منكر، ليس له أصل عن الزهري، ولا عن سعيد، ولا عن أبي هريرة. ولا يصح عن رسول الله ﷺ من هذه الطريق، ولا من غيرها اهـ. ونقل الذهبي في «الميزان» ٢٧٩٩ عن أبي أحمد الحاكم قوله: حديثه في البيت المعمور، لا أصل له.

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٢٩٧ عن قتادة. وهذا مرسل. والمرسل من قسم الضعيف. وورد بنحو هذا السياق من وجوه. أخرجه الطبري ٣٢٢٩٩ عن ابن زيد مرسلًا و ٣٣٣٠٠ و ٣٢٣٠١ عن أنس مرفوعاً وإسناده حسن. وشرطه الثاني في الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّفِّ الرَّفُوعِ ٥٥﴾، قال سفيان الثوري، وشعبة، وأبو الأحوص، عن سمالك، عن خالد بن عزرعة، عن علي: ﴿وَالسَّفِّ الرَّفُوعِ ٥٥﴾، يعني: السماء. قال سفيان: ثم تلا: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ٥٦﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن جريج، وابن زيد، واختاره ابن جرير. وقال الربيع بن أنس: هو العرش. يعني أنه سَقَفٌ لجميع المخلوقات، وله اتجا، وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور. وقوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦١﴾، قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش، الذي يُنَزِّلُ الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها. وقال الجمهور: هو هذا البحر. واختلف في معنى قوله: المسجور، فقال بعضهم: المراد أنه يُوقَدُ يوم القيامة ناراً كقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦١﴾ [التكوير: ٦١]، أي: أضرمت فتصير ناراً تتأجج، محيطاً بأهل الموقف. رواه سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب، وزوي عن ابن عباس. وبه يقول سعيد بن جبيرة، ومجاهد، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وغيرهم. وقال العلاء بن بدر: إنما سُمِّيَ البحر المسجور لأنه لا يُشْرَبُ منه ماء، ولا يُسْقَى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة. كذا رواه عنه ابن أبي حاتم. وعن سعيد ابن جبيرة: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦١﴾، يعني: المرسل. وقال قتادة: المسجور: المملوء. واختاره ابن جرير. وَوَجَّهَهُ بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء. وقيل: المراد به الفارغ، قال الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، عن ذي الرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦١﴾، قال: الفارغ؛ خَرَجَتْ أُمَّةٌ تَسْتَسْقِي فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: إِنَّ الْحَوْضَ مَسْجُورٌ، تعني: فارغاً. رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء. وقيل: المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض لثلاث يغمرها فيُغْرِقُ أهلها. قاله علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد - رحمه الله - في مُسْنَدِهِ فإنه قال:

[٦٣٢٧] حدثنا يزيد، حدثنا العوام، حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يُشْرِفُ فيها ثلاث مَرَّاتٍ، يَسْتَأْذِنُ الله تعالى أن يَنْفُضِحَ عليهم، فَيَكْفُهُ الله - عَزَّ وَجَلَّ -»^(١).

[٦٣٢٨] وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا الحسن بن سفيان، عن إسحاق بن راهويه، عن يزيد - وهو ابن هارون - عن العوام بن حوشب، حدثني شيخ مرابط قال: خرجت ليلة لِحَرْبِي لم يخرج أحد من الحرس غيري، فأتيت الميناء فَصَعِدْتُ، فَجَعَلَ يُخِيلُ إِلَيَّ أن البحر يُشْرِفُ يحاذي رؤوس الجبال، فَعَلَّ ذلك مِرَاراً وأنا مُسْتَقِظٌ، فُلِقِيْتُ أبا صالح فقال: حدثنا عمر بن الخطاب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يُشْرِفُ ثلاث مَرَّاتٍ يَسْتَأْذِنُ الله تعالى أن يَنْفُضِحَ عليهم، فَيَكْفُهُ الله - عَزَّ وَجَلَّ -»^(٢). فيه رجل مُبْهَمٌ لم يُسَمَّ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧٧﴾، هذا هو المقسم عليه، أي: لَوَاقِعٌ بالكافرين، كما قال في الآية الأخرى: ﴿تَأْتِيهِمْ مِنْ دَافِعٍ ٨٨﴾، أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن داود، عن صالح المري، عن جعفر ابن زيد العبدي قال: خَرَجَ عُمَرُ يَعْسُ المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يُصَلِّي،

(١) أخرجه أحمد ٤٣/١ ح ٣٠٥. وإسناده ضعيف جداً، فيه راوٍ لم يسم وأبو صالح مجهول.

(٢) إسناده ضعيف جداً كسابقه.

فوقف يستمع قراءته فقرا: ﴿وَالطُّورُ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَمْ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ قال: قَسَمَ - وَرَبَّ الكعبة - حق. فنزل عن جماره واستند إلى حائط، فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس، لا يدرون ما مَرَضُهُ، - رضي الله عنه -.

وقال الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا مُحَمَّد بن صالح، حدثنا هشام بن حَسَن، عن الحسن: أن عُمَرَ قرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧)، قَرَباً لها رَبْوَةٌ عِيدٌ منها عَشْرِينَ يَوْماً. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ أَسْمَاءُ مَوْرًا﴾ (٨) - قال ابن عباس وقتادة: تَتَحَرَّكُ تحريكاً. وعن ابن عباس: هو تَشَقُّقُهَا، وقال مجاهد: تَدُور دوراً. وقال الضحَّاك: استدارتها وتحريكها لأمر الله، وموجُ بعضها في بعض. وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة. قال: وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا مَوْرُ السَّحَابَةِ، لَا زَيْتٌ وَلَا عَجَلٌ

﴿وَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا﴾، أي: تذهب فتصير هباءً مُنْبَثًّا، وتُنَسَفُ نُسْفًا، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله وتكاليه بهم، وعِقَابِهِ لهم، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَلْمِزُونَ﴾ (١٢)، أي: هم في الدنيا يخوضون في الباطل، وَيَتَّخِذُونَ دينهم هُزُوًّا وَلَعِبًا، ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ﴾، أي: يُدْفَعُونَ وَيُسَاقُونَ ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾. وقال مجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب، والضحَّاك، والسدي، والثوري: يُدْفَعُونَ فيها دَفْعًا. ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (١٤)، أي: تقول لهم الزبانية ذلك تَقْرِيعًا وتوبيخًا، ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥) أَصْلَوْهَا، أي: ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته، ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾، أي: سواء صَبَرْتُمْ على عَذَابِهَا وَتَكَالَاهَا أم لم تَصْبِرُوا، لا مَحِيدَ لكم عنها ولا خَلَاصَ لكم منها، و﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي: ولا يَظْلُمُ الله أحداً، بل يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (١٧) فَتَكْهِنَ بِمَا ءَاتَاهُمُ رَبُّهُمْ وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا

وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

يُخبر تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (١٧)، وذلك بِضِدِّ مَا أُولَئِكَ فِيهِ من العذاب والتكال، ﴿فَتَكْهِنَ بِمَا ءَاتَاهُمُ رَبُّهُمْ﴾، أي: يَتَفَكَّهُونَ بما آتاهم الله من النعيم، من أصنافِ المَلَادِ، من مأكِلٍ ومشارِبٍ ومَلَابِسٍ ومساكنٍ ومراكِبٍ وغير ذلك، ﴿وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، أي: وقد نُجَاهَم من عذاب النار، وتلك نعمة مُسْتَقِيلَةٌ بِذَاتِهَا على جِدَّتِهَا مع ما أَضْيَفَ إليها من دُخُولِ الْجَنَّةِ، التي فيها من السُّرُورِ ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبٍ بَشَرٍ. وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٩)، كقولهِ تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّائِيَةِ﴾ (٢١) [الحاقة: ٢٤]، أي: هذا بذاك، تَفَضُّلاً منه وإحساناً. وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾، قال الثوري، عن حُصَيْن، عن مجاهد، عن ابن عباس: السُّرُرُ في الْجِبَالِ (١).

[٦٣٢٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليَمَان، حدثنا صفوان بن عمرو: أنه سَمِعَ الهيثم بن مالك الطائي يقول: إن رسولَ الله ﷺ قال: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَّكِيءُ الْمُتَّكَأَ مَقْدَارَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا يَتَحَوَّلُ عَنْهُ وَلَا يَمْلُهُ، يَأْتِيهِ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَلَذَّتْ عَيْنُهُ﴾ (٢).

(١) الحجلة: القبة.

(٢) هذا مرسل. الهيثم بن مالك، تابعي صغير. فالخبر ضعيف.

وحدثنا أبي، حدثنا هذبة بن خالد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: بلغنا أن الرجل ليتكىء في الجنة سبعين سنة، عنده من أزواجه وحده وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواجه لم يكن رآهن قبل ذلك، فيقلن: قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيباً. ومعنى ﴿تَصَفُّوهُ﴾، أي: وجوه بعضهم إلى بعض، كقوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾. ﴿وَرَزَّحْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾، أي: وجعلنا لهم قريبات صالحات، وزوجات حسناً من الحور العين. وقال مجاهد: ﴿وَرَزَّحْنَهُمْ﴾: أنكحناهم بحور عِين، وقد تقدّم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته هنا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢١) ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَحَمْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢٢) ﴿يَشْتَرُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾ (٢٣) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلُفًا لَهُمْ كَأَنَّهُمْ كَانَتْهُمْ ثُلُثُ مَكُونٍ﴾ (٢٤) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥) ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّقِينَ﴾ (٢٦) ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٢٧) ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨)

يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بابائهم في المنزلة وإن لم يلبثوا عملهم، ليقتر أغني الآباء بالآباء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذاك من عمله ومنزله، للتساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

[٦٣٣٠] قال الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمنين في درجته، وإن كانوا ذوته في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شفيان الثوري، به. وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة عن عمرو بن مرة به. ورواه البزار، عن سهل بن بحر، عن الحسن بن حماد الوراق، عن قيس بن الربيع، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس مرفوعاً، فذكره، ثم قال: وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفاً. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مزهد البيروتي، أخبرني محمد بن شعيب، أخبرني شيبان، أخبرني ليث، عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس في قول الله - عز وجل -: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، قال: هم ذرية المؤمن، يموثون على الإيمان، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بابائهم، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوا شيئاً.

[٦٣٣١] وقال الحافظ الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن

(١) هكذا أخرجه الثوري وغير واحد موقوفاً، وأخرجه البزار ٢٢٦٠ عن ابن عباس مرفوعاً. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٧٠: فيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف اهـ. وقال عنه أحمد: كان كثير الخطأ. وله أحاديث منكرة. وكان وكيع وابن المديني يضعفانه. وقال النسائي والدارقطني: متروك. وضعفه يحيى، وقال: لا يكتب حديثه اهـ «الميزان» ٦٩١١. فالرجل ضعيف، وهو سيء الحفظ، وقد خالفه الثوري وشعبة فروياه موقوفاً، أخرجه الطبري ٣٢٣٣٨ و ٣٢٣٤١ وهما إماما هذا الشأن، فالصواب موقوف والمرفوع ضعيف، والله أعلم.

غُرَوَان، حدثنا شريك، عن سالم الألفس، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس - أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يلبثوا دَرَجَتَكَ. فيقول: يا رب، قد عملت لي ولهم. فيؤمر بالحاقهم به» وقرأ ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾... الآية^(١).

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية: يقول: والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ألحقهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار تلحق بهم. وهذا راجع إلى التفسير الأول، فإن ذلك مفسر أصرح من هذا. وهكذا يقول الشعبي، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم، وقتادة وأبو صالح، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد. وهو اختيار ابن جرير.

[٦٣٣٢] وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن عثمان، عن زاذان، عن علي قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار». فلما رأى الكراهة في وجهها قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما». قالت: يا رسول الله، فولدتي منك. قال: «في الجنة». قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية^(٢). هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد قال الإمام أحمد:

[٦٣٣٣] حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب، أني لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»^(٣). إسناده صحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه، ولكن له شاهد.

[٦٣٣٤] في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ أُنثَىٰ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، لما أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك أخبر عن مقام العذل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، فقال تعالى: ﴿كُلُّ أُنثَىٰ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، أي: مژتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أباً أو ابناً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إِلَّا أَنْصَبَ إِلَيْنَا (٣٩) فِي جَنَّتٍ يُسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ النَّجْوَيْنِ (٤١) [المصدر: ٣٨ - ٤١].

وقوله: ﴿وَأَمَّا ذُرِّيَّتُهُمْ بِفِكَهٍ وَآخِرٍ مِمَّا يَنْتَهَوْنَ﴾ (٤١)، أي: والحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى، مما يستطاب ويستهي. وقوله: ﴿يَنْتَهَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾، أي: يتعاطون فيها كأساً، أي: من الخمر. قاله الضحاك. ﴿لَا لَوْ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِ﴾، أي: لا يتكلمون عنها بكلام لاغ، أي: هذيان، ولا إم، أي: فحش، كما تتكلم به الشرية من أهل الدنيا. وقال ابن عباس: اللغو: الباطل، والتأنيص: الكذب. وقال مجاهد: لا يستبشرون ولا

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الطبراني ١٢٢٤٨ وفي «الصغير» ٦٤٠ من حديث ابن عباس. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٦٩: فيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، وهو ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه في الإسراء: ١٥.

(٣) أخرجه أحمد ٥٠٩/٢ وإسناده حسن لأجل عاصم، وله شاهد عن أبي سعيد، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٩١٥ بسند ضعيف.

(٤) أخرجه مسلم وغيره، وتقدم.

يُؤْمِنُونَ. وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان. فَنَزَّهَ اللهُ خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فَنَقَى عنها - كما تقدم - ضُداً الرأس، وَجَعَ البطن، وإزالة العقل بالكُلْية. وأخْبَرَ أنها لا تحمِلُهُم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة الْمُتَضَمِّنْ هَذِيحاً وَفُحْشاً، وأخبر بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا، وطيب طَمْعِهَا وَمَخْبَرِهَا فقال: ﴿بَيْتَةً لِّذَوِّ الشَّيْئِينَ﴾ (٢٩) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿[الصفات: ٤٦ - ٤٧]، وقال: ﴿لَا يُصَدَّقُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (٣٠) ﴿[الواقعة: ١٩]، وقال هاهنا: ﴿يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَنَفْسٍ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِ﴾ (٣١)، وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ زِلْزَالًا لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ﴾ (٣٢): إخبار عن خَدَمِهِمْ وَحَسْمِهِمْ في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب المَكُون، في حُسْنِهِمْ وَبَهَائِهِمْ وَنُظَافَتِهِمْ وَحُسْنِ مَلَابِسِهِمْ، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ زِلْزَالًا مَّخْلُودٌ﴾ (٣٣) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُؤُوسٍ مِّنْ مَّيْنٍ ﴿[الواقعة: ١٧ - ١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٣٤)، أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهلُ الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا بَلَدًا قَدِ أَهْلَيْنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣٥)، أي قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من رَبِّنَا مُشْفِقِينَ من عذابه وَعِقَابِهِ، ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾ (٣٦)، أي: فَصَدَّقَ عَلَيْنَا وَأَجَارَنَا مِمَّا نَخَافُ، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾، أي: نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

[٦٣٣٥] وقد وَرَدَ في هذا المقام حديث، رواه الحافظ أبو بكر البزار في مُسْنَدِهِ فقال: حدثنا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حدثنا سعيد بن دينار، حدثنا الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ اشْتَأَفُوا إِلَى الْإِخْوَانِ، فَيَجِيءُ سَرِيرٌ هَذَا حَتَّى يُحَاطِيَ سَرِيرَ هَذَا، فَيَتَحَدَّثَانِ، فَيَتَكَيءُ هَذَا وَيَتَكَيءُ هَذَا، فَيَتَحَدَّثَانِ بِمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان، تَدْرِي أَيُّ يَوْمٍ غَفَرَ اللهُ لَنَا؟ يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَدَعَوْنَا اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فَغَفَرَ لَنَا»^(١). ثم قال البزار: لا نعرفه يُروى إلا بهذا الإسناد. قلت: وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم: هو مجهول، وشيخه الربيع بن صبيح قد تكلَّم فيه غير واحد من جهة حفظه، وهو رجل صالح ثقة في نفسه.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة أنها قرأت هذه الآية ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾ (٣٦) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾، فقالت: اللهم، مَنْ عَلَيْنَا وَقَّنَا عَذَابَ السُّمُومِ. إنك أنت البرُّ الرحيم. قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال: نعم.

﴿فَذَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِعِنْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا جَاهِنٍ﴾ (٣٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرْبَعُ بِهِ رَبِّ الْعَمُونَ ﴿٣٥﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ﴿٤١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَهْلَهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ فَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى أمراً رسولَه - صلوات الله وسلامه عليه - بأن يُبَلِّغَ رسالته إلى عباده، وأن يُدَكِّرَهُم بما أنزل الله عليه، ثم نفى عنه ما يزعمه به أهلُ البُهتان والفُجور فقال: ﴿فَذَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِعِنْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا

(١) إسناده ضعيف. أخرجه البزار ٣٥٥٣، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٧٧٠: رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان، وقد وثقا له وفيه عنونه الحسن، وهو مدلس. فالخير وإد. والله أعلم.

يَجْزُونَ ﴿٣٦﴾، أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقولهُ الجَهْلَةُ من كُفَّار قريش. والكاهن: الذي يأتيه الرُّؤْيُ من الجانِّ بالكلمة يَتَلَقَّاهَا من خَبَرِ السَّمَاءِ، ﴿وَلَا يَجْزُونَ﴾، وهو الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ من المَسِّ. ثم قال تعالى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ فِي الرَّسُولِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّهِمْ أَلْمَنُونَ ﴿٣٧﴾؟﴾، أي: قَوَارِعِ الدَّهْرِ. والمنون: الموت. يقولون: نَنْظُرُهُ وَنَضْرِبُ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ فَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ وَمِنْ شَأْنِهِ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣٨﴾﴾، أي: انتظروا فإنِّي منتظرٌ معكم، وَتَسْتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالثَّصَرَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجِيج، عن مجاهد، عن ابن عباس: إن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائلٌ منهم: احتسبوه في وثاق، ثم ترَبُّصوا به رَبِّبِ الْمُتُونِ حَتَّى يَهْلِكَ، كما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُعْرَاءِ: زُهَيْرٌ وَالنَّبَغَةُ، إنما هو كأحدهم. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّهِمْ أَلْمَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْدَائُكُمْ بِهِدًى؟﴾، أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كَذِبٌ وَزُورٌ؟ ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، أي: ولكن هُم قَوْمٌ ضَلَالٌ مُعَانِدُونَ، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك. وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾، أي: اختلقه وافتراه من عند نفسه، يعنون القرآن. قال الله تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾، أي: إن كانوا صَادِقِينَ في قولهم: تَقُولُهُ وافتراه، فَلْيَأْتُوا بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، فَلْيَأْتِهِمْ لَوْ اجْتَمَعُوا هُمْ وَجَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ مَا جَاءُوا بِمِثْلِهِ، وَلَا يَعْشِرُ سَوْرٍ [مِنْ] مِثْلِهِ، وَلَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُّوا يُسْتَعَمُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِمُّهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٤﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٨﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٩﴾﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٤٥﴾﴾، أي: أوجدوا من غير مُوجِدٍ أم هُم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

[٦٣٣٦] قال البخاري: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَدَّثُونِي عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٤٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ^(١). وهذا الحديث مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقٍ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، بِهِ. وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ كَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فِي فِدَاءِ الْأَسَارَى، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكًا، وَكَانَ

(١) أخرجه البخاري ٤٨٥٤، وهو معلول لجهالة المخبر لابن عينة، وأخرجه البخاري ٧٦٥ و٣٠٥٠ ومسلم ٤٦٣ وغيرهما من طرق عن ابن عينة وغيره إلى قوله «بالطور» وانظر «الفتح» ٦٠٣/٨.

سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمّله على الدخول في الإسلام بعد ذلك . ثم قال تعالى : ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٤٦) ، أي : أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟! وهذا إنكارٌ عليهم في شريكهم بالله ، وهم يعلمون أنه الخالق وحده ، لا شريك له . ولكنَّ عَدَمَ إيقانهم هو الذي يَحْمِلُهُمْ على ذلك ، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ (٤٧) ، أي : أَمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْمُلْكِ وَبِيَدِهِمْ مَفَاتِيحُ الْخَزَائِنِ ؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ ، أي : المحاسبون للخلائق ، ليس الأمرُ كذلك ، بل الله - عَزَّ وَجَلَّ - هو المالك المتصرفُ الفعَّال لما يريد .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ لَمْ سَأَرْسَلْ رَسُولًا فِيهِ﴾ ، أي : مرقاة إلى المَلَأِ الأعلى ، ﴿فَلْيَأْتِ سَمِيعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ، أي : فليأتِ الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صفة ما هم فيه من الفعَّال والمقال ، أي : وليس لهم سبيل إلى ذلك ، فليُسُوا على شيء ، ولا لهُم دليل . ثم قال مُنْكَرًا عليهم فيما تُسَبِّوهُ إليه من البنات ، وجعلهم الملائكة إناثًا ، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث ، بحيث إذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظَلَّ وجهه مُسَوِّدًا وهو كظيم . هذا وقد جَعَلُوا الملائكة بنات الله ، وعَبَدُوهم مع الله ، فقال : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (٤٨) ، وهذا تهديد شديدٌ ووَعِيدٌ أكيدٌ ، ﴿أَمْ تَتَلَهَّثُونَ أَجْرًا﴾ أي : أجرًا على إيلاغِك إياهم رسالة الله ؟ أي : لست تسألهم على ذلك شيئًا ، ﴿فَهُمْ بَيْنَ مَقَرٍّ مُمَقِّلُونَ﴾ ، أي : فهُم من أدنى شيء يَتَّبِعُونَ منه ، وَيُثْقِلُهُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ ، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤٩) ، أي : ليس الأمرُ كذلك ، فإنه لا يعلم أحدٌ من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله ، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (٥٠) ، يقول تعالى : أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه ، فكيدُهم إنما يرجع وبأله على أنفسهم ، فالذين كَفَرُوا هم المَكِيدُونَ ، ﴿أَمْ لَمْ يَلِدْ وَلَهُ عِزٌّ اللَّهُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥١) . وهذا إنكارٌ شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله . ثم نَزَّهَ نفسه الكريمة عما يَقُولُونَ وَيَقْتَرُونَ وَيُشْرِكُونَ ، فقال : ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (٥٢) فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٥٣) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٥٤) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٥٦) وَمِنْ آيَاتِ فَسْحِهِ وَإِدْبَارِ النُّجُومِ (٥٧)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ ، أي : عليهم يُعَذِّبُونَ به لما صَدَّقُوا وَلَمَّا أُبْقُوا ، بل يقولون : هذا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ أي : مُتْرَكٌ . وهذه كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُغُونَ﴾ (٥٨) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْتَحْزِرُونَ﴾ [الحجر : ١٤ - ١٥] . قال الله تعالى : ﴿فَذَرَهُمْ﴾ ، أي : دَعَهُمْ - يا محمد - ﴿حَتَّى يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ، وذلك يوم القيامة ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ ، أي : لا يَنْفَعُهُمْ كَيْدُهُمْ وَمَكْرُهُم الذي استعملوه في الدنيا ، لا يُجدي عنهم يوم القيامة شيئًا ، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ ، أي : قبل ذلك في الدار الدنيا ، كقوله تعالى : ﴿وَلْيَذِيقْنَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلَذِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٩) [السجدة : ٢١] . ولهذا قال تعالى : ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، أي : تُعَذِّبُهُمْ في الدنيا ، وَتُبْتَلِيهِمْ فيها بالمصائب ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَيَنْبِشُونَ فلا يفهمون ما يُرَادُّ بِهِمْ ، بل إذا جَلَّى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه ، كما جاء في بعض الأحاديث :

[٦٣٣٧] «إِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرِضَ وَعُوفِيَ مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ الْبَعِيرِ، لَا يَدْرِي فِيمَا عَقَلُوهُ وَلَا فِيمَا أُرْسِلُوهُ»^(١).

وفي الأثر الإلهي: كم أغصبك ولا تُعاقِبُنِي؟ قال الله تعالى: يا عبدي، كم أعاقبك وأنت لا تَذَرِي؟. وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: اصبر على أذاهم ولا تُبَالِهم، فإنك بِمَرَأَى مِنَّا وتحت كَلَاءَتِنَا، والله يعصمك من الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال الضحاك: أي إلى الصلاة: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك. وقد روي مثله عن الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وغيرهما. وروى مسلم في صحيحه، عن عَمْرٍو أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة.

[٦٣٣٨] ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبي سعيد وغيره، عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك^(٢). وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، أي: من نَوْمِكَ من فراشك. واختاره ابن جرير.

[٦٣٣٩] ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثني عُمَيْرُ بْنُ هَانِيٍّ، حدثني جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةٍ، حدثنا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي - أَوْ قَالَ: ثُمَّ دَعَا - اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ عَزَمَ فِتْنَةً ثُمَّ صَلَّى تَقَبَّلَتْ صَلَاتُهُ»^(٣). وأخرجه البخاري في صحيحه، وأهل السنن، من حديث الوليد بن مسلم، به. وقال ابن أبي نَجِيعٍ، عن مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال: من كلِّ مجلس. وقال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأخوص: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الثَّضَرِّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّمَشَقِيِّ، حدثنا محمد بن شُعَيْبٍ، أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبو رباح: أنه حَدَّثَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، يقول حين تقوم من كلِّ مجلس، إن كنت أحسنت ازددت خيراً، وإن كان غير ذلك كان هذا كفارة له.

[٦٣٤٠] وقد قال عبد الرزاق في جامعهِ: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجذري، عن أبي عُثْمَانَ الْفَقِيرِ: أن جبريلَ عَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. قال معمر: وسَمِعْتُ غَيْرَهُ يَقُولُ: هذا القولُ كَفَّارَةُ الْمَجَالِسِ^(٤). وهذا مرسل، وقد وردت أحاديث مُسْتَدَّةٌ مِنْ طُرُقٍ - يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضاً - بذلك.

[٦٣٤١] فمن ذلك حديث ابن جُرَيْجٍ، عن موسى بن عقبة، عن شُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عن أبيهِ، عن

(١) ضعيف جداً. أخرجه أبو داود ٣٠٨٩ بسند ضعيف جداً؛ فيه من لم يسم، وأبو منظور مجهول.

(٢) تقدم ترجمته في سورة الفاتحة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ١١٥٤ وأبو داود ٥٠٦٠ والترمذي ٣٤١٤ والنسائي ٨٦١ وابن ماجه ٣٨٧٨.

(٤) مرسل. أخرجه عبد الرزاق ١٩٧٩٦ مرسلًا، ويشهد لأصله ما بعده.

أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ أنه قال: «من جَلَسَ في مجلس فكَثُرَ فيه لَغَطُهُ فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»^(١). رواه الترمذي - وهذا لفظه - والنسائي في اليوم واللييلة، من حديث ابن جُرَيْج. وقال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ». وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: إسناده على شرط مسلم، إلا أن البخاري علله. قلت: علَّله الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو حاتم، وأبو زُرْعَةَ، والدارقطني، وغيرهم. وَتُسَبَّوُا الوهم فيه إلى ابن جُرَيْج. على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جُرَيْج إلى أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ بنحوه.

[٦٣٤٢] ورواه أبو داود - واللفظ له - والنسائي، والحاكم في المستدرک، من طريق الحجاج بن دينار، عن [أبي] هاشم، عن أبي العالية، عن أبي بَزْزَةَ الأسلمي قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول بأَخْرَجَةً إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتَقُولُ قولاً ما كنت تقولهُ فيما مضى؟! قال: «كفارة لما يكونُ في المجلس»^(٢). وقد روي مرسلًا عن أبي العالية، والله أعلم.

[٦٣٤٣] وهكذا رَوَاهُ النسائي والحاكم، من حديث الربيع بن أنس، عن أبي العالية عن رافع بن خَدِيج، عن النبي ﷺ مثله سواء^(٣). وَرَوَى مُرْسَلًا أَيْضًا، والله أعلم. وكذا رَوَاهُ أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال: كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلَسٍ خَيْرٍ وَمَجْلَسٍ ذَكَرَ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة، وصححه، ومن رواية جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ. ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن أمير المؤمنين عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، كُلُّهُمُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وقد أفردت لذلك جزءاً على حِدَةٍ بِذِكْرِ طُرُقِهِ وَالْفَاظَةِ وَعِلَلِهِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، أي: اذْكُرْهُ وَاعْبُدْهُ بِالتَّلَاوةِ وَالصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَرَ الْفُجُورُ﴾، قد تَقَدَّمتْ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمَا الرُّكْعَتَانِ اللَّتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَإِنَّهُمَا مَشْرُوعَتَانِ عِنْدَ إِدْبَارِ النُّجُومِ، أَيْ: عِنْدَ جُنُوحِهَا لِلْغَيْبِوَةِ.

[٦٣٤٤] وقد وَرَدَ فِي حَدِيثِ ابْنِ سَيْلَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «لَا تَدْعُوهُمَا وَإِنْ طَرَدَتْكُمُ الْخَيْلُ» يعني ركعتي الفجر^(٤)، رواه أبو داود. ومن هذا الحديث حُكِيَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ الْقَوْلُ بِوُجُوبِهِمَا، وَهُوَ ضَعِيفٌ، لِحَدِيثٍ:

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٤٣٣ وابن حبان ٥٩٤ والحاكم ٥٣٦/١ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قال، لكن سهيل فيه ضعف، وللحديث شواهد.

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود ٤٨٥٩ والنسائي ١٠٢٥٩ ورجاله ثقات.

(٣) صحيح. أخرجه النسائي في «الكبرى» ١٠٢٦٠ والحاكم ٥٣٧/١ وسكت عليه هو والذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤١/١: رجاله ثقات اهـ وللحديث شواهد وطرق، وهو صحيح.

(٤) ضعيف. أخرجه أبو داود ١٣٥٨ وأحمد ٤٠٥/٢ والطحاوي في «شرح المعاني» ١٧٦/١ - ١٧٧. ومداره على ابن سيلان. قال الذهبي: لا يُعرف. قيل اسمه: عبد ربه، وقيل: جابر. فالخبر واه.

- [٦٣٤٥] «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تَطَوُّعٌ»^(١).
- [٦٣٤٦] وقد ثبت في الصُّحُوحِ عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: لم يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ على شيءٍ من النوافل أشدَّ تَعَاهُداً منه على رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ^(٢).
- [٦٣٤٧] وفي لفظٍ لِمُسْلِمٍ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٣).

آخر تفسير سورة الطور، والله الحمد والمنة

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٦ و ٢٦٧٨ ومسلم ١١ وأبو داود ٣٩١ والنسائي ١/٢٢٦ - ٢٢٨ ومالك ١/١٧٥ وأحمد ١/١٦٢ وابن حبان ١٧٢٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١١٦٩ ومسلم ٧٢٣ ح ٩٤.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٧٢٥ ح ٩٦ من حديث عائشة.



وهي مكية

[٦٣٤٨] قال البخاري: حدثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد، يعني الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من ثراب فسجد عليه، فرأيت بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف^(١). وقد رَوَاهُ البخاري أيضاً في مواضع، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، من طرق، عن أبي إسحاق، به، وقوله في الممتنع: إنه أمية بن خلف في هذه الرواية، مُشْكِلٌ، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾
قال الشعبي وغيره: الخالق يُقَسِّمُ بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق. رواه ابن أبي حاتم. واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ فقال أبي نجيح، عن مجاهد: يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر. وكذا روي عن ابن عباس، وسفيان الثوري، واختاره ابن جرير. وزعم السدي أنها الزهرة. وقال الضحاك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾: إذا رُمي به الشياطين. وهذا القول له اتجاه. وروى الأعمش، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾، يعني: القرآن إذا نزل. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَفَسَّقُوا تَغْلُفُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُمْ لَفُزَّانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٠] وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه بارئ راشد تابع للحق ليس بضال وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحق، العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله - سبحانه وتعالى - رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكنمائه والعمل بخلافه، بل هو - صلوات الله وسلامه عليه - وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾، أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾، أي: إنما يقول ما أمَرَ به، يُتْلَفُهُ إلى الناس كاملاً موقراً من غير زيادة ولا نقصان، كما رواه الإمام أحمد:

[٦٣٤٩] حدثنا يزيد، حدثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن أبي أمامة أنه سَمِعَ

(١) صحيح، أخرجه البخاري ١٠٦٧ و ١٠٧٠ و ٣٨٥٣ ومسلم ٥٧٦ وأبو داود ١٤٠٦ وأحمد ٤٠١/١.

رسول الله ﷺ يقول: «لَيْدُخْلُنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلَ الْحَيِّينِ - أَوْ: مِثْلَ أَحَدِ الْحَيِّينِ - رُبِيعَةً وَمُضَرَّةً». فقال رجل: يا رسول الله، أَوْ مَا رُبِيعَةٌ مِنْ مُضَرَّةٍ؟ قال: «إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ»^(١).

[٦٣٥٠] وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَخْنَسِ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ يَوْسُفَ بْنِ مَاهَكَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَيْتَنِي قَرِيشٌ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ. فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اَكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ»^(٢). ورواه أَبُو دَاوُدَ عَنْ مُسَدَّدٍ وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَانِ، بِهِ.

[٦٣٥١] وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ»^(٣). ثم قال: لَا نَعْلَمُهُ يُرَوَّى إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

[٦٣٥٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن محمد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا». قال بعض أصحابه، فإنك تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»^(٤).

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَدَدَى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علَّمَهُ الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾، وهو جبريل - عليه السلام - كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وقال هاهنا: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، أي: ذو قُوَّةٍ. قاله مجاهد، والحسن، وابن زيد. وقال ابن عباس: ذو منظر حسن. وقال قتادة: ذو خَلْقٍ طَوِيلٍ حَسَنٍ. ولا منافاة بين القولين، فإنه - عليه السلام - ذو منظر حسن، وقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ.

[٦٣٥٣] وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَجُلُ الصَّدَقَةَ لِنَفْسِي، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سِوِيَّ»^(٥). وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَى﴾ يعني: جبريل - عليه السلام -. قاله مجاهد

(١) أخرجه أحمد ٢٦٧/٥ وإسناده حسن في الشواهد لأجل ابن مسيرة، لكن له شواهد.

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٦٤٦ وأحمد ١٩٢/٢ وإسناده قوي، وله شواهد.

(٣) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح، وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه البزار كما في «المجمع» ٨٣٧ وإسناده حسن، وفي الباب أحاديث.

(٤) لم أره في «المسند» بهذا الإسناد، وإنما أخرجه أحمد ٣٦٠/٢ من طريق أسامة بن زيد عن سعيد المقبري به، وإسناده حسن لأجل أسامة بن زيد، وهو الليثي.

(٥) تقدم في سورة التوبة آية ٦٠.

والحسنُ وقَتادةُ، والربيعُ بن أنس. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ يعني جبريلُ، استوى في الأفق الأعلى، قاله عكرمةُ وغيرُ واحدٍ، قال عكرمةُ: والأفقُ الأعلى الذي يأتي منه الصبحُ، وقال مجاهد: هو مطلعُ الشمسِ. وقال قتادةُ: هو الذي يأتي منه النهارُ. وكذا قال ابنُ زيدٍ وغيرُهم.

[٦٣٥٤] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا مُصَرِّفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْيَاسَمِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ الْوَلِيدِ - هُوَ ابْنُ قَيْسٍ - عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْكَهْتَمَلَةِ - أَظَنَّهُ ذَكَرَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرَ جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الْأُفُقُ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَهُ حَيْثُ صَعِدَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ﴿٧﴾ (١).

وقد قال ابنُ جبريرٍ ها هنا قولاً لم أره لغيره، ولا حكاها هو عن أحدٍ، وحاصله: أنه ذهب إلى أن المعنى: ﴿فَاسْتَوَى﴾، أي: هذا الشديدُ القويُّ ذو المِرَّةِ هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى، أي: استويا جيمعاً بالأفق، وذلك ليلةُ الإسراءِ، كذا قال، ولم يُوافقه أحدٌ على ذلك. ثم شرعَ يُوجِّه ما قال من حيث العربية فقال: وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا تُرْبًا وَءَابَاؤُنَا﴾، فَعَطَفَ بِالْأَبَاءِ عَلَى الْمَكْنَى فِي ﴿كُنَّا﴾ من غير إظهارٍ «نحن»، فكذلك قوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾ ﴿وَهُوَ﴾. وقال: وذكرُ الفراءِ عن بعض العربِ أنه أنشده: أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّبْعَ يَضْلُبُ عُودَهُ وَلَا يَسْتَوِي وَالْخِرُوعُ الْمُتَقَصِّفُ

وهذا الذي قاله من جهة العربية مُتَّجِهٌ، ولكن لا يُساعِده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤيةُ لجبريلٍ لم تكن ليلةُ الإسراءِ، بل قَبْلَها ورسولُ الله ﷺ في الأرض، فَهَبَطَ عَلَيْهِ جبريلُ - عليه السلام - وَتَدَلَّى إِلَيْهِ، فاقترَب منه وهو على الصورة التي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتْمَةُ جَنَاحٍ، ثُمَّ رَأَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَةً أُخْرَى عِنْدَ سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى، يَعْنِي لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الرَّوْيَةُ الْأُولَى فِي أَوَائِلِ الْبُعْثَةِ بَعْدَ مَا جَاءَهُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ صَدْرَ سُورَةِ أَقْرَأَ، ثُمَّ فُتِّرَ الْوَحْيُ فَتَرَةً ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا مِرَاراً لِيَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا هَمَّ بِذَلِكَ نَادَاهُ جَبْرِيلُ مِنَ الْهَوَاءِ: «يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنَا جَبْرِيلُ» (٢) فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَائِشُهُ، وَتَقَرَّرَ عَيْنُهُ، وَكَلِمَا طَالَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَادَ لِمِثْلِهَا، حَتَّى تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَبْطَحِ، فِي صُورَتِهِ التي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتْمَةُ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ عَظَمَ خَلْقِهِ الْأُفُقُ، فاقترَب منه، وَأَوْحَى إِلَيْهِ عَنْ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَعَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ عَظَمَةَ الْمَلَكِ الَّذِي جَاءَهُ بِالرَّسَالَةِ، وَجَلَالَتْ قُدْرُهُ وَعُلُوُّ مَكَانَتِهِ عِنْدَ خَلْقِهِ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَيْهِ.

[٦٣٥٥] فأما الحديثُ الذي رواه الحافظُ أبو بكر البزارُ في مُسْنَدِهِ حيث قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ إِذْ جَاءَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَوَكَّزَ بَيْنَ كَتِفَيْي، فَقَمَتَ إِلَى شَجَرَةٍ كَوَكْرِي الطَّيْرِ، فَقَعَدَ فِي أَحَدِهِمَا وَقَعَدْتُ فِي الْآخَرِ. فَسَمَتُ وَارْتَفَعْتُ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقَيْنِ وَأَنَا أَقْلَبُ طَرْفِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْسَسَ السَّمَاءَ لَمَسَسْتُ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ جَبْرِيلُ كَأَنَّهُ حُلَسٌ لَاطِيءٌ فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ. وَفُتِحَ لِي بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ، وَإِذَا دُونَ الْحِجَابِ رِفْرِفَةُ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، وَأَوْحَى إِلَيَّ مَا شَاءَ اللهُ

(١) إسناده ضعيف، لكن المتن محفوظ وسيأتي.

(٢) ورد ذلك عن الزهري مرسلاً. ومراسيل الزهري واهية، وقد تقدم هذا الخبر مطولاً.

أَنْ يُوحَى^(١) ثُمَّ قَالَ الْبَرَّازُ: لَا يَرْوِيهِ إِلَّا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَكَانَ رَجُلًا مَشْهُورًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. قُلْتُ: الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ هَذَا هُوَ أَبُو قُدَّامَةَ الْإِيَادِي، أَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ إِلَّا أَنَّ ابْنَ مَعِينٍ ضَعَفَهُ، وَقَالَ: لَيْسَ هُوَ بِشَيْءٍ، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: مُضْطَرُبُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّزَائِيُّ: يُكْتَبُ حَدِيثُهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: كَثُرَ وَهْمُهُ فَلَا يَجُوزُ الْإِحْتِجَاجُ بِهِ إِذَا انْفَرَدَ، فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَرَائِبِ رَوَايَاتِهِ، فَإِنَّ فِيهِ نَكَارَةً، وَغَرَابَةَ الْفَافِظِ، وَسِيَاقًا عَجَبِيًّا، وَلَعَلَّهُ مَنْأَمٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٦٣٥٦] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتْمَةٌ جَنَاحٌ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاقُوتِ وَالْدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ^(٢). انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ.

[٦٣٥٧] وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ مُتَيْبٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَتَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ جَبْرِيلَ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: ادْعُ رَبَّكَ. فَدَعَا رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فَطُلِعَ عَلَيْهِ سَوَادٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ، فَجَعَلَ يَرْتَفِعُ وَيَتَنَشَّرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ صَبَقَ، فَاتَاهُ فَتَنَعَّشَهُ وَمَسَحَ الْبَرَّازَ عَنْ شِدْقِهِ^(٣)، انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ.

[٦٣٥٨] وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ - فِي تَرْجُمَةِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، - مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَبَّارِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: كَانَ أَبُو لَهَبٍ وَابْنُهُ عُتْبَةُ قَدْ تَجَهَّزَا إِلَى الشَّامِ، فَتَجَهَّزَتْ مَعَهُمَا، فَقَالَ ابْنُهُ عُتْبَةُ: وَاللَّهِ لَا أَنْطَلِقَنَّ إِلَى مُحَمَّدٍ وَلَا وَذِيئَتِهِ فِي رَبِّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هُوَ يَكْفُرُ بِالَّذِي دَنَا فَتَدُلَّنِي، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «اللَّهُمَّ ابْعَثْ إِلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ». ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مَا قُلْتُ لَهُ؟ فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ لَهُ، قَالَ: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ» قَالَ: يَا بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا آمَرْتُ عَلَيْكَ دُعَاءَهُ، فَبَسَرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا الشَّرَاءَ - وَهِيَ مَأْسَدَةٌ - وَنَزَلْنَا إِلَى صَوْمَعَةٍ رَاهِبٍ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، مَا أَنْزَلَ لَكُمْ هَذِهِ الْبِلَادَ، فَإِنَّهَا تَسْرَحُ الْأَسْدُ فِيهَا كَمَا تَسْرَحُ الْغَنَمُ؟ فَقَالَ لَنَا أَبُو لَهَبٍ: إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ كَبْرَ سَيِّئِي وَحَقِّي، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ دَعَا عَلَيَّ ابْنِي دَعْوَةً - وَاللَّهِ - مَا آمَنَّا عَلَيْهِ، فَاجْمَعُوا مَتَاعَكُمْ إِلَى هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ، وَافْرِسُوا لَابْنِي عَلَيْهَا ثُمَّ افْرِسُوا حَوْلَهَا. فَفَعَلْنَا، فَجَاءَ الْأَسَدُ فَشَمَّ وَجُوهَنَا، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُرِيدُ تَقَبَّضَ، فَوَثَبَ وَثَبَةً، فَإِذَا هُوَ فَوْقَ الْمَتَاعِ، فَشَمَّ وَجْهَهُ ثُمَّ هَزَمَهُ هَزْمَةً فَفَضَّخَ رَأْسَهُ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَنْفَلْتُ عَنْ دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ^(٤).

(١) إسناده ضعيف. وتقدم في أول سورة الإسراء.

(٢) أخرجه أحمد ٣٩٥/١ وهو حسن دون لفظ «كل جناح منها» فإنه غريب تفرد به شريك، وقد ساء حفظه لما تولى القضاء، وسيأتي.

(٣) منكر. أخرجه أحمد ٢٩٦٧ والبخاري ٢٢٦١ والطبراني ١١٠٣٣ عن ابن عباس به. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٧٤ بعد أن عزاه للبخاري: إدريس ابن بنت وهب بن منبه، يكتب حديثه في الرقاق، كما قال ابن معين، وبقي رجاله ثقات. ثم كرهه ١١٩٤٢ وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات اهـ. مع أن مداره على إدريس عند الجميع. وقد اعتمد الهيثمي توثيق ابن حبان له، وقد خالفه ابن عدي حيث ضعفه وكذا الدراقطني فإنه قال: متروك كما في «الميزان» ٦٨١. ثم إن المتن منكر ومن ذلك «ومسح البزاق عن شدقه» فهو من أوهام إدريس هذا، ولا يتابع عليه.

(٤) إسناده ضعيف، فهو مرسل، وفيه عننة ابن إسحاق، ولا يصح وسيأتي في سورة «تبت».

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٩) أي: فاقترب جبريلُ إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قَاب قَوْسَيْنِ، أي: يَقْدَرُهما إذا مَدَّا. قاله مجاهد، وقتادة، وقد قيل: إن المراد بذلك بُعد ما بين وَتَرِ القوس إلى كبدها، وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، قد تقدّم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المُخْبِر عنه ونفي ما زاد عليه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، أي: ما هي بالين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله: ﴿يَحْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَنْبُذُوا قُلُوبَهُمْ﴾ [الصافات: ١٤٧] أي: ليسوا أقلّ منها بل هم مثله ألف حقيقة، أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردّد، فإن هذا ممنوع ما هنا، وهكذا هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٩). وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترّب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ إنما هو جبريلُ - عليه السلام -، هو قول أم المؤمنين عائشة، وابن مسعود، وأبي ذرٍّ، وأبي هريرة، كما سنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى.

[٦٣٥٩] وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفَوَاضِلِ مَرَّتَيْنِ^(١)، فَجَمَلَ هَذِهِ إِحْدَاهُمَا.

[٦٣٦٠] وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى»^(٢) ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صحّ فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسولُ الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٢) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض.

[٦٣٦١] وقد قال ابن جرير: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ، حَدَّثَنَا زُرَّ بْنُ حُبَيْشٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٩)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمَةُ جَنَاحٍ»^(٣).

[٦٣٦٢] وقال ابن وهب: حدثنا ابن لهيعة: عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريلَ بأجباد^(٤)، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصَرَخَ به جبريلُ: يا محمد، يا مُحَمَّدُ. فنظر رسول الله ﷺ يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً - ثلاثاً - ثم رفع بصره فإذا هو ثانٍ إحدى رجليه على الأخرى على أفق السماء فقال: يا مُحَمَّدُ! جبريلُ جبريلُ - يسكنه - فهرب النبي ﷺ حتى دخل في الناس، فنظر فلم يرَ شيئاً ثم خرج من الناس، ثم نظر فرآه، فدخل في الناس فلم يرَ شيئاً، ثم خرج فنظر فرآه، فذلك قول الله - عز وجل -: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١٠) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨)، يعني جبريل إلى محمد، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٩) ويقولون: القابُ نصفُ الإصبع، وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما^(٥). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث ابن وهب، به. وفي حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر شاهد لهذا.

(١) أخرجه مسلم ١٧٦ ح ٢٨٥، وسيأتي.

(٢) منكر. تفرد به شريك، وقد تفرد في حديثه بمناكير، وتقدم في الإسراء.

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٤٤٥ وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير ابن أبي الشوارب فإنه من رجال مسلم.

(٤) أجباد: موضع بمكة.

(٥) أخرجه الطبري ٣٢٤٤٨ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، ولبعضه شواهد وبعضه غريب.

[٦٣٦٣] وَرَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ طَلْقِ بْنِ عَنَامٍ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّارَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ❶ فَأَوْحَى إِلَيْ عَبْدِيهِ مَا أَوْحَى ❷، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ: أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمَةُ جَنَاحٍ ❸. (١)

[٦٣٦٤] وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي ابْنُ بَزِيعٍ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ❶، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ خُلُتَا رَفْرَفٌ، قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ❷. فَقُلْتُ مَا ذَكَرْنَاهُ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْ عَبْدِيهِ مَا أَوْحَى﴾ ❸، مَعْنَاهُ: فَأَوْحَى جَبْرِيلُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ مَا أَوْحَى. أَوْ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ مَا أَوْحَى بِوَسْطَةِ جَبْرِيلَ. وَكَلَا الْمَعْنَيْنِ صَحِيحٌ. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْ عَبْدِيهِ مَا أَوْحَى﴾ ❶، قَالَ: أَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿أَلَمْ يَحْذَرِكَ يَتِيمًا﴾، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ❷ [الإنشراح: ٤] وَقَالَ غَيْرُهُ: أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَدْخُلَهَا، وَعَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أَمْتَكُ.

[٦٣٦٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ❶ أَفْتَضُّونَهُ عَلَى مَا يَرَى ❷، قَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ❶، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ❷، قَالَ: رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ ❸، وَكَذَا رَوَاهُ سِمَاكٌ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِثْلَهُ. وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمَا: إِنَّهُ رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ. وَقَدْ خَالَفَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ أَنَّهُ أَطْلَقَ الرُّؤْيَا، وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْمُقْبِدَةِ بِالْفُؤَادِ. وَمَنْ رَوَى عَنْهُ بِالْبَصْرِ فَقَدْ أَغْرَبَ، فَإِنَّهُ لَا يَصُحُّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ عَنِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَقَوْلُ الْبَغَوِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ، وَهُوَ قَوْلُ أَنَسٍ وَالْحَسَنِ وَعِكْرَمَةَ، فِيهِ نَظَرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٦٣٦٦] وَقَالَ الثِّرَمِذِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُبَهَانَ بْنِ صَفْوَانَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ الْعَنْبَرِيُّ، عَنْ سَلَمِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ، قُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَا تَذْكُرْهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يَذْكُرُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ❶ [الأنعام: ١٠٣]؟ قَالَ: وَيَنْحَكُ! ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ، وَقَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ ❷. ثُمَّ قَالَ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ».

[٦٣٦٧] وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَمْرٍو، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُجَالِيدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا بِعَرَفَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَكَبَّرَ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالَ كَعْبٌ: إِنْ اللَّهُ قَسَمَ رُؤْيَاهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى، فَكَلَّمَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِشَيْءٍ قَفَّ لَهُ شِعْرِي. فَقُلْتُ: رَوَيْدًا ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ❶، فَقَالَتْ: أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ؟ إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ أَوْ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ بِهِ، أَوْ يَعْلَمُ الْخَمْسَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٥٦.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٢٤٧٠ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٦ ح ٢٨٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٢٧٩، ولا يصح هذا عن ابن عباس وتقدم الكلام على ذلك.

عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ^(١) [لقمان: ٣٤]، فقد أعظم على الله الفرية، ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سذرة المتهمل ومرة في أجياد، له ستمئة جناح قد سد الأفق.

[٦٣٦٨] وقال النسائي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتعبون أن تكون الخلّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد عليهم السلام؟!^(٢).

[٦٣٦٩] وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»، وفي رواية: «رأيت نوراً»^(٣).

[٦٣٧٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب قال: قالوا يا رسول الله! رأيت ربك؟ قال: «رأيت بفؤادي مرتين» ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٤).

[٦٣٧١] ورواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعيني، ورأيت بفؤادي مرتين» ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾^(٥).

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرني عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٦)، فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم. قال: قد رآه. ثم: قد رآه. قال: فسألت عنه الحسن فقال: رأى جلاله وعظمته ورجاءه.

[٦٣٧٢] وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن مجاهد، حدثنا أبو عامر العقدي، أخبرنا أبو خلدة، عن أبي العالية قال: سئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال «رأيت نهراً، ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غير ذلك»^(٧). غريب جداً.

[٦٣٧٣] فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي - عز وجل»^(٨). فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام، كما رواه الإمام أحمد أيضاً:

(١) والحديث أخرجه الترمذي ٣٢٧٨ وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد، وصدره من كلام كعب، وأما خبر عائشة، فهو عند البخاري ٤٦١٢ ومسلم ٨٥٥٥ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ دون لفظ «في أجياد»، وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٥٨ وابن خزيمة في «التوحيد» ٢٨٥ وإسناده صحيح، لكن هو محمول على المتقدم قبل حديثين.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨ ح ٢٩١.

(٤) فيه موسى بن عبيدة، وهو الرندي، ضعيف الحديث، وقد صح هذا من كلام ابن عباس وغيره كما تقدم.

(٥) واه. أخرجه الطبري ٣٢٤٥٢ وفيه موسى بن عبيدة واه.

(٦) ضعيف جداً. فهو مرسل؛ ومع إرساله المتن منكر جداً.

(٧) أخرجه أحمد ٢٩٠/١ ح ٢٦٢٩ والآجري ١٠٤٧ وقال الهيثمي ٧٨/١ - ٧٩: رجاله رجال الصحيح، وهو كما قال، لكنه محمول على المتقدم قبل ستة أحاديث.

[٦٣٧٤] حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي رَبِّي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - أَحْسَبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَذَرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ - أَوْ قَالَ: تَحْرِي - فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَذَرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِي الْكَفَارَاتِ وَالدرَجَاتِ. قَالَ: وَمَا الْكَفَارَاتِ وَالدرَجَاتِ؟ قَالَ: قُلْتُ: الْمَكْتُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَإِبْلَاجُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ. مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. وَقَالَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أُرَدْتُ بِعِبَادِكَ فَتَنَةً أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالدرَجَاتِ: بِذُلِّ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آخِرِ سُورَةِ ص، عَنْ مَعَاذِ نَحْوِهِ.

[٦٣٧٥] وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِيهِ سِيَاقٌ آخَرُ وَزِيَادَةٌ غَرِيبَةٌ؛ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَمْرَانَ بْنِ سَيَّارٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زُرَيْبٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ! هَلْ تَذَرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: لَا، يَا رَبِّ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَارَاتِ، وَنَقَلَ الْأَقْدَامَ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَانْتَظَرَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ. فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ فَقَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَضِغْ عَنْكَ وَزَرَكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ [بِكَ]؟ قَالَ: فَأَفْضَى إِلَيَّ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُؤَدِّنْ لِي أَنْ أَحْدِثُكُمْوهَا. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٨٩﴾ فَأَوْجَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْجَى ﴿٩٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ فَجَعَلَ نُورٌ بَصَرِي فِي فُؤَادِي، فَانْظَرْتُ إِلَيْهِ بِفُؤَادِي»^(٢)، إسناده ضعيف.

[٦٣٧٦] وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ بِسَنَدِهِ إِلَى هَبَّارِ بْنِ الْأَسَدِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ لَمَّا خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ قَالَ لِأَهْلِ مَكَّةَ: اعْلَمُوا أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى. فَبَلَغَ قَوْلُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كَلَابِهِ». قَالَ هَبَّارٌ: فَكُنْتُ مَعَهُمْ، فَفَزَلْنَا بِأَرْضِ كَثِيرَةِ الْأَسَدِ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْأَسَدَ جَاءَ فَجَعَلَ يَشُمُّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ وَاحِدًا وَاحِدًا، حَتَّى تَخَطَّى إِلَى عُتْبَةَ فَاقْتَطَعَ رَأْسَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ. وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ فِي السَّيْرَةِ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِأَرْضِ الزُّرْقَاءِ، وَقِيلَ بِالسَّرَاةِ، وَأَنَّهُ خَافَ لَيْلَتَهُ، وَأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَنَامُوا مِنْ حَوْلِهِ، فَجَاءَ الْأَسَدُ فَجَعَلَ يَزَارُ، ثُمَّ تَخَطَّاهُمْ إِلَيْهِ فَضَعَمَ رَأْسَهُ، لَعَنَهُ اللَّهُ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ هَذِهِ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ

(١) جيد. أخرجه أحمد ٣٦٨/١ ورجاله ثقات، لكن فيه إرسال، وتقدم في أواخر سورة «ص».

(٢) صدره صحيح له شواهد وطرق، وعجزه «فقلت يا رب» منكر أخرجه الطبري ١٢٤٦٣ بهذا الإسناد، من حديث ابن عباس، وضعفه المصنف رحمه الله. وعلته، سعيد بن زربي، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: عنده عجاب، وقال الدارقطني ضعيف اه، «الميزان» ٣١٧٧. وعجزه منكر فقط.

(٣) هو مرسل. والمرسل من قسم الضعيف عند أهل الحديث، وسيأتي في سورة «تبت».

التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء. وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن إعادته ها هنا، وتقدم أن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية. وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين وغيرهم.

[٦٣٧٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زُر بن حُبَيْش، عن ابن مسعود في هذه الآية. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ يَدْرِئَ الْمُنْتَهَىٰ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمئة جناح، ينتثر من ريشه التهاويل: الدر والياقوت»^(١). وهذا إسناد جيد قوي.

[٦٣٧٨] وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا شريك، عن جامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمئة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق: يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم^(٢). إسناده حسن أيضاً.

[٦٣٧٩] وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثني عاصم بن بهدلة قال: سمعت شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل على سدة المنتهى، وله ستمئة جناح». سألت عاصماً عن الأجنحة، فأبى أن يخبرني، قال: فآخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب^(٣). وهذا أيضاً إسناد جيد.

[٦٣٨٠] وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثني عاصم بن بهدلة حدثني شقيق قال: سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل - عليه السلام - في خضر معلق به الدر»^(٤). إسناده جيد أيضاً.

[٦٣٨١] وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن إسماعيل، حدثنا عامر قال: أتني مسروق عائشة فقال: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد ﷺ ربه - عز وجل؟ قالت: سبحان الله! لقد قف شعري لما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الانعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ وَرَآيَ حجاب﴾ [الشورى: ٥١] ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرَكَّبُ اللَّيْلِ وَمَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]... الآية، ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٥) [المائدة: ٦٧] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

[٦٣٨٢] وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْيُسْبَىٰ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾^(٦)؟ فقلت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عنها، فقال: «إنما ذاك جبريل». لم يره في صورته التي خلق

(١) أخرجه أحمد ٤٦٠/١ وإسناده حسن لأجل عاصم بن بهدلة.

(٢) أخرجه أحمد ٣٩٥/١ وتقدم قبل قليل.

(٣) حسن. أخرجه أحمد ٤٠٧/١ وإسناده حسن لأجل عاصم بن بهدلة، وجودة المصنف.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ٤٠٧/١ وإسناده كسابقه.

(٥) والحديث أخرجه أحمد ٤٩/٦ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

عليها إلا مرتين. رآه مُنْهِطاً من السماء إلى الأرض، ساداً عظم خَلْقِهِ ما بين السماء والأرض^(١). أخرجاه في الصحيحين، من حديث الشعبي به.

[٦٣٨٣] رواية أبي ذرٍّ، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذرٍّ: لو رأيْتُ رسولَ الله ﷺ لسألته. قال: وما كنتَ تسأله؟ قال: كنتُ أسأله: هل رأى ربُّه عزَّ وجلَّ؟ فقال: إني قد سألتُه فقال: «قد رأيته نوراً أتى أراه»^(٢). وهكذا وقع في رواية الإمام أحمد.

[٦٣٨٤] وقد أخرجه مسلمٌ من طريقين بلفظين فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذرٍّ قال: سألت رسولَ الله ﷺ: هل رأيْتُ ربك؟ فقال: «نورٌ أتى أراه»^(٣).

[٦٣٨٥] وقال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذرٍّ: لو رأيْتُ رسولَ الله ﷺ لسألته. فقال: عن أيِّ شيءٍ كنتَ تسأله؟ قال: كنتُ أسأله: هل رأيْتُ ربك؟ قال أبو ذرٍّ: قد سألتُ فقال: «رأيْتُ نوراً»^(٤)، وقد حَكَى الخَلالُ في عِلِّيه أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال: ما زلتُ مُنْكَراً له، وما أدري ما وجهه!

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عَوْن الواسطي، أخبرنا هُشَيْم، عن منصور، عن الحكم، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ قال: رآه بقلبه، ولم يَرَهُ بعينه. وحاول ابن خُزَيْمَة أن يدَّعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذرٍّ، وأما ابنُ الجوزي فتأوله على أن أبا ذرٍّ لعَلَّه سأل رسولَ الله ﷺ قبل الإسراء، فأجابه بما أجابه به، ولو سألَه بعد الإسراء لأجابه بالإثبات. وهذا ضعيفٌ جداً، فإن عائشة أُم المؤمنين - رضي الله عنها - قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية. ومن قال: إنه خاطبها على قدر عقولها. أو حاول تخطئتها فيما ذهبَتْ إليه - كابن خُزَيْمَة في كتاب التوحيد - فإنه هو المُخْطِئ، والله أعلم.

[٦٣٨٦] وقال النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيْم، عن منصور، عن الحكم، عن يزيد بن شريك، عن أبي ذرٍّ قال: رأى رسولَ الله ﷺ ربَّه بقلبه، ولم يَرَهُ بِبَصَرِهِ^(٥).

[٦٣٨٧] وقد ثبت في صحيح مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن علي بن مُسْهِر، عن عبد المَلِك بن أبي سُلَيْمَان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(٦)، قال: رأى جبريل - عليه السلام -.

وقال مجاهدٌ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(٧) قال: رأى رسولَ الله ﷺ جبريلَ في صورته مَرَّتَيْنِ، وكذا قال قتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم. وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقْنُتُ الَّيْذَرَةُ مَا يَقْنُتُ﴾^(٨)، قد تقدَّم

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٦١٢ و٤٨٥٥ ومسلم ٢٨٧/١٧٧، ٢٨٨، ٢٨٩ والترمذي ٣٠٦٨ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ و٤٢٩. وأحمد ٢٤١/٦.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ١٤٧/٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨ ح ٢٩١.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨ ح ٢٩٢.

(٥) أخرجه النسائي ١١٥٣٦ ورجاله رجال البخاري ومسلم، ليس فيه إلا عن عنة هشيم، وهو مدلس، لكن لأصله شواهد.

(٦) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٥ ح ٢٨٣.

في أحاديث الإسراء أنه غَشِيَتْهَا الملائكةُ مثل الغُربان، وَغَشِيَهَا نورُ الرَّبِّ، وَغَشِيَهَا ألوانٌ ما أدري ما هي؟

[٦٣٨٨] وقال الإمام أحمد: حدثنا مالك بن مغول، حدثنا الزبير بن عدي، عن طلحة، عن مرة، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهى به إلى سِدْرَةِ المنتهى، وهي في السماء السابعة، إليها يَتَبَهَّى ما يعرج به من الأرض فَيَقْبُضُ منها، وإليها يَتَبَهَّى ما يُهْبِطُ به من فوقها فَيَقْبُضُ منها: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (١٦)، قال: فَرَأَى من ذَهَب، قال: وأُعْطِيَ رسول الله ﷺ ثلاثاً: أُعْطِيَ الصلوات الخمس وأُعْطِيَ خواتيم سورة البقرة، وَغُفِرَ لِمَن لا يُشْرِكُ بالله من أُمَّته المُقْجَمَاتُ^(١). انفرد به مسلم.

[٦٣٨٩] وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة فقل له: إن هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيها الملائكة مثل الغربان حين يَقْغُضُ على الشجر، قال: فَكَلَّمَهُ عند ذلك، فقال له: سَلْ^(٢). وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (١٦)، قال: كان أغصانُ السدرة لولواً وياقوتاً وزبرجداً، فأراها محمدٌ ورأى ربّه بقلبه.

[٦٣٩٠] وقال ابن زيد، قيل: يا رسول الله، أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال: «رأيت يغشاها فَرَّاشٌ من ذَهَب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يُسَبِّحُ الله - عز وجل»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧)، قال ابن عباس: ما ذَهَبَ يميناً ولا شمالاً، ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما جاوزَ ما أُمِرَ به. وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة. فإنه ما فَعَلَ إلا ما أُمِرَ به، ولا سأل فوق ما أُعْطِيَ، وما أَحْسَنَ ما قال الناظم:

رَأَى جَنَّةَ الْمَآوَى وَمَا قَوَّضَهَا، وَلَوْ رَأَى غَيْرَهُ مَا قَدَّرَاهُ لَنَاهَا

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨)، كقوله: ﴿لِئَلَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]، أي: الدالة على قُدْرَتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين استدلل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تَقَعْ، لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨)، ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان.

[٦٣٩١] وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن الوليد بن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة - قال محمد: أظنه عن ابن مسعود - أنه قال: إن محمداً لم يَرِ جبريلَ في صورته إلا مرتين، أما مرة فإنه سألَه أن يُريه نفسه في صورته فأراه صورته، فسَدَّ الأفق، وأما الأخرى فإنه صَعِدَ معه حين صَعِدَ به. وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)، قال: فلما أحسَّ جبريلُ ربّه - عز وجل - عاد في صورته وسجد، فقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَ مَا جَاءَتْهُ الْأَنْوَارُ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) قال: خَلَقَ جبريلُ - عليه السلام -^(٤). هكذا رواه الإمام أحمد، وهو غريب.

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٣ ح ٢٧٩ وأحمد ٣٨٧/١.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٢٥٢٤ وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٢٥١٩ وهو مرسل، ومع إسناده ابن زيد وإب.

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٧/١ وإسناده ضعيف لجهالة إسحاق، ولصدوره شواهد، وعجزه منكر.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيْتُهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَنْتَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَرَّ مِنَ مَلِكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَغْنَى شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

يقول تعالى مقررًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأندَاد والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاةً للكهبة التي بنّاها خليل الرحمن - عليه الصلاة والسلام - : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء مُعَظَّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله، فقالوا: اللات، يعثون مؤنثة منه - تعالى الله عن قولهم علوًا كبيراً - وحكى عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس: أنهم قرؤوا «اللات» بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلاً يَلْتُ للحجيج في الجاهلية السوق، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

وقال البخاري: حدثنا مسلم - وهو ابن إبراهيم - حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿اللَّت وَالْعُزَّى﴾، قال: كان اللات رجلاً يَلْتُ السَّوِيْقَ سَوِيْقَ الْحَاجِّ، قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز. وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخل، وهي بين مكة والطائف، [و] كانت قريش يعظمونها.

[٦٣٩٢] كما قال أبو سفيان يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»^(١).

[٦٣٩٣] وَرَوَى البخاري من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالِ أَقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»^(٢). وهذا محمول على من سبق لسأله في ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية.

[٦٣٩٤] كما قال النسائي: أخبرنا أحمد بن بكار وعبد الحميد بن محمد قالا: حدثنا مخلد، حدثنا يونس، عن أبيه: حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: حلفت باللات والعزى، فقال لي أصحابي: بش ما قلت! قلتُ مُجْبَرًا! فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَانْفُتْ عَنْ شِمَالِكَ ثَلَاثًا وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ لَا تَعُدْ»^(٣). وأما مناة فكانت بالمُشَلَّل - عند قديد، بين مكة والمدينة - وكانت خُرَاعَة

(١) تقدم تخريجه في آل عمران.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٦٠ و ٦١٠٧ و ٦٣٠١ و ٦٦٥٠ و مسلم ١٦٤٧/٥ وأبو داود ٣٢٤٧ والترمذي ١٥٤٥ والنسائي ٣٧٧٥ وفي «التفسير» ٥٦٦ وابن ماجه ٢٠٩٦.

(٣) أخرجه النسائي ٣٧٧٦ و ٣٧٧٧ وفي «التفسير» ٥٦٥ وابن ماجه ٢٠٩٧ وأحمد ١٨٣/١، ١٨٦ - ١٨٧ وابن حبان ٤٣٦٥ وإسناده على شرط مسلم، ويشهد لأصله ما قبله.

والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة، وروى البخاري عن عائشة نحوه. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرّد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

قال ابن إسحاق في السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، بها سدنة وحجاب، وتهدى لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها تطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم - عليه السلام -، ومسجده فكانت لقرش وبني كنانة العزى بنخله، وكانت سدنتها وحجابها بني شيان من سليم حلفاء هاشم. قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها، وجعل يقول:

يَا عَزَّى، كُفْرَانُكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَأَنَّكَ^(١)

[٦٣٩٥] وقال النسائي: أخبرنا علي بن المنذر، أخبرنا ابن فضيل، حدثنا الوليد بن جُمع، عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى فاتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات^(٢) فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً». فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة - وهم حجبها - أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عَزَّى، يا عَزَّى. فاتاها خالد فإذا امرأة غريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى»^(٣).

قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها بني مَعْتَب، قلت: وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه وأبا سفيان صخر بن حرب، فهدماها وجعلها مكانها مسجد الطائف.

[٦٣٩٦] قال ابن إسحاق: وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دأن يدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها، ويقال: علي بن أبي طالب. قال: وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب يتبالة، قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللکعبة التي بمكة: الكعبة الشامية. فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه، قال: وكانت فلس لطية ولمن يليها بجلي طيء بين سلمى وأجا، قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه، واصطفى منه سيفين: الرسوب والمخذم، فقتله إياهما رسول الله ﷺ، فهما سيفا علي. قال ابن إسحاق: وكان لحميم وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: ريام. وذكر أنه كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه، وهذا البيت، قال ابن إسحاق: وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام.

(١) ذكر ابن هشام في «السيرة» ٦٢/٤ بعض هذا الخبر، وانظر ما بعده.

(٢) سمرات: جمع سمر؛ وهي شجرة الطلع.

(٣) أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٦٧ وأبو يعلى ٩٠٢ وأبو نعيم في «الدلائل» ٤٦٣ والبيهقي ٧٧/٥ وإسناده لين لأجل الوليد بن جُمع، والحديث بذكر خروج المرأة غريب جداً إن كان المراد أنها عاشت بعد الموت أو أنها من الجن، وأما إن كانت مما جعلها السدنة لتظهر أشياء تدل على حياة العزى، فغير بعيد.

وَلَقَدْ شَذَذْتُ عَلَى رُضَاءِ شِدَّةٍ فَنَرَكْتُهَا قَفْراً بِقَاعِ أَشْحَمَا

قال ابن هشام: يُقال إنه عاش ثلاثمئة وثلاثين سنة، وهو القائل:

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعُمُرْتُ مِنْ عَدَدِ السَّنِينَ مِثْلَنَا
مِثْلَ حَدِّهَا بَعْدَهَا مِثْلَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سَنِينَا
هَلْ مَا بَقِيَ إِلَّا كَمَا قَدْ قَاتَنَا يَوْمَ يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ تَخْلُونَا

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكَعْبَاتِ لبكرٍ وتَغْلِبَ ابني وائل، وإيادٍ بَسَنَادٍ، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

بَيْنَ الْخَوَزَنِيِّ وَالسَّيْدِيِّ وَبَارِقٍ وَالْبَيْتِ ذِي الْكَعْبَاتِ مِنْ سَنَدَادٍ^(١)

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنْزَةَ الْغَالَةِ الْآخَرَىٰ. ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَذْكُرْ وَلَئِنْ أَنتُمْ إِلَّا نَفْسٌ ﴿١١﴾﴾، أي: أنجعلون له ولداً، وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾، أي: جوراً باطلاً، فكيف تُقاسِمُونَ رَبَّكُمْ هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً؟ ثم قال منكراً عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر، من عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وتسميتها آلهة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَابَاؤُكُمْ﴾، أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، أي: من حجة، ﴿لَنْ يَنبَغِيَ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾، أي: ليس له مستند إلا حُسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾، أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤهم به، ولا انقادوا له.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ (٢١)، أي: ليس كل من تمنى خيراً حصل له، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] ما كل من زعم أنه مهتدي يكون كما قال، ولا كل من ود شيئاً يحصل له.

[٦٣٩٧] قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَمَنَّى، فَإِنَّهُ لَا يَذَرِي مَا يَكْتَسِبُ لَهُ مِنْ أَمْنِيَّتِهِ»^(٢). تفرَّد به أحمد.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَاللَّهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ (٢٥)، أي: إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَىٰ﴾ (٢٦)، كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَنْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]، فإذا كان هذا في حق الملائكة الْمُقَرَّبِينَ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعَةَ هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

(١) هذا مرسل، ولاكثره شواهد، وانظر «الغازي» للواقدي ٣/ ٩٨٤ - ٩٨٦.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٢/ ٣٥٧ و ٣٨٧ والبخاري في «الأدب المفرد» ٧٩٤ والقضاعي ٧٦٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيعَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَسْمِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في تسمييتهم الملائكة تسمية الأنثى، وجعلهم لها أنها بنات الله كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَتَنُكَ سَهَدَتُهُمْ وَسُئِلُوا ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ١٩]. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يُصَدِّق ما قالوه، بل هو كَذِب وزور وافتراء وكفر شنيع. ﴿إِنْ يَسْمِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، أي: لا يُجِدِي شَيْئًا، ولا يقوم أبداً مقام الحق.

[٦٣٩٨] وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»^(١).

وقوله عز وجل: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره. وقوله جل جلاله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أي: وإنما أكثر همّه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك ما لا خير فيه. ولهذا قال جلّت عظمته: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه.

[٦٣٩٩] وقد روى الإمام أحمد، عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»^(٢).

[٦٤٠٠] وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا»^(٣). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾، أي: هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباد، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجوز أبداً، لا في شرعه ولا في قدره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا أَلَمٌ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُلِّ إِثْمٍ أَنْشَأَ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ أَجْنَةً فِي بَطْنِ أُمِّهِمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، الْحَاكِمُ فِي خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ، ﴿يَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾، أي: يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. ثُمَّ فُسِّرَ الْمُحْسِنِينَ بِأَنَّهُمْ ﴿الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾، أي: لَا يَتَعَاطَوْنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْكِبَائِرَ وَإِنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بَعْضُ الصَّغَائِرِ فَإِنَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَسْتُرُ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿إِنْ تَحْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَخَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]. وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿الَّذِينَ

(١) تقدم في النساء: ١٢.

(٢) مضى في سورة البقرة، آية: ٢١٢.

(٣) حسن. أخرجه عن ابن عمر الترمذي ٣٥٠٢ وحسنه الحاكم ٥٢٨/١ وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ^(١). وهذا استثناء منقطع، لأن اللَّمَمَ من صفات الذنوب ومحقرات الأعمال.

[٦٤٠١] قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمَمَ مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزُّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَزَا الْعَيْنِ النَّظْرُ، وَزَنَا اللِّسَانِ النَّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»^(٢). أخرجه في الصحيحين، من حديث عبد الرزاق، به.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن الأعمش، عن أبي الضمحي أن ابن مسعود قال: زَنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرُ، وَزَنَا الشَّفَتَيْنِ التَّقْبِيلُ، وَزَنَا الْيَدَيْنِ الْبَطْشُ، وَزَنَا الرَّجْلَيْنِ الْمَشْيُ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ، فَإِنْ تَقَدَّمَ بِفَرْجِهِ كَانَ زَانِياً، وَإِلَّا فَهُوَ اللَّمَمُ. وكذا قال مسروق، والشعبي. وقال عبد الرحمن بن نافع - الذي يقال له: ابن كُبَابَةَ الطائفي - قال: سألت أبا هريرة عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: الْقُبْلَةُ، وَالْعَمْزَةُ، وَالنُّظْرَةُ، وَالْمُبَاشَرَةُ، فَإِذَا مَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، وَهُوَ الزُّنَا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: الذي يَلْمُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ يَدَعُهُ، قال الشاعر:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا!

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: الرَّجُلُ يَلْمُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ يَتَزَعُّ عَنْهُ، قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا!

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعاً.

[٦٤٠٢] قال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ»، قال: هو الرجل يَلْمُ بِالْفَاحِشَةِ ثُمَّ يَتُوبُ، وقال: قال رسول الله ﷺ:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا!^(٣)

وهكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري، عن أبي عاصم النبيل. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. وكذا قال البزار: لا نَعْلَمُهُ يُرَوَّى مُتَّصِلاً إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وساقه ابن أبي حاتم والبَغَوِيُّ من حديث أبي عاصم النبيل، وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة تنزيل، وفي صحبته مرفوعاً نظراً.

[٦٤٠٣] ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن زريع، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن

(١) مضى في سورة النور، آية: ٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٢٨٤ والطبري ٣٢٥٦٧ والحاكم ٤٦٩/٢ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي؛ وهو كما قالنا، فإن زكريا بن إسحاق فمن فوقه من رجال البخاري ومسلم، ومن دون زكريا توبع. والتن غريب، فإنه شعر موزون، والظاهر أن النبي ﷺ ردد هذا على لسانه، لا أنه من كلامه.

الحسن، عن أبي هريرة - أراه رَفَعَه - في ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، قال: فذلك الإمام^(١).

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: اللمة من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ثم لا يعود.

وحدثني يعقوب، حدثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: هو الرجل يُصِيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر، فيجتنبها، ويتوب منها. وقال ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾: يلم بها في الحين. قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب. وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عُيَيْنَةَ، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: اللَّمَم: الذي يلم المرأة. وقال السدي: قال أبو صالح: سُئِلْتُ عن اللمة فقلت: هو الرجل يُصِيب الذنب ثم يتوب. وأخبرني بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم. حكاه البغوي. وروى ابن جرير من طريق المُثَنَّى بن الصباح - وهو ضعيف - عن عمرو بن شعيب: أن عبد الله بن عمرو قال: اللَّمَم: ما دون الشُّرك. وقال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن عطاء، عن ابن الزبير: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾، قال: ما بين الحدين: حد الدنيا وعذاب الآخرة. وكذا رواه شعبة، عن الحكم، عن ابن عباس، مثله سواء. وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾: كل شيء بين الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة، تكفره الصلوات، وهو اللَّمَم، وهو دون كل موجب، فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار، وأخر عقوبته إلى الآخرة. وكذا قال عكرمة، وقتادة، والضحاك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾، أي: رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَكُونُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَفْظَرُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَ مِثْلَ الْأَرْضِ﴾، أي: هو بصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم التي تصدر عنكم وتقع منكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من ضلله أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسمير. وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَنشَأَ آدَمَ فِي بَطْنِ آدَمَ﴾: قد كتب الملك الذي يؤكل به رزقه وأجله وعمله، وشقي أم سعيد. قال مكحول: كُنَّا آدَمَ فِي بَطْنِ آدَمَ، فَسَقَطَ مِنَّا مَنْ سَقَطَ، وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ ثُمَّ كُنَّا مَرَاضِعَ فَهَلَكَ مِنَّا مَنْ هَلَكَ. وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ ثُمَّ صِرْنَا يَفَعَةً، فَهَلَكَ مِنَّا مَنْ هَلَكَ. وَكُنَّا فِيمَنْ بَقِيَ ثُمَّ صِرْنَا شُبُوحًا - لا أبا لك - فماذا بعد هذا ننتظر؟! رواه ابن أبي حاتم عنه. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْكَبُوا أُنْفُسَكُمْ﴾، أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوها بأعمالكم، ﴿هُوَ أَفْظَرُ بِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾. كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَبِيلاً﴾ [النساء: ٤٩].

[٦٤٠٤] وقال مسلم في صحيحه: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة:

(١) أخرجه الطبري ٣٢٥٦٩، وإسناده ضعيف لانقطاعه، فإن الحسن لم يسمع أبا هريرة.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ هَذَا الْأِسْمِ، وَسُمِّيَتْ بَرَّةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ اللَّهَ أَعْلَمَ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ». فَقَالُوا: بِمَ تُسَمِّيْهَا؟ قَالَ: «سَمُوهَا زَيْتَب»^(١).

[٦٤٠٥] وقد ثبت أيضاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عَفَّانُ، حدثنا وَهْبُ، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ، عن أبيه قال: مَدَّحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - مِرَارًا - إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مُحَالَةً فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فَلَانًا - وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا - أَحْسِبْهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ»^(٢). ثم رواه عن عُثْمَانَ، عن شُعْبَةَ، عن خالد الحذاء، به. وكذا رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، من طرق، عن خالد الحذاء، به.

[٦٤٠٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن هُثَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُثْمَانَ فَاتَّيَّ عَلَى فِي وَجْهِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقْدَادُ بِنَ الْأَسْوَدِ يَحْتَوِي وَجْهَهُ التُّرَابَ وَيَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا لَقِينَا الْمَدَّاحِينَ أَنْ نَحْتَوِي فِي وَجْهِهِمْ التُّرَابَ^(٣). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مَنْصُورٍ، بِهِ.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ (٣٣) ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (٣٤) ﴿أَعِنْدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ (٣٥) ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَسْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى﴾ (٣٦) ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) ﴿أَلَا نُرِذِّ وَرْزَةً وَرَزَّ آخَرَى﴾ (٣٨) ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى﴾ (٤٠) ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ (٤١)

يقول تعالى ذامًا لمن تولى عن طاعة الله: ﴿فَلَا مَلَكَ وَلَا سَلَّ﴾ (٣٦) ﴿وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ (٣٧) [القيامة: ٣١ - ٣٢]. ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (٣٤)، قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطع. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد. قال عكرمة، وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً، فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: (أكدينا)، و يتركون العمل. وقوله تعالى: ﴿أَعِنْدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ (٣٥)، أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفة، أعنده علم الغيب أنه سينفذ ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفة، فهو يرى ذلك عياناً؟! أي: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وهماً.

[٦٤٠٧] ولهذا جاء في الحديث: «أَتَفَقَ بِلَالٌ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا»^(٤)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَتَفَقَّهْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَسْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى﴾ (٣٦) ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧)، قال سعيد بن جبیر، والثوري: أي: بلغ جميع ما أمر به. وقال ابن عباس: ﴿وَفَّى﴾ الله بالبلاغ. وقال سعيد بن جبیر: ﴿وَفَّى﴾ ما أمر به. وقال قتادة: ﴿وَفَّى﴾ طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله، ويشهد له قوله تعالى:

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٤٢ ح ١٨ و ١٩.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٦٢ ومسلم ٣٠٠٠ ح ٦٥ وأبو داود ٤٨٠٥ وابن حبان ٥٧٦٦ وأحمد ٤١/٥ و ٤٥.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٢ والبخاري في «الأدب المفرد» ٣٣٩ وأبو داود ٤٨٠٤ والترمذي ٢٣٩٣ وابن ماجه ٣٧٤٢ وأحمد ٦/٥.

(٤) مضي في سورة البقرة، آية: ٢١٢.

﴿وَلَا يَنْتَظِرُ لَهُمْ يَوْمَ يَكْتُمُونَ فَأَتَتْهُمْ قَالَتْ إِنِّي جَاءْتُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

[٦٤٠٨] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [٣٧]، أتدري ما وفى؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يوم بأربع ركعات من أول النهار»^(١). ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير، وهو ضعيف.

[٦٤٠٩] وقال الترمذي في جامعه: حدثنا أبو جعفر السمناني، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن بجير بن سعد، عن خالد بن مغلان، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء وأبي ذر، عن رسول الله ﷺ عن الله - عز وجل - أنه قال: «ابن آدم! اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»^(٢).

[٦٤١٠] قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - : حدثنا أبي، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زيان بن فائد، عن سهل بن معاوية بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لم سمي الله إبراهيم خليله الذي وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿قَسْبَحْنِ اللَّهَ حِينَ تَسُوبُونَ وَحِينَ تَقْبَحُونَ﴾ [٧]»^(٣) [الروم: ١٧]. حتى ختم الآية. ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن رشدين بن سعد، عن زيان، به.

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿أَلَا نُرِذُّ وَرْذًا وَرْذًا أَتْرَى﴾ [٢٨]، أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها ورزها، لا يحمله عنها أحد كما قال: ﴿وَلَنْ تَنفَعُ مُمْغِلُكَ لَكَ جَلِيلًا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [فاطر: ١٨]، «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» [٩١]، أي: كما لا يحمله عليه ورز غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي - رحمه الله - ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم. ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما.

[٦٤١١] وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به»^(٤).

(١) إسناده ضعيف لأجل جعفر والقاسم، وقد تقدم.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٤٧٥.

(٣) وتقدم الحديث في سورة البقرة: ١٢٤، وهو ضعيف.

(٤) مضى في سورة البقرة، آية: ١٢٨.

فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله.

[٦٤١٢] كما جاء في الحديث: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»^(١). والصدقة الجارية كالوقوف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: «لَا تَحْزَنْ نَحْنُ الْمَوْتُ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَآخِرُهُمْ» [يس: ١٢].. الآية. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله.

[٦٤١٣] وثبت في الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»^(٢).

وقوله تعالى: «وَأَنْ سَعَيْكُمْ سَوْفَ يُرَى» [٤٢]، أي: يوم القيامة، كما قال تعالى: «وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسَعْيِكُمْ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشَرُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» [التوبة: ١٠٥]، أي: فيخبركم به، ويجزئكم عليه أتم الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وهكذا قال ما هنا: «ثُمَّ يَمْزِجُهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَ» [٤١]، أي: الأول.

«وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ» [٤٢] وَأَنَّ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى [٤٣] وَأَنَّ هُوَ آمَاتٌ وَاحْيَا [٤٤] وَأَنَّ خَلْقَ الرَّزْمَيْنِ الْدَّكْرَ وَالْأُنثَىٰ [٤٥] مِنْ تُطْفَأُ إِذَا تَمَّتْ [٤٦] وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَىٰ [٤٧] وَأَنَّ هُوَ آفَقٌ وَاقْفَىٰ [٤٨] وَأَنَّ هُوَ رَبُّ الشَّرْعَىٰ [٤٩] وَأَنَّ أَهْلَكَ عَادًا الْأَوَّلَىٰ [٥٠] وَتَمُودًا قَدْ أَبْقَىٰ [٥١] وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَىٰ [٥٢] وَالْمُؤْنِفَكَةُ أَهْوَىٰ [٥٣] فَفَشَلَهَا مَا عَشِيَ [٥٤] فَبَاقِيَ إِلَّا رَيْكَ نَتَمَارَىٰ [٥٥]

يقول تعالى: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ» [٤٢]، أي: المعاد يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود! إني رسولُ رسولِ الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى الجنة أو إلى النار.

[٦٤١٤] وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ» [٤٢]، قال: «لا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ»^(٣).

[٦٤١٥] قال البغوي: وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ، فَإِنَّهُ لَا تُحِيطُ بِهِ الْفِكْرَةُ»^(٤). كذا أورده، وليس بمحفوظ بهذا اللفظ.

(١) صحيح. أخرجه النسائي ٧/ ٢٤٠ - ٢٤١ وابن ماجه ٢١٣٧ عن عائشة.

(٢) مضى في سورة المائدة: آية ٢.

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٢ من حديث أبي بن كعب، وفيه عيسى بن أبي عيسى. ضعيف، وضعفه ابن حبان، ولينه أحد، وقال الفلاس: سيء الحفظ، وفيه الثعلبي أيضاً، وهو غير قوي، فإنه يرفع الموقوف، ويصل المنقطع. لكن لمعناه شواهد.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٢ معلقاً بدون إسناد. وأخرجه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» ١٠/ ١٩٢ من حديث أبي هريرة، وفيه مجاهيل. وأبو عبد الرحمن السلمي الصوفي اتهمه الذهبي. وله شاهد من حديث ابن عمر. أخرجه اللالكائي في «السنن» ١/ ١١٩ - ٢. والبيهقي في «الشعب» ١٢٠ والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ٢٦٠ ومداره على الوازع بن نافع، وهو متروك كما قال الهيثمي وغيره. واكتفى البيهقي بقوله: هذا إسناد فيه نظر اهـ. وأصله شواهد، انظر «الصحيحة» ١٧٨٨.

[٦٤١٦] وإنما الذي في الصحيح: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله وليُستهِ»^(١).

[٦٤١٧] وفي الحديث الآخر الذي في السنن: «تفكروا في مخلوقات الله، ولا تفكروا في ذات الله، فإن الله خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة»^(٢). أو كما قال. وقوله تعالى: «وَأَنْتُمْ هُمْ أَصْحَابُ رَأْسِكُمْ»^(٣)، أي: خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما، وهما مختلفان، «وَأَنْتُمْ هُمْ أَمَاتٌ وَلَمَّا»^(٤)، كقوله: «الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» [الملك: ٢]، «وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّجُلَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى»^(٥) من تُلَفُّوا إِذَا تَنَقَّ^(٦)، كقوله: «يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى»^(٧) أَرَى يَكْفُلُكَ مِنْ تَمَوُّ يَتَّقُ^(٨) ثُمَّ كَانَ عَقَبَهُ فَخَلَقَ فَسَوَّى^(٩) فَعَلَ يَتَّقُ الرَّجُلَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى^(١٠) أَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْجِيَ الْكُلَّ»^(١١) [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

وقوله تعالى: «وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى»^(١٢)، أي: كما خلق البداة هو قادر على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة. «وَأَنْتُمْ هُمْ أَغْنَى وَأَقْنَى»^(١٣)، أي: ملك عباده المال، وجعله لهم قُتِيَةً مُقِيماً عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم. وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين، منهم أبو صالح، وابن جرير، وغيرهما. وعن مجاهد: «أَغْنَى»: مَزَلْ، «وَأَقْنَى»: أخدم. وكذا قال قتادة. وقال ابن عباس، ومجاهد أيضاً: «أَغْنَى»: أعطى، «وَأَقْنَى»: أرضى. وقيل: معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، قاله الحضرمي بن لاحق. وقيل: «أَغْنَى» من شاء من خلقه «وَأَقْنَى»: أفقر من شاء منهم، قاله ابن زيد. حكاها ابن جرير. وهما بعيدان من حيث اللفظ.

وقوله تعالى: «وَأَنْتُمْ هُمْ رَبُّ الشَّعْرِى»^(١٤)، قال ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وابن زيد، وغيرهم: هو هذا النجم الوفا الذي يقال له: مِرْزَمُ الْجُوزَاءِ، كانت طائفة من العرب يعبدونه. «وَأَنْتُمْ هُمْ أَهْلُكَ عَادًا الْأُولَى»^(١٥)، وهم: قوم هود. ويقال لهم: عاد بن إزم بن سام بن نوح، كما قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ إِذْ دَاوَتْ الْوُحَا»^(١٦) أَلَيْ تَمْ يَخْلُقُ يَتْلُو فِي الْإِلْدَى»^(١٧) [الفجر: ٦ - ٨]، فكانوا من أشد الناس وأقوامهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله، فأهلكهم الله «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ سَافَرْنَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَجَّيْنَاهُ أَيَّامٍ خُسُوفًا» [الحاقة: ٦ - ٧]، أي: متتابعة.

وقوله تعالى: «وَتَوَدَّاهُ قَاتِلَيْنِ»^(١٨)، أي: دمرهم فلم يبق منهم أحداً، «وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ»^(١٩)، أي: من قبل هؤلاء، «لَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلًا أَكَلَمَ وَأَلَمَ»^(٢٠)، أي: أشد تمرداً من الذين من بعدهم، «وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى»^(٢١)، يعني مدائن [قوم] لوط، قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل منضود. ولهذا قال: «فَنَسْنَاهَا مَا عَشَى»^(٢٢)، يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم، «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا سَاءً مَطَرٌ السَّيِّئِينَ»^(٢٣) [الشعراء: ١٧٣].

قال قتادة: كان في مدائن قوم لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادي شيئاً من نار ونفط

(١) متفق عليه، وتقدم تخريجهم.

(٢) أخرجه أبو نعيم ٦٦/٦ - ٦٧ من حديث عبد الله بن سلام. وإسناده ضعيف شهر بن حوشب، صدوق سيء الحفظ، ولم يسمع من ابن سلام، وعنه عبد الجليل وهو غير قوي، وعجزه منكر جداً. لكن لعله يتقوى بما قبله، والله أعلم. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ٣٤٢ بعد أن ذكر طرقه وشواهد: وكلها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه مراده الحديث المتقدم. لكن يشهد لصدره، والله تعالى أعلم.

وَقَطِرَانٍ كَفَمِ الْأَتُونِ. رواه ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن محمد بن وهب بن عَطِيَّة، عن الوليد بن مسلم، عن خَلِيد، عنه، به. وهو غَرِيبٌ جَدًّا.

﴿يَأْتِي آلَاءُ رَبِّكَ تَكَاثُرًا﴾ (٥٥) ؟ يا محمد. والأول أولى، وهو اختيار ابن جرير.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ (٥٦) ﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ﴾ (٥٧) ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨) ﴿أَفَنَ هَذَا الْحَدِيثِ

تَعْبُجُونَ﴾ (٥٩) ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ (٦٠) ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ (٦١) ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦٢)

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾، يعني محمداً ﷺ ﴿مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾، أي: من جنسهم، أُرْسِلَ كما أُرْسِلُوا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مَنِ الْأَرْسَلِ﴾ [الاحقاف: ٩]. ﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ﴾ (٥٧)، أي: اقتربت القريئة، وهي القيامة؛ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨)، أي: لا يدفعها إذا من دُونِ الله أحد، ولا يَطْلُغُ على علمها سواها. والنذير: هو الحديث لما يُعَايَنُ من الشر الذي يَخْشَى وقوعه فيمن أُنذِرَهم، كما قال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبا: ٤٦].

[٦٤١٨] وفي الحديث: «أنا النذيرُ الغريان»^(١). أي: الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يَلْبَسَ عليه شيئاً، بل بادِرٌ إلى إنذار قومه قبل ذلك، فجاءهم غزبان مسرعاً، مُنَاسِبٌ لقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ﴾ (٥٧)، أي: اقتربت القريئة، يعني يوم القيامة. كما قال في أول السورة التي بعدها: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ﴾ [الفر: ١].

[٦٤١٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثني أبو حازم - لا أعلم إلا عن سهل بن سعيد - قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذنوب، فإنما مثل مُحَقَّرَاتِ الذنوبِ كمثل قوم تَزَلُّوا في بطنٍ وادٍ، فجاء ذا بعمودٍ وجاء ذا بعمودٍ، حتى انضجوا خَبَرَتَهُمْ، وإن مُحَقَّرَاتِ الذنوبِ متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه». وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ: - قال أبو ضَمْرَةَ: لا أعلمه إلا عن سهل بن سعيد - قال: «مثلي ومثل الساعة كهاتين» - وقرئ بين أصبغية الوسطى والتي تلي الإبهام - ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل فَرَسِي رَهَانٍ»، ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ طَلِيعَةً، فلما خشي أن يُسَبِّقَ الْآخَ بثوبه: أَيْتَمَ أَيْتَمَ». ثم يقول رسول الله ﷺ: «أنا ذلك»^(٢). وله شواهد من وجوهٍ أُخَرُ من صِحاحٍ وجَسَانٍ.

ثم قال تعالى مُنْكَرًا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم: ﴿تَعْبُجُونَ﴾ من أن يكون صَاحِبًا، ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاءً وسُخْرِيَةً، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾، أي: كما يفعلُ الْمُؤَقِّثُونَ به، كما أخبر عنهم: ﴿وَيَحْشُرُونَ لِلْآذِقَانِ يَكُونُ وَزِيرُهُمْ خُشُوعًا﴾ (٦٣) [الاسراء: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ (٦١)، قال سُفْيَانُ الثوري، عن أبيه، عن عكرمة عن ابن عباس قال: الغناء هي يَمَانِيَّةٌ، اسمٌ لنا: غَنُّ لَنَا. وكذا قال عِكْرَمَةُ. وفي رواية عن ابن عباس: ﴿سَمِيدُونَ﴾: مُعْرِضُونَ. وكذا قال مجاهد، وعكرمة. وقال الحسن: غَافِلُونَ. وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وفي رواية عن ابن عباس: تَسْتَكْبِرُونَ. وبه يقول السدي. ثم قال تعالى آمراً لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦٢)، أي: فَاخْضَعُوا لَهُ وَأَخْلَصُوا وَوَحَّدُوا.

[٦٤٢٠] قال البخاري: حدثنا أبو مَعْمَرٍ، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس

(١) هو بعض حديث أخرجه مسلم ٢٢٨٣ وغيره.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣٣١/٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

قال: سَجَدَ النبي ﷺ بالنَّجْمِ، وسَجَدَ معه المسلمون والمشركون والجن والإنس^(١). انفرد به دون مسلم.

[٦٤٢١] وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن مَعْمَرٍ، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة، عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأ بها إلا سجد معه^(٢). وقد رواه النسائي في الصلاة، عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به.

أَخْرَجُ تَفْسِيرَ سُورَةِ النَّجْمِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

(١) صحيح . أخرجه البخاري ٤٨٦٢.

(٢) أخرجه النسائي ١٠٣٠ وأحمد ٤٠٠/٦ ورجاله ثقات سوى جعفر بن المطلب وثقه ابن حبان وحده على قاعدته، تفرد عنه عكرمة بن خالد فهو مجهول، فالإسناد ضعيف.



ويقال: سورة اقتربت الساعة؛ وهي مَكِّيَّة

[٦٤٢٢] قد تقدّم في حديث أبي واقد: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة، في الأضحى والفطر^(١). وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتغالهما على ذكر الوعد والوعيد وبذء الخلق، وإعادته، والتوحيد، وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ (٤) حَكَمَةٌ بَلِغَةٌ ۚ (٥) فَمَا تُغْنِ الْتَذَرُ ۚ (٦)﴾

يُخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقال: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]. وقد وردت الأحاديث بذلك.

[٦٤٢٣] قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن الثني وعمرو بن علي قالا: حدثنا خلف ابن موسى، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ أَصْحَابَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا شَيْفٌ يَسِيرٌ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ»، وَمَا نَرَى مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا يَسِيرًا^(٢). قُلْتُ: هَذَا حَدِيثٌ مَدَاوِرُهُ عَلَى خَلْفِ بْنِ مُوسَى بْنِ خَلْفِ الْعَمِّيِّ، عَنْ أَبِيهِ. وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ جِبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ، وَقَالَ: رُبَّمَا أَخْطَأَ.

حديث آخر يُعَضَّدُ الذي قبله ويُقَسَّرُهُ.

[٦٤٢٤] قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا شريك، حدثنا سلمة بن كهيل، عن مجاهد،

(١) تقدم في سورة «ق».

(٢) حسن. فيه موسى بن خلف ضعفه ابن معين، وفي رواية: لا بأس به. وقال غيره: ليس بالقوي. وذكره الذهبي في «الميزان» ٨٨٥٨ وقال: قال ابن عدي: رأيت أحمد بن حنبل صحح هذه الرواية. ثم ذكر الذهبي هذا الحديث. ونقل عن أبي حاتم قوله: صالح الحديث. وقال أبو داود: ليس به بأس ليس بذلك. والله تعالى أعلم. والشف يسير: الشيء القليل.

عن ابن عُمر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشَّمْسُ على قُعَيْقَعَانَ بعد العصر، فقال: «ما أعماركم في أعمارٍ من مَضَى إلا كما بقي من الثَّهَارِ فيما مَضَى»^(١).

[٦٤٢٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا حُسَيْن، حدثنا مُحَمَّد بن مُطَرِّف، عن أَبِي حازم، عن سَهْل بن سَعْدٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ والسَّاعَةُ هَكَذَا». وأشار بأصْبَعِيهِ: السَّبَّابَةِ والْوُسْطَى. أخرجه من حديث أَبِي حازم سلمة بن دينار^(٢).

[٦٤٢٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا مُحَمَّد بن عُبَيْد، حدثنا الأعمش، عن أَبِي خالد، عن وهب السَّوَّائِي قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهَذِهِ من هذه إن كَادَتْ لَتَسْبِقَنِي»، وَجَمَعَ الأعمشُ بين السَّبَّابَةِ والْوُسْطَى^(٣).

[٦٤٢٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حدثنا الأوزاعي، حدثني إِسْمَاعِيلُ بن عُبَيْدٍ الله قال: قَدِمَ أَنَسُ بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فسأله: ماذا سَمِعْتَ من رسول الله ﷺ يَذْكُرُ به السَّاعَةَ؟ فقال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَنْتُمْ والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(٤). تَفَرَّدَ به أحمد، رحمه الله.

[٦٤٢٨] وشاهد ذلك أيضاً في الصحيح في أسماءِ رُسُولِ الله ﷺ: أنه الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قدميه^(٥).

[٦٤٢٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزُ بن أسيد، حدثنا سُلَيْمَانُ بن المغيرة، حدثنا حُمَيْدُ بن هلال، عن خالد بن عُمَيْرٍ قال: خَطَبَ عُتْبَةُ بن غَزْوَانَ - قال بَهْزُ: وقال قبل هذه المرة - خَطَبَنَا رسولُ الله ﷺ قال: فَحَمِدَ الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الدنيا قد أَذْنَتْ بِصَرْمٍ، وولَّتْ حَذَاءً، ولم يبق منها إلا ضَبَابَةٌ كضَبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صاحبُها، وإنَّكُمْ منتقلون منها إلى دار لا زوالَ لها، فانتقلُوا منها بخيرٍ ما يَحْضُرُكُمْ، فإنه قد ذَكَرَ لنا أن الحَجَرَ يَلْقَى من شَفِيرِ جَهَنَّمَ فيُهَوِي فيها سبعين عاماً ما يُدْرِكُ لها قعرًا، والله لَتَمْلُؤُنَّه، أفعجبتم! والله لقد ذَكَرَ لنا أن ما بين مِصْرَاعِي الجَنَّةِ مسيرةُ أربعين عاماً، وَلَيَأْتِيَنَّ عليه يومٌ وهو كَطِيطٍ من الزُّحَامِ»^(٦). وذكر تمام الحديث، انفرد به مسلم.

وقال أبو جعفر بن جَرِيرٍ: حدثني يعقوب، حدثني ابن عُليَّة، أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ قال: نزلنا المدائنَ فَكُنَّا منها على فَرَسَخٍ، فجاءت الجمعةُ، فَحَضَرَ أَبِي وحضرتُ معه، فَخَطَبَنَا حَذِيفَةُ فقال: أَلَا إِنَّ الله يقول: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَسْتَقَى الْقَمَرُ ۖ﴾، أَلَا وَإِنَّ السَّاعَةَ قد اقترَبَتْ، أَلَا

(١) حسن. أخرجه أحمد ١١٦/٢ وإسناده حسن في الشواهد لأجل شريك. وتقيعان: جبل بمكة.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٦ و٦٥٠٣ ومسلم ٢٩٥٠ وأحمد ٣٣٨/٥ وابن حبان ٦٦٤٢.

(٣) حسن. أخرجه أحمد ٣٠٩/٤ والطبراني ١٢٦/٢٢ وإسناده ضعيف، فيه عننة الأعمش، وهو مدلس، وله شاهد أخرجه أحمد ٣٤٨/٥ وفيه بشير بن مهاجر، وهو وإن روى له مسلم ووثقه ابن معين وغيره، فقد قال أحمد: منكر الحديث، يأتي بالمعجب، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. لكن يصلح حديثه شاهداً لما قبله، والله أعلم.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٢٢٣/٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم، وله شواهد.

(٥) متفق عليه، وتقدم.

(٦) أخرجه أحمد ١٧٤/٤ وهو عند مسلم ٢٩٦٧ موقوف وسياقه يدل على ذلك، ومن ذلك لفظ «ذَكَرَ لنا» ولكن له حكم الرفع، فمثله لا يقال بالرأي، والله أعلم. والصرم: الانقطاع والذهاب. وحذاء: مسرعة. والصبابة: بقية الشراب. ويتصابها: يشربها. وكطيط: ممتلئ.

وإنَّ الْقَمَرَ قد انشَقَّ، ألا وإنَّ الدنيا قد أذنت بفراقٍ، ألا وإنَّ اليوم المِضْمَارُ وغداً السَّبَاقُ، فقلت لأبي: أيستبق النَّاسُ غداً؟ فقال: يا بُنَيَّ، إنك لجاهلٌ، إنما هو السَّبَاقُ بالأعمال. ثم جاءت الجمعة الأخرى فحَضَرْنَا فَخَطَبَ حَذِيفَةَ فقال: ألا إن الله - عز وجل - يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ﴾، ألا وإنَّ الدنيا قد أذنت بفراقٍ، ألا وإنَّ اليوم المِضْمَارُ وغداً السَّبَاقُ، ألا وإنَّ الغاية النَّارُ، والسَّابِقُ مَنْ سَبَقَ إِلَى الْجَنَّةِ. وقوله تعالى: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: قد كان هذا في زمانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كما ثَبَتَ ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصَّحِيحَةِ.

[٦٤٣٠] وقد ثَبَتَ في الصحيح عن ابنِ مسعودٍ أنه قال: خَمَسَ قَدَمَينِ: الرُّومَ، والدُّخَانَ، واللِّزَامَ، والبَطْشَةَ، والقَمَرَ^(١). وهذا أمر مُتَّفَقٌ عليه بين العلماء أن انشَقَّ القَمَرُ قد وَقَعَ في زمانِ النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزاتِ البَاهِرَاتِ.

ذَكَرَ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذَلِكَ:

[٦٤٣١] رِوَايَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمرٌ، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آيةً، فانشَقَّ الْقَمَرُ بمكة مرتين، فقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ﴾^(٢). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق.

[٦٤٣٢] وقال البخاري: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أنَّ أهل مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُريَهُم آيةً، فأراهم الْقَمَرَ شِقَينِ، حتى رَأَوْا جِزَاءَ بَيْنَهُمَا^(٣). وأخرجاه أيضاً من حديث يونس بن محمد المؤدَّب، عن شيبان، عن قتادة. ورواه مسلم أيضاً، من حديث أبي داود الطيالسي، ويحيى القطان، وغيرهما، عن شعبة، عن قتادة، به.

[٦٤٣٣] رواية جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رضي الله عنه -: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عن محمد بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه قال: [انشَقَّ الْقَمَرُ على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا:] سَحَرْنَا مُحَمَّدًا. فقالوا: إن كان سَحَرْنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ^(٤). تَقَرَّرَ بِهِ الإمامُ أحمدُ من هذا الوجه، وأسنده البيهقي في «الدلائل» من طريق محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، به. وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن قُضَيْلٍ وغيره، عن حُصَيْنِ، به. ورواه البيهقي أيضاً من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم، كلاهما عن حُصَيْنِ، عن جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ، فذكره.

[٦٤٣٤] رواية عبد الله بن عباس، - رضي الله عنهما -: قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا بكر، عن جعفر، عن عِزَّاءَ بْنِ مَالِكٍ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ، عن ابن عباس قال: انشَقَّ الْقَمَرُ في

(١) تقدم تخريجه في سورة الروم آية ٣.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٠٢ ح ٤٦ وأحمد ١٦٥/٣.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٨٦٨ ومسلم ٢٨٠٢ ح ٤٧.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٨١/٤ - ٨٢ والبيهقي في «دلائل» ٢٦٨/٢ والطبري ٣٢٧٠٥ ومداره على جبير بن محمد، وهو مقبول، لكن للحديث شواهد وطرق.

زمان رسول الله - ﷺ^(١). رواه البخاري أيضاً ومسلم، من حديث بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عراك، به مثله.

[٦٤٣٥] وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي هند، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ۖ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُرْسُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَسِيرٌ ﴿٢﴾، قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رآوا شقيه^(٢). وروى العوفي، عن ابن عباس، نحو هذا.

[٦٤٣٦] وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو البرار، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كُسِفَ القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سُجِرَ الْقَمَرُ. فنزلت: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿مُسْتَسِيرٌ﴾^(٣).

[٦٤٣٧] رواية عبد الله بن عمر: قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا وهب ابن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ۖ﴾ (١)، قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فِلَقَتَيْنِ: فِلَقَةٌ مِنْ دُونِ الْجَبَلِ، وفِلَقَةٌ مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(٤). وهكذا رواه مسلم والترمذي، من طرق عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، به. قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود. وقال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

[٦٤٣٨] رواية عبد الله بن مسعود: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظرُوا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشْهَدُوا»^(٥). وهكذا رواه البخاري ومسلم، من حديث سفيان بن عُيينة، به. وأخرجه من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر عبد الله بن سَخْبَرَةَ، عن ابن مسعود، به.

[٦٤٣٩] وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ عِثْمَانَ بْنِ عِيسَى الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا عَمِّي يَحْيَى بْنُ عِيسَى، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْى، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ، فَأَخَذَتْ فِرْقَةٌ خَلْفَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا، اشْهَدُوا»^(٦). قال البخاري: وقال أبو الضحى، عن مسروق، عن عبد الله: بِمَكَّةَ.

[٦٤٤٠] وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عَوَّانَةَ، عَنْ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي الضَّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قُرَيْشٌ: هذا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ. قال:

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٦٦.

(٢) متن صحيح. أخرجه الطبري ٣٢٧١٠، وفيه إرسال، لكن المتن صحيح بشواهد.

(٣) أخرجه الطبراني ١١٦٤٢/١١ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٥٩ والترمذي ٣٢٨٨ والبيهقي ٢/٢٦٧.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٣٨٦٩ ومسلم ٢٨٠٠ ح ٤٤ والترمذي ٣٢٨٥ وأحمد ٣٧٧/١ وابن حبان ٦٤٩٥.

(٦) أخرجه الطبري ٣٢٦٩٧ وإسناده ضعيف، فيه من لم يسم، وقوله «بمَنْى» منكر، والصواب أنه بمكة.

فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فقالوا ذلك^(١).

[٦٤٤١] وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هُشَيْمٌ، حدثنا مُغِيرَةُ، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فزقتين، فقال كُفَّار قريش أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة، انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به. قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل وجه، فقالوا: رأيناه. ورواه ابن جرير من حديث المغيرة، به وزاد: فأنزل الله - عز وجل -: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَلَئِنْ لَقِيتِ الْفَقْرَ ۖ﴾^(٢). ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن غلبة، أخبرنا أيوب، عن محمد - هو ابن سيرين - قال: ثبت أن ابن مسعود - رضي الله عنه - كان يقول: لقد انشق القمر.

[٦٤٤٢] وقال ابن جرير أيضاً: حدثني محمد بن عمار، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن سيماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: لقد رأيت الجبل في قرع القمر حين انشق^(٣).

[٦٤٤٣] ورواه الإمام أحمد عن مؤمل، عن إسرائيل، عن سيماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر^(٤).

[٦٤٤٤] وقال ليث عن مجاهد: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فزقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشهد يا أبا بكر». فقال المشركون: سحر القمر حتى انشق^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَرَوْا آيَةً﴾، أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يُفْرَقُوا﴾، أي: لا ينفقون له، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾، أي: ويقولون: هذا الذي شاهدناه من الحجاج سحر سحرنا به. ومعنى ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾، أي: ذاهب. قاله مجاهد، وقتادة، وغيرهما، أي: باطل مضمحل، لا دوام له. ﴿وَكَذَبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقولهم. وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، قال قتادة: معناه أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر. وقال ابن جريج: مستقر بأهله. وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، أي: يوم القيامة. وقال السدي: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾، أي: واقع. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾، أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسول، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب. وقوله

(١) صحيح. أخرجه الطيالسي ٢٩٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

تنبيه: رواية ابن عمر وابن عباس وغيرهما مراسيل. وابن مسعود فقط أدرك انشقاق القمر، والظاهر أن ابن عباس وغيره إنما سمعوه من ابن مسعود وأمثاله كأبي بكر الصديق وغيره، والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/٢٦٦ وإسناده على شرط الصحيح، وأخرجه الطبري ٣٢٦٩٩ من وجه آخر وإسناده على شرط الشيخين، وله طرق.

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٦٩٨ وإسناده غير قوي لأجل سيماك بن حرب، لكن أصله محفوظ.

(٤) أخرجه أحمد ٤٥٦/١، وهو كسابقه.

(٥) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٢٧١٤ وهذا مرسل، ومع إرساله ليث ضعيف، والوهن فقط بذكر أبي بكر.

تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾، أي: في هدايته تعالى لمن هَدَاهُ وإصلاحه لِمَنْ أَضَلَّهُ، ﴿فَمَا تَتَنَزَّلُ﴾، يعني: أي شيء تنزلي النذر عَمَّنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ الشَّقَاةَ، وختم على قلبه؟ فمن الذي يَهْدِيهِ من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْبَاطِلُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَتَنَزَّلُ الْأَنْبِيَاءُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ﴾ ٦ ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٧ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ٨

يقول تعالى: فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يُعْرِضُونَ ويقولون: هذا سحرٌ مُسْتَمِرٌّ، أعرض عنهم وانتظر لهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ﴾، أي: إلى شيء مُنْكَرٍ فظيع، وهو مَوْقِفُ الحساب، وما فيه من البلاء، بل والزلازل والأحوال، ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾، أي: ذليلةً أبصارهم، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾، وهي القبور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾، أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابةً للداعي ﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الآفاق، ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، أي: مُسرِعِينَ ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾، لا يُخَالِفُونَ ولا يَتَأَخَّرُونَ، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، أي: يوم شديد الهول عبوسٌ قُمطِيرٌ، ﴿فَلَيْكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ٩ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُبِيرُ﴾ ١٠ [المدر: ٩ - ١٠].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا بَحْتُونُ وَآزَدَجِرَ﴾ ٩ ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ ١٠ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ١١ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ ١٢ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ ١٣ ﴿يَتَجَرَّى بِاعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ ١٤ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّذْكِرٍ﴾ ١٥ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ١٦ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مَّذْكِرٍ﴾ ١٧

يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾، أي: صرخوا له بالكذب واتهموه بالجنون، ﴿وَقَالُوا بَحْتُونُ وَآزَدَجِرَ﴾، قال مجاهد: ﴿وَأَزْدَجِرَ﴾، أي: استطير جثونا. وقيل: ﴿وَأَزْدَجِرَ﴾، أي: انتهزوه وزجروه وأوعدهوه: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتَهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. قاله ابن زيد، وهذا متوجه حسن. ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ ١٠، أي: إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿فَأَنْتَصِرْ﴾ أنت لِدِينِكَ. قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ١١، قال السدي: هو الكثير، ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾، أي: تَبَعَتْ جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي مَحَالُ النيران تَبَعَتْ عُيُونًا، ﴿وَالْتَقَى الْمَاءُ﴾، أي: من السماء ومن الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾، أي: أمرٌ مُقَدَّر. قال ابن جريج، عن ابن عباس: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ١١، كثير، لم تُمَطَّر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده، إلا من السحاب؛ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السماء بالماء من غير سَحَابٍ ذلك اليوم، فالتقى الماء على أمرٍ قَدْ قُدِرَ. وروى ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل علياً عن المَجْرَةِ فقال: هي شَرْجُ السماء، ومنها فُتِحَتْ السماء بماءٍ مُنْهَمِرٍ. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ ١٣، قال ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، والقرظي، وقتادة، وابن زيد: هي المسامير. واختاره ابن جرير، قال: وواجهها دَسَارٌ، ويقال: دَسِيرٌ كما يقال: حَبِيكٌ وَجَبَاك، والجمع حُبُك. وقال مجاهد: الدُّسْرُ: أضلاع السفينة. وقال عكرمة والحسن: هو صدرها الذي يُضْرَبُ به الموج. وقال الضحاك: الدُّسْرُ: طرفها وأصلها. وقال العوفي، عن ابن عباس: هو كُلُّهَا، أي صدرها. وقوله: ﴿يَتَجَرَّى بِاعْيُنِنَا﴾، أي: بِأَمْرِنَا

(٦) متفق عليه، وتقدم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن رافع، حدثنا ضمرة، عن ابن شَدَب، عن مطر - هو الوراق - في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾: هل من طالب علم قيعان عليه؟ وكذا علَّقه البخاري بصيغة الجزم، عن مطر الوراق. ورواه ابن جرير، وروى عن قتادة مثله.

﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود: أنهم كذبوا رسولهم أيضاً، كما صنع قوم نوح، وأنه تعالى أرسل عليهم ريحاً صَرْصَرًا، وهي الباردة الشديدة البرد، ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾، أي: عليهم. قاله الضحاك، وقتادة، والسدي، ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ عليهم نحسه ودماره، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالآخروي. وقوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (٢٠)، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تُغَيِّبَهُ عن الأبصار، ثم تُنْكِسُهُ على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتشُلُّ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٢﴾.

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نُنِيعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا ضَلَّلِي وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَتَلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمَلُونَ عَذَابًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْلَحْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌّ ﴿٢٨﴾ فَادَاوْا صَاحِبَكُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرٌ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحَظِيرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٣٢﴾

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نُنِيعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا ضَلَّلِي وَسُعُرٍ﴾ (٢٤)، يقولون: لقد خبنا وخبرنا إن سلّمنا كلنا قيادنا لواحد منا! ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم، ثم زعموه بالكذب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾، أي: متجاوز في حد الكذب. قال الله تعالى: ﴿سَيَعْمَلُونَ عَذَابًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ﴾ (٢٥). وهذا تهديد لهم شديد، ووعيد أكيد. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾، أي: اختباراً لهم، أخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عُشْرَاءَ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ طَبَقَ مَا سَالُوا، لتكون حُجَّةَ الله عليهم في تصديق صالح - عليه السلام - فيما جاءهم به. ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح: ﴿فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْلَحْ﴾، أي: انتظر ما يؤول إليه أمرهم، واصبر عليهم، فإن العاقبة والنصر لك في الدنيا والآخرة. ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌّ﴾، أي: يوم لهم ويوم للناقة. كقوله: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَكُمْ شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَقْلُوبٍ﴾ (١٥٥) [الشعراء: ١٥٥]. وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌّ﴾، قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن. ثم قال تعالى: ﴿فَادَاوْا صَاحِبَكُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرٌ﴾ (٢٩)، قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمه قُذَارُ بْنُ سَالِفٍ، وكان اشقى قومه. لقوله: ﴿إِذْ أَبْعَثَ أَشْقَاهَا﴾ (٢٦) [الشعراء: ١٢]. ﴿فَتَعَاطَى﴾، أي: فجسر ﴿فَعَقَرٌ﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، أي: فعاقبتهم فكيف كان عذابي على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحَظِيرِ﴾ (٣١)، أي: فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وَخَمَدُوا وَخَمَدُوا كما يَهْمَدُ يَبْسُ الزُّرْعِ وَالنَّابَاتِ. قاله غير واحد من المفسرين. والمحتظر - قال السدي - هو المزعى بالصحراء حين يَبْسُ ويحترق وتُسْفِيهِ الرِّيحُ. وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظراً على

الإبل والمواشي من يبيس الشوك، فهو المراد من قوله: ﴿كَثِيرٌ لَّخْظِرٌ﴾. وقال سعيد بن جبيرة: هشيم المحتظر: هو الثراب المتناثر من الحائط. وهذا قول غريب، والأول أقوى. والله أعلم.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٌ بِالنَّذْرِ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (٣٤) ﴿نِعْمَةً مِنَّا عِندَنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥) ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ (٣٦) ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ (٣٧) ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ بَكْرَةٌ عُذَابٌ مُسْتَقِرٌّ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ (٣٨) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ (٣٩)

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين. ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل - عليه السلام - فحمل مدانتهم حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأنبعث بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال ما هنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾، وهي: الحجارة، ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾، أي: خَرَجُوا من آخر الليل فَنَجَّوْا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها. وَخَرَجَ نبيُّ الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥) ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾، أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفثوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به، ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾، وذلك ليلة وَرَدَ عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شبَّاب مُرِدٍ حَسَنٍ مُحَنٍّ من الله بهم، فأضافهم لوط - عليه السلام - وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يُحاولون كسر الباب، وذلك عشيّة، ولوط - عليه السلام - يُدافعهم ويُمَانِعُهُمْ دُونَ أَضيافِهِ، ويقول لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ يعني نساءهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِيلِينَ﴾ [الحجر: ٧١]، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِن حَقٍّ﴾، أي: ليس لنا فيهن أزب، ﴿وَلَئِنْ لَّمْ تَلْعَن لَّأَنَّا رَبُّهُ﴾ [هود: ٧٩]. فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام - فَضْرَبَ أَعْيُنَهُمْ بِطَرْفِ جَنَاحِهِ، فانطمست أعينهم. يقال: إنها غارت من وجوههم. وقيل: إنه لم يبق لهم عيون بالكلية، فَرَجَعُوا على أديبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً - عليه السلام - إلى الصباح. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ بَكْرَةٌ عُذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ (٣٨)، أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ (٣٩) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ (٤٠).

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾ (٤١) ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُذَّبُوا فَآخَازْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْدِرٌ﴾ (٤٢) ﴿أَكْفَارُهُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ﴾ (٤٣) ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (٤٤) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ (٤٥) ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ الذُّبُرَ﴾ (٤٦) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٧)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأبديهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة، فَكَذَّبُوا بها كُلَّهَا، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أي: فأبادهم ولم يبق منهم مخيراً ولا غنياً ولا أثراً. ثم قال تعالى: ﴿أَكْفَارُهُمْ﴾، أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ﴾، يعني من الذين تقدّم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفّرهم

بالكتب: أنتم خير أم أولئك؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَكَهَةٌ فِي الدُّنْيَا﴾، أي: أم معكم من الله براءة ألا ينالكم عذاب ولا نكال؟ ثم قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَفِرُونَ﴾، أي: يعتقدون أنهم يتناصرون، بعضهم بعضاً، وأن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء، قال الله تعالى: ﴿سَيَهَرُهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾، أي: سيتفرق شملهم ويعلّبون.

[٦٤٥٠] قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد، عن خالد - وقال أيضاً: حدثنا محمد حدثنا عفان بن مسلم، عن وهيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: وهو في قبّة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تبعذ بعد اليوم أبداً». فأخذ أبو بكر - رضي الله عنه - بيده وقال: حسبك يا رسول الله! ألحخت على ربك. فخرج وهو يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيَهَرُهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾، أي: الساعة موعدهم والساعة أدهن وأمر ﴿٤٦﴾. وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع، من حديث خالد - وهو ابن مهران الحذاء - به.

[٦٤٥١] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿سَيَهَرُهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾، قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيَهَرُهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾. ففرفت تأويلها يومئذ.

[٦٤٥٢] وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم: أخبرني يوسف بن مارك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين، فقالت: نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية العقب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْوَعْدِ وَالسَّاعَةَ مَوَٰدِعَهُمْ وَالسَّاعَةَ أَدهن وأمر﴾ ﴿٤٦﴾. هكذا رواه ها هنا مختصراً. وزواه في فضائل القرآن مطوّلاً، ولم يُخرجه مسلم.

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَةً كُلُّ شَيْءٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

يُخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلالٍ عن الحق، وسُعُرٍ مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق. ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، أي: كما كانوا في سُعُرٍ وشك وتردّد أورتهم ذلك التار، وكما كانوا ضلّالاً سَجَبُوا فيها على وجوههم، لا يدرون أين يذهبون. ويقال لهم تقريعا وتوبيخا: ﴿ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، كقوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ نَّقِيرٌ﴾ [الفرقان: ٢]. وكقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ [الزّٰى خَلَقَ فَسَبِّحْ] وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ [٢] [الأعلى: ١ - ٣]، أي: قَدَّرَ قَدْرًا، وهدي الخلاق إليه. ولهذا

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٩١٥ و ٣٩٥٣ و ٤٨٧٥ و ٤٨٧٧ والنسائي في «التفسير» ٥٧٧.

(٢) هذا مرسل. ويشهد له ما قبله.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٦.

يَسْتَدِلُّ بهذه الآية الكريمة أئمة السنّة على إثبات قَدَرِ الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل بَرزتها، ورَدُّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما وَرَدَ في معناها من الأحاديث الثابتات على الفِرقة القَدَرية الذين تَبَعُوا في أواخر عصر الصحابة. وقد تَكَلَّمنا على هذا المقام مفصلاً، وما ورد فيه من الأحاديث في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري - رحمه الله - ولنذكرها هنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة.

[٦٤٥٣] قال أحمد: حدثنا وَكِيعٌ، حدثنا سُفْيَانُ الثوري، عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمد بن عَبدِ بن جعفر، عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قُرَيْشٍ إلى النبي ﷺ يُخَاصِمُونَهُ فِي الْقَدَرِ، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^(١). وهكذا رواه مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ ماجه، من حديث وَكِيعٍ، عن سُفْيَانَ الثوري، به.

[٦٤٥٤] وقال البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّمِينَ فِي صَلَاحٍ وَشُعْرٍ ۖ﴾ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^(٢)، إلا في أهل القَدَرِ.

[٦٤٥٥] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي، حدثني قُرَّةُ بن حبيب، عن كنانة، حدثنا جرير بن أبي حازم، عن سعيد بن عمرو بن جعدة، عن ابن زُرارة، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^(٣)، قال: «نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان، يُكَذِّبُونَ بِقَدَرِ الله»^(٣).

وحدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا مروان بن شجاع الجزري، عن عبد الملك بن جزيج، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو يتنزع من رَمَزَمَ، وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: قد تكلّم في القَدَرِ. فقال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^(٤)، أولئك شِراز هذه الأُمّة، فلا تعودوا مَرْضَاهم، ولا تَصَلُّوا على مَوْتَاهم، إن رأيت أحداً منهم فَقَاتُ عَيْنِي بِأَصْبَعِي هَاتَيْنِ. وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر، وفيه مرفوع.

[٦٤٥٦] فقال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته، عن محمد بن عبيد المكي، عن عبد الله بن عباس قال: قيل له: إن رجلاً قَدِمَ علينا يُكَذِّبُ بِالْقَدَرِ. فقال: دُلُونِي عليه - وهو أعمى - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأَعْضُرُّنَّ أَنْفَهُ حَتَّى أَقْطَعَهُ، ولئن وقعت رقبته في يدي لأَذْنُفُهَا، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهر يَطْفَنُ بالخزرج، تَضْطَفِقُ أَلْيَاتُهُنَّ مُشْرِكَاتٍ، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يُخْرِجُوا الله من

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٦ والترمذي ٢١٥٧ و٣٢٩٠ وابن ماجه ٨٣ والواحدي ٧٧٥.

(٢) أخرجه البزار ٢٢٦٥ وقال الهيثمي ١١٣٨٣: فيه يونس بن الحارث وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف وبقيّة رجاله ثقات.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ٥٣١٦ من حديث زُرارة، وفيه مجاهيل كما قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٨٥. ثم إن المتن منكر مع ضعف إسناده. فإن القدرية، ليسوا في آخر الزمان، وإنما ظهروا قديماً وأدركهم صغار الصحابة، كابن عباس وابن عمر وأنس وابن عمرو وغيرهم. فالخير وإو. ثم لفظ «نزلت» بعيد أن يكون من كلامه ﷺ.

أن يكون قَدْرٌ خَيْرًا، كما أخرجوه من أن يكون قَدْرٌ شَرًّا^(١). ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن مُحَمَّد بن عبيد، فذكر مثله. لم يُخرِجوه.

[٦٤٥٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو صخر، عن نافع قال: كان لابن عُمَر صديقٌ من أهل الشام يُكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عُمَر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القَدَر، فإياك أن تكُتِب إليّ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي أقوام يُكذِّبون بالقَدَر»^(٢). رواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل، به.

[٦٤٥٨] وقال أحمد: حدثنا قُتَيْبَة، حدثنا رُشْدِين، عن أبي صخر حُمَيْد بن زياد، عن نافع، عن ابن عُمَر قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة مَسْخٌ، ألا وذاك في المُكذِّبين بالقَدَر والزُّنْدِيقية»^(٣). ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي صخر حُمَيْد بن زياد، به. وقال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

[٦٤٥٩] وقال أحمد: حدثنا أَنَس بن عِيَّاض، حدثنا عُمَر بن عبد الله مولى غُفْرَة، عن عبد الله بن عُمَر: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لِكُلِّ أمةٍ مجوسٌ، ومجوسُ أمتي الذين يَقُولون: لا قَدَر. إن مَرَضُوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تُشْهَدوهم»^(٤). لم يُخرِجه أحدٌ من أصحابِ الكُتُب الستة من هذا الوجه.

[٦٤٦٠] وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ، حتى العَجَز والكَيْس»^(٥). ورواه مسلم منفرداً به، من حديث مالك.

[٦٤٦١] وفي الحديث الصحيح: «استعين بالله ولا تَعْجِز، فإن أصابَكَ أمرٌ فَقُل: قَدَرَ الله وما شاء فَعَلَ،

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٣٠ ح ٣٠٤٦ وإسناده ضعيف، له علتان: فيه من لم يسم. وعبد بن عبيد المكي ضعفه أبو حاتم كما في «الميزان» ٧٩١٦. وكرره أحمد ٣٠٤١٧ وفيه المكي والعلاء بن الحجاج، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي ٢١٥٢ وابن ماجه ٤٠٦١ وأحمد ٩٠/ ٢ ح ٥٦٠٧ من حديث ابن عمر، وفيه حميد بن زياد أبو صخر، وهو من رجال مسلم لكن ضعفه ابن معين في رواية ووثقه في أخرى. وقال أحمد: لا بأس به. وأما ابن عدي فقال: وهو عندي صالح، وإنما أنكر عليه حديث «المؤمن يألف» وحديث القدرية. ومع ذلك حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٣) أخرجه أحمد ١٠٨/ ٢ ح ٥٨٣٣ والترمذي ٢١٥٣ من حديث ابن عمر. وإسناده ضعيف. أما حميد بن زياد، فهو موثق. ولكن علته رُشْدِين بن سعد جاء في «الميزان» ٢٧٨٠: قال أحمد: لا يبالي عَمَر بن رُوَيْ، وليس به بأس في الرقاق. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال الجوزجاني: عنده مناكير كثيرة. وقال النسائي: متروك اهـ. فالرجل ضعيف، والمتن منكر بهذا التمام.

(٤) إسناده ضعيف. أخرجه أحمد ٨٦/ ٢ وابن الجوزي في «العلل» ٢٢٧ من حديث ابن عمر. وقال ابن الجوزي: لا يصح. قال ابن حبان: عمر مولى غفرة، يقلب الأخبار، لا يحتج به. وورد من وجه آخر أخرجه ابن الجوزي ٢٢٥ والطبراني في «الأوسط» ٢٥١٥ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٨٧٤: فيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح، وضعفه غيره اهـ. وقال ابن الجوزي: لا يصح. قال ابن معين: ابن منظور، ليس بشيء. وقال ابن حبان يروي عن أبي حازم ما لا أصل له. وفي الباب أحاديث بهذا المعنى لا يصح فيها شيء. راجع «العلل» لابن الجوزي و «المجمع» للهيتمي، والله تعالى أعلم.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٥ ح ١٨ وأحمد ١١٠/ ٢.

ولا تَقُلْ: لو أني فَعَلْتُ لكان كَذًّا. فَإِنْ (لو) تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ^(١).

[٦٤٦٢] وفي حديث ابن عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال له: «واعلم أن الأُمَّة لو اجْتَمَعُوا على أن يَنْفَعُوا بشيء، لم يكتبه الله لك، لم يَنْفَعُوا. ولو اجْتَمَعُوا على أن يَضُرُّوكَ بشيء، لم يكتبه الله عليك، لم يَضُرُّوكَ. جَفَّتِ الأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ»^(٢).

[٦٤٦٣] وقال الإمامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ معاوية، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ زَيْدٍ، حَدَّثَنِي عُبادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبادَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ على عُبادَةَ وهو مريضٌ أَنْخَافُ فِيهِ المَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ! أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي. فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَمْ تَطْعَمْ الإِيمَانَ، وَلَمْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». يَا بُنَيَّ، إِنَّ مِتَّ وَلَسْتَ على ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ»^(٣). وَرواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي، عن أبي داود الطيالسي، عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عُبادَةَ، عن أبيه، به. وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

[٦٤٦٤] وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ منصور، عَنْ رِيعِي بْنِ خِرَاشٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٤). وَكَذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ منصور به. وَرواه من حديث أبي داود الطيالسي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ منصور، عَنْ رِيعِي عَنْ عَلِيٍّ فَذَكَرَهُ. وَقَالَ: هَذَا عِنْدِي أَصَحُّ، وَكَذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن رِيعِي، عَنْ عَلِيٍّ، بِهِ.

[٦٤٦٥] وَقَدْ كُتِبَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي هَانِيءٍ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُبَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(٥). زَادَ ابْنُ وَهْبٍ: «وَكُنَّ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». وَرواه الترمذي وَقَالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾. وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ نُفُوذِ مَشِيتِهِ فِي خَلْقِهِ كَمَا أَخْبَرَ بِتُفُؤِذِ قَدَرِهِ فِيهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾، أَي: إِنَّمَا نَأْمُرُ بِالشَّيْءِ مَرَّةً وَاحِدَةً، لَا نَحْتَاجُ إِلَى تَأْكِيدٍ بَثَانِيَّةٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الَّذِي نَأْمُرُ بِهِ حَاصِلًا مُوجُودًا كَلَمْحٍ الْبَصَرِ، لَا يَتَأَخَّرُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٦٤ والنسائي ٦٢١ من حديث أبي هريرة.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الزمر آية ٣٨.

(٣) أخرجه أحمد ٣١٧/٥ وهو حديث حسن، وسيأتي في سورة القلم.

(٤) فيه راوٍ لم يسم. لكن للحديث شواهد كثيرة. انظر سنن الترمذي ٢١٤٤، والحديث صحيح بشواهد.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٣ ح ١٦ والترمذي ٢١٥٦ وأحمد ١٦٩/٢ وابن حبان ٦١٣٨ والبيهقي في «الأسماء

والصفات» ص ٣٧٤ - ٣٧٥. كلهم من حديث عبد الله بن عمرو.

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، قَوْلُهُ، فَيَكُونُ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَتْيَاعَكُمْ﴾، يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السالفة المكذّبين بالرسل، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾، أي: فهل من مُتَعَبِّظٍ بما أخزى الله أولئك، وقَدَّرَ لهم من العذاب. كما قال تعالى: ﴿وَجِبَلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلٍ﴾ [سبا: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٦﴾، أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة - عليهم السلام - ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾، أي: من أعمالهم ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾، أي: مجمُوعٌ عليهم ومُسْتَطَرٌّ في صحائفهم، ﴿لَا يَغَادُرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

[٦٤٦٦] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم بن بَآنَك: سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثني عوف بن الحارث - وهو ابن أخي عائشة لأُمها - عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا عائشة! إياك ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فإن لها من الله طالباً»^(١). ورواه النسائي وابن ماجه، من طريق سعيد بن مسلم بن بَآنَك المدني. وثقه أحمد، وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم. وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر، ثم قال سعيد: فَحَدَّثْتُ بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي: ويحك يا سعيد بن مسلم. لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغره، فأناه آت في منامه فقال له: يا سليمان.

لَا تَخْقَرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صَغِيرًا	إِنَّ الصَّغِيرَ غَدًا يَعُودُ كَبِيرًا
إِنَّ الصَّغِيرَ وَلَوْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ	عِنْدَ الْإِلَهِ مُسْطَرٌّ تَسْطِيرًا
فَازْجُرْ هَوَاكَ عَنِ الْبَطَالَةِ، لَا تُكُنْ	صَغَبَ الْقِيَادِ، وَشُمْرُنَ تَشْمِيرًا
إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا أَحَبَّ إِلَهَهُ	طَارَ الْفَوَازُ وَالْهَمُّ التَّفْكِيرًا
فَاسْأَلْ هِدَايَتَكَ الْإِلَهَ بِنِيَّةٍ	فَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّتَّافِينَ فِي حَنَّتِي وَنَهَرٍ ٥٧﴾، أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر، والسحب في النار على وجوههم، مع التوبيخ والتقريع والتهديد.

وقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾، أي: في دار كرامة الله ورضوانه، وَقَضَايِهِ وامتتانه وجوده وإحسانه، ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مُقْتَدِرٌ على ما يشاء مما يطلبون ويريدون.

[٦٤٦٧] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو - يبلغ به النبي ﷺ - قال: «المقسطون عند الله على منابرٍ من نُورٍ، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذي يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(٢). انفرد بإخراجه مسلم والنسائي، من حديث سفيان بن عُيينة، بإسناده مثله.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ «اِقْتَرَبَتْ»، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعَصْمَةُ

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٢٤٣ وأحمد ٧٠/٦ والدارمي ٣٠٣/٢ وابن حبان ٥٥٦٨ وإسناده على شرط البخاري.

(٢) تقدم تخريجه في سورة ص آية ٢٥ والحجرات آية ١٠.



وَهِيَ مَكْتَبَةٌ

[٦٤٦٨] قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم، عن زُرٍّ: أن رجلاً قال: كيف تعرف هذا الحرف: (مَاءٌ غَيْرُ يَاسِنٍ. أَوْ: آسِنٍ) فقال: كُلُّ الْقُرْآنِ قَدْ قُرِئْتُ؟ قال: إني لأقرأ الْمُفْصَلَ في ركعة واحدة. فقال: أهذا كهذا الشعر، لا أبا لك؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قريشيين قريشيين من أول الْمُفْصَل. وكان أولُ مُفْصَلِ ابنِ مسعود ﴿الرَّحْمَنُ﴾^(١).

[٦٤٦٩] وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن، من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿وَيَأْتِي مَاءَ الْآءِ رِيًّا تَكْذِبَانِ﴾^(٢)، قالوا: لا بشيء من نعمك - ربنا - نكذب، فلك الحمد»^(٣). ثم قال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد». ثم حكى عن الإمام أحمد أنه كان يستنكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا. ورواه الحافظ أبو بكر البزار، عن عمرو بن مالك، عن الوليد بن مسلم. وعن عبد الله بن أحمد بن شبيب، عن هشام بن عمار، كلاهما عن الوليد بن مسلم، به. ثم قال: لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه.

[٦٤٧٠] وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالوا: حدثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن - أو: قرئت عنده - فقال: «ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لرؤيها منكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ما أتيت على قول الله: ﴿وَيَأْتِي مَاءَ الْآءِ رِيًّا تَكْذِبَانِ﴾^(٢)؟ إلا قالت الجن: لا بشيء من نعمتي ربنا نكذب»^(٣). ورواه الحافظ البزار، عن عمرو بن مالك، به. ثم قال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، بهذا الإسناد.

(١) أخرجه أحمد ٤١٢/١ وإسناده حسن إلى زُرٍّ، وهو تابعي كبير. والهد في القراءة: السرعة.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٢٩١ والحاكم ٤٧٤/٢ والبيهقي في «الدلائل» ٢٣٢/٢ من حديث جابر، وفيه زهير بن محمد، وهو منكر الحديث في رواية أهل الشام عنه، وهذا منها. وانظر ما بعده.

(٣) أخرجه البزار ٢٢٦٩ والطبري ٣٢٩٢٨ من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيف، فيه عمرو بن مالك اتهمه ابن عدي بسرعة هذا الحديث من زهير بن محمد. وذكره الألباني في «الصحيحة» ٢١٥٠ فلم يصب. وانظر مزيد الكلام عليه في «تفسير القرطبي» ٥٧٥١ والشوكاني عند هذه الآية بتخريجه. والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① عِلْمُ الْقُرْآنِ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عِلْمُهُ الْبَيَانُ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
يُحْسَبَانِ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ
⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَكْهَمَةٌ
وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪ وَلِلْحَبِّ ذُو الْعَصْفِ ⑫ وَالرَّيْحَانُ ⑬ فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ⑭

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ، أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى عِبَادِهِ الْقُرْآنَ، وَيَسِّرَ حِفْظَهُ وَفَهَمَهُ عَلَى مَنْ رَجَمَهُ،
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① عِلْمُ الْقُرْآنِ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عِلْمُهُ الْبَيَانُ ④ - قَالَ الْحَسَنُ: يَغْنِي
الطُّلُقُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمَا: يَعْنِي الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَقَوْلُ الْحَسَنِ هَا هُنَا أَحْسَنُ وَأَقْوَى؛ لِأَنَّ
السياقَ فِي تَعْلِيمِهِ تَعَالَى الْقُرْآنَ، وَهُوَ أَدَاءُ تِلَاوَتِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِتَسْيِيرِ النُّطْقِ عَلَى الْخَلْقِ، وَتَسْهِيلِ خُرُوجِ
الْحُرُوفِ مِنْ مَوَاضِعِهَا مِنَ الْخَلْقِ وَاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ، عَلَى اخْتِلَافِ مَخَارِجِهَا وَأَنْوَاعِهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسَبَانِ﴾ ⑤، أَي: يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنِ بِحَسَابٍ مُقْتَنٍ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَرِبُ، ﴿لَا الشَّمْسُ
يَبْلُغِي لَمَّا أَنْ تَذُرَّكَ الْقَمَرُ وَلَا آئِلُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ⑥ [يس: ٤٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْقَائِلُ لِإِصْبَاحٍ
يَجْعَلُ آئِلُ مَسَكًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ⑦ [الأنعام: ٩٦].

وَعَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ جَعَلَ اللَّهُ نُورَ جَمِيعِ أَبْصَارِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالِدُّوَابِّ وَالطَّيْرِ فِي عَيْنِي عَبْدٍ، ثُمَّ
كَشَفَ حِجَابًا وَاحِدًا مِنْ سَبْعِينَ حِجَابًا دُونَ الشَّمْسِ، لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا. وَنُورُ الشَّمْسِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ
جُزْءًا مِنْ نُورِ الْكَرْسِيِّ، وَنُورُ الْكَرْسِيِّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَنُورُ الْعَرْشِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ
جُزْءًا مِنْ نُورِ السُّتْرِ. فَانْظُرْ مَاذَا أَعْطَى اللَّهُ عَبْدَهُ مِنَ النُّورِ فِي عَيْنِيهِ وَقَتَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ عَيَانًا؟!
رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ⑥ - قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي
مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّ الشَّجَرَ مَا قَامَ عَلَى سَاقٍ، فَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ: النَّجْمُ مَا انْبَسَطَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، يَعْنِي مِنَ الثَّيَابِ. وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ،
وَشَفِيئَانِ الثَّوْرِيِّ. وَقَدْ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: النَّجْمُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ. وَكَذَا قَالَ
الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]. آيَةٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ⑦، يَعْنِي الْعَدْلَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وَهَكَذَا قَالَ هَا هُنَا: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي
الْمِيزَانِ﴾ ⑦، أَي: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، لِيَكُونَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ. وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ⑧، أَي: لَا تَبْخَسُوا الْوَزْنَ، بَلْ زِنُوا بِالْحَقِّ وَالْقِسْطِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَيْنِ الَّتِي أَمَرَ﴾ [الشعراء: ١٨٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ﴾ ⑩، أَي: كَمَا رَفَعَ السَّمَاءَ وَضَعَ الْأَرْضَ وَمَهَّدَهَا، وَأَرَسَاهَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ الشَّامَخَاتِ، لَتَسْتَقِرَّ

(١) هو من الإسرائيليات الباطلة.

لما على وجهها من الأنام، وهم: الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم والوائهم وألستهم، في سائر أقطارها وأرجائها.

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد: الأنام: الخلق، ﴿فِيهَا فَيَكْهَةٌ﴾، أي: مختلفة الألوان والطعوم والروائح، ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: أفرده بالذكر لشرفه ونفعه، رطباً وبابساً. والأكمام - قال ابن جريج، عن ابن عباس: هي أوعية الطلع. وهكذا قال غير واحد من المفسرين، وهو الذي يطلع فيه القنؤ ثم ينشؤ عن العنقود، فيكون بُسراً، ثم رطباً، ثم ينضج وينتهي ينعه واستواؤه.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي: حدثنا أبو قتيبة، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي، عن الشعبي قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب: أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تُخرج مثل أذان الحمير، ثم تشقق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون كالزُمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالودج^(١) أكل، ثم تبيس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم: إن رُسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله فإن ﴿مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠]. وقيل: الأكمام: رقابها، وهو الليف الذي على غنق النخلة. وهو قول الحسن وقتادة.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ ﴿٦١﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾، يعني: التبن. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿الْعَصْفُ﴾: ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس. وكذا قال قتادة، والضحاك، وأبو مالك: عصفه: تينعه. وقال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾، يعني: الورق. وقال الحسن: هو ريحانكم هذا. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: خضر الزرع. ومعنى هذا - والله أعلم - أن الحب كالقنح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف: وهو ما على السنبلة، وريحان: وهو الورد الملتف على ساقها. وقيل: العصف: الورق أول ما ينبت الزرع بقلأ. والريحان: الورق، يعني: إذا أذجن وانعقد فيه الحب، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة:

وَقَوْلًا لَهُ: مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى فَيُضْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا؟

وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبُّهُ فِي رُؤُوسِهِ فَنُفِي ذَاكَ آيَاتُ لَمَنْ كَانَ وَاعِيَا

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ نَكْذِبُكَ﴾ ﴿٦٢﴾، أي: فبأي الآلاء - يا معشر الثقلين، من الإنس والجن - تكذبان؟ قاله مجاهد، وغير واحد. ويدل عليه السياق بعده، أي: التعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها، لا تستطيعون إنكارها ولا جحدها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون: اللهم، ولا بشيء من آلائك ربنا تكذب، فلك الحمد. وكان ابن عباس يقول: لا، بآيها يارب. أي: لا تكذب بشيء منها.

[٦٤٧١] قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن

أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يقرأ، وهو يُصَلِّي نحو الركن قبل أن يَضُدَّ بما يؤمَّر، والمشركون يستمعون: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١).

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١٥) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١٦) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١٧) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١٨) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١٩)

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، وخلق الجان من مارج من نار، وهو: طرف لهما. قاله الضحاك، عن ابن عباس. وبه يقول عكرمة، ومجاهد، والحسن، وابن زيد. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾: من لَهَب النار، من أحسنها. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾: من خالص النار. وكذا قال عكرمة: ومجاهد، والضحاك، وغيرهم.

[٦٤٧٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الملائكة من نور، وخُلِقَ الجان من مارج من نار، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم»^(٢٠). ورواه مسلم، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق، به.

وقوله تعالى: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(١٦)؟ تقدم تفسيره. ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(١٧)، يعني مشرقَي الصيف والشتاء، ومغربَي الصيف والشتاء. وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، ويُرْوَاهَا منه إلى الناس. وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [الزمر: ٩]. وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١٨)، قال ابن عباس: أي أرسلهما. وقوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾، قال ابن زيد: أي مَتَّعَهُمَا أَنْ يَلْتَقِيَا، بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما. والمراد بقوله: ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾، المِلْحَ والحُلُو، فالحلوه هذه الأنهار السارحة بين الناس. وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]. وقد اختار ابن جرير ما هنا أن المراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض. وهو مروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطية، وابن أبيزى. قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض. وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يُسَاعِدُهُ اللَّفْظُ، فإنه تعالى قد قال: ﴿يَتَّبِعُهُمَا بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾^(٢٠)، أي: وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا، وهو الحاجز من الأرض، لثلا يَبْغِيَانِ هذا على هذا، وهذا على هذا، فَيُفْسِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ، وَيُزِيلُهُ عَنْ صِفَتِهِ الَّتِي هِيَ مَقْصُودَةٌ مِنْهُ. وما

(١) أخرجه أحمد ٣٤٩/٦ والطبراني ٨٦/٢٤ - ٨٧، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٨٦:

فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقي رجاله ثقات.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٩٦ وأحمد ١٥٣/٦ وابن حبان ٦١٥٥.

بين السماء والأرض لا يُسمى برزخاً وجُزأً محجوراً. وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَاللِّبَاسُ﴾ (٢٦)، أي: من مجموعهما، فإذا وُجد ذلك لأحدهما كفى، كما قال تعالى: ﴿يَتَمَشَّرُ اللَّيْلِ وَالْأَيَّامُ أَنْ يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]. والرسل إنما كانوا في الإنس خاصةً دون الجن، وقد صَحَّ هذا الإطلاق. واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقيل: هو صغار اللؤلؤ. قاله مجاهد، وقتادة، وأبو رزين، والضحاك. ورؤي عن عليّ. وقيل: كبارُه وجيّدُه. حكاه ابن جرير عن بعض السلف. ورؤاه ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس، وحكاه عن السديّ عن حذّثه، عن ابن عباس. ورؤي مثله عن عليّ، ومجاهد أيضاً ومرة الهمداني. وقيل: هو نوعٌ من الجواهر أحمر اللون. قال السديّ عن أبي مالك، عن مسروق، عن عبد الله قال: المرجان: الخرزُ الأحمر، قال السديّ: وهو البُسْدُ بالفارسية. وأما قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ ثَلَاثُونَ لَعَنًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُ مِنْ حَيْثُ تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢]، فاللحم من كُلِّ مِنَ الأجاج والعذّب، والحليّة إنما هي من المالح ذو العذّب. قال ابن عباس: ما سقطت قطرة من السماء في البحر، فَوَقَعَتْ في صَدْفَةٍ إِلَّا صار منها لؤلؤة. وكذا قال عكرمة، وزاد: فإذا لم تقع في صَدْفَةٍ نبتت بها عُبْرَةٌ. ورؤي من غير وَجْهِه عن ابن عباس نحوه.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سُفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهاها، فما وقع فيها يعني من قطر فهو اللؤلؤ. إسناده صحيح. ولما كان اتخاذ هذه الحليّة نعمة على أهل الأرض امتنّ بها عليهم فقال: ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْخَزَايِرُ الَّتِي تَلْبَسْنَ﴾، يعني السفن التي تجري في البحر، قال مجاهد: ما رُفِعَ قَلْعُهُ من السفن فهي مُنْشَأة، وما لم يُرَفَّعْ قلعها فليس بِمُنْشَأة، وقال قتادة: ﴿الَّتِي تَلْبَسْنَ﴾: يعني المخلوقات. وقال غيره: المُنْشَأَت - بكسر الشين - : يعني الباديات. ﴿الَّتِي تَلْبَسْنَ﴾: أي: كالجبال في كِبَرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، مما فيه صلاح للناس في جَلْب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع. ولهذا قال: ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا العَرَّاز بن سُويد، عن عُمَيْر بن سعد قال: كنتُ مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على شاطئ الفُرات إذ أقبلت سفينة مرفوعة شراعها، فَبَسَط عليّ يديه ثم قال: يقول الله - عز وجل -: ﴿وَلَهُ الْخَزَايِرُ الَّتِي تَلْبَسْنَ فِي الْبَحْرِ كَالْأُنْثَى﴾ (٢٦). والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عُثمان، ولا مالاث على قتله.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٢٨) ﴿يَسْتَلْزِمُنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٣٠)

يُخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيَذْهَبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات، إلا مَنْ شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب - تعالى وتقدس - لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً. قال قتادة: أتياً بما خلق، ثم أتياً أن ذلك كُلُّهُ فاني.

[٦٤٧٣] وفي الدعاء المأثور: «يا حيّ، يا قيّوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت، برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كُلُّهُ، ولا تُكَلِّنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحدٍ من

خَلَقَكَ^(١). وقال الشعبي: إذا قرأت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿وَرَبِّيَ وَسِعَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢). وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصر: ٨٨]. وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه «ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، أي: هو أهل أن يُجَلَّ فلا يُعَصَى، وأن يُطَاع فلا يُخَالَف، كقوله تعالى: ﴿وَأَمِيرٌ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا تُلَوِّحُ لُوحِيهِ اللَّهُ﴾. قال ابن عباس: «ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»: ذو الْعَظَمَةِ والكِبَرِيَاءِ. ولما أَخْبَرَ تعالى عن تساوي أهل الأرض كُلِّهِمْ في الوفاة، وأنهم سَيَصِيرُونَ إلى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَتَحْكُمُ فِيهِمْ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ قال: «يَأْتِي الْآلَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ». وقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٣)، وهذا إخبارٌ عن غِنَاءِ عما سواه، وافتقار الخلائق إليه في جميع الْأَنَاءِ، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وَقَالِهِمْ، وأنه كُلُّ يَوْمٍ هو في شأن. قال الأعمش، عن مجاهد، عن عُثَيْبِ بْنِ عُمَيْرٍ: «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»، قال: من شأنه أن يُجِيبَ داعياً، أو يُعْطِيَ سائلاً، أو يَفُكَّ عَائِياً، أو يَشْفِي سَقِماً.

وقال ابن أبي نَجِيج، عن مجاهد قال: كُلُّ يَوْمٍ هو يُجِيبُ داعياً، وَيَكْشِفُ كَرْباً، وَيُجِيبُ مُضْطَرَّاً، وَيَغْفِرُ ذَنْباً. وقال قتادة: لا يستغني عنه أهلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُحْيِي حَيًّا، وَيُمِيتُ مَيِّتاً، وَيَرْبِّي صَغِيرًا، وَيَفُكُّ أَسِيرًا، وهو مُتَمَتِّهِ حاجاتِ الصالحين وصُرَيْخِهِمْ، ومُتَمَتِّهِ شُكْوَاهُمْ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان الجُمَاصِي، حدثنا جَرِيرُ بْنُ عَثْمَانَ، عن سُؤَيْدِ بْنِ جَبَلَةَ - هو الْفَزَارِيُّ - قال: إِنْ رَبَّكُمْ كُلُّ يَوْمٍ هو في شأنٍ، فَيُعْتَقُ رِقَاباً، وَيُعْطِي رِغَاباً، وَيُقْجِمُ عِقَاباً.

[٦٤٧٤] وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغَزَرِيُّ، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الْفَزَارِيُّ، حدثني عمرو بن بكر السُّكْسَكِيُّ، حدثنا الحارث بن عُبَيْدَةَ بن رباح الْعَسَنَانِي، عن أبيه، عن مُنِيبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُنِيبِ الْأَزْدِيِّ، عن أبيه قال: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هذه الآية: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فقلنا: يا رسول الله، وما ذاك الشَّأْنُ؟ قال: «أَنْ يَغْفِرَ ذَنْباً، وَيُفَرِّجَ كَرْباً، وَيَرْفَعُ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ»^(٢).

[٦٤٧٥] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عَمَّار، وسليمان بن أحمد الواسطي قالا: حدثنا الوزير بن صَبِيحِ الثَّقَفِيِّ أَبُو رُوحِ الدَّمَشْقِيِّ - والسياق لهشام - قال: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ مَيْسَرَةَ ابْنَ حَلْبَسٍ يُحَدِّثُ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ - قال -: مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْباً، وَيُفَرِّجَ كَرْباً، وَيَرْفَعُ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ»^(٣). وقد رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرُقٍ

(١) ورد منجماً في عدة أحاديث، منها ما أخرجه الترمذي ٣٥٢٤ من حديث أنس «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» وفيه يزيد الرقاشي ضعيف. ومنها حديث أبي بكر «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» أخرجه أبو داود ٥٠٩٠ والنسائي ٦٥٦ وإسناده حسن. ولم أجد «ولا إلى أحد...».

(٢) إسناده ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٣٠١٢ والبخاري ٢٢٦٦. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٨٨: فيه من لم أعرفهم اهـ وفيه عمرو بن بكر السكسكي، وهو متروك. وانظر ما بعده.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٠٢ وابن أبي عاصم ٣٠١ وابن حبان ٦٨٩ والبخاري ٢٢٦٧، قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير بن صبيح عن درجة الحفاظ والإتقان. وأخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٢٤ من طريق آخر وأعله بعبد الرحمن بن يحيى المخزومي، وفيه نظر، فإن المخزومي، صدوق. وإنما علته الوليد بن مسلم، فإنه عنعن، وهو مدلس، يلدس التسوية. ونقل ابن الجوزي عن الدارقطني أنه صوب الوقف، وسبقه إلى ذلك الإمام البخاري فذكره ٦٢٠/٨ عن =

مُتَعَدِّدَةً، عن هشام بن عَمَّارٍ، به. ثم ساقه من حديث أبي هَمَّام الوليد بن شجاع، عن الوزير بن صَبِيح قال: ودلنا عليه الوليد بن مسلم، عن مُطَرَف، عن الشعبي، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، - ذكره. قال: والصحيح الأول، يعني إسناده الأول. قلت: وقد رُوي موقوفاً، كما علقه البخاري بصيغة الجزم، فجعله من كلام أبي الدرداء، فالله أعلم.

[٦٤٧٦] وقال البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال: «يغفر ذنباً، ويكشف كزباً»^(١).

ثم قال ابن جرير: وحدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حفصة الثمالي، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرَّةٍ بيضاء، دفناه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتاباه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعزّز ويذل، ويفعل ما يشاء.

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٢١) ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٢) ﴿يَتَمَتَّعُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٢٣) ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٤) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابُ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرُونَ﴾ (٢٥) ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٦)

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٢١)، قال: وعيد من الله تعالى للعباد، وليس بالله شغل وهو فارغ. وكذا قال الضحاك: هذا وعيد. وقال قتادة: قد دنا من الله فراغ لخلقه. وقال ابن جريج: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾، أي: ستفضي لكم. وقال البخاري: ستحاسبكم، لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يقال: لا تفرغ عنك، وما به شغل، يقول: لا أخذتك على غرتك. وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾، الثقلان: الإنسان والجن.

[٦٤٧٧] كما جاء في الصحيح: «يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». وفي رواية: «إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ»^(٢).

[٦٤٧٨] وفي حديث الصور: «الثقلان الإنسان والجن»^(٣). ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿يَتَمَتَّعُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٢٣)، أي: لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم، لا تقدرُونَ على التخلص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم. وهذا في مقام المحشر، الملائكة مُحَدِّقَةٌ بالخلائق، سبع صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، أي: إلا بأمر الله، ﴿يَقُولُ الْإِنْسُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآخِرَ﴾ (٢٤) ﴿كَلَّا لَا وَدَّكَ﴾ (٢٥) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ لِّلشَّامِتِ﴾ [القيامة: ١٠ - ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْسُلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ

= أبي الدرداء موقوفاً معلقاً بصيغة الجزم، وهو أرجح لأنه اختيار إمام الصنعة محمد بن إسماعيل البخاري، وإمام النقاد علي بن عمر الدارقطني، والله تعالى أعلم. ومع ذلك صححه الألباني في «السنة» ٣٠١ وانظر ما بعده.

(١) إسناده ضعيف جداً. أخرجه البزار ٢٢٦٨ وفيه محمد بن عبد الرحمن البيهقي. قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف. وإسناده ابن عدي وابن حبان. فالإسناد ضعيف جداً.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ سُحُبُهُمْ قُلُومًا مِنْ آلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ إِيونس: ٢٧. ولهذا قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ﴿٢٥﴾. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الشواظ هو لهب النار. وقال سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: الشواظ: الدخان. وقال مجاهد: هو: الלהب الأخضر المنقطع. وقال أبو صالح: الشواظ: هو الלהب الذي فوق النار ودون الدخان. وقال الضحاك: ﴿شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ﴾: سَيْلٌ مِنْ نَارٍ. وقوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: دُخَانُ النَّارِ. وروى مثله عن أبي صالح، وسعيد بن جبيرة، وأبي سنان. وقال ابن جرير: والعرب تسمي الدخان نُحَاساً - بضم النون وكسرها - والقراء مُجِيعَةً على الضم، ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة بني جَعْفَدَةَ:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيلِ ط، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا
يعني دُخَانًا، هكذا قال.

وقد روى الطبراني من طريق جُوَيْر، عن الضحاك: أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال: هو الלהب الذي لا دُخَانُ معه. فسأله شاهداً على ذلك من اللغة، فأنشده قول أمية بن أبي الصلت في حَسَان:

أَلَا مَنْ مَبْلُغَ حَسَانٍ عَنِّي مَغْلَغَلَةً تَدِبُ إِلَى عَكَازِ
أَلَيْسَ أَبُوكَ فِينَا كَانَ قِينَا لَدَى الْقِيَمَاتِ فَسَلَا فِي الْحِفَاطِ^(١)
يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُبُّ كِمِرًّا وَيَنْفُخُ ذَائِباً لَهَبِ الشَّوَاظِ

قال: صدقت، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له. قال: فهل تعرفه العرب؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بني دُبَيان يقول:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيلِ ط، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا

وقال مجاهد: النحاس: الصفر، يذاب فَيُصَبُّ على رؤوسهم. وكذا قال قتادة. وقال الضحاك: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: سَيْلٌ مِنْ نَحَاسٍ. والمعنى على كل قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لَرَدَّتْكُمْ الملائكة والزبانية بإرسال الלהب من النار والنحاس المُدَابَّ عليكم لترجعوا، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ﴿٢٥﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَبِّكُمَا نَكَذِبَانِ ﴿٣٦﴾. قال:

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَبِّكُمَا نَكَذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْعِلُ عَنْ ذُلِّهِمْ إِشْسٌ وَلَا جَنَانٌ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَبِّكُمَا نَكَذِبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَفْقَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَبِّكُمَا نَكَذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ آوٍ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِي آيَةَ رَبِّكُمَا نَكَذِبَانِ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة، كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها، كقوله تعالى: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَفِيَّ يَوْمَئِذٍ وَابِئَةٌ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحاقة: ١٦]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ يَنزِلُ الْكَلْبُكَةُ نَزِيلًا﴾ ﴿٤٥﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأُنزِلَتْ مِنْهَا رِيحٌ وَغُصَّتْ﴾ [الانشقاق: ١ - ٢].

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾، أي: تَذُوبُ كما يذوب الذَّوْدِي والفضة في السَّبَكِ، وتَتَلَوْنَ كما تَتَلَوْنَ الأصباغ التي يُدَهَنُ بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وقول يوم القيامة العظيم.

[٦٤٧٩] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثني عبد الرحمن بن أبي الصَّهْبَاء، حدثنا نافع أبو غالب الباهلي، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَطْشُ عَلَيْهِمْ»^(١). قال الجَوْهَرِيُّ: الطُّشُّ: الْمَطَرُ الضَّعِيفُ. وقال الضَّحَّاكُ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾، قال: هو الأديم الأَخْمَرُ. وقال أبو كُدَيْتَةَ، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾: كالْفَرَسِ الْوَرْدِ. وقال العَوْفِيُّ، عن ابن عباس: تَغْيِيرُ لَوْنِهَا. وقال أبو صالح: كَالْبَزْدُونِ الْوَرْدِ، ثم كانت بعد كالدَّهَانِ. وَحَكَى الْبَغَوِيُّ وغيره: أن الفَرَسَ الْوَرْدَ تَكُونُ فِي الرَّبِيعِ صَفْرَاءَ، وَفِي الشَّتَاءِ حُمْرَاءَ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْبَرْدُ اغْبَرَّ لَوْنُهَا. وقال الحسنُ الْبَصْرِيُّ: تَكُونُ الْوَانَا. وقال السُّدِّيُّ: تَكُونُ كَلَوْنِ الْبَغْلَةِ الْوَرْدَةِ، وَتَكُونُ كَالْمَهْلِ كِدْرِدِي الزَّيْتِ، وقال مجاهد: ﴿كَالدِّهَانِ﴾: كَالْوَانِ الدَّهَانِ. وقال عطاء الخراساني: كلون دُهْنِ الْوَرْدِ فِي الصَّفْرَةِ. وقال قتادة: هي اليوم خضراء، ويومئذ لونها إلى الحُمْرَةِ، يَوْمَ ذِي الْوَانِ. وقال أبو الجَوَازِ: فِي صَفَاءِ الدَّهْنِ. وقال ابن جُرَيْجٍ: تَصِيرُ السَّمَاءُ كَالدَّهْنِ الذَّائِبِ، وَذَلِكَ حِينَ يُصَيِّبُهَا حَرُّ جَهَنَّمَ.

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾، وهذه كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَلِقُونَ﴾^(٢) وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فِتْنَةً زَيْنٌ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]، فهذا في حال، وثم في حال يُسألُ الْخَلَائِقُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]. ولهذا قال قتادة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾، قال: قد كانت مسألة، ثم خُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أَعْلَمَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ يَقُولُ: لِمَ عَمِلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ فهذا قول ثانٍ. وقال مجاهد في هذه الآية لا يسأل الملائكة عن الْمُجْرِمِ، يُعْرَفُونَ بِسِيَمَاهُمْ. وهذا قول ثالث. وكان هذا بعد ما يُؤَمَّرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَذَلِكَ الْوَقْتُ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، بَلْ يُقَادُّونَ إِلَيْهَا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُنَجَّرُونَ بِسَمْتِهِمْ﴾، أي بعلامات تظهر عليهم. وقال الحسن وقاتدة: يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون. قلت: وهذا كما يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْفُورَةِ وَالتَّحْجِيلِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ.

وقوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾، أي: تجمع الزبانية ناصيته مع قدميه، ويلقونه في النار كذلك. وقال الأعمش، عن ابن عباس: يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ، فَيُكْسَرُ كَمَا يُكْسَرُ الْحَطَبُ فِي النَّوْرِ. وقال الضَّحَّاكُ: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ. وقال السُّدِّيُّ: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَةِ الْكَافِرِ وَقَدَمَيْهِ، فَتَرْبُطُ نَاصِيَتُهُ بِقَدَمَيْهِ، وَيُقْتَلُ ظَهْرُهُ.

[٦٤٨٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا أبو توبة الرَّبِيعُ بن نافع، حدثنا معاوية بن سَلَامٍ، عن أخيه زيد بن سَلَامٍ، أنه سمع أبا سَلَامٍ - يعني جده - أخبرني عبد الرحمن، حدثني رجل من كِنْدَةَ قال: أتيت

(١) أخرجه أحمد ٢٦٧/٣ وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن أبي الصَّهْبَاء، وهو مجهول لم يوثقه غير ابن حبان على قاعدته، وقال الذهبي في ترجمته: لم يصح حديثه. وأخرجه أبو يعلى ٤٠٤١ من طريق أبي غالب عن العلاء بن زياد عن أنس موقوفاً، وهو أصح.

عائشة فدخلت عليها، وبيني وبينها حجاب، فقلت: حَدِّثْكَ رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحد فيها شفاعاً؟ قالت: نعم، لقد سألتُه عن هذا وأنا وهو في شِعَارٍ^(١) واحد قال: «نعم، حين يُوَضَّع الصُّرَاطُ، لا أملك لأحد فيها شفاعاً، حتى أعلم أين يُسَلِّكُ بي؟ ويوم تَبْيَضُ وجوه وتسود وجوه، حتى أنظر ماذا يُفَعِّلُ بي - أو قال: يُوحَى - وعند الجسر حين يَسْتَحِدُّ ويستحِرُّ» فقالت: وما يَسْتَحِدُّ وما يَسْتَحِرُّ؟ قال: «يَسْتَحِدُّ حتى يكون مثل شَفْرَةِ السِّيفِ، ويستحِرُّ حتى يكون مثل الجَمْرَةِ، فأما المؤمنُ فيُجِيزُهُ لا يضرُّه، وأما المنافقُ فيتعلَّقُ حتى إذا بلغ أوسطه خَزَّ في قَدَميه قَيْهَوِي يَبْذِيهِ إلى قَدَميه» - قالت: فهل رأيت من يسعى حافياً فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قَدَميه، فإنها كذلك قَيْهَوِي يَبْذِيهِ ورأسه إلى قَدَميه، فتَضْرِبُهُ الزبانية بخطأ في ناصيته وقَدَميه، فتقذفه في جَهَنَّمَ، قَيْهَوِي فيها مقدار خمسين عاماً. قلتُ: ما ثَقُلَ الرجل؟ قالت: ثقل عشر خلفات سِمَانٍ، فيومئذٍ «يَمُرُّ الْمَجْرُمُونَ بِسَبْتِهِمْ فَيُؤَخَّذُ بِالزَّيْسِ وَالْأَقْدَامِ^(٢)» ﴿٤٤﴾. هذا حديث غريب جداً، وفيه ألفاظ مُتَكَرِّرَةٌ رفعها، وفي الإسناد مَنْ لم يُسَمَّ، ومثله لا يُحْتَجُّ به، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾، أي: هذه النار التي كنتم تُكذِّبون بوجودها، ها هي حاضرة تُشَاهِدُونَهَا عياناً؛ يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً. وقوله تعالى: ﴿يَطْرُقُونَ بِهَا لَبَّابًا وَيَبْنَوْنَ فِيهَا كَمَا يُبْنَوْنَ فِي الْحَرِّ﴾ ﴿٤٤﴾، أي: تارة يُعَذِّبون في الجحيم، وتارة يُسْقَوْنَ من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المُذَاب، يُقَطِّعُ الأمعاء والأحشاء. وهذه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَطْفَالَ فِي أَعْيُنِهِمْ كَالسَّكِينِ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ في اللَّيْلِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿غافر: ٧١ - ٧٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ﴾، أي: حارٌّ، قد بلغ الغاية في الحرارة، لا يُسْتَطَاعُ من شِدَّةِ ذلك. قال ابن عباس في قوله: ﴿يَطْرُقُونَ بِهَا لَبَّابًا وَيَبْنَوْنَ فِيهَا كَمَا يُبْنَوْنَ فِي الْحَرِّ﴾ ﴿٤٤﴾، أي: قد انتهت غَلِيَّةُ واشتدَّ حَرُّه. وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن، والثوري والسدي. وقال قتادة: قد أتى طبعه منذ خلق الله السموات والأرض. وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرك ناصيته في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس. وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِي اللَّيْلِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ﴿٧٦﴾. والحميم الآن: يعني الحارَّ. وعن القرظي رواية أخرى: ﴿جَحِيمٌ﴾ أي: حاضر. وهو قول ابن زيد أيضاً، والحاضر، لا ينافي ما روي عن القرظي أولاً أنه الحارُّ، كقوله تعالى: ﴿تَشَقَّقْنَ مِنْ عَيْنِ آيَةٍ﴾ ﴿٥﴾ [الغاشية: ٥]، أي: حارة شديدة الحر لا تُسْتَطَاعُ، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ [الاحزاب: ٥٣]، يعني استواءه وتضجعه. فقوله: ﴿جَحِيمٌ﴾ أي: حميم حارٌّ جداً. ولما كان معاقبة العصاة المجرمين، وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعذله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك، قال مُمَثِّلاً بذلك على بَرِيَّتِهِ: ﴿فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكَما تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكَما تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكَما تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيانِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكَما تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ رِزْقانِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكَما تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٣﴾

(١) الشعار: ما ولي الجسد من الثياب.

(٢) إسناد ضعيف، فيه راو لم يُسَمَّ، والمتن منكر، وهو شبه موضوع.

قال ابنُ شوذب، وعطاء الخراساني: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ في أبي بكر الصديق.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مُصَفَّى، حدثنا بقیة، عن أبي بكر بن أبي مَرْزَم، عن عطية بن قيس في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾: نزلت في الذي^(١) قال: أخرقوني بالنار لعلِّي أضلُّ الله، قال: تاب يوماً وليلةً بعد أن تكلم بهذا، فقبِل الله منه، وأدخله الجنة. والصحيح أن هذه الآية عامة، قاله ابن عباس وغيره، يقول الله تعالى: ولمن خاف مقامه بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، ولم يَطْع ولا أثر الحياة الدنيا، وعَلِم أن الآخرة خير وأبقى، فأدَّى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان.

[٦٤٨١] كما قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة، آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(٢). وأخرجه بقیة الجماعة إلا أبا داود، من حديث عبد العزيز، به.

[٦٤٨٢] وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه - قال حماد: ولا أعلمه إلا قد رُفِعَ - في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾، وفي قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ﴾، قال: «جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من وِرقٍ لأصحاب اليمين»^(٣).

[٦٤٨٣] وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المضري، حدثنا ابن أبي مَرْزَم، أخبرنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي حزملة، عن عطاء بن يسار، أخبرني أبو الدرداء: أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾. فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾. فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وإن رَغِمَ أنفُ أبي الدرداء»^(٤). رواه النسائي من حديث محمد بن أبي حزملة، به. ورواه النسائي أيضاً عن مؤمل بن هشام، عن إسماعيل، عن الجريري، عن موسى، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبي الدرداء، به. وقد روي موقوفاً على أبي الدرداء. ورُوي عنه أنه قال: إن من خاف مقام ربه لم يَزِنْ ولم يسرق. وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتنَّ الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ فَإِيَّاهُ يَدْعُونَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْغَمِّ وَيَدْخُلُوهُمُ الْجَنَّةَ بَرًّا. ثم نعت هاتين الجنتين فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ﴾، أي:

(١) له قصة جاء ذكرها في حديث صحيح. وقد تقدم. لكن لا يصح كون سبب النزول كان لأجله.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٠ ومسلم ١٨٠ والترمذي ٢٥٢٨ وابن ماجه ١٨٦ وأحمد ٤١١/٤.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٠٨٩ وإسناده ضعيف لضعف مؤمل بن عبد الرحمن.

(٤) حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٨٠ وأحمد ٤٤٢/٦ والطيبري ٣٣٠٨٨ والبغوي ٤١٨٩ من طرق عن ابن أبي حزملة، به، وهذا إسناد على شرط البخاري ومسلم. وكرره النسائي ٥٨١ والطيبري ٣٣٠٨٧ وابن أبي عاصم في «السنن» ٩٧٥ وابن خزيمة في «التوحيد» ٥٣٣ من وجوه متعددة، وكرره الطبري ٣٣٠٩٠ و٣٣٠٩١ موقوفاً؛ ونقل الحافظ في «الفتح» ٢٧/١١ عن البخاري قوله: لا يصح. لكن ذكر الحافظ له طرقاً يدل على أنه حسن، بل الطريق الأول بمفرده صحيح، والله أعلم.

أَغْصَانٍ نَضْرَةٍ حَسَنَةٍ، تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ نَضِيجَةً فَائِقَةً، ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾. هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة. أن الأفنان أغصانُ الشجر، يَمَسُّ بعضها بعضاً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا مُسلم بن قُتيبة، حدثنا عبد الله بن الثُّعْمَان، سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ يَقُولُ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٥٤)، يقول: ظلُّ الأغصانِ على الحيطانِ، ألم تَسْمَعْ قولَ الشاعر حيث يقولُ:

مَا هَاجَ شَوْكَكَ مِنْ هَدِيدِلْ حَمَامَةٍ تَدْعُو عَلَى قَتْنِ الْغُصُونِ حَمَامَا
تَدْعُوا أَبَا فَرْخَيْنِ صَادَفَ طَاوِيَا ذَا مُخْلَبَيْنِ مِنَ الصَّقُورِ قَطَامَا

وحكى البَغَوِيُّ عن مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والكلبي: أنه الغصنُ المستقيمُ. قال: وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٥٤): ذواتا ألوانٍ. قال: وزوي عن سعيد بن جُبَيْر، والحسن، والسدي، وخُصَيْف، والنُّضَرِ بن عَرَبِي، وأبي سَيَّانٍ مثْلُ ذَلِكَ. ومعنى هذا القول أن فيهما قُتُونًا من المِلَادِ، واختاره ابنُ جَرِير. وقال عطاء: كلُّ غُصْنٍ يَجْمَعُ قُتُونًا من الفاكهة. وقال الربيع بن أنس: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٥٤) واسعتا الفناء. وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافاة بينها والله أعلم. وقال قتادة: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٥٤)، يُنْبِئُ بِفَضْلِهَا وَسَعَتِهَا وَمَزِيَّتِهَا عَلَى مَا سِوَاهَا.

[٦٤٨٤] وقال محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وذكر سدرة المنتهى - فقال: «يَسِيرُ فِي ظِلِّ الْقَتْنِ مِنْهَا الرَّكَّابُ مِثْلَ سَنَةٍ - أَوْ قَالَ: يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِثْلَ رَاكِبٍ، فِيهَا قَرَّاشُ الذَّهَبِ، كَانَ ثَمَرُهَا الْقِلَافُ» (٥٥). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ، بِهِ. ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٥)، أي: تَسْرَحَانِ لِيَسْقِي تِلْكَ الْأَشْجَارَ وَالْأَغْصَانِ فَتُثْمِرُ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ، ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قال الحسن البصري: إحداهما يقال لها (تُسْنِيم)، والأخرى (السُّلْسِيلُ). وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ. ولهذا قال بعد هذا: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ذِكْرَانِ﴾ (٥٦)، أي: مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ مِمَّا يَعْلَمُونَ وَخَيْرٌ مِمَّا يَعْلَمُونَ، وَمِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾. قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: ما في الدنيا ثَمَرَةٌ حُلُوءَةٌ وَلَا مَرَّةٌ إِلَّا وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى الْحَنْظَلَةُ. وقال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء. يعني أن بين ذلك بَوْنًا عَظِيمًا، وَفَرَقًا بَيِّنًا فِي التَّفَاضُلِ.

﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَهِيَ الْحَنْثَيْنِ دَانِ﴾ (٥٥) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٥) فِيهِ قَصِيرَتُ الْأَطْرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانُ (٥٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٧) كَأَنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ (٥٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٩) هَلْ جَرَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ (٦٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦١)

يقول تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾، يعني أهل الجنة. والمراد بالانكاء ها هنا: الاضطجاعُ. ويقال: الجلوسُ على صفة التربع. ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾، وهو: ما غُلِظَ مِنَ الدُّبْيَاجِ. قاله عكرمة، والضحاك، وقاتادة.

(١) أخرجه الترمذي ٢٥٤١ وإسناده ضعيف، فيه عن عنة ابن إسحاق، وهو مدلس، وأصله عند البخاري ٦٥٥٣ ومسلم ٢٨٢٨ بسياق آخر، وليس فيه ذكر «الفن».

وقال أبو عمران الجوني: هو الديباج المغمول بالذهب، فَنَبَّه على شرف الظَّهارة بشرف البطانة. وهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى. قال أبو إسحاق، عن هُبَيْرَةَ بن يَرِيم، عن عبد الله بن مسعود قال: هذه البطانُ فكيف لو رأيتُ الظَّواهر؟ وقال مالك بن دينار: بطانتهما من إستبرق، وظواهرهما من نُور. وقال سُفيان الثَّوري - أو: شريك -: بطانتهما من إستبرق، وظواهرهما من نور جامد. وقال القاسم بن محمد: بطانتهما من إستبرق، وظواهرهما من الرحمة. وقال ابن شاذب، عن أبي عبد الله الشامي: ذكر الله البطان ولم يذكر الظواهر، وعلى الظواهر المحابس، ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله تعالى. ذكر ذلك كُلُّه الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله. ﴿وَجَىَّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي ثمرهما قريب إليهم متى شأوا تناولوه على أي صفة كانوا كما قال تعالى: ﴿فَقُطِّبَتْ دَانِيَةً﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ يُلَاقُهَا وَذُلَّتْ قُطُوبُهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، أي: لا تمتنع مَن تناولها، بل تَنَحَّط إليه من أغصانها، ﴿يَأَيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ولما ذكر العرش وعظمتها قال بعد ذلك: ﴿فِيهِ﴾، أي: في العرش ﴿فَتَمِيزَتْ الْفُتُورُ﴾، أي: غَضِيضَات عن غير أزواجِهِنَّ، فلا يَرَيْنَ شيئاً أحسنَ في الجنَّة من أزواجِهِنَّ. قاله ابن عباس، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن زيد.

[٦٤٨٥] وقد وَرَد أن الواحدة منهن تقول ليعلمها: «والله ما أَرَى في الجنَّة شيئاً أحسنَ منك، ولا في الجنَّة شيء أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جَعَلَكَ لي، وجَعَلَني لَكَ»^(١).

﴿لَمْ يَلْمِزْنَهُمْ إِنشَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾، أي: بل هن أبكار عُرُب أتراب، لم يطأهن أحد قبل أزواجِهِنَّ من الإنس والجن. وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مُؤمِنِي الجن الجنَّة. قال أَرطاة بن النُذير: سُئِلَ ضمره بن حبيب: هل يدخل الجنُّ الجنَّة؟ قال: نعم، وَيُنَكِّحُونَ، للجنِّ جَنِّيَات، وللإنس إنسيَات. وذلك قوله: ﴿لَمْ يَلْمِزْنَهُمْ إِنشَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [٥٦] ﴿يَأَيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥٧]. ثم قال يَنْعَتُهُنَّ لِلخُطَّاب: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْأَمْزَاجُ﴾ [٥٨]، قال مجاهد والحسن، والسدي، وابن زيد، وغيرهم: في صفاء الياقوت، وبياض المَرَجَان، فجعلوا المَرَجَان ها هنا للؤلؤ.

[٦٤٨٦] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عبيدة بن حُميد، عن عطاء ابن السائب، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَرَى بَيَاضَ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ خُلَّةً مِنَ الْحَرِيرِ، حَتَّى يَرَى مُخَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْأَمْزَاجُ﴾ [٥٨] فَأَمَّا الْيَاقُوتُ فَإِنَّهُ حَجَرٌ لَوْ أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكَاً ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ»^(٢). وهكذا رواه الترمذي من حديث عبيدة بن حُميد وأبي الأحوص، عن عطاء بن السائب، به. ورواه موقوفاً، ثم قال: «وهو أصح».

[٦٤٨٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا عَفَّان، حدثنا حَمَّاد بن سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا يُونُس، عن محمد بن سِيرِينَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ قال: «لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ

(١) هو عجز حديث أخرجه البيهقي في «البعث» ٦٦٨ من حديث أبي هريرة، وفيه راو لم يسم.

(٢) الراجح وقفه، أخرجه الترمذي ٢٥٣٣ والطبراني ١٠٣٢١ والطبري ٣٣١٢٣ وهناد في «الزهد» ١١ وابن حبان ٧٣٩٦ وأبو الشيخ في «العظمة» ٥٨٤ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٧٩، وإسناده ضعيف، ابن السائب اختلط. لكن الظاهر أن الروم فيه من عبيدة بن حميد، فهو، وإن كان ثقة، فقد وصفه الحافظ بأنه ربما أخطأ، وقد خالفه غير واحد. فأخرجه ابن أبي شيبة ١٠٧/١٣ والطبري ٣٣١٢٤ والترمذي ٢٥٣٤ وهناد ١٠ من أربعة طرق عن ابن السائب عن ابن ميمون عن ابن مسعود موقوفاً. فهو الراجح. والله أعلم.

حُلَّةً، يُرَى مُخٌ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ^(١). تُفَرَّدُ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[٦٤٨٨] وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُثَيْبَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكُرُوا، وَالرِّجَالُ أَكْثَرُ فِي الْجَنَّةِ أَمْ النِّسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوْ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالتِّي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّي فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخٌ سَوْقُهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّ^(٢)؟» وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخْرَجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ بْنِ مُتَنَبِّهِ وَأَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٦٤٨٩] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لُعْدُوهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابٌ قَوْسٌ أَحَدِكُمْ - أَوْ مَوْضِعٌ قَدَّهُ - يَعْنِي سَوْطُهُ - مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَطْلَعْتَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَتَصَيَّفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٣)». وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ بِنَحْوِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦١﴾»، أَي: مَا لِمَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا الْعَمَلَ إِلَّا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَشْئُورٍ زَيْدًا» [يونس: ٢٦].

[٦٤٩٠] وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الشَّرِيعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الثُّعْلُبِيُّ، أَخْبَرَنِي ابْنُ فَتْنَوَيْهِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَهْرَامَ، حَدَّثَنَا الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الْمَكْتَبِيُّ، حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦١﴾»، وَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَقُولُ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ^(٤)». وَلَمَّا كَانَ فِي الَّذِي ذَكَرَ نَعَمَ عَظِيمَةً لَا يَقَاومُهَا عَمَلٌ، بَلْ مُجَرَّدُ تَفَضُّلٍ وَامْتِنَانٍ، قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: «فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكُمْ كَمَا تُكَلِّمَانِ».

[٦٤٩١] وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٦٢﴾»، مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَغَوِيُّ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي النَّضْرِ هَاشِمِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِي قُرُوزَةَ يَزِيدَ بْنِ سِنَانِ الرُّهَافِيِّ، عَنْ بَكْرِ بْنِ فَيْرُوزَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ^(٥)». ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي النَّضْرِ».

[٦٤٩٢] وَرَوَى الْبَغَوِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ حَجَرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَزْمَةَ -

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣٤٥/٢ وإسناده على شرط مسلم، وانظر ما بعده.

(٢) صحيح. تقدم في سورة الزمر آية ٧٣.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٩٦ وأحمد ٣/٢٦٤.

(٤) أخرجه البغوي في «تفسيره» ٢٥١/٤، وإسناده ضعيف جداً، مداره على بشر بن حسين الأصهباني. قال البخاري: فيه نظر، وقال الدارقطني: متروك. وقال أبو حاتم: يكذب على الزبير بن عدي. وهذا رواه عن الزبير.

(٥) حسن. أخرجه الترمذي ٢٤٥٢ والحاكم ٣٠٨/٤ والبغوي في «تفسيره» ٢٤٩/٤ من حديث أبي هريرة. وإسناده ضعيف، لأجل يزيد بن سنان. وتصحف عند البغوي إلى «شيان» وللحديث شاهد من حديث أبي ابن كعب. أخرجه الحاكم ٣٠٨/٤ وسكت عليه، وكذا الذهبي، ورجاله ثقات، وفي عبد الله بن محمد بن عقيل كلام وحديثه حسن في الشواهد. والله أعلم.

مولى حُوَيْطِب بن عبد الغزى - عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء: أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يَقْصُصُ عَلَى الْيَمِينِ وهو يقول: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٦١)، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٦١). فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٦١). فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وَأَنْ، وَغَمَّ أَنْفِ أَبِي الدَّرْدَاءِ» (١).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٦٢) فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عِثَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فُكْكُهُمْ وَنُحْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى رَقَرٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرٍ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَإِنِ آلَاةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكٌ أَنْتُمْ رَبُّكَ ذِي الْمَلَكِلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٦٢).

[٦٤٩٣] وقد تقدم في الحديث: «جَنَّتَانِ مِنْ دَعَبَ أَنْبِئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةَ أَنْبِئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، فَأُولَئِكَ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَالْأُخْرَيَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ» (٢). وقال أبو موسى: جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. وقال ابن عباس: «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٦٢)، من دونهما في الدَّرَج. وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. والدليل على شرف الأولين على الآخرين وجوه أحدها: أنه نَعَتَ الأولين قبل هاتين، والتقديم يدل على الاعتناء. ثم قال: «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٦٢). وهذا ظاهر في شرف التقديم وعلوه على الثاني. وقال هناك: «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٦٨)، وهي الأغصان أو الفنون في المبدأ، وقال ها هنا: «مُدْهَمَّتَانِ﴾ (٦٤)، أي: سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ الرُّبِيِّ [من الماء]. قال ابن عباس في قوله: «مُدْهَمَّتَانِ﴾ (٦٤): قد اسودتا من الخُضرة، من شدة الرُّبِيِّ مِنَ الْمَاءِ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس: «مُدْهَمَّتَانِ﴾ (٦٤)، قال: خضراوان. وروى عن أبي أيوب الأنصاري، وعبد الله ابن الزبير، وعبد الله بن أبي أوفى، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد - في إحدى الروايات - وعطاء، وعطية العوفي، والحسن البصري، ويحيى بن رافع، وسفيان الثوري، نحو ذلك.

وقال محمد بن كعب: «مُدْهَمَّتَانِ﴾ (٦٤): مُمْتَلِئَتَانِ مِنَ الْخُضرة. وقال قتادة: خَضْرَاوَانِ مِنَ الرُّبِيِّ نَاعِمَتَانِ. ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض. وقال هناك: «فِيهِمَا عِثَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٩)، وقال ها هنا: «نَضَّخَتَانِ﴾ (٦٦)، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي قِيَاضَتَانِ. والجري أقوى من النضخ. وقال الضحاك: «نَضَّخَتَانِ﴾ (٦٦)، أي: ممتلئتان لا تنقطعان. وقال هناك: «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فُكْكُهُمْ زَوْجَانِ﴾ (٥٧)، وقال ها هنا: «فِيهِمَا فُكْكُهُمْ وَنُحْلٌ وَرَمَانٌ﴾ (٦٨)، ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنوع على فاكهة، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تَعْمُ. ولهذا فُسِّرَ قوله: «وَنُحْلٌ وَرَمَانٌ﴾ (٦٨) من باب عطف

(١) أخرجه البغوي ٣٨٦/٤ وهو حديث حسن، وتقدم.

(٢) تقدم قبل أحاديث.

الخاص على العام، كما قرره البخاري وغيره، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما.

[٦٤٩٤] قال عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا حُصَيْنُ بْنُ عَمْرٍ، حدثنا مخارق، عن طارق بن شهاب، عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا مُحَمَّدُ، أفي الجنة فاكهة؟ قال: «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان»، قالوا: أفيماكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «نعم وأضعاف». قالوا: فيقصون الحوائج؟ قال: «لا»، ولكنهم يَعْرِقُونَ وَيَزْشَحُونَ، فَيُذْهِبُ اللَّهُ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ أَدَى^(١). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن حَمَّادٍ، عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس قال: نخلُ الْجَنَّةِ سَعْفُهَا كِسْوَةُ لَأَهْلِ الْجَنَّةِ، منها مَقَطَعَاتُهُمْ، ومنها حُلُلُهُمْ، وَكَرْبُهَا ذهب أحمر، وَجُدُوعُهَا زُمُرُودٌ أَخْضَرُ، وَتَمْرُهَا أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَالْيَنْ مِنْ الزَّيْدِ، وليس له عَجَمٌ.

[٦٤٩٥] وَحَدَّثَنَا أَبِي: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حَمَّادٌ - هو ابن سَلَمَةَ - عن أبي هارون، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَظَرْتُ إِلَى الْجَنَّةِ فَإِذَا الرُّمَانَةُ مِنْ رُثَائِهَا كِمِثْلِ الْبَعِيرِ الْمُقْتَبِ»^(٢).

ثم قال: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ^(٣)». قيل: المراد خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْجَنَّةِ، قاله قتادة. وقيل: خَيْرَاتٌ: جمع خَيْرَةٍ، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه، قاله الجمهور، وَرُوي مرفوعاً عن أم سَلَمَةَ^(٤). وفي الحديث الآخر الذي سَنُورِدُهُ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ الْحُورَ الْعَيْنَ يُغْتَنِينَ: نَحْنُ الْخَيْرَاتِ الْحَسَنَاتِ، خُلِقْنَا لِأَزْوَاجِ كَرَامٍ. ولهذا قرأ بعضهم: (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ)، بالتشديد ﴿حَسَنَاتٌ﴾^(٥) فَيَأْتِي ۚ أَلَا رَيْبُكَ أَنْ تَكْذِبَ؟. ثم قال: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ﴾^(٦)، وهناك قال: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْكُرْفِ﴾، ولا شك أن التي قد قَصُرَتْ طَرَفُهَا بِنَفْسِهَا أَفْضَلُ مِمَّنْ قَصُرَتْ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ مُحْذَرَاتٍ. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: إِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيْرَةً وَلِكُلِّ خَيْرَةٍ خِيَمَةٌ، وَلِكُلِّ خِيَمَةٍ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، يَدْخُلُ عَلَيْهِ كُلُّ يَوْمٍ تَحْفَةً وَكَرَامَةً وَهَدِيَّةٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، لَا مَرَحَاتٍ وَلَا طُمَاحَاتٍ، وَلَا بَخْرَاتٍ وَلَا دَفَرَاتٍ، حُورٌ عَيْنٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ. وقوله تعالى: ﴿فِي الْخِيَارِ﴾.

[٦٤٩٦] قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، حدثنا أَبُو عَمْرٍو الْجَوْنِيُّ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خِيَمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مَيْلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَزُونَ الْآخِرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ»^(٧). ورواه أيضاً من حديث أبي عمران، به وقال: «ثلاثون ميلاً».

[٦٤٩٧] وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران، به، ولفظه: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيَمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ

(١) أخرجه عبد بن حميد والحارث كما في «المطالب العالية» ٤٦٧٧ بهذا الإسناد، ونقل الأعظمي عن البوصيري قوله: فيه حصين بن عمر، وهو ضعيف اهـ وأصل الحديث له شواهد. وإن كان ضعيفاً بهذا الإسناد، والله أعلم.

(٢) في إسناده أبو هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين. وهو متروك الحديث، وكذبه حماد بن زيد، والجوزجاني، فالخير وإو. والمقرب: الذي شُدَّ عليه القتب، وهو رحل صغير على قدر سنام البعير.

(٣) هو عند الطبري ٣٣١٧٢ مختصر. وطوله الطبراني. انظر المجموع ١١٨/٧ - ١١٩ والدرر ٢١١/٦ - ٢١٢ وأعله الهيثمي بسليمان بن أبي كريمة، وقال: ضعفه ابن عدي، وأبو حاتم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٩ وانظر ما بعده.

واحدة مُجَوِّفَةٍ، طولُها سِتُّونَ ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة أخبرني خُليد العصري، عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة، فيها سبعون باباً من دُرٍّ.

وحدثنا أبي، حدثنا عيسى بن أبي فاطمة، حدثنا جبرير، عن هشام، عن محمد بن المثنى، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ (٧٦)﴾، وقال: في خيام اللؤلؤ، والخيمة من لؤلؤة واحدة، أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من الذهب.

[٦٤٩٨] وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا عمرو أن ذراجاً أبا السَّمْح حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةُ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَتَنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ، كَمَا بَيْنَ الْجَابِيَةِ وَصَنْعَاءَ»^(٢). ورواه الترمذي من حديث عمرو ابن الحارث، به. وقوله تعالى: ﴿لَا يَلْبِسُهُمْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٦)﴾: قد تقدّم مثله سواء، إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله: ﴿كَاتَبَتْ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْحَاتُ (٥٨) قِيَّامًا أَلَاءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الرفرف: المحابس. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقاتدة، والضحاك، وغيرهم: هي المحابس. وقال العلاء بن بدر: الرفرف على السرير، كهيمة المحابس المتدلي. وقال عاصم الجعدي: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ﴾، يعني: الوسائد. وهو قول الحسن البصري في رواية عنه. وقال أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ﴾، قال: الرفرف رياض الجنة. وقوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، قال ابن عباس، وقاتدة، والضحاك، والسدي: العبقري: الزرابي. وقال سعيد بن جبير: هي عتاق الزرابي، يعني: جياتها. وقال مجاهد: العبقري: الديباج. وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، فقال: هي بسط أهل الجنة - لا أبالكم - فاطلبوها. وعن الحسن رواية: أنها المرافق. وقال زيد بن أسلم: العبقري: أحمر وأصفر وأخضر. وسئل العلاء بن زيد عن العبقري فقال: البسط أسفل من ذلك. وقال أبو حزره يعقوب بن مجاهد: العبقري: من ثياب أهل الجنة، لا يعرفه أحد. وقال أبو العالية: العبقري: الطنافس المَحْمَلَةُ، إلى الرقة ما هي! وقال القتيبي: كل ثوب مَوْشَى عند العرب عبقري. وقال أبو عبيدة: هو منسوب إلى أرض يُعْمَلُ بها الوشي. وقال الخليل بن أحمد: كل شيء يُفَيِّسُ مِنَ الرُّجَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُسَمَّى عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيًّا.

[٦٤٩٩] ومنه قول النبي ﷺ في عَمَرَ: «فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي قَرْيَةً»^(٣). وعلى كل تقدير فصفة مَرَاتِقِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْأُولِيِّينَ أَرْفَعُ وَأَعْلَى مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ هُنَاكَ: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانِيٍّ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، فَتَعْتَ

(١) صحيح. أخرجه مسلم (٢٨٣٨) (٢٤) والترمذي ٢٥٢٨ وأحمد ٤١١/٤ وابن حبان ٧٣٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٦٢ وابن حبان ٧٤٠١، وإسناده ضعيف لأجل دراج، وبخاصة في روايته عن أبي الهيثم. وعند الترمذي علة أخرى، وهي رشدين بن سعد متروك الحديث، وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد ٥٣٧/٢. وقال ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ٢٢٣: فيه سكين بن عبد العزيز وضعفه النسائي، وشهر بن حوشب وضعفه مشهور. والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٦٦٤ و٧٠٢٢ و٧٤٧٥ ومسلم ٢٣٩٢ وأحمد ٣٦٨/٢ وابن أبي شيبة ٢١/١٢ وابن حبان ٦٨٩٨ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث.

بَطَائِنُ فُرُشِهِمْ وَسَكَتٍ عَنْ ظَهَائِرِهَا، اكْتِفَاءً بِمَا مَدَحَ بِهِ الْبَطَائِنُ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْآخِرَى. وَتَمَامُ الْخَاتَمَةِ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ الصِّفَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (٦٢)، فَوَصَفَ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ وَهُوَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَالنِّهَايَاتِ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ عَنِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ الْإِيمَانِ، ثُمَّ الْإِحْسَانِ. فَهَذِهِ وَجُوهٌ عَدِيدَةٌ فِي تَفْصِيلِ الْجَتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ عَلَى هَاتَيْنِ الْآخِرَيْنِ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْوَهَّابَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْأَوَّلَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِزَكَاةٍ أَنْتُمْ فِيكَ ذِي اللَّعْلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾، أَيُّ: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يَجْعَلَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُكْرَمَ فَيُعْبَدَ، وَيُسَكَّرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ذِي اللَّعْلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾: ذِي الْعَظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ.

[٦٥٠٠] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ثَوْبَانَ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِيٍّ، عَنْ أَبِي الْعَظْرَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجْلُوا اللَّهَ يُغْفَرَ لَكُمْ» (١).

[٦٥٠١] وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَذِي السُّلْطَانِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ» (٢).

[٦٥٠٢] وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَغْلَى: حَدَّثَنَا أَبُو يُوْسُفَ الْجَبْرِئِيُّ، حَدَّثَنَا مُؤْمِلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَادُ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلْظُوا بِيَاذَ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (٣). وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ غَيْلَانَ، عَنْ مُؤْمِلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِهِ ثُمَّ قَالَ: غَلَطَ الْمُؤْمِلُ فِيهِ، وَهُوَ غَرِيبٌ وَلَيْسَ بِمَحْفُوظٍ، وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حَمِيدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ.

[٦٥٠٣] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ حَسَّانٍ الْمَقْدِسِيِّ، عَنْ رِبْعَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلْظُوا بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (٤). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، بِهِ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: أَلْظَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ: إِذَا لَزِمَهُ، وَقَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَلْظُوا بِيَاذَ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أَيُّ: الزَّمُوا. وَيُقَالُ: الْإِلْظَاظُ هُوَ الْإِلْحَاحُ. قُلْتُ: وَكِلَاهُمَا قَرِيبٌ مِنَ الْآخِرِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَهُوَ الْمَدَاوِمَةُ وَاللِّزُومُ وَالْإِلْحَاحُ.

[٦٥٠٤] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالسَّنَنِ الْأَرْبَعَةِ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ لَا يَقْعُدُ يَعْنِي بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَّا قَدَّرَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (٥).

آخر تفسير سورة الرحمن، والله الحفد والمنّة

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ١٩٩/٥ والطبراني كما في «المجمع» ١٧٦٧٦ وقال الهيثمي: فيه أبو العذرء ولم أعرفه وبقية رجال أحمد وثقوا. وقال الذهبي في الميزان: مجهول.

(٢) حديث حسن، وتقدم.

(٣) جيد. أخرجه الترمذي ٣٥٢٢ وأبو يعلى ٢٧٣٣ وإسناده ضعيف، مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٧/١٢ من وجه آخر، وفيه يزيد الرقاشي ضعيف، لكن يشهد له ما بعده.

(٤) جيد. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٨٣ وأحمد ١٧٧/٤ والحاكم ٤٩٨/١ وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناده حسن، ويتأيد بما قبله.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٥٩٢ وأبو داود ١٥١٢ والنسائي ٦٩/٣ و٩٥ و٩٦ والترمذي ٢٩٨ و٢٩٩ وابن ماجه ٩٢٤ وأحمد ٦٢/٦ وابن حبان ٢٠٠٠.



وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[٦٥٠٥] قال أبو إسحاق، عن عِكْرَمَةَ، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! قد شُبِّهْتَ! قال: شُبِّيتَنِي هُوَ، والواقعة، والمرسلات، وعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وإذا الشمسُ كُوِّرَتْ^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[٦٥٠٦] وقال الحافظُ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعودٍ بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارِق المِضْرَبِيِّ: حَدَّثَنَا السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى الشَّيْبَانِيُّ، عَنْ أَبِي شَجَاعٍ، عَنْ أَبِي ظَبْيَةَ قَالَ: مَرَضَ عَبْدُ اللَّهِ مَرَضَهُ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، فَعَادَهُ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فَقَالَ: مَا تَشْتَكِي؟ قَالَ: دُثُوبِي. قَالَ: فَمَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: رَحْمَةً رَبِّي. قَالَ: أَلَا أَمْرُكَ بِطَبِيبٍ؟ قَالَ: الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي. قَالَ: أَلَا أَمْرُكَ بِعَطَاءٍ؟ قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. قَالَ: يَكُونُ لِبَنَاتِكَ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ: أَتَخْشَى عَلَى بَنَاتِي الْفَقْرَ؟ إِنِّي أَمَرْتُ بَنَاتِي يَقْرَأْنَ كُلُّ لَيْلَةٍ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاةٌ أَبَدًا»^(٢). ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: كَذَا قَالَ، وَالصَّوَابُ عَنْ شَجَاعٍ، كَمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، عَنِ السَّرِيِّ.

[٦٥٠٧] وقال عبدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ: أَخْبَرَنِي السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى أَنَّ شَجَاعاً حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي ظَبْيَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاةٌ أَبَدًا»^(٣). فَكَانَ أَبُو ظَبْيَةَ لَا يَدْعُهَا. وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُنِيبٍ، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ شَجَاعٍ، عَنْ أَبِي ظَبْيَةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، بِهِ.

[٦٥٠٨] ثُمَّ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي إِسْرَائِيلَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّبِ الْعَدَنِيِّ، عَنِ السَّرِيِّ ابْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي ظَبْيَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ

(١) جيد. أخرجه الترمذي ٣٢٩٧ وتقدم في أول سورة هود.

(٢) ضعيف. أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» ٢٢٦ وابن الجوزي في «العلل» ١٥١ وابن السني ٦٨٠ وابن وهب كما في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٧١ والبيهقي في «الشعب» ٢٤٩٨ و ٢٤٩٩ و ٢٥٠٠ من حديث ابن مسعود، ومداره على شجاع، وهو مجهول، قال ابن الجوزي: قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع، والسري، لا أعرفهما، ونقل ابن عراق في «تنزيه الشريعة» ١/ ٣٠١ عن الذهبي في كتابه «تلخيص الواهيات» قوله: شجاع لا يدري من هو. ونقل شيخنا الأرنؤوط في «جامع الأصول» عن المنادي في «الفيض» عن الزيلعي قوله: هو معلول من وجوه. أحدها: الانقطاع - بين أبي ظبية وابن مسعود - كما بينه الدارقطني وغيره. والثاني: نكارة المتن كما ذكر أحمد. والثالث: ضعف رواته كما قال ابن الجوزي. والرابع: اضطرابه. وقد أجمع على ضعفه أحمد، وأبو حاتم، وإبنة، والدارقطني وغيرهم اهـ. وكذا ابن الجوزي والذهبي. وانظر «جامع الأصول» ٧٢٥٧ والأذكار شرح ابن علان ٣/ ٢٧٩. وكذا ضعفه الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٧١ بعد أن أبان علله.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

[٦٥٠٩] وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل - ويحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل - عن سيمك بن حزب، أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَنَحْوِ مَنْ صَلَاتِكُمُ الَّتِي تُصَلُّونَ الْيَوْمَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُخَفِّفُ، كَانَتْ صَلَاتُهُ أَخْفَ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ الْوَاقِعَةَ وَنَحْوَهَا مِنَ السُّورِ (٢).

(۲) جید۔ أخرجه أحمد ۱۰۴/۵ وإسناده علی شرط مسلم.

في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾، أي: زُلزِلَتْ زَلْزَالًا. وقال الربيع بن أنس: تُرْج بما فيها كَرَج الغُرْبَال بما فيه. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ [الزلزلة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَكُونُهَا أَنْفُسٌ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ رَزَلْتُمُ النَّاسَ شَوْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ سَيًّا﴾، أي: فُتَّتَتْ فُتًّا. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم. وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالى: ﴿كَيْفًا مَّيَلًا﴾ [المزمل: ١٤]. وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِنًا﴾، قال أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي - رضي الله عنه -: ﴿هَبَاءً مُتْبِنًا﴾ كَرَهَج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء. وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِنًا﴾: الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشر، فإذا وقع لم يكن شيئًا. وقال عكرمة: المُتْبِنُ: الذي قد ذرته الريح وبثته. وقال قتادة: ﴿هَبَاءً مُتْبِنًا﴾ كَيِّيس الشجر الذي تذرؤه الرياح. وهذه الآية كآخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، ودعابها وتسييرها ونسفيها، وصيرورتها كالعين المنفوش.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السدي: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمالهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال. وهم عاثة أهل النار - عيادًا بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحق وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصدّيقون والشهداء وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين. ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١). وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ بَدَأَ الْوَحْيَ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية، وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه، كما تقدّم بيانه. قال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، قال: هي التي في سورة الملائكة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. وقال ابن جريج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة. وقال يزيد الرقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، قال: أصنافًا ثلاثة. وقال مجاهد: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، يعني: فرقًا ثلاثة. وقال ميمون بن مهران: أفواجًا ثلاثة. وقال عبيد الله العتكي، عن عثمان بن سراقه، ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: اثنان في الجنة، وواحد في النار.

[٦٥١٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ (٧) [التكوير: ٧]، قال: الضرباء، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)، قال: هم الضرباء (١).

[٦٥١١] وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله بن المنثري، حدثنا البراء الغنوي، حدثنا الحسن، عن معاوية بن جبل: أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَأَحْصَى الْيَسِينَ مَا أَحْصَى الْيَسِينَ﴾ [١٧]، ﴿وَأَحْصَى الْيَمَالَ مَا أَحْصَى الْيَمَالَ﴾ [١٨]، فقبض بيده قبضتين فقال: «هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار ولا أبالي» [١٩].

[٦٥١٢] وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سُئِلُوهُ بَدَّلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ» [٢٠]. وقال محمد بن كعب وأبو خزيمة يعقوب بن مجاهد: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [٢١]: هم الأنبياء عليهم السلام. وقال السدي: هم أهل عليين. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [٢٢]: قال: يوشع بن نون، سبَقَ إلى موسى، ومؤمن آل يس، سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى رسول الله ﷺ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البرز، عن شعيب بن الضحَّاك المدائني، عن سفيان بن عُيينة، عن ابن أبي نجيح، به.

وقال ابن أبي حاتم: وذكر محمد بن أبي حماد، حدثنا مهران، عن خارجة، عن قرة، عن ابن سيرين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [٢٣]، الذين صلُّوا إلى القبلتين. ورواه ابن جرير من حديث خارجة، به. وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [٢٤]، أي من كل أمة. وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [٢٥] أَوْلَيْكَ الْمَقَرُونَ [٢٦]، ثم قال: أولهم رَوَّاحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله. وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَقَرِّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فَمَنْ سَابَقَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَسَبَقَ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ كَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْكِرَامَةِ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِسْمِ الْعَمَلِ، وَكَمَا تَذِينَ تُدَانِ. ولهذا قال تعالى: ﴿أَوْلَيْكَ الْمَقَرُونَ﴾ [٢٧] فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن زكريا القزازي، حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو قال: قالت الملائكة: يا رب، جعلت لبي آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة. فقال: لا أفعل. فراجعوا ثلاثاً، فقال: لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [٢٨] أَوْلَيْكَ الْمَقَرُونَ [٢٩] فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ [٣٠]. وقد رَوَى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية)، ولفظه: فقال الله - عز وجل -: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان.

(١) أخرجه أحمد ٢٣٩/٥. وإسناده ضعيف جداً. له علتان: الحسن لم يسمع من معاذ بل توفي معاذ سنة ١٨ والحسن ولد بعد سنة (٢٠). وفيه البراء بن عبد الله الغنوي، ضعفه أحمد وابن معين وابن حبان وأبو الوليد والنسائي. وقال ابن عدي: أحاديثه عن أبي نضرة غير محفوظة. ولا أعلم أنه يروي عن غيره اهـ «الميزان». وأعله الهيثمي في «المجمع» ١١٣٩٨ بالانقطاع. والبراء الغنوي، لكن نقل عن ابن عدي قوله: وهو أقرب إلى الصدق منه إلى الضعف اهـ. وتقدم أنه ضعفه غير واحد. وهذا المتن منكر بذكر الآيتين، وبدونهما له شواهد كثيرة راجع «المجمع» ١٨٦/٧ - ١٨٩، والله أعلم.

(٢) ضعيف. أخرجه أحمد ٦٩/٦ من حديث عائشة، ورجاله ثقات سوى ابن لهيعة، فقد ضعفه الجمهور بسبب اختلاطه. والله أعلم.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ﴾ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَأْكُوبُونَ وَأَبْزِقُونَ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَرُهُمَا يَخَافُونَ أَنْ يَحْتَرَكَ الْكَوْنُ ﴿٢٠﴾ وَلَعَبٍ رَطْبٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الذُّلُولِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلثة، أي: جماعة من الأولين، وقليل من الآخرين. وقد اختلفوا في المراد بقوله: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ و ﴿الْآخِرِينَ﴾. فقليل: المراد بالأولين الأمم الماضية، وبالآخرين هذه الأمة. هذا رواية عن مجاهد، والحسن البصري، رواها عنهما ابن أبي حاتم، وهو اختيار ابن جرير. [٦٥١٣] واستأنس بقوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»^(١). ولم يحك غيره، ولا عزاه إلى أحد.

[٦٥١٤] ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا رُبْعُ أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة - أو: شطر أهل الجنة - وثقاسمؤنهم النصف الثاني»^(٢). ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد بن يثيع الملاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، فذكره.

[٦٥١٥] وقد روي من حديث جابر نحو هذا؛ رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار. حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ: «لما نزلت: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾»، ذكر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، قال عمر: يا رسول الله، ثلثة من الأولين وقليل منا؟ قال: فأمسك آخر السورة سنة، ثم نزل: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، تعال فاسمع ما قد أنزل الله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، ألا وإن من آدم إلي ثلثة، وأمتي ثلثة، ولن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل، ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(٣). هكذا أوردته في ترجمة عروة بن رويم، إسناداً وممتناً، ولكن في إسناده نظر.

[٦٥١٦] وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا رُبْعُ أهل الجنة»^(٤)... الحديث بتمامه، وهو مفرد في صفة الجنة والله الحمد والمنة. وهذا الذي اختاره ابن جرير هنا فيه نظر، بل هو قول ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقرَّبون في غيرها أكثر منها،

(١) هو بعض حديث متفق عليه، وهو في فضل يوم الجمعة، وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة محمد بن عبد الرحمن وأبيه، وأخرجه أحمد ٣٩١/٢ عن شريك به لكن قال: عن محمد بن يثيع الملاء عن أبيه، وهما واحد. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٨/١: محمد وأبوه لم أعرفهما.

(٣) في إسناده عبد ربه بن صالح، وثقه ابن حبان وحده. وفيه عروة بن رويم، وهو كثير الإرسال. ذكره الحافظ في «التهذيب» وأشار إلى أن روايته عن جابر قيل: إنها رسالة أهد والمتن غريب، وفيه نكارة.

(٤) تقدم مطولاً.

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَابِلَ مَجْمُوعُ الْأُمَمِ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم، فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣)، أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤)، أي: من هذه الأمة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عَفَّان، حدثنا عبد الله بن بكر المزني، وسمعت الحسن أتى على هذه الآية: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ، فقال: أما السَّابِقُونَ فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين.

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السري بن يحيى قال: قرأ الحسن: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ (١٦) فِي جَنَّتِ التَّيْمِ (١٧) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ، قال: ثُلَّةٌ مِّنْ مَّضَى مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وحدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة الجعفي، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ، قال: كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم، كل أمة بحسبها.

[٦٥١٧] ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (١). الحديث بتمامه.

[٦٥١٨] فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زياد أبو عمرو، عن الحسن، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر، لا يذرى أوله خير أم آخره» (٢). فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده محمول على أن الذين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولاه ما ثبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها.

[٦٥١٩] ولهذا قال - عليه السلام -: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة». - وفي لفظ: «حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (٣). والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها. وأعلى منزلة، لشرف دينها وعظم نبيها.

[٦٥٢٠] ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وفي لفظ: «مع كل ألف سبعون ألفاً» وفي آخر: «مع كل واحد سبعون ألفاً» (٤).

[٦٥٢١] وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هاشم بن مزيد الطبراني، حدثنا محمد - هو ابن

(١) تقدم في سورة الفرقان آية ٣٨. وقوله «خير القرون» هكذا اشتهر على الألسنة، ولكنه لم يرد في حديث صحيح ولا حسن، ولكن ورد في الصحاح والسنن بلفظ: «خير الناس قرني» ولفظ «خيركم قرني». والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد ٣١٩/٤ وهو حديث حسن، له شواهد، وتقدم.

(٣) تقدم في سورة البقرة آية ١٢٩.

(٤) تقدم تخريجه.

إسماعيل بن عياش - حدثني أبي، حدثني ضَمَضَمٌ - يعني ابن زُرعة - عن شَرِيح - هو ابن عُبيد - عن أبي مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لَيُبْعَثَنَّ منكم يومَ القيامة مثلُ الليلِ الأسودِ زُمرَةً جميعها يُحِيطُونَ الأرضَ، تقولُ الملائكة: لَمَّا جاء مع محمد ﷺ أكثرُ مما جاء مع الأنبياء - عليهم السلام»^(١).

[٦٥٢٢] وَحَسَنُ أَنْ يُذَكَّرَ هَا هُنَا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» حَيْثُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ بَنُ قَتَادَةَ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ مَطَرٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ الْمُسْتَفَاضِ الْفَرَزْيَابِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو وَهْبٍ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَنِ مُسَرِّحِ الْحَرَائِيِّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَطَاءٍ الْقُرَشِيُّ الْحَرَائِيُّ، عَنْ مُسْلَمَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي مَشْجَعَةَ بْنِ رَبِيعٍ، عَنْ ابْنِ زَمْلٍ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ قَالَ وَهُوَ ثَانٍ رَجُلِيهِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنْ اللَّهُ كَانَ ثَوَابًا» - سَبْعِينَ مَرَّةً - ثُمَّ يَقُولُ: «سَبْعِينَ بِسَبْعِمِئَةٍ، لَا خَيْرَ لِمَنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِئَةٍ». ثُمَّ يَقُولُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ النَّاسَ بِوَجْهِهِ، وَكَانَ تَعْجِبُهُ الرُّؤْيَا، ثُمَّ يَقُولُ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا؟». قَالَ ابْنُ زَمْلٍ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «خَيْرٌ ثَلَاثًا، وَشَرٌّ ثَوَقَاهُ، وَخَيْرٌ لَنَا، وَشَرٌّ عَلَى أَعْدَائِنَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَقْصَصُ رُؤْيَاكَ». فَقُلْتُ: رَأَيْتُ جَمِيعَ النَّاسِ عَلَى طَرِيقٍ رَحْبٍ سَهْلٍ لَاحِبٍ، وَالنَّاسُ عَلَى الْجَادَةِ مُنْطَلِقِينَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَشْفَى ذَلِكَ الطَّرِيقَ عَلَى مَرْجٍ لَمْ تَرَعْ عَيْنِي مِثْلَهُ يَرِفُ رَفِيفًا، يَقَطُرُ مَآؤُهُ، فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَالِ، قَالَ: وَكَانِي بِالرَّعْلَةِ الْأُولَى حِينَ أَشْفَوَا عَلَى الْمَرْجِ كَبُرُوا ثُمَّ أَكْبُوا رَوَّاحِلَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَلَمْ يَظْلُمُوهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، قَالَ: فَكَانِي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مُنْطَلِقِينَ. ثُمَّ جَاءَتِ الرَّعْلَةُ الثَّانِيَةُ وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ أَضْعَافًا، فَلَمَّا أَشْفَوَا عَلَى الْمَرْجِ كَبُرُوا ثُمَّ أَكْبُوا رَوَّاحِلَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، فَمِنْهُمْ الْمُرْتَعُ، وَمِنْهُمْ الْأَخِذُ الضُّغْبُ. وَمَضَوْا عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ عَظُمُ النَّاسِ فَلَمَّا أَشْفَوَا عَلَى الْمَرْجِ كَبُرُوا وَقَالُوا: هَذَا خَيْرُ الْمَنْزِلِ. كَانِي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَمِيلُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ لَزِمْتُ الطَّرِيقَ حَتَّى آتَى أَقْصَى الْمَرْجِ، فَإِذَا أَنَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مِئْبَرٍ فِيهِ سَبْعُ دَرَجَاتٍ وَأَنْتَ فِي أَعْلَاهَا دَرَجَةً، وَإِذَا عَنِ يَمِينِكَ رَجُلٌ أَدَمٌ شَثْلٌ أَقْنَى، إِذَا هُوَ تَكَلَّمَ يَسْمُو فَيَفْرَعُ الرِّجَالَ طَوْلًا، وَإِذَا عَنِ يَسَارِكَ رَجُلٌ زَبَنَةٌ تَارٌ كَثِيرٌ خِيْلَانِ الرَّجُلِ، كَأَنَّمَا حُمَمُ شَعْرِهِ بِالْمَاءِ، إِذَا هُوَ تَكَلَّمَ أَصْغَيْتُمْ إِكْرَامًا لَهُ، وَإِذَا أَمَامَ ذَلِكَ رَجُلٌ شَيْخٌ أَشْبَهَ النَّاسَ بِكَ خَلْقًا وَوَجْهًا، كُلُّكُمْ تَوْفُونَهُ تُرِيدُونَهُ، وَإِذَا أَمَامَ ذَلِكَ نَاقَةٌ عَجْفَاءُ شَارِفٌ، وَإِذَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ تَبْعُثُهَا. قَالَ: فَامْتَقِعْ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا مَا رَأَيْتَ مِنَ الطَّرِيقِ السَّهْلِ الرَّحْبِ اللَّاحِبِ، فَذَاكَ مَا حَمَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْيِ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِ. وَأَمَا الْمَرْجُ الَّذِي رَأَيْتَ فَالْدُّنْيَا وَغَضَارَةُ عَيْشِهَا، مَضِيَّتٌ أَنَا وَأَصْحَابِي لَمْ نَتَعَلَّقْ مِنْهَا بِشَيْءٍ، وَلَمْ نَتَعَلَّقْ مِنْهَا، وَلَمْ نُرِدْهَا وَلَمْ نُرْذَنْهَا. ثُمَّ جَاءَتِ الرَّعْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ بَعْدِنَا وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْهَا أَضْعَافًا، فَمِنْهُمْ الْمُرْتَعُ وَمِنْهُمْ الْأَخِذُ الضُّغْبُ، وَنَجَّوْا عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَ عَظُمُ النَّاسِ فَامْأَلُوا فِي الْمَرْجِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَأَمَا أَنْتَ فَمَضِيَّتٌ عَلَى طَرِيقَةٍ صَالِحَةٍ فَلَنْ تَزَالَ عَلَيْهَا حَتَّى تَلْقَانِي، وَأَمَا الْجَمِينُ الَّذِي رَأَيْتَ فِيهِ سَبْعُ دَرَجَاتٍ وَأَنَا فِي أَعْلَاهَا دَرَجَةً، فَالْدُّنْيَا سَبْعَةُ أَلْفِ سَنَةٍ، أَنَا فِي آخِرِهَا أَلْفًا. وَأَمَا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَ عَلَى يَمِينِي الْأَدَمَ الشَثْلَ فَذَاكَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، إِذَا تَكَلَّمَ يَعْلُو الرِّجَالَ بِفَضْلِ كَلَامِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَالَّذِي رَأَيْتَ عَنِ يَسَارِي الثَّارَ الرَّبْعَةَ الْكَثِيرَ خِيْلَانِ الرَّجُلِ كَأَنَّمَا حُمَمُ شَعْرِهِ بِالْمَاءِ فَذَاكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، نُكْرِمُهُ لِإِكْرَامِ اللَّهِ إِلَيْهِ. وَأَمَا الشَّيْخُ الَّذِي رَأَيْتَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِي خَلْقًا وَوَجْهًا فَذَاكَ أَبُونَا إِبْرَاهِيمَ، كُلُّنَا نَوْمُهُ وَنَقْتَدِي بِهِ. وَأَمَا النَّاقَةُ الَّتِي رَأَيْتَ وَرَأَيْتَنِي أَبْعَثُهَا، فَهِيَ السَّاعَةُ، عَلَيْنَا تَقْوَمُ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا أُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّتِي».

(١) ضعيف. أخرجه الطبراني ٣٤٥٥ وقال الهيثمي ١٨٦٨٥: فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.

قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل، فيُحَدِّثُهَا مُتَبَرِّعاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شُرَرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾^(١٥) - قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب، يعني: منسوجة به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، وغيره. وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مُشْبِكَةٌ بالدُرِّ والياقوت. وقال ابن جرير: ومنه سُمِّيَ وَضِيعُ الناقة التي تحت بطنها، وهو فعيل بمعنى مفعول، لأنه مضفور، وكذلك السرر في الجنة مَضْفُورَةٌ بالذهب واللالء. وقوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ مَنَاقِبِهِمْ﴾^(١٦)، أي: وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد. ﴿يُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ مَّحْدُونٌ﴾^(١٧)، أي: مُخَلَّدُونَ على صفة واحدة، لا يَكْبَرُونَ عنها ولا يَتَغَيَّرُونَ، ﴿يَاكُوبَ وَيَأْرَافِقَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا نَمِيمٌ﴾^(١٨)، أما الأكوأب فهي الكيزان التي لا حَرَاطِيمَ لها ولا آذَان، واليأريق: التي جمعت الوصفين. والكؤوس: الهنابات، والجميع من خمر من عَيْن جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عُيُونٍ سَارِحَةٍ. وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾^(١٩)، أي: لا تُصَدِّعُ رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة. ورَوَى الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خِصَالٍ: السكر، والصداع، والقيء، والبول. فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهاها عن هذه الخصال. وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطية، وقتادة، والسدي: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا﴾، يقول: ليس لهم فيها صداع رأس. وقالوا في قوله: ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾، أي: لا تذهب بعقولهم. وقوله تعالى: ﴿وَنَكَّهَتْ مِنَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾^(٢٠) وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَّا يَتَخَيَّرُونَ، أي: وَيَطْوِفُونَ عَلَيْهِمْ بما يَتَخَيَّرُونَ من الثمار. وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك: حديث عكراش بن دؤيب الذي، رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي - رحمه الله - في مُسْنَدِهِ:

[٦٥٢٣] حدثنا العباس بن الوليد الثوري، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، حدثنا عبيد الله بن عكراش، عن أبيه عكراش بن دؤيب قال: بعثني بنو مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقَدِمْتُ المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار، وقَدِمْتُ عليه بإبلٍ كانها غُرُوقُ الْأَرطَى^(٢١)، قال: «مَنْ الرجل؟» قلت: عكراش بن دؤيب. قال: «ارفع في النسب»، فانتسبت له إلى مرة ابن عبيد، وهذه صدقة مرة بن عبيد. فتَنَسَّمَ رسول الله ﷺ وقال: «هذه إبل قومي، هذه صدقات قومي». ثم أمر بها أن تُوسَمَ بِمِيسَمٍ إبل الصدقة وتُضَمَّ إليها. ثم أَخَذَ بيدي فانطلقنا إلى مَنْزِلِ أُمِ سَلَمَةَ، فقال: «هل من طعام؟» فأَتَيْنَا بِجَفْنَةٍ كَثِيرَةٍ الثَّرِيدِ وَالْوَدَرِ^(٢٢)، فجعل يأكل منها، فأقبلت أخبط بيدي في جَوَانِبِهَا، فقبض رسول الله ﷺ بيده

(١) ضعيف جداً. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣٦/٧ - ٣٨ وابن حبان في «المجروحين» ٣٢٩/١ - ٣٢١ من حديث ابن زمل الجهني. قال ابن حبان: سليمان بن عطاء شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني أشياء موضوعة، لا تشبه حديث الثقات، فلست أدري التخليط فيها منه، أو من مسلمة بن عبد الله اهـ. ومسلمة الجهني مجهول. قاله أبو حاتم كما في «التهذيب» ١٠/١٤٤ اهـ وبعض الثن منكر جداً، من ذلك «فالدنيا سبعة آلاف سنة» فهذا باطل لا أصل له. وقوله: «لا أحب: واسع. والجاذة: وسط الطريق. وأشفى: أشرف. والرعة: الجماعة القليلة أو التي تتقدم غيرها. ولم يظلموا الطريق: لم يعدلوا عنها. والصفث: ملء اليد من الحشيش المختلط. وشثل: غليظ الأصابع خشنها. والأقنى: من أنفه مرتفع من الأعلى ومحدود من الوسط. والثار: الممتلئ الجسم. والحيلان: جمع خال، وهو الشامة. والعجفاء: الهزيلة. والشارف: المستة.

(٢) الأرطى: ضرب من الشجر.

(٣) الوذرة: قطعة اللحم الصغيرة، لا عظم فيها.

اليسرى على يدي اليمنى، فقال: «يا عكراش، كُلْ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ طَعَامٌ وَاحِدٌ». ثم أتينا بطبق فيه تمر - أو رطب، شك عبيد الله رطباً كان أو تمرأ - فجعلت أكل من بين يدي، وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق، وقال: «يا عكراش، كُلْ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ، فَإِنَّهُ غَيْرُ لَوْحٍ وَاحِدٍ». ثم أتينا بماء ففسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثاً، ثم قال: «يا عكراش، هذا الوضوء مما غيّرت النار»^(١). وهكذا رواه الترمذي مطولاً وابن ماجه جميعاً، عن محمد بن بشار، عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل، به. وقال الترمذي: «غريب لا نعرفه إلا من حديثه».

[٦٥٢٤] وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد وعفان - وقال الحافظ أبو يغلى: حدثنا شيبان - قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس: كان رسول الله ﷺ يُعْجِبُهُ الرُّوْيَا، فَرُبَّمَا رَأَى الرَّجُلَ الرُّوْيَا فَسَأَلَ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ، فَإِذَا أَتْنِي عَلَيْهِ مَعْرُوفٌ كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ، فَأَتَنَّهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! رَأَيْتُ كَانِي أُتِيتُ فَأَخْرِجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَدْخَلْتَ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ وَجِبَةً ارْتَجَتْ لَهَا الْجَنَّةُ، فَظَنَنْتُ فَإِذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَفُلَانُ بْنُ فُلَانٍ - فَسَمِعْتُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، قَدْ بَعَثَ سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ - فَجِئَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلُسٌ^(٢) تَشْخَبُ أَوْدَاجَهُمْ، فَقِيلَ: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهْرِ الْبَيْدَخِ - أَو: الْبِيذَاجِ - قَالَ: فَغَمِسُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا وَوُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَأَتُوا بِصُخْفَةٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَسْرٌ فَأَكَلُوا مِنْ بُسْرِهِ مَا شَاؤُوا، فَمَا يَقْبَلُونَهَا مِنْ وَجْهِهِ إِلَّا أَكَلُوا مِنَ الْفَاكِهَةِ مَا أَرَادُوا، وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ. فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ، فَقَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا، فَأَصِيبُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ. حَتَّى عَدَّ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ فَقَالَ: «قُصِّي رُؤْيَاكِ». فَقُصَّتْهَا، وَجَعَلْتُ تَقُولُ: فَجِئَ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ كَمَا قَالَ^(٣). هَذَا لَفْظُ أَبِي يَغْلَى، قَالَ الْحَافِظُ الضَّيَاءُ: وَهَذَا عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

[٦٥٢٥] وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا مُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، حَدَّثَنَا رِيحَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَادِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا نَزَعَ ثَمَرَةً فِي الْجَنَّةِ عَادَتْ مَكَائِهَا أُخْرَى»^(٤).

[٦٥٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٥)؛ قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا سَيَّارُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَيْعِيُّ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ»^(٥) يَرَعَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ. فَقَالَ: «أَكَلْتُهَا أَنْعَمَ مِنْهَا - قَالَهَا ثَلَاثًا - وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا»^(٦). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(١) أخرجه الترمذي ١٨٤٨ وابن ماجه ٣٢٧٤ وإسناده ضعيف، له علشان. العلاء بن الفضل، ضعفه الحافظ في «التقريب». وشيخه ابن عكراش. قال الذهبي في «الميزان» ٥٣٨٣: فيه جهالة، وقال ابن حبان: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مجهول اهـ وفي التهذيب عن البخاري قال: لا يثبت حديثه.

(٢) الثوب الأطلس: المغير.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ١٣٥/٣ وإسناده على شرط مسلم، وكذا صححه الحافظ المقدسي.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٤٤٩ والبخاري ٣٥٣٠ وقال الهيثمي ١٨٧٣١: ورجال الطبراني وأحد إسناده البزار ثقات.

(٥) هي نوق خراسان، وما وراء النهر.

(٦) صحيح. أخرجه أحمد ٢٢١/٣ وقال الهيثمي: ١٨٧٣٣: ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم، وهو ثقة اهـ. وقال الحافظ: صدوق. وجوده المنذري في «الترغيب» ٥٥٠٦، وصححه العراقي في «الإحياء» ٥٢٤/٤، وله شواهد.

[٦٥٢٧] وَرَوَى الْحَافِظ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُقَدِّسِيُّ فِي كِتَابِهِ صِفَةُ الْجَنَّةِ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ الْخُطْبِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْخُيَاطِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ زُرْعَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذُكِرَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ طُوبَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ هَلْ بَلَغَكَ مَا طُوبَى؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «طُوبَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا يَعْلَمُ طَوْلُهَا إِلَّا اللَّهُ، يَسِيرُ الرَّابِثُ تَحْتَ غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَزَقَقَهَا الْحُلُّ، يَقَعُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هُنَاكَ لَطَيْرًا نَاعِمًا. قَالَ: «أَنْعَمَ مِنْهُ مَنْ يَأْكُلُهُ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

[٦٥٢٨] وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا وَمَا يُغْنِيكُمْ عَنْهَا كِتَابَ اللَّهِ﴾: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَى طَيْرَهَا نَاعِمَةً كَمَا أَهْلُهَا نَاعِمُونَ. قَالَ: «مَنْ يَأْكُلُهَا - وَاللَّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ - أَنْعَمَ مِنْهَا، وَإِنِهَا لَأَمْثَالُ الْبُخْتِ، وَإِنِّي لَأَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ»^(٢).

[٦٥٢٩] وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنِي ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَوْثَرِ فَقَالَ: «نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْجَنَّةِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طَيُورٌ أَعْنَاقُهَا يَعْنِي كَأَعْنَاقِ الْجُزْرِ». فَقَالَ عُمَرُ: إِنِهَا لِنَاعِمَةٌ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»^(٣). وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنِ الْقُتَيْبِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ شِهَابٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسٍ وَقَالَ: «حَسَنٌ».

[٦٥٣٠] وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسي، حَدَّثَنَا أَبُو معاوية، عَنْ عُبيدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيِّ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَطَيْرًا فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ رِيْشَةٍ، فَيَقَعُ عَلَى صَحْفَةِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَنْتَفِضُ، فَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ رِيْشَةٍ، يَعْنِي لَوْنًا أبيضَ مِنَ اللَّبَنِ، وَاللَّيْنِ مِنَ الزَّيْدِ، وَأَعْذَبَ مِنَ الشَّهْدِ، لَيْسَ مِنْهَا لَوْنٌ يُشَبِّهُ صَاحِبَهُ ثُمَّ يَطِيرُ»^(٤). هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا، وَالْوَصَّافِيُّ وَشَيْخُهُ ضَعِيفَانِ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ كَعْبٍ قَالَ: إِنَّ طَائِرَ الْجَنَّةِ أَمْثَالُ الْبُخْتِ يَأْكُلُنَ مِمَّا خُلِقَ مِنْ ثَمَرَاتِ الْجَنَّةِ، وَيَشْرَبُنَ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَصْطَفِفْنَ لَهُ، فَإِذَا اشْتَهَى مِنْهَا شَيْئًا أَتَاهُ حَتَّى يَقَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَأْكُلُ مِنْ خَارِجِهِ وَدَاجِلِهِ، ثُمَّ يَطِيرُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ. صَحِيحٌ إِلَى كَعْبٍ.

[٦٥٣١] وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ: حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ حُمَيْدِ الْأَعْرَجِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ، فَيَخْرُجُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْرُوءًا»^(٥).

(١) إسناده ضعيف، فيه مجاهيل، وعجزه محفوظ بما قبله دون صدره.

(٢) هذا مرسل، لكن يصلح شاهداً في أحاديث الباب.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٤٢ وأحمد ٣/٢٢٠ - ٢٢١ وهناد في «الزهد» ١٣٦ والحاكم ٥٣٧/٢ وأبو نعيم ٣٤٢ وإسناده صحيح، ابن أخي ابن شهاب هو محمد بن عبد الله بن مسلم، والحديث صحيحه الحاكم، ووافقه الذهبي. والجزر: النوق.

(٤) ضعيف جداً. أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٤٠ وله علتان، عبيد الله الوصافي، ضعيف، وكذا عطية بن سعد العوفي. ضعيف كما ذكر المصنف، والمتن منكر.

(٥) ضعيف جداً. أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٤١ وابن عدي ٦٩٨/٢ والعقيلي في «الضعفاء» ٢٦٨/١ وإسناده وإياه، فيه حميد بن عطاء الأعرج، وهو ضعيف متروك، والصحيح موقوف.

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٧) كَأَنْتَلَى اللَّوْلُؤِ الْكَكُورِ: قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حورٌ عِينٌ. وقراءة الجرّ تحتل معنيين، أحدهما: أن يكون الإعراب على الإتيان بما قبله، لقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (٢٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّيِّينَ ﴿٢٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَذَرُونَ ﴿٢٩﴾ وَفَكَهَمُوا مِمَّا انتَحَبْتُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَمْ يَلْمِزْهُمْ عَزَافٌ ﴿٣١﴾ وَحُورٌ عِينٌ. كما قال تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، وكما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. والاحتمال الثاني: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العِين، ولكن يكون ذلك في القصور، لا بين بعضهم بعضاً، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العِين، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿كَأَنْتَلَى اللَّوْلُؤِ الْكَكُورِ﴾ (٢٧)، أي: كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه، كما تقدم في سورة الصافات: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ تَكُونُ﴾ (٤١). وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضاً، ولهذا قال: ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤)، أي: هذا الذي أنحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل. ثم قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَكًا سَلَكًا، أي: لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً، أي: غثاً خالياً من المعنى، أو مشتبهاً على معنى حقير أو ضعیف، كما قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) [الغاشية: ١١]، أي: كلمة لاغية ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾، أي: ولا كلاماً فيه قبح، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكًا سَلَكًا﴾ (٢٦)، أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض. كما قال تعالى: ﴿يَحْمِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿١٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿١١﴾ وَفَكَهَمُوا كَثِيرًا ﴿١٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿١٣﴾ وَفُشٍّ مَّرْجُوعَةٍ ﴿١٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿١٥﴾ لِّجَعَلْنَهُنَّ أَزْكَارًا ﴿١٦﴾ عُرًى أَرْبَابًا ﴿١٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَوَّلِينَ ﴿١٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنْ آخِرِينَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين - وهم المقرَّبون - عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار - كما قال ميمون بن مهران: أصحاب اليمين منزلة دون المقرَّبين - فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٧)، أي: أي شيء أصحاب اليمين؟ وما حالهم؟ وكيف مآلهم؟ ثم فسّر ذلك فقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ (٨)، قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وأبو الأحوص، وقسامة بن زهير، والسفر بن نسير، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، والسدي، وأبو حذرة، وغيرهم: هو الذي لا شوك فيه. وعن ابن عباس: هو الموقر بالثمر. وهو رواية عن عكرمة، ومجاهد. وكذا قال قتادة أيضاً: كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك فيه. والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا، لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله.

[٦٥٣٢] كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد: حدثنا محمد بن محمد - هو البَغَوِي -، حدثني حمزة بن عباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعا بالأعراب ومسائلهم؛ قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله! ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السدر، فإن له شوكاً مؤذياً فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ (٨)، خَضَدَ اللَّهُ

شَوْكُهُ^(١)، فجعل مكان كُلِّ شوكَةٍ ثَمَرَةً، فإنها لتنبت ثمرًا تَفْتَقُ الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام، ما فيها لون يُشَبِّهُ الآخر^(٢).

[٦٥٣٣] طريق أخرى، قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن أبي داود: حدثنا محمد بن المصنف، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى بن حَمَزَةَ، حدثني ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد، عن عُثْبَةَ بن عُبَيْدِ السلمي قال: كنتُ جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله! أسمعُكَ تذكر في الجنة شجرة لا أعلمُ شجرةً أكثرَ شوكاً منها؟ يعني الطَّلَحَ. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يجعلُ مكانَ كُلِّ شوكَةٍ منها ثمرةً مثل خُصْوَةِ التَّيْسِ الملبُودِ، فيها سبعون لونا من الطعام، لا يُشَبِّهُ لونُ الآخر^(٣)». وقولُه: ﴿وَلَطِجْ مُنْشُورٌ﴾، الطَّلَحُ: شجر عظام يكون بأرض الحجاز، من شجر العِصَاهِ، واحدته طَلْحَةٌ، وهو شجر كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحُداة:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ: غَدَا تَرَيْنَ الطَّلَحَ وَالْجِبَالَ

وقال مجاهد: ﴿مُنْشُورٌ﴾، أي: مُتَرَاكِمُ الثمر، يُذَكِّرُ بذلك قريشاً، لأنهم كانوا يُغْجَبُونَ من وَجْهِهِ، وظلاله من طَلَحٍ وسِدْرٍ. وقال السدي: ﴿مُنْشُورٌ﴾: مصفوف. قال ابن عباس: يُشَبِّهُ طَلَحَ الدنيا، ولكن له ثمرٌ أحلى من العَسَلِ. قال الجوهري: والطَّلَحُ لغةٌ في الطَّلَحِ. قلتُ: وقد رَوَى ابنُ أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد، عن شيخ من همدان قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: هذا الحرف في ﴿وَلَطِجْ مُنْشُورٌ﴾، قال: طَلَحَ منضود. فعلى هذا يكون هذا من صفة السِّدْرِ، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شَوْكَ له، وأن طَلَحَهُ منضودٌ، وهو كثرة ثَمَرِهِ، والله أعلم. وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن إدريس، عن جعفر بن إياس، عن أبي نَضْرَةَ عن أبي سعيد ﴿وَلَطِجْ مُنْشُورٌ﴾، قال: المَوْزُ. قال: وَرَوَى عن ابن عباس، وأبي هريرة، والحسن، وعكرمة، وقسامة بن زهير، وقتادة، وأبي حَزْرَةَ، مثل ذلك. وبه قال مجاهد، وابنُ زيد - وزاد فقال: أهل اليمن يسمون المَوْزَ الطَّلَحَ. ولم يحك ابنُ جرير غير هذا القول.

[٦٥٣٤] وقولُه تعالى: ﴿وَلَطِجْ مُنْشُورٌ﴾. قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة - يبلغُ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرةً يسيرُ الرَّاكِبُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يَقْطَعُهَا، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَلَطِجْ مُنْشُورٌ﴾»^(٤). ورواه مسلم من حديث الأعرج، به.

[٦٥٣٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا سريج، حدثنا قُليج، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرٍو، عن أبي هريرة: قال قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرةً يَبِيرُ الرَّاكِبُ في ظلِّها مئةَ سَنَةٍ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَلَطِجْ مُنْشُورٌ﴾»^(٥). وكذا رواه البخاري، عن محمد بن سنان، عن قُليج، به. وكذا رواه عبد

(١) خضد العود: كسره وقطعه.

(٢) صحيح. رجاله ثقات، لكنه مرسل، وهو في «زوائد الزهد» ٢٦٣ عن صفوان به، وعزاه المنذري في «الترغيب» ٥٥١١ لابن أبي الدنيا، وقال: إسناده حسن. ووصله الحاكم ٤٧٦/٢ بذكر أبي أمامة، وإسناده حسن، وصححه، ووافقه الذهبي، ويشهد له ما بعده.

(٣) صحيح. وأخرجه الطبراني ١٣٠/١٧ وأبو نعيم ١٠٣/٦ وفي «صفة الجنة» ٣٤٧ من طرق عن يحيى به، وهذا إسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم سوى حبيب فإنه من رجال مسلم، وقال الهيثمي ١٨٧٣٠/١٠: رجاله رجال الصحيح.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨١ ومسلم ٢٨٢٦ وأحمد ٤١٨/٢ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٤٠٣.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٥٢ وأحمد ٤٨٢/٢.

الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة. وكذا رواه حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة. والليث ابن سعد، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة. وعوف، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة [به].

[٦٥٣٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: حدثنا شعبة، سمعت أبا الضحاک يحدث عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين، أو مئة سنة، هي شجرة الخلد»^(١).

[٦٥٣٧] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام ما يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَلَا تَمْدُدُّهُمُ﴾»^(٢). إسناده جيد، ولم يخرجوه. وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن عبدة وعبد الرحيم، عن محمد بن عمرو، به. وقد رواه الترمذي، من حديث عبد الرحيم بن سليمان، به.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، عن أبي هريرة قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَلَا تَمْدُدُّهُمُ﴾». فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق، والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلاً ركب جنة أو جذعة، ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هراً إن الله تعالى غرسها بيده ونفع فيها من روجه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

[٦٥٣٨] وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن منهل الضريز، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قول الله - عز وجل -: ﴿وَلَا تَمْدُدُّهُمُ﴾، قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها»^(٣). وكذا رواه البخاري، عن روح بن عبد المؤمن، عن يزيد بن زريع، به، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي، عن عمران بن داود القطان، عن قتادة، به. وكذا رواه معمر، وأبو هلال، عن قتادة، به.

[٦٥٣٩] وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مئة عام ما يقطعها»^(٤). فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث الثقات، لتعدد طرقه، وقوة أسانيده، وثقة رجاله.

[٦٥٤٠] وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حصين قال: كُتِبَ على باب في موضع، ومعنا أبو صالح وشقيق - يعني الضبي - فحدث أبو صالح قال: حدثني أبو هريرة قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً. قال أبو صالح: أنكذب أبا هريرة؟ قال: ما

(١) أخرجه أحمد ٤٥٥/٢ و٤٦٢ ولفظ «وهي شجرة الخلد» غريب في هذا المتن ولعله مدرج وتقدم الكلام على ذلك، وأصل الحديث صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٢٣ والطبري ٣٣٣٧٨ وإسناده حسن، وله طرق، لكن لفظ «واقرؤوا...» مدرج من كلام أبي هريرة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٥١ والترمذي ٣٢٨٩ وأحمد ٢٣٤/٣ وأبو يعلى ٢٩٩١ وعبد الرزاق ٢٠٨٧٦.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٥٣ ومسلم ٢٨٢٨.

أَكْذَبَ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَلَكِنِّي أَكْذَبُكَ أَنْتَ. فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْقَرَاءِ يَوْمَئِذٍ^(١). قُلْتُ: فَقَدْ أَبْطَلَ مِنْ كَذِّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، مَعَ ثُبُوتِهِ وَصِحَّتِهِ وَرَفْعِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

[٦٥٤١] وقال الترمذي: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ الْقَزَّازِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا سَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ»^(٢). ثُمَّ قَالَ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ».

وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، عَنْ زَمْعَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ وَهْرَامٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الظِّلُّ الْمَمْدُودُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سَاقٍ ظِلُّهَا قَدْرُ مَا يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي كُلِّ نَوَاحِيهَا مِثْلَ عَامٍ. قَالَ: فَيُخْرِجُ إِلَيْهَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَهْلُ الثَّرَفِ وَغَيْرِهِمْ، فَيَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا. قَالَ: فَيَسْتَهْطِئُ بَعْضُهُمْ وَيَذْكُرُ لَهْوَ الدُّنْيَا، فَيُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَحْرُكُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ لَهْوٍ فِي الدُّنْيَا. هَذَا أَثَرُ غَرِيبٍ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ حَسَنٌ.

وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُطَلَّى مَمْدُودٌ ۖ﴾^(٣)، قَالَ: سَبْعُونَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ بُنْدَارٍ، عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ سَفْيَانَ، مِثْلَهُ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ﴿وَيُطَلَّى مَمْدُودٌ ۖ﴾^(٤)، قَالَ: خَمْسَمِئَةِ أَلْفِ سَنَةٍ.

وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُطَلَّى مَمْدُودٌ ۖ﴾^(٥)، قَالَ: فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِثْلَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا.

[٦٥٤٢] وقال عوف، عَنْ الْحَسَنِ: بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِثْلَ عَامٍ، لَا يَقْطَعُهَا»^(٦). رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ. وَقَالَ شَيْبٌ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي الْجَنَّةِ شَجَرٌ لَا يَحْمِلُ، يُسْتَظَلُّ بِهِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ، وَالسَّديُّ، وَأَبُو حَزْرَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُطَلَّى مَمْدُودٌ ۖ﴾^(٧): لَا يَنْقَطِعُ، لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلَا حَرٌّ، مِثْلَ قَبْلِ طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْجَنَّةُ، سَجَسَجٌ، كَمَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْآيَاتُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَدَّحِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَكُلْهَا دَائِبًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٢٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فِي ظِلِّهِ وَعُثْيُونٌ﴾ [المرسلات: ٤١]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَلَأْ مَسْكُوبٌ﴾^(٨)، قَالَ الثَّوْرِيُّ: يَغْنِي بِجَرِيِّ فِي غَيْرِ أَخْدُودٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَلَأَ غَيْرَ مَاسٍ﴾ [محمد: ١٥].. الْآيَةُ، بِمَا أُغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا كَثِيرٌ ۖ لَا مَقْطُوعٌ وَلَا مَنُوعٌ﴾^(٩)، أَيُّ: وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ وَالْمَتْنُوعَةِ فِي الْأَلْوَانِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا لَا يَفْخَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) أخرجه الطبري ٣٣٣٨٣ وقد صح مرفوعاً لكن بلفظ «مائة عام» بدل «سبعين عاماً». قلت: وشقيق أحد الخوارج، لذا أنكر ذلك.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٢٥ وابن حبان ٧٤١٠ والخطيب ١٠٨/٥ وابن أبي داود في «البعث» ٦٦ وفيه زياد بن الحسن، يختلف فيه. فقال أبو حاتم: منكر الحديث. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الدارقطني: لا بأس به، ولا يحتج به أحد وبقيته رجاله ثقات. وورد عن سلمان موقوفاً أخرجه ابن أبي شيبة ٣٣٣/١٣ والبيهقي في «البعث» ٢٨٨ - ٢٨٩ وأبو نعيم ١/٢٠٢. ولعل الموقوف أشبه، والله أعلم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٣٨١ مرسلًا، وقد صح موصولاً كما تقدم.

قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴿البقرة: ٢٥﴾، أي: يُشَبِّهُ الشَّكْلُ الشَّكْلَ، ولكن الطعمَ غيرَ الطعم.

[٦٥٤٣] وفي الصحيحين في ذكر سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى قال: «فَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ وَنَبَقُهَا مِثْلُ قِلَافِ هَجْرٍ»^(١).

[٦٥٤٤] وفيهما أيضاً، من حديث مالك، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: خُسِفَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ، فَذَكَرَ الصَّلَاةَ. وفيه: قالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تَكْمَكَمْتَ. قال: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَّاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُوداً، وَلَوْ أَخَذْتَهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا»^(٢).

[٦٥٤٥] وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل، عن جابر قال: بينا نحن في صلاة الظهر، إذ تقدَّم رسول الله ﷺ فَتَقَدَّمْنَا مَعَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلْ شَيْئاً لِيَأْخُذَهُ ثُمَّ تَأَخَّرَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ لَهُ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صَنَعْتَ الْيَوْمَ فِي الصَّلَاةِ شَيْئاً مَا كُنْتُ تَصْنَعُهُ؟ قَالَ: «إِنَّهُ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنَ الزُّهْرَةِ وَالنُّضْرَةِ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفاً مِنْ عِنَبٍ لَأَتِيَكُم بِهِ، فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَوْ أَتَيْتُكُمْ بِهِ لَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَنْقُصُونَهُ»^(٣). وروى مسلم، من حديث أبي الزبير، عن جابر، نحوه.

[٦٥٤٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، أخبرنا معمر، عن يحيى ابن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي: أنه سَمِعَ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدِ السَّلَمِيِّ يَقُولُ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ وَذَكَرَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى»، [فَذَكَرَ شَيْئاً لَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ قَالَ: أَيُّ شَجَرٍ أَرْضُنَا تُشَبِّهُ؟ قَالَ: «لَيْسَتْ تُشَبِّهُ شَيْئاً مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ؟» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَتَيْتَ الشَّامَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «تُشَبِّهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةُ، تُنْبَتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، وَيَنْفَرِشُ أَعْلَاهَا»، قَالَ: مَا عِظَمَ أَصْلُهَا؟ قَالَ: «لَوْ ارْتَحَلْتَ جَذْعَةً مِنْ إِبِلٍ أَهْلِكَ مَا أَحَاطَتْ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوتُهَا هَرَمًا». قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَمَا عِظَمَ الْعِنَبُودُ؟ قَالَ: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ، لَا يَفْتَرُّ». قَالَ: فَمَا عِظَمَ الْحَبَّةُ؟ قَالَ: «هَلْ ذُبِيعُ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمَةٍ قَطُّ عَظِيمًا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَسَلِّحْ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أَمَكَ، فَقَالَ: اتَّخِذْ لَنَا مِنْهُ دَلُوءًا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشَبِّعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُوعَ﴾، أي: لَا تَنْقَطِعُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا، بَلْ أَكَلُهَا دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ أَبَدًا، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ شَيْءٌ. قال قتادة: لَا يَمْنَعُهُمْ مَنْ تَنَاوَلَهَا عُوْدٌ وَلَا شَوْكٌ وَلَا بُعْدٌ.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ و٣٨٨٧ ومسلم ١٦٤ ح ٢٦٤ وابن حبان ٧٤١٥ وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٩٠ و٤٣١ و٧٤٨ و٩٢٠٢ ومسلم ٩٠٧ وأبو داود ١١٨٩ والنسائي ١٤٦/٣ - ١٤٨ ومالك ١٨٦/١ - ١٨٧ وأحمد ٢٩٨/١ و٣٥٨ - ٣٥٩ وابن حبان ٢٨٣٢.

(٣) صحيح. إسناده حسن لأجل ابن عقيل، فإنه حسن الحديث، وتويع عند مسلم ٩٠٤.

(٤) أخرجه أحمد ١٨٣/٤ والطبراني ١٢٦/١٧ وإسناده ضعيف لجهالة عامر بن زيد.

[٦٥٤٧] وقد تقدم في الحديث: «إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَرُئِيَ مَرْوَعَةٌ﴾^(٢)، أي: عالية وطيئة ناعمة.

[٦٥٤٨] قال النسائي وأبو عيسى الترمذي: حدثنا أبو كريب، حدثنا رشدين بن سعد، عن عمرو ابن الحارث، عن ذراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَرُئِيَ مَرْوَعَةٌ﴾^(٣)، قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمئة عام»^(٤). ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال: وقال بعض أهل العلم: معنى هذا الحديث: ارتفاع الفُرش في الدرجات، وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض». هكذا قال: إنه لا يُعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد، وهو المصري، وهو ضعيف، وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير، عن أبي كريب، عن رشدين، به. ثم رواه هو وابن أبي حاتم، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، فذكره. وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن نعيم بن حماد، عن ابن وهب. وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرمله، عن ابن وهب، به، مثله. ورواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسى، عن ابن لهيعة، حدثنا ذراج، فذكره. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن جوير، عن أبي سهل - يعني كثير بن زياد - عن الحسن: ﴿وَرُئِيَ مَرْوَعَةٌ﴾^(٥)، قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾^(٦) ﴿جَعَلْنَهُمْ أَبْكَارًا﴾^(٧) ﴿عُرْبًا أَزْكَاءَ﴾^(٨) ﴿لَا ضَحْبَ أَلْيَيْنَ﴾^(٩)، جرى الضمير على غير مذكور لكن لما دل السياق، وهو ذكر الفُرش على النساء اللاتي يُضاجعن فيها، أكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصُّفُوفُ الثَّلَاثُ﴾^(١٠) ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣١ - ٣٢]، يعني الشمس، على المشهور من قول المفسرين. وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾^(١١): «أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك. وقال أبو عبيدة: دُكرن في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَيْنٌ﴾^(١٢) كَأَمْثَلِ الذُّلُومِ الْمَكُونِ». فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ﴾^(١٣)، أي: أعدناهن في النشأة الآخرة، بعدما كن عجائز رُمنصاً صرناً أبكاراً عُرْباً، أي: بعد الثبوت عُدُن أبكاراً عُرْباً، أي: مُتَحَبِّاتٍ إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة، وقال بعضهم ﴿عُرْبًا﴾^(١٤)، أي: غَنَجَاتٍ.

[٦٥٤٩] قال موسى بن عبيدة الزبدي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾^(١٥)، قال: أنشأ عجائز كن في الدنيا عُمُشاً رُمنصاً^(١٦). رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم. ثم قال الترمذي: «غريب، وموسى ويزيد ضعيفان».

[٦٥٥٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الجمنصي، حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس - حدثنا شيبان، عن جابر، عن يزيد بن مرة، عن سلمة بن يزيد قال: سمعت رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ﴾

(١) تقدم قبل أحاديث.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٤ والطبري ٣٣٣٩٠ من حديث أبي سعيد. قال الترمذي: حسن غريب اهـ ورشدين ضعيف لكن توبع عند الطبري ٣٣٣٩١ وغيره. وإنما مداره على دراج، وهو ضعيف، وبخاصة في روايته عن أبي الهيثم. وهذا منها، والله أعلم.

(٣) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٦ والطبري ٣٣٣٩٥ و٣٣٣٩٦ و٣٣٣٩٧ والبيهقي في «البعث» ٣٨٠ وإسناده واه، موسى ويزيد واهيان.

إِنَّشَاءً ﴿٢٥﴾، «يعني: الشيب والأبكار اللاتي كُنَّ في الدنيا»^(١).

[٦٥٥١] وقال عبد بن حميد: حدثنا مُصْعَبُ بْنُ الْيَقْدَامِ، حدثنا المُبَارَكُ بْنُ قُضَالَةَ، عن الحسن قال: أتت عَجُوزٌ فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يُدْخِلَنِي الجنة. فقال: «يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عَجُوزٌ». قال: فَوَلَّتْ تبكي قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عَجُوزٌ، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً فَمَكَّنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾»^(٢). وهكذا رواه الترمذي في الشمائل، عن عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ.

[٦٥٥٢] وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ الدِّمَاطِيُّ، حدثنا عمرو بن هاشم البَيْرُوتِيُّ، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٣)، قال: «حُورٌ: بِيضٌ، عَيْنٌ: ضِحَامُ الْعُيُونِ، شُفْرُ الْحَوَارِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ الشَّيْرِ». قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ﴾^(٤)، قال: «صفاؤه صفاء الدر الذي في الأصداف، الذي لم تَمَسَّهُ الأيدي». قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيَنِّ خَيْرٌ حَسَانٌ﴾^(٥) [الرحمن: ٧٠]. قال: «خَيْرَاتُ الأخلاق، حَسَانُ الوجوه». قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ بِيضَ مَكُونٍ﴾^(٦) [الصفات: ٤٩]، قال: «رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الْجِلْدِ الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر، وهو الغزقي». قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قوله: ﴿عُرَى أَزْوَاجٍ﴾^(٧). قال: «عُرَى اللواتي قُبِضْنَ في دار الدنيا عَجَائِزٌ رُمَصًا شُغَطًا، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عَذَارَى غُرَبَاءَ: مُتَعَشِّقَاتٍ مُتَحَبِّبَاتٍ، أتراباً على ميلادٍ واحد». قلت: يا رسول الله! نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كَفَضَلِ الظَّهارة على البطانة». قلت: يا رسول الله، وبِمَ ذاك؟ قال: «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بِيضَ الألوان، خُضِرَ الثياب، صُفِرَ الحُلِي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يَقْلُنَ: نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طُوبَى لمن كُنَّا له وكان لنا». قلت: يا رسول الله! والمرأة مِمَّا تَتَزَوَّجُ زوجين والثلاثة الأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، مَنْ يكون زوجها؟ قال: «يا أم سلمة! إنها تُخَيَّرُ فتختار أحسنهم خُلُقًا، فتقول: يا رب! إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزَوِّجْنِي، يا أم سلمة ذَهَبَ حَسَنُ الْخَلْقِ بخير الدنيا والآخرة»^(٨).

[٦٥٥٣] وفي حديث الصور الطويل المشهور أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْفَعُ لِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فيقول الله: قد شَفَعْتُكَ وَأَذْنْتُ لَهِمْ فِي دُخُولِهَا. فكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما يُنْشِئُ الله، وثنتين من وَلَدِ آدَمَ، لهما فَضْلٌ على مَنْ أَنشَأَ الله، بعبادتهما الله في

(١) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٣٩٣ والطبراني ٦٣٢١ من حديث سلمة بن يزيد. وإسناده ضعيف جداً، لأجل جابر بن يزيد الجعفي، وبه أهله الهيثمي في «المجمع» ١١٣٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢٤٠ والبغوي في «التفسير» ٢٨٣/٤، وهو مرسل. لكن أصله صحيح، ففي الباب أحاديث.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٤٠٢ والطبراني كما في «المجمع» ١٨٧٥٥ وابن مردويه كما في «تفريج الكشاف» ٤/٤٦١ من حديث أم سلمة. وقال الهيثمي: في إسناده سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف اهـ وضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: أحاديثه منكاهة.

الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة، على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ، عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفَيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبده لها مرآة، يعني وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا يملها ولا تمل، ولا يأتيها من مرّة إلا وجدّها عذراء، ما يفتّر ذكره ولا تشكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية، فبينما هو كذلك إذ نودي: إنا قد عرفنا أنّك لا تمل ولا تمل، إلا أن لك أزواجاً غيرها. فيخرج، فيأتيهنّ واحدة واحدة، كلّما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إليّ منك^(١).

[٦٥٥٤] وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن ذراج، عن ابن حَجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال له: أنطأ في الجنة؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده، دَخَمَا دَخَمَا^(٢)، فإذا قام عنها رجعت مُطهرة بكرًا^(٣).

[٦٥٥٥] وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي، حدثنا شريك، عن عاصم الأحول، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عُذْنُ أَبْكَارًا»^(٤).

[٦٥٥٦] وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عمران، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةٌ كَذَا وَكَذَا فِي النِّسَاءِ». قلت: يا رسول الله! وَيَطِيقُ ذَلِكَ؟ قال: «يُعْطَى قُوَّةٌ مِثْلُ^(٥)». وزوّاه الثرمذي من حديث أبي داود وقال: «صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

[٦٥٥٧] وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِيِّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصُلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِ عِذْرَاءٍ»^(٦). قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على شرط الصحيح، والله أعلم.

وقوله: ﴿عُرْبًا﴾، قال سعيد بن جبّير، عن ابن عباس: يعني مُتَحَبِّبَاتٍ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الثَّاقِفَةِ الضَّبْعَةِ، هِيَ كَذَلِكَ. وقال الضحّاك، عن ابن عباس: الْعُرْبُ: الْعَوَاشِقُ لِأَزْوَاجِهِنَّ، وَأَزْوَاجِهِنَّ لِهِنَّ عَاشِقُونَ. وكذا قال عبد الله بن سرجس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيى بن أبي كثير، وعطية، والحسن، وقتادة، والضحّاك، وغيرهم. وقال ثور بن زيد، عن عكرمة قال: سئِلَ ابن عباس عن قوله: ﴿عُرْبًا﴾، قال: هِيَ الْمَلَقَةُ لِزَوْجِهَا. وقال شعبة، عن سماك، عن عكرمة: هِيَ الْغَنِيَّةُ. وقال الأجلح بن عبد

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» ٦٦٩ وغيره، وإسناده ضعيف، وتقدم الكلام على حديث الصور باستيفاء.

(٢) دَخَمَا: دفعه بشدة.

(٣) إسناده ضعيف، لأنه من رواية ذراج عن أبي الهيثم. وتقدم تخريجه.

(٤) إسناده ضعيف جداً. أخرجه البزار ٣٥٢٧ والطبراني في «الصغير» ٢٤٩ وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي. وهو متروك. وإتيمه الدارقطني وعليه المديني بالكذب.

(٥) حسن. أخرجه الطيالسي ٢٠١٢ وإسناده لا بأس به لأجل عمران القطان، لكن له شواهد منها الآتي.

(٦) صحيح. أخرجه الطبراني في الأوسط ٥٢٦٣ وأبو نعيم ٣٧٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم، وقال الضياء: على شرط الصحيح، ووافقه ابن كثير.

الله، عن عِكْرَمَةَ: هي الشُّكْلَةُ. وقال صالح بن حيّان، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ في قوله: ﴿عَرَبًا﴾، قال: الشُّكْلَةُ بلغة أهل مكة، والعَنْجَبَةُ بلغة أهل المدينة. وقال تميم بن حَذَلَم: الحسنَةُ التَّبَلُّلُ. وقال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: العُرْبُ: حَسَنَاتُ الْكَلَامِ.

[٦٥٥٨] وقال ابنُ أبي حاتم: ذُكِرَ عن سهل بن عثمان العسكري: حدثنا أبو علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿عَرَبًا﴾ قال: كَلَامُهُمْ عَرَبِيٌّ^(١).

وقوله: ﴿أَرْبَابًا﴾، قال الضُّحَّاك، عن ابن عباس: يعني في سِنٍّ واحدة، ثلاث وثلاثين سنة. وقال مجاهد: الأتراب: المستويات. وفي رواية عنه: الأمثال. وقال عطية: الأقران. وقال السدي: ﴿أَرْبَابًا﴾، أي: في الأخلاق، المتواخيات بينهم، ليس بينهم تباعدٌ، ولا تحاسُدٌ، يعني: لا كما كُنَّ في الدنيا ضرائر متعاديات. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الكهف، عن الحسن ومحمد: ﴿عَرَبًا أَرْبَابًا﴾^(٢)، قالوا: المستويات الأسنان، يَأْتَلِفْنَ جميعاً، وَيَلْعَبْنَ جميعاً.

[٦٥٥٩] وقد روى أبو عيسى الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن أبي معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعاً لِلْحَوْرِ الْعَيْنِ، يَرَفَعْنَ أَصْوَاتاً لَمْ تَسْمَعْ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا، يَقْلُنَ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا تَبَاسٌ، وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ»^(٣). ثم قال: «هذا حديثٌ غريبٌ».

[٦٥٦٠] وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عُمر، حدثنا ابنُ أبي ذئب، عن فلان بن عبد الله بن رافع، عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْحَوْرَ الْعَيْنَ لَيُعْتَنِينَ فِي الْجَنَّةِ، يَقْلُنَ: نَحْنُ خَيْرَاتُ حَسَانٍ، حُبْنًا لِأَزْوَاجِ كَرَامٍ»^(٤). قلت: إسماعيل بن عُمر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات.

[٦٥٦١] وقد رَوَى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحَيْم، عن ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن عَوْنِ بن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابن أنس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْحَوْرَ الْعَيْنَ يُعْتَنِينَ فِي الْجَنَّةِ: نَحْنُ الْحَوْرُ الْجَسَانُ، خَلَقْنَا لِأَزْوَاجِ كَرَامٍ»^(٥). وقوله تعالى: ﴿لَا صَحْبَ الْيَمِينِ﴾^(٦)، أي خُلِقْنَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَوْ أُذِخِرْنَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَوْ رُؤُوجُنَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، والأظهر أنه مُتَعَلِّقٌ بقوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾^(٧) لِمَعْلَنَهُمْ أَكْبَارًا^(٨) عَرَبًا أَرْبَابًا^(٩) لِيَصْحَبَ الْيَمِينِ^(١٠)، فَتَقْدِيرُهُ: أَنشَأْنَاهُمْ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. وهذا توجيه ابن جرير.

(١) إسناده ضعيف جداً. فهو منقطع بين ابن أبي حاتم، وبين سهل بن عثمان. ومنقطع أيضاً بين علي بن الحسين، وجده علي رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٦٤ وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن، وشيخه مجهول، لكن لأصله شاهد أخرجه أبو نعيم ٤٣١ من حديث ابن أبي أوفى، وإسناده ضعيف، وانظر ما بعده.

(٣) حسن. عزاه المصنف لأبي يعلى، ولعله في «السند الكبير» وإسناده ضعيف فلان بن عبد الله، ولعل الصواب «عون» كما هو الآتي إلا أن أحد الرواة جهله فقال «فلان»، وفي الإسناد من لم يسم، لكن للحديث شواهد.

(٤) حسن. وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٤٣٢ و٤٣٣ والبيهقي في «البعث» ٣٧٨ وإسناده ضعيف لجهالة عون، وفيه من لم يسم، وله شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه أبو نعيم ٤٣٠ وإسناده حسن في الشواهد، وانظر «صحيح الجامع» ١٦٠٢.

رُوي عن أبي سُلَيْمَانَ الدَّرَانِي - رحمه الله - قال: صَلَّيْتُ لَيْلَةً، ثُمَّ جَلَسْتُ أَدْعُو، وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيداً، فَجَعَلْتُ أَدْعُو بِيَدٍ وَاحِدَةٍ، فَأَخَذْتَنِي عَيْنِي فَنَمْتُ، فَرَأَيْتُ حَوْرَاءَ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا وَهِيَ تَقُول: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ، أَتَدْعُو بِيَدٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَا أَغْذِي لَكَ فِي النَّعِيمِ مِنْ خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ؟! قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَا صَحْبَ الْيَمِينِ﴾ ﴿٢٨﴾ مُتَعَلِّقاً بِمَا قَبْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَرْكَبَا﴾ ﴿٢٩﴾ لَصَحْبِ الْيَمِينِ ﴿٣٠﴾، أَي: فِي أَسْنَانِهِمْ.

[٦٥٦٢] كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، من حديث جرير، عن عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى صُورِ أَشَدِّ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَنْفَلُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشَحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَازِيهِمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحَوْرُ الْعَيْنِ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سَيَتُونَ فِرَاعاً فِي السَّمَاءِ»^(١).

[٦٥٦٣] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَعَفَّانُ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ - وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ جُدَعَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْداً مُرداً بِيَضَاءٍ جَعَاداً مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ، وَهُمْ عَلَى خَلْقِ آدَمَ سَيَتُونَ فِرَاعاً فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ»^(٢).

[٦٥٦٤] وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ عِمْرَانَ الْقَطَّانِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْداً مُرداً مُكْحَلِينَ أَبْنَاءُ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً»^(٣). ثُمَّ قَالَ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ».

[٦٥٦٥] وقال ابن وهب: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ دَرَجاً أَبَا السَّمْحِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يُرْدُونَ بَنِي ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ فِي الْجَنَّةِ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَداً، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ»^(٤). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ نَصْرٍ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ رَشْدِينَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ، بِهِ.

[٦٥٦٦] وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي زَوَادُ بْنُ الْجَرَّاحِ الْعَسْفَلَانِيُّ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ رِثَابٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ، سَيَتِينَ فِرَاعاً بِذِرَاعِ الْمَلِكِ! عَلَى حُسْنِ يَوْسُفَ، وَعَلَى مِيلَادِ عِيسَى ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ، جُرْدٌ مُردٌ مُكْحَلُونَ»^(٥).

[٦٥٦٧] وقال أبو بكر بن أبي داود: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَا: حَدَّثَنَا عَمْرٌ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ رِثَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٤٦ ومسلم ٢٨٣٤ وأحمد ٣١٦/٢.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٢٩٥/٢ وإسناده على شرط مسلم.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٤٥ بإسناد حسن في الشواهد.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٥٦٢ وابن المبارك في الزهد ٤٢٢ وإسناده ضعيف لضعف دراج عن أبي الهيثم.

(٥) إسناده ضعيف لضعف رواد بن الجراح، وقد تفرد فيه بالفاظ منكورة لم يتابع عليها.

آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين، جرداً مُرداً مُكحّلين، ثم يُذهَبُ بهم إلى شجرة في الجنة فيُكسَوْنَ منها، لا تَبْلَى ثيابُهُم ولا يَفْنَى شبابُهُم^(١). وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمَاتٍ فِي الْأُولَى﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ، أي: جماعة من الأولين، وجماعة من الآخرين.

[٦٥٦٨] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا المُنْذِرُ بن شاذان، حدثنا محمد بن بَكَّار، حدثنا سعيد بن بَشِير، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حُصَيْن، عن عبد الله بن مَسْعُودٍ - قال: وكان بعضهم يأخذ عن بعض - قال أَكْرَبُنَا^(٢) ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم عَدَدْنَا عليه، فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهَا بِأَمَمِهَا، فَيَمُرُّ عَلَيَّ النَّبِيُّ وَالنَّبِيُّ فِي الْعَصَابَةِ، وَالنَّبِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ. وَثَلَا قَتَادَةُ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ أَصْحَابَ الْمُنَىٰ﴾» قَالَ: «هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا، يُدْخِلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ». قَالَ: وَأَنْشَأَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - قَالَ سَعِيدٌ: وَكَانَ بَذْرِيًّا - قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. قَالَ: فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ». قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَجُلٌ آخَرَ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ - فِدَاكُمْ أَبِي وَأُمِّي - أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّبْعِينَ فَافْعَلُوا، وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الظَّرَابِ^(٣)، وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الْأَقْق، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ تَأَشَّبُوا أَحْوَالَهُمْ. ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». قَالَ: فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ثَلَاثَةَ يَوْمَاتٍ فِي الْأُولَى﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ. قَالَ: فَقُلْنَا بَيْنَنَا: مَنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ أَلْفًا؟ فَقُلْنَا: هُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا، قَالَ: فَبَلَّغْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «بَلْ هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رِجْلَيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ^(٤)». وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقَيْنِ آخَرَيْنِ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهِ نَحْوُهُ. وَهَذَا الْحَدِيثُ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ فِي الصَّحَاحِ وَغَيْرِهَا.

[٦٥٦٩] وقال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيْد، حدثنا مِهْرَان، حدثنا سَفِيان، عن أَبَانَ بن أَبِي عِيَّاش، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: «ثَلَاثَةَ يَوْمَاتٍ فِي الْأُولَى﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمَا جَمِيعاً مِنْ أُمَّتِي^(٥)».

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٢٥٥ و«الحلية» ٥٦/٣ والطبراني في «الصغير» ١٤/٢ ورجاله رجال مسلم، وقال الحافظ في «التقريب»: اختلف في سماع هارون من أنس، وقال الهيثمي ٣٩٨/١٠: إسناده جيداً والحديث محفوظ دون ذكر فقرة الشجرة. فقد تفرد به هارون في هذا الحديث، والله أعلم.

(٢) أكرئ: سهر في طاعة الله، وأكرئ الحديث: أطاله اهـ. قاموس.

(٣) الظرب: الجبل الصغير.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ٤٠١/١ و٤٢٠ وأبو يعلى ٥٣٣٩ والطبري ٣٣٤٤٠ و٣٣٤٤١ من طرق عن قتادة به، ورجاله رجال الصحيح، لكن فيه عنقة الحسن، وهو مدلس، وتوبع عند أحمد ٣٩٧٩ تابعه العلاء بن زياد، وهو ثقة، وللحديث شاهد عن جابر، أخرجه البزار ٣٥٤٠ و٣٥٤١ وفي أحدهما مجالد بن سعيد، وهو لين الحديث، لكن يصلح شاهداً.

(٥) أخرجه الطبري ٣٣٤٤٥ وابن عدي ٣٨٧/١ وإسناده ضعيف، قال ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٤٥٨/٤: أبان بن =

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُورٍ وَجِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا لَنَبْعَثُهُنَّ ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونَنَّ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْقَوْنَهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَفَشَرْنَ عَلَىٰ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَفَشَرْنَ شَرَبَ الْحَمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾. أي: أي شيء هم أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِي سُورٍ وَجِيمٍ﴾، وهو الهواء الحار، ﴿وَجِيمٍ﴾، وهو: الماء الحار، و﴿ظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ﴾ قال ابن عباس: ظل الدخان. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، وغيرهم. وهذه كقوله تعالى: ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ يَوْمَ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ يَوْمَ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ يَوْمَ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ يَوْمَ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ يَوْمَ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿أَطْلِقُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ يَوْمَ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٣٤﴾. [المرسلات: ٢٩ - ٣٤]. ولهذا قال ها هنا: ﴿ظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ﴾ ﴿٤٣﴾، وهو: الدخان الأسود، ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ ﴿٤٤﴾، أي: ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر، كما قال الحسن وقتادة: ﴿ولا كَرِيمٍ﴾، أي: ولا كريم المنظر. وقال الضحاك: كل شراب ليس بعذب فليس بكريم. وقال ابن جرير: العرب تنبغ هذه اللفظة في النفي، فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم، وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة. ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ ﴿٤٥﴾، أي: كانوا في الدار الدنيا متنعجين مقبلين على لذات أنفسهم، لا يلزومون على ما جاءتهم به الرسل. ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ ﴿٤٦﴾، أي: يصرمون ولا يتوبون توبة، ﴿عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾. وهو الكفر بالله، وجعل الأوثان والانداد أرباباً من دون الله. قال ابن عباس: الحنث العظيم: الشرك. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة والسدي وغيرهم. وقال الشعبي: هو اليمين الغموس. ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا لَنَبْعَثُهُنَّ﴾ ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾. يعني أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدة لوقوعه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٤٩﴾، أي: أخبزهم يا محمد: أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة، لا تغادر منهم أحداً، كما قال: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ تَجْمَعُ لَهُ الْآسَافُ وَأُولَٰئِكَ يَوْمَ تَشْهَدُونَ مَا تُخَفُّونَ إِلَّا لَأَجْلِ مَعْدُودٍ﴾ ﴿٥٠﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٤ - ١٠٥]. ولهذا قال ها هنا: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٥٠﴾، أي: مؤقت بوقت محدّد، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونَنَّ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْقَوْنَهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿٥٢﴾، وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم، حتى يملؤوا منها بطونهم، ﴿فَفَشَرْنَ عَلَىٰ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ ﴿٥٤﴾ ففشرن شرب الحميم، وهي الإبل العطاش، واحداها حميم، والأشئ حمماء، ويقال: هائم وهائمة. قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة: الحميم: الإبل العطاش الظماء. وعن عكرمة أنه قال: الحميم: الإبل الجراض، تمش الماء مضمّاً ولا تزوى. وقال السدي: الحميم ذاء يأخذ الإبل فلا تزوى

= أبي عياش، متروك. قال ورواه إسحاق والطبراني من حديث أبي بكرة، موقوفاً، ومرفوعاً. والموقوف أولى بالصواب، وعلي بن زيد ضعيف اهـ. والتثن منكر، والصواب في «الأولين» من مضى.

أبدأ حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يزوون من الحميم أبداً. وعن خالد بن معدان: أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم عبثاً واحدة من غير أن يتنفس ثلاثاً. ثم قال تعالى: ﴿هَلَا تُزَكُّم بِمَ الْيَوْمِ ٥٦﴾، أي: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال في حق المؤمنين: ﴿إِنَّ الْيَوْمَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ٥٧﴾ [الكهف: ١٠٧]، أي: ضيافة وكرامة.

﴿مَنْ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧﴾ أَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨﴾ أُنْشِئْتُمْ خَلْقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩﴾ مَن قَدَرْنَا يَنْسُكُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْنُكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ النِّشَاءَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾

يقول تعالى مقررًا للمعاد، وردًا على المكذبين به من أهل الزنغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿أَيُّدَا مَنَّا وَكُنَّا شُرَكَاءَ وَعَظَمْنَا أَوَّانَا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال تعالى: ﴿مَنْ خَلَقْنَكُمْ﴾، أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البدأة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى، فلهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾، أي: فهلا تصدقون بالبعث! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨﴾ أُنْشِئْتُمْ خَلْقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩﴾، أي: أنتم تقولونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال تعالى: ﴿مَنْ قَدَرْنَا يَنْسُكُ الْمَوْتَ ٥٩﴾، أي: صرّفناه بينكم. - وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض - ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، أي: وما نحن بعاجزين ﴿عَلَيَّ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْنُكُمْ﴾، أي: نغير خلقكم يوم القيامة، ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: من الصفات والأحوال. ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ النِّشَاءَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾، أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعترفون أن الذي قدر على هذه النشأة، وهي البدأة، قادر على النشأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى والأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ ٦٣﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلٍ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ٦٤﴾ [مریم: ٩٦]، وقال: ﴿أَوَّلًا يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ٦٥﴾ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِى الْعَظَمَ وَهِيَ رَيْبٌ ٦٦﴾ قُلْ بِحَسْبِيَ الَّذِي أَنْشَأَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٦٧﴾ [يس: ٧٧-٧٩]. وقال تعالى: ﴿إِنْسَبِ الْإِنْسَانَ أَنْ يَقْرَأْ سُكْرًا ٦٨﴾ أَلَمْ يَكْ نَفْطَهُ مِنْ مِّنْ مِّنْ ٦٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَلَقٍ سُوءًا ٧٠﴾ جَعَلَ مِنْهُ الرَّبَّيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ٧١﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْكُوفَى ٧٢﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣﴾ أُنْشِئْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرِضُونَ ٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧﴾ أَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨﴾ أُنْشِئْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاكًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠﴾ أَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١﴾ أُنْشِئْتُمْ أَنْشَاءً شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ٧٢﴾ مَن جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَمْنًا لِلْمُؤْمِنِينَ ٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٤﴾

يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣﴾، وهو شق الأرض وإنارتها والبذر فيها، ﴿أُنْشِئْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾، أي: تبتئونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾، أي: بل نحن الذين نقره قرازه ونبتئنه في الأرض.

[٦٥٧٠] قال ابن جرير: وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجزمي، حدثنا مخلد بن الحسين، عن هشام، عن محمد بن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولن: زرعتم»

ولكن قل: حرثت». قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (١٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ؟^(١). ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم، عن مسلم الجزمي، به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن: لا تقولوا: زرعنا، ولكن قولوا: حرثنا. وروي عن حنبل المدري أنه كان إذا قرأ: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ﴾ (١٣) وأمثالها، يقول: بل أنت يا رب!

وقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾، أي: نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا، وأبقيناه لكم رحمة بكم، ولو نشاء لجعلناه حطاماً، أي: لأيسناؤه قبل استوائه واستخضاده، ﴿فَنَظَلَّتْ نَقَاهُ﴾. ثم قُسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾ (١٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، أي: لو جعلناه حطاماً لظلمت تفكّهون في المقالة، تُنَوِّعون كلامكم، فتقولون تارة: ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾ (١٦) أي: لَمُفْقُونَ. وقال مجاهد، وعكرمة: إنا لمولع بنا. وقال قتادة: مُعَذِّبون. وتارة تقولون: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (١٧). وقال مجاهد أيضاً: إنا لمغرمون: مُلْقُونَ للشّر، بل نحن مُحَارِفُونَ، وقاله قتادة، أي: لا يُثَبِّت لنا مال، ولا يُنتِج لنا ربح. وقال مجاهد: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (١٧)، أي: محدودون، يعني: لا حَظ لنا. قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿فَنَظَلَّتْ نَقَاهُ﴾. تغجبون. وقال مجاهد أيضاً: ﴿فَنَظَلَّتْ نَقَاهُ﴾: تَفْجَعُونَ وَتَحْزَنُونَ على ما فاتكم من زرعكم. وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم. وهذا اختيار ابن جرير. وقال عكرمة: ﴿فَنَظَلَّتْ نَقَاهُ﴾: تلاومون. وقال الحسن، وقتادة، والسدي: ﴿فَنَظَلَّتْ نَقَاهُ﴾، تَنْذَمُونَ. ومعناه إما على ما أنفقتم، أو على ما أسلفتم من الذنوب. قال الكسائي: تَفَكَّهُ من الأضداد، تقول العرب: تَفَكَّهُتُ بمعنى تَنَعَّمْتُ، وَتَفَكَّهُتُ بمعنى حَزَنْتُ. ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (١٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ، يعني: السحاب. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد. ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾، يقول: بل نحن المنزلون. ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا﴾، أي: زعاقاً مراً لا يصلح لشرب ولا زرع، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾، أي: فهلاً تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً؟ ﴿لَكُرْهُنَّ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ ثَمِيمٌ﴾ (١٩) يُبْتِ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّرْعُونَ وَالْخَيْلُ وَالْأَنْعَابُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٠) [النحل: ١٠ - ١١].

[٦٥٧١] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن جابر، عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ: أنه كان إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا»^(٢).

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٢١)، أي: تقدحون من الزناد، وتستخرجونها من أصلها، ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٢٢)، أي: بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها، وللعرب شجرتان،

(١) أخرجه البزار ١٢٨٩ «كشف» وابن حبان ٥٧٢٣ والطبري ٣٣٤٩٢ وأبو نعيم ٢٦٧/٨ والبيهقي ١٣٨/٦ وفي «الشعب» ٥٢١٧ و٥٢١٨، وإسناده حسن رجاله ثقات معروفون سوى مسلم بن أبي مسلم الجرمي، وقد وثقه ابن حبان والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠٠/١٣ وصحح إسناده الشيخ شعيب في «الإحسان» وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ١٢٠/٤: مسلم بن أبي مسلم لم أجده من ترجمه! وقال البيهقي في «السنن» ١٣٨/٦ غير قوي وأسنده عن مجاهد من قوله اهـ. قلت: الإسناد من جهة الصنعة قوي، مسلم الجرمي روى عنه غير واحد من الثقات وقد وثقه الخطيب وابن حبان، ومن فوقه رجال مسلم، لكن يُحْشَى الوهم في رفعه، والله أعلم؛ فقد ورد من قول مجاهد ومن قول أبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) ضعيف جداً. فهو معضل. ومع ذلك فيه جابر وهو ابن يزيد الجعفي، ضعيف. وكذبه أبو حنيفة.

إحدهما: المَرْحُ، والأخرى: العَقَار، إذا أُخِذَ منهما غصنان أخضران فَحُكَّ أحدهما بالآخر تناثرَ مِنْ بَيْنَهُمَا شَرَرُ النَّارِ. وقوله تعالى: ﴿مَنْ جَعَلْنَاهَا ذِكْرًا﴾، قال مجاهد، وقاتدة: أي تُذَكَّرُ النارُ الكبرى.

[٦٥٧٢] قال قاتدة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جِزءً مِنْ سَبْعِينَ جِزءً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ! قال: قَدْ ضَرَبْتُ بِالْمَاءِ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ: مَرَّتَيْنِ - حَتَّى يَسْتَنْفَعَ بِهَا بَنُو آدَمَ وَيَذْنُبُوا مِنْهَا^(١).

[٦٥٧٣] وهذا الذي أَرْسَلَهُ قَاتَدَةُ، قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَّانٌ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جِزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزءً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفْعَةً لِأَحَدٍ^(٢)».

[٦٥٧٤] وقال الإمام مالك، عن أبي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يُوقِدُونَ جِزءً مِنْ سَبْعِينَ جِزءً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ. فقال: «إِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جِزءً^(٣)». رواه البخاري من حديث مالك، ومسلم من حديث أبي الزُّنَادِ. ورواه مسلم، من حديث عبد الرزاق، عَنِ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِهِ: وَفِي لَفْظٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جِزءً، كُلُّهُمْ مِثْلُ حَرْفِهَا^(٤)».

[٦٥٧٥] وقال أبو القاسم الطبراني: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْخَلَالِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْجَزَامِيُّ، حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى الْقَزَّازِ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي السَّهِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَذَرُونَ مَا مِثْلُ نَارِكُمْ هَذِهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؟ لَهِيَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ نَارِكُمْ هَذِهِ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا^(٥)». قال الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ: وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَصْعَبٍ، عَنْ مَالِكٍ، وَلَمْ يَرْفَعِهِ، وَهُوَ عِنْدِي عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَّا لِلْمُقَوِّينَ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، والضُّحَّاك، والنُّضْرُ بْنُ عَزَبِيٍّ: مَعْنَى «الْمُقَوِّينَ»: الْمَسَافِرِينَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَقَالَ: وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَقْوَبُ الدَّارُ إِذَا رَحَلَ أَهْلُهَا. وَقَالَ غَيْرُهُ: الْقِيَّ وَالْقَوَاءُ: الْقَفَرُ الْخَالِي الْبَعِيدُ مِنَ الْعِمْرَانِ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمٍ: الْمُقَوِّي هُنَا الْجَائِعُ. وَقَالَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَمِنَّا لِلْمُقَوِّينَ﴾: لِلْحَاضِرِ وَالْمَسَافِرِ، لِكُلِّ طَعَامٍ لَا يُضْلِحُهُ إِلَّا النَّارُ. وَكَذَا رَوَى سَفِيَّانٌ، عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ، عَنْ مُجَاهِدٍ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: ﴿لِلْمُسْتَمْتِعِينَ﴾: لِلْمُسْتَمْتِعِينَ، النَّاسُ أَجْمَعِينَ. وَكَذَا ذُكِرَ عَنْ عِكْرَمَةَ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ أَعْمُ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْحَاضِرَ وَالْبَادِيَّ مِنْ غَيْرِي وَفَقِيرَ الْكُلِّ مُحْتَاجُونَ لِلطَّبِيخِ وَالْإِصْطِلَاءِ وَالْإِضَاءَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ. ثُمَّ مَنْ لَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَوْدَعَهَا فِي الْأَحْجَارِ، وَخَالِصِ الْحَلِيدِ، بِحَيْثُ يَتِمَكَّنُ الْمَسَافِرُ مِنْ حَمْلِ ذَلِكَ فِي مَتَاعِهِ وَبَيْنَ ثِيَابِهِ،

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٣٥١٢ مَرْسَلًا، لَكِنْ يَتَأَيَّدُ بِمَا بَعْدَهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢٤٤/٢ وَابْنُ حِبَانَ ٧٤٦٣ وَالْحَمِيدِيُّ ١١٢٩ وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، لَكِنْ لَفْظُ «ضُرِبَتْ...» غَرِيبٌ، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ دُونَ هَذِهِ الزِّيَادَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَتَقَدَّمَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ عِنْدَ آيَةِ ٨١.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِإِثْرِ ٢٨٤٣، وَتَقَدَّمَ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» ٤٨٩ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، إِبْرَاهِيمُ مِنْ رِجَالِ الْبُخَارِيِّ وَمِنْ فَوْقِهِ رِجَالُ الشَّيْخِينَ، لَكِنْ أَشَارَ الضَّيَاءُ إِلَى أَنَّهُ رَوَى مُوقُوفًا، وَلَعَلَّهُ أَشْبَهَ فَالْمَشْهُورُ تَضْعِيفُ الْحَرَارَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج رثده وأورى، وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى، واشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات. فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عامًا في حق الناس كلهم.

[٦٥٧٦] وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خذاش جبّان بن زيد الشَّرْعَبِيِّ الشَّامِيِّ، عن رَجُلٍ من المهاجرين من قُرَيْن، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: الثَّارُ، والكَلأُ، والماء»^(١).

[٦٥٧٧] وروى ابن ماجه بإسناد جيّد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يُمنَعن: الماء، والكَلأُ، والنار»^(٢).

[٦٥٧٨] وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا، وزيادة: «وئمنه حرام»^(٣). ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن خُوشب وهو ضعيف، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْغَظِيْبِ﴾ (٧٦)، أي: الذي بقُدْرته خَلَقَ هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء العذب الزلال البارد، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة. وخلق النار المحرقة، وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم، وزاجراً لهم في المعاد.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّكُمْ لَقَسَرْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيْمُ ﴿٧٦﴾ إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيْمُ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفِيْهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

قال جُوَيْر، عن الضُّحَّاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه. وهذا القول ضعيف. والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله - عز وجل - يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته. ثم قال بعض المفسرين: (لا) ها هنا زائدة، وتقديره: أقسم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير، عن سعيد بن جبّير. ويكون جوابه: ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيْمُ﴾ (٧٧). وقال آخرون: ليست (لا) زائدة لا معنى لها، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي.

[٦٥٧٩] كقول عائشة - رضي الله عنها -: «لا، والله ما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط»^(٤). وهكذا ها هنا تقدير الكلام: لا. أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم. وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾، فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد فصيل: أقسم. واختلفوا في معنى قوله: ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ فقال حكيم بن جبّير، عن سعيد بن جبّير، عن ابن عباس: يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفزقاً في السنين بعد. ثم قرأ ابن عباس هذه الآية.

(١) أخرجه أحمد ٣٦٤/٥ وأبو داود ٣٤٧٧ وإسناده صحيح، وجهالة الصحابي لا تضر، وله شواهد.

(٢) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٣، وفي «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، رجاله موثقون.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٢ من حديث ابن عباس. وأعله البوصيري في «الزوائد» بقوله: عبد الله بن خراش ضعفه أبو زرعة والبخاري وغيرهما وقال محمد بن عمار الموصلي: كذاب أهد. والوهن في لفظ «وئمنه حرام» فقط. فإن الحديث بدون هذه الزيادة له شواهد كما ترى.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٧١٣ ومسلم ١٨٦٦ وغيرهما، وتقدم.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَنَجَّمَتْهُ السَّفَرَةُ عَلَى جَبْرِيلَ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَنَجَّمَهُ جَبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ عَشْرِينَ سَنَةً، فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا أَقْسِمْ بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ (٧٥)﴾: نَجُومُ الْقُرْآنِ. وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ، وَمَجَاهِدٌ، وَالسُّدِّيُّ، وَأَبُو حَزْرَةَ. وَقَالَ مَجَاهِدٌ أَيْضاً: ﴿بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ﴾ فِي السَّمَاءِ، وَيُقَالُ: مَطَالَعُهَا وَمَشَارِقُهَا. وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ. وَعَنْ قَتَادَةَ: مَوَاقِعُهَا: مَنَازِلُهَا. وَعَنْ الْحَسَنِ أَيْضاً: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ انْتِشَارُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿فَلَا أَقْسِمْ بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ (٧٥)﴾، يَعْنِي بِذَلِكَ الْأَنْوَاءَ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مُطَرُوا قَالُوا: مُطَرْنَا بَنَوْ كَذَا وَكَذَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَطَلَّغُونَ عَظِيمٌ (٧٦)﴾، أَي: وَإِنْ هَذَا الْقِسْمُ الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ عَظَمَتَهُ لَعَظَمْتُمْ الْمَقْسَمَ بِهِ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)﴾، أَي: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ لِكِتَابٍ عَظِيمٍ. ﴿فِي كِتَابٍ مَكْثُورٍ (٧٨)﴾، أَي: مُعَظَّمٍ فِي كِتَابٍ مُعَظَّمٍ مَحْفُوظٍ مُؤَقَّرٍ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ حَكِيمٍ، - هُوَ ابْنُ جُبَيْرٍ - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾، قَالَ: الْكِتَابُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ. وَكَذَا قَالَ أَنَسٌ، وَمَجَاهِدٌ، وَعِكْرَمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو نَهْيَكٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ، وَغَيْرُهُمْ.

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾، قَالَ: لَا يَمْسُهُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَمْسُهُ الْمَجْهُوسُ النَّجِسُ، وَالْمَنَافِقُ الرَّجِسُ. وَقَالَ: وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «مَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ». وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾، لَيْسَ أَنْتُمْ، أَنْتُمْ أَصْحَابُ الذُّنُوبِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: رَعِمْتَ كُفَّارُ فُرَيْشٍ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، فَاخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنَزَّلُ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٨٠) وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ وَمَا يَسْتَعْظِمُونَ (٨١) لَئِنْ هُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَزْمُولُونَ (٨٢)﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢]. وَهَذَا الْقَوْلُ قَوْلٌ جَيِّدٌ، وَهُوَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْأَقْوَالِ الَّتِي قَبْلَهُ. وَقَالَ الْقُرَّاءُ: لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾، أَي: مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْحَدَثِ. قَالُوا: وَلَفْظُ الْآيَةِ خَبَرٌ وَمَعْنَاهَا الطَّلَبُ، قَالُوا: وَالْمُرَادُ بِالْقُرْآنِ هَا هُنَا الْمَصْحَفُ.

[٦٥٨٠] كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ (١).

[٦٥٨١] وَاحْتَجُّوا فِي ذَلِكَ بِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي مُوطَّئِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ (٢).

[٦٥٨٢] وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ - فِي الْمُرَاسِيلِ، مِنْ حَدِيثِ الزَّهْرِيِّ قَالَ: قَرَأْتُ فِي صَحِيفَةٍ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ» (٣). وَهَذِهِ وَجَادَةٌ جَيِّدَةٌ. قَدْ قَرَأَهَا الزَّهْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا يَنْبَغِي الْأَخْذُ بِهِ. وَقَدْ أَسْنَدَهُ الدَّارِقُطَنِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِي، وَفِي إِسْنَادِ كُلِّ مِنْهَا نَظَرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٩٩٠ ومسلم ١٨٦٩ وأبو داود ٢٦١٠ وأحمد ٧/٢ وابن حبان ٤٧١٥.

(٢) أخرجه مالك ١٩٩/١ وتقدم.

(٣) خبر كتاب عمرو بن حزم، مشهور عند الفقهاء وأهل السير، وتقدم غير مرة، وأنه حسن صحيح.

وقوله تعالى: ﴿تَزِيلُ بَيْنَ رَبِّهِمُ الْبَيْنَ﴾، أي: هذا القرآن مُنْزَلٌ من رَبِّ العالمين، وليس هو كما يقولون: إنه سحرٌ، أو كهانة، أو شعرٌ، بل هو الحق الذي لا مزية فيه، وليس وراءه حقٌ نافع. وقوله: ﴿أَفَبِهَذَا لَكُمْ آيَاتٌ مِّنْهُنَّ﴾ (٨١)، قال العوفي، عن ابن عباس: أي: مُكْذِبُونَ غير مُصَدِّقِينَ. وكذا قال الضحاك، وأبو حَزْرَةَ، والسدي. وقال مجاهد: ﴿مُذْهِبُونَ﴾، أي: تُرِيدُونَ أَنْ تُمَازِهُوهُمْ فِيهِ وَتَرْكَبُوا إِلَيْهِمْ. ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢)، قال بعضهم: يعني وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تُكَذِّبُونَ، أي: تُكَذِّبُونَ بَدَلَ الشُّكْرِ. وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآهما: (وتجعلون شكركم أنكم تُكَذِّبُونَ) كما سيأتي. وقال ابن جرير: وقد ذُكِرَ عن الهيثم بن عديٍّ: أن من لغة ازدشَنُوَّة: مَا رَزَقَ فَلَانٌ، بمعنى: مَا شَكَرَ فَلَانٌ.

[٦٥٨٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا حُسَيْن بن محمد، حدثنا إسرائيل: عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، يقول: شُكْرَكُمْ ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، تقولون: مُطَرْنَا بِتَوْءِ كَذَا وَكَذَا، بِتَجْمِ كَذَا وَكَذَا^(١). وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن مُخَوَّل بن إبراهيم الشَّهْدِي - وابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن عُبيد الله بن موسى، وعن يَعْقُوب بن إبراهيم، عن يحيى بن أبي بكير، ثلاثهم عن إسرائيل، به مرفوعاً. وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن حُسَيْن بن محمد - وهو المروزي - به، وقال: (حَسَنٌ غَرِيبٌ). وقد رواه سفيان الثوري، عن عبد الأعلى، ولم يَرْفَعْهُ. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سَعِيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: «مَا مُطِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ كَافِرًا، يَقُولُونَ: مُطَرْنَا بِتَوْءِ كَذَا وَكَذَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)». وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن عباس.

[٦٥٨٤] وقال مالك في الموطأ، عن صالح بن كيسان، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحدبية في إثر سَمَاءَ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاعِبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: «مُطَرْنَا بِتَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاعِبِ»^(٢). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَنُّي، كُلُّهُمَا مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، بِهِ.

[٦٥٨٥] وقال مسلم: حدثنا مُحَمَّد بن سَلَمَةَ المُرَادِيُّ وَعَمْرُو بن سَوَادٍ، حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث: أن أبا يونس حَدَّثَهُ عن أبي هريرة، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يَنْزِلُ الْغَيْثُ فَيَقُولُونَ: يَكُونُ كَذَا وَكَذَا»^(٣). تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلِمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[٦٥٨٦] وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرني سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيُصْبِحُ الْقَوْمَ

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٥ والطبري ٣٣٥٥٥ و ٣٣٥٥٦. وعبد الأعلى ضعيف، ومع ذلك رواه الثوري عند الطبري ٣٣٥٥٤ و ٣٣٥٦٢ عن عبد الأعلى به موقوفاً على علي، وهو أصح فالثوري أحفظ من إسرائيل. والمرفوع ضعفه أحمد شاكر في «المسند» ١٠٨٧ والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤١٤٧ ومسلم ٧١ وأبو داود ٣٩٠٦ والتسائي ١٦٥/٣ ومالك ١/١٩٢.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٧٢.

بالتَّعْمَةِ أو يَمْسِيهِمْ بها، فَيَصْبِحُ بها قَوْمٌ كَافِرِينَ، يَقُولُونَ: مُطَرْنَا بَنُوْءَ كَذَا وَكَذَا». قال محمد - هو ابن إبراهيم -: فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المُسَيَّب، فقال: ونحن قد سَمِعْنَا من أَبِي هُرَيْرَةَ، وقد أَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ عُمَرَ بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يَسْتَسْقِي، فلما اسْتَسْقَى التفت إلى العباس فقال: يا عَبَّاسُ، يا عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، كم بَقِيَ من نَوْءِ الثُّرَيَّا؟ فقال: العلماء يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَعْتَرِضُ في الأفق بعد سُقُوطِهَا سَبْعًا. قال: فما مَضَتْ سَابِعَةٌ حتَّى مُطِرُوا^(١). وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك الثَّوَاءَ يُؤَثِّرُ بنفسه في نزول المطر؛ فإن هذا هو المنهَى عن اعتقاده. وقد تقدَّم شيء من هذه الأحاديث عند قوله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

[٦٥٨٧] وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عن إسماعيل بن أُمَيَّة - أَحْسَبُهُ أو غيره - أن رسول الله ﷺ سَمِعَ رجلاً - ومُطِرُوا - يقول: مُطَرْنَا ببعض عَثَانِينَ الأسد. فقال: «كَذَبْتَ! بل هو رِزْقُ اللَّهِ»^(٢).

[٦٥٨٨] ثم قال ابن جرير: حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ الصَّرَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَابِرٍ مُحَمَّدُ بن عبد الملك الأزدي، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بن الزبير، عن القاسم، عن أَبِي أَمَامَةَ، عن النبي ﷺ قال: «مَا مُطِرَ قَوْمٌ من لَيْلَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ قَوْمٌ بها كَافِرِينَ». ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٣)، يقول قائل: مُطَرْنَا بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا^(٤).

[٦٥٨٩] وفي حديث عن أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعاً: «لَوْ قَطَعْتُ النَّاسَ سَبْعَ بَنِينَ ثُمَّ مُطِرُوا لَقَالُوا: مُطَرْنَا بَنُوءَ الْمَجْدَحِ»^(٥). وقال مجاهد: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٦) قال: قولهم في الأنواء: مُطَرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، وبَنَوْءِ كَذَا، يقول: قولوا: هو من عند الله، وهو رِزْقُهُ. وهكذا قال الضحاك وغير واحد. وقال قتادة: أَمَّا الْحَسَنُ فكان يقول: بَشَسَ مَا أَخَذَ قَوْمٌ لأنفسهم، لم يُرْزَقُوا من كتاب الله إلا التَّكْذِيبَ. فمعنى قول الحسن هذا: وَتَجْعَلُونَ حَظَّكُمْ من كتابِ الله أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ به. ولهذا قال قبله: ﴿أَفَبِهَذَا لَكُمْ دِيثٌ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾^(٧) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُمُ^(٨٢) وَأَنْتُمْ جَبِلْدَانُ تُنظَرُونَ^(٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْكُمْ^(٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ^(٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٨٧)﴾

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾، أي: الروح ﴿الْمُلُوكُمُ﴾ أي الحلق، وذلك حين الاحتضار، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْكِرَامُ^(٦٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ^(٦٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ^(٦٨) وَالْقَبْءُ الْفَسَاقُ بِالْشَاوِ^(٦٩) إِنْ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ^(٧٠)﴾

(١) أخرجه الطبري ٣٣٥٦١ ورجاله ثقات، لكن فيه عننة ابن إسحاق، ومع ذلك للحديث طرق وشواهد.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٥٦٠ هكذا وهو ضعيف. إسماعيل بن أمية تابعي هذا إن كان هو أرسله وإن كان راويه الذي لم يسم فَيَكُونُ له علة ثانية، وهي جهالة مرسله. والعثانين: المطر بين السحاب والأرض مثل السبل، واحدها عثنون. والأسد: أي برج الأسد.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٥٦٦ وإسناده ضعيف لأجل جعفر بن الزبير، والقاسم بن عبد الرحمن. وللحديث شواهد دون ذكر الآية. والله أعلم.

(٤) أخرجه الدارمي ٣١٤/٢ والحميدي ٧٥١ والنسائي ١٦٥/٣ وابن حبان ٦١٣٠ ومداره على عتاب بن حنين، وهو مقبول، وثقه ابن حبان وحده، فالإسناد لين، والحديث محفوظ دون ذكر السنين والمجدح. والمجدح: نجم تزعم العرب أنه يطر.

[القيامة: ٢٦ - ٣٠]، ولهذا قال ها هنا: ﴿وَأَشْرَ جَنَّتْ نَظْرُونَ﴾ (٨٨)، أي: إلى المحتضر وما يُكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: بملائكتنا، ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، أي: ولكن لا ترونهم. كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ (٨٩) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢]. وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ حَيْرَ مَدِينٍ﴾ (٩٠) ترجمتها، معناه: فهل أترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول، ومقرها في الجسد إن كنتم غير مدنيين. قال ابن عباس: يعني مُحَاسِبِينَ. ورؤي عن مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وأبي خزيمة، ومثله. وقال سعيد بن جبیر، والحسن البصري: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ حَيْرَ مَدِينٍ﴾ (٩١): غير مُصَدِّقِينَ أنكم تُدَاثِنُونَ وتُبْعَثُونَ وتُجْزَوْنَ، فَرُدُّوا هذه النفس. وعن مجاهد: ﴿حَيْرَ مَدِينٍ﴾: غير مُوقِنِينَ. وقال ميمون بن مهران: غير مُعْذِبِينَ مَقْهُورِينَ.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ نَبِيرٌ﴾ (٨٩) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩١) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (٩٢) ﴿فَنَزَلَ مِنْ جَمِيمٍ﴾ (٩٣) ﴿وَنَصَلِيَّةٌ﴾ (٩٤) ﴿جَمِيمٌ﴾ (٩٥) ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٩٦) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٩٧)

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين. وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله. ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾، أي: المحتضر ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ نَبِيرٌ﴾ (٩٢)، أي: فلهم روح وريحان، وتُبَشِّرهم الملائكة بذلك عند الموت.

[٦٥٩٠] كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: «أَيْتَهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتَ تَعْمُرِيهِ، أَخْرِجِي إِلَى رُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانٍ» (١). قال علي بن طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَرُوحٌ﴾ يقول: راحة. ﴿وَرِيحَانٌ﴾ يقول: مستراحة. وكذا قال مجاهد: إن الروح: الاستراحة. وقال أبو خزيمة: الرِّاحَةُ من الدنيا. وقال سعيد بن جبیر، والسدي: الروح الفَرْحُ. وعن مجاهد: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾: جَنَّةٌ وَرَحَاءٌ. وقال قتادة: فروح ورحمة. وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبیر: ﴿وَرِيحَانٌ﴾ وِرْقٌ. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مُقَرَّبًا حَصَلَ له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، ﴿وَحَنَّتْ نَبِيرٌ﴾. وقال أبو العالية: لا يفارق أحدٌ من المقربين حتى يُؤْتَى بغصن من ريحان الجنة، فَيَقْبُضُ روحه فيه. وقال محمد بن كعب: لا يموت أحدٌ من الناس حتى يعلم: أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار؟ وقد قدّمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ولو كتبت ها هنا لكان حسنًا! ومن جملتها.

[٦٥٩١] حديث تميم الداربي، عن النبي ﷺ، يقول: «يقول الله لملك الموت: انطلق إلى وَلِيِّي فَأْتَنِي به فإنني قد ضربته بالسَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فوجدته حيث أحب، اتتني به فَلَأْرِيحَنَّهُ. قال: فينطلق إليه مَلَكُ الموت ومعه خمسمئة من الملائكة، معهم أكفانٌ وَخُوطٌ من الجنة، ومعهم صَبَّارُ الرِّيحَانِ، أصلُ الرِّيحَانَةِ واحد

وفي رأسها عشرون لوناً، لكلّ لون منها ريحٌ سيّوَى ريح صاحبه، ومعهم الحريزُ الأبيضُ فيه المسكُ»^(١). وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم، وقد وردت أحاديثٌ تتعلّق بهذه الآية.

[٦٥٩٢] قال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا هارون، عن بُذَيْلِ بْنِ مَيْسَرَةَ، عن عبد الله بن شَقِيقٍ، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ» برفع الراء^(٢). وكذا رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، من حديث هارون - وهو ابنُ موسى الأعور - به، وقال الترمذي: «لا نعرفه إلا من حديثه». وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده، وخالفه الباقر فقرأوا: «فَرُوحٌ»، بفتح الراء.

[٦٥٩٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، أنه سمع دُرّة بنت مُعَاذٍ تُحَدِّثُ، عن أم هانئ: أنها سألت رسول الله ﷺ أن تزور إذا مبتا، ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تكون السُّمُّ طَيِّراً يعلّقُ بالشجرِ، حتى إذا كان يومُ القيامةِ دخلت كلُّ نفس في جسدها»^(٣). هذا الحديث فيه بشارة لكلّ مؤمن، ومعنى (يعلّق) يأكل.

[٦٥٩٤] ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزُّهْرِيِّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يعلّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حتى يزججه الله إلى جسده يوم يبعثه»^(٤). وهذا إسناد عظيم، ومتن قوي.

[٦٥٩٥] وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ»^(٥). ... الحديث.

[٦٥٩٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا عطاء بن السائب قال: كان أول يوم عرّفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى: رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار، وهو يتبع جنازة، فسمعت يقول: حَدَّثَنِي فُلَانٌ بَنُ فُلَانٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». قال: فَأَكْبُ الْقَوْمَ يَبْكُونَ، فقال: «مَا يُبْكِيكُمْ؟» فقالوا: إِنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ. قال: ليس ذاك، ولكنه إذا خُضِرَ «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَيْنِ»^(٦) فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ نَيْمِهِ، فإذا بُشِّرَ بذلك أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، والله - عَزَّ وَجَلَّ - لِلْقَائَةِ أَحَبُّ. «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ الضَّالِّينَ»^(٧) فَرُلٌ يَنْ جَمِيرٍ، فإذا بُشِّرَ بذلك كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، والله للقاءه أكره»^(٨). هكذا رواه الإمام أحمد، وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - شاهد لمعناه.

(١) تقدم تحريجه في سورة إبراهيم، آية ٢٧.

(٢) جيد. أخرجه أبو داود ٣٩٩١ والترمذي ٢٩٣٨ والنسائي في «التفسير» ٥٨٦ وأحمد ٦٤/٦ وأبو يعلى ٤٥١٥ والحاكم ٢/٢٣٦ وإسناده حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد ٦/٤٢٥ والطبراني ٢٤/٤٣٨ - ٤٣٩ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، ودرة لم أجد لها ترجمة، وأصله محفوظ بما بعده.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٣/٤٥٥ ورجاله رجال الشيخين سوى الشافعي، وهو ثقة إمام.

(٥) صحيح. وتقدم في البقرة، آية: ١٥٤.

(٦) إسناده ضعيف. أخرجه أحمد ٤/٢٥٩ وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وتفرّد بذكر الآيات، وهو متفق عليه بدون ذكر الآيات. انظر صحيح مسلم ٢٦٨٤ وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُحْضَرِّ﴾ ١٠٣، أي: وأما إن كان المُحتضر من أصحاب اليمين، ﴿فَسَلِّ لَكَ مِنَ الصَّلَاةِ الْيَمِينِ﴾ ١٠٤، أي: تُبشِّرهم الملائكة بذلك، تقول لأحدهم: سلام لك، أي: لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين. وقال قتادة: وابن زيد: سلم من عذاب الله، وسلمت عليه ملائكة الله. كما قال عكرمة: تسلم عليه الملائكة، وتُخبره أنه من أصحاب اليمين. وهذا معنى حسن، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ بِالْإِيمَانِ أَلَيْسَ كَثُورٌ شُعَدَونَ﴾ ١٠٥، ثُمَّ أَوَّلَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُونَ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ١٠٦، ﴿لَا يَنْفَكُ عَنْ عِزِّكُمْ﴾ ١٠٧، وقال البخاري: ﴿فَسَلِّ لَكَ﴾ ١٠٨، أي: مُسلم لك، أنك من أصحاب اليمين. وألغيت (أن) وبقي معناها، كما تقول: أنت مُصدِّق مسافر عن قليل. إذا كان قد قال: إني مسافر عن قليل. وقد يكون كالدعاء له، كقولك: سقياً لك من الرجال، وإن رفعت (السلام) فهو من الدعاء. وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية، ومال إليه، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٠٩، ﴿فَرَّزَ مِنْ جَمِيرٍ﴾ ١١٠، ﴿وَصَلَّى جَمِيرٍ﴾ ١١١، أي: وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، ﴿فَرَّزَ﴾ ١١٢، أي: فضيافة ﴿مِنْ جَمِيرٍ﴾ ١١٣، وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود، ﴿وَصَلَّى جَمِيرٍ﴾ ١١٤، أي: وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَمِينِ﴾ ١١٥، أي: إن هذا الخبر لهو الحق اليقين الذي لا مزية فيه، ولا محيد لأحد عنه. ﴿فَسَجِّ بِأَتَمِّ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ١١٦.

[٦٥٩٧] قال أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي الْغَافِقِيِّ، حَدَّثَنِي عَمِّي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَسَجِّ بِأَتَمِّ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ١١٦، قال: «اجعلوها في رُكوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَجِّ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ١١٧، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سُجودكم»^(١). وكذا رواه أبو داود وابن ماجه، من حديث عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب، به.

[٦٥٩٨] وقال رُوْحُ بْنُ عُبَادَةَ: حَدَّثَنَا حَبَّاجُ الصُّوْفَاءِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢). هكذا رواه الترمذي من حديث رُوْحٍ، ورواه هو والنسائي أيضاً من حديث حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، من حديث أبي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، به وقال الترمذي: حسنٌ غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي الزُّبَيْرِ.

[٦٥٩٩] وقال البخاري في آخر كتابه: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِشْكَابٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ٨٦٩ وابن ماجه ٨٨٧ والطيالسي ١٠٠٠ وأحمد ١٥٥/٤ والدارمي ٢٦٩/١ وابن حبان ١٨٩٨ والحاكم ٢٢٥/١ وصححه، ووافقه الذهبي، ومداره على موسى بن أيوب، وقد وثقه ابن حبان وابن معين في رواية، وقال في أخرى: منكر الحديث. وشيخه موسى قال عنه الحافظ: مقبول. أي حيث يتابع، ولم يتابع على هذه الحديث، فالحديث ضعيف، لا حجة فيه، والصواب أن صفة الصلاة تلقاها النبي ﷺ عن جبريل، وانظر «ضعيف أبي داود» ١٨٤.

(٢) حسن. أخرجه الترمذي ٣٤٦٤ و٣٤٦٥ والنسائي ٨٢٧ وابن حبان ٨٢٦ والحاكم ٥٠١/١ وفيه عنونة أبي الزبير، لكن له شاهد، أخرجه الحاكم ٥١٢/١ من حديث أبي هريرة، وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناده لين لأجل أبي سنان القسلي، لكن يصلح شاهداً لما قبله، والله أعلم.

عُمارة بن القعقاع، عن أبي زُرعة، عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١). ورواه بقيةُ الجماعةِ إلا أبا داود، من حديثِ محمد بن قُضَيْلٍ، بإسناده، مثله.

آخر تفسيرِ سورة الواقعة، والله الحمدُ والمنَّةُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٠٦ و٦٦٨٢ و٧٥٦٣ ومسلم ٢٦٩٤ والترمذي ٣٤٦٧ والنسائي ٨٣٠ وابن ماجه ٣٨٠٦ وأحمد ٢٣٢/٢ وابن حبان ٨٣١.



وَهِيَ مَدِينَةٌ

[٦٦٠٠] قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بقیة بن الوليد، حدثني بحیر بن سعد، عن خالد بن معدان، عن ابن أبي بلال، عن عزیاض بن سارية: أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المُسَبِّحات قبل أن يرقد، وقال: «إِنَّ فِيْهِنَّ آيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»^(١). وهكذا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ طَرَقٍ عَنْ بَقِيَّةَ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (حَسَنٌ غَرِيبٌ). وَرواه النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي السَّرْحِ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ معاوية بن صالح عن بحیر بن سعد، عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ ... فذكره مُرْسَلًا، لم يذكر عبد الله بن أبي بلال، ولا العزیاض بن سارية. والآية المُشارُ إليها في الحديث هي - والله أعلم - قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) لَمْ تُمْكُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِشَيْءٍ وَتَبِيتَتْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣)

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَي: مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنباتاتِ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿تَسْبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْمُنَبَّجَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا خَلْقًا عَفْوَكَ﴾^(٤) [الإسراء: ٤٤]. وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَدِيرُ﴾، أَي: الَّذِي قَدْ خَضَعَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴿الْحَكِيمُ﴾، فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَشَرْعِهِ. ﴿لَمْ تُمْكُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِشَيْءٍ وَتَبِيتَتْ﴾، أَي: هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ، فَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، مَا يَشَاءُ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أَي: مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فِي حَدِيثِ عَزِيَّاضِ بْنِ سَارِيَةَ: أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ - يَعْنِي ابْنَ عَمَّارٍ - حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجَدُّهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ٥٠٥٧ والتِّرْمِذِيُّ ٣٠٨٩ وأحمد ١٢٨/٤ والنَّسَائِيُّ فِي «الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» ٧١٣ وَ ٧١٤ وَابْنُ السَّنِيِّ ٦٨٢ مِنْ حَدِيثِ الْعَرِيَّاضِ، وَفِيهِ بَقِيَّةٌ مَدْلُوسٌ لَكِنْ صَرَحَ بِالتَّحْلِيلِ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِلَالٍ، وَهُوَ مَجْهُولٌ. قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «الْمِيزَانِ» ٤٢٣٤: مَا رَوَى عَنْهُ سَوَّى خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ مِنَ الذَّهَبِيِّ إِلَى جِهَاتِهِ، وَأَمَّا الْحَافِظُ فَقَالَ فِي «التَّقْرِيبِ»: مَقْبُولٌ. أَي: حَيْثُ يَتَّبَعُ، وَلَهُ عِلَّةٌ ثَانِيَةٌ حَيْثُ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ غَيْرِ بَقِيَّةٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ مَرْسَلًا. وَتَنَاقُضُ الْإِلْبَانِي فَذَكَرَهُ فِي «ضَعِيفِ أَبِي دَاوُدَ» ١٠٧٣ وَ«صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» ٢٣٣٣.

به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: - وضحك - قال: ما نجا من ذلك أحد. قال: حتى أنزل الله: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا نَزَّلْنَا لَكَ فَتَاتِلَ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ الصِّبْغَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].. الآية قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً. وقال البخاري: قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً. [و] قال شيخنا الحافظ الجزري: يحيى هذا هو ابن زياد الفراء، له كتاب سماء (معاني القرآن). وقد ورد في ذلك أحاديث.

[٦٦٠١] فمن ذلك ما قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عباس، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «اللهم، رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل، والفرقان، فالحق الحب والثوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. اقض عنا الدين، واغننا من الفقر»^(١).

[٦٦٠٢] ورواه مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام: أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللهم، رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالحق الحب والثوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر». وكان يزوي ذلك، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ^(٢).

[٦٦٠٣] وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا، فقال: حدثنا عقبه، حدثنا يونس، حدثنا السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقيلاً القبلة، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى، ثم همس - ما يدرى ما يقول - فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال: «اللهم، رب السموات السبع ورب العرش العظيم، إله كل شيء، ورب كل شيء، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالحق الحب والثوى. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته. اللهم، أنت الأول الذي ليس قبلك شيء، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر»^(٣). السري بن إسماعيل هذا ابن عم الشعبي، وهو ضعيف جداً، والله أعلم.

[٦٦٠٤] وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد وغير واحد - المعنى واحد - قالوا: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قال: حدث الحسن، عن أبي هريرة قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما هذا؟

(١) أخرجه أحمد ٤٠٤/٢ وإسناده صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٧١٣ ح ٦١ عن أبي صالح عن أبي هريرة، وقد صرح برفعه.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه أبو يعلى ٤٧٧٤ بهذا الإسناد وقال الهيثمي في «المجموع» ١٠/١٢١: فيه السري بن إسماعيل، وهو متروك اهـ وكذا أهله ابن كثير به، وفي صدره نكارة، فالحديث المتقدم فيه أنه كان يدعو به عند نومه، وأما هذا ففيه أنه كان في آخر الليل.

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العَنَان، هذه رَوَايا الأرض يَسُوقُهُ إلى قوم لا يَشْكُرُونَهُ ولا يَذْعُونَهُ. ثم قال: هل تَدْرُونَ ما فَوْقَكُمْ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرَّقِيع، سَقَفٌ محفوظ، ومَوْجٌ مكفوف. ثم قال: هل تَدْرُونَ كم بَيْنَكُمْ وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بَيْنَكُمْ وبينها خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ. ثم قال: هل تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذَلِكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءٌ بَعْدَ سَمَاءٍ بَعْدَ ما بَيْنَهُمَا مسيرة خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ - حتى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ - ما بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ. ثم قال: هل تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذَلِكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ مِثْلُ بَعْدَ ما بَيْنَ السَّمَاوَيْنِ، ثم قال: هل تَدْرُونَ ما الذي تَحْتَكُمْ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فَإِنَّ تَحْتَهَا أَرْضاً أُخْرَى بَيْنَهُمَا مسيرة خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ - حتى عَدَّ سَبْعَ أَرْضِينَ - بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مسيرة خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ، ثم قال: والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لو أَنَّكُمْ دَلَيْتُمْ بِحَبْلِ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢). ثم قال الترمذي: (هذا حديث غريبٌ من هذا الوجه، وَيُرْوَى عَنْ أَيُّوبَ وَيُونُسَ - يعني ابنَ عُبَيْدٍ - وَعَلِيَّ بْنَ زَيْدٍ قالوا: لَمْ يَسْمَعْ الْحَسَنُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَقَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالُوا: إِنَّمَا هَبَطَ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَعِلْمُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ) انتهى كلامه.

[٦٦٠٥] وقد رَوَى الإمام أحمدُ هذا الحديث عن سُرَيْجٍ، عن الحكم بن عبد الملك، عن قَتَادَةَ، عن الحسن، عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ فذكره، وعنده: «وَبَعْدَ ما بَيْنَ الأَرْضَيْنِ مسيرة سَبْعَمِئَةِ عامٍ». وقال: «لو دَلَيْتُمْ أَحَدَكُمْ بِحَبْلِ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى السَّابِغَةَ لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ». ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢). ورَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالبُزَارِيُّ من حديث أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عن قَتَادَةَ، عن الحسن، عن أبي هُرَيْرَةَ... فذكر الحديث، ولم يذكر ابنُ أَبِي حَاتِمٍ آخِرَهُ وهو قوله: (لو دَلَيْتُمْ بِحَبْلِ)، وإنما قال: (حتى عَدَّ سَبْعَ أَرْضَيْنِ بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مسيرة خَمْسَمِئَةِ عامٍ)، ثم تلا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢). وقال البزار: لم يَرَوْهُ عن النبي ﷺ إلا أَبُو هُرَيْرَةَ.

[٦٦٠٦] ورَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ، عن بِشْرِ، عن يَزِيدٍ، عن سَعِيدٍ، عن قَتَادَةَ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ ثَارَ عَلَيْهِمْ سَحَابٌ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ ما هذا؟ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ سِيَاقِ التِّرْمِذِيِّ سِوَاهُ، إِلَّا أَنَّهُ مَرَّسَلٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَعَلَّ هَذَا الْمَحْفُوظَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - وَرواهُ البُزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»، وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ، وَفِي مَتْنِهِ غَرَابَةٌ وَكَتَاةٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَعْلَمُ.

وقال ابنُ جَرِيرٍ عند قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ الْأَرْضَيْنِ يَتُفَلَّهْنَ﴾: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: التَّقَى أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أُرْسِلْنِي رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ السَّمَاءِ السَّابِغَةِ وَتَرَكْتُهُ ثُمَّ. قَالَ الْآخَرُ: أُرْسِلْنِي رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -

(١) إسناده ضعيف لا تقطاعه بين الحسن وأبي هريرة. وتقدم الكلام عليه.

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٠/٢، وإسناده كسابقه.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٥٩٣ عن قَتَادَةَ مَرَّسَلًا، ومع إرساله ذكره بصيغة التعمير، فإن قال قائل: ألا يشهد لحديث أبي هريرة المتقدم والجواب: هو أنه لا يشهد لما قبله لأن خرجة واحد، فالمرسل والمرسل فيه قَتَادَةُ. فتنبه، والله أعلم.

من الأرض السابعة وتركته ثم. قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم. قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم. وهذا غريب جداً، وقد يكون الحديث الأول موقوفاً على قتادة كما روي ها هنا من قوله، والله أعلم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَمْ يَلِكْ لَكُمْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَلِيَ اللَّهُ تُرُجُّ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُلَاحِظُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِاسْتَوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ خَلْقِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهِهَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَا هُنَا. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾، أَي: يَعْلَمُ عَدَدَ مَا يَدْخُلُ فِيهَا مِنْ حَبٍّ وَقَطْرٍ، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، مِنْ زَرْعٍ وَنَبَاتٍ وَثَمَارٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا زَكَاةٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، أَي: مِنْ الْأَمْطَارِ، وَالثَّلُوجِ وَالبَرَدِ، وَالْأَقْدَارِ وَالْأَحْكَامِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَنَّهُ مَا يَنْزِلُ مِنْ قَطْرَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا وَمَعَهَا مَلَكٌ يُقَرِّضُهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ حَيْثُ يَشَاءُ تَعَالَى. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، أَي: مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَعْمَالِ.

[٦٦٠٧] كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «يُزَفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ»^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، أَي: رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ، شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ حَيْثُ أَنْتُمْ، وَأَيْنَ كُنْتُمْ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فِي الْبُيُوتِ أَوْ الْقِفَارِ، الْجَمِيعُ فِي عِلْمِهِ عَلَى السَّوَاءِ وَتَحْتَ بَصَرِهِ وَسَمْعِهِ، فَيَسْمَعُ كَلَامَكُمْ وَيَرَى مَكَانَكُمْ وَيَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ سُودَهُمْ لِيَسْتَفْهَمُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَفْهَمُونَ يَكَايَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْشِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هـود: ٥]. وَقَالَ: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتَيْلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد: ١٠]، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

[٦٦٠٨] وَقَدْ ثَبِتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَجَبْرِيلَ، لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٢).

[٦٦٠٩] وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ حَدِيثِ نَصْرِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ جُنَادَةَ بْنِ مَحْفُوظِ بْنِ عُلْقَمَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ نَصْرِ بْنِ عُلْقَمَةَ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِذٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: زَوَّدَنِي كَلِمَةً أَعِشْ بِهَا. فَقَالَ: «اسْتَخِ اللَّهُ كَمَا تَسْتَخِي رَجُلًا مِنْ صَالِحِ عَشِيرَتِكَ لَا يُفَارِقُكَ»^(٣). هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(١) صحيح، وتقدم.

(٢) متفق عليه، وتقدم.

(٣) ضعيف. عبد الرحمن بن عائذ. ضعفه الأزدي، ووثقه النسائي. وهو كثير الإرسال. قال ابن أبي حاتم: روى عن عمر مرسلاً. فالخير ضعيف.

[٦٦١٠] وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَضِيرِيِّ مَرْفُوعاً: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ الْإِيمَانَ: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ وَحَدَّه، وَأَعْطَى زَكَاةً مَالَهُ طَبِيبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرَمَةَ وَلَا الدَّرَنَةَ^(١)، وَلَا الشَّرْطَ اللَّثِيمَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ، وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ، وَزَكَّى نَفْسَهُ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَزَكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ: «يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»^(٢).

[٦٦١١] وَقَالَ نُعَيْمٌ بْنُ حَمَادٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ كَثِيرٍ بْنُ دِينَارِ الْجَنْصِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَفْضَلَ الْإِيمَانَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ»^(٣). غَرِيبٌ. وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَئِنْ تَرَيْتَ أَنَّ الْأُمُورَ ⑤﴾، أَي: هُوَ الْمَالِكُ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ⑥﴾ [الليل: ١٣]، وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصاص: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ⑦﴾ [سبا: ١]. فَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْلِكُ لَهُ، وَأَهْلُهُمَا عَبِيدُ أَرْقَاءُ أَذْلَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا يَرَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ⑧﴾ لَقَدْ أَنْصَبْتُمْ وَقَدْ هَمَّ عَبْدًا ⑨ وَكُلُّهُمْ مَا يَرَى يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرْدًا [مریم: ٩٣ - ٩٥]. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَرْتِجُ الْأُمُورَ ⑩﴾. أَي: إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحْكَمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ مُتَقَالِ ذُرَّةً، بَلْ إِنْ يَكُنْ أَحَدُهُمْ عَمِلَ حَسَنَةً وَاحِدَةً يُضَاعِفُهَا إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا. ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَنْبَاءً عَظِيمًا﴾. وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَصَبَ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مُنْقَالَ حَبْكٍ مِنْ خَزَلٍ أُنْثِيَ بِهَا وَكُفِيَ بِهَا حَسِيبٌ ⑪﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿يُؤْتِي الْبَلَّ مِنَ النَّهَارِ وَيُؤْتِي الْبَلَّ مِنَ اللَّيْلِ﴾، أَي: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ، يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَيُقَدِّرُهُمَا بِحُكْمَتِهِ كَمَا يَشَاءُ، فَتَارَةً يَطُولُ اللَّيْلُ وَيَقْصُرُ النَّهَارُ، وَتَارَةً بِالْعَكْسِ، وَتَارَةً يَتْرَكُهُمَا مُعْتَدِلَيْنِ. وَتَارَةً يَكُونُ الْفَصْلُ شَتَاءً ثُمَّ رَبِيعًا ثُمَّ خَرِيفًا، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحُكْمَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ لِمَا يُرِيدُهُ بِخَلْقِهِ، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أَي: يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَإِنْ دَقَّتْ وَخَفِيَتْ.

﴿أَمْسُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ⑫﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ⑬ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ عَبْدِهِ مَا يَشَاءُ وَيَنْتَظِرُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ⑭ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ

(١) الدون والشرط: رذالة المال وشراره.

(٢) حسن. أخرجه أبو داود ١٥٨٢ عن عبد الله بن سالم من كتابه وجادة من حديث عبد الله بن معاوية، وهذا ضعيف، لكن وصله البيهقي ٩٦/٤ وإسناده حسن، رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٨٧٩١ وقال الهيثمي: في المجمع ٢٠٤: تفرد به عثمان بن كثير، ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح. قلت: فالحديث بهذا الإسناد ضعيف.

دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُسْتَقِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَن ذَا الَّذِي يَرْغُبُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٥٨﴾

أَمَرَ تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار، وحَثَّ على الإنفاق مما جعلكم مُستخلفين فيه، أي: مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم. فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم، لِيَتَزَكَّوْا فِيهِ. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: فيه إشارة إلى أنه سيكون مُخْلَفًا عنك، فلعَلَّ وارثك أن يُطِيع الله فيه، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعت في معاونته على الإثم والعدوان.

[٦٦١٢] قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث، عن مُطَرِّف - يعني ابن عبد الله بن الشَّخِير - عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟ ورواه مسلم من حديث شعبة، به، وزاد: «وما سِوَى ذلك فذاهب وتاركة للناس»^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَانْفَقُوا لَمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة. ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾، أي: وأي شيء يمنعكم الإيمان والرسول بين أظهركم، يدعوكم إلى ذلك، ويبين لكم الحُجَج والبراهين على صِحَّة ما جاءكم به؟

[٦٦١٣] وقد رَوَيْنَا في الحديث من طُرُق في أوائل شرح (كتاب الإيمان) من صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: فالأنبياء. قال: ما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم. قالوا: فنحن؟ قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون ضحفاً يؤمنون بما فيها^(٢). وقد ذكرنا طَرَفًا من هذا في أول سورة البقرة عند قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ﴾، كما قال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧]. ويعني بذلكبيعة رسول الله ﷺ. وزعم ابن جرير: أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم. وهو مذهب مجاهد فالله أعلم. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ عَلَى عَبْدِهِ أَيْنَبُ يَنْتَنِي﴾، أي: حُجَجاً واضحات، ودلائل باهرات، وبراهين قاطعات، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس، وإزاحة الغلل وإزالة الشبهة. ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق، ثم حَثَّهم على الإيمان، وبين أنه قد أزال عنهم موانعهم، حَثَّهم أيضاً على الإنفاق فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ﴾، أي: أنفقوا ولا تحشوا فقراً وإقلاقاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنها، وهو مالِكُ العرش بما حوى، وهو القائل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ﴾ [سبا: ٣٩]. وقال: ﴿وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٥٨ وأحمد ٢٤/٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري وغيره، وتقدم.

الله بآيٍ» [النحل: ٩٦]، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ أَنْفَقَ، وَلَمْ يَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالاً، وَعِلْمُ أَنَّ اللَّهَ سَيُخْلِفُهُ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ﴾، أَي: لَا يَسْتَوِي هَذَا وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ كِفَعْلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ الْحَالُ شَدِيداً، فَلَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ حِينَئِذٍ إِلَّا الصَّدِّيقُونَ، وَأَمَّا بَعْدَ الْفَتْحِ فَإِنَّهُ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ظُهوراً عَظِيماً، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنُ﴾. وَالْجَمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ هَا هُنَا فَتْحَ مَكَّةَ. وَعَنِ الشَّعْبِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ هَا هُنَا صَلَاحَ الْحُدُودِ.

[٦٦١٤] وَقَدْ يُسْتَدَلُّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلَامٌ، فَقَالَ خَالِدٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّامٍ سَبَقْتُمُونَا بِهَا؟ قَبْلَعْنَا أَنَّ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «دَعُوا لِي أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُخْدٍ - أَوْ: مِثْلَ الْجِبَالِ - ذَهَباً، مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ»^(١). وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِسْلَامَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَوَاجَهَ بِهَذَا الْخُطَابِ كَانَ بَيْنَ صَلَاحِ الْحُدُودِ وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَشَاجِرَةُ بَيْنَهُمَا فِي بَنِي جَذِيمَةَ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ ﷺ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَعْدَ الْفَتْحِ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: (صَبَّأْنَا، صَبَّأْنَا)، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا (أَسْلَمْنَا)، فَأَمَرَ خَالِدٌ بِقَتْلِهِمْ وَقَتَلَ مِنْ أَسِيرِ مِنْهُمْ، فَخَالَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، وَغَيْرُهُمَا. فَاخْتَصَمَ خَالِدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

[٦٦١٥] وَالَّذِي فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُخْدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٢).

[٦٦١٦] وَرَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ وَهْبٍ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدُودِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِعُسْفَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ». فَقُلْنَا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَفَرِيشٌ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْزُقُ أَفْنَدَةَ وَالْيَمَنُ قُلُوباً». فَقُلْنَا: هُمْ خَيْرٌ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ فَأَنْفَقَهُ مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِكُمْ وَلَا نَصِيفَهُ، أَلَا إِنَّ هَذَا فَضْلٌ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»^(٣). وَهَذَا الْحَدِيثُ غَرِيبٌ بِهَذَا السِّيَاقِ.

[٦٦١٧] وَالَّذِي فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ رِوَايَةِ جَمَاعَةٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - ذَكَرَ الْخَوَارِجُ -: «تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الَّذِينَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»... الْحَدِيثُ^(٤).

[٦٦١٨] وَلَكِنْ رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْبَرَزِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٢٦٦/٣ وإسناده على شرط البخاري، وتقدم.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الفتح آية ٢٩.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٦١٠، وفيه هشام بن سعد، وهو ضعيف الحديث، وقد صح هذا في الخوارج، لا في أهل اليمن، والوهوم من هشام بن سعد.

(٤) متفق عليه، وتقدم.

مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ التَّمَارِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ^(١): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ». قُلْنَا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قُرَيْشٌ؟ قَالَ: «لَا، هُمْ أَرْقُ أَفْنَدَةَ، وَالْيَهُودُ قُلُوبًا». وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةَ يَمَانِيَّةٌ». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُمْ خَيْرٌ مِنَّا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ يُنْفِقُهُ مَا أَدَّى مَدَّ أَحَدِكُمْ وَلَا نَصِيفَهُ». ثُمَّ جَمَعَ أَصَابِعَهُ وَمَدَّ خِنْصَرَهُ وَقَالَ: «أَلَا، إِنَّ هَذَا فَضْلٌ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ، «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلَيْكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا» وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ». فَهَذَا السِّيَاقُ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُحْفُوظًا كَمَا تَقَدَّمَ، فَتَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَنْزَلَ قَبْلَ الْفَتْحِ إِخْبَارًا عَمَّا بَعْدَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَزْمَلِ - وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ -: «وَالْآخِرُونَ يُخْلِفُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [المزمّل: ٢٠].. الآية، فَهِيَ بَشَارَةٌ بِمَا يُسْتَقْبَلُ، وَهَكَذَا هَذِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقوله تعالى: «وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنُ»، يعني الْمُتَفَقِّهِينَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ، كُلُّهُمْ لَهُمْ ثَوَابٌ عَلَى مَا عَمِلُوا، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ تَفَاوُتٌ فِي تَفَاضُلِ الْجَزَاءِ، كَمَا قَالَ: «لَا يَسْتَوِي الْقَتِيلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْرَ أُولَى الْقَتَرِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَتِيلِينَ دَرَجَةً» وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنُ وَقَتْلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَتِيلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٥﴾ [النساء: ٩٥].

[٦٦١٩] وهكذا الحديث الذي في الصحيح: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلِّ خيرٍ»^(٢). وَإِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذَا لِئَلَّا يُهْدَرَ جَانِبُ الْآخِرِ بِمَذْحِ الْأَوَّلِ دُونَ الْآخِرِ، فَيَتَوَهَّمُ مُتَوَهَّمُ ذَمِّهِ، فَلِهَذَا عَطَفَ بِمَذْحِ الْآخِرِ وَالنَّشَاءِ عَلَيْهِ، مَعَ تَفْضِيلِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»، أَي: فَلْيُخَبِّرْتَهُ فَأَوْتِ بَيْنَ ثَوَابِ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِعْلَامِهِ بِقَصْدِ الْأَوَّلِ وَإِخْلَاصِهِ النَّامِ، وَإِنْفَاقِهِ فِي حَالِ الْجَهْدِ وَالْقِلَّةِ وَالضِّيقِ.

[٦٦٢٠] وفي الحديث: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِثْلَةَ أَلْفٍ»^(٣). وَلَا شَكَّ عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَنَّ الصَّدِيقَ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَهُ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ سَائِرِ أُمَمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّهُ أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ نِعْمَةٌ يَجْزِيهِ بِهَا.

[٦٦٢١] وَقَدْ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مُسْعُودٍ الْبَغَوِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّرِيحِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الثَّعْلَبِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ

(١) كَذَا وَقَعَ فِي سَائِرِ النُّسخ. وَهُوَ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ ٣٣٦١١ عَنْ زَيْدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ التَّمَارِ مَرْسَلًا. لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فَهُوَ إِمَّا سَبَقَ قَلَمُ مَنْ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَوْ أَنَّهُ سَقَطَ مِنْ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَبِكُلِّ حَالٍ التَّمَارُ هَذَا مَجْهُولٌ. وَقَدْ أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ كَمَا فِي «الدَّر» ٢٤٩/٦ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ مَرْسَلًا، وَهُوَ أَصَحُّ. فَالْتَّنِ غَرِيبٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ٢٦٦٤ وَابْنُ مَاجَهَ ٧٩ وَ٤١٦٨ وَأَحْمَدُ ٣٦٦/٢ وَ٣٧٠ وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» ٦٢٣ وَ ٦٢٤ وَابْنُ حِبَانَ ٥٧٢١ وَ ٥٧٢٢ كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٣) حَسَنٌ. أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ٥٩/٥ وَابْنُ خُزَيْمَةَ ٢٤٤٣ وَابْنُ حِبَانَ ٣٣٤٧ وَالْحَاكِمُ ٤١٦/١ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ لِأَجْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ.

الصادق، وعليه عبادة قد خلّها في صدره بخلال، فنزل جبريلُ فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عبادة قد خلّها^(١) في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله عليّ قبل الفتح». قال: فإن الله يقول: اقرأ عليه السلام، وقل له: أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله: «يا أبا بكر! إن الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط؟». فقال أبو بكر رضي الله عنه: أسخط على ربي - عز وجل -! إني عن ربي راض^(٢). هذا الحديث ضعیف الإسناد من هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في سبيل الله. وقيل: هو الثقة على العيال. والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية، ولهذا قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَكُمْ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَشْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ﴿وَلَكُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أي: جزاء جميل، ورزق باهر - وهو الجنة - يوم القيامة.

[٦٦٢٢] قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَكُمْ﴾، قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله! وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «نعم، يا أبا الدحداح!» قال: أرني يدك يا رسول الله! قال: فتأوله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي - وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح! قالت: لبيك. فقال: اخرجي، فقد أقرضته ربي - عز وجل - . وفي رواية أنها قالت له: ربح بيئتكم يا أبا الدحداح! ونقلت منه متاعها وصبيانها، وأن رسول الله ﷺ قال: «كم من عذقي رذاح، في الجنة لأبي الدحداح». وفي لفظ: «رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت، لأبي الدحداح في الجنة»^(٣).

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَوْمَ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالْمُنِفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ سَوْرًا لَمْ أَبْلُغْ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَلَهُمْ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَرْتَضُونَ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعون نورهم بين أيديهم في عَرَصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال: على قدر

(١) خلّها: عقدها.

(٢) أخرجه البغوي في «تفسيره» ٢٦٩/٤، وهو حديث باطل لا أصل له. فيه العلاء الحنفي، وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمته، وقال: هو متروك. وهذا الخبر كذب.

(٣) إسناده ضعيف لضعف حميد الأعرج وهو ابن عمار، وقد صح حديث أبي الدحداح عند قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وتقدم.

أعمالهم يمرّون على الصُّراط، مِنْهُمْ من نورُهُ مثلُ الجبل، وَمِنْهُمْ من نورُهُ مثلُ النخلة، وَمِنْهُمْ من نورُهُ مثلُ الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نورِهِ في إبهامه يَتَقَدُّ مرّةً وَيَطْفَأُ مرّةً. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ.

[٦٦٢٣] وقال قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنِ أَتَيْنَ وَصَنَعَاءَ فَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مَوْضِعَ قَدَمِيهِ»^(١). وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِأَسْمَائِكُمْ، وَبِسِمَاكُم وَخُلَاكُم، وَنَجْوَاكُم وَمَجَالِسِكُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ: يَا فُلَانُ! هَذَا نُورُكَ. يَا فُلَانُ! لَا نُورَ لَكَ. وَقَرَأَ «يَسْتَعِي نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ».

وقال الضحاك: ليس أحدٌ إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طغى نورُ المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورُهم كما طغى نورُ المنافقين، فقالوا: ربُّنا أتمِّمْ لَنَا نُورَنَا. وقال الحسن: «يَسْتَعِي نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»، يعني على الصراط.

[٦٦٢٤] وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، أخبرنا عَمِّي، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الدرداء وأبا ذَرٍّ يُخْبِرَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤَدِّنُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالسُّجُودِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤَدِّنُ لَهُ بِرَفْعِ رَأْسِهِ، فَانْظُرْ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَأَعْرِفْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمَا بَيْنَ نُوْحٍ إِلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: أَعْرِفُهُمْ، مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ غَيْرِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْتَعِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ»^(٢).

وقوله تعالى: «وَيُنِيرُهُمْ»، قال الضحاك: أي: وبأيمانهم كُتِبَهم. كما قال: «فَمَنْ أَوْفَى كُتُبُهُ يَبْسِيهِ». [الإسراء: ٧١]. وقوله: «يُسَرِّحُكُمْ الْيَوْمَ حَتَّى تَجْرِيَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»، أي: يُقال لهم: بشراكم اليوم جنات، أي: لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار، «خَالِدِينَ فِيهَا»، أي: ما كُتِبَ فيها أبداً، «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ». وقوله: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُتَّقُونَ لِلَّهِ أَتَيْنَا أَنْظَرُونَا تَقْبَلُ مِنْ نُورِكُمْ»، وهذا إخبارٌ منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذٍ إلا من آمَنَ بالله ورسوله، وعَمِلَ بما أَمَرَ، وَتَرَكَ ما عَنَاهُ رَجَرَ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنِي سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا عَلَى جَنَازَةٍ فِي بَابِ دِمَشْقَ، وَمَعَنَا أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، فَلَمَّا صُلِّيَ عَلَى الْجَنَازَةِ وَأُخِذُوا فِي دَفْنِهَا، قَالَ أَبُو أَمَامَةَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ وَأَمْسَيْتُمْ فِي مَنْزِلٍ تَقْتَسِمُونَ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَتَوْشِكُونَ أَنْ تَظْعَنُوا مِنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ، وَهُوَ هَذَا - يُشِيرُ إِلَى الْقَبْرِ - بَيْتُ الْوَحْدَةِ،

(١) أخرجه الطبري ٣٣٦١٤ عن قتادة مرسلًا، ومع إرساله هو بصيغة التمرّض. وقد أخرجه الطبري ٣٣٦١٦ عن ابن مسعود موقوفًا، وهو أصح. لكن الآية شاهد بذلك والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف، وله علتان، ضعف ابن أخي ابن وهب، وجهالة سعد بن مسعود، وأخرجه الحاكم ٤٧٨/٢ من طريق آخر عن أبي صالح عن الليث عن حبيب عن جبير، وأبو صالح ضعيف، وحبيب مدلس، وقد أسقط سعد بن مسعود لجهالة، وبعض الثن محفوظ له شواهد، وبعضه الآخر منكر، ومن ذلك «وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم» فهذا لا يصح، فليس هو خاص بهذه الأمة، بل عام في كل مؤمن من الأمم المتقدمة.

وبيت الظلمة وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حين يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً. وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال: ﴿أَرْكَبُكُمْ فِي بُحْرٍ لَّيْجٍ﴾. إلى قوله: ﴿فَمَا لَمْ يَنْتَهِرُوا﴾ [النور: ٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قُلْ أَرْجِعُوا رَبَّكُمْ فَاَلْتَمِسُوا مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم سور له باب، ﴿بَايِئْتُمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَلَهُمُ مِنَ بَيْتِ الْعَذَابِ﴾... الآية، يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغتراً حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق.

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا ابن خزيمة، حدثنا أرطاة بن المنذر، حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي أمامة قال: تبعك ظلمة يوم القيامة، فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه، حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم، فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾. وقال العوفي، والضحاك، وغيرهما، عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا أثبثوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾. فإنا كنا معكم في الدنيا. قال المؤمنون: ﴿أَرْجِعُوا﴾ من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور.

[٦٦٢٥] وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن بن علوية القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده. وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً، وكل منافق نوراً، فإذا استروا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾. وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ﴾. فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً»^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُمْ بَابٌ بَايِئْتُمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَلَهُمُ مِنَ بَيْتِ الْعَذَابِ﴾، قال الحسن، وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾. وهكذا روي عن مجاهد - رحمه الله - وغير واحد. وهو الصحيح. ﴿بَايِئْتُمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ﴾، أي: الجنة وما فيها، ﴿وَظَلَهُمُ مِنَ بَيْتِ الْعَذَابِ﴾، أي: النار. قاله قتادة، وابن زيد، وغيرهما. قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم. ثم قال: حدثنا ابن البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عطية بن قيس، عن أبي العوام - مؤذن بيت المقدس - قال: سمعت عبد الله ابن عمرو يقول: إن السور الذي ذكر الله في القرآن: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُمْ بَابٌ بَايِئْتُمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَلَهُمُ مِنَ بَيْتِ الْعَذَابِ﴾، هو السور

(١) باطل. أخرجه الطبراني ١١٢٤٢، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٤٤٣: فيه إسحاق بن بشر، وهو متروك اهـ. وكذبه الدارقطني، وكذا علي المديني. وله شاهد بإسناد ساقط. أخرجه ابن عدي ٣٤٣/١ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» ٢٤٨/٣ وقال ابن الجوزي، لا يصح، والتمه به إسحاق. قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يأتي عن الثقات بالأشياء الموضوعات، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب اهـ. وصح عند مسلم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم.....

الشرقي باطنه المسجد وما يليه، وظاهره وادي جهنم. ثم رَوَى عن عبادة بن الصّامت، وكعب الأحبار، وعلي بن الحسين زين العابدين، نحو ذلك. وهذا محمولٌ منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أُريد من القرآن هذا الجدارُ المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم؛ فإن الجنة في السموات في أعلى عِلِّيَّين، والنار في الدركات أسفل سافلين. وقولُ كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرّحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيليّاته وتُرّهاته. وإنما المراد بذلك سورٌ يُضْرَب يوم القيامة ليَحْجُزَ بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغْلِقَ البابُ وبقيَ المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كُفْرٍ وجهلٍ وشكٍّ وحيرة.

﴿يَنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾، أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنّا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَى﴾، أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى، قد كنتم معنا، ﴿وَلَكِنَّكُمْ فُتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَبَتُمْ وَغَرَّكُمْ الْآمَنَاءُ﴾، قال بعض السلف: أي: ففتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، ﴿وَتَرَفْتُمْ﴾، أي: أخرتم الثوبة من وقت إلى وقت. وقال قتادة: ﴿وَتَرَفْتُمْ﴾ بالحق وأهله. ﴿وَارْتَبَتُمْ﴾، أي: بالبعث بعد الموت، ﴿وَغَرَّكُمْ الْآمَنَاءُ﴾، أي: قلتم؛ سيغفر لنا. وقيل: غرّتمكم الدنيا. ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت، ﴿وَعَزَّكُمْ بِاللَّهُ الْقُرُورُ﴾، أي: الشيطان. قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: أنكم كنتم معنا بأبدانٍ لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك، فكنتم تزاوون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً. قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياءً يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرُونهم، وكانوا معهم أموالاً، ويعطون الثورَ جميعاً يوم القيامة، ويطلق الثور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويُعَازَ بينهم حيثنذ.

وهذا القول من المؤمنين لا يُنافي قولهم الذي أخبر الله به عنهم، حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَتْ﴾ [٣٨] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [٣٩] ﴿فِي جَنَّاتٍ يَجْعَلُونَ فِيهَا سَكَنًا﴾ [٤٠] ﴿عَنِ الْمُتَكِبِينَ﴾ [٤١] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [٤٢] ﴿قَالُوا لَوْ نَدَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٤٣] ﴿وَلَوْ نَدَّ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٤٤] ﴿وَكُنَّا نَحْشُوكَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [٤٦] ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [٤٧]. [المصدر: ٣٨-٤٧]. فهذا إنما خَرَجَ منهم على وجه التقرّيع لهم والتوبيخ. ثم قال تعالى: ﴿فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [٤٨]، كما قال تعالى ها هنا: ﴿قَالُوا لَا يَدْخُلُكُمْ فِيهِ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: لو جاء أحدكم اليوم بجلء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه. وقوله: ﴿مَأْوَنَكُمْ النَّارُ﴾، أي: هي مصيركم واليها مُتَقَلِّبُكُمْ. وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾، أي: هي أولى بكم من كل منزلٍ على كُفْرِكُمْ وارتبائِكُمْ وبش المصير.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [١١] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [١٧]

يقول تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي: تليين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهّمه وتنفّذ له وتسمع له وتطيعه.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا صالح المُرزي، عن قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطن قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ... الآية، رواه ابن أبي حاتم، عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن حسين المروزي، عن ابن المبارك، به.

[٦٦٢٦] ثم قال هو ومُسْلِمٌ: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال - يعني الليثي - عن عَوْنِ بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ... الآية، إلا أربع سنين^(١). كذا رواه مسلم في آخر الكتاب. وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية، عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب، به. وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي، عن أبي حازم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، مثله. فجعله من مُسْنَدِ ابن الزبير. لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب، عن أبي حازم، عن عامر، عن ابن الزبير، عن ابن مسعود، فذكره.

[٦٦٢٧] وقال سُفْيَانُ الثوري؛ عن المسعودي، عن القاسم قال: مَلَأ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فأنزل الله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^(٢) [يوسف: ٣]. قال: ثم مَلَأُوا ملة فقالوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ﴾ [الزمر: ٢٣]. ثم مَلَأُوا ملة فقالوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فأنزل الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.

[٦٦٢٨] وقال قتادة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ شَدَادَ بْنَ أَوْسٍ كَانَ يَزُوي عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ»^(٣). وقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَطَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَفَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: نَهَى الله المؤمنين أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينَ حُمِلُوا الْكِتَابَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بَايَدِيهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، وَتَبَدَّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَأَقْبَلُوا عَلَى الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَقْوَالِ الْمُتَفَيِّكَةِ، وَقَلَّدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَسَتْ قُلُوبُهُمْ، فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، وَلَا تَلِينَ قُلُوبُهُمْ بوعيد ولا وعيد. ﴿وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقٌ﴾، أي: فِي الْأَعْمَالِ، فَقُلُوبُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَأَعْمَالُهُمْ بَاطِلَةٌ. كما قال: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَيْتَنَّهُمْ لَمَنْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، أي: فَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ فَفَسَتْ وَصَارَ مِنْ سَجِيَّتِهِمْ تَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَتَرْكُوْا الْأَعْمَالَ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا، وَارْتَكَبُوا مَا نُهُوا عَنْهُ، وَلِهَذَا نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْفُرْعَانِيَّةِ.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا شهاب بن خراش، حدثنا حجاج ابن

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٢٧ ح ٢٤ والنسائي في «التفسير» ٥٨٨.

(٢) وتقدم تخریج الحديث عندها، وهو مرسل ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٦٤٢ عن قتادة عن شداد بن أوس، وهو منقطع بينهما، كما هو واضح في صيغة قتادة. وأخرجه الطبراني ٧١٨٣ عن قتادة عن الحسن بن شداد به، وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٨١٤: فيه عمران ابن داود القطان، ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد وابن حبان. وله شاهد من حديث أبي الدرداء أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ٢٨١٣ وقال الهيثمي: إسناده حسن. وفي الباب عن عوف بن مالك أخرجه أحمد ٢٦/٦ - ٢٧ ح ٢٣٤٧٠ وإسناده لا بأس به. فالحديث حسن بشواهد إن شاء الله.

دينار، عن منصور بن المعتمر، عن الربيع بن عُميّلة الفَزَارِي قال: حدثنا عبد الله بن مسعود حديثاً ما سمعتُ أعجب إليّ منه، إلا شيئاً من كتاب الله - أو: شيئاً قاله النبي ﷺ، قال: ^(١) «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقسّ قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم، استهوت قلوبهم واستحلّته الستهم واستلذّته، وكان الحقّ يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمَن تابعنا عليه تركناه، ومن كرهه أن يتابعنا قتلناه. ففعلوا ذلك، وكان فيهم رجلٌ فقيه، فلما رأى ما يصنعون عمّد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيءٍ لطيف، ثم أدرجه، فجعله في قرن ثم علّق ذلك القرن في عُقْقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل، فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم، فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقيّة الناس، وإن أبى فاقتلوه. فدعوا فلاناً ذلك الفقيه فقالوا: تؤمن بما في كتابنا؟ قال: وما فيه؟ اعرضوه عليّ. فعرضوه عليه إلى آخره، ثم قالوا: أتؤمن بهذا؟ قال: نعم، آمنت بما في هذا - وأشار بيده إلى القرن - آمنت بما في هذا - فتركوه، فلما مات نبشوه فوجدوه متعلّقاً ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله، فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، ما كنا نسمع هذا أصابهُ فتنة. فافتقرت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين مِلةً، وخيرٌ مِللهم مِلةُ أصحابِ ذي القرن». قال ابن مسعود: أوشك بكم إن بقيتم - أو: بقي من بقي منكم - أن تزوا أموراً تُنكرونها، لا تستطيعون لها غيراً فيحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كارة.

وقال أبو جعفر الطبري: حدثنا ابنُ حمّيد، حدثنا جرير، عن مُغيرة، عن أبي معشر، عن إبراهيم قال: جاء عثريس بنُ عُرقوبٍ إلى ابن مسعود فقال: يا عبد الله! هلَك مَنْ لم يأمر بالمعروف ونهَى عن المنكر. فقال عبد الله: هلَك مَنْ لم يعرف قلبه معروفاً ولم يُنكر قلبه منكراً، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقسّ قلوبهم، اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم، استهوت قلوبهم واستحلّته الستهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه. قال: فجعل رجلٌ منهم كتاب الله في قرن، ثم جعل القرن بين ثُدُوتيه فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به - ويومئذ إلى القرن بين ثُدُوتيه - ومالي لا أومن بهذا الكتاب؟ فَمِنْ خَيْرِ مِللهم اليومِ مِلةُ صاحب القرن.

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾: فيه إشارة إلى أنه - تعالى - يُلِين القلوب بعد قسوتها، ويَهْدِي الحَيَارَى بعد ضلّتها، ويُفَرِّجُ الكروب بعد شدّتها، فكما يُحيي الأرض الميتة المُجْدِبَةُ الهامِدة بالغيث الهَتان، كذلك يَهْدِي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويُولِج إليها الثور بعد ما كانت مُقْفَلَةً لا يَصِل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمُضِل لمن أراد بعد الكَمَالِ، الذي هو لما يشاء قَعَالٌ، وهو الحَكْمُ العدلُ في جميع أفعاله، اللطيفُ الخبيرُ الكبيرُ المُتَعَالِ.

﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ ۝

يُخبر تعالى عمّا يُثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة، ﴿وَأَقْرَضُوا

اللَّهُ قَرَضًا حَسَنًا»، أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله، لا يُريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراً. ولهذا قال: ﴿يُصْعَقُ لَهُمْ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزاد على ذلك إلى سبعة ضعف فوق ذلك، ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أي: ثواب جليل حسن، ومرجع صالح ومآب كريم. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: هذا تمام الجملة، وصَف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون. قال العوفي، عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: هذه مفصلة، ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. وقال أبو الضحى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. وهكذا قال مسروق، والضحاك، ومقاتل بن حَيَّان، وغيرهم.

وقال الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال: هم ثلاثة أصناف: يعني المصدقين، والصديقين، والشهداء. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾، ففرق بين الصديقين والشهداء، فدل على أنهما صنفان. ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد.

[٦٦٢٩] كما رواه الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - في كتابه الموطأ، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْعَرْشِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرُ فِي الْأَفَقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ». قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١). اتفق البخاري ومسلم على إخراجهم من حديث مالك، به. وقال آخرون: بل المراد من قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء. حكاه ابن جرير عن مجاهد.

[٦٦٣٠] ثم قال ابن جرير: حدثني صالح بن حرب أبو مَعْمَرٍ، حدثنا إسماعيل بن يحيى، حدثنا ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ». قال: ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢). هذا حديث غريب. وقال أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، قال: يجيئون يوم القيامة معاً كالإصبعين. وقوله تعالى: ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، أي: في جَنَاتِ النَّعِيمِ.

[٦٦٣١] كما جاء في الصحيحين: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرُحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطْلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ أَطْلَاعَةً فَقَالَ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فقالوا: نَحْبُ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا فَنُقَاتِلَ فِيكَ، فَتُقَاتَلَ كَمَا قُتِلْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فقال: إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون»^(٣). وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، أي: لهم عند ربهم أجرٌ جليل ونورٌ عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يَتَفَاوَتُونَ بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال.

(١) تقدم تخريجه في سورة النساء آية ٦٩.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٣٦٥٣، وفيه إسماعيل بن يحيى الشيباني. وهو متروك. ونقل الذهبي في «الميزان» ٩٦٦ عن يزيد بن هارون أنه كذبه.

(٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ١٥٤.

[٦٦٣٢] كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن أبي يزيد الخولاني، قال: سمعت فضالة بن عبيد يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «الشهداء أربعة، رجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو فصدق الله فقتل، فذلك الذي ينظر الناس إليه هكذا - ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ، أو قلنسوة عمر - والثاني مؤمن لقي العدو فكانما يضرب ظهره بشوك الطلح، جاءه سهم غرّب فقتله، فذلك في الدرجة الثانية. والثالث رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الثالثة. والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الرابعة»^(١). وهكذا رواه على ابن المدني، عن أبي داود الطيالسي، عن ابن المبارك، عن ابن لهيعة، وقال: هذا إسناد مصري صالح. ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال: حسن غريب.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: لما ذكر السعداء ومآلهم، عطف بذكر الأشقياء وبيّن حالهم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحْيٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَصْرِفٌ ثُمَّ يُنْفَخُ الصُّفُوفُ فَهُمْ فِي حَوْشٍ عُرِيٍّ﴾^(٢)، أي: اعلموا أن الحياة الدنيا لحية وهي زينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما للحياة الدنيا إلا متاع الغرور^(٣) ساقوا إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(٤).

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحْيٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَصْرِفٌ ثُمَّ يُنْفَخُ الصُّفُوفُ فَهُمْ فِي حَوْشٍ عُرِيٍّ﴾، أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿يُنْفَخُ الصُّفُوفُ فَهُمْ فِي حَوْشٍ عُرِيٍّ﴾^(٥)، أي: ينفخ الصفوف فيكون حطماً، أي: يهيج ذلك الزرع الذي تبت بالغيث؛ وكما يعجب الزرع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾، أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعدما كان خضراً نضراً، ثم يكون بعد ذلك كله إلى أن يصير يئساً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعُفوان شبابه غصاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويتفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٦) [الروم: ٥٤]. ولما كان

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ١٦٤٤ وأحمد ٢٢/١ - ٢٣ وابن المبارك في «الجهاد» ١٢٦ وابن أبي عاصم ١٨٦ وأبو يعلى ٢١٦ و٢٥٢، وإسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة اختلط، وأبو يزيد مجهول. وقد توبع ابن لهيعة عند الطيالسي ٤٥ و١٣٣ فعله الحديث أبو يزيد. وكان علي المدني قال: إسناد صالح لأنه من رواية ابن المبارك عن ابن لهيعة، لكن لم يتنبه لشيخ ابن لهيعة.

هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْبَاقِي إِلَّا مَتَاعٌ الْفُتُورِ﴾، أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان. وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْبَاقِي إِلَّا مَتَاعٌ الْفُتُورِ﴾، أي: هي متاع فان غار لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعيجه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

[٦٦٣٣] قال ابن جرير: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا المحاربي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَوْضِعٌ سَوِطٌ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. اقْرَءُوا: ﴿وَمَا الْبَاقِي إِلَّا مَتَاعٌ الْفُتُورِ﴾»^(١). وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة، والله أعلم.

[٦٦٣٤] وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن ثُمير ووكيع، كلاهما عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(٢). انفرد بإخراجه البخاري في (الرقاق)، من حديث الثوري، عن الأعمش، به. ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا حثه الله على المبادرة إلى الخيرات، من فعل الطاعات، وترك المحرمات، التي تكفر عنه الذنوب والزلات، وتحصل له الثواب والدرجات، فقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: والمراد جنس السماء والأرض، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَسَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) قال عمران: [١٣٣]، وقال ما هنا: «أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، أي: هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم.

[٦٦٣٥] كما قدمنا في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والتعيم المقيم. قال: «وما ذاك؟». قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا تنصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتهم من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم. تُسَبِّحُونَ وتكبرون وتحمدون ذُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين». قال: فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا، ففعلوا مثله! فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(٤).

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ^(٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي بَالِغُهَا النَّاسُ بِالْبَخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ^(٢٤)

يُخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية، فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

(١) تقدم تخريجه في سورة آل عمران ١٨٥، وهو في الصحيح دون ذكر الآية، فإنه مدرج.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٨٨ وأحمد ٤٤٢/١.

(٣) تقدم تخريجه، وهو في الصحيح.

أَنْفُسِكُمْ»، أي: في الآفاق وفي نفوسكم، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾، أي: من قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ الْخَلِيقَةَ وَنَبْرَأَ النَّسَمَةَ. وقال بعضهم: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾، عائد على النفوس، وقيل: عائد على المصيبة. والأحسن عودُهُ على الخَلِيقَةِ والبرية، لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنتُ جالساً مع الحسن فقال رجل: سَلْتُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾، فسأله عنها، فقال: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَمَنْ يَشْكُ فِي هَذَا؟ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْرَأَ النَّسَمَةَ. وقال قتادة: ما أصاب من مصيبة في الأرض. قال: هي السنون. يعني: الجذب، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يقول: الأوجاع والأمراض. قال: وبلغنا أنه ليس أحدٌ يصيبه خدشٌ غودٍ ولا نكبةٌ قَدَمٍ، ولا خَلْجَانٌ عِزْقٍ إِلَّا بِذَنْبٍ، وما يعفو الله عنه أكثر.

وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القَدَرِيَّة نفاة العلم السابق - قَبْلَهُمُ اللَّهُ -.

[٦٦٣٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حَيَوَةُ وابن لهيعة قالوا: حدثنا أبو هانئ عن الحَوْلَانِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ وَحَيَوَةَ بْنِ شَرِيحٍ وَنَافِعٍ بْنِ يَزِيدٍ، ثَلَاثُهُمْ عَنْ أَبِي هَانئٍ، بِهِ. وَزَادَ ابْنُ وَهْبٍ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (١). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي: إِنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَكِتَابَتِهِ لَهَا طَبَقٌ مَا يُوجَدُ فِي حِينِهَا سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لَتَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ، وَمَا أَخْطَأَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكُمْ، فَلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدَّرَ شَيْءٌ لَّكَانَ، «وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»، أي: جاءكم، وبقراء: ﴿ءَاتَاكُمْ﴾ أي أعطاكم. وكلاهما متلازم، أي: لَا تَفْرَحُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسُغْيِكُمْ وَلَا كَذْبِكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدَرِ اللَّهِ وَرِزْقِهِ لَكُمْ، فَلَا تَتَّخِذُوا نِعَمَ اللَّهِ أَشْرًا وَبَطْرًا، تَفْتَخَرُونَ بِهَا عَلَى النَّاسِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، أي: مختال في نفسه مُتَكَبِّرٌ فَخُورٌ، أي: على غيره. وقال عكرمة: ليس أحدٌ إلا وهو يَفْرَحُ وَيَحْزَنُ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا الْفَرْحَ شُكْرًا وَالْحَزْنَ صَبْرًا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَبْتَلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ﴾، أي: يفعلون المنكر ويحضنون الناس عليه، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾، أي: عن أمر الله وطاعته، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، كما قال موسى - عليه السلام -: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ حِينًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ

بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصْرُفُ وَرُسُلُهُمُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥)

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، أي: بالمُعْجَزَات، وَالْحُجُجِ الْبَاهِرَاتِ، وَالِدَلَالِ الْقَاطِعَاتِ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، وَهُوَ الثَّقْلُ الصِّدْقُ، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾، وَهُوَ: الْعَدْلُ. قاله مجاهد، وقاتدة، وغيرهما.

وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة، كما قال: ﴿أَفَن كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَ مِن زِينَةٍ وَتَلَوَهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [مرد: ١٧]، وقال: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ أَلَىٰ فَطَرَ النَّاسَ عَلِيًّا﴾ [الروم: ٣٠]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٧) [الرحمن: ٧]، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، أي: بالحق والعدل وهو: أتباع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاؤوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق، كما قال: ﴿وَكُنْتُمْ كَلِمَةً رَبُّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]. أي: صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي. ولهذا يقول المؤمنون إذا تبؤوا عُرِفَ الْجَنَابِ، والمنازل العاليات، والسرور المصفوفات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ﴾ [الاعراف: ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجّة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة تُوحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وبيان ودلائل، فلما قامت الحجّة على من تخلف منهم، شرع الله الهجرة. وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده.

[٦٦٣٧] وقد روى الإمام أحمد وأبو داود، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن حسان ابن عطية، عن أبي المنيب الجرجسي الشامي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُوحِي، وَجُعِلَ الذُّلَّةُ وَالصُّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، يعني: السلاح كالسيوف، والجرباب، والسنان، والنضال، والدروع، ونحوها. ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، أي: في معاشهم كالسكة والفأس والقُدوم، والمِنْشَار، والإزْمِيل، والمعجرفة، والآلات التي يُسْتَعَانُ بِهَا فِي الْجِرَاءَةِ وَالْحَيَاكَةِ وَالطَبِخِ وَالخَبْرِ، وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك. قال علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السُّنْدَانُ وَالْكَلْبَتَانِ^(٢)، والمعجفة. يعني: المطرقة. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْقَبِيبِ﴾، أي: من نيته في حمل السلاح نُصْرَةُ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، أي: هو قويٌّ عزيزٌ، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، إنما شرع الجهاد ليلو بعضكم ببعض.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهُتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٦٦) ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَاتُنَا رِضْوَانُ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٦٧)

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مِنْذُ بَعَثَ نُوحًا - عَلَيْهِ السَّلَام - لَمْ يُرْسِلْ بَعْدَهُ رَسُولًا وَلَا نَبِيًّا إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، لَمْ يُنْزَلْ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا وَلَا أُرْسَلَ رَسُولًا وَلَا أُوحِيَ إِلَى بَشَرٍ مِنْ بَعْدِهِ، إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلَالَتِهِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]،

(١) تقدم في سورة البقرة آية ١٠٤.

(٢) الكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى.

حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر بعده بمحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُحْمِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾، وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، أي: رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلقي. وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، أي: ابتدعها أمّة النصارى، ﴿مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا آتَيْنَاهُ رِضْوَانًا﴾، فيه قولان، أحدهما: أنهم قصّدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير، وقناة، والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك، إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله. وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما رَعَمُوا أنه قُرْبَةٌ يُقَرَّبُهم إلى الله عز وجل.

[٦٦٣٨] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي، حدثنا السندي بن عبدويه، حدثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بن مسعود؛ قلت: لبيك يا رسول الله! قال: «هل عَلِمْتُ أنَّ بني إسرائيل اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينبغ منها إلا ثلاث فرق قامَت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم - عليه السلام -، فدَعَت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقاتلت الجبابرة فقتِلَت فَصَبِرَت وَنَجَتْ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوّة بالقتال، فقامت بين الملوك والجبابرة، فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقتِلَت وقُطِعَت بالمناشير وحُرِّقَت بالنيران، فَصَبِرَت وَنَجَتْ. ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوّة بالقتال ولم تُطَلَق القيام بالقسط، فَلَحِقَت بالجبال فتعبدت وترعبت، وهم الذين ذَكَرَ الله - عز وجل - : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ﴾^(١).

[٦٦٣٩] وقد رَوَاهُ ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى. فقال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا داود بن المَحْبَر، حدثنا الصُّعْق بن حَزَن، حدثنا عَقِيل الجَعْفَدِي، عن أبي إسحاق الهَمْدَانِي، عن سَوِيد بن غَفَلَةَ، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم»... وذكر نحو ما تقدم، وفيه: ﴿فَقَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: هم الذين آمنوا بي وصدقوني، ﴿وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ فَاسْتَوَى﴾، وهم الذين كذبوني وخالفوني^(٢). ولا يُقَدِّح في هذه المتابعة لحال داود بن المَحْبَر، فإنه أحد الرُضَاعِين للحديث لكن قد أسنده أبو يَغْلَى، وسنده: عن شَيْبَانَ بن قُرُوح، عن الصُّعْق بن حَزَن، به مثل ذلك. فَقَوِيَ الحديث من هذا الوجه.

(١) ضعيف. أخرجه الطبراني ١٠٣٥٧ وفيه بكير بن معروف. ضعفه ابن المبارك. وشيخه مقاتل بن حيان، وثقه قوم، وضعفه آخرون. وقد روى ناكير. وشيخه القاسم ثقة. وأما أبو عبد الرحمن فلم يسمع من أبيه ابن مسعود سوى أحرف يسيرة. فالخير وإله ثلاث علل.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبراني ٣٣٦٧٧ وفيه داود بن المحبر، وهو متروك متهم بالكذب. لكن توبع، فقد أخرجه الحاكم ٢/ ٤٨٠ والطبراني ١٠٥٣١ كلهم من طريق الصُّعْق بن حزن بهذا الإسناد. سكت الحاكم، وقال الذهبي: ليس بصحيح. فإن الصُّعْق وإن كان موثقاً، فإن شيخه منكر الحديث. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧٤٠: فيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان في «المجروحين» ١٩٢/٢: منكر الحديث. يروي عن الثقات مالا يشبه حديث الأثبات، فبطل الاحتجاج بما روى، وإن وافق فيه الثقات.

وقال ابنُ جرير، وأبو عبد الرحمن النسائي - واللفظ له -: أخبرنا الحسين بن حُرَيْث، حدثنا الفضل بن موسى عن سُفيان بن سعيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان مُلوْكُ بعد عيسى - عليه السلام - بَدَّلَتِ التوراةَ والإنجيل، فكان منهم مؤمنون يقرؤون التوراةَ والإنجيل، فقليلٌ لِمَلُوكِهِمْ: ما نجد شيئاً أشدَّ من شتم يشتمونه هؤلاء، إنهم يقرؤون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]... هؤلاء الآيات، مع ما يعيَّبُوننا به من أعمالنا في قراءتهم، فادَّعَاهُمْ فَلْيَقْرَؤُوا كما نقرأ، وَلْيُؤْمِنُوا كما آمنَّا. فَدَّعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ وَعَرَّضَ عَلَيْهِم الْقَتْلَ أَوْ يَتْرَكُوا قِرَاءَةَ التوراةَ والإنجيل، إلا ما بَدَّلُوا منها، فقالوا: ما تُريدون إلى ذلك؟ دَعَوْنَا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أَسْطُوَانَةً، ثم ارفَعُوا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفعُ به طعمانا وشرابنا فلا نَرُدُّ عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة: ابنوا لنا دُوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نَرُدُّ عليكم ولا نَمُرُّ بكم. وليس أحد من القبائل إلا له حَمِيمٌ فيهم، ففَعَلُوا ذلك، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾. والآخرون قالوا: نتعبدُ كما تعبَدُ فلان، ونسيحُ كما سَاحَ فلان، ونَتَّخِذُ دُوراً كما اتَّخَذَ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ ولم يبقَ منهم إلا القليل، انحطَّ منهم رجلٌ من صَوْمَعَتِهِ، وجاء سائحٌ من سِياحَتِهِ، وصاحبُ الدَّيرِ من دِيرِهِ، فآمنوا به وصدَّقوه، فقال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْخَذْ مِنْكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: أجزرين بإيمانهم بعيسى ابن مريم ونُصِبَ أنفسهم والتوراةَ والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتُضَدِّقُهُمْ، قال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: القرآن، وأتباعهم النَّبِيُّ ﷺ قال: ﴿لَيْلًا يَمَلَأُ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بَكُمْ﴾: أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى قَتْلِهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. هذا السياق فيه غرابةٌ وسيأتي تفسيرُ هاتين الآيتين الآخرين على غير هذا، والله أعلم.

[٦٦٤٠] وقال الحافظُ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، أن سهل بن أبي أمامة حَدَّثَهُ، أنه دَخَلَ هو وأبوه على أنس ابن مالك بالمدينة زَمَانَ عُمَرَ بن عبد العزيز وهو أمير وهو يُصَلِّي صلاة خَفِيفَةً كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها، فلما سَلَّمَ قال: يرحمك الله، أرايتَ هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلت؟ قال: إنها المكتوبة، وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأتُ إلا شيئاً سهوتُ عنه إن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تُشَدُّدُوا على أنفسكم فَيُشَدَّدَ عليكم، فإن قوماً شَدَّدُوا على أنفسهم فَشَدَّدَ عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات» ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾. ثم غَدَا من الغد فقالوا تَرَكْبُ فننظرُ ونعتبرُ، قال: نعم: فَرَكِبُوا جميعاً، فإذا هم بديارٍ قفرٍ قد بادَ أهلُها وانقرضوا وفنوا، خاويةٌ على عروشها، فقالوا: أتعرفُ هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها، هؤلاء أهلُ الديار، أهلكهم البغي والحسد، إن الحسدَ يُطْفِئُ نُورَ الحَسَنَاتِ، والبَغْيُ يُصَدِّقُ ذلك أو يكذِّبُه، والعينُ تزني والكُفُّ والقدم والجسدُ واللِّسانُ، والفرجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يكذِّبُه^(١).

[٦٦٤١] وقال الإمامُ أحمد: حدثنا يَعْمَرُ، حدثنا عبد الله، أخبرنا سُفيان، عن زيدِ العَمِّي، عن أبي

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٠٤ وأبو يعلى ٣٦٩٤ وإسناده ضعيف لجهالة سعيد بن عبد الرحمن، حيث وثقه ابن حبان وحده، وانظر «الضعيفة» ٣٤٦٨.

إياس، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال «لكل نبي رهبانيّة، ورهبانيّة هذه الأُمّة الجهاد في سبيل الله - عزّ وجلّ»^(١).

[٦٦٤٢] ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماء، عن عبد الله بن المبارك، به، ولفظه: «لكل أُمّة رهبانيّة، ورهبانيّة هذه الأُمّة الجهاد في سبيل الله»^(٢).

[٦٦٤٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا حُسَيْن - هو ابن محمد - حدثنا ابن عِيَّاش - يعني إسماعيل - عن الحجاج بن مَرْوَانَ الْكَلَّاعِي، وعَقِيل بن مُدْرِك السُّلَمِي عن أبي سعيد الْخُدْرِي - رضي الله عنه - أن رجلاً جاءه فقال: أوصني. فقال: «سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد رهبانيّة الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه رُوحُك في السماء، وذكرك في الأرض»^(٣). تفرد به أحمد، والله تعالى أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَهْفَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

وقد تقدّم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمّل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص.

[٦٦٤٤] وكما في حديث الشعبي عن أبي بُرْزَة، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمنَ بِنبيّه وآمنَ بي فله أجران، وعبدٌ مملوكٌ أدى حقَّ الله وحقَّ مَولاهِ فله أجران، ورجلٌ أدبَ أُمَّتَهُ فأحسنَ تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»^(٤). وأخرجه الصّحّاحين. ووافق ابنَ عباس على هذا التفسير الضّحّاك، وعُتْبَةُ بن أبي حكيم، وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير.

وقال سعيد بن جبير: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأُمّة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كَهْفَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، أي: ضعفين، وزادهم: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، يعني: هُدًى يُبَصِّرُ به من العمى والجهالة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾. ففضلهم بالنور والمغفرة. ورواه ابن جرير عنه.

وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

(١) حسن. أخرجه أحمد ٢٦٦/٣ وأبو يعلى ٤٢٠٤ وابن المبارك ١٦ وابن أبي عاصم ٣٣ كلاهما في الجهاد، وإسناده ضعيف لضعف زيد العتَمي. وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه أبو داود ٢٤٨٦ وفيه القاسم بن عبد الرحمن ضعيف، وتابعه عفير بن معدان، أخرجه الطبراني ٧٧٠٨ وهو ضعيف. وله شاهد من مرسل معاوية بن قرة، أخرجه سعيد بن منصور ٢٣٠٩ ورجاله ثقات. وانظر ما بعده.

(٢) هذا اللفظ أصح، وانظر التخرّيج السابق، والآتي.

(٣) أخرجه أحمد ٨٢/٣ وابن أبي عاصم ٣٤ وإسناده ضعيف، عقيل مقبول، ولم يدرك أبا سعيد.

(٤) متفق عليه، وتقدم.

وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار يهود: كم أفضل ما ضُفِّفَ لكم حسنة؟ قال: كِفْلٌ ثلاثون وخمسون حسنة. قال: فَحَمِدَ اللهَ عَمَرُ على أنه أعطانا كِفْلَيْنِ. ثم ذَكَرَ سعيد قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك. رواه ابن جرير.

[٦٦٤٥] ومما يُؤَيِّدُ هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مِثْلُكُمْ ومِثْلُ الْيَهُودِ والنَّصَارَى كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَالاً، فقال: مَنْ يَعْمَلُ لي من صلاة الصُّبْحِ إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ أَلَا فَعَمِلْتُ الْيَهُودَ. ثم قال: مَنْ يَعْمَلُ لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ أَلَا فَعَمِلْتُ النَّصَارَى. ثم قال: مَنْ يَعْمَلُ لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ أَلَا فَأَنْتُمْ الَّذِينَ عَمَلْتُمْ. فَغَضِبَتِ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ، وقالوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلَى عَطَاءً. قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فَإِنَّمَا هُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءِ^(١). قال أحمد: وَحَدَّثَنَاهُ مُؤَمَّلٌ، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، نحو حديث نافع، عنه. انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب، عن حماد، عن أيوب، عن نافع، به، وعن قتيبة، عن الليث، عن نافع، بمثله.

[٦٦٤٦] وقال البخاري: حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن يزيد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مِثْلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا إِلَى نَصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بِاطِلٍ. فقال لهم: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا، فَأَبَوْا وَتَرَكَوا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمْ فَقَالَ: أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمْ الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ. فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا حِينَ صَلَّوْا الْعَصْرَ قَالُوا: مَا عَمِلْنَا بِاطِلٍ، وَلَكِ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ: أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، فَإِنْ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ سِيرُوا. فَأَبَوْا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، فَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَذَلِكَ مِثْلُهُمْ وَمِثْلُ مَا قَبَلُوا مِنْ هَذَا الثَّوَرِ^(٢). انفرد به البخاري.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ الْقَلَيْبُ الْكَافِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، أي: ليتحققوا: أنهم لا يقدرُونَ على رَدِّ مَا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَا إعطاءٍ ما منع اللهُ، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. قال ابن جرير: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ﴾، أي: لِيَعْلَمَ. وقد ذَكَرَ عن ابن مسعود أنه قرأها (لِكَيْ يَعْلَمَ). وكذا حطاب بن عبد الله، وسعيد بن جبَّير. قال ابن جرير: لأنَّ العرب تجعل (لا) صلةً في كلِّ كلام دخل في أوله أو آخره جحدٌ غير مُصْرَحٍ، فالسابق كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بالله ﴿وَكَحَرَمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [الأنبياء: ٩٥].

آخر تفسير سورة الحديد، والله الحمد والمنّة

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٦/٢ والبخاري ٣٤٥٩ والترمذي ٢٨٧١ وابن حبان ٦٦٣٩.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٥٨ و٢٢٧١.



وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٦٦٤٧] قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عذوة، عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلّمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾... إلى آخر الآية^(١). وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً فقال: وقال الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عذوة، عن عائشة، فذكره. وأخرجه النسائي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من غير وجه، عن الأعمش، به.

[٦٦٤٨] وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عذوة، عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله! أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سنّي، وانقطع ولدي، ظاهر مني! اللهم، إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. وقال: وزوجها أوس بن الصامت وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة: هو أوس بن الصامت. وكان أوس امرأة به لم، فكان إذا أخذه لعمه واشتد به يظاھر من امرأته، وإذا ذهب لم يقل شيئاً. فأنت رسول الله تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾... الآية^(٢). وهكذا روى هشام بن عذوة، عن أبيه: أن رجلاً كان به لم. فذكر مثله.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة، حدثنا جرير - يعني ابن حازم - قال: سمعت أبا يزيد يحدث قال: لقيت امرأة عمر - يقال لها: خولة بنت ثعلبة - وهو يسير مع الناس، فاستوقفته فوقفت لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجالاً قريش على هذه العجوز؟! قال: ويحك! وتذري من هذه؟

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٤٦/٦ والبخاري ٧٣٨٥ تعليقاً والنسائي ٣٤٦٠ وفي «التفسير» ٥٩٠ وابن ماجه ١٨٨ و٢٠٦٣ وعبد بن حيد ١٥١٤ وابن جرير ٣٣٧٢٦، وإسناده على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الطبري ٣٣٧٢٧ وإسناده ضعيف ولاصله شواهد كثيرة، دون ذكر نزول جبريل.

قال: لا. قال: هذه امرأة سَمِعَ الله شكواها من فوق سِنِيعِ سَمَوَاتٍ وهذه خولة بنت ثعلبة، وإيّم الله لو لم تَنصِرْ عَنِّي إلى الليل ما انصرفتُ حتى تَقْضِيَ حاجَتها إلا أن تحضُرَ صلاةَ فأصليها، ثم أَرْجِعْ إليها حتى تَقْضِيَ حاجَتها. هذا منقطع بين أبي يزيد وعُمَرُ بن الخطاب. وقد رُوي من غير هذا الوجه. وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا المُنْذِرُ بن شاذان، حدثنا يعلى، حدثنا زكريا، عن عامر قال: المرأة التي جاذلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأمها مُعَاذَةُ التي أنزل الله فيها: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصَتَهَا﴾ [النور: ٣٣]: صوابه: خَوْلَةُ امرأة أوس بن الصّامِتِ.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هِيَ أُمَّهَتُهُمْ إِلَّا اللَّاتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾

[٦٦٤٩] قال الإمام أحمد: حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالوا: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: قالت: في والله - وفي أوس بن الصّامِتِ أنزل الله صَدْرَ سُورَةِ «المجادلة». قالت: كنتُ عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيءٍ فَغَضِبَ فقال: أنت عليّ كظهِرِ أُمِّي. قالت، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ فإذا هو يُريدني على نفسي، قالت: قلتُ: كلاً، والذي نفسُ خُوَيْلَةَ بيده لا تخلص إليّ وقد قلتُ ما قلتُ حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت: فَوَاتِنِي وامتنعتُ منه، فَعَلْبَتُهُ بما تَعَلَّبُ به المرأةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَالْقِيَتْهُ عَنِّي، قالت: ثُمَّ خَرَجْتُ إلى بعض جاراتي، فاستعرتُ منها ثياباً، ثم خرجتُ حتى جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فجلستُ بين يديه، فذكرتُ له ما لَقِيتُ منه، وجعلتُ أشكو إليه ما لَقِيتُ من سوء خلقه. قالت: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: «يا خُوَيْلَةُ، ابنُ عَمِّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَاتَّقِي اللَّهَ فِيهِ». قالت: فوالله ما بَرِحْتُ حتى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ، فَتَغَشَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ما كان يَتَغَشَّاهُ، ثم سُرِّيَ عنه، فقال لي: «يا خُوَيْلَةُ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك، ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾﴾ ﴿١﴾ إلى قوله: ﴿وَاللِّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مَرِيه فَلْيَغْتِقِ رَقَبَةً». قالت: فقلتُ: يا رسول الله! ما عنده ما يَغْتِقُ. قال: «فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ». قالت: فقلتُ: والله إنه شيخٌ كبيرٌ، ما به من صيام. قال: فَلْيَطْعِمِ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسَقًا مِنْ تَمَرٍ. قالت: فقلتُ: والله يا رسول الله! ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإِنَّا سَتُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمَرٍ». قالت: فقلتُ: يا رسول الله! وأنا سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قال: فَقَدْ أَصِيبَ وَأَحْسَنَتِ فَادْهَبِي فَتَصَدَّقِي بِهِ عَنْهُ، ثم استوصيني بابنِ عَمِّكَ خيراً. قالت: ففعلتُ^(١). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الطَّلَاقِ مِنْ سُنَنِهِ مِنْ طَرِيقَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ابْنَ يَسَارٍ، بِهِ. وعنده: خولة بنتُ ثعلبة، ويقالُ فيها: خولة بنتُ مالكِ بن ثعلبة. وقد تُصَغَّرُ فيقال: خُوَيْلَةُ. ولا

(١) أخرجه أحمد ٤١٠/٦ - ٤١١ وأبو داود ٢٢١٤ وإسناده حسن في الشواهد لأجل معمر، فإنه مقبول، لكن للحديث شواهد.

منافاة بين هذه الأقوال، فالأمر فيها قريب، والله أعلم. هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول، ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة، من العتق أو الصيام أو الإطعام.

[٦٦٥٠] كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر الأنصاري قال: كنت امرأة قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان، تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان، فقرأت من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتيت في ذلك إلى أن يذركني النهار، وأنا لا أقدر أن أنزع. فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء، فوثبت عليها، فلما أصبحت غدت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت: انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمري. فقالوا: لا، والله لا نفعل؛ نتخوف أن ينزل فينا - أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك. قال: فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري. فقال لي: «أنت بذاك؟» فقلت: أنا بذاك. فقال: «أنت بذاك؟» فقلت: أنا بذاك. قال: «أنت بذاك؟» قلت: نعم، ها أناذا فأمص في حكم الله تعالى، فلأني صابر له. قال: «أعق رقبة». قال: ففرضت صفحة رقبتني بيدي وقلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: «فصم شهرين» قلت: يا رسول الله! وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: فتصدق. فقلت: والذي بعثك بالحق لقد بنتنا ليلتنا هذه وخشى^(١)، ما لنا عشاء. قال: اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعمك عنك منها وسقاً من تمر يتيين مسكيناً، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك. قال: «فرجعت إلى قومي فقلت: وجددت عندكم الضيق وسوء الرأي، وجددت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة؛ قد أمر لي بصدقتكم، فادفعوها إلي^(٢). فدفعوها إلي. وهكذا رَوَاهُ أبو داود، وابن ماجه، واختصره الترمذي وحسنه. وظاهر السياق: أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة، كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل.

[٦٦٥١] قال خُصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس: أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك، فلما ظاهر منها خشيبت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله! إن أوساً ظاهر مني، وإننا إن افترقنا هلكنا، وقد نزلت بطني منه، وقدمت ضحيته وهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جاء في ذلك شيء. فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ﴾، إلى قوله: ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «أتقدير على رقبة تعيقها؟» قال: لا والله يا رسول الله! ما أقدر عليها؟ قال: فجمع له رسول الله ﷺ حتى أعق عنه، ثم راجع أهله^(٣). رواه ابن جرير. ولهذا ذهب ابن عباس والأشعثون إلى ما قلناه، والله أعلم. فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَطْلِقُونَ مِنْكُمْ إِنْسَاءَهُمْ﴾ أصل الظاهر مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحد من

(١) بات وحشاً: أي جامعاً.

(٢) حسن. أخرجه أبو داود ٢٢١٣ والترمذي ٣٢٩٩ وابن ماجه ٢٠٦٢ والحاكم ٢٠٣/٢ وابن الجارود ٧٤٤ وفيه عن عنة ابن إسحاق عند الجميع، وهو مدلس، لكن أخرجه الترمذي ١٢٠٠ والحاكم ٢٠٤/٢ من وجه آخر، وللحديث شواهد.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٧٣٠ وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن، وهو ضعيف، وخُصيف بن عبد الرحمن سيء الحفظ، وأصل الحديث محفوف بشواهد. وفيه ألفاظ غريبة.

امراته قال لها: أنت علي كظهر أمي. ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يفتنونه في جاهليتهم. هكذا قال غير واحد من السلف.

[٦٦٥٢] قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة، عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا قال لامراته في الجاهلية: أنت علي كظهر أمي حرمت عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكانت تحتها ابنة عم يقال لها: «خويلة بنت ثعلبة» فظاهر منها، فأسقط في يديه، وقال: ما أراك إلا قد حرمت علي. وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقني إلى رسول الله ﷺ. فأتت رسول الله فوجدت عنده مائطة تمشط رأسه، فقال: «يا خويلة، ما أيرنا في أمرك بشيء». فأنزل الله على رسوله ﷺ فقال: «يا خويلة، أبشري» قالت: خيراً. فقرأ عليها: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا». . . إلى قوله: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ». قالت: وأي رقبة لنا؟ والله ما يجد رقبة غيري. قال: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره! قال: «فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا». قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثله! قال: فدعا بشرط وسق - ثلاثين صاعاً، والوسق: ستون صاعاً - فقال: لِيُطْعِمَ سِتِّينَ مَسْكِينًا وَلِيُرَاجِعَكَ^(١). وهذا إسناد جيد قوي، وسياق غريب، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا.

[٦٦٥٣] فقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي، حدثنا علي بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: كانت خولة بنت ذليج تحت رجل من الأنصار، وكان ضرير البصر فقيراً سيئ الخلق، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته، قال: أنت علي كظهر أمي، وكان لها منه غيل أو عيلان، فنازعه يوماً في شيء، فقال: أنت علي كظهر أمي، فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي ﷺ وهو في بيت عائشة، وعائشة تغسل شق رأيه، فقدمت عليه ومعهما غيلها، فقالت: يا رسول الله! إن زوجي ضرير البصر، فقير لا شيء له، سيئ الخلق، وإنني نازعته في شيء فغضب، فقال: «أنت علي كظهر أمي»، ولم يرد به الطلاق، ولي منه غيل - أو: عيلان - فقال: ما أعلمك إلا قد حرمت عليه. فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي وأبا صبيتي. قال: ودارت عائشة فغسلت شق رأيه الآخر، فدارت معها، فقالت: يا رسول الله! زوجي ضرير البصر، فقير سيئ الخلق، وإن لي منه غيلاً أو عيلين، وإنني نازعته في شيء فغضب وقال: أنت علي كظهر أمي، ولم يرد به الطلاق! قالت: فرفع إلي رأسه وقال: ما أعلمك إلا قد حرمت عليه. فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي وأبا صبيتي؟ قال: ورات عائشة وجه النبي ﷺ تغير، فقالت لها: ورائك ورائك؟ فتحت، فمك رسول الله ﷺ في غشايبه ذلك ما شاء الله، فلما انقطع الوحي قال: يا عائشة، أين المرأة؟ فدعتها، فقال لها رسول الله ﷺ: اذهبي فأتييني بزواجك. فانطلقت تسعى فجاءت به، فإذا هو - ضرير البصر، فقير، سيئ الخلق. فقال النبي ﷺ: أستعذ بالله السميع العليم. بسم الله الرحمن الرحيم «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» إلى قوله: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا». قال النبي ﷺ: أتجد رقبة تعيقها من قبل أن تمسها؟ قال: لا. قال: أفستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: والذي بعتك بالحق، إنني إذا لم أكل المُرْتين والثلاث يكاد يعشو بصري. وقال: أفستطيع أن أطعم سِتِّينَ مَسْكِينًا؟ قال: لا، إلا ثمينتي. قال: فأعانه رسول الله ﷺ فقال: «أطعم سِتِّينَ مَسْكِينًا». قال: وحول الله

(١) أخرجه الطبري ٣٣٧١٧ وإسناده حسن، وله شواهد، وانظر ما بعده.

الطلاق، فجعله ظهاراً^(١). ورواه ابن جرير، عن ابن المشي، عن عبد الأعلى، عن داود، سمعت أبا العالية، فذكره نحوه، بأخصر من هذا السياق. وقال سعيد بن جبير: كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظهار الكفارة. رواه ابن أبي حاتم، بنحوه. وقد استدلل الإمام مالك: على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله: ﴿يُنْكِمُ﴾، فالخطاب للمؤمنين. وأجاب الجمهور بأن هذا خرج منخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدل الجمهور عليه بقوله: ﴿يَنْ نَسَائِهِمْ﴾، على أن الأمة لا ظهار منها، ولا تدخل في هذا الخطاب.

وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ أُمَّتٍ إِلَّا لَلْأَنفُسِ الْكُفْرَاءِ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا لَافِقِينَ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل: أنت علي كظهر أمي، أو كأمي أو (مثل أمي)، وما أشبه ذلك، لا تصير أمه بذلك، إنما أمه التي ولدتها. ولهذا قال: ﴿وَلَا يَنْبَغِي لِلْكَافِرِينَ أَنْ يَكُونُوا مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾، أي: كلاماً فاحشاً باطلاً، ﴿وَلَيْكَ اللَّهُ لَغَوِيٍّ عَفُورًا﴾، أي: عما كان منكم في حال الجاهلية، وهكذا أيضاً عما خرج من سبب اللسان ولم يقصد إليه المتكلم.

[٦٦٥٤] كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته: يا أختي. فقال: أختك هي؟! فهذا إنكار، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك، لأنه لم يقصده، ولو قصده لخرمت عليه، لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم، من أخت وعمّة وخالة، وما أشبه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾، اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فقال بعض الناس: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره. وهذا القول باطل وهو اختيار الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع، أو يعزم عليه، فلا يحل له حتى يكفر بهذه الكفارة. وقد حكى عن مالك: أنه العزم على الجماع والإمساك، وعنه: أنه الجماع. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه، ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه، والليث بن سعد. وقال ابن أبي شيبة: حدثني عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾، يعني: يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرّموه على أنفسهم.

وقال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج. وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَاسَّ﴾، والمس: النكاح. وكذا قال عطاء، والزهرى، وقتادة، ومقاتل بن حيان. وقال الزهرى: ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر.

[٦٦٥٥] وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً قال: «يا رسول الله! إنني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر. فقال: ما حملك على هذا يرحمك الله؟ قال: رأيت خلدخالها في ضوء القمر. قال: فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل^(٣). وقال الترمذي: حسن غريب صحيح. ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلاً. قال النسائي: وهو أولى بالصواب.

(١) أخرجه الطبري ٣٣٧١٤ وهذا مرسل، وفي بعض ألفاظه غرابة وبعضه شاهد لما قبله.

(٢) ضعيف. أخرجه أبو داود ٢٢١٠ من طرق عن أبي تيمية مرسلًا، وكرره ٢٢١١ عن أبي تيمية عن رجل من قومه، والصواب رواية الجماعة.

(٣) حسن أخرجه أبو داود ٢٢٢٣ والترمذي ١١٩٩ والنسائي ١٦٧/٦ وابن الجارود ٧٤٧ والحاكم ٢٠٤/٢ والبيهقي ٣٨٦/٧ وإسناده لا بأس به، وله شواهد.

وقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، أي: فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فها هنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي - رحمه الله - ما أطلقها هنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب، وهو عتق الرقبة.

[٦٦٥٦] واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده، عن معاوية بن الحكم السلمي، في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(١). وقد رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه.

[٦٦٥٧] وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن نُمير، عن إسماعيل بن مُسلم، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر. فقال رسول الله ﷺ: ألم يقل الله: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَمَاسَا﴾. قال: أعجبتني؟ قال: «أَمْسِكْ حَتَّى تُكْفِرَ»^(٢). ثم قال البزار: لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم، وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَوْضَلْتُ بِهِ﴾ أي: تخرجون به، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: خبير بما يصليحكم، عَلِيمٌ بأحوالكم. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحْذَرِ فُؤَادَهُ لِمَتَّئِدٍ مِنْهُ يَوْمًا فَهُوَ يُنْذِرُ ۚ وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ أَنْ يَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاذْعَارُ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُ يَبْغِ الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ ۚ﴾، قد تقدمت الأحاديث الواردة بهذا على الترتيب، كما ثبت في «الصحيحين» في قصة الذي جامع امرأته في رمضان. ﴿ذَلِكَ لِيُذَمِّتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: شرعنا هذا لهذا. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَحْكُمُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَتَمَنَّوْا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَذَابًا عَلَيْهِمْ ۚ﴾، أي: محارمه فلا تنتهكوها. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء، كلاً، ليس الأمر كما زعموا، بل لهم عذاب أليم، أي: في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوتًا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَا إِلَيْنِ يَنْتَحِبُ ۖ وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَمْحَسَّهُ اللَّهُ وَسُوءُ اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَقِيءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾

يُخَبِّرُ تعالى عَمَّنْ شَاقُوا الله ورسوله وعاندوا شرعه، ﴿كُنُوتًا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: أهينوا ولعنوا وأخزوا، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم، ﴿وَفَدَّ أَنْزَلْنَا إِلَيْنِ يَنْتَحِبُ﴾، أي: واضحات لا يخالفها ويعاندها إلا كافر فاجر مكابر، ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، أي: في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله، والانقياد له، والخضوع لديه. ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾، وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾، أي: يُخَبِّرُهُم بِالَّذِي صَنَعُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ﴿أَمْحَسَّهُ اللَّهُ وَسُوءُ﴾، أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عملوا، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، أي: لا يغيب عنه

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٥٣٧ وأبو داود ٩٣٠ وأحمد ٤٤٧/٥ و٤٤٨ وابن حبان ١٦٥ وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف لضعف إسماعيل بن مسلم، وبهذا الإسناد أخرجه الحاكم ٢٠٤/٢ وقال الذهبي: إسماعيل وإياه لكن لأصله شواهد.

شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئاً. ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه وأطلاعه عليهم، وسَمَاعِهِ كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، أي: يطلع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله به وسمعه لهم، كما قال: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكَلِمُ الْأَوَّلُ فَقَالَتْ إِذَا حُذِرْتُمْ سَكَرَتْ فَأَعْلَنَتْ وَاسْمِعُوا بِلَهُ اللَّهِ يُخْفَى الْأَوَّلَ وَالْخَفِ الْأَوَّلَ وَالْخَفِ الْأَوَّلَ﴾ [التوبة: ٧٨]. وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك ولكن سَمَعَهُ أيضاً مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو - سبحانه - مُطَّلِعٌ على خلقه، لا يَغِيبُ عنه من أمورهم شيء. ثم قال: ﴿ثُمَّ يَبْتَلِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْيَمِينِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْسِ وَالْعَدَوْنَ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْجِبْكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئَسَ الْمَصِيدُ﴾ (٨) ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَمِزُوا بِالْإِنْسِ وَالْعَدَوْنَ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩) ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٠)

قال ابن أبي نجيج، عن مجاهد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ قال: اليهود.

[٦٦٥٨] وكذا قال مقاتل بن حيان، وزاد: «كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مَوَادَّةً، وكانوا إذا مرَّ بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ، حَتَّى يَظُنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ - أَوْ: بِمَا يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ - فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ - خَشِيَهُمْ، فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ... فَنَهَاَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْوَى، فَلَمْ يَنْتَهُوا وَعَادُوا إِلَى النَّجْوَى، فَانْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (١٠)».

[٦٦٥٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد، عن زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنَّا تَتَنَاجَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَبِيْتُ عَنْدهُ؛ يَطْرُقُهُ مِنَ اللَّيْلِ أَمْرٌ؛ وَتَبْدُو لَهُ حَاجَةً. فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ كَثُرَ أَهْلُ النُّوْبِ وَالْمَحْتَسِبُونَ، حَتَّى كُنَّا أُنْدِيَةً نَتَحَدَّثُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا النَّجْوَى؟ أَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ النَّجْوَى؟ قُلْنَا: تَبْنَا إِلَى اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا كُنَّا فِي ذِكْرِ الْمَسِيحِ؛ فَرَقَا مِنْهُ. فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْهُ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الشُّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِمَكَانٍ رَجُلٍ (٢). هَذَا إِسْنَادٌ غَرِيبٌ، وَفِيهِ بَعْضُ الضَّعْفَاءِ.

(١) هذا مرسل، ومراسيل مقاتل مناكير.

(٢) إسناده ضعيف. فيه زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ أَحْمَدُ: لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: مَنكَرُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ ابْنُ عَدِي: أَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ. وَعَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ زَيْدٍ. وَثَقَّ بِحَيْثُ، وَضَعْفُهُ النَّسَائِيُّ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: صَدُوقٌ فِيهِ لِينٌ. وَلَعَجَزَهُ شَوَاهِدٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَنَبَّهْنَ بِالْإِثْرِ وَالْعَذَابِ وَمَعَصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، أي: يتحدَّثون فيما بينهم بالإثم، وهو ما يختص بهم، ﴿وَالْعَذَابِ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته، يُصِرُّون عليها ويتواصون بها. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾.

[٦٦٦٠] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن مسروق، عن عائشة قالت: دَخَلَ على رسول الله ﷺ يهودٌ فقالوا: السَّامُ عليك يا أبا القاسم. فقالت عائشة: وعليكم السَّامُ. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الله لا يحبُّ الفحشَ ولا التفحُّشَ» قلت: ألا تسمَعُهم يقولون: السَّامُ عليك؟! فقال رسول الله: «أوما سمِعتِ أقول؟ وعليكم؟». فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾^(١).

[٦٦٦١] وفي رواية في «الصحيح» أنها قالت لهم: «عليكم السَّامُ والذَّامُ واللَّعنة»، وأن رسول الله ﷺ قال: «إنه يُستجابُ لنا فيهم، ولا يُستجابُ لهم فينا»^(٢).

[٦٦٦٢] وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ مع أصحابه إذ أتى عليهم يهوديٌّ فسَلَّمَ عليهم، فَرَدُّوا عليه، فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما قال؟ قالوا: سلَّم يا رسول الله! قال: بل قال: سَلَّمَ عليكم، أي: تَسَامُون دينكم. قال رسول الله: رُدُّوه. فَرَدُّوه عليه، فقال نبي الله: أقلت: سَلَّمَ عليكم؟ قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا سلَّم عليكم أحدٌ من أهل الكتاب فقولوا: عليك، أي: عليك ما قلت»^(٣). وأصل حديث أنسٍ مخرُجٌ في الصحيح، وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة، بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، أي: يفعلون هذا، ويقولون ما يُحَرِّفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتمٌ في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبياً لعَذَّبنا الله بما نقول له في الباطن، لأن الله يعلم ما نُسِرُّه، فلو كان هذا نبياً حقاً لأرسله أن يُعَاجِلَنَا الله بالعقوبة في الدنيا، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، أي: جَهَنَّمُ كفائتهم في الدارِ الآخرة، ﴿يَسْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَمِيرُ﴾.

[٦٦٦٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو: أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سَامٌ عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَسْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَمِيرُ﴾^(٤). إسناده حسن، ولم يُخرِجوه. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله إذا حَيَّوه: سَامٌ عليك، قال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَسْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَمِيرُ﴾. ثم قال الله تعالى مُؤدِّباً عباده المؤمنين ألا يكونوا مثل الكفرة

(١) إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم، وهو عند مسلم ٢١٦٥ ح ١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠١ ومسلم ٢١٦٥ والترمذي ٢٧٠١. وورد من حديث جابر، أخرجه مسلم ٢١٦٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/٦٣٠ وابن ماجه ٣٦٩٧ وابن حبان ٥٠٣ والطبري ٣٣٧٦٨ وإسناده حسن، رجاله رجال الشيخين لكن سعيد بن أبي عروبة تغير بأخرة، وقد رواه غير واحد عن قتادة بنحوه لا بلفظه. وأصله عند البخاري ٦٢٥٨ و٦٩٢٦ ومسلم ٢١٦٣.

(٤) أخرجه أحمد ١٧٠/٢ وفيه حماد بن سلمة، وقد سمع من عطاء قبل الاختلاط وبعده، لكن للحديث شواهد، فهو حسن إن شاء الله، وقد جوده الهيئتي في «المجمع» ١١٤٠٥.

والمنافقين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَسَّجُوا بِالْأَيْدِي وَالْعَدُونَ وَمَعَصِبَتِ الرَّسُولِ﴾، أي: كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالا هم على ضلالهم من المنافقين، ﴿وَتَنَجَّيَا بِالْكَفْرِ وَالنَّفْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِينَ ءَاتُوا تَحْشُرُونَ﴾، أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم، وسيجزىكم بها.

[٦٦٦٤] قال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان قالا: أخبرنا همام، حدثنا قتادة، عن صفوان بن محرز قال: كنت أخذاً بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنبك كذا؟ أتعرف ذنبك كذا؟ أتعرف ذنبك كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسنته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»^(١) [هود: ١٨]. أخرجه في الصحيحين، من حديث قتادة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَئِنْ بَصُرْتُمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، أي: إنما النجوى - وهي المسارة - حيث يتوهم مؤمن منها سوءاً - «مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا»، يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه، «لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا»، أي: ليسوءهم، وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله؛ فإنه لا يضره شيء بإذن الله. وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن.

[٦٦٦٥] كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه»^(٣). أخرجه من حديث الأعمش.

[٦٦٦٦] وقال عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه؛ فإن ذلك يحزنه»^(٣). انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل، كلاهما عن حماد بن زيد، عن أيوب، به.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١١)

يقول تعالى مؤذياً عباده المؤمنين، وأمرأ لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾، وقرئ: (في المجالس)، «فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ»، وذلك أن الجزاء من جنس العمل.

[٦٦٦٧] كما جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»^(٤).

(١) والحديث أخرجه البخاري ٢٤٤١ ومسلم ٢٧٦٨ وابن حبان ٧٣٥٦ وأحمد ٧٤/٢.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٢٩٠ ومسلم ٢١٨٤ (٣٨) وأبو داود ٤٨٥١ والترمذي ٢٨٢٥ وابن ماجه ٣٧٧٥ وأحمد ١/٣٧٥ و٤٢٥ و٤٣١ و٤٢٢ والحميدي ١٠٩ وابن حبان ٥٨٣.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٨٣ ح ٣٦.

(٤) تقدم تخريجه.

[٦٦٦٨] وفي الحديث الآخر: «من يَسِرْ على مُعِيرِ يَسِرْ الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عَوْنِ العبد ما كان العبد في عَوْنِ أخيه»^(٤). ولهذا أشباه كثيرة، ولهذا قال: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾. قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مُقْبِلًا ضُفُوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يَفْسَحَ بعضهم لبعض.

[٦٦٦٩] وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم جُمُعَة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصفة، وفي المكان ضيق، وكان يُكْرِم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدر وقد سَبَقُوا إلى المجالس، فقاموا جِبال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فردَّ النبي ﷺ عليهم، ثم سَلَّمُوا على القوم بعد ذلك، فَرَدُّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم يَنْتَظِرُونَ أن يُوسَّعَ لهم، فَعَرَفَ النبي ﷺ ما يَحْمِلُهُمْ على القيام، فَلَمْ يَفْسَحْ لهم، فَشَقَّ ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «قُم يا فلان، وأنت يا فلان». فلم يَزَلْ يُقِيمُهُمْ بِعِدَّةِ النَّفَرِ الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بَدْرٍ، فَشَقَّ ذلك على من أُقِيمَ من مجلسه، وعَرَفَ النبي ﷺ الكراهة في وجوههم، فقال المنافقون: أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أن صاحبكم هذا يَعْدِلُ بين الناس؟ والله ما رأيناه قَبْلَ عَدَلٍ على هؤلاء، إن قوماً أَخَذُوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه. فَبَلَّغْنَا: أن رسول الله ﷺ قال: رَجِمَ الله رجلاً فَسَحَ لأخيه. فجعلوا يقومون بعد ذلك سِراعاً، فَتَفَسَّحَ القوم لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة^(١). رواه ابن أبي حاتم.

[٦٦٧٠] وقد قال الإمام أحمد، والشافعي: حدثنا سفيان، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُقِيمُ الرجلُ الرجلَ من مجلسه فَيَجْلِسَ فيه، ولكن تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا»^(٢). وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع، به.

[٦٦٧١] وقال الشافعي: أخبرنا عبد المجيد، عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُقِيمَنَّ أحدُكم أخاه يوم الجمعة، ولكن ليقُلْ افسَحُوا»^(٣). على شرط السنن ولم يُخْرِجُوهُ.

[٦٦٧٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا فليح، عن أيوب بن عبد الرحمن ابن صعصعة، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يُقِيمُ الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يَجْلِسُ فيه، ولكن افسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ»^(٤).

[٦٦٧٣] ورواه أيضاً عن شريج بن يونس بن محمد المؤدب، عن فليح، به. ولفظه: «لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن افسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ»^(٥). تفرد به أحمد.

(١) هذا معضل، ومقاتل بن حيان إمام في التفسير لكنه متكلم فيه عند أهل الحديث. وثق به بعضهم وبكل حال الخبر ضعيف لإرساله.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٢٦٩ ومسلم ٢١٧٧ ح ٢٨ وأحمد ١٧/٢ و٢٢ و١٠٢ وعبد الرزاق ١٩٨٠٧ وابن أبي شيبة ٨/٥٨٤ وابن حبان ٥٨٦.

(٣) صحيح. أخرجه الشافعي ١٥٩/١ وإسناده ضعيف، عبارة ابن جريج تدل على أنه لم يسمعه من سليمان، لكن أخرجه مسلم ٢١٧٨ من وجه آخر، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٣٣٨/٢ بإسناد حسن، أيوب وشيخه كلاهما صدوق، وللحديث شواهد.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ٤٨٣/٢ بإسناد حسن، وللحديث شواهد.

وقد اختلف الفقهاء في جَوَازِ القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رَخَّصَ في ذلك محتجاً بحديث:

[٦٦٧٤] «قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»^(١). ومنهم من مَنَعَ من ذلك محتجاً بحديث:

[٦٦٧٥] «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

وَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ فَقَالَ: يَجُوزُ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنْ سَفَرٍ، وَلِلْحَاكِمِ فِي مَحَلٍّ وَلايَتِهِ.

[٦٦٧٦] كما دَلَّ عَلَيْهِ قِصَّةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَقْدَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَاكِماً فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَرَأَهُ مُقْبِلاً قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»^(٣). وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيَكُونَ أَنْفَذَ لِحُكْمِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَأَمَّا اتِّخَاذُهُ دَيْدِناً فَإِنَّهُ مِنْ شُعَارِ الْعَجَمِ.

[٦٦٧٧] وَقَدْ جَاءَ فِي السَّنَنِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِذَا جَاءَ لَا يَقُومُونَ لَهُ، لَمَّا يَعْلَمُونَ مِنْ كِرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ^(٤).

[٦٦٧٨] وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي السَّنَنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، وَلَكِنْ حَيْثُ يَجْلِسُ يَكُونُ صَدْرُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَجْلِسُونَ مِنْهُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، فَالصَّدِيقُ يُجْلِسُهُ عَنْ يَمِينِهِ، وَغَمَرٌ عَنْ يَسَارِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ غَالِبًا عُمَانٌ وَعَلِيٌّ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ، وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ^(٥).

[٦٦٧٩] كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لِيَلْنِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٦). وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنْهُ مَا يَقُولُهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَلِهَذَا أَمَرَ أَوْلَئِكَ النَّفَرَ بِالْقِيَامِ لِيَجْلِسَ الَّذِينَ وَرَدُوا مِنْ أَهْلِ بَذْرِ، إِمَّا لَتَقْصِيرِ أَوْلَئِكَ فِي حَقِّ الْبَدْرَيْنِ، أَوْ لِيَأْخُذَ الْبَدْرِيُّونَ مِنَ الْعِلْمِ بِنَصِيهِهِمْ، كَمَا أَخَذَ أَوْلَئِكَ قَبْلَهُمْ، أَوْ تَعْلِيماً بِتَقْدِيمِ الْأَفَاضِلِ إِلَى الْأَمَامِ.

[٦٦٨٠] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُفَيْرٍ التِّيمِيِّ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسُحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلْنِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: فَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافاً^(٧). وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ، إِلَّا التِّرْمِذِيُّ، مِنْ طَرِيقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا أَمْرُهُ لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يَلِيَهُ الْعُقَلَاءُ [مِنْهُمْ وَ] الْعُلَمَاءُ، فَيُطَرِّقُ الْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ.

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) جيد. أخرجه الترمذي ٢٧٥٥ وغيره، وتقدم.

(٣) أخرجه أحمد ١٣٢/٣ والبخاري في «الأدب المفرد» ٩٤٦ والترمذي ٢٧٥٤ وهو حسن صحيح، وتقدم.

(٤) لم أره هكذا، وإنما ورد من حديث جابر بن سمرة «كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ١١٤١ وأبو داود ٤٨٢٥ والترمذي ٢٧٢٥ وابن حبان ٦٤٣٣ وإسناده حسن.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٤٣٢ ح ١٢٢.

(٦) صحيح. أخرجه مسلم ٤٣٢ وأبو داود ٦٧٤ وابن ماجه ٩٧٦ وعبد الرزاق ٢٤٣٠ والحميدي ٤٥٦ وابن حبان ٢١٧٨ وأحمد ١٢٢/٤.

[٦٦٨١] وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي الزَاهِرِيَّةِ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَادُّوا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ، وَسُدُّوا الْخُلُلَ، وَلْيُثَوِّبُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرْجَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ»^(١). ولهذا كَانَ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ سَيِّدَ الْقُرَاءِ إِذَا انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ انْتَزَعَ مِنْهُ رَجُلًا يَكُونُ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، وَيَدْخُلُ هُوَ فِي الصَّفِّ الْمَقْدَمِ.

[٦٦٨٢] وَيَحْتَاجُ بِهَذَا الْحَدِيثِ: «لِيَلْنِي مِنْكُمْ أَوَّلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ»^(٢). وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَكَانَ لَا يَجْلِسُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَقُومُ لَهُ صَاحِبُهُ عَنْهُ، عَمَلًا بِمَقْتَضَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ الَّذِي أوردناه. وَلَقَدْ تَصَيَّرَ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الْأَثْمُودِجِ الْمُتَعَلِّقِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلَا قَبْسُطُهُ يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

[٦٦٨٣] وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، إِذَا أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَأَمَّا أَحَدُهُمْ فَوَجَدَ فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ فَدَخَلَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ وَرَاءَ النَّاسِ، وَأَدْبَرَ الثَّالِثَ ذَاهِبًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِخَبَرِ الثَّلَاثَةِ؟» أَمَّا الْأَوَّلُ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ. وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٣).

[٦٦٨٤] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَتَّابُ بْنُ زِيَادٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا»^(٤). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ اللَّيْثِيِّ، بِهِ. وَحَسَنُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا»، يَعْنِي: فِي مَجَالِسِ الْحَرْبِ. قَالُوا: وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا»، أَي: انْهَضُوا لِلْقِتَالِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: «وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا»، أَي: إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى خَيْرٍ فَأَجِيبُوا. وَقَالَ مِقَاتٌ: إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَارْتَفِعُوا إِلَيْهَا. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ: كَانُوا إِذَا كَانُوا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ فَأَرَادُوا الْإِنْصِرَافَ، أَحَبُّ كُلِّ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ هُوَ آخِرُهُمْ خُرُوجًا مِنْ عِنْدِهِ، فَرُبَّمَا يَسْتَقِرُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَقَدْ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ، فَأَمْرُوا أَنَّهُمْ إِذَا أَمَرُوا بِالْإِنْصِرَافِ أَنْ يَنْصَرِفُوا، كَقَوْلِهِ: «وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا» [النور: ٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْإِلَهَ دَرَجَةً وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»، أَي: لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّهُ إِذَا فَسَحَ أَحَدٌ مِنْكُمْ لِأَخِيهِ إِذَا أَقْبَلَ، أَوْ إِذَا أَمَرَ بِالْخُرُوجِ فَخَرَجَ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَقْصًا فِي حَقِّهِ، بَلْ هُوَ رَفْعَةٌ وَمَزِيَّةٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُضَيِّعُ ذَلِكَ لَهُ، بَلْ يَجْزِيهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنْ مِنْ تَوَاضَعٍ لِأَمْرِ اللَّهِ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ، وَنَشَرَ ذِكْرَهُ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْإِلَهَ دَرَجَةً وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»، أَي: خَبِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ وَبِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ.

[٦٦٨٥] قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ٦٦٦ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رَجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٦٦ وَ٤٧٤ وَمُسْلِمٌ ٢١٧٦ وَالتِّرْمِذِيُّ ٢٧٢٤ وَمَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» ١٣٢/٣ وَابْنُ حِبَّانَ ٨٦ وَأَحْمَدُ ٢١٩/٥ مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ٤٨٤٥ وَالتِّرْمِذِيُّ ٢٧٥٢ وَأَحْمَدُ ٢١٣/٢ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ لِلَاخْتِلَافِ فِي عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ.

واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عُمَرَ بن الخطاب بِمُسَفَّانَ، وكان عُمَرُ استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أَبْزَى قال: وما ابن أَبْزَى؟ فقال: رجلٌ من مَوَالِينَا. فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟! فقال: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنه قارىء لكتاب الله، عالم بالفرائض، قاض، فقال عُمَرُ - رضي الله عنه -: أما إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ قَوْمًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»^(١). وهكذا رواه مسلم من غير وَجْهِ، عن الزُّهْرِيِّ، به. وَرَوَى من غير وجه عن عُمَرَ بنحوه. وقد ذكرْتُ فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح «كتاب العلم» من صحيح البخاري، والله الحمد والمِنَّة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشَقَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يُنَاجِيَ رسولَ الله ﷺ أي: يُسَارِهِ فيما بينه وبينه، أن يُقَدِّمَ بين يدي ذلك صدقة تُطَهِّرُهُ وتُزَكِّيهِ وتُؤَهِّلُهُ لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال: «ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ». ثم قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا»، أي: إلا مَنْ عَجَزَ عن ذلك لفقده «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، فما أمر بها إلا من قدر عليها. ثم قال: «أَشَقَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً»، أي: أَخِفْتُمْ مِنْ استمرار هذا الحُكْمِ عليكم من وجوب الصدقة قبل مُناجاة الرسول، «فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»، فنسخ وجوب ذلك عنهم. وقد قيل: إنه لم يَعمَلْ بهذه الآية قبل نَسْخِهَا سِوَى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[٦٦٨٦] قال ابنُ أبي نجيج، عن مُجاهِدٍ قال: نُهِوا عن مُناجاةِ النبي ﷺ حتى يتصدَّقوا، فلم يَناجِهْهُ إلا علي بن أبي طالب، قَدَّمَ ديناراً صدقةً تصدَّقَ به، ثم نَاجَى النبي ﷺ فسأله عن عَشْرِ خِصَالٍ، ثم أنزلت الرخصة^(٢).

[٦٦٨٧] وقال ليث بن أبي سليم، عن مُجاهدٍ قال علي - رضي الله عنه -: آيَةٌ في كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - لم يَعمَلْ بها أحدٌ قبلي، ولا يَعمَلْ بها أحدٌ بعدي، كان عندي دينارٌ قَصَرْتُهُ بعشرة دراهم، فكنت إذا نَاجَيْتُ رسولَ الله ﷺ تصدَّقتُ بدرهم، فَنَسِخَتْ ولم يَعمَلْ بها أحدٌ قبلي، ولا يَعمَلْ بها أحدٌ بعدي، ثم تلا هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ»... الآية^(٣).

[٦٦٨٨] وقال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيْدٍ، حدثنا مِهْرَانُ، عن سُفْيَانَ، عن عُثْمَانَ بنِ المَغِيرَةِ، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: ما تَرَى؟ دينار؟ قال: لا يُطِيقُونَ. قال: نصف دينار؟ قال: لا يُطِيقُونَ. قال: ما تَرَى؟ قال: شَعِيرَةٌ. فقال له النبي ﷺ: إنك لزهِيد. قال: فنزلت: «أَشَقَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً». قال: قال علي: فَبِي خَفَّفَ اللَّهُ عن

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٨١٧ وابن ماجه ٢١٨ وأحمد ٣٥/١ وابن حبان ٧٧٢.

(٢) أخرجه الطبري ٣٣٧٨٨ عن مجاهد مرسلًا والمرسل من قسم الضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣١٧٨ والطبري ٣٣٧٨٩ و ٣٣٧٩٠ من طريقين عن مجاهد. وهذا ضعيف لإرساله.

هذه الأمة^(١). ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع، عن يحيى بن آدم، عن عبيد الله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجِيتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكَ صَدَقَةً﴾، إلى آخرها، قال لي النبي ﷺ: ما ترى؟ دينار؟ قلت: لا يطيقونه. وذكره بتمامه، مثله، ثم قال: «هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه. ثم قال: ومعنى قوله «شعيرة»: يعني وزن شعيرة من ذهب». ورواه أبو يعلى، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن آدم، به.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجِيتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكَ صَدَقَةً﴾ إلى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَوْرُ رَجِيمٍ﴾: كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة، فلما نزلت الزكاة نُسِخَ هذا. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكَ صَدَقَةً﴾، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه - عليه الصلاة والسلام - فلما قال ذلك ضَنَّ كثير من الناس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكَ صَدَقَةً فَادَّكَّرَ قَمَعُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فوسَّع الله عليهم ولم يضيِّق. وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكَ صَدَقَةً﴾: نسختها الآية التي بعدها: ﴿وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكَ صَدَقَةً﴾ إلى آخرها. وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل بن حيان: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، ففطمهم الله بهذه الآية، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك: ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَوْرُ رَجِيمٍ﴾. وقال معمر، عن قتادة: ﴿إِذَا تَجِيتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكَ صَدَقَةً﴾: إنها منسوخة، ما كانت إلا ساعة من نهار. وهكذا روى عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ شِقْوَةٍ آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾

يقول تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٠٠ والطبري ٣٣٧٩٦ والعقيلي ٢٤٣/٣ من حديث علي. وفيه علي بن علقمة. قال العقيلي: قال البخاري في حديثه نظر. وفي «الميزان» ٥٨٩٣: وقال ابن المديني: لا أعلم له راويًا غير سالم اهـ وهذه إشارة إلى أنه مجهول، وقال عنه ابن حبان في المجروحين ١٠٩/٢: منكر الحديث، يروي عن علي بما لا يشبه حديثه. فلا أدري سمع منه، أو أخذ ما يروي عنه عن غيره. والذي عندي ترك الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من أصحاب علي اهـ. وورد من طريق ابن أبي ليلى عند الحاكم ٢/٤٨١ - ٤٨٢ وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. والصواب أن فيه يمين بن المغيرة السعدي، وهو لم يرو له الشيوخ، ولا أحدهما. لكن وثقة أبو حاتم، وابن حبان، وهو معلول، صيغة المستدرَك تدل على الإرسال، وأن ابن أبي ليلى لم يسمعه من علي، والمثل في غرابة وليس له إسناد يمتح به، وانظر «ضعيف الترمذي» ٦٥٢ والله أعلم.

المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝١٤٣﴾ [النساء: ١٤٣]. وقال ها هنا: ﴿أَنْزَرْنَا إِلَى الْآلِينَ قَوْلًا قَوِّمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني اليهود، الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن. ثم قال: ﴿تَأْتُهُمْ مِنَكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾، أي: هؤلاء المنافقون، ليسوا في الحقيقة لا منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين تولوهم وهم اليهود. ثم قال: ﴿يَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، يعني: المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا، وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم اللعين، عياداً بالله منه، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا جاؤوا الرسول حلفوا بالله له إنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقاً. ولهذا شهد الله بكذبهم في إيمانهم وشهادتهم لذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٤٤﴾، أي: أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة، وهي موالاة الكافرين ونصحهم، ومُعَاداة المؤمنين وغيثهم. ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَعْدُوا أَيْمَنَتُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: اظهروا الإيمان وأبطثوا الكفر، واتقوا بالإيمان الكاذبة، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاعتز بهم، فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، أي: في مقابلة ما امتنعوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحاشية. ثم قال: ﴿لَنْ تَنفِي عَنْهُمْ أَزْوَاجَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جِيحًا﴾، أي: يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً، ﴿يَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلٍ﴾، أي: يحلفون بالله - عز وجل - أنهم كانوا على الهدى والاستقامة، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا، لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيخرجون عليهم الأحكام الظاهرة، ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلٍ﴾، أي: حلفهم ذلك لرؤسهم عز وجل.

ثم قال مُنْكَرًا عليهم حُساباتهم: ﴿آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فأكد الخبر عنهم بالكذب.

[٦٦٨٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن ثعلبة، حدثنا زهير، عن سِمَاك بن حرب، حدثني سعيد بن جبير: أنَّ ابن عباس حَدَّثَهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي ظِلِّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجْرِهِ، وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ كَادَ يَقْلِبُ عَنْهُمْ الظِّلُّ، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ بَعْنِي شَيْطَانٌ، فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلَا تُكَلِّمُوهُ». فَجَاءَ رَجُلٌ أَرْزَقُ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: «عَلَامَ تَشْتَمُنِي أَنْتَ وَفُلَانُ وَفُلَانُ؟» - نَفَرَ دَعَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ - قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَدَعَاهُمْ، فَحَلَفُوا لَهُ وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، قَالَ: فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلٍ آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١). وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين، عن سِمَاك به: ورواه ابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن عُثْمَر، عن شُعْبَةَ، عن سِمَاك، به نحوه، وأخرجه أيضاً من حديث سفيان الثوري، عن سِمَاك بن نحوه، إسناده جيد ولم يُخْرِجُوهُ. وحال هؤلاء كما أخبر تعالى عن المشركين حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْقُلْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝١٤٥﴾ انْزَلَتْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝١٤٦﴾ [الأنعام: ٢٣ - ٢٤]. ثم قال: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾، أي: استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله - عز وجل - وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه.

(١) أخرجه أحمد ٢٦٧/١ والطبري ٣٣٨٠٨ والحاكم ٤٨٢/٢ وإسناده على شرط مسلم، لكن سَمَاك في روايته عن عكرمة ضعيف، ومع ذلك صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

[٦٦٩٠] ولهذا قال أبو داود: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زائدة، حدثنا السائب بن خبيش، عن معاذ بن أبي طلحة اليمعري، عن أبي الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية». قال زائدة: قال السائب: يعني الصلاة في الجماعة^(١). ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾، يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، ثم قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٦٦﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦٧﴾ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحاديين لله ورسوله، يعني: الذين هم في حد والشرع في حد، أي: مُجَانِبُونَ لِلْحَقِّ مُشَاقُّونَ لَهُ، هم في ناحية والهُدَى في ناحية، ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، أي: في الأشقياء المُبْعَدِينَ الْمُطْرُودِينَ عَنِ الصَّوَابِ، الْأَذَلِّينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾، أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصر له ولكتابه ورسوله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٦١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [غانر: ٥١ - ٥٢]. وقال ها هنا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٦٧﴾، أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه. وهذا قدرٌ مُحْكَمٌ وأمرٌ مُبَرِّزٌ، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، أي: لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعِ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفْرَانَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَبِغَيْرِكُمْ فَعَزَّ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]... الآية. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَسْكُنُونَ كَسَادَتْكُمْ رِضْوَانُهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَاتِهِ سَبِيلِهِ فَتَرْتَابُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [التوبة: ٢٤]. وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... إلى آخرها، في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، حين قُتل أباه يوم بدر. ولهذا قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك السنة - رضي الله عنهم -: «ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته. وقيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نزلت في أبي عبيدة، قُتل أباه يوم بدر. ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾: في الصديق، هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾: في مصعب بن عمير، قُتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ. ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾:

(١) حسن. أخرجه أبو داود ٥٤٧ والنسائي ١٠٦/٢ وأحمد ١٩٦/٥ وابن حبان ٢١٠١ وابن خزيمة ١٤٧٦ والحاكم ٢١١/١ وإسناده حسن لأجل السائب، قال عنه الذهبي في «الكاشف»: صدوق.

في عُمر، قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم.

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بثو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله! بل تمكنتني من فلان - قريب لعمر - فاقبلته، وتمكنت علياً من عقيل، وتمكنت فلاناً من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين... القصة بكاملها^(١). وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنَّا﴾ أي: من اتصف بأنه لا يؤاد من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان، أي: كتب له السعادة وقَرَّرها في قلبه وزَيَّن الإيمان في بصيرته. قال السدي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: جعل في قلوبهم الإيمان، وقال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنَّا﴾، أي: قواهم. وقوله: ﴿وَيَذِخُّهُمْ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنتَهُرُ خَنَازِيرٌ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: كل هذا تقدم تفسيره غير مرة. وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: سرّ بديع، وهو أنه لما سَخَطُوا على القرائب والعشائر في الله عَوَضَهُم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المُقِيم، والفوز العظيم والفضل العميم. وقوله: ﴿أُولَئِكَ جَزَبَ اللَّهُ إِلَيْنَا إِنْ جَزَبَ اللَّهُ هُمْ لَلْفَلَحُونَ﴾، أي: هؤلاء جَزَبَ الله، أي: عباده الله وأهل كرامته.

وقوله: ﴿إِلَّا إِنْ جَزَبَ اللَّهُ هُمْ لَلْفَلَحُونَ﴾: تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة، في مُقَابَلَةِ ما أَخْبَرَ عن أولئك بأنهم جَزَبَ الشيطان. ثم قال: ﴿إِلَّا إِنْ جَزَبَ الْكَيْطَانُ هُمْ لَلْكَرْبُونِ﴾.

[٦٦٩١] وقد قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ حُمَيْدٍ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ عَنَسَةَ، عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ - فقال: هو عبد الحميد بن سليمان، انقطع من كتابي - عن الديان بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: أعلم أن الجاه جاهان، جاء يُجرىه الله على أيدي أوليائه لأوليائه، وإنهم الخامل ذكرهم، الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ «إن الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا، وإذا حَضَرُوا لم يُذْعَوْا، قلوبهم مصابيغ الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة»^(٢). فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله: ﴿أُولَئِكَ جَزَبَ اللَّهُ إِلَيْنَا إِنْ جَزَبَ اللَّهُ هُمْ لَلْفَلَحُونَ﴾.

[٦٦٩٢] وقال نعيم بن حماد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ، لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيت إلي: ﴿لَا يَحْدُ قَوْمًا يُمُونُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾»^(٣). قال سفيان: يَرَوْنَ أنها نزلت فيمن يخالط السلطان. رواه أبو أحمد العسكري.

آخر تفسير سورة المجادلة، والله الحمد والمنّة

(١) وقد تقدمت.

(٢) هذا الخبر مرسل، أبو حازم تابعي، لكن المرفوع جاء موصولاً من وجوه، وقد تقدم.

(٣) هذا مرسل. وقد ذكره الديلمي ٢٠١١ عن الحسن عن معاذ، ولم أقف على إسناده وهو منقطع. توفي معاذ قبل ولادة الحسن البصري، وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٢٧٤/٦ عن كثير بن عطية عن رجل مرفوعاً. وهذا ضعيف لجهالة الرجل. وقال العراقي في «تفريع الأحياء» ١٤٩/٢ و ٢٩٨/٤: أسانيد كلها ضعيفة. وانظر «الضعيفة» ٢٩٧٥.



وهي مَدِينَةٌ

وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير. قال سعيد بن منصور: حدثنا هُشَيْم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النضير. ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر، عن هُشَيْم، به. ورواه البخاري من حديث أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: قل سورة النضير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَنَّ اللَّهَ شَاقٌّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْهَا فَأَجْمَعَهُ عَلَىٰ أَسْوَاعِهَا فَيَاذَنُ اللَّهُ وَلِيُخْرِجَ الْفَلْسِيفِينَ (٥)﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ يُسَبِّحُ لَهُ وَيُمَجِّدُهُ وَيُقَدِّسُهُ، وَيُصَلِّيُ لَهُ وَيُوحِّدُهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿سُبِّحَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، أَي: مُنِيعُ الْجَنَابِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي قُدْرَةِ وَشَرْعِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، يَعْنِي يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَالزَّهْرِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ هَادِثَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ عَهْدًا وَدَفَعَهُ عَلَى الْأَيْقَاتِلِهِمْ وَلَا يُقَاتِلُوهُ، فَتَقَطَّضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَأَحْلَلَ اللَّهُ لَهُمْ مَا سَبَّاهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ قَضَاءَهُ الَّذِي لَا يُصَدُّ، فَأَجْلَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمُ الْحَصِينَةِ الَّتِي مَا طَمِعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، وَظَنُّوا هُمْ أَنَّهَا مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَجَاءَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ بِبَالِهِمْ، وَسَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَأَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى أَفْرِعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ، وَهِيَ أَرْضُ الْمُحَشِّرِ وَالْمَنْشَرِ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى حَبِيرٍ. وَكَانَ قَدْ أَنْزَلَهُمْ مِنْهَا عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلُهُمْ، فَكَانُوا يُخْرِبُونَ مَا فِي بُيُوتِهِمْ مِنَ الْمَنْقُولَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَحْمِلَ مَعَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾، أَي: تَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَةِ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ،

وخالف رسوله، وكذب كتابه، كيف يحلُّ به من بأسه المخزي له في الدنيا، مع ما يذخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

[٦٦٩٣] قال أبو داود: حدثنا مُحَمَّد بن داود بن سُفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رَجُلٍ من أصحاب النبي ﷺ أَن كَفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أَبِي وَمَنْ كَانَ مَعَهُ يَعْبُدُ الْأوثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ أَوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلَنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجَنَّهُ، أَوْ لَتَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا، حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَنُسَيِّجَ نَسَاءَكُمْ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأوثَانِ، اجْتَمَعُوا لِقَاتِلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لَقِيَهُمْ فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تَقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ؟!». فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كَفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَتَبَتْ كُفَّارَ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلَقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا أَوْ لَتَفْعَلُنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ - وَهِيَ الْخَلَّاحِيلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ أَتَقَنَّتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْعَذْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْرَجَ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ وَلِيُخْرِجَ مِنَّا ثَلَاثُونَ خَبْرًا، حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمَنْصَفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُواكَ وَأَمَّا بِكَ فَقَصَّ خَبْرَهُمْ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَضَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ - وَاللَّهِ - لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بَعْدَ تَعَاهِدُونِي عَلَيْهِ. فَأَبَوْا أَنْ يُعْطَوْهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدَ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ فَقَاتَلَهُمْ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ. فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِيرِ، وَاحْتَمَلُوا مَا أَقْلَبَ الْإِبِلُ مِنْ أَمْتَعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بَيْوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، وَكَانَ نَحْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا، فَقَالَ: «وَمَا اللَّهُ إِلَّا عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ»، يَقُولُ: بِغَيْرِ قِتَالٍ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ، قَسَمَهَا بَيْنَهُمْ، وَقَسَمَ مِنْهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَا ذَوِي حَاجَةٍ، وَلَمْ يَقْسِمَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرَهُمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي فِي أَيْدِي بَنِي فَاطِمَةَ^(١).

وَلَنَذْكُرَ مُلَخَّصَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِصَارِ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانِ: وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ بَثْرَ مَعُونَةٍ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانُوا سَبْعِينَ، وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ قَتَلَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَكَانَ مَعَهُمَا عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمَّا لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو، فَلَمَّا رَجَعَ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ، لَا دِيْنَهُمَا». وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي عَامِرٍ حَلْفٌ وَعَهْدٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ، وَكَانَتْ مَنَازِلُ بَنِي النَّضِيرِ ظَاهَرَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَمْيَالٍ مِنْهَا شَرْقِيَّهَا.

[٦٦٩٤] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَّارٍ فِي كِتَابِهِ السِّيَرَةِ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ

(١) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٠٠٤ بإسناد لين، فيه محمد بن داود، وهو مقبول. وقال الألباني في «صحيح أبي داود»

٢٥٩٥: صحيح الإسناد؟ وليس كما قال، بل الإسناد لين عند أبي داود، وقد توبع عند عبد الرزاق ٩٧٣٣/٥ وللحديث

شواهد، فالتن صحيح، والله أعلم.

الله ﷺ عقد لهما، فيما حدثني يزيد بن زومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عقدٌ وجلفٌ. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ قَالُوا: نعم، يا أبا القاسم، نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ، مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلَمُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيُلْقِيْ عَلَيْهِ صَخْرَةً، فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ بْنُ كَعْبٍ أَحَدَهُمْ، فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ. فَصَعَدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلَبْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابَهُ قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ. فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ بِمَا كَانَتْ يَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْعُدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْتِهْيُؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ. ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ النَّخْلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا. فَنَادَوْهُ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ، قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ وَتَعْيِيهِ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا؟! وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفٍ مِنَ الْخَزْرَجِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلُولٍ، وَوَدِيعَةُ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قُؤْلٍ، وَسَوِيدُ وَدَاعِسٌ، قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ: أَنْ اثْبُتُوا وَتَمَتَّعُوا فَإِنَّا لَنْ نُسَلِّمَكُمْ، إِنْ قُوِيْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ أَخْرَجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ. فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَضْرِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَلِّبَهُمْ وَيَكْفِ عَنْ دِمَائِهِمْ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْخَلْقَةَ، فَفَعَلَ، فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الْإِبِلُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ نِجَافٍ بَابِهِ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ. فَخَرَجُوا إِلَى خَيْبَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ، وَخَلُّوا الْأَمْوَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ خَاصَّةٌ يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، فَقَسَمَهَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ. إِلَّا أَنْ سَهْلَ بْنَ حُنَيفٍ وَأَبَا دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ ذَكَرَا فَقَرَأَا، فَأَعْطَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجُلَانِ: يَامِينُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ كَعْبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جِحَاشٍ، وَأَبُو سَعْدِ بْنِ وَهَبٍ، أَسْلَمَا عَلَى أَمْوَالِهِمَا فَأَخْرَزَاهَا. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ يَامِينٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِيَامِينٍ: أَلَمْ تَرِ مَا لَقِيتُ مِنْ ابْنِ عَمِّكَ، وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِي؟! فَجَعَلَ يَامِينُ ابْنَ عُمَيْرٍ لِرَجُلٍ جُعَلًا عَلَى أَنْ يَقْتُلَ عَمْرَ بْنَ جِحَاشٍ، فَقَتَلَهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَنَزَلَ فِي بَنِي النَّضِيرِ سُورَةُ الْحَشْرِ بِأَسْرِهَا^(١)، وَهَكَذَا رَوَى يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، بِنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ. فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾. يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ، ﴿وَمِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾.

[٦٦٩٥] قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ شَكَّ فِي أَنَّ أَرْضَ الْمُحَشَّرِ هَا هُنَا - يَعْنِي الشَّامَ - فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْرُجُوا. قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى أَرْضِ الْمُحَشَّرِ»^(٢).

(١) ذكره ابن هشام في «السيرة» ٣/ ١٥١ - ١٥٣ عن ابن إسحاق به، وهذا مرسل، لكن لأكثره شواهد.

(٢) ضعيف. أخرجه البزار ٣٤٢٦ «كشف» ومداره على أبي سعد البقال، وهو ضعيف. وقال الهيثمي ١٨٣٥٥/١٠: الغالب على حديثه الضعف.

[٦٦٩٦] وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: لَمَّا أَجْلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ، قَالَ: «هَذَا أَوَّلُ الْحَشْرِ، وَإِنَّا عَلَى الْآثَرِ»^(١). ورواه ابن جرير، عن بندار، عن ابن أبي عَدِيٍّ، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ الْحَسَنِ، بِهِ.

وقوله تعالى: «مَا عَلَّنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا» أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها، وكانت ستة أيام، مع شدة حُصُونِهِمْ وَمَنْعَتِهَا، ولهذا قال: «وَلَقَدْ عَلَّمْتُمْ مَآئِمَّتَهُمْ حُصُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَأَلَّنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا»، أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال، كما قال في الآية الأخرى: «قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآفَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَوَاقِدِ فَفَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» [النحل: ٢٦]. وقوله: «وَقَدْ فِ قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ»، أي: الخوف والهلع والجزع، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصروهم الذي نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر، صلوات الله وسلامه عليه. وقوله: «يَخْرُجُونَ يَوْمَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ»، قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك، وهو نقض ما استحسوه من سقوطهم وأبوابهم، وتحملها على الإبل. وكذا قال عروة بن الزبير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد. وقال مقاتل بن حيان: كان رسول الله ﷺ يُقاتلهم، فإذا ظهر على دُزْبٍ أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال. وكانت اليهود إذا غلبوا على دُزْبٍ أو دار نقبوها من أديارها ثم حصنوها ودربوها، يقول الله تعالى: «فَاعْتَرِضُوا يَتَّكِلُ الْأَبْصَرُ». وقوله: «وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا»، أي: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء - وهو الثقي من ديارهم وأموالهم - لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك. قاله الزهري، عن عروة، والسدي وابن زيد، لأن الله قد كتب عليهم أنه سيُعَذِّبُهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مع ما أعد لهم في الآخرة من العذاب في نار جهنم.

[٦٦٩٧] قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ - كَاتِبُ اللَّيْثِ - حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ: ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ بَنِي النَّضِيرِ، وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَذْرِ. وَكَانَ مَنْزِلُهُمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، وَأَنْ لَهُمْ مَا أَقْلَتِ الْإِبِلُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتَةِ إِلَّا الْحَلْقَةُ - وَهِيَ السِّلَاحُ - فَأَجْلَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الشَّامِ. قَالَ: وَالْجَلَاءُ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَيْهِمْ فِي آيٍ مِنَ التَّوْرَةِ، وَكَانُوا مِنْ سِبْطٍ لَمْ يُصِيبْهُمْ الْجَلَاءُ قَبْلَ مَا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: «سَبَّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»، إِلَى قَوْلِهِ: «وَلِيُخْرِجَنَّ أَلْفَيْهِمْ»^(٢). وَقَالَ عِكْرَمَةُ: الْجَلَاءُ: الْقَتْلُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الْقَنَاءُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْجَلَاءُ: خُرُوجُ النَّاسِ مِنَ الْبَلَدِ إِلَى الْبَلَدِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَأَعْطَى كُلَّ ثَلَاثَةِ بَعِيرٍ وَسِقَاءً، فَهَذَا الْجَلَاءُ.

[٦٦٩٨] وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ الْقَاضِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَمِّي، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَاصَرَهُمْ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ كُلُّ مَبْلَغٍ، فَأَعْطَوْهُ مَا أَرَادَ مِنْهُمْ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ لَهُمْ دِمَاءُهُمْ، وَأَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَمِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، وَأَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى أَذْرَعَاتِ الشَّامِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ ثَلَاثَةِ مِنْهُمْ بَعِيرًا وَسِقَاءً. وَالْجَلَاءُ: إِخْرَاجُهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى^(٣). وَزُيِّدَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ يَعْقُوبَ بْنِ مُحَمَّدٍ

(١) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٨٢١ وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية. ولا يصح كون النبي ﷺ اختار لهم الشام بل هو اختيارهم، وأما كون الشام أرض المحشر، فقد ورد في أحاديث أخرى.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» ١٧٦/٣ مرسلًا، وله شواهد.

(٣) فيه مجاهيل، لكن أصل المتن محفوظ.

الزهرِّي، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن مسلمة: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير، وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليالٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: حتم لازم لا بد لهم منه. وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي: إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين، لأنهم خالفوا الله ورسوله، وكذبوا بما أنزل الله على رُسُله المتقدمين من البشارة بمحمد ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم. ثم قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَكَهْتُمْ فَأَنْتُمْ عَلَى أَعْيُنِنَا﴾، أي: اللين: نوع من التمر، وهو جيد. قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبرني من التمر، وقال كثير من المفسرين: اللينة: ألوان التمر سوى العجوة. قال ابن جرير: هو جميع النخل. ونقله عن مجاهد. وهو البويرة أيضاً. وذلك: أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم، وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم. فروى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، وقتادة، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ: إنك تنهى عن الفساد، فما بالك تأمر بقطع الأشجار؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة، أي: ما قطعتم وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذن الله ومشيتته وقدرته ورضاه، وفيه نكاية للعدو، وخزي لهم، وإرغاماً لأنوفهم. وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغنم المسلمين. فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه. وقد روي نحو هذا مرفوعاً.

[٦٦٩٩] فقال النسائي: أخبرنا الحسن بن محمد، عن عَفَّان، حدثنا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، حدثنا حَبِيبُ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَكَهْتُمْ فَأَنْتُمْ عَلَى أَعْيُنِنَا﴾، قال: يستنزلونهم من حصونهم، وأمرُوا بقطع النخل، فحاك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلننزل رسول الله ﷺ: هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾^(١).

[٦٧٠٠] وقال الحافظ أبو يعلى في مُستَدْرِه: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ جُرَيْجٍ، عن سليمان بن موسى، عن جابر - وعن أبي الزبير، عن جابر - قال: رُخِّصَ لهم في قطع النخل، ثم شُدَّ عليهم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله! علينا إثم فيما قطعنا؟ أو علينا وزر فيما تركنا؟ فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَكَهْتُمْ فَأَنْتُمْ عَلَى أَعْيُنِنَا﴾^(٢).

[٦٧٠١] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عن موسى بن عَقَبَةَ، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وخرق^(٣). وأخرجه صاحب الصحيح من رواية موسى بن عَقَبَةَ، بنحوه.

[٦٧٠٢] ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جُرَيْجٍ، عن موسى بن عَقَبَةَ، عن نافع، عن ابن

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٠٣ والنسائي في «التفسير» ٥٩٤ وإسناده صحيح.

(٢) ضعيف. أخرجه أبو يعلى ٢١٨٩ وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٢٢/٧ وقال «رواه أبو يعلى عن شيخه سفیان بن وکیع وهو ضعيف» وله علة ثانية، وهي عن ابن جريج وأبي الزبير.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٣١ و٤٨٨٤ ومسلم ٢٩/١٧٤٦ وأبو داود ٢٦١٥ والترمذي ٣٣٠٢ وابن ماجه ٢٨٤٤ وأحمد ٥٢/٢.

عَمَرَ قَالَ: حَارِبَتِ النَّضِيرُ وَقَرِظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ وَأَقَرُّ قَرِظَةُ وَمَنْ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارِبَتِ قَرِظَةُ فَقَتَلَ رَجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحَقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْثَقَاعَ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودٍ بِالْمَدِينَةِ^(١).

[٦٧٠٣] وَلَهُمَا أَيْضاً عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عَمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ. وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيهِ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ نَضَبْتُمْهَا فَابْتَئُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَيَأْذِنَ اللَّهُ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

[٦٧٠٤] وَلِلْبَخَارِيِّ - رَجَمَهُ اللَّهُ - مِنْ رِوَايَةِ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ، عَنِ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ. وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةٍ بَنِي لُؤَيٍ حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ
فَاجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُولُ:

أَذَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ سَتَغْلَمُ أَيْنَا مِنْهَا بِئْرُهُ
كَذَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ^(٣)، وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يَذْكُرُ إِجْلَاءَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَتْلَ ابْنِ الْأَشْرَفِ:

لَقَدْ خَزَيْتِ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ كَذَلِكَ الدَّهْرُ دُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَظِيمٍ، أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أَوْتُوا مَعَا فَهَمًا وَعِلْمًا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ التَّذِيرُ
تَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا وَأَيَّاتٍ مُبَيَّنَّةً تُنِيرُ
فَقَالُوا: مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صَدِيقٍ وَأَنْتَ بِمَنْكَرٍ مِثْلًا جَدِيرُ
فَقَالَ: بَلَى، لَقَدْ أَذَيْتَ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْقَهْمُ الْخَبِيرُ
فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يُهْدِ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكُفُورُ
فَلَمَّا أَثَرُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَجَدُوا بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ التُّفُورُ
أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صَدِيقٍ وَكَانَ اللَّهُ يَخُحُّكُمْ لَا يَجُورُ
فَأَيْدُهُ وَسَلَطُهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ نَصِيرُهُ نِغَمَ النَّصِيرُ
فَنُودِيَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيحًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَضَرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الْكُفَّينَ ثُمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ بِأَيْدِيْنَا مُشْهُرَةٌ ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَعْبِ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَاكَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ وَمَحْمُودٌ أَخُو يُقَّةَ جَسُورُ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بَدَارَ سَوَاءٍ أَبَاؤُهُمْ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيرُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٢٨.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٤ ومسلم ١٧٤٦ ح ٢٩.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٣٢.

عَدَاةَ أَنَاظِمٍ فِي الرَّخْفِ زَهْوًا
وَعَسَانُ الْحَمَاءِ مُوَازِرُوهُ
فَقَالَ: السُّلَمُ، وَيَحْكُمُ قَصْدُوا
فَلَذَاقُوا غِبَ أَمْرُهُمْ وَيَالَا
وَأَجَلُوا عَامِدِينَ لَقِينَقَاع
قال: وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن لقيم الغبسي - ويقال: قالها قيس بن بحر بن طريف - قال ابن هشام: الأشجعي -:

أهلي فداء لا مريء غير هالك
يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الْغَضَاةِ وَيُدْلُوا
فإن يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
يَوْمُ بِهَا عَمَرُو بَنُ بَهْثَةٍ إِنَّهُمْ
عَلَيْهِنَّ أَبْطَالُ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعَى
وَكُلُّ رَقِيقِ الشُّفَرَتَيْنِ مُهْتَدٍ
فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً
بأن أَخَاكُمْ - فاعْلَمَنَّ - مُحَمَّدًا
فَدَيْتُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمَ أُمُورِكُمْ
نَبِيٍّ تَلَاقَتْهُ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً
فَقَدْ كَانَ فِي بَذْرِ - لَعْنَرِي - عِبْرَةً
عَدَاةَ أَتَى فِي الْخَزَرْجِيَّةِ عَامِدًا
مُعَانًا بِرُوحِ الْقُدْسِ يَنْكِي عَدُوهُ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَثْلُو كِتَابُهُ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

وقد أورد ابن إسحاق - رحمه الله - ها هنا أشعاراً كثيرة، فيها آداب ومواعظ وجرم، وتفصيل للقصّة، تركنا باقيها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه، والله الحمد والمثنة. قال ابن إسحاق: كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة. وحكى البخاري، عن الزهري، عن عروة أنه قال: كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر.

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما
نهكم عنه فأنهوا وأنفقوا الله إن الله شديد العقاب ﴿٧﴾

يقول تعالى مبيّناً لمال الفيء، وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال، ولا إيجاب خيل، ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب،

أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالوة، بل نَزَلَ أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبه رسول الله ﷺ فأفاءه الله على رسوله، ولهذا تُصَرَّف فيه كما شاء، فَرَّذَهُ على المسلمين في وُجُوهِ البِرِّ والمصالح التي ذكرها الله - عَزَّ وَجَلَّ - في هذه الآيات، فقال: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾، أي: من بني النضير، ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، يعني: الإبل، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: هو قدير لا يُغَالِب ولا يُمَانَع، بل هو القاهر لكل شيء. ثم قال: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، أي: جميع البلدان التي تُفْتَح هكذا، فَحُكِّمَهَا حُكْمَ أموال بني النضير. ولهذا قال: ﴿فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ هُمْ يَصِلُونَ﴾؛ إلى آخرها والتي بعدها. فهذه مصارف أموال الفيء وُجُوْهُه.

[٦٧٠٥] قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو ومَعْمَرٍ، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان، عن عُمَرُ - رضي الله عنه - قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوَجِّف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة، فكان يُنْفِق على أهله منها نفقة سنّته - وقال مرة: قُوت سنّته - وما بقي جَعَلَهُ في الكُرَاع والسلاح في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ^(١). هكذا أخرجه أحمد ها هنا مُختصراً، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم - إلا ابن ماجه - من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الزهري، به. وقد رَوَيْنَاهُ مطولاً.

[٦٧٠٦] وقال أبو داود رَجَمَهُ الله: حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس - المعنى واحد - قالوا: حدثنا بشر بن عُمَرُ الزهراني، حدثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس قال: أرسل إليَّ عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - حين تعالى النهار، فبحثته فوجدته جالساً على سرير مُفَضِّياً إلى رُمَالِهِ^(٢)، فقال حين دخلت عليه: يا مال^(٣)، إنه قد دَفَّ أهل أبيات من قومك، وقد أمرتُ فيهم بشيء، فاقسم فيهم. قلت: لو أمرتُ غيري بذلك؟ فقال: خُذْهُ. فجاءه يَرْفَأُ فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعيد بن أبي وقاص؟ فقال: نعم. فأذن لهم فَدَخَلُوا، ثم جاءه يرفأ فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في العباس وعلي؟ قال: نعم. فأذن لهم فَدَخَلُوا، فقال العباس: يا أمير المؤمنين! اقض بيني وبين هذا - يعني علياً - فقال بعضهم: أجل يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرخهما - قال مالك بن أوس: خُيِّلَ إليَّ أنهما قدما أولئك النفر لذلك - فقال عمر - رضي الله عنه -: اتَّيِدَا. ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُورَث، ما تركنا صدقة». قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُورَث، ما تركنا صدقة». فقالا: نعم. فقال: فإن الله خَصَّ رسوله بخاصة لم يَخْصُ بها أحداً من الناس، فقال: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. فكان الله أفاء على رسوله أموال بني النضير، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أخذها دونكم. فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنّة - أو: نفقته ونفقة أهله سنّة - ويجعل ما بقي أسوة المال. ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٥ و ٢٩٠٤ ومسلم ١٧٥٧ ح ٤٨ وأبو داود ٢٩٦٥ والترمذي ١٧١٩ والنسائي ٤١٤٠ وفي «التفسير» ٥٩٦ واحد ٢٥/١.

(٢) رمال السرير: ما يُسج من سعف النخيل ليضطجع عليه. ومفضياً إليه: أي ليس بينه وبين الرمال شيء.

(٣) ترخيم: يا مالك.

بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض: هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض: هل تعلمان ذلك؟ قالوا: نعم. فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: «أنا ولي رسول الله»، فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: قال رسول الله ﷺ: «لا تورث، ما تركنا صدقة». والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق. فوليها أبو بكر، فلما توفي قلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر، فوليها ما شاء الله أن أليها، فجئت أنت وهذا، وأنتما جميع وأمركما واحد، فسألتمانيها، فقلت: إن شئتما أن أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها، فأخذتماها مِنِّي على ذلك، ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك. والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فُرذاها إلي^(١). أخرجه من حديث الزهري، به.

[٦٧٠٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم وعفان قالا: حدثنا معتمر: سمعت أبي يقول: حدثنا أنس ابن مالك، عن نبي الله ﷺ أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات، أو كما شاء الله، حتى فُتحت عليه قُرَيْظَة والنضير. قال: فجعل يزده بعد ذلك، قال: وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه، وكان نبي الله ﷺ قد أعطاه أم أيمن، أو كما شاء الله، قال: فسألت النبي ﷺ فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلاً، والله الذي لا إله إلا هو لا يعطينكن وقد أعطانيهن. أو كما قالت، فقال نبي الله ﷺ: لك كذا وكذا. قال: وتقول: كلاً والله. قال: ويقول: لك كذا وكذا. قال: وتقول: كلاً والله. قال: ويقول: لك كذا وكذا. قال: حتى أعطاهما، حسبت أنه قال: عشرة أمثاله - أو قال قريباً من عشرة - أمثاله، أو كما قال^(٢). رواه البخاري ومسلم من طرق عن معتمر، به. وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمه. وقد قدّمنا الكلام عليها في «سورة الأنفال» بما أغنى عن إعادته ها هنا، والله الحمد والمئة.

وقوله تعالى: ﴿كَي لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ بَيْنَكُمْ﴾، أي: جعلنا هذه المصارف لِمَالِ الْفِيءِ لثلاث يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها، بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء. وقوله تعالى: ﴿وَمَا إِلَيْكُمْ أَلْسُنُ فَحْذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْهُ﴾، أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر.

[٦٧٠٨] قال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن العرنبي، عن يحيى بن الجزار، عن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة، أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ. قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت الذي تقول! قال: فما وجدت فيه: ﴿وَمَا إِلَيْكُمْ أَلْسُنُ فَحْذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْهُ﴾؟ قالت: بلى. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة. قالت: فلعله في بعض أهلك! قال: فادخلي فانظري.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٩٤ ومسلم ١٧٥٧ ح ٤٩ والترمذي ١٦١٠ وأبو داود ٢٩٦٣ والبيهقي ٢٩٧/٦ والبخاري ٢٧٣٨ وابن حبان ٦٦٠٨.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣١٢٨ ومسلم ١٧٧١ ح ٧١ وأبو يعلى ٤٠٧٩ وأحمد ٢١٩/٣ وابن حبان ٤٥٠٥.

فدَخَلَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ، قالت: ما رأيْتُ بأساً. فقال لها: أما حفظتِ وصيةَ العبدِ الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَّا مَا أَهْلَكُكُمْ عَنْهُ﴾^(١) [هود: ٨٨].

[٦٧٠٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سُفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغفريات خلقَ الله عز وجل. قال: فبلغ امرأة في البيت يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت: بلغني أنك قلتَ كَيْتٌ وكَيْت؟ قال: مالي لا ألْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وفي كتاب الله. فقالت: إني لأقرأ ما بين لَوْحَيْهِ فما وجدته. فقال: إن كنتِ قرأتيه فقد وجدتيه. أما قرأت: ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى. قال: فإن النبي ﷺ نهى عنه. قالت: إني لأظن أهلكَ يفعلونه! قال: اذهبي فاظري، فذهبت فلم تَرِ مِنْ حاجتها شيئاً، فجاءت فقالت: ما رأيْتُ شيئاً. قال: لو كان كذا لم تَجامعنا^(٢). أخرجاه في الصحيحين، من حديث سُفيان الثوري.

[٦٧١٠] وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»^(٣).

[٦٧١١] وقال النسائي: أخبرنا أحمد بن سعيد، حدثنا يزيد، حدثنا منصور بن حبان، عن سعيد بن جببر، عن ابن عمر، وابن عباس: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ: أنه نهى عن الذبأ والخنثم والتقيير والمزقت، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤). وقوله: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، أي: اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠)

يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، ﴿وَيَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين. ثم قال تعالى

(١) وإسناد الحديث حسن، رجاله رجال مسلم، لكن يمحى الجزاء صدوق، وللحديث طرق.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٦ و٤٨٨٧ ومسلم ٢١٢٥ ح ١٢٠ وأبو داود ٤١٦٩ والترمذي ٢٧٨٢ والنسائي ٥٠٩٩ وفي «التفسير» ٥٩٩ وابن ماجه ١٩٨٩ وأحمد ٤٣٣/١.

(٣) تقدم في سورة المائدة، رواه الشيخان.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ١٩٩٧ ح ٤٦ وأبو داود ٣٦٩٠ والنسائي ٥٦٤٣ وفي «التفسير» ٥٩٨. والذبأ والخنثم والنقيير والزفت: أوعية كانوا يتبذون فيها.

مادحاً للأنصار، ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم، وعدم حسدهم، وإيثازهم مع الحاجة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم. قال عمر: أوصيه الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم كرامتهم - وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلُ، أن يقبل من محسنهم، وأن يغفوا عن مسيئهم. رواه البخاري ها هنا أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، أي: مِنْ كَرَمِهِمْ وشَرَفِ أَنْفُسِهِمْ يُحِبُّونَ المهاجرين ويؤاسونهم بأموالهم.

[٦٧١٢] قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا حميد، عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كنونا المؤنة، وأشركونا في المهن، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله! قال: «لا، ما أثبتتم عليهم ودعوتهم الله لهم»^(١). لم أره في الكتب من هذا الوجه.

[٦٧١٣] وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد، سمع أنس ابن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين، قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها. قال: «إما لا، فاصبروا حتى تلقوني، فإنه سيصيبكم أثرة»^(٢). تفرد به البخاري من هذا الوجه.

[٦٧١٤] وقال البخاري: حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شبيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار: اقيم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. فقالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا^(٣). تفرد به دون مسلم.

﴿وَلَا يَحْدُونُ فِي سُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوْتُوا﴾، أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَحْدُونُ فِي سُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾، يعني الحسد. ﴿مِمَّا أُوْتُوا﴾ قال قتادة: يعني فيما أعطي إخوانهم. وكذا قال ابن زيد.

[٦٧١٥] ومما يستدل به على هذا المعنى، ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني عن أنس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة». فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالتيه أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لآحيث أبي، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فقلت. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعازى تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أنني لم أسمعنه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليالٍ وكذت أن احتقر عمله قلت: يا عبد الله! لم يكن بيني وبين

(١) أخرجه أحمد ٢٠١/٣ وإسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٧٩٤.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٣٢٥.

أَبِي غَضَبٍ وَلَا هَجَرَ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثُ مَرَاتٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَطَلَعَتْ أَنْتَ الثَّلَاثُ الْمَرَاتِ، فَأَرَدْتَ أَنْ آوِي إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلْتُ فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. فَلَمَّا وَلَيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ»^(١). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ نَصْرٍ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، بِهِ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ، لَكِنْ رَوَاهُ عَقِيلٌ وَغَيْرُهُ عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَنَسٍ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٦٧١٦] وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا يَحْذَرُونَ فِي سُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُرُوا»، يَعْنِي مِمَّا أُوتِيَ الْمُهَاجِرُونَ. قَالَ: وَتَكَلَّمَ فِي أُمُورِ بَنِي النَّضِيرِ بَعْضُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفَتْهُ عَلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢)، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنْ إِخْوَانُكُمْ قَدْ تَرَكُوا الْأُمُورَ وَالْأَوْلَادَ وَخَرَجُوا إِلَيْكُمْ. فَقَالُوا: أُمُورُنَا بَيْنَنَا قَطَائِعُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟. قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ الْعَمَلَ، فَتَكُونُهُمْ وَتُقَاسِمُونَهُم الشَّمْرَ. فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ»^(٣).

وقوله تعالى: «وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»، يَعْنِي: حَاجَةً، أَيْ: يُقَدِّمُونَ الْمَحَاجِجَ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَتَذَوُّونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ احتياجهم إلى ذلك.

[٦٧١٧] وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جَهْدُ الْمُقِلِّ»^(٤). وَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى مِنْ حَالِ الدِّينِ وَصَفَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «وَيَطْلُبُونَ أَلْطَمًا عَلَى حَبِيدٍ». وَقَوْلُهُ: «وَمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ» فَإِنْ هَؤُلَاءِ يَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يُحِبُّونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَةٌ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ أَتَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خَصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ.

[٦٧١٨] وَمِنْ هَذَا الْمَقَامِ تَصَدَّقَ الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِجَمِيعِ مَالِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لَاهِلِكَ؟» فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٥). وَهَذَا الْمَاءُ الَّذِي غُرِضَ عَلَى عِكْرَمَةِ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَكُلُّ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَى صَاحِبِهِ، وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ أَخَوَجٌ مَا يَكُونُ إِلَى الْمَاءِ، فَرَدَّهُ الْآخَرُ إِلَى الثَّالِثِ، فَمَا وَصَلَ إِلَى الثَّالِثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَلَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

(١) صحيح. أخرجه النسائي في «الكبرى» ١٠٦٩٩ وأحمد ١٦٦/٣، وإسناده على شرطهما.

(٢) أخرجه الطبري ٣٣٨٧٤ وهذا مرسل، وابن زيد ضعيف، لكن لمعناه شواهد تعضده، والله أعلم.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ١٦٧٧ وأحمد ٣٥٨/٢ وابن خزيمة ٢٤٤٤ وابن حبان ٣٣٤٦ والحاكم ٤١٤/١ والبيهقي ٤٨٠ وإسناده صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وفيه يحيى بن جعدة، لم يرو له مسلم. تنبيه: لم يروه البخاري ولا مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٧٨ والترمذي ٣٦٧٥ والحاكم ٤١٤/١ من حديث عمر، ومداره على هشام بن سعد، وقد ضعفه غير واحد، وقوى أبو داود روايته عن زيد بن أسلم خاصة، وهذا منها، والصواب أن الإسناد لين، غير قوي، ومع ذلك صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، مع أن الحاكم قال كما في «التهذيب» روى له مسلم في الشواهد. وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» ١٤٧٢ وفيه نظر، قال الحافظ في «الفتح» ٢٩٥/٣: هشام صدوق، فيه مقال من جهة حفظه.

[٦٧١٩] وقال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: «ألا رجل يضيّف هذا الليلة، رحمه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرينه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوث الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فتؤمهم وتعالني فاطفئي السراج وتطوي بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله - عز وجل، أو: ضحك - من فلان وفلانة. وأنزل الله - عز وجل -: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١). وكذا رواه البخاري في موضع آخر، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق، عن فضيل بن غزوان، به نحوه. وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة، رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَعْنٌ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أي: من سلم من الشغ فقد أفلح وأنجح.

[٦٧٢٠] قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا داود بن قيس الفراء، عن عبيد الله بن مقيس، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشغ، فإن الشغ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(٢). انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن القنبي عن داود بن قيس، به.

[٦٧٢١] وقال الأعمش وشعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن زهير بن الأقمر، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الفحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، وإياكم والشغ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»^(٣). رواه أحمد، وأبو داود من طريق شعبة، والنسائي من طريق الأعمش، كلاهما عن عمرو بن مرة، به.

[٦٧٢٢] وقال الليث، عن يزيد بن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القمقاع بن اللجلاج، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشغ والإيمان في قلب عبد أبداً»^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أخبرنا ابن المبارك، حدثنا المسعودي، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن! إني أخاف أن أكون قد هلك! فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: «وَمَنْ يُوقِ شَعْنٌ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»، وأنا رجل شحيح، لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً! فقال عبد الله: ليس ذلك بالشغ الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشغ الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذلك البخل، وبش الشيء البخل.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٧٩٨ و٤٨٨٩ ومسلم ٢٠٥٤ ح ١٧٢ و١٧٣ والترمذي ٣٣٠٤ والنسائي في «التفسير» ٦٠٢.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٧٨ ح ٥٦ وأحمد ٣٢٠/٣.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ١٦٩٨ والنسائي ٤١٦٥ وفي «التفسير» ٦٠٣ وأحمد ١٥٩/٢ - ١٦٠، ١٩١.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري «في الأدب المفرد» ٢٨١ والنسائي ١٣/٦ و١٣ و١٤ والحاكم ٧٢/٢ والبيهقي ١٦١/٩ والبيهقي ٢٦١٩ وأحمد ٣٤٢/٢ وابن حبان ٣٢٥١ وهو صحيح.

(١) أخرجه الطبري ٣٣٨٦١ وإسناده صحيح، وهو شاهد لما قبله، وانظر «الإرواء» ٨٣/٥.

والسدّي، ومقاتيل بن حَيَّان: كَمَثَل ما أَصابَ كُفَّار قُرَيْشٍ يومَ بدرٍ. وقال ابن عباس: ﴿كَثَلِ الَّذِينَ يَنْ قَلْبِهِمْ﴾، يعني: يَهُودُ بني قَيْنُقاع. وكذا قال قتادة، ومحمد بن إسحاق. وهذا القول أشبه بالصواب، فإن يَهُودَ بني قَيْنُقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا.

وقوله تعالى: ﴿كَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم: ﴿وإن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾، ثم لما حَقَّتْ الحقائق وَجَدَ بهم الحصارُ والقتالُ تَحَلَّوْا عنهم وأسلموهم للهَلَكَةً، مثْلهم في هذا كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذَا سَوَّلَ لِلْإِنْسَانِ - والعياذُ بالله - الكفرَ فإذا دخل فيما سَوَّلَهُ تَبَرَّأَ منه وَتَنَصَّلَ، وقال: ﴿إِنِّي أَنَا أَنَا اللَّهُ رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾. وقد ذكر بعضهم ما هنا - قصَّةً لبعض عِبَادِ بني إسرائيل هي كالمِثَالِ لهذا المَثَلِ، لا أنها المرادُ وحدها بالمَثَلِ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها.

فقال ابن جرير: حدثنا خَلَادُ بن أسلم، أخبرنا النضر بن شَمِيل، أخبرنا شُعْبَةُ، عن أبي إسحاق، سَمِعْتُ عبد الله بن نُهَيْك قال: سَمِعْتُ علياً - رضي الله عنه - يقول: إن راهباً تَعَبَّدَ سِتِّينَ سَنَةً، وإنَّ الشَّيْطَانَ أرادَهُ فَأَعْبَاهُ، فَعَمِدَ إلى امرأَةٍ فأجنتها ولها أخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القَسِّ فَيَدَاوِيهَا. قال: فجاؤوا بها إليه فَدَاوَاهَا، وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته، فَأَتَاهَا فَحَمَلَتْ، فَعَمِدَ إليها فَفَتَلَهَا، فجاء إخوتها، فقال الشَّيْطَانُ للراهب: أنا صاحبك، إِنَّكَ أَعْيَيْتَنِي، أنا صَنَعْتُ هذا بك فَاطْعِنِي أَنْجِكَ مما صَنَعْتُ بِكَ، اسْجُدْ لي سجدةً. فَسَجَدَ له، فلما سَجَدَ له قال: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فذلك قوله: ﴿كَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾. (١١)

وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي يحيى بن إبراهيم المسعودي، حَدَّثَنَا أبي، عن أبيه، عن جَدِّه، عن الأعمش، عن عَمَارَةَ، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿كَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾. قال: كانت امرأة تَرَعَى العَنَمَ، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صَوْمَعَةٍ راهب، قال: فنزل الراهبُ فَفَجَّرَ بها، فَحَمَلَتْ، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فقال له: اقْتُلْهَا ثم ادفنها، فإنك رجل مُصَدِّقٌ يَسْمَعُ قولك. فقتلها، ثم دَفَنَهَا، قال: فأتى الشَّيْطَانُ إخوتها في المنام فقال لهم: إنَّ الراهبَ صاحبَ الصَوْمَعَةِ فَجَّرَ بِأَخِيكُمْ، فلما أحبلها قَتَلَهَا ثم دفنها في مكان كذا وكذا. فلما أَصْبَحُوا قال رجلٌ منهم: والله لقد رأيتُ البارحة رُؤْيَا ما أدري أَقْصَاهَا عليكم أم أَتْرُكُ؟ قالوا: لا بل قُصُّهَا علينا. قال: فَقُصَّصْهَا، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيتُ ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيتُ ذلك. قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيءٍ. قال: فانطلقوا فاستعدوا مَلِكَهُمْ على ذلك الراهب، فَأَتَوْهُ فَأَنْزَلُوهُ، ثم انطلقوا به فَلَقِيَهُ الشَّيْطَانُ فقال: إِنِّي أنا الذي أَوْقَعْتُكَ في هذا، ولن يُنْجِيكَ منه غيري، فاسْجُدْ لي سَجْدَةً واحدةً وَأَنْجِيكَ مما أَوْقَعْتُكَ فيه. قال: فَسَجَدَ له، فلما أَتَوْا به مَلِكَهُمْ تَبَرَّأَ منه، وَأَخَذَ قَتِيلًا. وكذا رُوي عن ابن عباس، وطاوس، ومقاتيل بن حَيَّان، نحو ذلك. واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا، والله أعلم.

وهذه القصة مخالفة لقصة جُريج العابد، فإن جُريجاً اتهمته امرأة بغي بنفسها، وأدعت أن حَمَلَهَا منه، وَرَفَعَتْ أمره إلى ولي الأمر، فأمر به فَأَنْزَلَ من صَوْمَعَتِهِ وَخَرَّبَتْ صَوْمَعَتَهُ وهو يقول: مالكم؟ مالكم؟! فقالوا: يا عَدُوَّ الله، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا! فقال جُريج: اصْبِرُوا. ثم أخذ ابنتها وهو صغير جداً ثم قال: يا غلام! مَنْ أبوك؟ قال: أبي الراعي - وكانت قد أَمَكَّتَتْهُ من نفسها فَحَمَلَتْ منه - فلما رأى بنو إسرائيل

ذلك عَظَمُوهُ كُلَّهُمْ تعظيماً بليغاً وقالوا: نُعيد صومعتك من ذهب. قال: لا، بل أعيدوها من طين، كما كانت.

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ فِي آثَارِهِمْ خَلَدُوا فِيهَا﴾، أي: فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاصل له مصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾، أي: جزاء كل ظالم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٩﴾﴾

[٦٧٢٨] قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبه، عن عون بن أبي جحيفة، عن المنذر بن جبرير، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم خفاة غزاة مجتأبي الثمار - أو: العباء - متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة، فصلّى ثم خطب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَنودٍ... إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وقرأ الآية التي في الحشر: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، تصدق رجل من ديناره، من دزهمه، من فوزه، من صاع بوزه، من صاع تمره، حتى قال: ولو يشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئاً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئاً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»^(١). انفراد بإخراجه مسلم من حديث شعبه، بإسناده مثله. فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أمر بتقواه، وهي تشمل فِعْلَ ما به أمر، وترك ما عنه زجر.

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، أي: حسابتوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا آخروكم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: تأكيد ثانٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: اعملوا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، أي: لا تنسوا ذكر الله فَيَنْسِيَكُمْ العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أي: الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، حدثنا المغيرة، حدثنا حريز بن عثمان، عن نعيم بن نُمَحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله -: أما تعلمون أنكم تغدّون وتزوحون لأجل معلوم. فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله - عز وجل - فليفعل،

ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فتهلكهم الله أن تكونوا أمثالهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ سَوَّاهُ اللَّهُ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم، وخلوا بالشقوة والسعادة، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحققوها بالحوافط؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار. هذا كتاب الله لا تنفى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستنصحو كتابه وتبيناه، إن الله أننى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ في الخيزرت ويدعوننا ربعا وربعا وركائنا لنا خشوعين ﴿الأنبياء: ٩٠﴾، لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله. ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم. هذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات، وشيخ حريز بن عثمان، وهو نعيم بن ثمجة، لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حريز كلهم ثقات. وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة، كما قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحَنَهُمْ وَمَنَّا هُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الباقية: ٢١].. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٥٨] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، في آيات أخر دالات على أن الله - سبحانه - يكرم الأبرار، ويهين الفجار. ولهذا قال ما هنا: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، أي: الناجون السالمون من عذاب الله عز وجل.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن، ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، أي: فإذا كان الجبل في غلظه وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم - أيها البشر - ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. قال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾... إلى آخرها، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله. فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع. ثم قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وكذا قال قتادة، وابن جرير.

[٦٧٢٩] وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع، وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع

إلى نحو المنبر، فعند ذلك حَنَ الجذع وَجَعَلَ يَتَنَ كما يَتَن الصَّبِيُّ الذي [يُسَكَّتْ]، لما كان يُسَمَعُ من الذكر والوُخْيِ عنده. ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسنُ البصريُّ بعد إirاده: «فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع»^(١). وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبالُ الصُّمُّ لو سَمِعَت كلام الله وفهمته لَخَشَعَت وَتَصَدَّعَت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ [الرعد: ٣١]... الآية. وقد تقدَّم أن معنى ذلك: «أي لكان هذا القرآن». وقال تعالى: ﴿وَلَا مِنَ الْجِبَارَةِ لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَنْسَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَلَئِنْ مِنْهَا لَمَاءٌ يَنْسَقُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢): أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا ربَّ غيره، ولا إله للوجود سواه، وكلُّ ما يُعْبَدُ من دونه فباطل، وأنه عالم الغيب والشهادة، أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، من جليلٍ وحقيق، وصغيرٍ وكبير، حتى الذرُّ في الظلمات. وقوله: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: قد تقدَّم الكلام على ذلك في أول التفسير، بما أغنى عن إعادته ها هنا. والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال: ﴿كُنْتُ رُحْمًا عَلَى نَفْسِي الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿قُلْ يَقُولُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فَيَذَلُكَ فَيَقْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣) [يونس: ٥٨]. ثم قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾، أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا مُمانعة ولا مُدافعة. وقوله: ﴿الْقُدُّوسُ﴾، قال وهب بن منبه: أي الطاهر. وقال مجاهد، وقناة: أي المبارك. وقال ابن جريج: تُقَدَّسُهُ الملائكة الكرام. ﴿السَّلَامُ﴾، أي: من جميع العيوب والنقائص؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله. وقوله تعالى: ﴿الْمُؤَيَّدُ﴾، قال الضحَّاك، عن ابن عباس: آمَنَ خَلْقُهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ. وقال قناة: آمَنَ بقوله: إنه حق. وقال ابن زيد: صَدَّقَ عباده المؤمنين في إيمانهم به. وقوله: ﴿الْمُهَيَّيَّنُ﴾، قال ابن عباس وغير واحد: أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم، كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]. وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]... الآية. وقوله: ﴿الْمَزِيدُ﴾، أي: الذي قد عَزَّ كُلُّ شيء فقهره، وغَلَبَ الأشياء فلا يُنَالُ جنائهُ لعزِّهِ وعظمتِهِ وجبروتِهِ وكبريائِهِ. ولهذا قال تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾، أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا التكبر إلا لعظمته، كما تقدَّم في الصحيح:

[٦٧٣] «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فَمَنْ نَارَعَنِي واحداً منهما عَذَّبْتُهُ»^(٤).

وقال قناة: ﴿الْجَبَّارُ﴾: الذي جَبَرَ خَلْقَهُ على ما يشاء. وقال ابن جريج: ﴿الْجَبَّارُ﴾: المصلح أمور خلقه، المتصرف فيهم فيما فيه صلاحهم. وقال قناة: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾، يعني عن كلِّ سُوء. ثم قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الخلق: التقدير، والبرء: هو

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٥٨٣ والترمذي ٥٠٥ والبيهقي في «السنن» ١٩٦/٣ وفي «الدلائل» ٥٥٦/٢ و٥٥٧ و٥٥٧ -

٥٥٨ وعلقه البخاري بإثر الحديث ٣٥٨٣ وابن حبان ٦٥٠٦ من حديث ابن عمر وأخرجه ابن حبان ٦٥٠٧ من حديث

أنس.

(٢) تقدم في آخر سورة الجاثية.

الْقَزِي، وهو: التنفيذ وإبراز ما قُدِّرَ وقُدِّرَ إلى الوجود، وليس كلُّ مَنْ قُدِّرَ شيئاً ورَتَّبَهُ يقدِرُ على تنفيذه وإيجاده سوى الله عزَّ وجلَّ. قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَنَ - ض القوم يخلق ثم لا يَفْرِي

أي: أنت تُنفِّذ ما خَلَقْتَ، أي: قُدِّرْتَ، بخلاف غَيْرِكَ فإنه لا يستطيع ما يُريدُ. فالخلق: التقدير، والقَزِي: التنفيذ. ومنه يقال: قُدِّرَ الجَلادُ ثم قَزَى، أي: قُطِعَ على ما قُدِّرَ بحسبِ ما يُريدُه. وقوله تعالى: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾، أي: الذي إذا أَرَادَ شيئاً قال له: كُنْ، فيكونُ على الصفة التي يُريدُ، والصورة التي يختار. كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنزَلْنَا مَائِدَةَ رَبِّكَ ﷻ﴾ [الأنفطار: ٨] ولهذا قال: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾، أي: الذي يُنفِّذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدُها. وقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، قد تقدَّم الكلام على ذلك في «سورة الأعراف».

[٦٧٣١] وذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن الله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(١).

[٦٧٣٢] وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له، عن أبي هريرة أيضاً، وزاد بعد قوله: «وهو وتر يحب الوتر» - واللفظ للترمذي -: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبيد، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»^(٢). وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، وقد قدمنا ذلك مبسوطاً مطوَّلاً بطريقه وأفاضله، بما أغنى عن إعادته هنا.

وقوله تعالى: ﴿يَسْجُدْ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كقوله تعالى: ﴿سُجِّدَ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا خَلْقًا عَفْوًا ﷻ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، أي: فلا يُزَامُ جَنَابُهُ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه وقُدِّره.

[٦٧٣٣] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا خالد - يعني ابن طهمان أبو العلاء الخفاف - حدثنا نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر - وكلَّ الله به سبعين

(١) متفق عليه، وتقدم في سورة الفاتحة.

(٢) تقدم الكلام عليه في سورة الأعراف.

أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمِسيَ إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً. وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمِسيَ كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ^(١). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ غَيْلَانَ، عَنْ أَبِي أَحْمَدَ الزَّيْبَرِيِّ، بِهِ، وَقَالَ: غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَشْرِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ

(١) ضعيف . أخرجه الترمذي ٢٩٢٢ وأحمد ٢٦/٥ وابن السني ٦٨٠ و ٦٨١. وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة خالد بن طهمان، وقال: لم يحسنه الترمذي، وهو حديث غريب جداً. ونقل عن ابن معين قوله: خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة. وكان في تخليطه كلما جاءوه به قرأه اهـ. أي حدث به. وهذا الحديث من هذا القبيل، لما فيه من مبالغة، وهو حديث منكر. والله أعلم.



وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلْ مِنْكُمْ فَقَدْ صَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفَقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا وَلَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بذر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان خليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال: اللهم، عمّ عليهم خبرنا. فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله رسوله على ذلك؛ استجابة لدعائه. فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في الحديث المتفق على صحته.

[٦٧٣٤] قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو، أخبرني حسن بن محمد بن علي، أخبرني عبيد الله بن أبي رافع - وقال مرة: إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره: أنه سمع علياً - رضي الله عنه - يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأثروا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب، فخذوه منها. فانطلقنا نعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة، قلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب! قلنا: لتخرجي الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب، ما هذا؟ قال: لا تعجل علي، إني كنت أمراً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمّون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن آخذ فيهم يداً يحمّون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كُفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: إنه صدقكم. فقال عمر: دغني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله

اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ^(١). وهكذا أخرجهم الجماعة إلا ابنَ ماجه، من غير وَجْهٍ، عن سفيان بن عُيينة، به. وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. وقال في كتاب التفسير: قال عمرو: ونزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، قال: «لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو». قال البخاري: قال علي - يعني ابنَ المديني -: قِيلَ لسفيان في هذا: نزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؟ فقال سفيان: هذا في حديث الناس، حَفِظْتُهُ من عمرو، ما تركتُ منه حرفاً، وما أرى أحداً حَفِظَهُ غيري.

[٦٧٣٥] وقد أخرجه في الصحيحين من حديث حُصَيْن بن عبد الرحمن، عن سعد بن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدَ، وَالزَّيْبِرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُلَّنَا فَارِسَ، وَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ: فَأَدْرِكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: الْكِتَابُ؟ فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ. فَأَنْخَنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرِ كِتَاباً، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! لَنُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ. فَلَمَّا رَأَتْ الْجَدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا - وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ - فَأَخْرَجْتَهُ. فَاَنْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، قَدْ عَنِي فَلَا ضَرْبَ عُنْقِهِ. فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟». قَالَ: وَاللَّهِ مَا بِي إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِناً بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ. فَقَالَ: صَدَقَ، لَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْراً. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، قَدْ عَنِي فَلَا ضَرْبَ عُنْقِهِ. فَقَالَ: أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ. قَدْ مِغَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ^(٢). هذا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي «الْمَغَازِي» فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَقَدْ رَوَى مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ عَلِيٍّ،

[٦٧٣٦] قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْهَيْسَنَجَانِيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ يَعِيشَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِي، عَنْ أَبِي سَنَانٍ - وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ سِنَانٍ - عَنْ عُمَرَ بْنِ مَرْثَدَةَ الْجَمَلِيِّ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِي، عَنْ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ مَكَّةَ، أَسْرَ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ يَرِيدُ مَكَّةَ، فِيهِمْ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَأَفْشَى فِي النَّاسِ أَنَّهُ يُرِيدُ حَبِيرَ. قَالَ: فَكَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرِيدُكُمْ. فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَبَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدَ، وَلَيْسَ مِثْلَ رَجُلٍ إِلَّا وَعِنْدَهُ فَرَسٌ، فَقَالَ: انْثَوُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِهَا امْرَأَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا. فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى رَأَيْنَاهَا بِالْمَكَانِ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا لَهَا: هَاتِ الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ! فَوَضَعْنَا مَتَاعَهَا وَفَتَّشْنَاهَا فَلَمْ نَجِدْهُ فِي مَتَاعِهَا، فَقَالَ أَبُو مَرْثَدَةَ: لَعَلَّهُ أَلَّا يَكُونُ مَعَهَا. فَقُلْتُ: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا كُذِّبَ! فَقُلْنَا لَهَا: لَنُخْرِجَنَّكَ أَوْ لَنُعْرِيتُكَ. فَقَالَتْ: أَمَا تَتَّقُونَ اللَّهَ؟ السُّمُّ مُسْلِمِينَ؟ فَقُلْنَا: لَنُخْرِجَنَّكَ أَوْ لَنُعْرِيتُكَ - قَالَ عُمَرُ بْنُ مَرْثَدَةَ: فَأَخْرَجْتَهُ مِنْ حُجْزَتِهَا، وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ: أَخْرَجْتَهُ مِنْ قُبُلِهَا - فَاتَيْنَا بِهِ رَسُولَ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٠٧ و ٤٢٧٤ و ٤٨٩٠ ومسلم ٢٤٩٤ وأبو داود ٢٦٥٠ والترمذي ٣٣٠٥ وأبو يعلى ٣٩٤ و ٣٩٨ والبيهقي في «السنن» ١٤٦/٩ وفي «الدلائل» ١٧/٥ وأحمد ٧٩/١ وابن حبان ٦٤٩٩.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٨١ و ٣٩٨٣ و ٦٢٥٩ ومسلم ٢٤٩٤ وأبو داود ٢٦٥١ وأحمد ١٠٥/١ وأبو يعلى ٣٩٧ والبيهقي في «الدلائل» ١٥٢/٣ و ١٥٣ وابن حبان ٧١١٩.

الله ﷺ ، فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة . فقام عمر فقال : يا رسول الله ! خأن الله ورسوله ، فأذن لي فلاضرب عنقه . فقال رسول الله : « أليس قد شهد بدرًا ؟ » قالوا : بلى . قال عمر : بلى ، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك . فقال رسول الله ﷺ : فلعن الله أطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، إنني بما تعملون بصير . ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال : يا حاطب ، ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله ! إنني كنت امرأ مخلصاً في قريش ، وكان بها مالي وأهلي ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله ، فكتبت إليهم بذلك ، ووالله - يا رسول الله - إنني لمؤمن بالله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : صدق حاطب ، فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً - قال حبيب بن أبي ثابت فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ... الآية ^(١) . وهكذا رواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن أبي سنان سعيد بن سنان ، بإسناده مثله ؛ قد ذكر ذلك أصحاب المعاذي والسير .

[٦٧٣٧] فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من علمائنا قال : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة - زعم محمد بن جعفر أنها من مزية ، وزعم غيره أنها سارة ، مولاة لبني عبد المطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ، ثم قتلت عليه قرونها ، ثم خرّجت به . وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذّره ما قد أجمعنا له من أمرهم . فخرجا حتى أدركاها بالحليفة - حليفة بني أبي أحمد - فاستنزلاها بالحليفة ، فالتمسا في رجليها فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي بن أبي طالب : إنني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبتنا ، ولتخرجين لنا هذا الكتاب أو لتكشفينك . فلما رأت الجد منه قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قرونها رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه . فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! أما والله إنني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيّر ولا بدلت ، ولكنني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ! دغني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله - عز وجل - في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ... إلى قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُمْ وَبَيْنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَمَدًا وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... إلى آخر القصة ^(٢) . وروى مغمز ، عن الزهري ، عن عروة نحو ذلك . وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة : أنه بعث سارة مولاة بني هاشم ، وأنه أعطاه عشرة دراهم ، وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب ^(٣) وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأدركاها بالجحفة . . . وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم . وعن السدي قريب منه .

(١) أخرجه الطبري ٣٣٩٣٤ وإسناده ضعيف لضعف الحارث الأعور ، لكن المتن محفوظ له شواهد كثيرة .

(٢) أخرجه الطبري ٣٣٩٣٦ وهذا مرسل ، لكن عامة المتن محفوظ بشواهد المتقدمة .

(٣) ذكر عمر تفرد به مقاتل ، وهذا من أوهامه ، انظر ما تقدم .

(١) أخرجه أحمد ٤٧/٥ وإسناده لا بأس به لأجل الأجلح الكندي، وثقه ابن معين والعجلي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: صدوق، وضعفه النسائي. الخلاصة: الأثر على توثيقه، فالحديث حسن أو شبه حسن.

[٦٧٣٩] قال الإمام أحمد؛ حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس: أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: «في النار». فلما قُفِيَ دَعَاهُ فقال: «إن أبي وأباك في النار»^(١). وزواه مسلم وأبو داود، من حديث حماد بن سلمة، به.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۖ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، أي: وأتباعه الذين آمنوا معه، ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، أي: بدينكم وطريقكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾، يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم، ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾، أي: إلى أن تؤحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ﴾، أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماثوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَتْ لِلَّذِينَ وَالَّتِيقَاتِ إِيمَانًا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّارِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَدَىٰ مَا تَبَرَّأَ مَا تَبَرَّأَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَهْلٌ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤]. وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: ليس لكم في ذلك أسوة، أي: في الاستغفار للمشركين. هكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والضحاك، وغير واحد. ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه، حين فارقوا قومهم وتبرؤوا منهم، فلبجوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، أي: توكلنا عليك في جميع الأمور، وسلمنا أمورنا إليك، وفوضناها إليك؛ ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، أي: المعاد في الدار الآخرة، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال مجاهد: معناه: لا تجعلنا بأيديهم ولا بعداب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتتوا بذلك، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه. واختاره ابن جرير. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتتونا. وقوله تعالى: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، أي: واستر ذنوبنا عن غيرك، واعف عنها فيما بيننا وبينك، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾، أي: الذي لا يُضام من لاذ بجنايبك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، وهذا تأكيد لما تقدم، ومستثنى منه ما تقدم أيضاً، لأن هذه الأسوة المثبتة هنا هي الأولى بعينها. وقوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾: أي: عَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، كقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [إبراهيم: ٨]. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿الغنيُّ﴾: الذي قد كَمَلَ في غناه، وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كُفء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار. ﴿الحميدُ﴾: المستحمد إلى خلقه، أي هو المحمود في جميع أفعاله وأقواله، لا إله غيره، ولا رب سواه.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ لَيْنَكَ وَيَنَازِلَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧) لَا يَتَنَبَّهُوا عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَغْنَبْهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِّن دِينِكُمْ أَن يَبْرُوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَتَنَبَّهُوا عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولَوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعبادة الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ لَيْنَكَ وَيَنَازِلَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، أي: محبة بعد البغضة، ومودة بعد الثغرة، وألفة بعد الفرقة. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾، أي: على ما يشاء من الجَمْع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة، فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالى مُتَمَتِّعًا عَلَى الْأَنْصَارِ: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِإِذْنِهِ إِوْفًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]... الآية.

[٦٧٤٠] وكذا قال لهم النبي ﷺ: «ألم أجدكم ضالًّا لاَ يهتدكم الله بي، وكنتُم مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُم الله بي»^(١). وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَلَّفَ بَيْنَ الصَّوْدَانِ﴾ [١٦] وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣].

[٦٧٤١] وفي الحديث «أحب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما. وأبغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما»^(٢). وقال الشاعر:

وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا إلى ربهم وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه، من أي ذنب كان. وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب، فإن رسول الله ﷺ تزوج ابنته، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه. وفي هذا الذي

(١) تقدم في سورة التوبة آية ٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٩٧ وابن حبان في «المجروحين» ٣٥١/١ من طريق سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة أراه رفعه - قال... وإسناده على شرط مسلم، لكن حماد تغير بأخرة، فهذه علة، وأعله ابن حبان بسويد واتهمه به، وردّه الألباني على أنه من رجال مسلم، وقد وثقه غير واحد، ذكر ذلك في «غاية المرام» ص ٢٧٣، ومع ذلك هو معلول حيث لم يجرم برفعه كما ترى، وقد ضعفه الترمذي بقوله غريب، قال وروي عن علي مرفوعاً، وهو ضعيف، والصحيح عن علي قوله، وكذا صوب ابن حبان كونه عن علي. وله شاهد ضعيف، أخرجه القضاعي ٧٣٩ من طرق واهية عن ابن عمر مرفوعاً، والمتن غريب، والأشبه في هذا الوقف، والجزم بصحته ليس بشيء، والله أعلم.

قاله مقاتلٌ نظر؛ فإن رسول الله تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف.

[٦٧٤٢] وأحسن من هذا ما رواه ابنُ أبي حاتم حيث قال: قُرِئَ على محمد بن عَزِيز: حدثني سَلَامَةُ، حدثني عَقِيل، حدثني ابنُ شهاب: أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مُرتداً، فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين. قال ابنُ شهاب: وهو ممن أنزل الله فيه: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَيْسًا مُّجْتَمِعًا﴾ (١). رَجِمَ (٧) ﴿١﴾.

[٦٧٤٣] وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس: أن أبا سفيان قال: يا رسول الله! ثلاث أغطينهن. قال: نعم. قال: تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: نعم. قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أُم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها (٢). . . الحديث. وقد تقدّم الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم، ﴿أَنْ تَبْزُوهُمْ﴾، أي: تحيثنوا إليهم ﴿وَتَقْسُوا إِلَيْهِمْ﴾، أي: تعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

[٦٧٤٤] قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء - هي بنت أبي بكر، رضي الله عنهما - قالت: قَدِمْتُ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عهد قُرَيْشٍ إذ عاهدوا، فاتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! إن أُمِّي قَدِمَتْ وهي رَاغِبَةٌ، أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أُمكِ» (٣). أخرجاه.

[٦٧٤٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مُصْعَب بن ثابت، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قَدِمْتُ قُتَيْبَةً على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر بهدايا: ضَبَابٍ وَأَقِطٍ وَسَمْنٍ، وهي مُشْرِكَةٌ، فابت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ . . . إلى آخر الآية، فأمرها أن تقبل هديتها، وأن تدخلها بيتها (٤). وهكذا رَوَاهُ ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم، من حديث مُصْعَب بن ثابت، به. وفي رواية لأحمد وابن جرير: «قُتَيْبَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى بن عبد أسعد، من بني مالك بن حِمْلٍ». وزاد ابنُ أبي حاتم: «في المدة التي كانت بين قُرَيْشٍ، ورسول الله ﷺ».

[٦٧٤٦] وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزاز: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثنا أبو بكر بن

(١) هذا مرسل، ومراسيل الزهري ضعيفة.

(٢) لفظ «أزوجكها» . . . غريب، فإن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة قبل الفتح بفترة طويلة. وتقدم ذلك.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٢٠ و٣١٨٣ ومسلم ١٠٠٣ وأبو داود ١٦٦٨ والطيالسي ١٦٤٣ وأحمد ٣٤٧/٦ وابن حبان ٤٥٢.

(٤) أخرجه الحاكم ٤٨٥/٢ والطبري ٣٣٩٥٢ والواحدي ٨١٣ من حديث ابن الزبير، صححه الحاكم. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٢٣/٧: فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، اهـ وقال الحافظ في «التقريب»: لين الحديث. فالإسناد غير قوي، وأصل الحديث محفوظ لكن الوهن في أن الآية نزلت لهذا السبب.

أبي شَيْبَةَ، حدثنا أبو قتادة العَدَوِيُّ، عن ابن أخِي الزهري، عن الزهري، عن عُرْوَةَ، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا: قَدِمَت علينا أُمُّنا المدينة، وهي مشرِكة، في الهدنة التي كانت بين قُرَيْش وبين رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله! إِنْ أُمُّنا قَدِمَت علينا المدينة رَاغِبَةً، أَفَصِلُهَا؟ قال: «نعم، فَصِلُهَا»^(١). ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن الزهري، عن عروة، عن عائشة إلا من هذا الوجه. قلت: وهو مُنكَر بهذا السياق، لأن أُمَّ عائشة هي أم رومان، وكانت مُسْلِمَةً مهاجرة، وأُمَّ أسماء غيرها، كما هو مُصَرَّح بِاسْمِهَا في هذه الأحاديث المتقدمة، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: تقدّم تفسير ذلك في «سورة الحجرات».

[٦٧٤٧] وأورد الحديث الصحيح: «المُقْسِطُونَ على منابرٍ من نُورٍ عن يمينِ العرش، الذين يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ، وأهاليهم، وما وَلَّوْا»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَالْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَظَنَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَقُولُوا: يَا إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ مَوْلَاةٍ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَاصَبُوكُم بِالْعَدَاوَةِ، فَقاتِلُوهُمْ وأخرجوكم، وعاونوا على إخراجكم، ينهاكم الله عن موالاتهم، ويأمركم بمعاداتهم. ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُم فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾، كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ بَعْضُهُمْ فَيَتَوَلَّوْا كُفْرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَالَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تَسِيكُوا بِعَصِمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوْا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [١٠] وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْزَاقُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [١١]

[٦٧٤٨] تقدّم في «سورة الفتح» ذكر صلح الحُدَيْبِيَّة الذي وقّع بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّار قُرَيْش، وكان فيه: «على أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رَدَدْتَهُ إلينا». وفي رواية: «على أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رَدَدْتَهُ إلينا»^(٣). وهذا قول عروة، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد، والزهري، ومقاتيل، والسدي. فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصةً للسنة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك، وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله - عزَّ وجلَّ - أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهنَّ، فإن عَلِمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ، لا مِنْ حِلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ.

[٦٧٤٩] وقد ذُكِرْنَا في ترجمة عبد الله بن أبي أحمد بن جَحْشٍ، من المُسند الكبير، من طريق أبي بكر بن أبي عاصم، عن محمد بن يحيى الذهلي، عن يعقوب بن محمد، عن عبد العزيز بن عمران، عن مُجَمَّع بن يعقوب، عن حسين بن أبي لبابة عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي

(١) منكر. أخرجه البزار ٣٦٥/٢، وإسناده ضعيف جداً. فيه عبد الله بن شبيب. قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويسرقها.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الحجرات: ٩.

(٣) تقدم في سورة الفتح.

مُطِيطٌ فِي الْهَجْرَةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَاهُ فِيهَا أَنْ يَرْزُهَا إِلَيْهِمَا، فَتَقَضَّى اللَّهُ الْعَهْدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ فِي النِّسَاءِ خَاصَّةً، وَمَنْعَهُنَّ أَنْ يَرْزُدْنَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْإِمْتِحَانِ^(١).

[٦٧٥٠] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ الْأَعْرَبِ بْنِ الصَّبَّاحِ، عَنْ خَلِيفَةَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي نَصْرٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَيْفَ كَانَ امْتِحَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ؟ قَالَ: كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ: بِاللهِ مَا خَرَجَتْ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ؟ وَبِاللهِ مَا خَرَجَتْ رَغْبَةً عَنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ؟ وَبِاللهِ مَا خَرَجَتْ التَّمَاسَّ دُنْيَا؟ وَبِاللهِ مَا خَرَجَتْ إِلَّا حُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، عَنْ الْأَعْرَبِ بْنِ الصَّبَّاحِ، بِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ طَرِيقِهِ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّ الَّذِي كَانَ يُحْلِفُهُنَّ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ^(٢). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾: كَانَ امْتِحَانُهُنَّ أَنْ يَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾: فَاسْأَلُوهُنَّ: مَا جَاءَ بِهِنَّ؟ فَإِنْ كَانَ جَاءَ بِهِنَّ غَضَبٌ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ سَخَطٌ أَوْ غَيْرُهُ، وَلَمْ يُؤْمِرْنَ فَارْجِعُوهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: يُقَالُ لَهَا: مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؟ وَمَا جَاءَ بِكَ عَشَقٌ رَجُلٍ مِنَّا، وَلَا فِرَازٌ مِنْ زَوْجِكَ؟ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَتْ مَخْتَشَهُنَّ أَنْ يَسْتَحْلِفَنَّ بِاللهِ: مَا أَخْرَجَكُنَّ النِّشُورُ؟ وَمَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حُبُّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَجِرْصٌ عَلَيْهِ؟ فَإِذَا قُلْنَ ذَلِكَ قُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْغِبُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يُمَكِّنُ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ بِقَيْنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾: هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الَّتِي خَرَّمَتِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ كَانَ جَائِزًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُشْرِكُ الْمُؤْمِنَةَ.

[٦٧٥١] وَلِهَذَا كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ زَوْجُ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَقَدْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ بَعَثَتْ أَمْرَأَتَهُ زَيْنَبَ فِي فِدَائِهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لَأُمِّهَا خَدِيجَةَ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقِيَ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا فَافْعَلُوا». فَفَعَلُوا، فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ يَبِيعَتْ ابْنَتَهُ إِلَيْهِ، فَوَقَّعَ لَهُ بِذَلِكَ وَصَدَقَهُ فِيمَا وَعَدَهُ، وَبَعَثَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَكَانَتْ سَنَةً اثْنَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَسْلَمَ زَوْجُهَا أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ سَنَةَ ثَمَانٍ، فَرَزَّهَا عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ لَهَا صَدَاقًا^(٣).

[٦٧٥٢] كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحَصِينِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَزَّ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ، وَكَانَ إِسْلَامُهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِ بِسِتِّ سِنِينَ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ شَهَادَةً وَلَا صَدَاقًا^(٤). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ

(١) ضعیف. أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١١٤١٣. وأعله الهيثمي بعبد العزيز بن عمران، وأنه ضعيف. قلت: وهو مرسل.

(٢) أخرجه البزار ٢٢٧٢ والطبري ٣٣٩٥٧ وإسناده غير قوي لأجل قيس بن الربيع، وقال الهيثمي ١١٤١٢: وثقه شعبة والثوري، وضعفه غيرهما، وأصله شواهد راجع الطبري ٣٣٩٥٩ و٣٣٩٦٠.

(٣) جيد. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ١٥٤/٣ دون قوله «فردها...» وتقديم.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٢٤٠ والتِّرْمِذِيُّ ١١٤٣ وابن ماجه ٢٠٠٩، ورجالہ ثقات. وفيه داود بن حصين، فهو، وإن روى له الشيخان، فقد لينه أبو زرعة. وقال أبو حاتم: لولا أن مالكا روى عنه لترك حديثه، وقال علي المدني: ما رواه عن عكرمة فمنكر. وقال أبو داود: أحاديثه عن عكرمة منكبر. وقال التِّرْمِذِيُّ قبل ذكر هذا الحديث: في إسناده مقال. فالحديث =

ماجه. ومنهم من يقول: «بعد سنتين»، وهو صحيح، لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمين على المشركين بسنتين. وقال الترمذي: «ليس بإسناده بأس»، ولا نعرف وجه هذا الحديث، ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين... وسَمِعْتُ عَبْدَ بْنَ حُمَيْدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ يَذْكُرُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ هَذَا الْحَدِيثِ.

[٦٧٥٣] وحديث الحجاج - يعني ابن أخطاء - عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ رَدَّ ابْنَتَهُ عَلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَهْرٍ جَدِيدٍ وَنِكَاحٍ جَدِيدٍ^(١). فقال يزيد: حديث ابن عباس أجود إسناده، والعمل على حديث عمرو بن شعيب. قلت: وقد رَوَى حديث الحجاج بن أخطاء، عن عمرو بن شعيب الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وضعفه الإمام أحمد وغير واحد، والله أعلم.

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين، يحتمل أنه لم تنقض عِدَّتُهَا منه، لأن الذي عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم، انفسخ نكاحها منه. وقال آخرون: بل إذا انقضت العدة هي بالخيار، إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت، وإن شاءت فسخته ودَّهَبَتْ فَتَزَوَّجَتْ. وحملوا عليه حديث ابن عباس، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُهُمْ مَّا أَفْقَرُوا﴾، يعني: أزواج المهاجرات من المشركين، ادفَعُوا إِلَيْهِمُ الَّذِي غَرَّمُوهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَصْدِيقَةِ. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والزهرى، وغير واحد. وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾: يعني: إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكِحوهن، أي: تزوجوهن بشرطه، من انقضاء العدة والولي، وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾: تحريم من الله - عز وجل - على عباده المؤمنين نكاح المشركات، والاستمرار معهن.

[٦٧٥٤] وفي الصحيح، عن الزهرى، عن عروة، عن المسور ومروان بن الحكم: أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساء من المؤمنات، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾، فطلعت عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين، تزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية^(٢).

[٦٧٥٥] وقال ابن ثور، عن معمر، عن الزهرى: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو بأسفل الحديبية، حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رد إليهم، فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية، وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن، وقال: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾^(٣).

= غير قوي كما ترى لأنه من روايته عن عكرمة. وصححه الألباني في «الإرواء» ١٩٢١ على أنه ورد من مرسل قتادة وله شاهد من مرسل عكرمة، وبكل حال الجمهور على أن ذلك إن كان في العدة، وإلا فلا سبيل له عليها، وانظر «الفتح» ٤٢١/٩. والله تعالى أجل وأعلم.

(١) أخرجه الترمذي ١١٤٢ وابن ماجه ٢٠١٠ وأحمد ٢٠٨/٢. وإسناده ضعيف، فيه حجاج بن أخطاء، صدوق إلا أنه اختلط، وضعفه الترمذي بقوله: في إسناده مقال، ونقل عن يزيد بن هارون - أحد أئمة الحديث - أن حديث ابن عباس - أي المتقدم آنفاً - أجود إسناده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. والله تعالى أعلم.

(٢) صحيح. هو بعض حديث أخرجه البخاري ٢٧٣١ وأبو داود ٢٧٦٥ وأحمد ٣٢٨/٤ وتقدم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٩٧٢، وهذا مرسل، ومراسيل الزهرى واهية، فهو ضعيف جداً، والصواب أن الآية نزلت بعد ذلك بزمان.

وهكذا قال عبد الرحمن بن أسلم، وقال: وإنما حَكَمَ الله بينهم بذلك، لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد. وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري: طَلَّقَ عَمْرُ يَوْمئِذٍ قَرِيْبَةً بَنَتْ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغَيَّرَةِ، فَتَزَوَّجَهَا معاوية، وأُمُ كَلْتُومَ بَنَتْ عَمْرُو بْنُ جَزُولٍ الْخَزَاعِيَّةَ، وَهِيَ أُمُ عُيَيْدِ اللهِ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو جَهْمُ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ - رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ - وَهَمَا عَلَى شَرَكِهِمَا. وَطَلَّقَ طَلْحَةُ بْنُ عُيَيْدِ اللهِ أَرْوَى بَنَتْ رَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَعَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾، أَي: وَطَالَبُوا بِمَا أَنْفَقْتُمْ عَلَى أَزْوَاجِكُمُ اللَّاتِي يَذْهَبْنَ إِلَى الْكُفَّارِ، إِنْ ذَهَبْنَ، وَلَيَطْلُبُوا بِمَا أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمُ اللَّاتِي هَاجَرْنَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ. وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ حَكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾، أَي: فِي الصَّلَاحِ وَاسْتِنَاءِ النِّسَاءِ مِنْهُ، وَالْأَمْرُ بِهَذَا كُلُّهُ هُوَ حَكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أَي: عَلِيمٌ بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ، حَكِيمٌ فِي ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ فَانَكُ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَقْتُمْ فَتَأَوُّوا الَّذِينَ دَهِبَتْ أَزْوَاجُهُمْ يُنْذِرُ مَا أَنْفَقُوا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقِتَادَةُ: هَذَا فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ، إِذَا قُرَّتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَةٌ وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَى زَوْجِهَا شَيْئًا، فَإِذَا جَاءَتْ مِنْهُمْ امْرَأَةٌ لَا يَدْفَعُ إِلَى زَوْجِهَا شَيْءًا، حَتَّى يَدْفَعَ إِلَى زَوْجِ الدَّاهِيَةِ إِلَيْهِمْ مِثْلَ نَفَقَتِهِ عَلَيْهَا.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ: أَقْرَ الْمُؤْمِنُونَ بِحَكْمِ اللَّهِ، فَأَدُّوا مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمَشْرِكِينَ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى نِسَائِهِمْ، وَأَبَى الْمَشْرُكُونَ أَنْ يَقْرُوا بِحَكْمِ اللَّهِ فِيمَا قَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ آدَاءِ نَفَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: ﴿وَإِنْ فَانَكُ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَقْتُمْ فَتَأَوُّوا الَّذِينَ دَهِبَتْ أَزْوَاجُهُمْ يُنْذِرُ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْتُمْ بِكُمْ مُؤْمِنُونَ﴾، فَلَوْ أَنَّهَا ذَهَبَتْ بَعْدَ هَذِهِ آيَةِ امْرَأَةٍ مِنْ أَزْوَاجِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَشْرِكِينَ رَدَّ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى زَوْجِهَا النِّفَقَةَ الَّتِي أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَقَبِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ، الَّذِي أَمَرُوا أَنْ يَرُدُّوهَ عَلَى الْمَشْرِكِينَ مِنْ نَفَقَاتِهِمُ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمُ اللَّاتِي آمَنَ وَهَاجَرْنَ، ثُمَّ رَدُّوا إِلَى الْمَشْرِكِينَ فَضْلًا إِنْ كَانَ بَقِيَ لَهُمْ. وَالْعَقَبُ: مَا كَانَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الْكُفَّارِ حِينَ آمَنَ وَهَاجَرْنَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ آيَةِ: يَعْنِي إِنْ لَحِقَتْ امْرَأَةٌ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْكَفَّارِ أَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطَى مِنَ الْغَنِيمَةِ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ. وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فَعَلَقْتُمْ﴾: أَصْبَحْتُمْ غَنِيمَةً مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ غَيْرِهِمْ، ﴿فَتَأَوُّوا الَّذِينَ دَهِبَتْ أَزْوَاجُهُمْ يُنْذِرُ مَا أَنْفَقُوا﴾، يَعْنِي: مَهْرٌ مِثْلُهَا. وَهَكَذَا قَالَ مَسْرُوقٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَقِتَادَةُ، وَمِقَاتِلٌ، وَالضُّحَّاكُ، وَسَفِيَّانُ بْنُ حُسَيْنٍ، وَالزَّهْرِيُّ أَيْضًا. وَهَذَا لَا يُنَافِي الْأَوَّلَ، لِأَنَّهُ إِنْ أَمَكْنَ الْأَوَّلُ فَهُوَ أَوْلَى، وَإِلَّا فَمِنْ الْغَنَائِمِ اللَّاتِي تُؤْخَذُ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ. وَهَذَا أَوْسَعُ. وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[٦٧٥٦] قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ آيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقْرَ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ بَايَعْتُكَ كَلَامًا، وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ

يَدُ امْرَأَةٍ قَطَّ فِي الْمُبَايَعَةِ، مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ: قَدْ بَايَعْتُكَ عَلَى ذَلِكَ^(١). هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

[٦٧٥٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لبنايعة، فأخذ علينا ما في القرآن: ألا تُشْرِكْ بالله شيئاً... الآية، وقال: فيما استطعتم وأطقتن، قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله! ألا تُصافِحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء»، إنما قولِي لامرأة واحدة كقولِي لَمئة امرأة^(٢). هذا إسناد صحيح، وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث سفيان بن عُيينة، والنسائي أيضاً من حديث الثوري - ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر، به. وقال الترمذي: «حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر». وقد رَوَاهُ أحمد أيضاً من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة، به. وزاد: «ولم يُصافِح منا امرأة». وكذا رَوَاهُ ابن جرير من طريق موسى بن عُقبة، عن محمد بن المنكدر، به، ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي، عن محمد بن المنكدر: حدثتني أميمة بنت رقيقة - وكانت أخت خديجة خالة فاطمة، من فيها إلى في، فذكره.

[٦٧٥٨] وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني سليل بن أيوب ابن الحَكَم بن سليم، عن أمه سلمى بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلّت معه القبليتين، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت: جثث رسول الله ﷺ نبايعة في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا: ألا تُشْرِكْ بالله شيئاً، ولا تُسْرِق، ولا تُزني، ولا تقتل أولادنا، ولا تأتي ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نُعصيه في معروف. قال: «ولا تُغشّسن أزواجكن». قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا، فقلّت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله ﷺ: ما غشّ أزواجنا؟ قال: فسألته فقال: «تأخذ ماله، فتُحايي به غيره»^(٣).

[٦٧٥٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب، حدثني أبي، عن أمه عائشة بنت قدامة - يعني ابن مفلح - قالت: أنا مع أمي رائلة بنت سفيان الخزاعية، والنبى ﷺ يبايع النسوة ويقول: «أبايعكن على أن لا تُشركن بالله شيئاً، ولا تُسرقن ولا تزني ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتانٍ نفتريه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تُعصينني في معروف - قلن: نعم - فيما استطعن. فكن يلقن وأقول معهن، وأمي تقول: أي بيئة: نعم. فكن أقول كما يلقن»^(٤).

[٦٧٦٠] وقال البخاري: حدثنا أبو مَعْمَر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: بايَعَنَا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: «أَنْ لَا تُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا»، ونهانا عن النجاسة، فقبضت امرأة يدها، فقالت: أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها. فما قال لها رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلقت وزجعت فبايعها. وزواه مسلم. وفي رواية: «فما وفى منهن امرأة غيرها، وغير أم سليم ابنة ملحان»^(٥).

[٦٧٦١] وللبخاري عن أم عطية قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا نتوحد، فما وقت منا

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩١.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ١٥٩٧ والنسائي ٤١٠١ و٣٥٨ وفي «التفسير» ٦٠٩ وابن ماجه ٢٨٧٤ وأحمد ٢٥٧/٦ ومالك في «الموطأ» ٢/٩٨٢، وإسناده على شرطهما.

(٣) أخرجه أحمد ٣٧٩/٦ وفيه سليل، وهو مقبول، فالإسناد لين لكن للحديث شواهد.

(٤) أخرجه أحمد ٣٦٥/٦ وإسناده لين، لكن له شواهد يحس بها.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٢ ومسلم ٩٣٦ ح ٣٣ والنسائي في «التفسير» ٦٠٧.

امراة غيرَ خَمْسِ نِسوةَ: أم سُلَيم، وأم العلاء، وابنة أبي سَبْرَةَ امرأة مُعاذٍ، وامرأتان - أو؛ ابنة أبي سَبْرَةَ، وامراة مُعاذٍ، وامراة أخرى، وقد كان رسولُ الله ﷺ يتعاهد النساءَ بهذه البيعة يومَ العيد^(١).

[٦٧٦٢] كما قال البخاري: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حدثنا هَارُونُ بْنُ معروفٍ، حدثنا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ: أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ مُسْلِمٍ أَخْبَرَهُ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: شَهِدْتُ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهِمَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ يَخْطُبُ بَعْدُ، فَتَزَلُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجْلِسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشْقُهُمْ حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ مَعَ بِلَالٍ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعَنَّكَ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِإِلَهِكَ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفَقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْيِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا. ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَّغَ: أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةً - لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا -: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! - لَا يَدْرِي الْحَسَنُ مَنْ هِيَ - قَالَ: فَتَصَدَّقْنَ. قَالَ: وَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الْفَتَحَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ^(٢).

[٦٧٦٣] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا خَلْفُ بْنُ الْوَلِيدِ، حدثنا ابْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَاءَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَبَايَعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: «أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تُسْرِقِي وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكَ، وَلَا تَأْتِي بِبَهْتَانٍ تَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ، وَلَا تَتَّوَحِّي، وَلَا تَبْرَجِي تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى»^(٣).

[٦٧٦٤] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا سُفْيَانُ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: «تَبَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تُسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ - قَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي أَخَذَتْ عَلَى النِّسَاءِ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ - فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ. وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسْتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»^(٤). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ.

[٦٧٦٥] وقال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْزُوقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبِزْزِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُسَيْلَةَ الصَّنَابِيحِيِّ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْحَرْبُ، عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تُسْرِقَ وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبَهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَثِقْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ^(٥). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

[٦٧٦٦] وقد رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ مِنْ طَرِيقِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ: «قُلْ لَهُنَّ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ يَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا - وَكَانَتْ هُنْدُ بِنْتُ عَتَبَةَ بِنِ رُبَيْعَةَ الَّتِي شَقَّتْ بَطْنَ حِمَزَةٍ مُتَنَكِّرَةً فِي النِّسَاءِ - فَقَالَتْ: إِنْ أَنْتَ كَلِمَ يَعْرِفُنِي، وَإِنْ عَرَفَنِي قَتَلَنِي. وَإِنَّمَا تَنْكُرُتُ فَرَقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَكَتَ النِّسَاءُ اللَّاتِيَّ مَعَ هِنْدَ، وَأَبَيْنَ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ. فَقَالَتْ هِنْدُ وَهِيَ مُتَنَكِّرَةٌ: كَيْفَ تَقْبَلُ مِنْ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ١٣٠٦.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٥. والفتح: جمع فتحة، وهي الخاتم لا فص له.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ١٩٦/٢ وإسناده قوي، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ١٨ ومسلم ١٧٠٩ والترمذي ١٤٣٩ والنسائي ٤١٦١ وأحمد ٣١٤/٥.

(٥) رجاله ثقات لكن فيه عن عنة ابن إسحاق وشيخه يزيد، والصحيح الحديث المتقدم.

النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟ فَتَنَظَرُ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لَعُمَرُ: «قُلْ لَهُنَّ: ﴿وَلَا يَسْرِقَنَّ﴾» - قالت هند: والله إنني لأصيب من أبي سفيان الهَنَاتِ، ما أدري أيجلهن لي أم لا؟ قال أبو سفيان: ما أصببت من شيء مَضَى، أو قد بقي فهو لك حلال. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَهَا، فَدَعَاها فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَعَاذَتْ بِهِ، فَقَالَ: أَنْتِ هِنْدٌ؟ قالت: عَمَّا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ. فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال: «وَلَا يَزِينَنَّ»، فقالت: يا رسول الله! وهل تزني الحرّة؟ قال: لا، والله ما تزني الحرّة. فقال: «وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ». قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر، فأنت وهم أبصر. قال: «وَلَا يَأْتِينَ بِنْتَهُنَّ يَفْتَرِينَ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ»، قال: «وَلَا يَمْسِسَنَّكَ فِي مَعْرُوفِي». قال: مَنْعَهُنَّ أَنْ يَتَحَنَّنَّ، وكان أهل الجاهلية يَمَزُقْنَ الثياب ويخدشن الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالبور والويل^(١). وهذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة، والله أعلم؛ فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يُجفهما، بل أظهر الصفاء والودّ لهما، وكذلك كان الأمر من جانبه ﷺ لهما.

[٦٧٦٧] وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الفتح، فبايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفاء، وعمر يبايع النساء تحتها عن رسول الله ﷺ. فَذَكَرَ بَقِيَّتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ وَزَادَ: فلما قال: «ولا تقتلن أولادكن»، قالت هند: ربيّناهم صغاراً فقتلنهم كباراً. فَضَحِكَ عُمَرُ بن الخطاب حتى استلقى^(٢). رواه ابن أبي حاتم.

[٦٧٦٨] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نَصْرُ بن علي، حَدَّثَنِي عُبَيْطَةُ بنت سليمان، حَدَّثَنِي عُمِّي، عن جَدِّي، عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لِثَبَائِعِهِ، فنظرَ إلى يَدِهَا فقال: «اذْهَبِي فَعَيِّرِي يَدَكَ». فذهبت فَعَيَّرَتَهَا بِحَنَاءٍ، ثم جاءت فقال: «أَبَايَعُكَ عَلَى أَلَّا تُشْرِكِي بالله شيئاً»، فبايعها وفي يَدِهَا سِوَارَانِ مِنْ دَقَبٍ، فقالت: ما تقول في هذين السوارين؟ فقال: «جَمْرَتَانِ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ»^(٣). فقوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ»، أي: مَنْ جَاءَكَ مِنْهُنَّ يَبَايِعُ عَلَى هَذِهِ الشُّرُوطِ فَبَايَعِهَا، «وَكَانَ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقَنَّ»، أي: أموال الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج مَقْصُوراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علمه، عَمَلًا بِحَدِيثِ هند بنت عتبة أنها قالت:

[٦٧٦٩] «يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ»^(٤). أخرجاه في الصحيحين.

وقوله تعالى: «وَلَا يَزِينَنَّ»، كقوله: «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَنْهُ سَيِّئِينَ»^(٥). وفي حديث سمرة^(٦) ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم.

[٦٧٧٠] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عن الزهري، عن عُرْوَةَ، عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة تُبَايِعُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخَذَ عَلَيْهَا: «أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزِينَنَّ»...

(١) إسناده ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٤٠١٣ وفيه عطية بن سعد العوفي ضعيف الحديث، روى مناكير كثيرة. وفي هذا الحديث ألفاظ غريبة، فمن ذلك «فدعاها فأخذت بيده» فهذا منكر مردود بحديثي عائشة وأميمة المتقدمين. ثم إن هنداً لم تنكر بل كانت في طليعة النساء كما في الأحاديث الصحيحة.

(٢) هذا مرسل، فهو ضعيف.

(٣) ضعيف جداً بهذا اللفظ، غبطة بنت سليمان مجهولة، وفي الإسناد من لم يسم، والثن منكر.

(٤) متفق عليه، وتقدم.

الآية، قالت: فوضعت يدها على رأسها حياة، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أَقْرَى أَيْتُهَا المرأة، فوالله ما بَايَعَنَا إِلَّا عَلَى هَذَا. قالت: فنعَم إِذَا، فبَايَعَهَا بِالْآيَةِ^(١).

[٦٧٧١] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن عامر - هو الشعبي - قال بايع رسول الله ﷺ النساء، وعلى يده ثوب قد وُضِعَ على كَفِّهِ، ثم قال: «وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُمْ». فقالت امرأة: تَقْتُلُ آبَاءَهُمْ وَتُوَصِّينَا بِأَوْلَادِهِمْ؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاءه النساء يُبَايِعُنَهُ، جَمَعَهُنَّ فَعَرَضَ عَلَيْهِنَّ، فإذا أَقْرَرْنَ رَجَعْنَ^(٢).

وقوله: «وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ»: وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جيب، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لثلاث تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه. وقوله: «وَلَا يَأْتِينَ يَبْنِيَهُنَّ يَغْتَرِبْنَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ»، قال ابن عباس: يعني لا يلحِقْنَ بأزواجهن غير أولادهم. وكذا قال مقاتل.

[٦٧٧٢] ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو - يعني ابن الحارث - عن ابن الهادي، عن عبد الله بن يونس، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاءمة: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ. وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ، وَقَضَّحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(٣). وقوله: «وَلَا يَتَّبِعُونَكَ فِي مَعْرُوفٍ»، يعني: فيما أمرتهن به من معروف، ونهيتهن عنه من منكر.

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت الزبير، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: «وَلَا يَتَّبِعُونَكَ فِي مَعْرُوفٍ»، قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء. وقال ميمون بن مهران: لم يجعل الله لبيته طاعة إلا للمعروف، والمعروف طاعة. وقال ابن زيد: أمر الله بطاعة رسوله، وهو خيرة الله من خلقه في المعروف. وقد قال غيره عن ابن عباس، وأنس بن مالك، وسالم بن أبي الجعد، وأبي صالح، وغير واحد: نهائهم يومئذ عن النوح. وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضاً.

[٦٧٧٣] وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة في هذه الآية: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ عليهن النياحة، ولا تحدثن الرجال إلا رجلاً منكراً محرماً. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبي الله، إن لنا أضيافاً، وإننا نغيب عن نسائنا. فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَوْلَيْكَ عَنِّيْثُ، لَيْسَ أَوْلَيْكَ عَنِّيْثُ»^(٤).

[٦٧٧٤] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء، أخبرنا ابن أبي زائدة، حدثني مبارك، عن الحسن قال: كان فيما أخذ النبي ﷺ: «أَلَا يُحَدِّثَنَّ الرِّجَالُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ ذَاتَ مَحْرَمٍ، فَإِنَّ الرِّجَالَ لَا يَزَالُ يُحَدِّثُ الْمَرْأَةَ حَتَّى يُنْذِرَ بَيْنَ فِجْذِيهِ»^(٥).

[٦٧٧٥] وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم، عن ابن سيرين،

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١٥١/٦ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) هو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف، وفي المتن نكارة.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٢٦٣ وإسناده ضعيف لجهالة ابن يونس.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٤٠١٤ وهو مرسل.

(٥) ضعيف. وهذا مرسل، والظاهر أن عجزه مدرج من كلام الحسن، فإن النبي ﷺ لا يتكلم بمثل هذا أمام النسوة، والله أعلم أو هو موضوع.

عن أم عطية الأنصارية قالت: كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعنا: ألا نتوَحَّ، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني^(١)، فلا حتَّى أجزيهم! فانطلقت فأسعدتهم، ثم جاءت فبايعت، قالت: فما وفي منهنَّ غيرها، وغيرُ أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك^(٢). وقد رَوَى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين، عن أم عطية نسيبة الأنصارية، رضي الله عنها. وقد روى نحوه من وجه آخر أيضاً.

[٦٧٧٦] قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن قُروخ القَتَّاب، حدثني مُضْعَب بن نوح الأنصاري قال: أدركتُ عَجُوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ قالت: فأتيتُه لأبايعه، فأخذ علينا فيما أخذ ألا تتَحَنَّن، فقالت عَجُوزٌ: يا نبي الله، إن ناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتنِي، وإنهم قد أصابتهم مُصِيبَةٌ، فأنَا أريدُ أن أسعدهم. قال: «فانطلقِي فكَافِيهِمْ». فانطلقت فكَافَاهُم، ثم إنها أتته فبايعته، وقال: هو المعروف الذي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَصْمِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾^(٣).

[٦٧٧٧] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرَّمَادِيُّ، حدثنا القَعْنَبِيُّ، حدثنا الحجاج بن صفوان، عن أسيد بن أبي أسيد البرَّاد، عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ ألا نعصيه في معروف: ألا نخمِشَ وجهاً، ولا نشترَ شعراً، ولا نشقَّ جيباً، ولا ندعو وِلاً^(٤).

[٦٧٧٨] وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن يزيد مولى الصُّهباء، عن شهر بن حَوْشَب، عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَا يَصْمِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، قال: «النَّوْحُ»^(٥). ورواه الترمذي في التفسير، عن عبد بن حُمَيد، عن أبي نعيم - وابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع - كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصُّهباء، به. وقال الترمذي: «حسنٌ غريبٌ».

[٦٧٧٩] وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن سنان القُرَّاز، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا إسحاق ابن عثمان أبو يعقوب، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، عن جدته أم عطية قالت: لما قَدِم رسول الله ﷺ جَمَعَ نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - فقام على الباب وسلم علينا، فَرَدَدْن - أو: فَرَدَدْنَا - عليه، ثم قال: أنا رسول رسول الله ﷺ اليكُن. قالت: فقلنا: مرحباً برسول الله، وبرسول رسول الله. فقال: ثَبَائِفُنَّ على ألا تُشركن بالله شيئاً، ولا تُشْرِقن ولا تُزَيِّن. قالت: قلنا: نَعَمْ. قالت: فَمَدَّ يده من خارج الباب - أو؛ البيت - ومَدَدْنَا أَيْدِيَنَا من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشْهَدْ. قالت: فَأَمَرْنَا في العيدين أن نُخْرِجَ فيه الحَيْضَ والعَوَاتِقُ^(٦)، ولا جُمُعَةً علينا، ونهانا عن أتباع الجنائز. قال إسماعيل: فسألتُ جدتي عن قوله: ﴿وَلَا يَصْمِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، قالت: النياحة^(٧).

[٦٧٨٠] وفي الصحيحين من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مُرة، عن مسروق، عن عبد الله بن

(١) الإسعاد: قيام المرأة مع الأخرى في النياحة ترأسلها.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري ٤٨٩٢ والطبري ٣٤٠٢٠، وتقدم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٤٠٢١ وفيه مصعب مجهول، لكن له شواهد انظر ما قبله.

(٤) إسناده ضعيف، أسيد ليس له رواية عن الصحابة كما ذكر المزي.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٠٧ والطبري ٣٤٠٢٢، وله قصة عند الترمذي، وهو حديث حسن.

(٦) جارية عاتق: أي شابة.

(٧) أخرجه الطبري ٣٤٠٢٩ وإسناده ضعيف، إسحاق بن إدريس ضعيف الحديث، وإسماعيل مجهول، والمنكر في هذا الحديث ذكر مذ اليد، وإلا فأكثره محفوظ له شواهد، والله أعلم.

مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخُدودَ، وشقَّ الجُيوبَ، ودعا بدعوى الجاهلية»^(١). [٦٧٨١] وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى: أن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة^(٢). [٦٧٨٢] وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا هذبة بن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيى بن أبي كثير: أن زيداً حدثه: أن أبا سلام حدثه: أن أبا مالك الأشعري حدثه: أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والثياحة». وقال: النائحة إذا لم تثب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قِطْرانٍ، ودرع من جرب»^(٣). ورواه مسلم في صحيحه مُنفرداً به، من حديث أبان بن يزيد العطار، به. [٦٧٨٣] وعن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة^(٤). رواه أبو داود.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا قَوْمًا عَصِبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ

الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا قَوْمًا عَصِبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: اليهود، والنصارى، وسائر الكفار، ممن عَصِبَ الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف ثاولوهم وتتخذوهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة، أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل. وقوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾، فيه قولان، أحدهما: كما يئس الكفار الأحياء من قرباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك، لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نُشوراً، فقد انقطع رجائهم منهم فيما يعتقدونه. قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا قَوْمًا عَصِبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾... إلى آخر السورة، يعني: من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل. وقال الحسن البصري: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾، قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات. وقال قتادة: كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا. وكذا قال الضحاك. ورواه ابن جرير. والقول الثاني، معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير. قال الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾، قال: كما يئس هذا الكافر إذا مات وعان ثوابه وأطلع عليه. وهذا قول مجاهد، وعكرمة، ومقاتيل، وابن زيد، والكلبي، ومنصور. وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

آخر تفسير سورة الممتحنة، والله الحمد والمنة

- (١) صحيح. أخرجه البخاري ٢١٩٧ و ٢١٩٨ و ٣٥١٩ و مسلم ١٠٣ و ابن ماجه ١٥٨٤ و أحمد ٤٣٢/١ و ٤٥٦ و ٤٦٥ و البيهقي ٦٣/٤ و ٦٤ و البغوي ١٥٣٣ و ابن حبان ٣١٤٩.
- (٢) صحيح. أخرجه البخاري ١٢٩٦ و مسلم ١٠٤ و النسائي ٢٠/٤ و ابن ماجه ١٥٨٦ و ابن حبان ٣١٥٢. والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: التي تخلق شعرها، والشاقة: التي تشق ثيابها.
- (٣) صحيح. أخرجه مسلم ٩٣٤ و أبو يعلى ١٥٧٧ و ابن ماجه ١٥٨١ و أحمد ٤٣/٥.
- (٤) أخرجه أبو داود ٣١٢٨ و أحمد ٦٥/٣ و البيهقي ٦٣/٤ من حديث أبي سعيد، وإسناده ضعيف. محمد بن الحسن عن أبيه عن جده عطية العوفي، ثلاثتهم ضعفاء. وورد من حديث ابن عمر، أخرجه البيهقي ٦٣/٤ وفيه عفير بن معدان متروك الحديث. وتقدم ما يغني عن هذا الحديث.



وهي مَدَنِيَّةٌ

[٦٧٨٤] قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة - وعن عطاء بن يسار، عن أبي سلمة - عن عبد الله بن سلام قال: تَذَاكُرْنَا: أَيُكُم يَأْتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْأَلُهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَّا، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْنَا رَجُلًا، فَجَمَعْنَا، فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَةَ، يَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ كُلَّهَا^(١). وهكذا رواه الإمام أحمد.

[٦٧٨٥] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروني قراءة قال: أخبرني أبي، سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، أَنَّ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: لَوْ أُرْسِلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَسْأَلُهُ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَّا، وَهَيْئًا أَنْ نَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْلَئِكَ النَّفَرَ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى جَمَعَهُمْ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿سَبِّحْ﴾، الصَّفِّ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّهَا. قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ كُلَّهَا. قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو سَلَمَةَ كُلَّهَا. قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ كُلَّهَا. قَالَ أَبِي: وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا الْأَوْزَاعِيُّ كُلَّهَا^(٢).

[٦٧٨٦] وقد رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: قَعَدْنَا - نَقْرَأُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَذَاكُرْنَا، فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَعَمَلْنَاهُ. فَنَزَلَ اللَّهُ: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا ابْنُ سَلَامٍ. قَالَ يَحْيَى: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو سَلَمَةَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا الْأَوْزَاعِيُّ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا ابْنُ كَثِيرٍ^(٣). ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَقَدْ خُوِّلَفَ مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، فَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ هَلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - أَوْ: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ. قُلْتُ: وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ يَغْمَرٍ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، بِهِ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَرَوَى

(١) أخرجه أحمد ٤٥٢/٥ وإسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد ٣٥٢/٥ والحاكم ٦٩/٢ - ٧٠ و٧٨٤/٢ والواحدي في «أسباب النزول» ٨١٧ و«الوسيط» ٢٩٠/٤ والبيهقي ١٦٠/٩، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح. أخرجه الدارمي ٢٠٠/٢ والتِّرْمِذِيُّ ٣٣٠٩ والحاكم ٦٩/٢ وإسناده لا بأس به لأجل محمد بن كَثِيرٍ، لكن تابعه غير واحد، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في «الفتح» ٦٤١/٨: وقع لي سماع هذه السورة مسلسلًا، وإسناده صحيح، قل أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي، نحو رواية محمد بن كثير. قلت: وكذا رَوَاهُ الوليدُ بن يزيد، عن الأوزاعي، كما رواه ابنُ كثير.

[٦٧٨٧] [مسند] قلت: وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخُ المُسَيَّد أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو المُنْجَا عبد الله بنُ عَمَرَ بن اللَّثْمِي، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى بن شُعَيْب السُّجَزِي، قال: أخبرنا أبو الحسن عبدُ الرحمن بن المُظَفَّر بن محمد بن داود الداوُدِي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حَمَوِيهِ السَّرْحَسِي، أخبرنا عيسى بنُ عُمَرَ بن عمران السمرقندي، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مُسْنَدِهِ، أخبرنا مُحَمَّد بن كثير، عن الأوزاعي... فذكر بإسناده مثله، وتَسْلَسَلْ لَنَا قِراءَتُهَا إلى شيخنا أبي العباس الحجار، ولم يقرأها لأنه كان أُمِيًّا، وضاق الوقتُ عن تلقينها إياه. ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: أخبرنا القاضي تقي الدين سليمان بن الشيخ أبي عَمَرَ، أخبرنا أبو المُنْجَا بن اللَّثْمِي... فذكره بإسناده، وتَسْلَسَلْ لِي من طريقه، وقرأها عليَّ بكمالها^(١)، والله الحمد والمئة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْعَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُلَيْنٌ مُّزْجُومٌ ﴿٤﴾

تقدم الكلام على قوله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾ غير مرة، بما أغنى عن إعادته. وقوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾؛ إنكارٌ على من يعدّ عِدَّةً، أو يقول قولاً لا يقي به، ولهذا استدلّ بهذه الآية الكريمة مَنْ دَعَبَ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إلى أنه يجبُ الوفاءُ بالوعدِ مُطلقاً، سواء تَرَبَّثَ عليه غُرمٌ للموْعود أم لا، واحتجُّوا أيضاً من السُّنَّةِ بما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال:

[٦٧٨٨] «آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا أُوْتِمِنَ خان»^(٢).

[٦٧٨٩] وفي الحديث الآخر في الصُّحُوح: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنافِقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدةٌ مِنْهُن كانَتْ فيه خَصْلَةً من نفاقٍ حتى يَدْعَها». - فذكر مِنْهُن إخلافُ الوعد^(٣). وقد استقصينا الكلامَ على هذين الحديثين في أول «شَرْحِ البُخَارِيِّ»، والله الحمد والمئة. ولهذا أَكَّدَ تعالى هذا الإنكارَ عليهم بقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣﴾.

[٦٧٩٠] وقد روى الإمامُ أحمدُ وأبو داودُ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أتانا رسولُ الله ﷺ في بيتنا وأنا صَبِيٌّ - قال: فذهبتُ أخرج لألعبَ، فقالت أُمِّي: يا عبدَ الله! تعالِ أعطِكَ. فقال لها رسولُ الله ﷺ:

(١) حديث صحيح الإسناد كما تقدم.

(٢) تقدم تحريجه في سورة البقرة آية ١٧٧ وآية ٢٠٤ وفي سورة التوبة آية ٧٧.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٤ ومسلم ٥٨ وأبو داود ٤٦٨٨ والترمذي ٢٦٣٢ والنسائي ١١٦/٨ وأحمد ١٨٩/٢ و١٩٨ وابن حبان ٢٥٤.

«وما أردت أن تُعطيهِ؟». قالت: تمرأ. فقال: «أما إنك لو لم تفعلني كُتبت عليك كَذِبَةٌ»^(١). ودَّعَب الإمام مالكٌ - رحمه الله - إلى أنه إذا تعلق بالوعد غُرم على الموعود وجِبَ الوفاء به، كما لو قال لغيره: تَزُوجْ وَلَكَ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ كَذَا. فتَزُوجْ، وَجِبَ عليه أن يُعطيهِ ما دام كذلك، لأنه تَعَلَّقَ به حقٌّ أَدَمِيٌّ، وهو مَبْنِيٌّ على المُضَافَةِ. ودَّعَب الجمهورُ إلى أنه لا يَجِبُ مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تَمَنَّوا فَرَضِيَّةَ الجِهَادِ عليهم، فلما فُرِضَ نكَلَ عنه بعضهم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ الْآلُ وَلَا تُظْلَمُونَ قَلِيلًا ۝٧٧﴾. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَشِيقِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠]... الآية، وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾، قال: كان ناسٌ من المؤمنين قبل أن يُفَرَّضَ الجِهَادُ يقولون: لَوِ دُنَا أَنْ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - دُنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ، فَتَعَمَّلْ بِهِ. فَأَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِيْمَانٌ بِهِ لَا شَكٌّ فِيهِ، وَجِهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الَّذِينَ خَالَفُوا الْإِيْمَانَ وَلَمْ يَقْرَأُوا بِهِ. فلما نزل الجِهَادُ كَرِهَ ذَلِكَ أَنَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾. وهذا اختيارُ ابن جرير. وقال مقاتل بن حَيَّان: قال المؤمنون: لو نَعَلِمُ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَمِلْنَا بِهِ. فذَلَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ۖ﴾، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ، فَايْتَلَوْا يَوْمَ أُخِدَ بِذَلِكَ. قَوْلُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُدْبِرِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾، وقال: أَحْبَبُكُمْ إِلَيَّ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِي.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أُنزِلَتْ فِي شَأْنِ الْقِتَالِ، يَقُولُ الرَّجُلُ: «قَاتَلْتُ». وَلَمْ يَقَاتِلْ. «وَطَعَنْتُ». وَلَمْ يَطْعَنْ. «ضَرَبْتُ». وَلَمْ يَضْرِبْ. «وَصَبَرْتُ». وَلَمْ يَصْبِرْ. وقال قتادة، والضحاك: نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون: «قَتَلْنَا، ضَرَبْنَا، طَعَنَّا، وَقَعَلْنَا». وَلَمْ يَكُونُوا فَعَلُوا ذَلِكَ. وقال ابنُ زَيْدٍ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، كَانُوا يَعِدُونَ الْمُسْلِمِينَ النَّصْرَ، وَلَا يَقُونَ لَهُمْ بِذَلِكَ. وقال مالكٌ، عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ»، قال: فِي الْجِهَادِ. وقال ابنُ أَبِي نَجِيحٍ، عن مجاهد: «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» إِلَى قَوْلِهِ «كَأَنَّهُمْ بَلَّيْنُ مَرُشُومٌ»، فَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، فِي تَفَرُّقٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، قَالُوا فِي مَجْلِسٍ: لَوْ نَعَلِمُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، لَعَمِلْنَا بِهَا حَتَّى نَمُوتَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِيهِمْ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: لَا أَبْرَحُ حَيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَمُوتَ. فَقَتِلَ شَهِيداً.

وقال ابنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا قُرُوءُ بْنُ أَبِي الْمَغْرَاءِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ، عَنْ أَبِي حَزْبٍ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَعَثَ أَبُو مُوسَى إِلَى قُرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِئَةِ رَجُلٍ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ قُرَاءُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَخِيَارُهُمْ. وَقَالَ: كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ كُنَّا نُسَبِّحُهَا بِأَحَدِ الْمُسَبِّحَاتِ، فَأَنْسِينَاهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾. فَتَكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسَالُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) حسن. أخرجه أبو داود ٤٩٩١ وأحمد ٤٤٧/٣، وفي الإسناد مجهول، وله شاهد عن أبي هريرة، أخرجه أحمد ٤٥٢/٢، وفيه انقطاع بين الزهري وأبي هريرة، لكن يصلح شاهداً لما قبله؛ والله أعلم.

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ ﴿٤﴾، فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجِهين لأعداء الله في حَوْمَةِ الوَعَى، يُقَاتِلُونَ في سبيل الله مَنْ كَفَرَ بالله، لتكونَ كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهرُ العالي على سائر الأديان.

[٦٧٩١] قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا هُشَيْم، قال مُجَالِد: أَخْبَرَنَا عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يَضَحُّكَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ: الرَّجُلُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ»^(١). ورواه ابن ماجه من حديث مُجَالِد، عن أبي الْوَدَّاعِ جَبْرِ بن نَوْفٍ، به.

[٦٧٩٢] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بن دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ - يعني ابنَ شَيْبَانَ - حَدَّثَنِي يَزِيدُ بن عبد الله بن الشَّخِير قال: قال مُطَرِّفٌ: كان يبلُغني عن أبي ذَرٍّ حديثٌ كنتُ أَشْتَهِي لِقَاءَهُ، فَلَقِيْتُهُ فَقُلْتُ: يا أبا ذَرٍّ، كان يبلُغني عندك حديثٌ فكنتُ أَشْتَهِي لِقَاءَكَ. فقال: لله أبوك! فقد لَقِيتُ، فَهَاتِ. فَقُلْتُ: كان يبلُغني عنك أنك تزعم أن رسولَ الله ﷺ؛ حَدَّثَكُمْ: «أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيُبْغِضُ ثَلَاثَةً؟ قال: أَجَل، فلا إِخْلَانِي أَكْذِبُ على خَلِيلِي ﷺ. قلت: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ؟ قال: رَجُلٌ غَزَا في سَبِيلِ اللَّهِ، خَرَجَ مُحْتَسِبًا مُجَاهِدًا فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فُقِّيلَ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ في كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾^(٢)... وذكر الحديث. هكذا أوردَ هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق، وهذا اللفظ، واختصره. وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شُعْبَةَ، عن منصور بن الْمُعْتَمِر، عن زَيْعِي بن جَرَّاشٍ، عن زيد بن طَبَّانٍ، عن أبي ذَرٍّ بِأَبْسَطَ من هذا السياق وأنتم. وقد أوردناه في موضعٍ آخَرَ، والله الحمدُ.

وعن كَتَبِ الْأَحْبَارِ أَنَّهُ قال: يقولُ الله تعالى لمحمدٍ ﷺ: «عَبْدِي الْمُتَوَكِّلُ الْمُخْتَارُ لَيْسَ بِفَقْطٍ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ في الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفُرُ، مولدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجَرْتُهُ بِطَابَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ، وَأَمْنُهُ الْحِمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ على كُلِّ حَالٍ، وفي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، لَهُمْ دَوِيٌّ كَدَوِيٌّ النَحْلُ في جَوْ السَّمَاءِ بِالسَّحَرِ، يَوْضُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَيَأْتِزُّونَ على أَنْصَافِهِمْ، صَفَّهُمْ في الْقِتَالِ مِثْلَ صَفِّهِمْ في الصَّلَاةِ». ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾^(٣)، رُعَاةُ الشَّمْسِ، يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ حيثُ أَدْرَكْتَهُمْ، ولو على ظَهَرِ كُنَّاسَةٍ. رواه ابنُ أَبِي حَاتِمٍ. وقال سَعِيدُ بن جُبَيْرٍ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾، قال: كان رسولُ الله ﷺ لا يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ إِلَّا أَنْ يُصَافَّهُمْ، وهذا تعليمٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ. قال: وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾: مُلْتَصِقٌ بَعْضُهُ في بَعْضٍ، في الصَّفِّ في الْقِتَالِ. وقال مُقَاتِلُ بن حَيَّانٍ: مُلْتَصِقٌ بَعْضُهُ إلى بَعْضٍ وقال ابن عباس: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾: مُثَبَّتٌ، لا يَزُولُ، مُلْتَصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وقال قتادة: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾، أَلَمْ تَرَ إلى صَاحِبِ الْبُنْيَانِ، كيف لا يُحِبُّ أَنْ يَخْتَلِفَ بَنِيانُهُ؟ فَكَذَلِكَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لا يَخْتَلِفُ أَمْرُهُ، وَإِنَّ اللَّهَ صَفَّ الْمُؤْمِنِينَ في قِتَالِهِمْ، وَصَفَّهُمْ في صَلَاتِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ عَصْمَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ. أورد ذلك كُلَّهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ. وقال ابنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٠٠ وأحمد ٨٠/٣ وأبو يعلى ١٠٠٤ والدارمي في «الرد على المريسي» ١١٦ - بترقيمي - وإسناده غير قوي لأجل مجالد بن سعيد، وسياق أحمد يدل على أنه لم يسمعه من أبي الوداع.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٦٨ والنسائي ٨٤/٥ وأحمد ١٥٣/٥ وابن حبان ٣٣٤٩ والحاكم ١١٣/٢ والطبراني ١٦٣٧ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وإسناده ابن أبي حاتم والطبراني على شرط مسلم.

سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو السُّكُونِي، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مَرْزُومٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِي، عَنْ أَبِي بَحْرِيَّةٍ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ عَلَى الْخَيْلِ، وَيَسْتَجِبُونَ الْقِتَالَ عَلَى الْأَرْضِ، لِقَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ مَعًا كَأَنَّهُمْ بَتَيْنٌ مَرْصُومٌ ۝﴾ - قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَحْرِيَّةٍ يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمُونِي النَّفْثَ فِي الصَّفِّ فَجَوُّوا فِي لَحْيِي.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمُ لِمَ تَقُولُونَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكلّيه موسى بن عمران - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿لِمَ تَقُولُونَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، أي: لِمَ تُوصلون الأذى إليّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة؟! وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكُفَر من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر.

[٦٧٩٣] ولهذا قال: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ»^(١). وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى فَهَارَهُ اللَّهُ وَمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيبًا ۝﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، أي: فلما عَدَلُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ مَعَ عَلَيْهِمُ بِهِ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ الْهُدَى، وَأَسْكَنَهَا الشُّكَّ وَالْحَيْرَةَ وَالْخِذْلَانَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ قُلُوبُهُ مَأْكُوتٌ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [النساء: ١١٥]. ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، يعني: التوراة قد بَشَّرَتْ بي، وأنا مصداق ما أَخْبَرَتْ عنه، وأنا مُبَشِّرٌ بمن بعدي، وهو الرسولُ النبيُّ الأُمِّيُّ العربيُّ المكيُّ أَحْمَدُ. فَعِيسَى - عليه السلام - هو خَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ أَقَامَ فِي مِلَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَشِّرًا بِمُحَمَّدٍ، وَهُوَ أَحْمَدُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِي لَا رِسَالَةَ بَعْدَهُ وَلَا ثُبُوءَ.

[٦٧٩٤] وما أَحْسَنَ ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزَّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ لِي أَسْمَاءٌ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»^(٢). ورواه مسلم، من حديث الزَّهْرِيِّ، به نحوه.

[٦٧٩٥] وقال أبو داود الطيالسي: حَدَّثَنَا الْمُسَوْدِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٥٣٢، ٤٨٩٦، ومسلم ٢٣٥٤، والترمذي ٢٨٤٠، وأحمد ٨٠/٤، وعبد الرزاق ١٩٦٥، وابن حبان ٦٣١٣.

مُوسَى قَالَ: سَمَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ أَسْمَاءً، مِنْهَا مَا حَفِظْنَا فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْحَاشِرُ، وَالْمُقَمِّي، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَالْمَلْحَمَةُ»^(١). ورواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمرو بن مَرْثَةَ، به. وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]... الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمْ يُخَلِّقُوا الْبَشَرَةَ لَوَئِنْ نَفَخْتُمْ فِي سَفْتِنَا أَنْفُسَكُمْ فَاسْمِعُوا يَوْمَ السَّاعَةِ فَاسْمِعْتُمْ أَصْوَاتَهُمْ وَقَالُوا أَشْهَدُ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال ابنُ عَبَّاسٍ: ما بعثَ الله نبيًّا إلا أخذَ عليه العهدَ: لئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لِيَتَّبِعَهُ، وأخذَ عليه أن يأخذَ على أمته لئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُم أحياءُ لِيَتَّبِعُوهُ وَيَنْصُرُوهُ.

[٦٧٩٦] وقال مُحمد بن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدَانَ، عن أصحابِ رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسولَ الله! أخبرنا عن نفسك. قال: «دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَيُشْرَى عَيْسَى، وَزَاتُ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ»^(٢). وهذا إسناده جَيِّدٌ. وَرَوَى لَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وَجْهِ أُخَرَ.

[٦٧٩٧] فقال الإمامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ الْكَلْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ هِلَالِ السَّلَمِيِّ، عَنْ الْعِزْبَابِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنْ آدَمَ لَمَنْجِدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأَبَتُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ، دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَارَةُ عَيْسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَمَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ»^(٣).

[٦٧٩٨] وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا الْفَرُجُ بْنُ قُضَّالَةَ، حَدَّثَنَا ثَقْمَانُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أَمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ قَالَ: «دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَيُشْرَى عَيْسَى، وَزَاتُ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»^(٤).

[٦٧٩٩] وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى: سَمِعْتُ خُذَيْجًا أَخَا زُهَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْتَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفُطَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَى، فَأَتُوا النَّجَاشِيَّ، وَبَعَثَ قُرَيْشُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بَهْدِيَّةً، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ، ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَّنَا تَزَلُّوا أَرْضَكَ، وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا. قَالَ: فَايْنَهُمْ؟ قَالَا: هُمْ فِي أَرْضِكَ، فَأَبَعْتَ إِلَيْهِمْ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ - فَقَالَ جَعْفَرُ: أَنَا خَطِيبُكُمْ الْيَوْمَ. فَاتَّبَعُوهُ فَسَلَّمُوا وَلَمْ يَسْجُدُوا، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٥٥ وأحمد ٤/٣٩٥ و٤٠٤ و٤٠٧ والطحاوي ٤٣٩٢.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٢٠٧٥ والحاكم ٢/٦٠٠ والبيهقي في «الدلائل» ٨٣/١ وإسناده جيد كما قال ابن كثير، وجهالة الصحابي لا تقصر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح دون عجزه. أخرجه أحمد ٤/١٢٧ والطبري ٣٤٠٥٤ والحاكم ٢/٤١٨ وإسناده لين لأجل سعيد بن سويد، حيث وثقه ابن حبان وحده، وصححه حديثه الحاكم، وسكت الذهبي، وله شواهد دون «وكذلك...» فلم يتابع عليه، وأخرجه ابن حبان ٦٤٠٤ من هذا الوجه بدونها، وهو أصح.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٥/٢٦٢ والطحاوي ١١٤٠ وابن سعد ١/١٠٢ وإسناده لا بأس به، فرج بن فضالة حديثه مقبول عن الشاميين وهذا منها، وله شواهد.

قال: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ، فَأَمَرَنَا أَلَّا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ. قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَمَّهُ؟ قَالَ: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَثُولِ، الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَفْرُضْهَا وَلَدٌ. قَالَ: فَرَفَعَ عَوْدًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقِسْيَسِينَ وَالرُّهْبَانِ، وَاللَّهُ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يُسَاوِي هَذَا. مَرْجِبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. انْزِلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاللَّهُ لَوْ لَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمَلُ نَعْلَيْهِ وَأَوْصُهُ. وَأَمَرَ بِهَدْيَةِ الْآخَرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَذْرَكَ بِدَرَأٍ، وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ^(١). وَقَدْ رُوِيَ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَنْ جَعْفَرٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَمَوْضِعُ ذَلِكَ كِتَابُ السِّيَرَةِ، وَالْمَقْصِدُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لَمْ تَزَلْ تَنْتَعُهُ وَتَحْكِيهِ فِي كُتُبِهَا عَلَى أُمَّهَاتِهَا، وَتَأْتُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَنُصْرِهِ وَمُؤَاوَزَتِهِ إِذَا بُعِثَ، وَكَانَ مَا اسْتَهْرَ الْأُمُرُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَالْإِدِّ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَهُ، حِينَ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَنْعَتَ اللَّهَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، وَكَذَا عَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَلِهَذَا قَالُوا: «أَخْبَرْنَا عَنْ بَذْيِ أَمْرِك». يَعْنِي فِي الْأَرْضِ، قَالَ: «دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ»، أَيِ: ظَهَرَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ أَثَرُ ذَلِكَ وَالْإِرْهَاضُ بِذِكْرِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَحْمَدُ، أَيِ: الْمُبَشِّرِ بِهِ فِي الْأَعْيَارِ الْمُتَقَادِمَةِ الْمُنَوَّهَ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، لَمَّا ظَهَرَ أَمْرُهُ وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ الْكَفَرَةُ الْمُخَالَفُونَ: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾، أَيِ: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ أُنْدَادًا وَشُرَكَاءَ، وَهُوَ يُدْعَى إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِبْلَاحِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ﴾، أَيِ: يُحَاوِلُونَ أَنْ يَزُدُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شُعَاعَ الشَّمْسِ بِفِيهِ، وَكَمَا أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيلٌ كَذَلِكَ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي «سُورَةِ بَرَاءَةِ»، بِمَا فِيهِ كَفَايَةٌ، وَاللهُ الْحَمْدُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمِ شَيْعِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠) تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لَقَائُونَ (١١) يَقْرِ لَكُمْ دُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكُنْ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأَعْرَضَ عَنْهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)

تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّ الصَّحَابَةَ أَرَادُوا أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِيَفْعَلُوهُ، فَاَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ، وَمِنْ جَمَلَتِهَا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمِ شَيْعِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

﴿١٤﴾ ، ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، التي هي مُحَصَّلَةٌ للمقصود ومُزِيلَةٌ للمحذور فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١) ، أي: من تجارة الدنيا، والكد لها والتصدّي لها وحدها. ثم قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ، أي: إن فعلتم ما أمرتكم به وذلكم عليه غَفَرْتُ لكم الزَّلَّاتِ، وأدخلتكم الْجَنَّاتِ، والمسكن الطَّيِّبَاتِ، والدرجاتِ العَالِيَاتِ. ولهذا قال: ﴿وَيَذَلُّكُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَتٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ . ثم قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ حُسْبَانًا﴾ ، أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تُحِبُّونها، وهي: ﴿نَصَرَ بَيْنَ اللَّهِ وَقَعَّ قَرِيبًا﴾ ، أي: إذا قاتلتم في سَبِيلِهِ وَنَصَرْتُمْ دِينَهُ تَكْمُلُ اللَّهُ بِنَصْرِكُمْ. قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُخْلِفْ أَقَامَكُمْ﴾ (٧) [محمد: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَنَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿وَنَقَّ قَرِيبًا﴾ ، أي: عاجل. فهذه الزيادة هي خير الدنيا، موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله، ونصر الله ودينه. ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (١٤)

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ، أي: من معينني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ - وهم أتباع عيسى عليه السلام -: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ، أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازرك على ذلك. ولهذا بعثهم دُعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين.

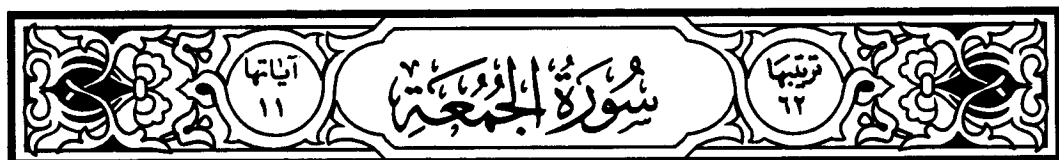
[٦٨٠٠] وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: ﴿مَنْ رَجُلٌ يُؤْمِنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ ، فإن فريشاً قد منعوني أن أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي^(١) ، حتى قِيضَ الله - عز وجل - له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فباعوه ووازره، وشارطوه أن يمنهوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وقوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علماً عليهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقوله تعالى: ﴿تَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ ، أي: لما بَلَغَ عيسى ابن مَرْيَمَ - عليه السلام - رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلّت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا ثبوتهم، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - وغلّت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رَفَعُوهُ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الثُّبُوتِ، وافترقوا فِرْقًا وَشِيعًا، فَمِنْ قَاتِلٍ مِنْهُمْ: إنه ابنُ الله، وقائل: إنه ثالثُ ثَلَاثَةِ: الأب، والابن، وَرُوحِ الْقُدُسِ. وَمِنْ قَائِلٍ: إنه الله. وكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُفْصَلَةٌ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ ، أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك بِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ . كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حَدَّثَنِي أَبُو

السائب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن الجنهال - يعني ابن عمرو - عن سَعِيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: لما أراد الله - عزَّ وجلَّ - أن يرفعَ عيسى إلى السماء خَرَجَ إلى أصحابه وهم في بيتِ اثنا عشر رجلاً، من عَيْنِ في البيتِ، ورأسه يَقَطُرُ ماءً، إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بعد أن آمنَ بي. قال: ثم قال: أَيُّكُمْ يُلْقَى عليه شَبْهِي فَيَقْتُلَ مكاني، ويكونَ معي في دَرَجَتِي؟ قال: فقام شابٌّ من أحدثهم سنّاً فقال: أنا. قال: فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام الشابُّ فقال: أنا. فقال له: اجلس. ثم عاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا. فقال: نعم، أنت ذاك، قال: فَأُلْقِيَ عليه شَبْهُ عيسى وُضِعَ عيسى - عليه السلام - من رُوزَنَةٍ في البيتِ إلى السماء، قال: وجاء الطَّلَبُ من اليهود، فأخذوا شِبْهَهُ فَقَتَلُوهُ وَصَلُّوهُ، وكَفَر به بعضهم اثنتي عشرة مَرَّةً بعد أن آمنَ به، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فُرُقٍ. قالت فرقة: كان الله فينا ما شاءَ ثم صَعِدَ إلى السماء. وهؤلاء اليَغُوثِيَّة. وقالت فرقة: كان فينا ابنُ الله ما شاء الله ثم رَفَعَهُ إليه وهؤلاء النُّسُطُورِيَّة. وقالت فرقة: كان فينا عبدُ الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المُسْلِمَةِ فقتلوهما، فلم يَزَلِ الإسلامُ طامِساً حتى بعثَ الله محمداً ﷺ ﴿فَنَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾، يعني: الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زَمَنِ عيسى، والطائفة التي آمَنت في زَمَنِ عيسى، ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَنصَرُوا ظُهُورَهُمْ﴾، بإظهار مُحَمَّدٍ ﷺ دينهم على دين الكفار، هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة. وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية في سُنَنِهِ، عن أَبِي كُرَيْبٍ محمد بن العلاء، عن أَبِي معاوية، بمثله سَوَاءً. فَأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ لا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، وحتى يُقَاتِلَ آخِرُهُم الدِّجَالَ مع المسيح عيسى ابنِ مَرْيَمَ عليه السلام، كما وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ.

أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الصَّفِّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



وهي مَدَنِيَّةٌ

[٦٨٠١] عن ابن عباس وأبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين^(١). رواه مسلم في صحيحه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُخَبِّرُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ② وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④

يُخَبِّرُ تعالى أنه يُسَبِّحُ له ما في السموات وما في الأرض، أي: من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الاسراء: ٤٤]. ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي الْقُدُّوسُ﴾، أي: هو مالك السماوات والأرض المتصرفُ فيهما بحكمه، وهو ﴿الْقُدُّوسُ﴾، أي: المنزه عن النقائص، الموصوفُ بصفات الكمال. ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تقدّم تفسيره غير مرّة. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، الأميون هم العرب، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَقَدْ أَوْفَوْا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٠]. وتخصيصُ الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكذ، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَذِكْرُ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وهو ذكرٌ لغيرهم يتذكرون به. وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ① [الشعراء: ٢١٤]. وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿لَا يُؤْذِرُكُمْ بِهِ وَمَا بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى إخباراً عن القرآن: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته - صلوات الله وسلامه عليه - إلى جميع الخلق، أحمرهم وأسودهم. وقد قدّمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام، بالآيات والأحاديث الصحيحة، والله الحمد والمثنة. وهذه الآية هي مصداقُ إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. فَبَعَثَهُ اللهُ - سبحانه وتعالى، وله الحمد والمثنة - على حين فترة من الرسل، وطُمُوسٍ من السبل، وقد اشتدت الحاجةُ إليه، وقد مَتَّ اللهُ أَهْلَ الْأَرْضِ عَزَبَهُمْ وَعَجَبَهُمْ؛ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٨٧٧ وأبو داود ١١٢٤ والترمذي ٥١٩ وابن ماجه ١١١٨ وأحمد ٤٢٩/٢ - ٤٣٠.

الكتاب - أي: نَزَرًا يسيرًا - وَمَنْ تَمَسَّكَ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عليه السلام - ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١)، وذلك أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - فَبَدَّلُوهُ وَغَيَّرُوهُ، وَقَلَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِالتَّوْحِيدِ شِرْكَاءَ، وَبِالْيَقِينِ شَكًّا، وَابْتَدَعُوا أَشْيَاءَ لَمْ يَأْذَنَ بِهَا اللَّهُ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ قَدْ بَدَّلُوا كُتُبَهُمْ وَخَوَّفُوهَا وَغَيَّرُوهَا وَأَوَّلُوهَا، فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا - صلواتُ الله وسلامُه عليه - بَشَرَعَ عَظِيمَ كَامِلٍ شَامِلٍ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ، فِيهِ هَدَايَتُهُمْ، وَالْبَيَانُ لَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَالدَّعْوَةُ لَهُمْ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَرِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ، وَالنَّهْيُ عَمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى النَّارِ وَسَخَطُ اللَّهِ، حَاكِمٌ، فَاصِلٌ لَجَمِيعِ الشَّهَادَاتِ وَالشُّكُوكِ وَالرَّيْبِ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ. وَجَمَعَ لَهُ تَعَالَى - وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - جَمِيعَ الْمَحَاسِنِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَا يُعْطِيهِ أَحَدًا مِنَ الْآخِرِينَ، فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وقوله تعالى: ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

[٦٨٠٢] قال الإمام أبو عبد الله البخاري، رَجَمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قَالُوا: مَنْ هُم يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يَرِاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ: رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ» (١). وَرواه مُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، مِنْ طَرَقٍ عَنْ ثَوْرٍ بْنِ زَيْدٍ الدِّيلِيِّ، عَنْ سَالِمِ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِهِ. فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدْنِيَّةٌ، وَعَلَى عُمُومِ بَعْثَتِهِ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ قَسَرَ قَوْلَهُ: ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بِفَارِسٍ، وَلِهَذَا كَتَبَ كُتُبَهُ إِلَى فَارِسٍ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ. وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قَالَ: هُمُ الْأَعَاجِمُ، وَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ.

[٦٨٠٣] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَلَاءِ الزُّبَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عِيسَى بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ فِي أَصْلَابٍ أَصْلَابٍ أَصْلَابِ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي، رِجَالًا وَنِسَاءً مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، يَعْنِي بَقِيَّةَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ (٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، أَي: ذُو الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٣)، يَعْنِي مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَا خَصَّ بِهِ أُمَّتَهُ مِنْ بَعْثَتِهِ ﷺ إِلَيْهِمْ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٤) قُلْ يَتَّخِذُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءَهُ لِلَّهِ مِنْ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٧ و ٤٨٩٨ ومسلم ٢٥٤٦/٢٣١ والترمذي ٣٣١٠ والنسائي في «التفسير» ٦١٢ والطبري ٣٤٠٨٦.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٣٠٩ والطبراني ٦٠٠٥ وإسناده حسن لأجل عيسى، فإنه صدوق، وجوده الهيثمي ١٨٧٠٢ ووافقه الألباني في «السنة» ٣٠٩.

دُونَ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَتَّ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمْنُونَ بِيَوْمِهِمْ أَنَّ يَوْمَهُمْ قَدْ مَتَّ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَرَوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِقُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يذري ما فيها، فهو يحملها حملاً جسياً ولا يذري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حِفْظُهُمْ لِفُظِّهِمْ وَلَمْ يَفْهَمُوهُ، وَلَا عَمِلُوا بِمَقْتَضَاهُ، بَلْ أَوَّلُوهُ وَخَرَفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، فَهُمْ أَسْوَأُ حَالاً مِنَ الْحَمِيرِ؛ لِأَنَّ الْحِمَارَ لَا فَهْمَ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ فَهْمٌ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ، وَلِهَذَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاقِقُونَ﴾. وقال هاهنا: ﴿يَنْشِقُّ مَثَلُ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٦٨٠٤] وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن ثُمَيْرٍ، عن مُجَالِيدٍ، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت، ليس له جُمُعَةٌ» (١).

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن رِزْقِي أَخَذْتُ لَكُمْ أُولَٰئِكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَتَمْنُوا الْوَتَّ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾﴾، أي: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى وأن محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تزعمونه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْنُونَ بِيَوْمِهِمْ أَنَّ يَوْمَهُمْ قَدْ مَتَّ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. وقد قدمنا في «سورة البقرة» الكلام على هذه المبالغة لليهود، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَتَّ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾﴾ وَلَنْ يَمْنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ وَلَنَجْذِثَهُمْ أَغْرَافَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوةٍ مِّنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَهْلَهُمُ لَوْ يُسْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ مِّنَ الْعَذَابِ أَن يُسَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾. وقد أسلفنا الكلام هناك، وبيننا أن المراد أن يدعوا على الضال من أنفسهم أو خضومهم، كما تقدمت مبالغة النصارى في آل عمران: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلِيِّ فَقُلْ تَالْوَالِدِينَ أَنَا وَأُنْسَاكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ ثُمَّ كَتَبْنَا لَكُمْ الْآخِرَةَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَتَّ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾﴾. ومبالغة المشركين في سورة مريم: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الْعِلَّاكِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ إِلَهُهُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ﴾ [مريم: ٧٥].

[٦٨٠٥] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو يزيد، حدثنا فُرات، عن عبد الكريم بن مالك الجُزَري، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: إن رأيت محمداً عند الكعبة لا يتبته حتى أطأ على عُنُقِهِ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار. ولو خرج الذين يبأهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً» (٢). رواه البخاري والترمذي والنسائي، من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم. قال

(١) أخرجه أحمد ٢٣٠/١، وإسناده ضعيف، لضعف مجالد بن سعيد. وانظر «المجمع» ٣١٢٣. والحديث صحيح بدون «كمثل الحمار يحمل أسفاراً».

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٨، والترمذي ٣٣٤٥، والنسائي ١١٦٨٥، وأحمد ٣٦٨/١، وأبو يعلى ٢٦٠٤.

البخاري: «وتابعه عمرو بن خالد، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم». ورواه النسائي أيضاً عن عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي، به أنتم.
وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَمُوتَ أَلَّذِي يَقْرَأُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْكُمْ أَلَّذِي يَقْرَأُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْكُمْ أَلَّذِي يَقْرَأُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْكُمْ﴾ كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

[٦٨٠٦] وفي معجم الطبراني من حديث معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ مِنَ الْمَوْتِ كَمَثَلِ الثَّلْبِ تَطْلُبُهُ الْأَرْضُ بِدَيْنٍ، فَجَاءَ يَسْعَى حَتَّى إِذَا أَعْيَا وَانْبَهَرَ دَخَلَ حُجْرَهُ، فَقَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ: يَا ثَلْبُ، دَيْنِي. فَخَرَجَ لَهُ حَصَاصٌ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَقَطَّعَتْ عَنْقُهُ، فَمَاتَ»^(١).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٦٨٠٧] فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٨٠٨﴾

إنما سُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار: وفيه كَمُلَ جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خَلَقَ الله فيها السماوات والأرض. وفيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها. وفيه تَقُومُ السَّاعَةُ. وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثَبَتَ بذلك الأحاديث الصحاح.

[٦٨٠٧] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبيدة بن حميد، عن منصور، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قرظ الضبي، حدثنا سلمان قال: قال أبو القاسم عليه السلام: يا سلمان! ما يوم الجمعة؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: يوم جمع فيه أبواك، أو: أبوك^(٢). وقد روي عن أبي هريرة، من كلامه، نحو هذا، فالله أعلم.

وقد كان يُقال له في اللغة القديمة يوم العزوبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فَضَّلُوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خَلْقٌ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليفة.

[٦٨٠٨] كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي قرأ الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غدٍ»^(٣). لفظ البخاري.

(١) تقدم تخريجه في سورة ق: ١٩.

(٢) إسناده ضعيف. وأخرجه أحمد ٤٣٩/٥ - ٤٤٠ ح ٢٣٢٠٦ و ٢٣٢١٧ من حديث سلمان. وفيه أبو معشر السندي واسمه نجيع، وهو ضعيف. وقال البخاري: منكر الحديث. وقرظ الضبي، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق. وأما الذهبي فنقل في «الميزان» ٦٨٧٧ عن ابن حبان قوله: روى أحاديث يسيرة خالف فيها الآثبات، لم تظهر عدالته. وهو عندي يستحق مجانية ما انفرد به اهـ.

(٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ٢٢٤.

[٦٨٠٩] وفي لفظ لمسلم: «أَضَلَّ اللهُ عن الجُمُعَةِ من كان قِبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجُمُعَةَ والسبْتَ والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي بينهم قبل الخلائق»^(١).

وقد أمر المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجُمُعَةِ، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُودُوا إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»، أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في مسيركم إليها، وليس المراد بالسعي ها هنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [الإسراء: ١٩]. وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود - رضي الله عنهما - يقرأنها: «فامضوا إلى ذكر الله». فاما المشي السريع إلى الصلاة فقد نُهي عنه.

[٦٨١٠] لما أخرجه في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا». لفظ البخاري. وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلّي مع النبي ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رَجَالٍ، فلما صلى قال: ما شأنكم؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة. قال: «فلا تفعلوا، إذا أتيتُم الصلاة فعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا»^(٢). أخرجه.

[٦٨١١] وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ، وَلَكِنْ اثْنُوهَا تَمْشُونَ، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا»^(٣). رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك، وأخرجه من طريق يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بمثله. قال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وقال قتادة في قوله: «فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»، يعني: أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المشي إليها، وكان يتأول قوله تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى» [الصافات: ١٠٢]، أي: المشي معه. وزوي عن محمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وغيرهما، نحو ذلك.

وُسْتَحَبَّ لِمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ مَجِيئِهِ إِلَيْهَا.

[٦٨١٢] لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةُ فَلْيَغْتَسِلْ»^(٤).

[٦٨١٣] ولهما عن أبي سعيد - قال: قال رسول الله ﷺ: «غُسِّلْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(٥).

(١) تقدم تخريجه في سورة النحل آية ١٢٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٣٦ و٩٠٨ ومسلم ٦٠٢ وابن ماجه ٧٧٥ وأحمد ٥٣٢/٢ وابن حبان ٢١٤٦.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٢٧ وعبد الرزاق ٣٤٠٤ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٨٩٤ و٩١٩ ومسلم ٨٤٤ والترمذي ٤٩٢ وأحمد ٩/٢ و٣٧.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٨٧٩ ومسلم ٨٤٦ وأبو داود ٣٤١ والنسائي ٩٣/٣ ومالك ١٠٢/١.

[٦٨١٤] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حَقَّ لَهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْتَسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»^(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[٦٨١٥] وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ غُسْلُ يَوْمٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ جِبَّانَ^(٢).

[٦٨١٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان ابن عطية، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَرَ وَابْتَكِرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَزْكَبْ، وَذَنَّا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^(٣). وَهَذَا الْحَدِيثُ لَهُ طُرُقٌ وَأَلْفَاظٌ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَهْلُ السَّنَنِ الْأَرْبَعَةُ، وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

[٦٨١٧] وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ خَضِرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»^(٤). أَخْرَجَاهُ.

وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَلْبَسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، وَيَتَطَيَّبَ وَيَتَسَوَّكَ، وَيَتَنَتَّفَفَ وَيَتَطَهَّرَ.

[٦٨١٨] وفي حديث أبي سعيد المتقدم: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَالسَّوَاكُ، وَأَنْ يَمْسُ مِنْ طَيِّبٍ أَهْلُهُ»^(٥).

[٦٨١٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، عن عمران بن أبي يحيى، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبي أيوب الأنصاري، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيِّبٍ أَهْلُهُ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فِيرْكَعَ إِنْ بَدَأَ لَهُ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخِرَى»^(٦).

[٦٨٢٠] وفي سنن أبي داود وابن ماجه، عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اشْتَرَى تَوْبِينَ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى تَوْبِي وَمُهْنَتِهِ»^(٧).

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٨٩٧ ومسلم ٨٤٩ وعبد الرزاق ٢٩٧ والبيهقي في «السنن» ١٨٨/٣.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي ٩٣/٣ وأحمد ٣٠٤/٣ وابن أبي شيبة ٩٥/١ وابن حبان ١٢١٩.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٤٥ والترمذي ٤٩٦ وابن ماجه ١٠٨٧ والنسائي ٩٥/٣ - ٩٦ وأحمد ١٠٤/٤ والبيهقي ١٠٦٥ والحاكم ٢٨٢/١ وابن حبان ٢٧٨١.

(٤) صحيح. أخرجه أبو البخاري ٨٨١ ومسلم ٨٥٠ ح ١٠ وأبو داود ٣٥١ والترمذي ٤٩٩ والنسائي ٩٩/٣ وأحمد ٤٦٠/٢ والبيهقي ١٠٦٣ وابن حبان ٢٧٧٥.

(٥) تقدم في الحديث رقم ٦٨١٣.

(٦) حسن. أخرجه أحمد ٤٢٠/٥ ورجاله ثقات، سوى عمران وثقه ابن حبان وحده، لكن للحديث شواهد.

(٧) صحيح. أخرجه أبو داود ١٠٧٨ وابن ماجه ١٠٩٥. وأخرجه ابن ماجه ١٠٩٦ عن عائشة.

[٦٨٢١] وعن عائشة أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة، قرأ عليهم ثياب الثمار^(١)، فقال: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنتيه»^(٢). رواه ابن ماجه.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾، المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه، فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فإنما كان هذا لكثرة الناس.

[٦٨٢٢] كما رواه البخاري - رحمه الله - حيث قال: حدثنا آدم - هو ابن أبي إياس - حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن، وكثر الناس، زاد النداء الثاني على الزوراء»^(٣). يعني: يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة، يقرب المسجد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن راشد المكحولي، عن مكحول: أن النداء كان في الجمعة مؤذناً واحداً حين يخرج الإمام، ثم تقام الصلاة، وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به، فأمر عثمان - رضي الله عنه - أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس^(٤). وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان، ويُعذر المسافر والمريض وقِيم المريض، وما أشبه ذلك من الأعذار، كما هو مقرر في كتب الفروع.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، أي: اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة. ولهذا اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني. واختلفوا: هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم، أي: في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾، أي: فرغ منها، ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾، لما حَجَرَ عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله. كان عراك بن مالك^(٥) إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم، أجبْتُ دَعْوَتَكَ، وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين. رواه ابن أبي حاتم. وروى أيضاً عن بعض السلف أنه قال: مَنْ باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة، بَارَكَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَاَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾. وقوله: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي: في حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلوا الدنيا عن الذي ينفَعكم في الدار الآخرة.

[٦٨٢٣] ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ دَخَلَ سُوقًا مِنَ الْأَسْوَاقِ فَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ

(١) الثمار: بردة من صوف تلبسها الأعراب.

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٧٨ و١٠٧٩ وابن ماجه ١٠٩٦ وهو حديث حسن، انظر «صحيح أبي داود» ٩٥٣.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٩١٢.

(٤) إلى هنا كلام مكحول الدمشقي أحد التابعين.

(٥) في عداد التابعين.

له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. كَتَبَ اللهُ له أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، ومحا عنه أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ^(١). وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمَنِ الْجَزَاءُ وَاللَّهُ خَيْرٌ

الرَّزَقِينَ ﴿١١﴾

يُعَاتِبُ تَبَارَكَ وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى؛ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، أي: على المنبر تخطب. هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم؛ أبو العالية، والحسن، وزيد بن أسلم، وقتادة. وزعم مقاتل ابن حيان: أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم^(٢). وقد صح بذلك الخبر.

[٦٨٢٤] فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قدمت غير المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب، فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً، فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾^(٣). أخرجه في الصحيحين، من حديث سالم، به.

[٦٨٢٥] وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينا النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير إلى المدينة، فابتدروا أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً»، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، وقال: كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً.

[٦٨٢٦] وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما، يقرأ القرآن ويذكر الناس^(٥). لكن هنا شيء ينبغي أن يعلم وهو: أن هذه القصة قد قيل: إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة.

[٦٨٢٧] كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل. حدثنا محمود بن خالد، عن الوليد، أخبرني أبو معاذ بكير بن مغروف، أنه سمع مقاتل بن حيان قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب، وقد صلى الجمعة، فدخل رجل فقال: إن دحية بن خليفة قد

(١) إسناده ضعيف. وقد تقدم الكلام عليه، ووه من قواه.

(٢) سياقي بسياق آخر.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٩٣٦ و٢٠٥٨ و٤٨٩٩ ومسلم ٨٦٣ ح ٣٦ و٣٧ و٣٨ والترمذي ٣٣١١ والنسائي في «التفسير» ٦١٣ وأحمد ٣/٣١٣.

(٤) اللفظ المرفوع ضعيف جداً. أخرجه أبو يعلى ١٩٧٩ وفيه زكريا بن يحيى الكسائي، وهو متروك متهم، وتفرد بلفظ «والذي... ناراً، فهذا ضعيف جداً، وبقي المتن محفوظ بشواهد.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٨٦٢ ح ٣٤.

قَدِيمَ بِتِجَارَةٍ^(١). يعني: فانفضوا، ولم يبق معه إلا نفر يسير. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: الذي عند الله مِنَ الشَّوَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّجَى وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾، أي: لمن تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وطلب الرزقَ فِي وَقْتِهِ.

آخر تفسير سورة الجمعة، والله الحمد والمنّة، وبه التوفيق والعصمة

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» ٥٩ وهو مرسل، ومع إرساله مقاتل ضعفه غير واحد، إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله. وورد من مرسل مَرَّةً، أخرجه ابن بشكوال في «الاسماء المبهمة» ٨٥٢ وهو حسن.



وهي مدنيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ
تَعِجْبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ
الْعَادُوْنَ فَاذْرُؤْهُمْ فَلَنَقُلَّهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يُؤْفَكُوا ﴿٤﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم يتفوهون بالإسلام إذا جاؤا النبي ﷺ فأما في باطن الأمر فليُسوا كذلك، بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، أي: إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليسوا كما يقولون. ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، أي: فيما أخبروا به، وإن كان مطابقاً للخارج، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صيحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم. وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: اتقوا الناس بالإيمان الكاذبة والحلفات الآثمة، ليصدقوا فيما يقولون. فاغتر بهم من لا يعرف جليلة أمرهم، فاعتقدوهم مسلمين، فزُيما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأمله خبالاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس. ولهذا قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ولهذا كان الضحّاك بن مزاحم يقرأها: اتخذوا إيمانهم جنة، أي: تصديقهم الظاهر جنة، أي: تقية يتقون به القتل. والجمهور يقرأها: ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ جمع يمين. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: إنما قُدِّرَ عليهم النفاق ليرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير، فلا تعمي ولا تهتدي. ﴿وَلَوْ رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾، أي: وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة والسيئة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم، كما قال تعالى: ﴿أَشِعَّةَ عَلَيْكُمْ لَإِذَا جَاءَ لَقُوفُ رَأَيْتَهُمْ يَقُولُوكَ لَكَ نَدَرُوا

أَعْيَنَهُمْ كَالَّذِي يُثْقِنَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ لَافِقُوا سَلَفُكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَاوُ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ [الأحزاب: ١٩]، فهم جهامات وضور بلا معانٍ. ولهذا قال تعالى: ﴿هُرُّ الْمَدْرُ فَاحْذَرُمْ فَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ﴾، أي: كيف يُصرفون عن الهدى إلى الضلال؟!

[٦٨٢٨] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجُمَحِيُّ، عن إسحاق بن بكر بن أبي الفَرَاتِ، عن سعيد بن أبي سعيد المقْبِرِيِّ، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: «إن للمنافقين علامات يُعرفون بها: تحيتهن لعنة، وطعامهن نُهْبَةٌ، وغنيمةن غُلُولٌ، ولا يقرئون المساجد إلا هَجْرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا، مُستكبرين لا يَأْلَفُونَ ولا يُؤْلَفُونَ، حُشْبٌ بالليل، صُحْبٌ بالنهار». وقال يزيد مرّة: سُحْبٌ بالنهار^(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين - عليهم لعائن الله - أنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: صَدُّوا وأَعْرَضُوا عما قيل لهم، استكباراً عن ذلك، واحتقاراً لما قيل لهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾. ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾. كما قال في سورة «براءة»، وقد تقدّم الكلام على ذلك، وإيراد الأحاديث المروية هنالك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ أبي عُمرَ العَدَنِيُّ قال: قال سفيان: ﴿لَوَّا رُءُوسَهُمْ﴾، قال ابنُ أبي عُمرَ: حَوَّلَ سفيانُ وجهه على يمينه، ونظر بعينه شِزْرًا، ثم قال: هُوَ هذا. وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبيّ ابنِ سلُولٍ، كما سَنُورِدُهُ قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان.

[٦٨٢٩] وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة: «ولما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة - يعني مَرْجِعُهُ من أُحُدٍ - وكان عبدُ الله بن أبيّ ابنِ سلُولٍ - كما حَدَّثَنِي ابنُ شهابِ الزهري - له مقامُ يَقُومُهُ كلُّ جُمُعَةٍ لَا يُنْكَرُ، شَرَفَا له من نَفْسِهِ ومن قُوَمِهِ، وكان فيهم شريفاً، إذا جلسَ النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطبُ الناسَ قام، فقال: أيها الناسُ، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به، وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس، حتى إذا صَنَعَ يوم أُحُدٍ ما صَنَعَ - يعني مَرْجِعُهُ بثُلُثِ الجَيْشِ - رَجَعَ الناسُ، قام يفعلُ

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٩٣ والبخاري ٨٥ من حديث أبي هريرة. قال الهيثمي في «المجمع» ٤١١: فيه عبد الملك ابن قدامة الجُمَحِيُّ، وثقه يحيى وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره اهـ وقال الشيخ أحمد شاكر في المسند ٧٩١٣: إسناده حسن وفيه نظر. فإن مداره على عبد الملك بن قدامة. وقد جزم الحافظ في «التقريب» بأنه ضعيف، ثم إن للحديث علة أخرى: فيه إسحاق بن بكر بن أبي الفرات. قال الحافظ في «التقريب» مجهول. فالحديث ضعيف كما ترى. والله الموفق.

ذلك كما كان يفعلهُ، فأخذ المسلمون بشيائِهِ من نواحيهِ وقالوا: اجلس، أي عَدُوَّ الله، لستَ لذلكَ بأهلٍ، وقد صنعتُ ما صنعتُ. فخرجَ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وهو يقولُ: والله لكانما قلتُ بُجْرًا؛ أن قُمْتُ أَشَدُّدُ أمره! فلقية رجالٌ من الأنصارِ ببابِ المسجدِ فقالوا: وَيْلَكَ! مالك؟ قال: قُمْتُ أَشَدُّدُ أمره، فوثبَ عليَّ رجالٌ من أصحابه يَجِدُّونَنِي وَيُعْتَقُونَنِي، لكانما قلتُ بُجْرًا، أن قُمْتُ أَشَدُّدُ أمره. قالوا: وَيْلَكَ! ارجعْ يَسْتَغْفِرُ لك رسولُ الله ﷺ، فقال: والله ما أبتغي أن يَسْتَغْفِرَ لي^(١).

[٦٨٣٠] وقال قتادة والسدي: أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديثٍ عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله ﷺ فلماذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعدلوه، وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو الله: لو أتيت رسول الله ﷺ؟ فَجَعَلَ يُلَوِّي رَأْسَهُ، أي: لستُ فاعلاً^(٢).

[٦٨٣١] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن سعيد بن جبيرة: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يَزْجُلْ حتى يُصَلِّي فيه، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ﴾. فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار، وقيل لعبد الله بن أبي: أنت النبي ﷺ حتى يستغفر لك. فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَقِفُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَلَوْا بِذُنُوبِهِمْ﴾^(٣). وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبيرة. وقوله: إن ذلك كان في غزوة تبوك، فيه نظر، بل ليس بجيد؛ فإن عبد الله بن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش. وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق.

[٦٨٣٢] قال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة، في قصة بني المصطلق: «فبينما رسول الله ﷺ مقيم هناك، اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري - وكان أجيراً لعمر بن الخطاب - وسنان بن وبر، قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال: ازدحما على الماء فاقتتلا، فقال سنان: يا معشر الأنصار! وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين! - وزيد بن أرقم ونفرت من الأنصار عند عبد الله بن أبي - فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا. والله ما مثلنا وجلابيب قریش هذه إلا كما قال القائل: «سَمْنٌ كُلِّبَكَ يَأْكُلُكَ». والله لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ. ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أخللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها. فسمعها زيد بن أرقم، فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غليظ - وعنده عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر، فقال عمر: يا رسول الله! مر عباد بن بشر فليضرب عنقه. فقال ﷺ: «فكيف إذا تحدثت الناس - يا عمر - أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن ناد يا عمر في الرجيل». فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ، أنه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا: يا رسول الله! عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

(١) انظر سيرة ابن هشام ٦٩/٣ والمغازي من تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٢٧، وسيرة ابن كثير: ١٠٣/٣. وهو حديث مرسل.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤١٦٠ عن قتادة مرسلًا، وورد من مرسل مجاهد والحسن أخرجه الطبري ٣٤١٦١ لكن دون ذكر الغلام.

(٣) هو مرسل.

وراح رسول الله ﷺ مُهَجَرًا فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَزُوحُ فِيهَا، فَلَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِتَحِيَّةِ النَّبِوةِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا كُنْتُ تَزُوحُ فِيهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكَ ابْنُ أَبِي؟! زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ سَيُخْرِجُ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ. قَالَ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْعَزِيزُ وَهُوَ الذَّلِيلُ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَفَقَ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِكَ وَإِنَّا لَنَنْظُمُ لَهُ الْخَزَرَ لِنُتَوَّجَهُ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّ قَدِ اسْتَلْبَثَهُ مُلْكًا. فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ حَتَّى أَمْسَوْا، وَلَيْلَتُهُ حَتَّى أَصْبَحُوا، وَصَدَرَ يَوْمَهُ حَتَّى اشْتَدَّ الضَّحَاءُ. ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ لِيَشْغَلَهُمْ عَمَّا كَانَ مِنَ الْحَدِيثِ، فَلَمْ يَأْمِنْ النَّاسُ أَنْ وَجَدُوا مَسُّ الْأَرْضِ فَنَامُوا، وَنَزَلَتْ سُورَةُ الْمَنَافِقِينَ^(١).

[٦٨٣٣] وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا بَشَرُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟! دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبِهَةٌ!» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: وَقَدْ فَعَلُوهُمَا؟! وَاللَّهِ لَنَرَجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ. قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ بِالْمَدِينَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبَ عُتُقَ هَذَا الْمَنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعِهِ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ: أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(٢). وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ الْحَمِيدِيِّ، وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرِهِ، عَنْ سُفْيَانَ، بِهِ نَحْوُهُ.

[٦٨٣٤] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ تَبُوكَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: لَنَرَجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ. قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَحَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَلَا مَنِي قَوْمِي وَقَالُوا: مَا أَرَدْتَ إِلَى هَذَا؟ فَانْطَلَقْتُ فَبِمَتْ كِتَابًا خَزِنًا، قَالَ: فَارْسَلْ إِلَيَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنْ اللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَذْرَكَ وَصَدَّقَكَ. قَالَ: فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَعُوا»، حَتَّى بَلَغَ: «لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ»^(٣). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، عَنْ آدَمَ بْنِ أَبِي إِيَّاسٍ، عَنْ شُعْبَةَ، ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَفْرُو، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَانِيُّ عِنْدَهَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، بِهِ.

[٦٨٣٥] طَرِيقٌ أُخْرَى عَنْ زَيْدٍ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ - وَقَالَ ابْنُ أَبِي بُكَيْرٍ: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عَمِّي فِي غَزَاةٍ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَكِنْ رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَهُ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَارْسَلْ إِلَيَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» ٥٢/٤ - ٥٣ - وَهَذِهِ مَرَاثِيلُ تَأْيِيدَ بِمَجْمُوعِهَا، وَانْظُرْ سِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ.

(٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٤٩٠٥ وَمُسْلِمٌ ٢٥٨٤ وَالتِّرْمِذِيُّ ٩٧٧ وَالتَّسَانِيُّ ٣٣١٥ وَأَبُو يَعْلَى ١٨٢٤ وَأَحْمَدُ ٣٣٨/٣ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النَّبِوةِ» ٥٣/٤ - ٥٤ وَابْنُ حِبَّانَ ٥٩٩٠.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٤٩٠٢ وَالتِّرْمِذِيُّ ٣٣١٤ وَالتَّسَانِيُّ فِي «التَّفْسِيرِ» ٦١٧ وَأَحْمَدُ ٣٦٨/٤.

رسول الله ﷺ فَمَحْدُثُهُ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي ابن سلُول وأصحابه، فحلفوا ما قالوا: فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فأصابني هُمٌ لم يُصِبنِي مثله قط، وَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ عُمِي: مَا أَرَدْتُ إِلَّا أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ. قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، قَالَ: قَبِعْتُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ»^(١).

[٦٨٣٦] ثم قال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق: أنه سمع زيد بن أرقم يقول: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ النَّاسَ شِدَّةٌ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لَأَصْحَابِهِ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَقَالَ: لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَأَنْبِئَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَسَأَلَهُ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ، فَقَالُوا: كَذَّبَ زَيْدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾. قَالَ: وَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَوْا زَوْوَسَهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةً﴾، قَالَ: كَانُوا رَجَالًا أَجْمَلُ شَيْءٍ^(٢). وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ زُهَيْرٍ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ إِسْرَائِيلَ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّيِّعِيِّ الْهَمْدَانِيِّ الْكُوفِيِّ، عَنْ زَيْدٍ، بِهِ.

[٦٨٣٧] طريق أخرى عن زيد، قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ السَّدِّيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَعَنَا أَنَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَكُنَّا نَبْتَدِرُ الْمَاءَ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ يَسْبِقُونَنَا، يَسْبِقُ الْأَعْرَابِيُّ أَصْحَابَهُ يَمَلَأُ الْحَوْضَ، وَيَجْعَلُ حَوْلَهُ حِجَارَةً، وَيَجْعَلُ النَّطْعَ عَلَيْهِ حَتَّى يَجِيءَ أَصْحَابَهُ. فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ الْأَعْرَابِيَّ، فَارْخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لِيَشْرَبَ، فَأَبَى أَنْ يَدْعَهُ، فَانْتَزَعَ حَجَرًا فَفَاضَ الْمَاءَ، فَرَفَعَ الْأَعْرَابِيُّ خَشْبَةً، فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ الْأَنْصَارِيِّ فَشَجَّهُ، فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ فَأَخْبَرَهُ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ - فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، ثُمَّ قَالَ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِهِ - يَعْنِي الْأَعْرَابَ - وَكَانُوا يَحْضُرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الطَّعَامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: إِذَا انْفَضُّوا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ فَاتُّوا مُحَمَّدًا بِالطَّعَامِ، فَلْيَأْكُلْ هُوَ وَمَنْ عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيُخْرِجِ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ زَيْدٌ: وَأَنَا رَدَفْتُ عُمِي، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُ عُمِي، فَانْطَلَقَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَحَلَفَ وَجَحَدَ، قَالَ: فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَجَاءَ إِلَيَّ عُمِي فَقَالَ: مَا أَرَدْتُ أَنْ مَقَّتَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَكَ وَالْمُسْلِمُونَ. فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنَ الْعَمِّ مَا لَمْ يَقَعْ عَلَى أَحَدٍ قَطُّ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَقَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنَ الْهَمِّ، إِذْ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَزَّكَ أَذْنِي، وَضَجَّكَ فِي وَجْهِ، فَمَا كَانَ يَسْرُتُنِي أَنْ لِي بِهَا الْخَلْدُ فِي الدُّنْيَا. ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَحَقَنِي وَقَالَ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْتُ: مَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ عَزَّكَ أَذْنِي وَضَجَّكَ فِي وَجْهِ. فَقَالَ: أَبَشِرْ. ثُمَّ لَحَقَنِي عَمْرٌ فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ قَوْلِي لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ. انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَهَكَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَجْشُوبِيِّ، - عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، بِهِ. وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣٧٣/٤ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٠ ومسلم ٢٧٧٢ والتِّرْمِذِيُّ ٣٣١٢ والنَّسَائِيُّ فِي «التَّفْسِيرِ» ٦١٨ وَاحِدٌ ٣٧٣/٤.

الْأَذَلُّ^(١). وقد رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي الْمَغَازِي - وَكَذَا ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ فِي مَغَازِيهِ أَيْضاً هَذِهِ الْقِصَّةَ بِهَذَا السِّيَاقِ، وَلَكِنْ جَعَلَا الَّذِي بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ إِنَّمَا هُوَ أَوْسُ بْنُ أَقْرَمَ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَلَعَلَّهُ مُبْلَغٌ آخَرُ، أَوْ تَصْحِيفٌ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٦٨٣٨] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا محمد بن عزيز الأيلي، حدثني سلامة، حدثني عُقَيْلٌ، أخبرني محمد بن مسلم: أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَعَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ أَخْبَرَاهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا غَزْوَةَ الْمُزَيْنَةِ، وَهِيَ الَّتِي هَدَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا مَنَاةَ الطَّاعِيَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ قِفَا الْمُشَلَّلِ وَبَيْنَ الْبَحْرِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَكَسَرَ مَنَاةَ، فَاقْتَتَلَ رَجُلَانِ فِي غَزْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ، أَحَدُهُمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْآخَرُ مِنْ بَهْزٍ، وَهُمْ خُلَفَاءُ الْأَنْصَارِ، فَاسْتَعْلَى الرَّجُلُ الَّذِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْبَهْزِيِّ، فَقَالَ الْبَهْزِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! فَنَصَرَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! فَنَصَرَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، حَتَّى كَانَ بَيْنَ أُولَئِكَ الرَّجَالِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالرَّجَالِ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ مِنَ الْقِتَالِ، ثُمَّ حُجِزَ بَيْنَهُمْ فَنَافَكُوا كُلُّ مَنَافِقٍ - أَوْ: رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ - إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ تُزَجِّى وَتَدْفَعُ، فَاصْبَحْتُ لَا تَضُرُّ وَلَا تُنْفَعُ، قَدْ تَنَاصَرْتُ عَلَيْنَا الْجَلَابِيْبُ - وَكَانُوا يَدْعُونَ كُلَّ حَدِيثِ الْهَجْرَةِ: الْجَلَابِيْبُ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَشْمِ - وَكَانَ مِنَ الْمَنَافِقِينَ - أَوْ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا. فَسَمِعَ بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائِذْنْ لِي فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ أَفْتَنَ النَّاسَ أَضْرَبَ عُنُقَهُ - يُرِيدُ عُمَرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: أَوْ قَاتِلْهُ أَنْتَ إِنْ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ؟ قَالَ عُمَرُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اجْلِسْ، فَأَقْبَلَ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ وَهُوَ أَحَدُ الْأَنْصَارِ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائِذْنْ لِي فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ أَفْتَنَ النَّاسَ أَضْرَبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ قَاتِلْهُ أَنْتَ إِنْ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لَأَضْرِبَنَّ السَّيْفَ تَحْتَ قُرْطِ أَذُنَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اجْلِسْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آذَنُوا بِالرَّحِيلِ. فَهَجَرَ بِالنَّاسِ، فَسَارَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ وَالْغَدَ حَتَّى مَتَعَ النَّهَارَ ثُمَّ نَزَلَ. ثُمَّ هَجَرَ بِالنَّاسِ مِثْلَهَا، فَصَبَّحَ بِالْمَدِينَةِ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْ قِفَا الْمُشَلَّلِ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ عَمْرٍ! أَكُنْتُ قَاتِلَهُ لَوْ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِ؟ قَالَ عُمَرُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَئِذٍ لَأَرَعَمْتُ أَثُوفَ رَجَالٍ لَوْ أَمَرْتُهُمُ الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلُوهُ فَيَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنِّي قَدْ وَقَعْتُ عَلَى أَصْحَابِي فَأَقْتُلُهُمْ صَبْرًا. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾... الْآيَةُ^(٢). وَهَذَا سِيَاقٌ غَرِيبٌ، وَفِيهِ أَشْيَاءٌ لَا تَوْجَدُ إِلَّا فِيهِ.

[٦٨٣٩] وقال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني عاصم بن عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أَبِي - يَعْنِي: لَمَّا بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ - أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ

(١) أخرجه الترمذي ٣٣١٣ والبيهقي في «الدلائل» ٥٤/٤ - ٥٥، وإسناده لين، فيه أبو سعيد الأزدي، وهو مقبول، لكن له شواهد كثيرة تقويه.

(٢) إسناده غير قوي لأجل سلامة بن روح، لكن لأكثر حديثه شواهد، وبعضه غريب.

الله بن أبيي فيما بَلَغَكَ عنه، فَإِنْ كُنْتَ فاعِلاً فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ، فوالله لقد عَلِمْتَ الخَزْرَجُ ما كان لها من رجل أبر بوالده مِنِّي، إني أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرَ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِيي يَمْشِي فِي النَّاسِ، فَأَقْتُلَهُ فَأَقْتُلَ مُؤْمِناً بِكَافِرٍ، فَادْخُلِ النَّارَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «بَلْ تَتَرَفَّقُ بِهِ وَتُحْسِنُ صُحْبَتَهُ، مَا بَقِيَ مَعَنَا»^(١).

[٦٨٤٠] وذكر عكرمة وابنُ زيد وغيرهما أَنَّ النَّاسَ لما قَفَلُوا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَفَ عَبْدُ اللهِ بن عبد الله بن أبيي هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرّون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبيي قال له ابنه: وراءك. فقال: ما لَكَ؟ وَتِلْكَ! فقال: والله لا تجوزُ من هاهنا حتى يَأْذَنَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ وَأَنْتَ الذَّلِيلُ. فلما جاء رسولُ اللهِ ﷺ وكان إنما يسير ساقيةً، فَشَكَا إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بن أبيي ابنه، فقال ابنه عَبْدُ اللهِ: والله يا رسولَ اللهِ لا يَدْخُلُهَا حَتَّى تَأْذَنَ لَهُ! فَأْذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فقال: أَمَا إِذْ أُذِنَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَزِ الْآنَ^(٢).

[٦٨٤١] وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مُسْنَدِهِ: حدثنا سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ، حدثنا أَبُو هَارُونَ الْمَدَنِيُّ قال: قال عَبْدُ اللهِ بن عبد الله بن أبيي ابْنُ سَلُولٍ لأبيه: والله لا تَدْخُلُ الْمَدِينَةَ أَبَدًا حَتَّى تَقُولَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأَعَزُّ وَأَنَا الْأَذَلُّ. قال: وجاء النَّبِيُّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ أَبِي، فوالذي بعثك بالحق ما تَأْمَلْتُ وَجْهَهُ قَطُّ هَيَّأَ لَهُ، وَلَئِنْ شِئْتُ أَنْ آتِيَكَ بِرَأْسِهِ لَأَتِيَنَّكَ، فَإِنِّي أَكْزَهُ أَنْ أَرَى قَاتِلَ أَبِي^(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

يقولُ تعالى أَمْرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ وَنَاهِيًا لَهُمْ عَنْ أَنْ تَشْغَلَهُمُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ عَنْ ذَلِكَ، وَمُخْبِرًا لَهُمْ بِأَنَّهُ مِنَ التَّهْلِ بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا عَمَّا خُلِقَ لَهُ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ فَإِنَّهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ، الَّذِينَ يَخْسِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي طَاعَتِهِ فَقَالَ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠)، فَكُلُّ مُفَرِّطٍ يَنْدِمُ عِنْدَ الْاِحْتِضَارِ، وَيَسْأَلُ طَوِيلَ الْمُدَّةِ وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا، لِيَسْتَعْتِبَ وَيَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ، وَهِيَئَاتِ! كَانَ مَا كَانَ وَأَتَى مَا هُوَ أَتَى، وَكُلٌّ بِحَسَبِ تَفْرِيطِهِ، أَمَّا الْكُفَرَاءُ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِثْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ لَوْ أَنَّكُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١١) وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ لَوْ أَنَّكُمُ الْغَالِبُونَ. وقال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْتَدُّوا﴾ (١٢) لَعَلَّ أَعْمَلَ صَلَاحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٣﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

(١) أخرجه الطبري ٣٤١٧٩ وهذا مرسل، وذكره ابن هشام في «السيرة» ٢٢٩/٣.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤١٧١ عن عكرمة، وكرره ٣٤١٧٧ عن ابن زيد وله شواهد مراسيل، فهي تتقوى بمجموعها.

(٣) هذا مرسل، لكن له شواهد، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١)، أي: لا يُنظر أحدًا بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبرُ بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو رُدَّ لعادَ إلى شرِّ مما كان عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٦٨٤٢] وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبدُ بن حُميد: حدثنا جعفرُ بن عَوْن، حدثنا أبو جَنَاب الكلبي، عن الضحاك بن مُزاحم، عن ابن عَبَّاسٍ قال: من كان له مال يُبلغه حج بيت ربِّه، أو تجب فيه عليه زكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت. فقال رجل: يابن عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سألتو عليكم بذلك قرأنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْمَرْتُ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَهَ أَجَلِي قَرِيبٌ فَأَصْدَقَ؟ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، قال: فما يُوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مئتين فصاعداً. قال: فما يُوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير^(١). ثم قال: حدثنا عبدُ بن حُميد، حدثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن يحيى بن أبي حَيَّة - وهو أبو جَنَاب الكلبي، عن الضحاك، عن ابن عَبَّاسٍ، عن النبي ﷺ: بنحوه. ثم قال: وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس، من قوله. وهو أصح. وضعف أبو جَنَاب الكلبي. قلت: ورواية الضحاك عن ابن عَبَّاسٍ فيها انقطاع، والله أعلم.

[٦٨٤٣] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ عُفيل، حدثنا سُلَيْمان بن عَطَاء، عن مَسْلَمَةَ الْجُهَنِي، عن عَمِّه - يعني أبا مَشْجَعَةَ بنِ رَبِيعٍ - عن أبي الدرداء - قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر، فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، وَإِنَّمَا الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذريةً سالحةً يدعون له، فيُلحقه دعاؤهم في قبره»^(٢).

آخر تفسير سورة المنافقين، والله الحمد والمنّة، وبه التوفيق والعصمة

(١) موقوف. أخرجه الترمذي ٣٣١٦ والواحدي في «الوسيط» ٣٠٥/٤ والطبري ٣٤١٨١ وإسناده ضعيف جداً، أبو جناب ضعيف متروك، وهو مدلس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرجه الطبري ٣٤١٨٥ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف وعنه مجاهيل، فالوقوف ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه في سورة النحل: ٦١.



وهي مدنيّة، وقيل: مكّيّة

[٦٨٤٤] قال الطبراني: حدثنا محمد بن هارون بن مُحَمَّد بن بَكَّار الدَّمَشَقِيّ، حدثنا العباس بن الوليد الخَلَّال، حدثنا الوليد بن الوليد، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يُولد إلا مكتوبٌ في تشبيك رأسه خمسُ آيات من سورة التغابن». ^(١) أورده ابن عساكر في ترجمة «الوليد بن صالح»، وهو غريب جداً، بل منكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِّخُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ۖ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٤﴾

هذه السورة هي آخر المُسَبِّحات، وقد تقدّم الكلام على تَسْبِيح المخلوقات لبارئها ومالكها، ولهذا قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرف في جميع الكائنات، المحمود على جميع ما يخلقه ويُقَدِّره. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: مهما أراد كان بلا مُمانع ولا مُدافع، وما لم يشأ لم يكن. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِّخُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسَيَجْزِيهم بها أنتم الجزاء. ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. ثم قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾، أي: أحسن أشكالكم، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝١﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٢﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ

(١) باطل. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٧٨٤ وابن حبان ٨١/٣ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/١٥٢، قال ابن حبان: الوليد بن الوليد العنسي، يروي عن ابن ثوبان العجائب. روى عن ابن ثوبان نسخة أكثرها مقلوبة. يطول الكتاب بذكرها. وحكم ابن الجوزي بوضعه. وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ١٠٨١٤: فيه الوليد بن الوليد، وثقه أبو حاتم وابن حبان، وتركه جماعة، وبقية رجاله ثقات اهـ. كذا قال الهيثمي - رحمه الله - ولم أر للوليد ترجمة في «الثقات» لابن حبان وتقدم أنه ذكره في «المجروحين» وأما قول أبي حاتم عنه: صدوق. فقد خالفه ابن حبان والدارقطني وغيرهما. قال الذهبي في «الميزان» ٩٤١٧: قال أبو حاتم: صدوق. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وروى له نصر المقدسي في «أربعينه» حديثاً منكراً. وقال: تركوه - له وأيا كان فالتن منكر جداً. بل هو موضوع. والله تعالى أعلم.

الجنة ويذهب بأولئك إلى النار. قلت: وقد فسر ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١١) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢). وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، وهكذا قال ما هنا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: بأمر الله، يعني عن قدره ومشيئته. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ومن أصابته مصيبة فاعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعرضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، وبقينا صادقاً، قد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾، يعني يهدي قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وقال الأعمش، عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة فقرأ عنده هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾، فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تُصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم. رواه ابن جرير، وابن حاتم. [في تفسيرهما] وقال سعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾، يعني: يسترجع، يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رُجُوعُنَا﴾ [البقرة: ١٥٦].

[٦٨٤٥] وفي الحديث المتفق عليه: «عَجَباً لِلْمُؤْمِنِ! لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْراً لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ» (١).

[٦٨٤٦] وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح: أنه سمع جندادة بن أبي أمية يقول: سمعت عبادة بن الصمام يقول: إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال «إيمان بالله، وتصديق به، وجهاد في سبيله». قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله! قال: «السماحة والصبر». قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله! قال: «لا تثبم الله في شيء قضى لك به» (٢). لم يخرجوه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: أمر بطاعة الله، ورسوله فيما شرع، وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر، ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي: إن تكلمتم في العمل فإنما عليه ما حُمِّل من البلاغ، وعليكم ما حُمِّل من السمع والطاعة. قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحذ الصمد، الذي لا إله غيره، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٣)، فالأول خبر عن التوحيد، ومعناه معنى الطلب، أي وحدها الإلهية

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد ٣١٨/٥ وفيه ابن لهيعة. لكن له شواهد. راجع «المجمع» ٢٠١ - ٢٠٢.

له، وأخْلِصُوهَا لَدَيْهِ، وتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ لِلشَّرِيقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤) ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنِفُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُؤَفِّقْ شَخَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٦) ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧) ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَبِيرُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد: أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ عَدُوٌّ الزَّوْجِ وَالْوَالِدِ، بمعنى أَنَّهُ يَلْتَمِيهِ بِهِ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، كقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩). ولهذا قال ما هنا ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال ابن زيد: يعني على دينكم. وقال مجاهد: ﴿إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حُبِّه إِلَّا أَنْ يُطِيعَهُ.

[٦٨٤٧] وقال ابن أبي حاتم، حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْعَسْقَلَانِي، حَدَّثَنَا الْفِرْزَابِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، حَدَّثَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَالَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، قال: فهؤلاء رجالٌ أَسْلَمُوا مِنْ مَكَّةَ، فَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يَذْعُوهُمْ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَتَقَهُوا فِي الدِّينِ، فَهَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤). وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى، عن الفريزاني - وهو مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ - به، وقال: «حسن صحيح». ورواه ابن جرير والطبراني، من حديث إسرائيل، به، وزوي من طريق العوفي، عن ابن عباس، نحوه، وهكذا قال عكرمة مولاة سواء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥)، يقول تعالى: إِنَّمَا الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ فَتْنَةٌ، أي: اختبارٌ وابتلاءٌ مِنَ اللَّهِ لِيَخْلُقَهُ. لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْبُدُهُ. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ﴾، أي: يوم القيامة ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، كما قال تعالى: ﴿ثَلَاثِينَ لِّلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْصَابِ وَالْعُرُشِ ذَلِكَ مُنْجَى الْحَيَاتِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَاصِ﴾ (١٦) [آل عمران: ١٤]، والتي بعدها.

[٦٨٤٨] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَّابِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ وَقِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَةَ، سَمِعْتُ أَبِي بَرِيدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمِشِيَانِ وَيَعْتَرَانِ، فَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾»، نظرت إلى هذين الصبيَّين يَمِشِيَانِ وَيَعْتَرَانِ، فلم أصبر

حتى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا^(١)، ورواه أهل السنن من حديث حُسَيْن بن واقد، به، وقال الترمذي: «حسن غريب، إنما نعرفه من حديثه».

[٦٨٤٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا سُريج بن النعمان، حدثنا هُشيم، أخبرنا مُجالد، عن الشَّعْبِيِّ، حدثنا الأشعث بن قيس قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدٍ كِنْدَةٍ، فَقَالَ لِي: هَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ؟ قُلْتُ: غلامٌ وَلِدَ لِي فِي مُخْرَجِي إِلَيْكَ مِنْ ابْنَةِ حَمْدٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنْ بِمَكَانِهِ شَيْعَ الْقَوْمِ. قَالَ: لَا تَقُولَنَّ ذَلِكَ، فَإِنْ فِيهِمْ ثُرَّةٌ عَيْنٍ، وَأَجْرًا إِذَا قُبِضُوا، ثُمَّ قَالَ: وَلَعَنَ قُلْتَ ذَاكَ إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَخْزَنَةٌ، إِنَّهُمْ لَمَجْبَنَةٌ مَخْزَنَةٌ^(٢)، تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

[٦٨٥٠] وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمود بن بكر، حدثنا أبي، عن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن عَطِيَّة، عن أبي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْوَلَدُ ثَمَرَةُ الْقُلُوبِ، وَإِنَّهُمْ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَخْزَنَةٌ»^(٣). ثُمَّ قَالَ: «لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ».

[٦٨٥١] وقال الطبراني: حدثنا هاشم بن مَرْثَدٍ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عِيَّاش، حدثني أبي، حدثني ضَمْضَمُ بْنُ زُرْعَةَ، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي إِنْ قَتَلْتَهُ كَانَ نُورًا لَكَ وَإِنْ قَتَلْتَكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَلَكِنْ أَعْدَى عَدُوَّكَ وَلَدُكَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ صُلْبِكَ، ثُمَّ أَعْدَى عَدُوَّكَ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينُكَ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿تَأْتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، أي: جُهِدْكُمْ وَطَاقَتَكُمْ.

[٦٨٥٢] كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَاتَّبِعُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»^(٥).

وقد قال بعضُ المفسرين - كما رواه مالك، عن زيد بن أسلم -: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ نَاسِخَةٌ لِتِلْكَ فِي «آلِ عِمْرَانَ» وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٦).

[٦٨٥٣] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثني يحيى بن عبد الله بن بُكَيْرٍ، حدثني ابن لَبِيْعَةَ، حدثني عطاة - هو ابن دينار - عن سعيد بن جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اشْتَدَّ عَلَى الْقَوْمِ الْعَمَلُ، فَقَامُوا حَتَّى وَرِمَتْ عَرَاقِبُهُمْ وَتَفَرَّحَتْ جِبَاهُهُمْ،

(١) أخرجه أبو داود ١١٠٩ وابن ماجه ٣٦٠٠ والترمذي ٣٧٧٤ وأحمد ٣٥٤/٥ والحاكم ٣٥٤/٤ وابن حبان ٦٠٣٩ وإسناده حسن، رجاله ثقات، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) حسن بشواهد، أخرجه أحمد ٢١١/٥ والحاكم ٢٣٩/٤ والطبراني ٦٤٦. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي! مع أن فيه مجالد بن سعيد، وقد ضعفه الجمهور. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٣٤٧٩: فيه مجالد، وهو ضعيف، وقد وثق. وبقي رجال أحمد رجال الصحيح. وله شاهد من حديث الأسود بن خلف. أخرجه البزار ١٨٩١ وقال الهيثمي ١٣٤٨٠: رجاله ثقات. ويشهد له ما بعده.

(٣) أخرجه البزار ١٨٩٢ وأبو يعلى ١٠٣٢ وقال الهيثمي ١٣٤٧٨: فيه عطية العوفي، وهو ضعيف اهـ لكن يصلح شاهداً لما قبله. والله أعلم.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبراني ٣٤٤٥ وفي «مسند الشاميين» ١٦٦٨ وإسناده ضعيف لضعف محمد بن إسماعيل، وشريح ولم يدرك أباه مالك.

(٥) متفق عليه، وتقدم في أواخر المائدة.

فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: ﴿فَالْتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، فنسخت الآية الأولى^(١). وزوي عن أبي العالية، وزيد بن أسلم، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾، أي: كونوا مُقَادِين لما يأمركم الله به ورسوله، لا تحيدوا عنه يمناً ولا يسرة، ولا تُقَدِّمُوا بين يدي الله ورسوله، ولا تَتَخَلَّفُوا عما أمركم، ولا تَرْكَبُوا ما عنه رُجُزُكُمْ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾، أي: وابذلوا مما رَزَقَكُم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وأحيثوا إلى خَلْقِ الله كما أَحْسَنَ إليكم يَكُنْ خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإلا تَفْعَلُوا يَكُنْ شراً لكم في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ نَفْسِهِ قُلُوبُهُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾، تقدم تفسيره في «سورة الحشر»، وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية، بما أغنى عن إعادته ها هنا، والله الحمد والمِنَّةُ

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يُخْلِفُهُ، ومهما تصدقتم من شيء فَعَلَيْهِ جزاؤه، ونُزِّلَ ذلك منزلة الْقَرْضِ له، كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول:

[٦٨٥٤] «مَنْ يُقْرِضَ غَيْرَ ظُلُومٍ وَلَا عَدِيمٍ»^(٢). ولهذا قال تعالى: ﴿يُضَعِّفْهُ لَكُمْ﴾، كما تقدم في سورة البقرة: ﴿يُضَعِّفْهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٧]، أي: وَيُغْفِرْ لَكُمْ، أي: وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ السَّيِّئَاتِ. ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾، أي: يَجْزِي على القليل الكثير، ﴿حَلِيمٌ﴾، أي يَصْفَحُ وَيَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، وَيَتَجَاوَزُ عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات. ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْمُبِينُ لَكُمْ﴾^(٣). تقدم تفسيره غَيْرَ مَرَّةٍ.

آخر تفسير «سورة التغابن»، والله الحمد والمِنَّةُ

(١) هذا مرسل، وله شاهد من مرسل قتادة دون لفظ «ورمت عراقبهم»، وتقرحت جباههم»، أخرجه الطبري ٣٤٢١٢ و٣٤٢١٣ وتقدم في آل عمران.

(٢) تقدم في سورة البقرة: ٢٤٥.



وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَنَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

خُوطِبَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلًا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، ثُمَّ خَاطَبَ الْأُمَّةَ تَبَعًا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾.

[٦٨٥٥] وقال ابنُ أبي حاتم، حدثنا محمد بن ثَوَاب بن سَعِيد الهَبَارِيُّ، حدثنا أسباط بن محمد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ، فَأَتَتْ أَهْلَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، فَقِيلَ لَهُ: «رَاجِعْهَا فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَهِيَ مِنْ أَزْوَاجِكَ وَنَسَائِكَ فِي الْجَنَّةِ»^(١). وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ ابْنِ بَشَّارٍ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ... فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا. وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ ثُمَّ رَاجَعَهَا^(٢).

[٦٨٥٦] وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَغَيَّطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «لِرَاجِعِهَا، ثُمَّ يَمْسُكُهَا حَتَّى تَطْهَرُ، ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرُ. فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَطْلُقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسُهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ هَاهُنَا. وَقَدْ رَوَاهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَمُسْلِمٌ، وَلَفْظُهُ: «فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطْلَقَ لَهَا النِّسَاءُ»^(٣). وَرَوَاهُ أَصْحَابُ الْكُتُبِ وَالْمَسَانِيدِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ، وَمَوْضِعُ اسْتِقْصَائِهَا كُتِبَ الْأَحْكَامُ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ كَمَا فِي «الدَّر» ٣٤٨/٦ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَفِيهِ أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِيهِ ضَعْفٌ. وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ ٢٤٢٤٤ عَنْ قَتَادَةَ مُرْسَلًا. وَوَرَدَ مِنْ مُرْسَلٍ قَيْسُ بْنُ زَيْدٍ، أَسْنَدُهُ ابْنُ سَعْدٍ ٦٧/٨ وَوَرَدَ مِنْ مُرْسَلٍ خُرْمَةُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ أَبِيهِ أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ ٦٧/٨ أَيْضًا، وَكَرَّرَهُ ٦٨/٨ مِنْ مُرْسَلٍ ابْنِ سِيرِينَ. لَكِنْ فِي هَذَا الْمُرْسَلِ وَمَا قَبْلَهُ الْوَاقِدِيُّ شَيْخُ ابْنِ سَعْدٍ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ. فَالْحَدِيثُ رِيْعًا يَقْرُبُ مِنَ الْحَسَنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَصَدَرَ الْحَدِيثُ وَرَدَ مُوَصُولًا مِنْ وَجْهِ يَتَقَوَّى بِهَا وَإِنَّمَا الْغَرِيبُ فِيهِ لَفْظُ «فَقِيلَ لَهُ رَاجِعْهَا...» وَرَوَايَةُ «فَقَالَ جَبْرِيلُ: رَاجِعْهَا...» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) انْظُرْ مَا قَبْلَهُ، وَهَذَا اللَّفْظُ بِمُفْرَدِهِ لَهُ شَوَاهِدُ تَقْوِيَةٍ. وَانْظُرِ الْإِصَابَةَ ٢٩٦/٢٧٣/٤.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٤٩٠٨ وَمُسْلِمٌ ١٤٧١ ح ١.

[٦٨٥٧] وَأَمْسُ لَفْظٌ يُورَدُ هَاهُنَا، مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَيْمَنَ - مَوْلَى عَزَّةَ - يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَسْمَعُ ذَلِكَ: كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا؟ فَقَالَ: طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عُمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِيُرْاجِعْهَا، فَرَدَّهَا وَقَالَ: إِذَا طَهَّرْتَ فَلْيَطْلُقْ أَوْ يُمْسِكْ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قَبْلِ عِدَّتِهِنَّ»^(١).

وقال الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: الطُّهْرُ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ. وَرَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَعَطَاءٍ، وَمَجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، وَقَتَادَةَ، وَمِيمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، مِثْلَ ذَلِكَ: وَهُوَ رَوَايَةٌ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَالضُّحَّاكِ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قَالَ: لَا يُطَلِّقُهَا وَهِيَ حَائِضٌ وَلَا فِي طَهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَكِنْ: يَتْرُكُهَا حَتَّى إِذَا حَاضَتْ وَطَهَّرَتْ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، الْعِدَّةُ: الطَّهْرُ، وَالْفَرْءُ الْحَيْضَةُ، أَنْ يُطَلِّقَهَا حُبْلَى مُسْتَبِينًا حَمْلُهَا، وَلَا يُطَلِّقُهَا وَقَدْ طَافَ عَلَيْهَا، وَلَا يَدْرِي حُبْلَى هِيَ أَمْ لَا. وَمِنْ هَاهُنَا أَخَذَ الْفُقَهَاءُ أَحْكَامَ الطَّلَاقِ وَقَسَمُوهُ إِلَى طَلَاقِ سُنَّةٍ وَطَلَاقِ بِدْعَةٍ، فَطَلَاقُ السُّنَّةِ أَنْ يُطَلِّقَهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، أَوْ حَامِلًا قَدْ اسْتَبَانَ حَمْلُهَا، وَالبِدْعِي: هُوَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي حَالِ الْحَيْضِ، أَوْ فِي طَهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَا يَدْرِي أَحَمَلَتْ أَمْ لَا؟ وَطَلَاقُ ثَالِثٍ لَا سُنَّةَ فِيهِ وَلَا بِدْعَةَ، وَهُوَ طَلَاقُ الصَّغِيرَةِ وَالْأَيِسَةِ، وَغَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا. وَتَحْرِيزُ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مُسْتَقْصَى فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَعْلَمُ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، أَي: احْفَظُوهَا وَاغْرِفُوا ابْتِدَاءَهَا وَانْتِهَاءَهَا، لِئَلَّا تَطُولَ الْعِدَّةُ عَلَى الْمَرْأَةِ فَتَمْتَنِعَ مِنَ الْأَزْوَاجِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾، أَي: فِي ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾، فِي مُدَّةِ الْعِدَّةِ لَهَا حَقُّ السَّكْنَى عَلَى الزَّوْجِ مَا دَامَتْ مُعْتَدَةً مِنْهُ، فَلَيْسَ لِلرَّجُلِ أَنْ يُخْرِجَهَا، وَلَا يَجُوزُ لَهَا أَيْضًا الْخُرُوجُ لِأَنَّهَا مُعْتَقَلَةٌ لِحَقِّ الزَّوْجِ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِدَعْوَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾، أَي: لَا يُخْرِجَنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ إِلَّا أَنْ تَرْتَكِبَ الْمَرْأَةُ فَاحِشَةً مُبَيَّنَةً، فَتُخْرِجَ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَالفاحشة المبينة تشمل الزنا، كما قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَمَجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو قِلَابَةَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالضُّحَّاكُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ، وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ، وَالسَّيِّدِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي هِلَالٍ، وَغَيْرُهُمْ. وَتَشْمَلُ مَا إِذَا تَشَرَّتِ الْمَرْأَةُ أَوْ بَدَّتْ عَلَى أَهْلِ الرَّجُلِ وَأَذْنَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَالْفِعَالِ، كَمَا قَالَ أَبُو بِنِي كَعْبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَغَيْرُهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ حُدُودُ اللَّهِ﴾، أَي: شَرَائِعُهُ وَمَحَارِمُهُ، ﴿وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ﴾، أَي: يُخْرِجُ عَنْهَا وَيَتَجَاوَزُهَا إِلَى غَيْرِهَا وَلَا يَأْتِمِرُ بِهَا، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، أَي: بِفَعْلٍ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، أَي: إِنَّمَا أَبْقَيْنَا الْمُطَّلَقَةَ فِي مَنْزِلِ الزَّوْجِ فِي مُدَّةِ الْعِدَّةِ لَعَلَّ الزَّوْجَ يَنْدِمُ عَلَى طَلَاقِهَا وَيَخْلُقُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ رَجْعَتَهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَيْسَرَ وَأَسْهَلَ، قَالَ الزَّهْرِيُّ، عَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قَالَتْ: هِيَ الرَّجْعَةُ. وَكَذَا قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَعَطَاءٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضُّحَّاكُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ،

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٧١ ح ١٤ وأبو داود ٢١٨٥ والنسائي ١٣٩٦/٦ وأحمد ٨١/٢ - ٨٠ والشافعي ٣٣/٢ والبيهقي ٣٢٧/٧.

والثوري. ومن ها هنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم، كالإمام أحمد بن حنبل - رحمهم الله - أنه لا تجب السكنى للمبتوتة، وكذا المتوفى عنها زوجها.

[٦٨٥٨] واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية، حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات، وكان غائباً عنها باليمن، فأرسل إليها بذلك، فأرسل إليها وكيله بشعير نفقة، فتسخطته، فقال: والله ليس لك علينا نفقة، فأنت رسول الله ﷺ فقال: «ليس لك عليه نفقة»، ولمسلم: «ولا سكنى»، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك»^(١). . . الحديث.

[٦٨٥٩] وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخرى بلفظ آخر، فقال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُجَالِدٌ، حَدَّثَنَا عَامِرٌ قَالَ: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ فَحَدَّثَنِي أَنَّ زَوْجَهَا طَلَّقَهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، قَالَتْ: فَقَالَ لِي أَخُوهُ: أَخْرِجِي مِنَ الدَّارِ. فَقُلْتُ: إِنَّ لِي نَفَقَةً وَسُكُنًى حَتَّى يَحِلَّ الْأَجَلُ. قَالَ: لَا. قَالَتْ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ فُلَانًا طَلَّقَنِي، وَإِنْ أَخَاهُ أَخْرَجَنِي وَمَنَعَنِي السُّكُنَى وَالنَّفَقَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا لَكَ وَلابْنَةِ آلِ قَيْسٍ!» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَخِي طَلَّقَهَا ثَلَاثًا جَمِيعًا. قَالَتْ: فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: انْظُرِي يَا بِنْتَ آلِ قَيْسٍ، إِنَّمَا النِّفَقَةُ وَالسُّكُنَى لِلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا مَا كَانَتْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ فَلَا نَفَقَةَ وَلَا سُكُنًى. أَخْرَجَنِي فَانْزِلِي عَلَى فُلَانَةٍ. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، انْزِلِي عَلَى ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، إِنَّهُ أَعْمَى لَا يَرَاكَ»^(٢). . . وذكر تمام الحديث.

[٦٨٦٠] وقال أبو القاسم الطبراني: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزَارِيُّ الثُّمَثَرِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّوَّافِ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْبَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أُخْتِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسِ الْقُرَشِيِّ، وَزَوْجَهَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِي، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ أَرْسَلَ إِلَيَّ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ فِي جَيْشٍ إِلَى الْيَمَنِ بِطَلَّاقِي، فَسَأَلْتُ أَوْلِيَاءَهُ النِّفَقَةَ عَلَيَّ وَالسُّكُنَى، فَقَالُوا: مَا أَرْسَلَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ شَيْئًا، وَلَا أَوْصَانًا بِهِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ أَرْسَلَ إِلَيَّ بِطَلَّاقِي، فَطَلَبْتُ السُّكُنَى وَالنِّفَقَةَ عَلَيَّ، فَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُ: لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا السُّكُنَى وَالنِّفَقَةُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا كَانَ لَزَوْجِهَا عَلَيْهِ رَجْعَةٌ، فَإِذَا كَانَتْ لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَلَا نَفَقَةَ لَهَا وَلَا سُكُنًى»^(٣). وكذا رواه النسائي، عن أحمد بن يحيى الصوفي، عن أبي نُعَيْمٍ الْفَضْلِ بْنِ دُكَيْنٍ، عن سَعِيدِ بْنِ يَزِيدٍ - وَهُوَ الْأَحْمَسِيُّ الْبَجَلِيُّ الْكُوفِيُّ - قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: «هُوَ شَيْخٌ، يُرَوَّى عَنْهُ».

﴿إِذَا بَلَغَ اِجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَى اللَّهَ بِجَمَلٍ لَّهُ بَحْرُمًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٨٠ والترمذي ٤٨٥/٣ والنسائي ٤٦٤/١٢ وابن حبان ٤٢٥٣.

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٣/٦ وإسناده غير قوي لأجل مجالد بن سعيد، لكن لأصله طرق.

(٣) حسن. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٥٥٩٦ والطبراني في «الأوسط» ١١٦٤. وإسناده حسن، سعيد صدوق، وباقى إسناده النسائي ثقات، وللحديث طرق.

يقول تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ الْمَعْتَدَاتُ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك، ولكن لم تفرغ العدة بالكُلِّية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رَجَعْتُهَا إلى عصمة نكاحه والإستمرار بها على ما كانت عليه عنده، ﴿يَعْرِفُونَهَا﴾، أي: محسناً إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها ﴿يَعْرِفُونَهَا﴾ أي: من غير مُقَابَحَةٍ ولا مُشَامَةِ ولا تعنيف، بل يُطَلِّقُهَا على وَجْهِ جَمِيلٍ وَسَبِيلٍ حَسَنٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، أي: على الرجعة إذا عَزَمْتُمْ عليها، كما رواه أبو داود وابن ماجه، عن عمران بن حصين: أنه سُئِلَ عن الرجل يُطَلِّق امرأته ثم يَقَعُ بها ولم يُشْهِد على طلاقها ولا على رَجْعَتِها فقال: طَلَّقْتَ لغير سُنَّةٍ، وَرَجَعْتَ لغير سُنَّةٍ، أَشْهِدُ على طلاقها وعلى رَجْعَتِها، ولا تُعَذِّب. وقال ابن جُرَيْج: كان عطاء يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل، كما قال الله عز وجل، إلا أن يكون من عُدَّة. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كُمُ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي: هذا الذي أمرناكم به من الإِشْهَاد وإقامة الشهادة إنما يَأْتَمِرُ به مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وأنه شَرَعَ هذا، ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة. ومن ها هنا ذهب الشافعي - في أحد قوليهِ - إلى وجوب الإِشْهَاد في الرجعة، كما يجبُ عنده في ابتداء النكاح. وقد قال بهذا طائفة من العلماء، ومن قال بهذا يقول: إن الرجعة لا تَصِحُّ إلا بالقول ليقع الإِشْهَاد عليها. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أي: ومن يَتَّقِ الله فيما أمره به، وتَرَكَ ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يَحْتَسِبُ، أي: من جهة لا تَخْطُرُ بباله.

[٦٨٦١] قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا كَهْمَسُ بن الحسن، حدثنا أبو السليل، عن أبي ذر قال: جعل رسول الله ﷺ يَتْلُو عَلَيَّ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، حتى فَرَّغَ من الآية، ثم قال: «يا أبا ذر! لو أن الناس كُلَّهُم أخذوا بها كفتمهم. قال: فجعل يتلوها ويرددها علي حتى نَعَسْتُ. ثم قال: يا أبا ذر! كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قلت: إلى السعة والدعة أنطلق، فأكون حمامة من حمام مكة. قال: كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قال قلت: إلى السعة والدعة، إلى الشام والأرض المقدسة. قال: وكيف تصنع أن أخرجت من الشام. قلت: إذا - والذي بعثك بالحق - أضع سيفي على عاتقي^(١). قال: أو خير من ذلك؟ قلت: أو خير من ذلك؟ قال: تَسْمَعُ وتُطِيعُ وإن كان عبداً حَبَشِيًّا^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا زكريا، عن عامر، عن شُثَيْرِ بن شَكْلٍ قال: سَمِعْتُ عبد الله بن مسعود يقول: إن أَجْمَعَ آيَةٍ في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

(١) كناية عن إرادته القتال.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٨/٥ - ١٧٩ والحاكم ٤٩٢/٢ والبيهقي في «الشعب» ١٣٣٠ من حديث أبي ذر وإسناده منقطع بين أبي السليل، وأبي ذر، وذكر ذلك الهيثمي في «المجمع» ٩١٣٠ في حين جرئ الحاكم على ظاهره، فصححه، ووافقه الذهبي! لكن ورد من وجه آخر فقد أخرجه أحمد ٤٥٧/٦ من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن أبي ذر وقال الهيثمي ٩١٢٩: فيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف، وقد وثق أنه كذا قال الهيثمي - رحمه الله - في شهر، إنه ضعيف. وفي ذلك نظراً فقد قال الحافظ في «التقريب» صدوق كثير الإرسال والأوهام. وقد روى له مسلم اهـ. وهذا الحديث رواه عن أسماء، وهو متصل فإنه سمع منها. وأما كونه يهـ، فقد ورد من وجه آخر، كما ترى، ولاكثره شواهد، والله تعالى أعلم. فهو حسن إن شاء الله.

وَالْإِخْسَانِ [النحل: ٩٠]، وَإِنْ أَكْثَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

[٦٨٦٢] وفي المسند: حَدَّثَنِي مَهْدِي بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ مُصْعَبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^(١). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»، يَقُولُ: يُنْجِيهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ «وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ». وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»، أَي: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ضَاقَ عَلَى النَّاسِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: مَنْ طَلَّقَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَكَذَا زُيْدُ بْنُ أَبِي عُبَّاسٍ، وَالضُّحَّاكُ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمَسْرُوقٌ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»، يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ إِنْ شَاءَ مَنَعَ وَإِنْ شَاءَ أَعْطَى، «مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، أَي: مِنْ حَيْثُ لَا يَذَرِي. وَقَالَ قَتَادَةُ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»، أَي: مِنْ شُبُهَاتِ الْأُمُورِ وَالْكَزْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ «وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، مِنْ حَيْثُ لَا يَرْجُو وَلَا يُؤْمَلُ.

[٦٨٦٣] وَقَالَ السَّيِّدِيُّ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ»: يُطْلَقُ لِلْسَّنَةِ، وَيُرَاجَعُ لِلْسَّنَةِ، وَزَعِمَ أَنَّ رُجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ: «عَرَفَ بَنَ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ، كَانَ لَهُ ابْنٌ، وَأَنَّ الْمَشْرُوكِينَ أَسْرَوْهُ، فَكَانَ فِيهِمْ، وَكَانَ أَبُوهُ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَشْكُو إِلَيْهِ مَكَانَ ابْنِهِ وَحَالَهُ الَّتِي هُوَ بِهَا وَحَاجَتَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ، وَيَقُولُ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجًا». فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا يَسِيرًا أَنْ انْفَلَتَ ابْنُهُ مِنْ أَيْدِي الْعَدُوِّ فَمَرَّ بِغَنَمٍ مِنْ أَغْنَامِ الْعَدُوِّ، فَاسْتَأْقَاهَا فَجَاءَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ، وَجَاءَ مَعَهُ بِغَنَى قَدْ أَصَابَهُ مِنَ الْغَنَمِ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» ﴿وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢). رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَرَوَى أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ مُرْسَلًا نَحْوَهُ.

[٦٨٦٤] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَخْرُمُ الرِّزْقُ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدَّعَاءَ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرَّ»^(٣). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ، مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ - وَهُوَ الثَّوْرِيُّ - بِهِ.

[٦٨٦٥] وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: جَاءَ مَالِكُ الْأَشْجَعِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: أَسِرَ ابْنِي عَوْفٌ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْسِلْ إِلَيْهِ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَكَانُوا قَدْ شَدُّوهُ بِالْقِدِّ فَسَقَطَ الْقِدُّ عَنْهُ، فَخَرَجَ، فَلَإِذَا هُوَ بِنَاقَةٍ لَهُمْ فَزَكَّيْهَا، وَأَقْبَلَ فَلَإِذَا بِسَرْحِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ شَدُّوهُ فَصَاحَ بِهِمْ، فَاتَّبَعَ أَوَّلَهَا آخِرَهَا، فَلَمْ يَقْضَ أَبُوبِهِ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي بِالْبَابِ، فَقَالَ أَبُوهُ: عَوْفُ رَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: وَاسْوَأَاتُهُ. وَعَوْفٌ كَيْفَ يَقْدَمُ؟ لَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْقِدِّ - فَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَالْخَادِمُ، فَلَإِذَا عَوْفٌ قَدْ مَلَأَ الْفِنَاءَ إِبِلًا، فَقَصَّصَ عَلَى أَبِيهِ أَمْرَهُ وَأَمَرَ الْإِبِلَ، فَقَالَ أَبُوهُ: قَفَا حَتَّى آتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْأَلَهُ عَنْهَا. فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ عَوْفٍ وَخَبَرِ الْإِبِلِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْتَ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِمَالِكَ.

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ١٥١٨ والنسائي ١٠٢٩٠ وابن ماجه ٣٨١٩ والحاكم ٢٦٢/٤ وأحمد ٤٢٨/١ والبيهقي ٣/٣٥١. وصححه الحاكم، وتعبه الذهبي، فقال: الحكم بن مصعب، فيه جهالة اهـ. بل جزم الحافظ في «التقريب» بأنه مجهول، وضعفه العقيلي وابن حبان، وقال: لا يجل الرواية عنه، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٢٨٧ وورد من وجوه متعددة تنوئى بمجموعها. انظر «الدر المنثور» ٦/٣٥٤ - ٣٥٥.

(٣) تقدم تخريجه.

ونزل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١). رواه ابن أبي حاتم.

[٦٨٦٦] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها»^(٢). وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

[٦٨٦٧] قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، حدثنا قيس بن الحجاج، عن حنّس الصنعاني، عن عبد الله بن عباس: أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»^(٣). وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد، وابن أبي عمير، به. وقال: «حسن صحيح».

[٦٨٦٨] وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا بشير بن سلمان، عن سيار أبي الحكم، عن طارق ابن شهاب، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزل به حاجة فانزلها بالناس كان قمناً ألا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل، أو بموت آجل»^(٤). ثم رواه عن عبد الرزاق، عن سفیان، عن بشير، عن سيار أبي حمزة، ثم قال: وهو الصواب، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾، أي: مُفِذُ قَضَايَاهُ وَأَحْكَامِهِ فِي خَلْقِهِ بما يُريدُه ويشاؤه، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾.

﴿وَالَّذِي يَسْتَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضُمَنَّ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝٥﴾

يقول تعالى مُبَيَّنًا لِعِدَّةِ الْآيَةِ - وهي التي قد انقطع عنها الحيض لِكِبَرِهَا - : أنها ثلاثة أشهر عوضاً عن الثلاثة قُرُوءٍ في حق من تحيض، كما دلت على ذلك آية «البقرة»، وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض

(١) هذا مرسل، وورد من مرسل سالم بن أبي الجعد، أخرجه الطبري ٣٤٢٨٨ و٣٤٢٨٩ وهو مرسل صحيح، وورد من حديث جابر، أخرجه الحاكم ٤٩٢/٢ والواحد ٨٢٨ وإسناده ضعيف، صححه الحاكم، وقال الذهبي: بل منكر، وعباد بن يعقوب رافضي جبل، وعبيد بن كثير متروك. قلت: فهذا شاهد وإو، لكن تقدم ثلاثة مراسيل تتأيد بمجموعها، والله أعلم، وانظر «الدر المنثور» ٣٥٤/٦ - ٣٥٥.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه الخطيب ١١٩١/٧ والطبراني في «الصغير» ٣٢١، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨١٨٩: فيه إبراهيم بن الأشعث، وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان في «الثقات» لكن قال: يغرب، ويخطئ، ويخالف، وبقية رجاله ثقات اهـ. قلت: الحسن لم يسمع من عمران، والله تعالى أعلم.

(٣) حديث قوي، وتقدم في سورة الزمر: ٣٨.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ٤٤٢/١ ح ٤٢٠٧ ورجاله ثقات معروفون، لكن كرره أحمد ح ٤٢٠٨ عن سيار أبي حمزة. وهو مقبول كما في التقريب. فالإسناد لا بأس به إن شاء الله.

أَنْ عِدَّتْهُنَّ كَعِدَّةِ الْآيَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرْبَتُمْ﴾، فيه قولان: أحدهما - وهو قول طائفة من السلف، كمجاهد، والزهرى، وابن زيد - أي: إن رأين دماً وشككتن في كونه حيضاً أو استحاضة، وارتبتم فيه. والقول الثاني: إن ارتبتم في حكم عدتھن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر. وهذا يؤزى عن سعيد بن جبیر، وهو اختيار ابن جرير، وهو أظهر في المعنى.

[٦٨٦٩] واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وأبي السائب قالوا: حدثنا ابن إدريس، أخبرنا مطرف، عن عمرو بن سالم قال: قال أبي بن كعب: يا رسول الله! إن عدداً من عدد النساء لم تذكر في الكتاب: الصغار والكبار وأولات الأحمال. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(١).

[٦٨٧٠] ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أخبرنا جرير، عن مطرف، عن عمرو بن سالم، عن أبي بن كعب قال: قلت لرسول الله ﷺ إن ناساً من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في «البقرة» في عدة النساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن: الصغار والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض، وذوات الحمل. قال: فأنزلت التي في النساء القصوى: ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، يقول تعالى: ومن كانت حاملاً فعدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بقواق ناقة، وفي قول جمهور العلماء من السلف والخلف، كما هو نص هذه الآية الكريمة، وكما وردت به السنة النبوية. وقد روي عن علي، وابن عباس - رضي الله عنهم - أنهما ذكبا في المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر، عملاً بهذه الآية الكريمة، والتي في سورة «البقرة».

[٦٨٧١] وقد قال البخاري: حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان، عن يحيى قال: أخبرني أبو سلمة قال: «جاء رجل إلى ابن عباس - وأبو هريرة جالس - فقال: أفئتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة. فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قلت أنا: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قُتِلَ زوج سُبَيْعة الأسلمية وهي حُبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خطبها^(٣). هكذا أورد البخاري هذا الحديث ها هنا مختصراً. وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه آخر.

[٦٨٧٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا حماد بن أسامة، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن المشور بن مخزومة أن سُبَيْعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهي حامل، فلم تمكث إلا ليالي حتى وضعت، فلما تعلت من نفاسها

(١) أخرجه الحاكم ٤/٤٩٢ - ٤٩٣ والواحد ٨٣٠ والبيهقي ٧/٤١٤ من حديث أبي بن كعب. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وإسناده منقطع، عمرو بن سالم لم يسم من أبي بن كعب كما في «التهذيب» وهو شبه مجهول. فقد قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول. فالإسناد ضعيف.

(٢) إسناده منقطع كسابقه.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٩.

خُطِبت، فاستأذنت رسولَ الله ﷺ في النكاح، فَأَذِنَ لها أَنْ تُنكَحَ، فَتُكْحَتُ^(١). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، مِنْ طُرُقٍ عَنْهَا.

[٦٨٧٣] كَمَا قَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ: أَنَّ أَبَاهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ الزَّهْرِيِّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ فَيَسْأَلَهَا عَنْ حَدِيثِهَا وَعَمَّا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَفْتَتْهُ. فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُخْبِرُهُ أَنَّ سُبَيْعَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ - وَكَانَ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ - فَتَوَفَّى عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشُبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نَفْسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعَكِكٍ فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكَ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكَ تَرْجِينَ النِّكَاحَ، إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ. قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوُجِ إِنْ بَدَأَ لِي^(٢). هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُخْتَصَرًا.

[٦٨٧٤] ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ بَعْدَ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو النُّعْمَانِ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ - هُوَ ابْنُ سِيرِينَ - قَالَ: كُنْتُ فِي حَلَقَةٍ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُعْظَمُونَهُ، فَذَكَرَ آخِرَ الْأَجَلِينَ، فَحَدَّثْتُ بِحَدِيثِ سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: فَصَمَزَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ، قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقَطِنْتُ لَهُ فَقُلْتُ: إِنِّي لَجَرِيءٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ. قَالَ: فَاسْتَحْيَا وَقَالَ: وَلَكِنْ عَمَهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ. فَلَقِيتُ أَبَا عَطِيَّةَ مَالِكَ بْنَ عَامِرٍ فَسَأَلْتُهُ، فَذَهَبَ يُحَدِّثُنِي بِحَدِيثِ سُبَيْعَةَ، فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِيهَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: أَتَجْعَلُونَ عَلَيْهَا التَّغْلِيطَ وَلَا تَجْعَلُونَ عَلَيْهَا الرِّخَصَةَ؟ لَنَزَلَتْ سُورَةُ الْقُصْرِىُّ بَعْدَ الطُّوْلِى^(٣): ﴿وَأَوَّلَتْ الْأَحْمَالُ أَجْلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾. وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ، مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَيُّوبَ بِهِ مُخْتَصَرًا: وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، فَذَكَرَهُ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: حَدَّثَنِي زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنُ أَبَانَ الْمَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ شُبْرُمَةَ الْكُوفِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: مَنْ شَاءَ لَاعَتْنَتْهُ، مَا نَزَلَتْ ﴿وَأَوَّلَتْ الْأَحْمَالُ أَجْلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، إِلَّا بَعْدَ آيَةِ الْمَتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجَهَا. قَالَ: وَإِذَا وَضَعَتِ الْمَتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجَهَا فَقَدْ حَلَّتْ. يُرِيدُ بِآيَةِ الْمَتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجَهَا: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبِّصْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، بِهِ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ:

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٢٠ والنسائي ١٩٠/٦ وابن ماجه ٢٠٢٩ وأحمد ٣٢٧/٤ والشافعي ٥٢/٢ - ٥٣ والبيهقي ٧/٤٢٨ والبخاري ٢٣٨٧ والطبراني ٦٥٥/٢٠ وابن حبان ٤٢٩٨.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٨٤ ح ٥٦ والبخاري ٥٣١٩ وأبو داود ٢٣٠٦ والنسائي ١٩٤/٦ - ١٩٥ - ١٩٦ وابن ماجه ٢٠٢٨ والطبراني ٧٤٥/٢٤ - ٧٤٦ والبيهقي ٤٢٨/٧ وابن حبان ٤٢٩٤.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٠ تعليقاً، ووصله الطبراني والبيهقي كما في «الفتح» ٦٥٥/٨، ومن وجه آخر، أخرجه النسائي ٥٧١٥.

ذَكَرَ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ آخِرَ الْأَجْلِينَ، فَقَالَ: مَنْ شَاءَ قَاسَمْتُ بِاللَّهِ أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ الْقُصْرَى نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ وَالْعَشْرِ، ثُمَّ قَالَ: أَجَلُ الْحَامِلِ أَنْ تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضَّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: بَلَغَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: آخِرُ الْأَجْلِينَ. فَقَالَ: مَنْ شَاءَ لَاعْنَتُهُ، إِنْ الَّتِي فِي النِّسَاءِ الْقُصْرَى نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَقْرَةِ: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي معاويةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ.

[٦٨٧٥] وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَقْدِسِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، الْمُطْلَقَةُ ثَلَاثًا أَوْ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا؟ فَقَالَ: هِيَ لِلْمُطْلَقَةِ ثَلَاثًا وَلِلْمُتَوَفَّى عَنْهَا^(١). هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا، بَلْ مُنْكَرٌ؛ لِأَنَّهُ فِي إِسْنَادِهِ الْمُثَنَّى بْنُ الصَّبَّاحِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ الْحَدِيثُ بِمَرَّةٍ.

[٦٨٧٦] وَلَكِنْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ آخَرَ فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ السَّمْنَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ - يَعْنِي الْحَرَائِي - حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَا أَدْرِي أَمْشَرَكَةَ أَمْ مُبْهَمَةً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آيَةُ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، الْمُتَوَفَّى عَنْهَا وَالْمُطْلَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ^(٢). وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ، بِهِ.

[٦٨٧٧] ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ أَيْضًا، عَنْ مَالِكِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي الْمُخَارِقِ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، قَالَ: «أَجَلُ كُلِّ حَامِلٍ أَنْ تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا»^(٣). عَبْدُ الْكَرِيمِ هَذَا ضَعِيفٌ، وَلَمْ يَدْرِكْ أَبًيًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، أَيُّ: يُسْهَلُ لَهُ أَمْرُهُ، وَيُسِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ فَرْجًا قَرِيبًا وَمَخْرَجًا عَاجِلًا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾، أَيُّ: حُكْمُهُ وَشَرْعُهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ بِوَاسِطَةِ رَسُولِهِ ﷺ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾، أَيُّ: يُذْهِبُ عَنْهُ الْمَحْذُورَ، وَيُجْزِلُ لَهُ الشَّوَابَ عَلَى الْعَمَلِ الْيُسِيرِ.

﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيْقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسِئْرٌ ضَرْعٌ لَهُ أُخْرَى ۖ﴾
لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا
سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

(١) ضَعِيفٌ. أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي «مُسْنَدِ أَبِيهِ» ١١٦/٥، وَفِيهِ الْمُثَنَّى بْنُ الصَّبَّاحِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَتَابِعَهُ ابْنُ لَهِيْعَةَ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ ٣٤٣١٧، لَكِنْ ابْنُ لَهِيْعَةَ وَابْنُ. وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٤٣١٨ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي الْمُخَارِقِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ كَعْبٍ وَهَذَا مُنْقَطِعٌ، وَمَعَ انْقِطَاعِهِ ابْنُ أَبِي الْمُخَارِقِ، ضَعِيفٌ كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ، فَالْخَبَرُ ضَعِيفٌ وَالْأَشْبَهُ فِيهِ الْوَقْفُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) فِيهِ ابْنُ لَهِيْعَةَ ضَعِيفٌ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ عَمْرٍو، وَإِنَّمَا أَخَذَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ عَنِ الْمُثَنَّى، رَاجِعٌ «إِلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ».

(٣) ضَعِيفٌ. أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٤٣١٨ وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ وَمُنْقَطِعٌ، انْظُرْ مَا سَبَقَ.

يقول تعالى آمراً عباده إذا طلق أحدكم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها، فقال: ﴿أَسْكُونُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾، أي: عندكم، ﴿بَيْنَ وَبَيْنِكُمْ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني سعتكم. حتى قال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، قال مقاتل بن حيان: يعني يضاجرها ليقتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه. وقال الثوري، عن منصور، عن أبي الضحى: ﴿وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف، وجماعات من الخلف: هذه في البائن، إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملاً أو حائلاً. وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات، وإنما نص على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية، لأن الحمل تطول مدته غالباً، فاحتيج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع، لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة. ثم اختلف العلماء: هل النفقة لها بواسطة الحمل، أو للحمل وحده؟ على قولين مخصوصين عن الشافعي وغيره، ويتفرع عليها مسائل مذكورة في علم الفروع.

وقوله تعالى: ﴿إِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، أي: إذا وضعن حملهن ومن طوالق، فقد بن بانقضاء عدتهن، ولها حينئذ أن ترضع الولد، ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ - وهو: باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالباً إلا به - فإن أرضعت استحققت أجره مثلها، ولها أن تعاقده أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجره، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾. وقوله: ﴿وَأَنْزِلُوا بَيْنَكُمُ بَعْزُوكُمْ﴾، أي: ولكن أموركم فيما بينكم بالمعروف، من غير إضرار ولا مضارة، كما قال في سورة البقرة: ﴿لَا تُضَارُّوهُ وَلِلَّهِ يُولَدُ وَلَا يُولَدُ لَهُ يُولَدُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكَسَّرْتُمْ فَتَرْضِعْ لَكُمْ أُخْرَى﴾، أي: وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجره الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلى ذلك، أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه، فليسترضع له غيرها. فلو رضيت الأم بما استوجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها. وقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾، أي: لينفق على المولود والده أو وليه، بحسب قدرته، ﴿وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهُ﴾، كقوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، عن أبي سنان قال: سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة، فقيل: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام. فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها، فما لبث أن لبس اللين من الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره، فقال: رحمه الله، تأول هذه الآية: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾.

[٦٨٧٨] وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا هاشم بن مرزئد الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، أخبرني أبي، أخبرني ضَمَضَمُ بْنُ زُرْعَةَ، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري - واسمه الحارث - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق، فتصدق منها بأوقية. وكان لآخر مائة أوقية، فتصدق منها بعشر أواق. فقال رسول الله ﷺ: هم في الأجر سواء، كل قد تصدق بعشر ماله، قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾^(١). هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(١) حسن. أخرجه الطبراني ٣٤٣٩ وفي «مسند الشاميين» ١٦٦٢. وقال الهيثمي: وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وفيه ضعف. قلت: وشرح لم يسمع من أبي مالك، لكن له شاهد من حديث علي، أخرجه أحمد ٧٤٣ - بترقيم شاكرو - والبخاري ٩٤٦، وفيه الحارث الأمور ضعيف، لكن يصلح شاهداً لما قبله.

وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عَذْرَىٰ ذِي الْقُرْبَىٰ وَهُوَ لَا يُخْلِفُهُ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعِزِّ لَعِزًّا﴾ [الشرح: ٥-٦].

[٦٨٧٩] وقد رَوَى الإمام أحمد حديثاً - يحسن أن نذكره ها هنا -، فقال: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب قال: قال أبو هريرة: بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء، فجاء الرجل من سفره، فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته مسغبة شديدة، فقال لامرأته: عندك شيء؟ قالت: نعم، أبيض، أتاكَ رزقُ الله. فاستحثها فقال: ويحك! ابتغي إن كان عندك شيء. قالت: نعم، هنيئة - ترجو رحمة الله - حتى إذا طال عليه الطوى قال: ويحك! قومي فابتغي إن كان عندك شيء فأتيني به، فإني قد بلغتُ وجُهدتُ. فقالت: نعم، الآن يُنْضِجُ التَّنُورُ فلا تعجل. فلما أن سكّت عنها ساعةً وتحيت أن يقول لها، قالت من عند نفسها: لو قمْتُ فنظرتُ إلى ثُورِي؟ فقامت فنظرت إلى ثُورها ملآن جُئوبَ الغنم، ورحيبها تطحنان، فقامت إلى الرحي فنقضتها، واستخرجت ما في ثُورها من جُئوبِ الغنم. قال أبو هريرة: فوالذي نفسُ أبي القاسم بيده، عن قول محمد ﷺ: «لو أخذت ما في رحيبها ولم تنفضها لَطَحَّتْها إلى يوم القيامة»^(١).

[٦٨٨٠] وقال في موضع آخر: حدثنا أبو عامر، حدثنا أبو بكر، عن هشام، عن محمد - هو ابن سيرين - عن أبي هريرة قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رأت امرأته قامت إلى الرُحى فوضعتها، وإلى الثور فسجّرتة، ثم قالت: اللهم ارزقنا. فنظرت، فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى الثور فوجدته مُمتلئاً، قال: فرجع الزوج قال: أصبتم بعدي شيئاً؟ قالت امرأته: نعم، من ربنا. قام إلى الرُحى، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة»^(٢).

﴿وَكُنْ مِنْ قَرِيبٍ عِنْتُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكِرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ

زنگنه

يقول تعالى متوعداً لمن خالف أمره، وكذب رُسُلَه، وسلك غير ما شرَّعه، ومخيراً عما حلَّ بالأُمم السالفة بسبب ذلك، فقال تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُشِدِهِ﴾، أي: تمرَّدت وطغَتْ واستكبرت عن اتِّباع أمر الله ومتابعة رسله، ﴿فَعَسَىٰ أَنْتَ مِنْ جِزَائِهَا شَرِيدًا وَعَذَابُهَا عَذَابٌ أَكْثَرُ﴾. أي: منكراً فظليعاً. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، أي: غِيبٌ مُخَالَفَتِهَا، وَنِدْمُهَا حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، ﴿وَكَانَ عَقِبَهُ آتِيهَا خُسْرًا﴾ ﴿١﴾ أَهْدَىٰ اللَّهُ لَهَا سَبِيلًا، أي: في

(١) أخرجه أحمد ٤١/٢ وإسناده ضعيف، ابن حوشب كثير الإرسال، وقد ساقه بصيغة تدل على عدم سماعه، وانظر ما بعده.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٥١٣/٢ وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٥٦/١٠: رجاله ثقات. قلت: هو يتأيد بما قبله فهو حسن، والله أعلم. تنبيه: عجزه فقط مرفوع.

الدار الآخرة، مع ما عَجَّلَ لهم في الدنيا. ثم قال تعالى بعد ما قَصَّ من خَبَرِ هؤلاء: ﴿فَأَنذَرُوا اللَّهَ يَأْتُوايَ الْأَلْبَابِ﴾، أي: الأفهام المُسْتَقِيمَةِ، لا تكونوا مثلهم فَيُصِيبُكُمْ ما أَصَابَهُمْ يا أُولِي الْأَلْبَابِ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: صَدَقُوا بالله ورسوله، ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾، يعني القرآن. كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَاظِمُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾، قال بعضهم: ﴿رُسُلًا﴾ منصوب على أنه بَدَلُ اشْتِمَالٍ ومُلاَبَسَةٍ، لأن الرسول هو الذي بَلَغَ الذِّكْرَ. وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذِّكْرِ، يعني تفسيراً له، ولهذا قال تعالى: ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾، أي: في حال كَوْنِهَا بَيِّنَةٌ واضحة جَلِيَّةٌ، ﴿يَخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، كقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي: من ظُلُمَاتِ الكُفْرِ والجَهِلِ إلى نور الإيمان والعلم. وقد سَمَى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا؛ لما يحصل به من الهدى، كما سَمَّاهُ رُوحاً؛ لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِن مَّا أَمْرًا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَبِعَمَلِهِ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لِمَن يَزْكَا﴾. قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة، بما أغنى عن إعادته هنا. والله الحمد والمنة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢)

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم، ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شَرَعَ من الدين القويم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، كقوله تعالى إخباراً عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَوَلَمْ تَرَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [١٥]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، أي: سبعا أيضاً.

[٦٨٨١] كما ثبت في الصحيحين: «مَنْ ظَلَمَ قِيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(١). [٦٨٨٢] وفي صحيح البخاري: «خُصِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٢). وقد ذَكَرْتُ طَرَفَهُ وَالْفَاظَهُ وَعَزَوَّهُ فِي أَوَّلِ «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» عِنْدَ ذِكْرِ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ. وَمَنْ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى سَبْعَةِ أَقَالِيمٍ فَقَدْ أَبْعَدَ الثَّجَعَةَ، وَأَغْرَقَ فِي النَّزْعِ، وَخَالَفَ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ بِلَا مُسْتَنَدٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «سُورَةِ الْحَدِيدِ» عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ذِكْرُ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَبَعْدُ مَا بَيَّنَّهُنَّ، وَكَشَافَةُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَمْسَمِئَةِ عَامٍ. وَهَكَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ.

[٦٨٨٣] وكذا الحديث الآخر: «ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن، والأرضون السبع، وما فيهن وما بينهن في الكرسي، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال: لو حَدَّثْتُكُمْ بِتَفْسِيرِهَا لَكُفَرْتُمْ،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الرعد، آية: ٢، وهو غير صحيح.

وكفركم تكذيبكم بها. وحدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ فِيهَا﴾... الآية، فقال ابن عباس: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر. وقال ابن جرير، حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ فِيهَا﴾، قال عمرو: قال: في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق. وقال ابن المثنى في حديثه: في كل سماء إبراهيم.

وقد روى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا، فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن يعقوب، حدثنا عبيد بن غنم النخعي، أخبرنا علي بن حكيم، حدثنا شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس أنه قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ فِيهَا﴾، قال: سبع أرضين، في كل أرض نبي كنبئكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى. ثم رواه البيهقي من حديث شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ فِيهَا﴾، قال: في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام. ثم قال البيهقي: إسناده هذا عن ابن عباس صحيح، وهو شاذ بمرّة، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا، والله أعلم.

[٦٨٨٤] قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه «التفكير والاعتبار»: حدثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سليمان، عن عثمان بن أبي دهرش قال: بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكون لا يتكلمون، فقال: ما لكم لا تتكلمون؟ فقالوا: نتفكر في خلق الله عز وجل. قال: «فكذلك فافعلوا، تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء، نورها بياضها - أو قال: بياضها نورها -، مسيرة الشمس أربعين يوماً، بها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين قط. قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: ما يذرون خلق الشيطان أم لم يخلق؟. قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: «ما يذرون خلق آدم أم لم يخلق؟»^(١) وهذا حديث مرسل، وهو منكر جداً، «وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال: «روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص، وعنه سفيان بن عيينة، ويحيى بن سليم الطائفي، وابن المبارك، سمعت أبي يقول ذلك».

آخر تفسير سورة الطلاق، والله الحمد والمنة

(١) باطل لا أصل له. فهو معضل، وعثمان بن أبي دهرش، غير مشهور بالرواية. والتن منكر جداً، وأمانة الوضع لائحة عليه. فلا حاجة للإطالة في الكلام عليه، وقد قال ابن كثير رحمه الله: منكر جداً.



وهي مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْصَاتٍ أَرْوَجُكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَوَّضَ اللَّهُ لَكَرُوحَلَةٍ أَيْمَنَكُمُ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ تَبَنَّى الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبَوَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَةً مُؤْمِنَةً قَلِيلٌ تَبَنَّى عِدَلَاتٍ سَيُخْبِرُ تَبَنَّى وَأَنْكَارًا ﴿٥﴾﴾

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة، فقيل: نزلت في شأن مارية، وكان رسول الله ﷺ قد حرّمها، فنزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْصَاتٍ أَرْوَجُكَ﴾.. الآية.

[٦٨٨٥] قال أبو عبد الرحمن النسائي: أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد، حدثنا أبي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرّمها، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾... إلى آخر الآية^(١).

[٦٨٨٦] وقال ابن جرير: حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، حدثني زيد بن أسلم: أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه، فقالت: أي رسول الله! في بيتي وعلى فراشي؟! فجعلها عليه حراماً. فقالت: أي رسول الله! كيف تحرّم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها. فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، قال زيد: فقلوه: «أنت علي حرام» لغو^(٢). وهكذا روى عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه.

[٦٨٨٧] وقال ابن جرير أيضاً، حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، قال: قال لها: «أنت علي حرام»، والله لا أطورك^(٣).

(١) صحيح. أخرجه النسائي في «السنن» ٣٩٥٩ وفي «الكبرى» ٢١ وفي «التفسير» ٦٢٧ والحاكم ٤٩٣/٢ من طريقين عن ثابت، وهو صحيح، وله شواهد، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٣٨٢ هكذا مرسلًا. لكن له شواهد وطرق كما ترى.

(٣) أخرجه الطبري ٣٤٣٨٥. وهو مرسل كسابقه.

[٦٨٨٨] وقال سفيان الثوري وابن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: ألقى رسول الله ﷺ وحرم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين^(١). رواه ابن جرير. وكذا روي عن قتادة، وغيره، عن الشعبي، نفسه. وكذا قال غير واحد من السلف، منهم الضحاك، والحسن، وقاتدة، ومقاتل بن حيان، وروى العوفي، عن ابن عباس القصة مطولة.

[٦٨٨٩] وقال ابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المراتان؟ قال: عائشة وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية، أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها، فوجدت حفصة، فقالت: يا نبي الله! لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك: في يومي؛ وفي دوري، وعلى فراشي. قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى. فحرمها وقال: لا تذكرني ذلك لأحد. فذكرته لعائشة، فأظهره الله عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ مَرَضَاتُ أَرْوَاجِكُمْ...﴾ الآيات كلها، فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفر يمينه، وأصاب جاريته^(٢).

[٦٨٩٠] وقال الهيثم بن كليب في مسنده: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم علي حرام. فقالت: أتحرّم ما أحل الله لك؟ قال: فوالله لا أقربها. قال: فلم يقرّبها حتى أخبرت عائشة. قال: فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ فَوَضَّ اللَّهُ لَكُمْ لِكُوفَةَ أَيْمَانِكُمْ﴾^(٣). وهذا إسناد صحيح، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا هشام الدستوائي قال: كتب إلي يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبّير: أن ابن عباس كان يقول في الحرام: يمين يكفرها. وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، يعني: أن رسول الله حرم جاريته فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾. إلى قوله: ﴿قَدْ فَوَضَّ اللَّهُ لَكُمْ لِكُوفَةَ أَيْمَانِكُمْ﴾، فكفر يمينه، فصير الحرام يميناً. ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة، عن هشام - هو الدستوائي - عن يحيى - هو ابن أبي كثير - عن ابن حكيم - وهو يعلى - عن سعيد بن جبّير، عن ابن عباس: في الحرام يمين تكفر. وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به.

وقال النسائي: أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي، حدثنا مخلد - هو ابن يزيد -، حدثنا سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبّير، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: إني جعلت امرأتي علي حراماً؟ قال: كذبت، ليست عليك بحرام، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، عليك أغلظ الكفارات، عتق رقبة. تفرد به النسائي من هذا الوجه، بهذا اللفظ.

[٦٨٩١] وقال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن مسلم،

(١) أخرجه الطبري ٣٤٣٨٣ وإسناده إلى مسروق صحيح على شرط البخاري ومسلم، وكرره ٣٤٣٨٧ من مرسل قتادة، وكرره ٣٤٣٨٩ من مرسل الضحاك.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٣٩٧ وفيه عن ابن إسحاق، وهو مدلس، لكن للحديث شواهد كثيرة، والله أعلم.

(٣) إسناده صحيح، وصححه ابن كثير، وله شواهد.

عن مُجاهِد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ لِرَءَايَةِ مَا لَمْ يَلَمْ اللَّهُ لَكَ﴾، قال: حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُرْيَتَهُ^(١). ومن هاهنا ذَهَبَ من ذهب من الفقهاء مَن قال بوجود الكفارة على من حَرَّمَ جَارِيَتَهُ أو زَوْجَتَهُ أو طَعَاماً أو شَرَاباً أو مَلْبَساً أو شَيْئاً من الْمُبَاحَات. وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة. وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية، إذا حَرَّمَ غَيْرَهُمَا أو أَطْلَقَ التَّحْرِيمَ فِيهِمَا في قوله، فأما إن نوى بالتحريم طَلَاقَ الزوجة أو عتق الأمة نَقَذَ فِيهِمَا.

[٦٨٩٢] وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الطهراني، أخبرنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْعَدَنِي، أخبرنا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ، أخبرنا عِكْرَمَةُ، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ لِرَءَايَةِ مَا لَمْ يَلَمْ اللَّهُ لَكَ﴾، في المرأة التي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ. ^(٢) وهذا قولٌ غريبٌ.

[٦٨٩٣] والصحيح أن ذلك كان في تحريمه الْعَسَل، كما قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عُبيد بن عُمر، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يَشْرَبُ عَسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأ أنا وحفصة على: أَيْتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ إني أجِدُ منك رِيحَ مَغَافِيرَ. قال: لا. ولكنني كنتُ أَشْرَبُ عَسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعودُ له، وقد خَلَفْتُ لا تُخْبِرِي بذلك أحداً، ﴿تَبَيَّنَ مَرَمَاتُ أَزْوَاجِكَ﴾^(٣). هكذا أورد هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ.

[٦٨٩٤] وقال في كتاب الأيمان والنذور: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الْحُجَّاجُ، عن ابن جريج قال: زَعَمَ عطاء أنه سَمِعَ عُبيد بن عُمر يقول: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عَسلاً فتَوَاصِيَتْ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيْتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إني أجِدُ منك رِيحَ مَغَافِيرَ؛ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فدخل على إحداهما النبي ﷺ فقالت ذلك له، فقال: لا. بل شَرِبْتُ عَسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعودُ له. فنزلت: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ لِرَءَايَةِ مَا لَمْ يَلَمْ اللَّهُ لَكَ﴾، إلى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ﴾، لعائشة وحفصة، ﴿وَلَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَّا بِبَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَيًّا﴾ لقوله: بل شَرِبْتُ عَسلاً. وقال إبراهيم بن موسى، عن هشام: «ولن أعودُ له، وقد خَلَفْتُ، فلا تُخْبِرِي بذلك أحداً»^(٤). وهكذا رَوَاهُ في كتاب الطلاق بهذا الإسناد، ولفظه قَرِيبٌ منه، ثم قال: المَغَافِيرُ: «شبيه بالَصَّمغِ، يكون في الرَّمْثِ فيه خَلَاوَةٌ، أَغْفَرَ الرَّمْثُ: إذا ظهر فيه. واحداً مَغْفُورٌ، ويقال: مَغَائِرُ». وهكذا قال الجوهرى، قال: «وقد يكون المَغْفُورُ أيضاً لِلْعُشْرِ وَالشَّمَامِ وَالسَّلْمِ وَالطَّلَحِ». قال: «وَالرَّمْثُ، بالكسر: مرعى من مراعي الإبل، وهو من الحَمْضِ». قال: والعُرْفُطُ: «شَجَرٌ مِنَ الْعِضَاءِ يَنْضَحُ الْمَغْفُورُ». وقد رَوَى مُسْلِمٌ هذا الحديث في كتاب «الطلاق» من صحيحه، عن محمد بن حاتم، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج، أخبرني عطاء، عن عُبيد بن عُمر، عن عائشة، به. ولفظه كما أوردته البخاري في الأيمان والنذور.

[٦٨٩٥] ثم قال البخاري في كتاب الطلاق: حَدَّثَنَا قَزُوءُ بْنُ أَبِي الْمَعْرَاءِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عن

(١) صحيح. أخرجه البزار ٢٢٧٤ و ٢٢٧٥ «كشف» والطبراني ١١١٣٠ وإسناده صحيح، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٢٦/٧: رجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم، وهو ثقة.

(٢) هذا غريب كما ذكر ابن كثير رحمه الله. وحفص ضعيف وقد صح عن ابن عباس خلافه كما سيأتي.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٢.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٢٦٧، ٦٦٩١.

هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُحب الحُلواءَ والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدئو من إحداهن. فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغزت فسالت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له. فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدئو منك، فإذا دنا منك فقولني: أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك: لا. فقولني له: ما هذه الرياح التي أجد؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل. فقولني: جرت نحل العرُفط. وسأقول ذلك، وقولي له أنت يا صفية ذاك. قالت - تقول سودة -: والله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أنادي به بما أمرتني فرقا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله! أكلت مغافير؟ قال: لا. قالت: فما هذه الرياح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. قالت: جرت نحل العرُفط. فلما دار إلي قلت نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله! ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت - تقول سودة -: والله لقد حرّمناه. قلت لها: اسكتي. هذا لفظ البخاري. وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، به، وعن أبي كريب، وهارون بن عبد الله، والحسن بن بشر، ثلاثهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة، به. وعنده قالت: «وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح»^(١). يعني: الريح الخبيثة، ولهذا قلن له: «أكلت مغافير»، لأن ريحها فيه شيء. فلما قال: «بل شربت عسلاً». قلن: جرت نحل العرُفط. أي: رعت نحل العرُفط الذي صمغه المغافير، فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته. قال الجوهري: جرت النحل العرُفط إذا أكلته، ومنه قيل للنحل: جوارس، قال الشاعر:

تَظَلَّ عَلَى الثُّمَرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسُ

وقال: الجزس والجزس: الصوت الخفي. ويقال: سمعت جرس الطير: إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله، وفي الحديث: «فَيَسْمَعُونَ جَرَسَ طَيْرِ الْجَنَّةِ». قال الأصمعي: كنت في مجلس شعبة قال: «فَيَسْمَعُونَ جَرَسَ طَيْرِ الْجَنَّةِ»، بالشين، فقلت: «جرس»؟! فنظر إلي فقال: خذوها عنه، فإنه أعلم بهذا منا. والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل، وهو من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن خالته عائشة. وفي طريق ابن جريج عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقت العسل، وأن عائشة وحفصة توطأتا وتظاهرتا عليه، فانه أعلم. وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا بعد في ذلك، إلا أن كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم. ومما يدل على أن عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال:

[٦٨٩٦] حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال: لم أزل خريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنْ نَوَّيَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، حتى حجَّ عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة، فبرز ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين! من المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِنْ نَوَّيَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: وأعجباً لك يا ابن عباس - قال الزهري: كره - والله - ما سأله عنه ولم يكتمه - قال: هي حفصة وعائشة. قال: ثم أخذ يسوق الحديث قال: كنا - معشر قريش - قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن

من نسائهم، قال: وكان منزلي في دار بني أمية بن زيد بالعوالي. قال: فَعَضِبْتُ يوماً عليّ امرأتي فإذا هي تُراجِعُنِي، فأنكرتُ أن تُراجِعُنِي، فقالت: ما تُنكرُ أن أراجِعَكَ؟ فوالله إن أزواجَ النبي ﷺ ليراجِعُنَّهُ، وتهجُرُهُ إحداهُنَّ اليوم إلى الليل. قال: فانطلقتُ فدخلتُ على حفصةَ فقلت: أتراجِعِينَ رسولَ الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلتُ: وتهجُرُهُ إحداكُنَّ اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلتُ: قد خابَ مَنْ فعلَ ذلكَ منكُنَّ وخَسِرَ، أفتامنُ أحدَاكُنَّ أن يَغْضِبَ اللهَ عليها لِعَظَبِ رَسولِهِ، فإذا هي قد هَلَكَتْ؟ لا تُراجِعِي رسولَ الله ﷺ ولا تُسأَلِيهِ شيئاً، وسَلِّينِي من مَالِي ما بدا لك، ولا يُغَرِّتُكَ أن كانت جارتك هي أَوْسَمَ وأحَبُّ إلى رسولِ الله ﷺ منك - يريد عائشة - قال: وكان لي جارٌّ من الأنصار، وكُنَّا تَتَنَاقَبُ النِّزولُ إلى رسولِ الله ﷺ يَنزِلُ يوماً وأنزَلَ يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك. قال: وكُنَّا نَتَحَدَّثُ أن عَسَانُ تُعِيلُ الخيلَ لِتَغزُونَنا، فَتَنزِلُ صاحِبِي يوماً ثم آتِي عِشاءَ فَضْرَبَ بابِي ثم ناداني، فخرجتُ إليه فقال: حَدَّثَ امرٌ عَظِيمٌ فقلتُ: وما ذاك؟ أجاءت عَسَانُ؟ قال: لا، بل أعظمُ من ذلك وأطولُ! طَلَّقَ رسولُ الله ﷺ نِساءَهُ، فقلتُ: قد خابت حفصة وخَسِرَت، قد كُنْتُ أَظُنُّ هذا كائناً. حتى إذا صَلَّيْتُ الصَّبحَ شَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ثم نزلتُ، فدخلتُ على حفصةَ وهي تبكي فقلتُ: أَطَلَقَكُنَّ رسولُ الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المَشْرِية. فَأَتَيْتُ غلاماً له أسودُ فقلتُ: استأذن لِعَمْرٍ. فدخل الغلامُ ثم خَرَجَ إِلَيَّ فقال: ذَكَرْتُكَ لَه فَصَمْتُ. فانطلقتُ حتى أَتَيْتُ المَنبرَ، فإذا عنده رَهْطٌ جُلُوسٌ يبكي بعضهم، فجلستُ قليلاً، ثم غلبني ما أَجِدُ، فَأَتَيْتُ الغلامَ فقلتُ: استأذن لِعَمْرٍ. فدخل ثم خَرَجَ فقال: فقد ذَكَرْتُكَ لَه فَصَمْتُ. فخرجتُ فجلستُ إلى المنبر، ثم غلبني ما أَجِدُ فَأَتَيْتُ الغلامَ فقلتُ: استأذن لِعَمْرٍ. فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذَكَرْتُكَ لَه فَصَمْتُ. فوَلَّيْتُ مَدبراً فإذا الغلامُ يدعُونِي فقال: ادخُلْ، قد أَذِنَ لك. فدخلتُ فَسَلَّمْتُ على رسولِ الله ﷺ فإذا هو مُتَكِيٌّ على رَمَلٍ خَصِيرٍ. قال الإمام أحمد: وَحَدَّثَنَا يَعْقُوبُ في حديثٍ صالح: رُمَالٍ خَصِيرٍ قد أَثَّرَ في جنبه - فقلتُ: أَطَلَقْتَ يَا رسولَ الله نِساءَكَ؟! فرفع رأسه إليّ وقال: لا. فقلتُ: اللهُ أَكْبَرُ، لو رأيتنا يا رسولَ الله ﷺ وكُنَّا مَعشَرَ قريشٍ قومًا نَغْلِبُ النِّساءَ، فلما قَدِمْنَا المدينةَ وَجَدْنَا قومًا تَغْلِبُهُمْ نِساؤُهُمْ، فَطَلَّقَ نِساؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ من نِساائِهِمْ، فَعَضِبْتُ على امرأتي يوماً فإذا هي تُراجِعُنِي، فأنكرتُ أن تُراجِعُنِي، فقالت: ما تُنكرُ أن أراجِعَكَ؟ فوالله إن أزواجَ النبي ﷺ ليراجِعُنَّهُ، وتهجُرُهُ إحداهُنَّ اليوم إلى الليل. فقلتُ: قد خابَ مَنْ فعلَ ذلكَ منكُنَّ وخَسِرَ، أفتامنُ أحدَاكُنَّ أن يَغْضِبَ اللهَ عليها لِعَظَبِ رَسولِهِ، فإذا هي قد هَلَكَتْ. فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! فَدَخَلْتُ على حفصةَ فقلتُ: لا يُغَرِّتُكَ أن كانت جارتك هي أَوْسَمَ وأحَبُّ إلى رسولِ الله ﷺ منك. فَتَبَسَّمَ أخرى، فقلتُ: أَسْتَأْذِنُ يَا رسولَ الله؟! قال: نعم. فجلستُ فرفعتُ رَأْسِي في البيت، فوالله ما رأيتُ في البيت شيئاً يَرُدُّ البَصَرَ إلا أَهْبَةً ثَلَاثَةً. فقلتُ: ادْعُ اللهَ يا رسولَ الله! أن يُوَسِّعَ على أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ على فارسَ والرومَ وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالساً وقال: أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخُطَابِ؟ أولئك قومٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا. فقلتُ: استغفر لي يا رسولَ الله! وكان أقسم ألا يدخل عليهنَّ شهراً، من شِدَّةِ مَوَجدته عليهنَّ حتى عَاتَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ^(١). وقد رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ طَرِيقٍ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، بِهِ.

[٦٨٩٧] وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبيد بن حنين، عن ابن عباس، قال: مكثتُ سنةً أريد أن أسألَ عَمْرَ بنَ الخطابَ عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبَةً له، حتى خَرَجَ حاجاً فخرجتُ معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدَلُ إلى الأراكِ لحاجةٍ له، قال: فوقفتُ حتى فَرَّغَ، ثم سرْتُ

معه فقلت: يا أمير المؤمنين! من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ؟ هذا لفظ البخاري. ولمسلم: من المرأتان اللتان قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ؟﴾ قال: عائشة وحفصة^(١). ثم ساق الحديث بطوله، ومنهم من اختصره.

[٦٨٩٨] وقال مسلم أيضاً: حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة ابن عمار، عن سيماء بن الوليد أبي زميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه، دخلت المسجد فإذا الناس يكتئون بالحصى، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه! وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب. فقلت: لأعلمن ذلك اليوم... فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة، ووعظه إياهما، إلى أن قال: «فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة^(٢) المشربة، فناديته فقلت: يا رباح، استأذن لي على رسول الله ﷺ... فذكر نحو ما تقدم، إلى أن قال: «فقلت: يا رسول الله! ما يشق عليك من أمر النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي، ونزلت هذه الآية، آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾، ﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. فقلت: أطلقتهن؟ قال: لا... فقممت على باب المسجد فناديته بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظِرُونَ مِنْهُمْ﴾^(٣) [النساء: ٨٣]. فكنث أنا استنبطت ذلك الأمر. وكذا قال سعيد بن جببر، وعكرمة، ومقاتل بن حيان، والضحاك، وغيرهم «وصالح المؤمنين»: أبو بكر وعمر - زاد الحسن البصري: وعثمان: وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: «وصالح المؤمنين»، قال: علي بن أبي طالب.

[٦٨٩٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال: أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «وصالح المؤمنين»، قال: «هو علي بن أبي طالب»^(٤)، إسناده ضعيف، وهو منكر جداً.

[٦٩٠٠] وقال البخاري: حدثنا عمرو بن عون، حدثنا هشيم، عن حميد، عن أنس، قال: قال عمر: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾، فنزلت هذه الآية^(٥). وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكن، منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

[٦٩٠١] قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا الأنصاري، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر ابن الخطاب: بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستقريتهن، أقول: لتكفرن عن رسول الله أو ليبدلن الله أزواجاً خيراً منك، حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين، فقالت: يا عمر! أما في رسول الله ما

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٣ و ٤٩١٤ ومسلم ١٤٧٩ ح ٣١ وتقدم.

(٢) الأسكفة: عتبة البيت.

(٣) وتقدم الحديث في سورة الأحزاب.

(٤) لا أصل له عن رسول الله ﷺ، وفيه راو لم يسم، وإن سمي، فهو منقطع. فإن بين محمد بن جعفر، وبين علي رضي الله عنه ثلاثة رجال في أقل تقدير. وحسب هذا المتن كونه من كلام أحد التابعين.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٦.

يعطّ نساءه، حتى تعظهن؟! فأمسكت، فأنزل الله عز وجل: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُّسْلِمًا مِّنْهُمْ مَّتَّعْتِ قَبْلَكَ نِكَاحًا عِدَلْتَ سَجَّحْتَ لَيْسَ بِكَ وَأَنْكَارًا ۝﴾^(١). وهذه المرأة التي رذته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

[٦٩٠٢] وقال الطبراني، حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدثنا إسماعيل البجلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي سنان، عن الضحّاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا إِذَا سَرَ أَلَيْسَ إِلَيْنَا بَعْضُ أَرْوَاحِهِمْ حَيًّا﴾، قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية، فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة، فإن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت». فذهبت حفصة فأخبرت عائشة، فقالت عائشة لرسول الله ﷺ: من أنباك هذا؟ قال: «يَأْتِيَا أَلَيْسَ لِرَّحْمٍ». ^(٢) إسناده فيه نظر، وقد تبين بما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات. ومعنى قوله: ﴿مُسْلِمًا مِّنْهُمْ مَّتَّعْتِ قَبْلَكَ نِكَاحًا عِدَلْتَ سَجَّحْتَ لَيْسَ بِكَ وَأَنْكَارًا﴾ ظاهر. وقوله تعالى: ﴿سَجَّحْتَ﴾، أي: صاغت، قاله أبو هريرة، وعائشة، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد ابن جبير، وعطاء، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو مالك، وإبراهيم النخعي، والحسن، وقناة والضحاك، والربيع بن أنس، والسدي، وغيرهم. وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله: ﴿الْمُسْكِرُونَ﴾ من سورة «براءة».

[٦٩٠٣] ولفظه: «سباحة هذه الأمة الصيام»^(٣). وقال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: ﴿سَجَّحْتَ﴾، أي: مهاجرات، وتلا عبد الرحمن: ﴿الْمُسْكِرُونَ﴾، أي: المهاجرون. والقول الأول أولى، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿نَيْبَتٍ وَأَنْكَارًا﴾، أي: منهن نيبات، ومنهن أبكاراً، ليكون ذلك أشهى إلى النفوس، فإن التنوع يبسط النفس، ولهذا قال: ﴿نَيْبَتٍ وَأَنْكَارًا﴾.

[٦٩٠٤] وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا أبو بكر بن صدقة، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق، حدثنا عبد الله بن أمية، حدثنا عبد القدوس، عن صالح بن حيّان، عن ابن بريدة، عن أبيه: ﴿نَيْبَتٍ وَأَنْكَارًا﴾ قال: وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يزوجه بالثيب آسية امرأة فزعون، وبالأبكار مريم بنت عمران^(٤).

[٦٩٠٥] وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم - عليها السلام - من طريق سويد بن سعيد، حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرّت خديجة فقال: إن الله يقرئها السلام، ويبشّرها ببيت في الجنة من قصب، بعيد من اللهب، لا نصب فيه ولا

(١) إسناده صحيح، وتقدم في الأحزاب.

(٢) إسناده ضعيف جداً. والمتن باطل. أخرجه الطبراني ١٢٦٤٠. وله ثلاث علل: فيه إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف. وفيه أيضاً أبو سنان سعيد بن سنان فيه ضعف، والضحاك لم يلق ابن عباس. وقد ورد من وجه آخر أخرجه الدارقطني في «سننه» ١٥٣/٤ وفيه الكلبي، وهو محمد بن السائب، متهم بالكذب. وشيخه أبو صالح أقر بأنه حدث عن ابن عباس بأشياء كذب، راجع الميزان للذهبي.

(٣) تقدم الكلام عليه في سورة براءة آية: ١١٢.

(٤) هو موقوف على بريدة، ومع ذلك لا يصح عنه، ففي الإسناد صالح بن حيّان القرشي الكوفي. ضعفه ابن معين، وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ، والمراد في الآية كون ذلك في الحياة الدنيا، لا في الآخرة. فتنبه، والله تعالى أعلم.

صَحَبَ، من لَوْلُوَّةٍ جَوَافَاءَ، بين بيتِ مريمَ بنتِ عمران، وبيتِ آسيةَ بنتِ مُزَاجِمٍ^(١). [٦٩٠٦] ومن حديث أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: أَنَّ النبي ﷺ دخلَ على خديجة، وهي في الموت، فقال: «يا خديجة، إذا لقيتِ ضَرَايِكَ فَأَقْرِئِيهِنَّ مِنِّي السَّلامَ». فقالت: يا رسولَ الله! وهل تُرَوِّجُ قَبلي؟ قال: «لا، ولكن الله زَوَّجني مريمَ بنتَ عمران، وآسيةَ امرأةَ فِرْعَوْنَ، وكلَّهم أختُ موسى»^(٢). ضعيف أيضاً.

[٦٩٠٧] وقال أبو يَغْلَى: حدثنا إبراهيم بن عَزْرَةَ، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يُونُس بن شُعَيْب، عن أبي أُمَامَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَعْلِمْتُ أَنَّ اللهَ زَوَّجَنِي فِي الْجَنَّةِ مَرِيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَكُلَّهم أختُ موسى، وآسيةَ امرأةَ فِرْعَوْنَ؟». فقلت: هنيئاً لك يا رسولَ الله!^(٣) وهذا أيضاً ضَعِيفٌ، وَرَوِي مُرْسَلًا عن أبي داود^(٤).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١) يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْزِدُهُمُ الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَوْنَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨)

قال سُفْيَان الثَّوْرِي، عن منصور، عن رجل، عن علي - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: أذْبوهم، علَّموهم. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، يقول: اعملوا بطاعة الله، وأتقوا معاصي الله، ومزوا أهليكم بالذكر يُنجيكم الله من النار. وقال مجاهد: ﴿قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بِتَقْوَى الله. وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يَقُومَ عليهم بأمر الله، يأمرهم به ويساعدُهم عليه، فإذا رأيتَ الله معصيةً قَدَعْتَهُمْ عنها وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحَّاك ومقاتل: حقٌّ على المسلم أن يَعْلَمَ أهْلَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ وإِمَانِهِ وَعَبِيدِهِ مَا فَرَضَ الله عليهم، وما نهاهم الله عنه.

(١) إسناده ضعيف. فيه سويد بن سعيد ضعفه الجمهور، وقال ابن معين: لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً. أي لأنه يأتي بمناكير، والوهن فقط في عجزه. «من لَوْلُوَّةٍ...». وأما صدره ففي الصحيح عند البخاري ٣٨١٧ ومسلم ٢٤٣٢ وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف جداً، والثن منكر. أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» كما ذكر ابن كثير في «كتاب المسيح عيسى ابن مريم» ص ١٧ من طريق محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي بهذا الإسناد. وضعفه المصنف فحسب، وليس كذلك. فإن الغلابي ضعيف الحديث. وكذبه الدارقطني وكذا الذهبي في «الميزان» ٧٥٣٧ وشيخه العباس بن بكار أسوأ حالاً منه، فقد كذبه الدارقطني أيضاً. وذكر له الذهبي أحاديث فغير عن ذلك تارة بقوله: «اتهم بحديث غصوا أبصاركم...» وتارة قال «ومن مصائبه» وتارة قال «ومن أباطيله» راجع الميزان.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه ابن عدي ١٨٠/٧ من طريق أبي يعلى. وإسناده ضعيف جداً لا شيء. له علتان: يونس بن شعيب. قال البخاري: منكر الحديث. وعنه عبد النور بن عبد الله. كذبه الذهبي في «الميزان».

(٤) أخرجه الزبير بن بكار كما في «كتاب المسيح» لابن كثير ص ١٧ عن أبي داود، وهذا مرسل كما ذكر ابن كثير رحمه الله. ومع إرساله فيه يعلى بن المغيرة، وهو مجهول، لم أقف له على ترجمة بعد بحث. وأبو داود هو نفع بن الحارث، كذبه ابن حبان وغيره.

[٦٩٠٨] وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»^(١). هذا لفظ أبي داود، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

[٦٩٠٩] ورَوَى أبو داود، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ مثل ذلك^(٢). قال الفقهاء: وهكذا في الصوم، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية، وتذكّر المُنكّر، والله الموفق.

وقوله تعالى: ﴿وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، وقودها: أي حطبها الذي يُلْقَى فيها جُثث بني آدم، ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾، قيل: المراد بذلك الأصنام التي كانت تُعبد لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٩٨]. وقال ابن مسعود، ومجاهد، وأبو جعفر الباقر، والسدي: هي حجارة من كبريت. زاد مجاهد: أنتن من الحيفة.

[٦٩١٠] ورَوَى ذلك ابن أبي حاتم - رحمه الله - ثم قال حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن سنان المقرئ، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي رواد - قال: بلغني أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيكَ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، وعنده بعض أصحابه، وفيهم شيخ، فقال الشيخ: يا رسول الله! حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها. قال: فوقع الشيخ مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حي، فناداه قال: يا شيخ، قل: لا إله إلا الله، فقالها، فبُشره بالجنة، قال: فقال أصحابه: يا رسول الله! آمين بيننا؟ قال: نعم، يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ﴾^(٣). هذا حديث مُرسَل غريب.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتٌ غَالِظٌ شِدَادٌ﴾، أي: طباعهم غليظة، قد نُزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾، أي: تركيبتهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحَكَم بن أبان، حدثنا أبي، عن عكرمة أنه قال: إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربعمئة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة، لو طُير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكب الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدير أحدهم سبعون خريفاً، ثم يهون من باب إلى باب خمسمئة سنة، ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول، حتى ينتهوا إلى آخرها.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أي: مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه. وهؤلاء هم الزبانية عياداً بالله منهم. وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَفْعَلُونَ الْيَوْمَ إِنَّمَا يُجْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)، أي: يقال للكفرة يوم القيامة: لا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف جداً، وليس بشيء فهو معضل. ابن أبي رواد في عداد تابعي التابعين. وهو ضعيف إن وصل الحديث فكيف إذا أرسله؟ واتهمه ابن حبان بأنه روى عن نافع نسخة موضوعة. راجع «الميزان».

تَعْتَذِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْكُمْ، وَإِنَّمَا تُعْجِزُونَ الْيَوْمَ بِأَعْمَالِكُمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَكَ الْأَزِيتُ ۖ آمَنُوا تُؤَوَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾، أي: توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات وتلثم شعث التائب وتجمعه، وتكفقه عما كان يتعاطاه من الدناءات.

قال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا محمد، حدثنا شعبة، عن سيماء بن حرب: سمعت النعمان ابن بشير يخطب: سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: ﴿يَتَأْتِيَكَ الْأَزِيتُ ۖ آمَنُوا تُؤَوَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾، قال: يَذْنِبُ الذَّنْبَ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ فِيهِ. وقال الثوري، عن سيماء، عن النعمان، عن عمر قال: التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه، أو لا يريد أن يعود فيه. وقال أبو الأحوص وغيره، عن سيماء، عن النعمان: سئل عمر عن التوبة النصوح، فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود إليه أبداً. وقال الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: ﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾، قال: يتوب ثم لا يعود.

[٦٩١١] وقد روي هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه»^(١). تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف، الموقوف أصح، والله أعلم. ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويتذم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل. ثم إن كان الحق لأدومي رده إليه بطريقه.

[٦٩١٢] قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عبد الكريم، أخبرني زياد بن أبي مريم، عن عبد الله ابن معقل قال: دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقول: الندم توبة؟ قال: نعم. وقال مرة: نعم سمعته يقول: «الندم توبة»^(٢). ورواه ابن ماجه، عن هشام بن عمار، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الكريم - وهو ابن مالك الجزي - به.

[٦٩١٣] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني الوليد بن بكير أبو حباب، عن عبد الله بن محمد العدوي، عن أبي سنان البصري، عن أبي قلابة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب، قال: قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة، منها: نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله. ومنها نكاح الرجل الرجل، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها: نكاح المرأة المرأة، وذلك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله. وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا، حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً. قال زر: فقلت لأبي بن كعب: فما التوبة النصوح؟ فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «هو الندم على الذنب حين يفرط منك، فتستغفر الله بندا منك منه عند الحاضر، ثم لا تعود إليه أبداً»^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا عباد بن عمرو، حدثنا أبو عمرو بن

(١) أخرجه أحمد ٤٤٦/١ وهو ضعيف كما قال ابن كثير رحمه الله.

(٢) حسن. أخرجه ابن ماجه ٤٢٥٢ وأحمد ٣٣/١ وفيه زياد، وهو شبه مجهول، لكن للحديث شواهد.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» ٥٤٥٧ بهذا الإسناد وقال: إسناده ضعيف اهـ قلت: فيه عبد الله بن محمد العدوي. قال البخاري: منكر الحديث وقال وكيع: يضع الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. والأشبه في هذا الوقف، والله أعلم.

العلاء، سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ: أَنْ تُبْغِضَ الذَّنْبَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ، وَتَسْتَغْفِرَ مِنْهُ إِذَا ذَكَرْتَهُ. فَأَمَّا إِذَا جَزِمَ بِالتَّوْبَةِ وَصَمَّمْ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا تُجِبُّ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْخَطِيئَاتِ.

[٦٩١٤] كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «الْإِسْلَامُ يُجِبُّ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّوْبَةُ تُجِبُّ مَا قَبْلَهَا»^(١).

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمراؤ على ذلك إلى الممات كما تقدم في الحديث وفي الأثر: «لَا يَعُودُ فِيهِ أَبَدًا»، أو يكفي العزم على ألا يعود في تكفير الماضي، بحيث لو وَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ الذَّنْبُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ضَارًّا فِي تَكْفِيرِ مَا تَقَدَّمَ، لعموم قوله عليه السلام: «التَّوْبَةُ تُجِبُّ مَا قَبْلَهَا؟».

[٦٩١٥] وللاول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أَخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ»^(٢). فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ و﴿عَسَىٰ مِنْ اللَّهِ مُجِيبَةٌ﴾، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾، أي: وَلَا يُخْزِيهِمْ مَعَهُ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿تُؤْتُهُمْ يَسَعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ كما تقدم في سورة الحديد. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَافْغِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قال مجاهد، والضحاك، والحسن البصري وغيرهم: هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طمىء.

[٦٩١٦] وقال محمد بن نصر المروزي: حدثنا محمد بن مقاتل المروزي، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا: قال رسول الله ﷺ: أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه فانظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم، وانظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم، وانظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم. فقال رجل: يا رسول الله! وكيف تعرف أمتك من بين الأمم. قال: غُرُّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ، وَأَعْرِفُهُمْ بِثَوْبِهِمْ يَسَعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ^(٣).

[٦٩١٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن يحيى بن حسان، عن رجل من بني كنانة قال صليت خلف النبي ﷺ عام الفتح فسمعتة يقول: «اللَّهُمَّ لَا تَخْزِنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ٩ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ ثُوْجٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ ١٠

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم في سورة الأنفال آية ٣٨.

(٣) تقدم في سورة الإسراء آية: ٧٩.

(٤) أخرجه أحمد ٢٣٤/٤ ورجاله ثقات كلهم. وجهالة الصحابي لا تفسر.

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم. ﴿وَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: في الدنيا ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ﴾، أي: في الآخرة. ثم قال تعالى: ﴿مَنْ رَبَّ اللَّهِ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً، ولا ينفعهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال: ﴿أَمَرَأَتُ نُوحٍ وَأَمَرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾، أي: نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلًا ونهارًا، يواكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجدي ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَفْنِيَ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: ليكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾، أي: للمراتين ﴿أَذْخَلْنَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾. وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة، لجرمة الأنبياء، كما قدمنا في سورة النور.

قال سفيان الثوري، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة: سمعتُ ابن عباس يقول في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، قال: ما زُنتا، أما امرأة نوح فكانت تُخبر أنه مجنون، وأما خيانتُ امرأة لوط فكانت تُدلي قومها على أضيافه. وقال العوفي، عن ابن عباس قال: كانت خيانتُهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تُطليع على سِرِّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحدُ أخبرت الجابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضافت لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، [وقال الضحاك عن ابن عباس: ما بغت امرأة بني قط. إنما كانت خيانتها في الدين] وهكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبيرة، والضحاك، وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأنره كثير من الناس:

[٦٩١٨] «من أكل مع مغفورٍ له غُفِرَ له»^(١). وهذا الحديث لا أصل له. إنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله! أنت قلت: من أكل مع مغفورٍ له غُفِرَ له؟ قال: لا، ولكني الآن أقوله.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمَرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا فَطْنٌ وَكَانَتْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٢﴾﴾

وهذا مثلُ ضربه الله للمؤمنين أنهم لا يضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُتَّقُونَ الْكَافِرِينَ آلِيَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَتَّخِذْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَغْرًا﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال قتادة: كان فرعونُ اعتنى أهل الأرض وأكفره، فوالله ما ضُرَّ امرأته كُفْرُ زوجها حين أطاعت زوجها ليعلموا أن الله تعالى حكيمٌ عدلٌ، لا يواخذ أحدًا إلا بذنبه.

وقال ابن جرير: حدثنا إسماعيل بن حفص الأبلي، حدثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيمي، عن

(١) باطل. ذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» ١٠٧٣ وقال: قال شيخنا - ابن حجر - هو كذب موضوع، وقال مرة أخرى: إنه لا أصل له صحيح، ولا حسن، ولا ضعيف. وكذا قال غيره. ليس له إسناده عند أهل العلم - باختصار - وأما كونه رويًا فلا يثبت عند أهل العلم، وصاحب الرواية مجهول لا يعرف حاله، ولم يسم. ثم إنه قد يأكل المنافق والزنديق مع رجل تقي مغفور له.

أبي عثمان التهدي، عن سلمان قال: كانت امرأة فرعون تُعَذِّبُ في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلمت الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة، ثم رواه عن محمد بن عبيد المحاربي، عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمي، به.

ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُليّة، عن هشام الدستوائي، حدثنا القاسم ابن أبي بزة قال: كانت امرأة فرعون تسأل: مَنْ غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون، فتقول: أمنتُ بربِّ موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجذونها فإن مضت على قولها فآلقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي. فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها، وانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.

فقولها: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار. وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع^(١): ﴿وَيُخَيَّرُ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، أي: خلصني منه، فلاني أبرا من عملي، ﴿وَيُخَيَّرُ بَيْنَ الْقَوْرِ وَالْظَّالِمِينَ﴾. وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم، رضي الله عنها.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان إيمان امرأة فرعون، من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت: تعس من كفر بالله! فقالت لها ابنة فرعون، ولك رب غير أبي؟ قالت: ربي وربك ورب كل شيء الله، فلطمتها بنت فرعون وضربتها، وأخبرت أباه، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رباً غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك ورب كل شيء الله، وإياه أعبد. فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً، فشُدَّ رجلها ويدها وأرسل عليها الحيات، وكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال لها: ما أنتِ مُنتهية؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله، فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي. فقالت له: اقض ما أنت قاض، فذبح ابنها في فيها، وإن روح ابنها بشرها فقال لها: أبشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتى فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها، فبشرها زوجها أيضاً، وقال لها: اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا قال: وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأة فرعون، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لأمرأة فرعون حتى رأت، فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً، فأطلع الله فرعون على إيمانها، فقال للملا: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد غيري، فقالوا له: أقتلها فأوتد لها أوتاداً فشُدَّ يديها ورجليها، فدعت آسية ربها فقالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾. فوافق ذلك أن حضرها فرعون، فصَحِكَ حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها، إنا نُعَذِّبُها وهي تضحك! فقَبَضَ الله روحها، رضي الله عنها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، أي: حَفِظَتْهُ وصانته. الإحصان: هو العفاف

(١) مراده حديث «الجار قبل الدار» ورد من حديث رافع بن خديج أخرجه الطبراني ٤٣٧٩ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٣٥٣٤: فيه أبان بن عمر، وهو متروك اهـ وأعله السخاوي في المقاصد ١٦٣ بسعيد بن معروف أيضاً، وقال: هو وأبان لا تقوم بهما حجة. وورد من حديث علي أخرجه العسكري كما في «المقاصد» وقال السخاوي: ورواه الخطيب في «جامعه» من حديث خفاف بن ندة، وكلها ضعيفة، ولكن بانضمامها تقوى. ثم ذكر السخاوي هذه الآية التي نحن بصددنا وعدّها شاهدة لهذه الأحاديث، في حين ذكره الألباني في الضعيفة ٢٦٧٥. والله تعالى أعلم.

والحرمة. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾، أي: بواسطة المَلَكِ، وهو جِبْرِيلُ، فإن الله بَعَثَهُ إِلَيْهَا فَتَمَثَّلَ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيبِ ذُرْعِهَا، فَنَزَلَتِ النَفْخَةُ فَوَلَّجَتْ فِي فَرْجِهَا، فَكَانَ مِنْهُ الْمَحْمَلُ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولهذا قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ﴾، أي: بِقَدْرِهِ وَشَرِّعِهِ، ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ﴾.

[٦٩١٩] قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن عِلْبَاءَ، عن عِكْرَمَةَ، عن ابن عباس قال خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعةَ خُطُوطٍ، وقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «أفضلُ نساءِ أهل الجنة خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وفاطمةُ بنتُ محمد، ومريم ابنةُ عمران وآسية ابنةُ مزاحم امرأةُ فِرْعَوْنَ»^(١).

[٦٩٢٠] وقد ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ إِيمَرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَإِنْ فَضَّلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(٢). وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قِصَّةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - عليهما السلام - في كتابنا «البداية والنهاية». ولله الحمد والمِنَّةُ، وذكرنا ما وَرَدَ مِنَ الْحَدِيثِ مِنْ أَنَّهَا تَكُونُ هِيَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مَزَاحِمٍ مِنْ أَزْوَاجِهِ - عليه الصلاة والسلام - فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تُحِبُّنَّ وَبَيَّكَارًا﴾.

آخر تفسير «سورة التحريم»، والله الحمد والمِنَّةُ

(١) أخرجه أحمد ٣١٦/١ وإسناده على شرط الصحيح.

(٢) تقدم في سورة آل عمران آية ٤٢.

سُورَةُ الْمَلِكِ

آياتها
٣٠ترتيبها
٦٧

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[٦٩٢١] قال أحمد: حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن عباس الجُشمي، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَبْدُو الْمَلِكُ﴾»^(١). رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ الْأَرْبَعَةُ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

[٦٩٢٢] وقد رَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَافِظُ الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ، مِنْ طَرِيقِ سَلَامِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُورَةُ فِي الْقُرْآنِ خَاصَمَتٌ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَبْدُو الْمَلِكُ﴾»^(٢).

[٦٩٢٣] وقال التِّرْمِذِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الْجَوَّاءِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِثَاءَهُ عَلَى قَبْرِ، وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرُ إِنْسَانٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمَلِكِ حَتَّى خَتَمَهَا، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ضَرَبْتُ خِثَائِي عَلَى قَبْرِ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يَقْرَأُ ﴿تَبَرَّكَ﴾، حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٣). ثُمَّ قَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ».

[٦٩٢٤] ثُمَّ رَوَى التِّرْمِذِيُّ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿آلَ تَنْزِيلٍ﴾، وَ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَبْدُو الْمَلِكُ﴾^(٤) وَقَالَ لَيْثٌ عَنْ طَاوُسٍ: يُفَضِّلَانِ كُلَّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ بِسَبْعِينَ حَسَنَةً.

[٦٩٢٥] وقال الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَجَلَانَ الْأَصْبَهَانِي، حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ شَيْبٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دِدْتُ أَنَّهَا فِي

(١) صحيح. أخرجه أبو داود ١٤٠٠ والتِّرْمِذِيُّ ٢٨٩١ والنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» ٧١٠ وَفِي «التَفْسِيرِ» ٦٣٢ وَابْنُ مَاجَةَ ٣٧٨٦٠ وَاحِدٌ ٢/٢٩٩، ٣٢١ وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ لِأَجْلِ عَبَّاسٍ، لَكِنْ تَوَيَّعَ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ.

(٢) جيد. أخرجه الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» ٣٦٦٧ وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ وَلَهُ شَوَاهِدٌ.

(٣) أخرجه التِّرْمِذِيُّ ٢٨٩٠ وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ فِي «الدَّلَالِ» ٤١/٧ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: تَفَرَّدَ بِهِ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ النَّكْرِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَالتَّنَزُّلُ غَرِيبٌ.

(٤) تقدم فِي السَّجْدَةِ.

قَلْبَ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي» يعني «تَبَرَّكَ الَّذِي يَدْرِي بِإِيْدِهِ الْمَلَكُ»^(١). هذا حديث غريب، وإبراهيم ضعيف، وقد تقدّم مثله في سورة «يس».

[٦٩٢٦] وقد روى هذا الحديث عَبْدُ بَنٍ حُمَيْدٍ فِي مُسْنَدِهِ بِأَبْسَاطٍ مِنْ هَذَا فَقَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِيهِ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: أَلَا أَتُحَفِّقُكَ بِحَدِيثٍ تَفَرَّخَ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: اقْرَأْ «تَبَرَّكَ الَّذِي يَدْرِي بِإِيْدِهِ الْمَلَكُ»، وَعَلِمَهَا أَهْلُكَ وَجَمِيعٌ وَلَدُكَ وَصِيبَانِ بَيْتِكَ وَجِيرَانِكَ، فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَةُ وَالْمُجَادِلَةُ، تَجَادَلُ - أَوْ تَخَاصِمُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهَا لِقَارِنَتِهَا، وَتَطْلُبُ لَهُ أَنْ يُنْجِيَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَيُنْجِيَهَا بِهَا صَاحِبُهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَوْ دِدْتُ أَنَّهُمَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي»^(٢).

[٦٩٢٧] وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ، فِي تَرْجُمَةِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ زِيَادٍ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ، الْمَقْرُوءُ الزَّاهِدُ الْفَقِيه - أَحَدُ الثَّقَاتِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمْ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، لَكِنْ فِي غَيْرِ الصَّحِيحَيْنِ، وَرَوَى عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ وَابْنُ خُزَيْمَةَ، عَلَيْهِ تَفَقُّهُ فِي مَذْهَبِ أَبِي عُبَيْدٍ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَخَلَقَ سِوَاهُمْ - سَاقٍ بِسَنَدِهِ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ فُرَاتِ بْنِ السَّائِبِ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ رَجُلًا مَنَّ كَانَ قَبْلَكُمْ مَاتَ، وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا «تَبَارَكَ» فَلَمَّا وُضِعَ فِي حُفْرَتِهِ أَنَاهُ الْمَلَكُ فَثَارَتِ السُّورَةُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتِكَ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكَ وَلَا لَكَ وَلَا لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَإِنْ أَرَدْتَ هَذَا بِي فَانطَلِقِي إِلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَاشْفَعِي لِي. فَتَنطَلِقُ إِلَى الرَّبِّ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ! إِنْ فَلَانًا عَمَدَ إِلَيَّ مِنْ بَيْنِ كِتَابِكَ فَتَعَلَّمَنِي وَتَلَانِي أَفْتَحِرْقَهُ أَنْتَ بِالنَّارِ وَتُعَذِّبَهُ وَأَنَا فِي جَوْفِهِ؟ فَإِنْ كُنْتُ فَاعِلًا ذَلِكَ بِهِ فَاْمَحْنِي مِنْ كِتَابِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أَرَاكَ غَضِبْتَ؟ فَتَقُولُ: وَحَقُّ لِي أَنْ أَغْضَبَ. فَيَقُولُ: أَذْهَبِي فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ، وَشَفَعْتُنِي فِيهِ. قَالَ: فَتَجِيءُ فَتَزْبُرُ الْمَلَكُ، فَيُخْرِجُ كَاسِفَ الْبَالِ لَمْ يَحُلْ مِنْهُ شَيْءٌ. قَالَ: «فَتَجِيءُ فَتَضَعُ فَاها عَلَى فِيهِ، فَتَقُولُ: مَرْحَبًا بِهَذَا الْقَمِّ، قُرْبًا تَلَانِي، وَمَرْحَبًا بِهَذَا الصَّدْرِ قُرْبًا وَعَانِي، وَمَرْحَبًا بِهَاتَيْنِ الْقَدَمَيْنِ قُرْبًا قَامَتَا بِي. وَتُؤْنِسُهُ فِي قَبْرِهِ مَخَافَةَ الْوَحْشَةِ عَلَيْهِ». قَالَ: فَلَمَّا حَدَّثَ بِهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَبْقَ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، وَلَا خُرٌّ وَلَا عَبْدٌ، إِلَّا تَعَلَّمَهَا، وَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْمُنْجِيَةَ»^(٣). قُلْتُ: وَهَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جَدًّا، وَفُرَاتُ بْنُ السَّائِبِ هَذَا ضَعُفَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَالدَّارِقُطْنِيُّ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، مِنْ قَوْلِهِ مُخْتَصَرًا. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ «إثبات عذاب القبر» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا^(٤) وَمَرْفُوعًا مَا يَشْهَدُ لِهَذَا، وَقَدْ كَتَبْنَاهُ فِي «كِتَابِ الْجَنَائِزِ» مِنَ الْأَحْكَامِ الْكَبِيرَى، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«تَبَرَّكَ الَّذِي يَدْرِي بِإِيْدِهِ الْمَلَكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

(١) أخرجه الطبراني ١١٦١٦. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٢٩: فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف. وتابعه حفص بن عمر العدني عند الحاكم ٥٦٥/١ وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: حفص وإواه فالحديث ضعيف، لكنه صحيح من جهة المعنى، فإن حفظ القرآن مستحب لكل مسلم ومؤمن، والله تعالى أعلم.

(٢) ضعيف. أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» ٦٠٣، وفيه إبراهيم بن الحكم، ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف جداً، فرات هذا متروك الحديث، والمتن باطل، لا أصل له عن أنس.

(٤) لكنه مختصر جداً، انظر «الدلائل» ٤١/٧.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنذِرْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَتِجْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٤﴾

يُجَدُّ تعالى نفسه الكريمة وَيُخَبِّرُ أَنَّهُ يَبْدُو الملك، أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ، ولا يُسأل عما يفعل، لِقَهْرِهِ وَجُحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ. ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ واستدل بهذه الآية مَنْ قال: إن الموت أمرٌ وجودي لأنه مخلوق. ومعنى الآية أنه أوجد الخلاق من العدم، لِيَبْلُوَهُمْ وَيَخْبِرَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؟ كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَتُونَا فَاتِحَةً﴾ فَمَسَمَى الحال الأول - وهو العدم - موتاً، وسمى هذه النشأة حياةً ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُبْعِثُكُم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨، والحج: ٦٦، والروم: ٤٠].

[٦٩٢٨] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا خُثَيْد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾، قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «إن الله أذلُّ بني آدمَ بالموتِ، وجعل الدنيا دارَ حياةٍ ثم دارَ موتٍ، وجعل الآخرة دارَ جزاءٍ ثم دارَ بقاءٍ»^(١) ورواه معمرٌ، عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿يَبْلُوكُم بِإِكْرَامٍ غَلِيظٍ﴾ أي: خير عملاً، كما قال محمد بن عجلان: ولم يقل أكثر عملاً، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾، أي: هو العزيز العظيم المنيع الجنب، وهو مع ذلك غفورٌ لمن تاب إليه وأناب، بعد ما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يَغْفِرُ ويرْحَمُ ويصْفَحُ ويتجاوز. ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾، أي: طبقةً بعد طبقةً وهل مِنْ متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضها على بعض، أو متفصلات بينهما خلا؟ فيه قولان، أصحهما الثاني، كما دلَّ على ذلك حديث الإسراء وغيره. وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾، أي: بل هو مُصْطَلِحٌ مُسْتَوٍ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة، ولا نقص ولا عيب ولا خلل. ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنذِرْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي: انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فُطُوراً؟ قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والثوري، وغيرهم في قوله تعالى: ﴿فَأَنذِرْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي: شقوق، وقال السدي: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي: من خروق. وقال ابن عباس في رواية: ﴿مِن فُطُورٍ﴾، أي: وهي. وقال قتادة: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي هل ترى خللاً يا ابن آدم؟! وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِجْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، قال قتادة: مرّتين ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا﴾، قال ابن عباس: ذليلاً. وقال مجاهد، وقاتدة: صاغراً. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، قال ابن عباس: يعني وهو كليل. وقال مجاهد، وقاتدة، والسدي: الحسير: المنقطع من الإعياء. ومعنى الآية أنك لو كررت البصر، مهما كررت، لا تقلب إليك، أي: لرجع إليك البصر، ﴿حَاسِبًا﴾، عن أن يرى عيباً أو خللاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، أي كليل، وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار، ولا يرى نقصاً. ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾، وهي الكواكب التي وضعت فيها السيارات والثوابت. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء، بل يشهب من دُونها، وقد

(١) إسناده ضعيف جداً، وله علتان: الإرسال، وضعف خليل وهو ابن ذعلج، وأخرجه الطبري ٣٤٤٧٧ عن معمر عن قتادة قوله، وهو أصح.

تكون مُسْتَمَدَّةٌ منها، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾، أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا، وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة، كما قال تعالى في أول الصفات: ﴿إِنَّا زَيْنَا أَلَمَاءَ الدُّنْيَا وَزِينَةُ الْكَوْكَبِ﴾ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْفَوْقَ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُخُولًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَلَّفَ الْبَقْلَ فَأَتَنَعَمَ فِيهَا ثَابِتٌ. قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال براهيه، وأخطأ خطه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٠) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (١١) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (١٢) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (١٣) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٤) فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٥)

يقول تعالى: وَأَعْتَدْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ (١٠)، أي: بنس المال والمنقلب. ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾، قال ابن جريج يعني الصباح. ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾، قال الشوري: تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير. وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، أي: تكاد ينفصل بعضها من بعض، من شدة غيظها عليهم وحقها بهم، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (١٢) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ. يذكر تعالى عذله في خلقه، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَهَا فَفُتَّتْ أَتُونَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ وَيُذَكِّرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ١٧]. وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة، ويذموا حيث لا تنفعهم الندامة، فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي: لو كانت لنا عقول نتفهم بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتزاز به. ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٥).

[٦٩٢٩] قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْلِزُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» (١).

[٦٩٣٠] وفي حديث آخر: «لَا يَدْخُلُ أَحَدُ النَّارِ إِلَّا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْجَنَّةِ» (٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٦) وَأَيُّسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٧) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٨) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٩)

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٦٠، وتقدم في المائدة: ٧٩.

(٢) لم أره مسنداً بهذا اللفظ بعد بحث، وأظنه موضوعاً.

يقول تعالى مخبراً عَمَّنْ يخاف مقام رَبِّه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي تكفّر عنه ذنوبه، ويُجازى بالثواب الجزيل.

[٦٩٣١] كما ثبت في الصحيحين: «سبعة يُظْلَم الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله»، فذكر منهم: «ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(١).

[٦٩٣٢] وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا الحارث بن عبيد، عن ثابت، عن أنس قال: قالوا: يا رسول الله! إنا نكون عندك على حال، فإذا فارقتنا كُنّا على غيره؟ قال: «كيف أنتم وربكم؟» قالوا: الله ربنا في السر والعلانية، قال: ليس ذلكم النفاق»^(٢). لم يزوه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه.

ثم قال تعالى مُتَّبِعاً عَلَى أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى الضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ: ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْهَرُوا بِهِنَّ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣)، أي: بما خطر في القلوب، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم الخالق؟ وقيل: معناه: ألا يعلم الله مخلوقه؟ والأول أولى، لقوله، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. ثم ذكر نِعْمَتَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي تَسْخِيرِهِ لَهُمُ الْأَرْضَ وَتَذْلِيلِهِ لِيَاهَا لَهُمُ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهياً فيها من المنافع ومواقع الزروع والثمار، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سَفَيْكُمْ لا يُجِدِي عَلَيْكُمْ شيئاً، إلا أن يُيسره الله لكم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ - فالسعي في السبب لا ينافي التوكل.

[٦٩٣٣] كما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حَيَوَةُ، أخبرني بكر بن عمرو: أنه سمع عبد الله بن مُبيرة يقول: إنه سمع أبا تميم الجيثاني يقول: إنه سمع عمر بن الخطاب يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِصاصاً وتروح بطاناً»^(٤). رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث ابن مُبيرة، وقال الترمذي: «حسن صحيح» فأثبت لها رواحاً وغُدّاً لِيَطْلُبَ الرزق، مع توكّلها على الله - عز وجل - وهو المستخر المسير المسبب. ﴿وَالْيَاسُورُ﴾، أي: المرجع يوم القيامة، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ أطرافها وفجاجها ونواحيها. وقال ابن عباس وقتادة: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ الجبال. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن حكّام الأزدي، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جُبَيْر، عن بشير بن كعب: أنه قرأ هذه الآية: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لأم ولد له: إن علمت ﴿مَنَاكِبِهَا﴾، فانت عتيقة. فقالت: هي الجبال. فسأل أبا الدرداء فقال: هي الجبال.

﴿وَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾^(٥) أَمِ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) أخرجه البزار ٥٢ وأبو يعلى ٢٣٦٩ من حديث أنس، ومداره على الحارث بن عبيد الإيادي. وهو وإن روى له مسلم، فقد قال أحمد: مضطرب الحديث، وضعفه يحيى. ولينه النسائي وغيره، وقال ابن حبان: كان ممن كثر وهمه. فالإسناد غير قوي. ومع ذلك قال الهيثمي في «المجمع» ٨٦: رجال أبي يعلى رجال الصحيح. ولم يبين ضعف الحارث، والله أعلم.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٤٤ وابن ماجه ٤١٦٤ وأحمد ٣٠/١ وابن حبان ٧٣٠ وإسناده حسن، وتقدم.

حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ۖ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم، بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجل ولا يعجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُورِهِم مِّن دَابَّةٍ وَّلَٰكِن يُؤَخِّرُهُم لِآجَلٍ مُّسَمًّى ۖ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يُمْسِكُ اللَّهُ لَهُمْ عَسَاوِيَةً ۖ لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال ما هنا: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُنْزِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، أي: ريحاً فيها حصى تدمغكم، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُنْزِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجْعَلُ لَّكُمْ وِصِيلًا﴾ [الأنعام: ٦٨]، وهكذا توعدهم ما هنا بقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾، أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به. ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: من الأمم السالفة والفُرُون الخالية، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: فكيف كان إنكاري عليهم ومُعاقبتي لهم أي: عظيماً شديداً أليماً. ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ﴾، أي: تارة يصفون أجنيحتهم في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتشر جناحاً، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾، أي: في الجو ﴿إِلَّا الرِّحْمَنُ﴾، أي: بما سخر لهن من الهواء، من رحمته ولطفه، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾، أي: بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ الشَّعْبِ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ١٧٩].

﴿أَمِنَ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿أَمِنَ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنِ امْسُكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿أَمِنَ يَتَشَىٰ مُكَيِّبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ أَهْدَىٰ أَمِّنَ يَتَشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره، يبتغون عندهم نصراً ورزقاً، مُنكراً عليهم فيما اعتقدوه، ومُخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه، فقال تعالى: ﴿أَمِنَ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾، أي: ليس لكم من دونه من ولي ولا وافي، ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَمِنَ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنِ امْسُكَ رِزْقَهُ﴾. أي من هو الذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده؟ أي لا أحد يُعطي ويمنع، ويخلق ويرزق، وينصر إلا الله - عز وجل - وحده لا شريك له أي: وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ لَجُّوا﴾، أي: استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم، ﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾، أي في معاندة، واستكبار ونفور على أدبارهم عن الحق، لا يسمعون له ولا يتبعونه. ثم قال تعالى: ﴿أَمِنَ يَتَشَىٰ مُكَيِّبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ أَهْدَىٰ أَمِّنَ يَتَشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكَيِّباً على وجهه، أي يمشي مُنْحَنِيّاً لا مُسْتَوِيّاً على وجهه، أي: لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى؟ ﴿أَمِنَ يَتَشَىٰ سَوِيًّا﴾، أي: مُتَنَصِّباً القامة ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أي: على طريق واضح بَيِّن، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مُسْتَقِيمَةٌ. هذا مثلهم

في الدنيا، وكذلك يَكُونُونَ في الآخرة، فالْمُؤْمِنُ يُخْشِرُ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مُفَضَّصٌ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ الْفِيحَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يُخْشِرُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، ﴿٢٨﴾ اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا بِعِبْدِي ﴿٢٩﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْمُبِينِ ﴿٣٠﴾ وَقَفُّوا لَهُمْ مَسْغُورٌ ﴿٣١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَحُونَ ﴿٣٢﴾ بَلْ هُمْ أَكْثَرُ مُتَنَبِّهُونَ ﴿٣٣﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٦].

[٦٩٣٤] قال الإمام أحمد - رحمه الله -: حدثنا ابن نمير، حدثنا إسماعيل، عن ثقيف قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قيل: يا رسول الله! كيف يُخْشِرُ النَّاسُ عَلَى وَجْهِهِمْ؟ قال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يُمَشِّيهِمَ عَلَى وَجْهِهِمْ؟»^(١). وهذا الحديث مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ طَرِيق - يونس ابن محمد، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس، به نحوه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾، أي: ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾، أي: الْعُقُولَ وَالْإِدْرَاقَ، ﴿فَقَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾. أي: مَا أَقَلُّ مَا تَسْتَعْمَلُونَ هَذِهِ الْقُوَى الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فِي طَاعَتِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: بَثَّكُمْ وَنَشَرَكُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَرْجَائِهَا، مَعَ اخْتِلَافِ السِّيَاقِ فِي لُغَاتِكُمْ وَالْوَنَاقِ، وَجِلَافِكُمْ وَأَشْكَالِكُمْ وَصُورِكُمْ، ﴿وَالَّذِي يُخْشِرُونَ﴾، أي: تُخَمِّمُونَ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ يَجْمَعُكُمْ كَمَا فَرَّقَكُمْ، وَيُعِيدُكُمْ كَمَا بَدَّلَكُمْ. ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ الْمُتَكَبِّرِينَ لِلْمَعَادِ الْمُسْتَبْعِدِينَ وَقُوْعَهُ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٤﴾، أي: مَتَى هَذَا الَّذِي تَخْبِرُنَا بِكَوْنِهِ مِنَ الْجَمْعِ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: لَا يَعْلَمُ وَقْتُ ذَلِكَ عَلَى الثَّعْبِينَ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَكِنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَخْبِرَكُمْ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ وَوَاقِعٌ لَا مُحَالَ، فَاحْذَرُوهُ، ﴿وَلِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: وَإِنَّمَا عَلَيَّ الْبَلَاغُ، وَقَدْ أَذَيْتُهُ إِلَيْكُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: لَمَّا قَدِمَتِ الْقِيَامَةُ وَشَاهَدَهَا الْكَفَّارُ، وَرَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ قَرِيبًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ وَإِنْ طَالَ زَمَنُهُ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا كَذَّبُوا بِهِ سَاءَ بِهِمْ ذَلِكَ، لَمَّا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ الشَّرِّ، أَيْ فَاحَاطَ بِهِمْ ذَلِكَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَالٍ وَلَا حِسَابٍ، ﴿وَبَدَّلَا لَهُمْ يَوْمَ أَنْزَلَ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ وَبَدَّلَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٦﴾ [الزمر: ٤٧ - ٤٨]. وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾، أي: تَسْتَعِجِلُونَ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٧﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٩﴾

مَعِينٍ ﴿٣٩﴾

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْجَاغِدِينَ لِنِعْمَةِ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، أي: خَلَّصُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا مُنْقِذَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ، وَالرَّجُوعُ إِلَى دِينِهِ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ وَقُوعُ مَا تَتَمَنُّونَ لَنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، فَسَوَاءَ عَذَّبَنَا اللَّهُ أَوْ رَحِمَنَا، فَلَا مَنَاصَ لَكُمْ مِنْ نِكَالِهِ وَعَذَابِهِ الْأَلِيمِ الْوَاقِعِ بِكُمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، أي: أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، كَمَا قَالَ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٦٧].

(١) متن صحيح. أخرجه أحمد ١٦٧/٣ وفيه ثقيف بن الحارث، وهو ضعيف متروك، لكن المتن محفوظ، أخرجه البخاري ٤٧٦٠ ومسلم ٢٨٠٦ وغيرها وتقدم.

١٢٣]. ولهذا قال تعالى: ﴿فَسَتَلَقُّوْنَ مَنْ هُوَ فِي سَلَالِي مُبِينٍ﴾، أي منا ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى، إظهاراً للرحمة في خلقه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا يُتَال بالفؤوس الجذاد، ولا السواعد الشداد، والغائر: عكسُ التابع. ولهذا قال تعالى: ﴿فَن يَأْتِيَكُم بِمَلَوْ مَبِينٍ﴾ أي: نابع وسائح جارٍ على وجه الأرض، أي لا يَقْدِرُ على ذلك إلا الله - عزَّ وجلَّ - فَمِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْبَعَ لَكُمْ الْمِيَاهُ وَأَجْرَاهَا فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ الْعِبَادُ إِلَيْهِ، مِنَ الْقَلَّةِ وَالكَثْرَةِ فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

آخر تفسير «سورة الملك»، والله الحمد والمنة



ويقال: سورة نون؛ وهي مكّية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لِّكَ لَا تَجْعَلُ لَكَ لَاجِرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ فَسَتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٤﴾ بِآيَاتِكَ الْمُفْتُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦﴾﴾

وقد تقدّم الكلام على حروف الهجاء في أول «سورة البقرة»، وأن قوله تعالى: ﴿تَ﴾ كقوله: ﴿صَ﴾ «قَ»، ونحو ذلك من الحروف المقتطعة في أوائل السور، وتحريف القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا. وقيل: المراد بقوله: ﴿تَ﴾: حوت عظيم على تيّار الماء العظيم المحيط، وهو حامل للأرضين السبع، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، وَحَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا سُفْيَانُ - هُوَ الثَّوْرِيُّ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ - هُوَ الْأَعْمَشُ - عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدْرَ. فَجَرَى بِمَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى يَوْمِ قِيَامِ السَّاعَةِ. ثُمَّ خَلَقَ «الثَّوْنَ» وَرَفَعَ بِخَارِ الْمَاءِ فَفَتَقَتْ مِنْهُ السَّمَاءُ، وَبَسَطَتْ الْأَرْضَ عَلَى ظَهْرِ النَّوْنِ، فَاضْطَرَبَ النَّوْنُ فَمَادَتْ الْأَرْضُ، فَأَثْبَتَتْ بِالْجِبَالِ، فَإِنَّهَا لَتَفْخَرُ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي معاوية، عَنْ الْأَعْمَشِ، بِهِ. وَهَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ قُضَيْلٍ، وَوَكَيْعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، بِهِ. وَزَادَ شُعْبَةُ فِي رِوَايَتِهِ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾. وَقَدْ رَوَاهُ شَرِيكٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، أَوْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ... فَذَكَرَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾. ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضَّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَكُتِبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. ثُمَّ خَلَقَ «النَّوْنَ» فَوَقَّ الْمَاءَ، ثُمَّ كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَيْهِ^(١).

[٦٩٣٥] وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ ذَلِكَ مَرْفُوعاً فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَبِيبٍ زَيْدُ بْنُ الْمُهْتَدِيِّ الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَعْقُوبَ الطَّلَاقَانِيُّ، حَدَّثَنَا مُؤَمِّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضَّحَى مُسْلِمُ بْنُ صَبِيحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ وَالْحَوْتَ،

(١) هذه الأخبار عمولة عن أهل الكتاب، وهي باطلة لا أصل لها. والأرض ليست على ظهر حوت، وإنما هي عمولة بقدره الله، وتدور بأمر الله وقدرته، وليس هناك شيء من الكواكب، ولا من النجوم، ما هو محمول على ظهر حوت أو ظهر سمكة.

قال: للقلم: اكتب. قال ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة. ثم قرأ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. «فالنون: الحوث. والقلم: القلم»^(١).

[٦٩٣٦] حديث آخر في ذلك رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى ابْنِي أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ خَلَقَ «النُّونَ» وَهِيَ: الدَّوَاةُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا يَكُونُ - أَيُّ مَا هُوَ كَائِنٌ - مِنْ عَمَلٍ أَوْ رِزْقٍ أَوْ أَثَرٍ أَوْ أَجَلٍ. فَكَتَبَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. ثُمَّ خَتَمَ عَلَى الْقَلَمِ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَقْلَ وَقَالَ: وَعِزَّتِي لَأُكَمِّلَنَّكَ فِيمَنْ أَحْبَبْتُ، وَلَأَنْقُصَنَّكَ مِنْ أْبْغَضْتُ»^(٢).

وقال ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَخْبَرَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كَانَ يُقَالُ النَّوُّ الْحَوْثُ الَّذِي تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِغَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْبَغَوِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ: إِنَّ عَلَى ظَهْرِ هَذَا الْحَوْثِ صَخْرَةٌ سَمَكُهَا كَغُلْظِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَى ظَهْرِهَا ثَوْرٌ لَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ قَرْنٍ وَعَلَى مَتْنِهِ الْأَرْضُونَ السَّبِغُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

[٦٩٣٧] وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ بَعْضَهُمْ حَمَلَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ، قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَالْوَلَدُ يَنْزِعُ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جَبْرِيلُ آتِفًا». قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَأَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ زِيَادَةُ كَيْدِ حَوْتٍ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فِإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ»^(٣). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ طَرُقٍ عَنْ حُمَيْدٍ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَيْضًا، وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ - مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - نَحْوُ هَذَا.

[٦٩٣٨] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ: أَنَّ خَبْرًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَسَائِلَ، فَكَانَ مِنْهَا قَالَ: فَمَا تُحَقِّقُهُمْ؟ - يَعْنِي أَهْلَ الْجَنَّةِ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ - قَالَ زِيَادَةُ كَيْدِ الْحَوْتِ. قَالَ: فَمَا غَذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: يُنَحَّرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا. قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا^(٤). وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ت﴾: لَوْحٌ مِنْ ثَوْرٍ.

[٦٩٣٩] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ شَيْبَةَ الْمُكْتَبِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ الْجَزْرِيُّ، عَنْ فُرَاتِ بْنِ أَبِي الْفُرَاتِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: «لَوْحٌ مِنْ

(١) لَا أَصْلَ لَهُ فِي الْمَرْفُوعِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَوْقُوفٌ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ ٨٦٥٢ وَ ٨٦٥٣ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، وَقَالَ: لَمْ يَرْفَعَهُ عَنْ حَادِ بْنِ زَيْدٍ إِلَّا مَوْمِلٌ بِنِ إِسْمَاعِيلَ. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ١١٤٣٤: وَمَوْمِلٌ وَثْقَةٌ ابْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ. وَضَعَفَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، وَبَقِيَ رَجَالُهُ ثَقَاتٌ وَالْوَهْمُ فِي رَفْعِهِ مِنْ مَوْمِلٍ بِنِ إِسْمَاعِيلَ. فَلِذَا سَيِّءُ الْحِفْظِ جَدًّا. وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِهِ كَمَا تَقَدَّمَ أَنْفَاءً بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٢) يَأْتِي مُسْنَدًا بَعْدَ قَلِيلٍ.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٣٣٢٩ وَ ٣٩٣٨ وَ مُسْلِمٌ ٣١٥ وَأَحْمَدُ ١٠٨/٣ وَابْنُ حِبَّانَ ٧١٦١.

(٤) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ٣١٥ وَالنَّسَائِيُّ ١٨٨ وَالْحَاكِمُ ٤٨١/٣ وَابْنُ حِبَّانَ ٧٤٢٢.

ثُورٍ، وَقَلَمٌ مِنْ ثُورٍ، يَجْرِي بِمَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ^(١) وَهَذَا مُرْسَلٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبِرْتُ أَنَّ ذَلِكَ الْقَلَمَ مِنْ ثُورٍ طَوَّلَهُ مِثْلُ عَامٍ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ت﴾: دَوَاةٌ، ﴿وَالْقَلَمِ﴾: الْقَلَمُ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثُورٍ، عَنْ مَغَمَرٍ، عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ت﴾، قَالَا: هِيَ الدَّوَاةُ.

[٦٩٤٠] وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا حَدِيثٍ مَرْفُوعٌ غَرِيبٌ جِدًّا، فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَلَقَ اللَّهُ النَّوْنَ، وَهِيَ الدَّوَاةُ» ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَنْعَقُوبُ، حَدَّثَنَا أَخِي عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنْ اللَّهُ خَلَقَ النَّوْنَ، وَهِيَ الدَّوَاةُ، وَخَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: أَكْتُبُ مَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، أَوْ رِزْقٍ مَقْسُومٍ، حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ. ثُمَّ أَلْزَمَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ شَأْنَهُ: دَخُولُهُ فِي الدُّنْيَا، وَمُقَامُهُ فِيهَا كَمْ؟ وَخُرُوجُهُ مِنْهَا كَيْفَ؟ ثُمَّ جَعَلَ عَلَى الْعِبَادِ حِفْظَةً، وَلِلْكِتَابِ خُزَانًا، فَالْحِفْظَةُ يَنْسَخُونَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْخُزَانِ عَمَلٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَإِذَا فَتِنَا الرِّزْقُ وَانْقَطَعَ الْأَثَرُ، وَانْقَضَى الْأَجَلُ، أَتَيْتِ الْحِفْظَةُ الْخِزْنَةَ يَطْلُبُونَ عَمَلٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَقُولُ لَهُمُ الْخِزْنَةُ: مَا نَجِدُ لَصَاحِبِكُمْ عِنْدَنَا شَيْئًا. فَتَرْجِعُ الْحِفْظَةُ فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ مَاتُوا، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَسْتُ قَوْمًا غَرَبًا تَسْمَعُونَ الْحِفْظَةَ يَقُولُونَ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الباقية: ٢٩]؟ وَهَلْ يَكُونُ الِاسْتِنْسَاخُ إِلَّا مِنْ أَصْلٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَلَمِ﴾، الظَّاهِرُ أَنَّهُ جَنْسُ الْقَلَمِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ^(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ^(٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ^(٥) [العلق: ٣-٥]. فَهُوَ قَسَمٌ مِنْهُ تَعَالَى، وَتَنْبِيهُ لِيَخْلُقَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَعْلِيمِ الْكِتَابَةِ الَّتِي بِهَا تُنَالُ الْعُلُومُ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا يَسْطَرُونَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: يَعْنِي وَمَا يَكْتُوبُونَ. وَقَالَ أَبُو الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا يَسْطَرُونَ﴾، أَي: وَمَا يَعْمَلُونَ. وَقَالَ السَّيِّدِي: ﴿وَمَا يَسْطَرُونَ﴾: يَعْنِي الْمَلَائِكَةُ وَمَا تَكْتُبُ مِنْ عَمَلِ الْعِبَادِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ هَا هُنَا بِالْقَلَمِ الَّذِي أَجْرَاهُ اللَّهُ بِالْقَدَرِ حِينَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذِكْرِ الْقَلَمِ.

[٦٩٤١] فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ السَّلْمِيُّ، عَنْ عَطَاءٍ - هُوَ ابْنُ أَبِي رَبِيعٍ - حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبَّادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَعَانِي أَبِي حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: يَا رَبِّ، مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدْرَ وَمَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى الْآبِدَةِ» ^(٦). وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرُقٍ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عَبَّادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، بِهِ. وَقَالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ». وَرواه أَبُو دَاوُدَ فِي «كِتَابِ السُّنَّةِ» مِنْ سُنَّتِهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ

(١) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٤٥٤٠ وهذا مرسل، ومع إرساله، الحسن بن يحيى ضعفه ابن معين وابن عدي، وفيه الحسن بن شبيب قال ابن عدي: يحدث بالبواطيل.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الأجرى في «الشریعة» ١٦٨ و٣٥٨، وفيه الحسن بن يحيى، وهو الخشني الدمشقي، وهو متروك ليس بشيء، قال ابن حبان في «المجروحين» ١/٢٣٥: منكر الحديث جداً، يروي عن الثقات ما لا أصل له، فاستحق الترك، اهـ، والحمل عليه في هذا الحديث، وهو بعض المتقدم قبل قليل.

(٣) تقدم تخريجه في سورة القمر آية ٤٩.

مُسافر، عن يحيى بن حَسَّان، عن ابن رِبَاح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حَفْصَة - واسمه حُبَيْش بن شَرِيح الحَبَشِيُّ الشَّامِي - عن عُبَادَة، فَذَكَرَهُ.

[٦٩٤٢] وقال ابنُ جَرِير: حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدثنا رِبَاح بنُ زَيْد، عن عُمَر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَرَّة، عن سَعِيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، أنه كان يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنْ أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ»^(١). غريب من هذا الوجه، ولم يُخْرِجُوهُ. وقال ابن أبي نَجِيج، عن مجاهد: «وَالْقَلَمُ» يعني: الذي كُتِبَ بِهِ الذِّكْرُ. وقوله تعالى: «وَمَا يَسْطُرُونَ»، أي: يكتبون كما تقدم.

وقوله تعالى: «مَا أَنْتَ بِتَقْمَرٍ رَيْكَ يَمْشُونَ»^(٢)، أي: لست - والله الحمد - بمجنون، كما قد يقوله الجَهْلَةُ من قومك، والمُكْذِبُونَ بما جنتهم به من الهدى والحق المبين، فَتَسْبُوكُ فِيهِ إِلَى الْجُنُونِ، «وَأَنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ»^(٣)، أي: بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا يَنْقُطِعُ ولا يَبِيدُ، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم، ومعنى «غَيْرَ مَمْنُونٍ»، أي: غير مقطوع كقوله: «عَطَلَهُ غَيْرَ مَجْدُوفٍ»، فلهُم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ، أي: غير مقطوع عنهم، وقال مجاهد: «غَيْرَ مَمْنُونٍ» غير محسوب، وهو يرجع إلى ما قلناه. وقوله تعالى: «وَأَنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ»^(٤)، قال العوفي، عن ابن عباس: أي، وإنك لَعَلَى دِينٍ عَظِيمٍ، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسدي، والربيع ابن أنس، والضحاك، وابن زيد. وقال عطية: لعللى أدب عظيم.

[٦٩٤٣] وقال مَعْمَرٌ، عن قتادة: سئلت عائشة عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن^(٥).

[٦٩٤٤] وقال سَعِيد بن أبي عَرُوبَةَ، عن قتادة قوله: «وَأَنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ»^(٦)، ذَكَرَ لَنَا أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى. قالت: فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ^(٧).

[٦٩٤٥] وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن زُرَّارَةَ بن أَوْفَى، عن سَعِيد بن هِشَامٍ قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني - يا أم المؤمنين - عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فقالت: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. فقالت: كان خلقه القرآن^(٨). هذا مختصر من حديث طويل. وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه، من حديث قتادة بطوله. وسيأتي في «سورة المزمل»، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

[٦٩٤٦] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عن الحسن قال: سئلت عائشة عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن^(٩).

[٦٩٤٧] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَسَدُ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عن قَيْس بن وَهَبٍ، عن رجل من بني سُوءَةَ قال: سألت عائشة عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن: «وَأَنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ»^(١٠)؟ قال:

(١) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٥٤٤ وإسناده حسن، وله شواهد، فهو صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٥٥٩ مرسلًا، وسيأتي موصولًا.

(٣) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٥٦٠ وهو منقطع، وسيأتي موصولًا.

(٤) صحيح. أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣٢٧٥ وهو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ٢١٦/٦ وفيه انقطاع، لكن له طرق.

قُلْتُ: حَدَّثَنِي عَنْ ذَاكَ: قَالَتْ: صَنَعْتُ لَهُ طَعَاماً! وَصَنَعْتُ لَهُ حَفْصَةً طَعَاماً، فَقُلْتُ لِجَارِيتِي: اذْهَبِي فَإِنْ جَاءَتْ هِيَ بِالطَّعَامِ فَوَضَعْتَهُ قَبْلَ فَاطِرِ جِي الطَّعَامِ! قَالَتْ: فَجَاءَتْ بِالطَّعَامِ. قَالَتْ: فَأَلْقَيْتِ الْجَارِيَةَ، فَوَقَعَتِ الْقِصْعَةُ فَانْكَسَرَتْ - وَكَانَ نَطْعٌ - قَالَتْ: فَجَمَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «اِقْتَصُوا أَوْ: اقْتَضِي - شَكَّ أَسْوَدٌ - ظَرْفًا مَكَانَ ظَرْفِكَ». قَالَتْ: فَمَا قَالَ شَيْئاً^(١).

[٦٩٤٨] وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ آدَمَ بْنِ أَبِي إِيَّاسٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتُ لَهَا: أَخْبِرْنِي بِخُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقَهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ: ﴿وَلَا تَكُنْ لَكَ لُحْيٌ عَظِيمٌ ۝٤﴾^(٢). وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ، نَحْوَهُ.

[٦٩٤٩] وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَنبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي معاوية بن صالح، عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: حَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَسَأَلْتُهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ^(٣). وَهَكَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ معاوية بن صالح، بِهِ.

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - صَارَ امْتِنَالُ الْقُرْآنِ، أَمْرًا وَنَهْيًا، سَجِيَّةً لَهُ وَخُلُقًا تَطَبَّعَهُ، وَتَرَكَ طَبْعَهُ الْجَبَلِيَّ، فَمَهْمَا أَمَرَهُ الْقُرْآنُ فَعَلَهُ، وَمَهْمَا نَهَاةً عَنْهُ تَرَكَهُ، هَذَا مَعَ مَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، مِنَ الْحَيَاءِ وَالكَرَمِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالصَّفْحِ، وَالْحِلْمِ وَكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ.

[٦٩٥٠] كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سَنِينَ فَمَا قَالَ لِي «أَفْ» قَطُّ، وَلَا قَالَ لَشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتُهُ؟ وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتُهُ؟! وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلَا مَسِسْتُ خَزَأً وَلَا خَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ الْبَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمِئْتُ مَسَكًا وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٤).

[٦٩٥١] وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ^(٥). وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَلِأَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ فِي هَذَا كِتَابُ «الشَّمَائِلِ».

[٦٩٥٢] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ خَادِمًا لَهُ قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ، إِلَّا أَنْ يَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَلَا خَيْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ قَطُّ إِلَّا كَانَ كَانَ أَحَبُّمَا إِلَيْهِ أَيْسَرُهُمَا حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْإِثْمِ، وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَنْتَهَكَ حُرُمَاتِ اللَّهِ، فَيَكُونَ هُوَ يَنْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٦).

(١) أخرجه أحمد ١١١/٦ وفيه من لم يسم، لكن للحديث شواهد.

(٢) أخرجه أبو داود ١٣٤٢ والنسائي ١١٣٥٠ والطبري ٣٤٥٦١ وهو صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) أخرجه الطبري ٣٤٥٦٢ وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٣٨ ومسلم ٢٣٠٩ وأبو داود ٤٧٧٤ وأحمد ٢٥٥/٣ وابن حبان ٢٨٩٤.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٣٥٤٩ ومسلم ٢٣٣٧ ح ٩٣ والتِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» ١٣١.

(٦) صحيح. أخرجه أحمد ٢٣٢/٦ وإسناده على شرط البخاري ومسلم وله طرق.

[٦٩٥٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(١). تفرد به.

وقوله تعالى: ﴿فَسْتَبِشِرُوا وَبَغِيرُوا ۚ يَا أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾، أي: فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفيك ومكذبوك: من المفتون الضال منك ومنهم. وهذه كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَكْبَرُ﴾ [القمر: ٢٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتُوا إِلَيْكُم مَّلَآئِكُ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤]. قال ابن جرير، قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَا أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ أي: المجنون. وكذا قال مجاهد، وغيره. وقال قتادة وغيره: ﴿يَا أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ أي: أولى بالشیطان. ومعنى المفتون ظاهر، أي: الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿يَا أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿فَسْتَبِشِرُوا وَبَغِيرُوا﴾ وتقديره: فستعلم ويعلمون، أو فسئخبر ويخبرون بأيكم المفتون. والله أعلم. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ مَلََّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٧]، أي: هو - تعالى - يعلم أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضال عن الحق.

﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٨) وَدَوَّآ لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ (٩) وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَافٍ مِهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَامٍ بَنِيهِمْ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِفُهُ عَلَى الْمَرْطُورِ (١٦)

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم، ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٨) وَدَوَّآ لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ (٩). قال ابن عباس: لو ترخص لهم فَيَرْخُصُونَ. وقال مجاهد: ودوا لو تركن إلى آلهتهم وتركك ماأنت عليه من الحق. ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَافٍ مِهِينٍ﴾ (١٠)، وذلك أن الكاذب ليضعفه ومهانيته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترأ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها. قال ابن عباس: المهين الكاذب. وقال مجاهد: هو الضعيف القلب. وقال الحسن: كل حلافٍ مكابرٍ مهينٍ ضعیفٍ. وقوله «هَمَّازٍ»، قال ابن عباس وقتادة: يعني الاغتياب. يعني «مَشَامٍ بَنِيهِمْ» يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرض بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة.

[٦٩٥٤] وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد، عن طائوس، عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبيرين فقال: «إنهما ليُعَذِّبان وما يُعَذِّبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»^(٢). الحديث. وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم، من طرقٍ عن مجاهد، به.

[٦٩٥٥] وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن همام: أن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»^(٣). رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرقٍ، عن إبراهيم، به.

[٦٩٥٦] وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ [حدثنا] أَبُو سَعِيدٍ الْأَحْوَلُ، عن الأعمش، حدثني إبراهيم - منذ

(١) أخرجه أحمد ٣٨١/٢ وإسناده حسن لأجل عمد بن عجلان.

(٢) متفق عليه، وتقدم في الإسراء.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٦٠٥٦ ومسلم ١٠٥ ح ١٦٩ و١٧٠ وأبو داود ٤٨٧١ والترمذي ٢٠٢٦ والنسائي في «التفسير» ٦٣٤ وأحمد ٣٨٢/٥.

نحو سِتِّين سنة - عن هَمَّام بن الحارث قال: مرَّ رجلٌ على حُدَيْفَةَ فَقِيلَ إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمْرَاءِ. فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَوْ: قال - قال رسولُ الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(١).

[٦٩٥٧] وقال أحمدُ: حدثنا هاشمٌ، حدثنا مهديُّ، عن واصلِ الأحَدَبِ، عن أبي وائلٍ قال: بَلَغَ حُدَيْفَةُ عن رجلٍ أَنَّهُ يَنْمُو الْحَدِيثُ، فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ»^(٢).

[٦٩٥٨] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبدُ الرزَّاقِ، أنبأنا معمرٌ، عن ابنِ خُثَيْمٍ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ بنِ السَّكَنِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قالوا: بلى، يا رسولَ الله! قال: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ثم قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَاوِينُ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَنْتَ^(٣). ورواه ابنُ ماجه، عن سُؤَيْدِ بْنِ سَعِيدٍ، عن يحيى بنِ سُلَيْمٍ، عن ابنِ خُثَيْمٍ، به.

[٦٩٥٩] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا سفيان، عن ابنِ أبي حُسَيْنٍ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ غَنَمٍ - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا يُرَوُّوا ذَكَرَ اللَّهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوِينُ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَنْتَ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿مَنْعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَقٍ أَثِيمٍ﴾^(٥) أي: يَمْنَعُ مَا عَلَيْهِ وَمَا لَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ، ﴿مُعْتَقٌ﴾ فِي تَنَاوُلِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ، يَتَجَاوَزُ فِيهَا الْحَدَّ الْمَشْرُوعَ ﴿أَثِيمٌ﴾، أي: يَتَنَاوَلُ الْمَحْرُمَاتِ، وقوله تعالى: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^(٦)، أَمَا الْعَتَلُ فَهُوَ: الْفُظُّ الْغَلِيظُ الصَّحِيحُ الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ.

[٦٩٦٠] قال الإمامُ أحمدُ حدثنا وكيعٌ وعبدُ الرحمن، عن سفيان، عن مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، عن حارِثَةَ ابْنِ وَهَبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: أَلَا أَتَبْنِيكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْرَاهِ، أَلَا أَتَبْنِيكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ. وقال وكيع: كُلُّ جَوَاطِ جَعْفَرِيٍّ مُسْتَكْبِرٍ^(٧)، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَبَقِيَّةِ الْجَمَاعَةِ، إِلَّا أَبَا دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، بِهِ.

[٦٩٦١] وقال الإمامُ أحمدُ أيضاً: حدثنا أبو عبدِ الرحمن، حدثنا مَوْسَى بْنُ عَلِيٍّ قال: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال عندَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ: «كُلُّ جَعْفَرِيٍّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعَ مَنَاعٍ»^(٨). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ. قال أَهْلُ اللَّغَةِ: الْجَعْفَرِيُّ: الْفُظُّ الْغَلِيظُ: الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ.

[٦٩٦٢] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا وكيعٌ، حدثنا عبدُ الحميد، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ غَنَمٍ، قال: قال سُبَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْعَتَلِ الزَّنِيمِ، فقال: «هُوَ الشَّدِيدُ الْخَلْقُ الْمُصْحَحُ، الْأَكُولُ الشُّرُوبِ، الْوَاجِدُ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، الظُّلُومُ لِلنَّاسِ، رَحِيبُ الْجَوَفِ»^(٩).

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣٨٩/٥ وإسناده على شرط الصحيح.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣٩٦/٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم، ومهدي هو ابن ميمون.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١١٩ وأحمد ٤٥٩/٦ وإسناده لا بأس به. والعنت: الخطأ والفساد.

(٤) أخرجه أحمد ٢٢٧/٤، وعبد الرحمن مختلف في صحبته، لكن يشهد لما قبله.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٨ و٦٠٧١ و٦٦٥٧ ومسلم ٢٨٥٣ ح ٤٦ والترمذي ٢٦٠٥ والنسائي في «التفسير» ٦٣٥ وابن ماجه ٤١١٦ وأحمد ٣٠٦/٤.

(٦) صحيح. أخرجه أحمد ١٦٩/٢ وإسناده على شرط مسلم، وله شواهد.

(٧) أخرجه أحمد ٢٢٧/٤ وهو معلول، عبد الرحمن بن غنم مختلف في صحبته، وعبد الحميد غير قوي، ومثله شهر بن حوشب.

[٦٩٦٣] وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجَوَاطُ الجَعْفَرِيُّ ، والعُثْلُ الزَّيْمُ »^(١) . وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين .

[٦٩٦٤] فقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَرٍ ، عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « تبكي السماء من عبيد أصبح الله جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه من الدنيا يَفْضَماً ، فكان للناس ظُلُوماً ، قال : فذلك العُثْلُ الزَّيْمُ »^(٢) . وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم أن العُثْلُ هو : المَصْحُوحُ الخَلْقِي ، الشديدُ القُوِي في المأكَل والمشرب والمنكح ، وغير ذلك . وأما الزَّيْمُ فقال البخاري : حدثنا محمود ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « عُثْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ »^(٣) قال : رجل من قريش له زَئِمَةٌ مثل زئمة الشاة . ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالشر كشهرة الشاة ذات الزَئِمَةِ من بين أخواتها ، وأما الزَّيْمُ في لُغَةِ الْعَرَبِ فهو الدَّعِي في القوم . قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال : ومنه قول حسان بن ثابت ، يعني يذم بعض كُفَّارِ قُرَيْشٍ :

وَأَنْتَ زَيْمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّائِبِ الْقَدْحِ الْفَرْدُ
وقال آخر :

زَيْمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبَوْهُ بَيْئِي الْأَمِّ ، ذُو حَسَبٍ لَيْمٍ

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عَمَّارُ بْنُ خَالِدٍ الْوَاسِطِيُّ ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « زَيْمٌ » ، الدَّعِي الْفَاحِشُ اللَّئِيمُ . ثم قال ابن عباس :

زَيْمٌ ، تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْأَكْوَاعُ

وقال العوفي عن ابن عباس : الزَّيْمُ : الدَّعِي . ويقال : الزَّيْمُ : رجل كانت به زَئِمَةٌ ، يُعْرَفُ بِهَا . ويقال : هو الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقِ الثَّقَفِيِّ ، حليف بني زُهْرَةَ ، وزَعَمَ أَنَسٌ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ أَنَّ الزَّيْمَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثِ الزَّهْرِيِّ ، وليس به . وقال ابن أبي نَجِيجٍ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه زَعَمَ أَنَّ الزَّيْمَ الْمُلْحَقَ النَّسَبِ . وقال ابن أبي حاتم : حدثني يُونُسُ ، حدثنا ابن وهب ، حدثني سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنه سَمِعَهُ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : « عُثْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ »^(٤) ، قال سعيد : هو الْمُلْصَقُ فِي الْقَوْمِ ، لَيْسَ مِنْهُمْ . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ ، حدثنا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ ، عن عامر بن قدامة قال : سُئِلَ عِكْرِمَةُ عَنْ الزَّيْمِ ، قال : هو وَلَدُ الزُّنَا .

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله تعالى : « عُثْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ »^(٥) قال : يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ مِثْلَ الشاةِ الزَّئِمَاءِ ، وَالزَّئِمَاءُ الَّتِي فِي عُنُقِهَا هَتَاتَانِ مَعْلَقَتَانِ فِي حَلْقِهَا . وقال الثَّوْرِيُّ ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جُبَيْرٍ قال : الزَّيْمُ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْشَّرِّ كَمَا تُعْرَفُ الشاةُ بِزَئِمَتِهَا . وَالزَّيْمُ : الْمُلْصَقُ . رواه ابن جرير . وَرَوَى أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي الزَّيْمِ قَالَ : نُبِيتَ ، فَلَمْ يُعْرَفْ حَتَّى قِيلَ : زَيْمٌ . قَالَ : وَكَانَتْ لَهُ زَئِمَةٌ فِي عُنُقِهِ يُعْرَفُ بِهَا . وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ دَعِيًّا .

قال ابن جرير : حدثنا أَبُو كُرَيْبٍ ، حدثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَصْحَابِ التفسير قالوا : هو الَّذِي

(١) أخرجه أحمد ٢٢٧/٤ وإسناده كسابقه ، لكن أصله محفوظ .

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٦٠٣ عن زيد بن أسلم مرسلًا ، لكن يشهد لما تقدم ، والله أعلم .

تَكُونُ لَهُ زَنْمَةٌ مِثْلَ زَنْمَةِ الشَّاةِ. وقال الضَّحَّاكُ: كَانَتْ لَهُ زَنْمَةٌ فِي أَضْلٍ أَذْنِيهِ، ويقال: هو اللثيم الملتصق في النسب. وقال أبو إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: هو المريب الذي يعرف بالشر. وقال مجاهد: الزَّيْنِمُ يُعْرَفُ بِهَذَا الْوَصْفِ كَمَا تُعْرَفُ الشَّاةُ. وقال ابن رزين: الزَّيْنِمُ: علامة الكفر، وقال عكرمة: الزَّيْنِمُ الذي يعرف باللوم كما تعرف الشاة بزئمتها. والأقوال في هذا كثيرة، وترجع إلى ما قلناه، وهو أن الزَّيْنِمَ، هو المشهور بالشر، الذي يُعْرَفُ به من بين الناس، وغالباً يكونُ دعياً وَلَدَ زِنًا، فإنه في الغالب يَتَسَلَّطُ الشيطان عليه ما لا يَتَسَلَّطُ على غيره.

[٦٩٦٥] كما جاء في الحديث: «لا يدخل الجنة ولد زناً»^(١).

[٦٩٦٦] وفي الحديث الآخر: «ولد الزنا شرُّ الثلاثة إذا عَمِلَ بِعَمَلِ أَبِيهِ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [١٤] إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ مَا يَنْتَنَّا قَالَ أَتَطْلُرُ الْأَوَّلِينَ [١٥]، يقول تعالى: هذا مُقَابَلَةٌ ما أنعم الله عليه من المال والبنين، كَفَّرَ بآيات الله وأعرض عنها وزعم أنها كَذِبٌ مأخوذٌ من أساطير الأولين، كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [١١] وَجَعَلْتُ لَمْ مَالًا مَمْدُودًا [١٢] وَبَيْنَ شُهُودًا [١٣] وَمَهْدَتْ لَمْ تَهَيْدًا [١٤] ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ [١٥] كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا [١٦] فَأَوْفَتْهُ صَعُودًا [١٧] إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ [١٨] فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ [١٩] ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ [٢٠] ثُمَّ نَظَرَ [٢١] ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ [٢٢] ثُمَّ أَوْبَرَّ وَأَسْتَكَرَ [٢٣] فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا بَعْرٌ يُوقَرُّ [٢٤] إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، قال الله تعالى: ﴿سَأُخْبِرُهُمْ سَمَرَهُ﴾ [٢٦] [المندر: ١١ - ٢٦]. وقال تعالى ها هنا: ﴿سَيَسْأَلُ عَلَى الْقُرْآنِ﴾ [٢٦].

وقال ابن جرير: سَبَّيْنِ أَمْرَهُ بَيَانًا واضحا، حتى يعرفون ولا يخفى عليهم، كما لا تخفى السمعة على الخراطيم وهكذا قال قتادة: ﴿سَيَسْأَلُ عَلَى الْقُرْآنِ﴾ [٢٦] شين لا يفارقه آخر ما عليه، وفي رواية عنه: سيما على أنفه وكذا قال السدي. وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿سَيَسْأَلُ عَلَى الْقُرْآنِ﴾ [٢٦]: يُقَاتِلُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَيُخْطَمُ بالسيف في القتال. وقال آخرون: ﴿سَيَسْأَلُ﴾ سِمة أهل النار، يعني تُسَوَّدُ وَجْهَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَغُبِرَ عَنِ الْوَجْهِ

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ٢٥٧/٦ وأبو نعيم في «الحلية» ٣٠٧/٣ - ٣٠٩ وابن عدي ٤٤٩/٣ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١١٠/٣ - ١١١ كلهم من حديث أبي هريرة. قال ابن الجوزي: له ثلاثة طرق. فالأول فيه إسرائيل، وقد ضعفه الدارقطني والترمذي، وقال الدارقطني: قد اختلف في هذا الحديث على مجاهد من عشرة أوجه، فتارة روي عن مجاهد عن أبي هريرة، وتارة عن مجاهد عن ابن عمر، وتارة موقوفاً. وكل ذلك من تخطيط الرواة. وفي الطريق الثاني من لا يعرف. وفي الطريق الثالث إبراهيم بن مهاجر، وقد ضعفه البخاري وغيره. وورد من حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه أحمد ٦٨٩٢ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١٠٩/٣ - ١١٠ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٥٥٢: فيه جابان، وثقة ابن حبان، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح اهـ. وقال ابن الجوزي: ذكر البخاري في «تاريخه» أنه ورد عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، ولا يصح قال: ولا يعرف لجابان سماع من عبد الله بن عمرو، وقال هو مجهول انظر تاريخ البخاري الصغير ٢٦٢/١. ثم قال ابن الجوزي: وفي الطريق الثاني عبد الكريم وقد كذبه أيوب السخيتاني، وقال الدارقطني: متروك. وورد من حديث مجاهد عن أبي سعيد أخرجه أبو يعلى ١١٦٨ وأحمد ٢٨/٣ - ٤٤ وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف، وللحديث طرق أخرى واهية، لا يصح منها شيء. وهي ربما تتقوى بمجموعها، وهذا من جهة الإسناد إلا أن المتن غريب، وقد استدلل ابن الجوزي على رده لهذا الحديث بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ وَنَدَّ أَخْرَجَ﴾.

(٢) أخرجه أحمد ١٠٩/٦ من حديث عائشة؛ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٥٤٩. وفيه إبراهيم بن إسحق، ولم أعرفه. وورد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني ١٠٦٧٤، وقال الهيثمي ١٠٥/٥٠: فيه محمد بن أبي ليلى، وهو سيء الحفظ، ومنديل، وثق، وفيه ضعف اهـ. وانظر «الصحيحة» ٦٧٢.

بالخرطوم. حكى ذلك كله أبو جعفر بن جرير، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة، وهو متجه.

[٦٩٦٧] وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثني خالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عبد الله، عن عيسى بن هلال الصّدفي، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ يُكْتَبُ مُؤْمِنًا أَحْقَابًا، ثُمَّ أَحْقَابًا، ثُمَّ يَمُوتُ وَاللَّهِ عَلَيْهِ سَاحِطٌ وَإِنَّ الْعَبْدَ يُكْتَبُ كَافِرًا أَحْقَابًا ثُمَّ أَحْقَابًا، ثُمَّ يَمُوتُ وَاللَّهِ عَلَيْهِ رَاضٍ. وَمَنْ مَاتَ هَمَازًا لَمَازًا مُلْقَبًا لِلنَّاسِ، كَانَ عَلَامَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَسْمَهُ اللَّهُ عَلَى الْخُرْطُومِ، مِنْ كَلَامِ الشَّقَتَيْنِ»^(١).

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْكَلْبِ إِذْ اقْتَبَلُوا بِصِرْطِنَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ اعْدُوا عَلَى حَرْفِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا مُصْبِحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَبْرَأَ الْكَاذِبُ وَغَدَاؤُنَا إِلَى اللَّهِ شَهِيدٌ ﴿٣١﴾ إِنَّكَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هذا مثل ضرب به الله لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ فيما أهدى إليهم مِنَ الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وأعطاهم مِنَ النِّعَمِ الْجَسِيمَةِ، وهو بَعَثُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ إليهم، فقبَلُوهُ بِالتَّكْذِيبِ وَالرَّدِّ وَالْمَحَارَبَةِ، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾، أي: اخْتَبَرْنَاهُمْ، ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْكَلْبِ﴾، وهي الْبِسْتَانُ الْمُشْتَمَلُ عَلَى أَنْوَاعِ الشَّجَرِ وَالْفَوَاكِه، ﴿إِذْ اقْتَبَلُوا بِصِرْطِنَا مُصْبِحِينَ﴾، أي: خَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ لِيَجِدُنَا نَمْرًا لَيْلًا، لئَلَّا يَعْلَمَ بِهِمْ فَقِيرٌ وَلَا سَائِلٌ، لِيَتَوَقَّرَ نَمْرُهَا عَلَيْهِمْ وَلَا يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ، ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾، أي: فيما خَلَفُوا بِهِ. ولهذا حَتَّفَهُمُ اللَّهُ فِي أَيْمَانِهِمْ، فقال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾، أي: أصابَتْهَا أَفَّةٌ سَمَاقِيَّةٌ، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، قال ابن عباس: أي كاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ. وقال الثَّوْرِيُّ، والسَّدي: مثل الزَّرْعِ إِذَا حَصِدَ، أي: هَشِيمًا يَبَسًا.

[٦٩٦٨] وقال ابن أبي حاتم: ذَكَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الصَّبَاحِ: أَبَانَا بِبَشِيرِ بْنِ زَادَانَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ صُبْحٍ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْمَعَاصِيَ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحَرِّمُ بِهِ رِزْقًا قَدْ كَانَ هُمَّى لَهُ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، «قَدْ حُرِّمُوا خَيْرَ جَنَّتِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ»^(٢).

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾، أي: لما كَانَ وَقْتُ الصُّبْحِ نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَذْهَبُوا إِلَى الْجِذَازِ، ﴿أَنْ اعْدُوا عَلَى حَرْفِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي: تُرِيدُونَ الصِّرَامَ. قال مجاهد: كَانَ حَزَنُهُمْ عَنِيبًا، ﴿فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾، أي: يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِحَيْثُ لَا يَسْمَعُونَ أَحَدًا كَلَامَهُمْ. ثُمَّ قَسَرَ اللَّهُ عَالَمَ السَّرِّ وَالنَّجْوَى مَا

(١) إسناده ضعيف، لضعف عبد الله بن صالح، والتن منكر بهذا اللفظ.

(٢) إسناده ساقط، حيث أخرجه ابن أبي حاتم تعليقاً، وفيه عمر بن صبح، وهو وضاع، وليث ضعيف.

كان يتخافتون به، فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوهُ﴾ (٢٩) ﴿أَنْ لَا يَخْلُقَ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِنًا﴾، أي: يقول بعضهم لبعض: لا تُمَكِّنُوا اليومَ قَبِيرًا يدخلها عليكم! قال الله تعالى: ﴿وَعَذَابُ عَلَىٰ حَرِّ﴾، أي: قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ. قال مجاهد: ﴿وَعَذَابُ عَلَىٰ حَرِّ﴾، أي: جَدُّ. وقال عكرمة: غَيْظٌ. وقال الشعبي: ﴿عَلَىٰ حَرِّ﴾: على المساكين. وقال السدي: ﴿عَلَىٰ حَرِّ﴾، أي: كان اسمُ قريتهم حَرْدًا فأبَعَدَ السَّدي في قوله هذا. ﴿قَدِيدِينَ﴾، أي: عليها، فيما يَزْعُمُونَ وَيَوْمُونَ. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَسَاكُونَ﴾ (٣٠)، أي: فلما وصلوا إليها وأشرقوا عليها، وهي على الحالة التي قال الله - عز وجل - قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مذلَّهة، لا يُنتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق. ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَسَاكُونَ﴾، أي: قد سلَّكنا إليها غير الطريق فثَّهنا عنها. قاله ابن عباس وغيره. ثم رَجَعُوا عما كانوا فيه، وَتَقَنَّنُوا أنها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ بِمُحْمَرُونَ﴾ (٣١)، أي: بل هي هذه، ولكن نحن لا حَظَّ لنا ولا نُصِيبَ. ﴿قَالَ أَوْسَطُ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبَّير، وعكرمة، ومحمد بن كعب، والزُّبَيع بن أُنَس، والضَّحَّاك، وقتادة: أي أعدلَّهم وخيرهم: ﴿أَوَّلَ أَهْلِ لُكَّوْلاً شَيْعُونَ﴾، قال مجاهد، والسَّدي، وابن جُريج: ﴿لَوْلَا شَيْعُونَ﴾، أي: لولا تَسْتَشُونَ. قال السَّدي: وكان استثناءهم في ذلك الزمان تَسْبِيحاً. وقال ابن جُريج: هو قول القائل: إن شاء الله. وقيل: معناه: ﴿قَالَ أَوْسَطُ﴾ أَوَّلَ أَهْلِ لُكَّوْلاً شَيْعُونَ (٣٢)، أي: هَلَّا تَسْبِّحُونَ الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم. ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٣٣)، أتوا بالطاعة حيث لا تنفع، ونَدِمُوا واعترفوا حيث لا ينفع، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٣٣) فَأَقْبَلَ بَعْثُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْنَ، أي: يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حقِّ الجَدَّاذِ، فما كان جوابُ بعضهم لبعض إلا الاعتراف بِالْخَطِيئَةِ والذنب، ﴿قَالُوا يَرْثُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، أي: اعتدينا وبَغَيْنَا وَطَغَيْنَا وجاوزنا الحدَّ حتى أصابنا ما أصابنا، ﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يَبْدُلَنَا ذِكْرًا مِنَّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، قيل: رَغِبُوا في بدِّلها لهم في الدنيا. وقيل: احْتَسَبُوا ثَوَابها في الدارِ الآخرة، والله أعلم.

ثم قد ذَكَرَ بعضُ السلفِ أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن، قال سعيد بن جبَّير: كانوا من قُرَيْبَةٍ يقال لها: ضَرَوَانٌ، على ستة أميال من صنعاء. وقيل: كانوا من أهل الحبشة، وكان أبوهم قد خَلَفَ لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرةً حسنة، فكان ما يَسْتَعْلِمُه منها يَرُدُّ فيها ما يحتاج إليه ويَذْخِرُ لعياله قُوَّةَ سَنَّتِهِمْ، وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَاضِلِ. فلما مات وَوَرِثَهُ بَثْوُهُ، قالوا: لقد كان أبونا أحقُّ إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أَنَا مَنَعْنَاهُمْ لتَوَفَّرَ ذلك علينا. فلما عَزَمُوا على ذلك غَوِقُوا بِتَقْيِضِ قَضَائِهِمْ، فاذْهَبَ اللهُ ما بأيديهم بالكُفَّةِ، رَأْسَ المَالِ والرَّيْحِ والصدقة، فلم يَبْقَ لهم شيء. قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْقَاتِلَاتُ﴾، أي: هكذا عذاب مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ، وَيَخْلُ بِمَا آتَاهُ اللهُ وأنعم به عليه، وَمَنَعَ حَقَّ الْمَسْكِينِ والفقير وذوي الحاجات، وَيَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا الْآخِرَةَ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، أي: هذه عقوبة الدنيا كما سَمِعْتُمْ، وعذاب الآخرة أَشَقُّ.

[٦٩٦٩] وقد وَرَدَ في حديث رَوَاهُ الحافظُ البيهقيُّ من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جَدِّه أن رسول الله ﷺ نهى عن الجَدَّاذِ بِاللَّيْلِ، والحَصَادِ بِاللَّيْلِ^(١).

(١) كذا وقع للمصنف «عن أبيه عن جده» وظاهره عن علي رضي الله عنه، أو عن الحسين، وليس كذلك فهو عند البيهقي، في «سننه» ٢٩٨/٩ - ٢٩٩ عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين - زين العابدين - عن النبي ﷺ مرسلًا، وكرره عن الحسن البصري مرسلًا. فهو ضعيف.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفْتَجَمِلُ السُّلَيْبِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَا تَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ إِنَّ لَكُمْ لَآ تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلَّمْتُ إِلَيْهِمْ بِالَّذِكْرِ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله - عز وجل - وخالفوا أمره، بين أن ليعن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم، التي لا تبيد ولا تفرغ، ولا ينقض نعيمها. ثم قال تعالى: ﴿أَفْتَجَمِلُ السُّلَيْبِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾، أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء، ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾، أي: كيف تظنون ذلك؟ ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾، إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَآ تَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾، يقول: أبايديكم كتاب منزل من السماء تدرسون وتحتفظونه وتتداولونه ينقل الخلف عن السلف، متضمن حكماً مؤكداً كما تدعون؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَآ تَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ إِنَّ لَكُمْ لَآ تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾، أي: أمعكم عهدٌ منا ومواثيق مؤكدة، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَآ تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾، أي: إنه سيحصل لكم ما تريدون وتستشرون، ﴿سَلَّمْتُ إِلَيْهِمْ بِالَّذِكْرِ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾، أي: قل لهم: من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ قال ابن عباس: يقول: «إليهم بذلك كفيل». ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ ﴿٤١﴾﴾، أي: من الأصنام والأنداد، ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَعْيُرُهُمْ رَبُّهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ يَهْدِ اللَّهُ الْحَدِيثَ مَتَدْرَجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَبٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عَنْدهُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُمْ يَكْفُيُونَ ﴿٤٧﴾﴾

لما ذكر تعالى أن للمتقين عنده جنات النعيم، بين متى ذلك كائن وواقع، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾، يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأحوال والزلازل والبلايل والامتحان والأمور العظام.

[٦٩٧٠] وقد قال البخاري ها هنا: حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُكْشَفُ رِئَانَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لَيْسَ يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»^(١). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ، وهو حديث طويل مشهور.

وقد قال عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، قال: هو يوم كَرْبٍ وشِدَّةٍ، رواه ابن جرير، ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهرا، عن سُفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن ابن مسعود أو ابن عباس - الشك من ابن جرير - : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، قال: عن أمير عظيم، كقول الشاعر:

(١) صحيح. هو جزء من حديث طويل. أخرجه البخاري ٤٩١٩ و٧٤٣٩ ومسلم ١٨٣ والترمذي ٢٥٩٨ والنسائي ١١٢/٨ وابن ماجه ١٧٩ وأحمد ١٦/٣ وابن حبان ٧٣٧٧.

وقامت الحرب بينا على ساق

وقال ابن أبي نجيج، عن مجاهد: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»، قال: شِدَّةُ الأمر. وقال ابن عباس: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة. وقال ابن جريج عن مجاهد: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»، قال: شِدَّةُ الأمرِ وجِدَّة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»، هو: الأمر الشديد المُفْطِع من الهول يوم القيامة. وقال العوفي، عن ابن عباس قوله: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»، يقول: حين يُكْشَفُ الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه. وكذا روى الضحاك، عن ابن عباس. أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير.

[٦٩٧١] ثم قال: حدثني أبو زيد غمر بن شبة، حدثنا هارون بن غمر المخزومي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح، عن مولى لعمر بن عبد العزيز، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»، قال: «عن نورٍ عظيم يَخْرُونَ له سجداً»^(١). وزواه أبو يغلى، عن القاسم بن يحيى، عن الوليد بن مسلم، به. وفيه رجلٌ مُبْهَم، فالله أعلم.

وقوله تعالى: «خَشِيعَةً أَصْرَهُمْ تَرْفَعُهُمْ ذِلَّةً»، أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فَعُوقِبُوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دُعُوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عُوقِبُوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلَّى الرب - عز وجل - فسجد له المؤمنون، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلُّما أراد أحدُهم أن يسجد خَرَّ لِقْفاه، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون. ثم قال تعالى: «فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْكِذِبِ»: يعني القرآن. وهذا تهديد شديد، أي: دعني وإياه مني ومنه أنا أعلم به كيف أستدرجُه، وأمدُّه في عَيْه وانظر، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر. ولهذا قال تعالى: «سَتَذِقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ»، أي: وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال تعالى: «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّائِلٍ وَبَيْنَ ۖ شَاكٍ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ بَلَاءٌ لَّا يَشْعُرُونَ ۖ» [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]. وقال تعالى: «فَلَمَّا سَوَّاهُ مَا دُحِكْرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَنْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۖ» [الأنعام: ٤٤]. ولهذا قال هاهنا: «وَأَتْلُو لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۖ»^(٢)، أي: وأؤخرهم وأنظرهم وأمد لهم، وذلك من كيدي ومكرِّي بهم، ولهذا قال تعالى: «إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ»، أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذب رُسلي، واجترأ على مَعْصِيَتِي.

[٦٩٧٢] وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَقْلِنِهِ». ثم قرأ: «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ۖ»^(٣) [هود: ١٠٢].

وقوله تعالى: «أَمْ سَأَمْتُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ يَنْفَرُوا شُكُّوا ۖ»^(٤) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ۖ»^(٥)، تقدم تفسيرهما في سورة الطور، والمعنى في ذلك: أنك - يا محمد - تدعوهم إلى الله - عز وجل - بلا أجر تأخذه منهم، بل

(١) أخرجه أبو يعلى ٧٢٨٣ والبيهقي في «الصفات» ص ٣٤٧ - ٣٤٨ والطبري ٢٩ / ٤٢، وإسناده ضعيف. فيه راو لم يسم. وفيه روح بن جناح، وهو ضعيف، واتهم ابن حبان، ووثقه دحيم والحديث ضعفه الحافظ في «الفتح» ٦٦٤ / ٨. بقوله: فيه ضعف اهـ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٣٦: روح بن جناح، وثقة دحيم، وقال فيه: ليس بالقوي، وبقي رجاله ثقات اهـ والصواب أنه حديث ضعيف فيه راو لم يسم، وهذه العلة لم يتعرض لها الهيثمي. ثم إن ابن جناح جزم الحافظ في «التقريب» بأنه ضعيف.

(٢) وتقدم تخريج الحديث في سورة البقرة آية ١٢٦.

تَرْجُو ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُمْ يَكْذِبُونَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، بِمُجْرَدِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ.

﴿فَأَمَّا لِمِثْرِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنُّ كَصَلَابِ الْمُؤْتَ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ تَوَلَّىٰ أَنْ تَرَكَكَ رِجْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَئِنِّي بِالْمَرْءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَأَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا لِمِثْرِ﴾ - يا محمد - على أذى قومك لك وتكذيبهم، فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تُكِنُّ كَصَلَابِ الْمُؤْتَ﴾، يعني ذا النون، وهو يونس ابن متى عليه السلام، حين دُفِنَ مُغَاضِباً على قومه، فكان من أمره ما كان من زكوبه في البحر والتقام الحوت له، وشُرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات النِّم، وسماعه تسيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يَزِدُ ما أنفذه من التقدير، فحينئذ نادى في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، قال الله تعالى: ﴿فَأَنسَجَبْنَا لَهُ وَجَنَّاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصَيِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٤٩﴾ لَكِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤]. وقال ها هنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: مغموم. وقال عطاء الخراساني، وأبو مالك: مكروب.

[٦٩٧٣] وقد قَدَمْنَا في الحديث أنه لما قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، خَرَجَت الكلمة تُحَفُّ حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعیف معروف من بلاد غريبة. فقال الله: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس. قالوا: يا رب، عبدك الذي لا يزال يُرْفَعُ له عمل صالح ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: أفلا تَرَحَّمُ ما كان يعمل في الرخاء فتُنَجِّيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فإلقاه بالمرء، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (١).

[٦٩٧٤] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» (٢). ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري. وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: لَيَنْقُذُونَكَ بأبصارهم. أي: لَيُعِيْثُوكَ بأبصارهم، بمعنى يحسدونك لِبَغْضِهِمْ إِيَّاكَ لولا وقاية الله لك، وحمايته إِيَّاكَ منهم. وفي هذا الآية دليل على أن العين إصابته وتأثيرها حق، بإمر الله - عز وجل - كما وَزَدَتْ بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة:

[٦٩٧٥] حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود العتكي: حدثنا شريك (ح) - وَحَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ الْعَبَّارِيُّ، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شريك، عن العباس بن ذريح، عن الشعبي - قال العباس: عن أنس - قال: قال النبي ﷺ: «لا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ دَمٍ لَا يَرْقَأُ». لم يذكر العباس «العين». وهذا لفظ سليمان (٣).

(١) تقدم في الأنبياء.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ١/ ٣٩٠ وإسناده على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه البخاري ٣٤١٦ و٦٣١١ ومسلم ٢٣٧٩ وأبو داود ٤٦٦٩ وابن حبان ٦٢٣٨ لكن من حديث أبي هريرة.

(٣) صحيح، دون لفظ «أو دم لا يرقأ». أخرجه أبو داود ٣٨٨٩ والحاكم ٤١٣/٤ ورجاله ثقات مشاهير لكن شريك =

[٦٩٧٦] حَدِيث بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصْبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَاجَه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ بُرَيْدَةَ ابْنِ الْحَصْبِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حَمَةٍ»^(١). هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ هُشَيْمٍ، عَنْ حُصَيْنٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ بُرَيْدَةَ مَوْقُوفًا، وَفِيهِ قِصَّةٌ. وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ، وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ، وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ ابْنِ مِغْوَلٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَوْقُوفًا.

[٦٩٧٧] حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْمُوَصِّلِيُّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَزْرَةَ بْنِ الْبَزْدِ السَّامِيُّ، حَدَّثَنَا دَيْلَمُ بْنُ غَزْوَانَ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ أَبِي دَبِيٍّ، عَنْ أَبِي حَزْبٍ، عَنْ مَخْجَنٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتَوَلِّجَ الرَّجُلَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَيَتَصَاعَدُ حَالِقًا ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْهُ»^(٢). إِسْنَادُهُ غَرِيبٌ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ.

[٦٩٧٨] حَدِيثُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَرْبٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي حَيْثُ بْنُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا شَيْءَ فِي الْهَامِ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطَّيْرِ الْفَالُ»^(٣). وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي غَسَّانٍ يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، بِهِ. ثُمَّ قَالَ: غَرِيبٌ، قَالَ: «وَرَوَى شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ حَيْثُ بْنِ حَابِسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ».

[٦٩٧٩] قُلْتُ: كَذَلِكَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حَسَنِ بْنِ مُوسَى وَحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ شَيْبَانَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ حَيْثُ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا بَأْسَ فِي الْهَامِ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطَّيْرِ الْفَالُ»^(٤).

[٦٩٨٠] حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ ذُوَيْدٍ، حَدَّثَنِي

= سَاءَ حِفْظُهُ لَمَا تَوَلَّى الْقَضَاءَ، وَقَدْ تَوَبَّعَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ دُونَ عَجْزِهِ. وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَانْظُرْ مَا بَعْدَهُ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه ٣٥١٣ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لضعف أبي جعفر الرازي، وله شاهد من حديث جابر، أخرجه البزار ٣٠٥٦ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١١/٥: رجاله ثقات. وله شاهد من حديث عمران بن حصين، أخرجه أبو داود ٣٨٨٤ والتِّرْمِذِيُّ ٢٠٥٧ وأحمد ٤٣٦/٤ - ٤٤٦ وإسناده صحيح. ورواه غير واحد موقوفاً، ومثله لا يقال بالرأي، فالحديث صحيح.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٤٦/٥ - ١٦٧ والبزار ٣٠٥٣ «كشف» وقال الهيثمي في «المجمع» ٨٤٢١: رجال أحمد ثقات. قلت: محسن وثقه ابن حبان وحده، والصواب أنه مجهول.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ٢٠٦١ وأحمد ٧٠/٥ - ٧٦ والبخاري في «الأدب المفرد» ٩١٤ وأبو يعلى ١٥٨٢ وإسناده لين لأجل حَيْثُ، فإنه مقبول، وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه الطبراني ٧٦٨٦ وفيه عفير بن معدان ضعيف متروك، ففعل الألباني لم يعتد بهذا الشاهد لشدة ضعفه لذا أوردته في «الضعيفة» ٤٨٠٤ فإن كان ضعيفاً فالضعف فقط في الفقرة الأولى، وباقي الحديث له شواهد.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٧٠/٥ وإسناده كسابقه.

إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، العين حق، تستزول الحالق»^(١). غريب.

[٦٩٨١] طريق آخرى، قال مسلم في صحيحه: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا وهيب، عن ابن طائوس، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبق العین، وإذا استغسلتم فاغسلوا»^(٢). انفرد به دون البخاري.

[٦٩٨٢] وقال عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُعوذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، يقول: «أَعِذْكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ»، ويقول: «هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعوذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَام»^(٣). أخرجه البخاري وأهل السنن، من حديث المنهال، به.

[٦٩٨٣] حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال ابن ماجه: حدثنا هشام ابن عمار، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: مرَّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أرَ كالْيَوْمِ ولا جلدَ مُحَبَّاةٍ. فما لبث أن لُبطَ به، فأُتي به رسول الله ﷺ فقيل له: أذكر سهلاً صريعاً. قال: «من تهمون به؟» قالوا: عامر بن ربيعة. قال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة». ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، وركبتيه، وذائخله إزاره، وأمره أن يصب عليه. قال سفيان: قال معمر، عن الزهري: وأمر أن يكفأ الإناء من خلفه^(٤). وقد رواه النسائي، من حديث سفيان بن عُيينة ومالك بن أنس، كلاهما عن الزهري، به. ومن حديث سفيان بن عُيينة أيضاً، عن معمر، عن الزهري، عن أبي أمامة: ويكفأ الإناء من خلفه. ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري، عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف، عن أبيه، به. ومن حديث مالك أيضاً، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل، عن أبيه، به.

[٦٩٨٤] حديث أبي سعيد الخدري، قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد، عن الجري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجن وأعين الإنس. فلما نزل المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك^(٥). ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن إياس أبي مسعود الجري، به. وقال الترمذي: «حسن».

[٦٩٨٥] حديث آخر عنه، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثني عبد العزيز بن ضهيب، حدثني أبو نضرة، عن أبي سعيد: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: «اشتكت يا محمد؟ قال: «نعم». قال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين يشفيك، باسم الله

(١) أخرجه أحمد ٢٩٤/١ وإسناده لين لأجل دويد وانظر «الصحيحة» ١٢٥٠.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٨٨ والطبراني ١٠٩٠٥ والبيهقي ٣٥١/٩.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٧١ وأبو داود ٤٧٣٧ والترمذي ٢٠٦٠ والنسائي ١٠٠٦ و١٠٠٧ وابن ماجه ٣٥٢٥ وأحمد ٢٣٦/١ وابن حبان ١٠١٣.

(٤) صحيح. أخرجه النسائي ٢٠٨ وابن ماجه ٣٥٠٩ وعبد الرزاق ١٩٧٦٦ وأحمد ٣٨٦/٤ وابن حبان ٦١٠٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠٥٨ والنسائي ٧٩٣٠ وابن ماجه ٣٥١١ وإسناده صحيح.

أَرْقِيكَ»^(١). وَرَوَاهُ عَنْ عَفَّانَ، عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ، مِثْلَهُ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ - إِلَّا أَبَا دَاوُدَ - مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ، بِهِ.

[٦٩٨٦] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضاً: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهْبٌ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - أَوْ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَكَى، فَأَنَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ [و] اللَّهُ يَشْفِيكَ»^(٢). وَرَوَاهُ أَيْضاً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطُّفَاوِيِّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، بِهِ. قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ: رَوَى عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، وَعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ، فِي مَعْنَاهُ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

[٦٩٨٧] حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنَبَانَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِيٍّ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»^(٣). أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ.

[٦٩٨٨] وَقَالَ ابْنُ مَاجَةٍ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُثَيْبَةَ، عَنْ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ مُضَارِبِ بْنِ حَزْنٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ»^(٤) تَفَرَّدَ بِهِ. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ، عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عُثَيْبَةَ، عَنْ سَعِيدِ الْجَرِيرِيِّ بِهِ.

[٦٩٨٩] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا ثَوْرٌ - يَعْنِي ابْنَ يَزِيدَ - عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُهَا الشَّيْطَانُ، وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ»^(٥).

[٦٩٩٠] وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعَشَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ: سُئِلَ [أَبُو] هُرَيْرَةَ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الطَّيْرَةُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَسْكَنِ وَالْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ؟» قَالَ: قُلْتُ: إِذَا أَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ! وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَصْدَقُ الطَّيْرَةِ الْفَالُ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ»^(٦).

[٦٩٩١] حَدِيثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ حَمَيْسٍ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيِّ قَالَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ بَنِي جَعْفَرٍ تُصِيبُهُمُ الْعَيْنُ، أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ الْقَدَرَ لَسَبَقْتَهُ الْعَيْنُ»^(٧). وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ، مِنْ حَدِيثِ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٨٦ والترمذي ٩٧٢ وابن أبي شيبة ٣١٧/١٠ وأحمد ٢٨/٣ - ٥٦ - ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد ٥٨/٣ من حديث أبي سعيد ٧٥/٣ من حديث جابر بن عبد الله وكلا الإسنادين صحيح.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٤٠ و٥٩٤٤ ومسلم ٢١٨٧ وعبد الرزاق ١٩٧٧٨ وأحمد ٣١٩/٢ والبخاري ٣١٩٠ وابن حبان ٥٥٠٣.

(٤) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٣٥٠٧ وإسناده لين لأجل مضارب، لكن للحديث شواهد.

(٥) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد ٤٣٩/٢، وهو منقطع. مكحول لم يسمع من أبي هريرة، وجري الهيشي رحمه الله على ظاهره، فقال: رجاله رجال الصحيح. انظر «المجمع» ٨٤٢٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢٨٩/٢ وفيه أبو معشر ضعفه غير واحد، لكن للحديث شواهد.

(٧) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٠٥٩ وابن ماجه ٣٥١٠ وأحمد ٤٣٨/٦ ورجالته ثقات سوى عبيد، وثقه ابن حبان، لكن للحديث شواهد.

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، به. ورواه الترمذي أيضاً والنسائي، من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن أَيُّوبَ، عن عمرو بن دينار، عن عَزْوَةَ بن عامرٍ، عن عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عن أسماء بنت عُمَيْسٍ، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

[٦٩٩٢] حديث عائشة - رضي الله عنها - قال ابن ماجه: حدثنا علي بن أبي الحَصِيْب، حدثنا وكيع، عن سفيان ومِسْعَرٍ، عن مَعْبُدِ بْنِ خَالِدٍ، عن عبد الله بن شَدَادٍ، عن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهَا أَنْ تَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ^(١). ورواه البخاري عن محمد بن كثير، عن سفيان، عن مَعْبُدِ بْنِ خَالِدٍ، به. وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومِسْعَرٍ، كلاهما عن مَعْبُدِ، به.

[٦٩٩٣] ثم قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عن أبي واقد، عن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»^(٢). تَقَرَّدَ بِهِ.

[٦٩٩٤] وقال أبو داود: حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: كان يُؤْمَرُ الْعَائِشَةُ فَيَتَوَضَّأُ وَيَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ^(٣).

[٦٩٩٥] حديث سهل بن حنيف، قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشَعْبِ الْخُرَّارِ - مِنَ الْجُحَفَةِ - اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ - وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ - فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخْبَأَةٍ. فَلَبِطَ سَهْلٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَلَا يَفِيْقُ، قَالَ: «هَلْ تَتَهَمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَظَرْنَا إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِرًا، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ هَلَا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَكْتُ؟!» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اغْتَسِلْ لَهُ». فغسل وجهه ويديه ومِرْقَاتِهِ وَرِجْلَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ - عَلَيْهِ - يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ يُكْفِيهِ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ. فَقَعِلَ ذَلِكَ، فَرَأَى سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ، لَيْسَ بِأَمْسٍ^(٤).

[٦٩٩٦] حديث عامر بن ربيعة، قال الإمام أحمد في مسند عامر: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى، عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف، عن عبد الله بن عامر قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان العُسل، قال: فانطلقا يَلْتَمِسَانِ الْخَمْرَ - قال: فوضع عامرُ جَبَّةً كانت عليه من صُوفٍ، فنظرتُ إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء يَغْتَسِلُ، قال: فَسَمِعْتُ لَهُ فِي الْمَاءِ فَرْقَةَ فَأَتَيْتُهُ فَنَادَيْتُهُ ثَلَاثًا، فلم يُجِبْنِي، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قال فجاء يمشي فخاض الماءَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقِيهِ، قال: فَضَرَبَ صَدْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٣٨ ومسلم ٢١٩٥ وابن ماجه ٣٥١٢ وأحمد ٦٣/٦ و١٣٨ والبيهقي ٣٤٧/٩ والبخاري ٣٢٤٢ وابن حبان ٦١٠٣.

(٢) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٣٥٠٨ والحاكم ٢١٥/٤ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٨٨٠ وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه أحمد ٤٨٦/٣ وإسناده حسن لأجل أبي أُوَيْسٍ، لكن توبع وتقدم قبل أحاديث من طرق عن الزهري.

قال: اللهم، اصرف عنه خَرَّها وَبَزَّها وَوَضَّها. قال: فقام. فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه أو من ماله، ما يُعجبه، فليُبرِّكْ فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ»^(١).

[٦٩٩٧] حديث جابر، قال الحافظ أبو بكر البزار في مُسنَّده: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري، يقال له: ابن الضَّجِيع، ضَجِيع حمزة - رضي الله عنه - حَدَّثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ من يموتُ من أُمَّتي بعد كتاب الله وقضائه وَقَدَره بِالْأَنْفُسِ»^(٢). قال البزار: يعني العين. قال: ولا نَعْلَمُ يَرَوِي هذا الحديث عن النبي ﷺ إِلَّا بهذا الإسناد قلت: بل قد روي من وجه آخر عن جابر.

[٦٩٩٨] قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهَرَوِي - المعروف بِشُكْر - في كتاب العجائب، وهو مشتمل على فوائد جليَّة وعَرَبِيَّة: حدثنا الزَّهَّاءُ، حدثنا يعقوب بن محمد، حَدَّثنا علي ابن أبي علي الهاشمي، حدثنا مُحَمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «العينُ حَقٌّ لِثَوْرِ الرَّجُلِ الْقَبْرِ، وَالْجَمَلِ الْقَدْرِ، وَإِنْ أَكْثَرَ هَلَاكِ أُمَّتي فِي الْعَيْنِ»^(٣).

[٦٩٩٩] ثم رواه عن شُعَيْب بن أَيُّوب، عن معاوية، بن هشام، عن سُفيان، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدْ تَدْخُلُ الرَّجُلُ الْعَيْنُ فِي الْقَبْرِ، وَتَدْخُلُ الْجَمَلُ الْقَدْرُ»^(٤). وهذا إسنادٌ رجَّاهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ، ولم يخرجوه.

[٧٠٠٠] حديث عبد الله بن عمرو، قال الإمام أحمد: حدثنا قُتَيْبَة، حدثنا رَشْدِينُ بنُ سَعْدٍ، عن الحسن بن ثوبان، عن هشام بن أبي رُقَيْة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا عَذْوَى وَلَا طَبِيرَة، وَلَا هَامَة وَلَا حَسَدٌ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ»^(٥). تَفَرَّدَ به أحمد.

[٧٠٠١] حَدِيثٌ عَنْ هَلِيٍّ، رَوَى الحافظ ابنُ عسَّاکر من طريق خَيْثَمَة بن سليمان الحافظ: حدثنا عُيَيْد بن محمد الكَشَوَرِيُّ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد رَئِة البصري، عن أبي رَجَاء، عن شُعْبَة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عَنْ عَلِيٍّ: أَنَّ جَبْرِيلَ أتى النبي ﷺ فوافقه مُعْتَمِتاً، فقال: يا مُحَمَّد! ما هذا الْعَم الذي أراه في وجهك؟ قال: الحسن والحسين أصابتهما عَيْنٌ. قال: صَدَقَ بِالْعَيْنِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، أَفَلَا عَوَّذْتَهُمَا

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٤٤٧/٣ وأبو يعلى ٧١٩٥ وإسناده لين لأجل أمية، لكن توبع فيما تقدم.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه البزار ٣٠٥٢ «كشف» وابن عدي ١١٩/٤ والعقيلي في «الضعفاء» ٢٣١/٢ ومداره على طالب بن حبيب، وهو ضعيف، قال البخاري: فيه نظر، وأعله ابن عدي والعقيلي به، والثن منكر جداً، شبه موضوع، فالوت بالعين هو أيضاً من قضاء الله وقدره، ومع ذلك عامة الموت يكون بالأمراض والقتال والوباء، ونحو ذلك.

(٣) إسناده ضعيف جداً، يعقوب ضعفه غير واحد، وشيخه علي متروك الحديث.

(٤) ضعيف. أخرجه أبو نعيم ٩٠/٧ والخطيب ٢٤٤/٩، وهو معلول، شعيب وإن وثقه الجمهور، فقد قال أبو داود: إني لأخاف الله الرواية عنه، ووثقه ابن حبان ثم قال: يخطيء ويدلس، كلما حدث جاء في حديثه المناكير مدلسة. ونقل السخاوي في «المقاصد» ٧٢٦ عن ابن عدي قوله: إنما يعرف هذا عن علي بن أبي علي عن ابن المنكدر لا عن الثوري، وقال إسماعيل الصابوني: بلغني أنه قيل لشعيب ينبغي أن تمسك عن هذه الرواية ففعل. وفيه أيضاً معاوية بن هشام، فهو وإن روى له مسلم، فقد قال أحمد: هو كثير الخطأ. وأشار الذهبي في «الميزان» ٢/٢٧٥ إلى أن هذا الحديث منكر.

(٥) صحيح دون «ولا حسد». أخرجه أحمد ٢/٢٢٢ وإسناده ضعيف لضعف رشدين، وللمتن شواهد بعضها في الصحيح دون لفظ «ولا حسد» فهو ضعيف. وبه أخاه الهيثمي في «المجمع» ٨٣٩٠.

بهؤلاء الكلمات؟ قال: وما هن يا جبريل؟ قال: قل: اللهم ذا السلطان العظيم، ذا المن القديم، ذا الوجه الكريم، ولي الكلمات الثمات، والدعوات المستجابات، عاف الحسن والحسين، من أنفس الجن، وأعين الإنس، فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه. فقال النبي ﷺ: «عَوِّذُوا أَنْفُسَكُمْ ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله»^(١). قال الخطيب البغدادي: تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبد الله الحبطي من أهل نُسُتَر، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين، من تاريخه.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، أي: يزكّونه بأعينهم ويؤذونه بالسنتهم، ويقولون ﴿إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، أي: لمجيئه بالقرآن. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٥٢).

آخر تفسير سورة «ن»، والله الحمد والمنة

(١) إسناده وإو لأجل الحارث الأعور، فقد ضعفه الجمهور. وكذبه الشعبي.

[٧٠٠٢] وقد ثبت في الصحيحين: «نصرت بالصبا، وأهلك عاد بالذبور»^(١).

[٧٠٠٣] قال ابن حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدى، حدثنا ابن فضيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا فيها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم، فحملتهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا. فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة»^(٢). وقال الثوري عن ليث، عن مجاهد: الريح لها جناحان وذئب. «فهل تزل لهم ينز بايسكرو»^(٣)، أي: هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادؤا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَاءَ زَمُونُ وَنَّ قَبْلَهُ﴾: قرئ بكسر القاف، أي: ومن عنده ومن في زمانه من أتباعه من كفار القبط. وقرأ آخرون بفتحها، أي: ومن قبله من الأمم المشبهين له. وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَنِّكَتُ﴾، وهم الأمم المكذبون بالرسول ﴿بِالْفُلَانَةِ﴾، أي: بالفعلة الخاطئة، وهي التكذيب بما أنزل الله. قال الربيع: ﴿بِالْفُلَانَةِ﴾، أي: بالمعصية. وقال مجاهد: بالخطايا. ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَمَّوْا رُسُلَ رَبِّكُمْ﴾. وهذا جنس، أي: كل كذب رسول الله إليهم. كما قال تعالى: ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلِ لَحَقَّ وَبَعْدُ﴾ [ق: ١٤] ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤)، ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥)، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٦) [الشعراء: ١٠٥، ١٢٣، ١٤١]. وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد، ولهذا قال ها هنا: ﴿فَقَمَّوْا رُسُلَ رَبِّكُمْ فَأَعَدَّكُمْ لَعْنَةً رَابِعَةً﴾^(٧)، أي: عزيمة شديدة اليمة. قال مجاهد: «رَابِعَةً»: شديدة. وقال السدي: مهلكة. ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا آلَهُ﴾، أي يزداد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود، قال ابن عباس وغيره: ﴿طَعْنَا آلَهُ﴾: كثر، وذلك بسبب دعوة نوح - عليه السلام - على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله، فاستجاب الله له وعم أهل الأرض الطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالتأس كلهم من سلالة نوح وذريته. قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهرا، عن أبي سنان سعيد ابن سنان، عن غير واحد، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على الخزان فخرج، فذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا آلَهُ حَمَلْنَا فِي الْبَارَةِ﴾^(٨)، ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك، إلا يوم عاد، فإنه أذن لها دون الخزان، فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ مَتَوَّسَةٍ مَّائِيَةٍ﴾: عنت على الخزان. ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا آلَهُ حَمَلْنَا فِي الْبَارَةِ﴾^(٩)، وهي السفينة الجارية على وجه الماء، ﴿لِنَجْلِيَهَا لَكُمْ ذِكْرًا﴾، عاد الضمير على الجنس للدلالة المعنى عليه، أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ أَلْفَاكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِنَسْأَلَنَّ عَنْ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ لَكُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي أَلْفَاكِ الْمَشْحُونِ﴾^(١٠) وخلقنا لكم من قبله ما يركبون. [يس: ٤١]. وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة. والأول أظهر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَبِيحًا أَذْنًا رَعِيَةً﴾، أي: وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية، قال ابن عباس حافظة سامعة. وقال

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف، وتقدم الكلام عليه.

قتاده: ﴿أَذِّنْ وَحِيَةً﴾ عَقَلْتُ عَنْ اللَّهِ فانتفعت بما سَمِعْتُ من كتاب الله، وقال الضحاک ﴿وَقِيَّهَا أَذِّنْ وَحِيَةً﴾، سَمِعْتُهَا أَذِّنْ وَوَعْتُ. أي مَنْ لَهُ سَمْعٌ صَحِيحٌ وَعَقْلٌ رَجِيحٌ، وهذا عام في كُلِّ مَنْ فَهِمَ وَوَعَى.

[٧٠٠٤] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقي، حدثنا زيد بن يحيى، حدثنا علي بن خُوْشَب، سَمِعْتُ مَكْحُولاً يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿وَقِيَّهَا أَذِّنْ وَحِيَةً﴾، قال رسول الله: «سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَهَا أَذِّنْ عَلَيَّ». فكان عَلَيٌّ يَقُولُ: مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ فَنَسِيْتُهُ^(١). وهكذا رواه ابن جرير، عن علي بن سهل، عن الوليد بن مُسْلِم، عن علي بن خُوْشَب، عن مَكْحُولٍ بِهِ، وهو حديث مُرْسَلٌ.

[٧٠٠٥] وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا جعفر بن محمد بن عامر، حدثنا بشر بن آدم، حدثنا عبد الله ابن الزبير أبو محمد - يعني والد أبي أحمد الزبيري - حدثني صالح بن هَيْثَم، سمعت بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّ يَقُولُ: قال رسول الله ﷺ لعلي: إني أُمِرْتُ أَنْ أُذِنِكَ وَلَا أَقْصِيكَ، وَأَنْ أَعْلَمَكَ وَأَنْ تَعِي، وَحَقُّ لَكَ أَنْ تَعِيَ. قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَقِيَّهَا أَذِّنْ وَحِيَةً﴾^(٢). ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف، عن بشر بن آدم، به. ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن أبي داود الأعمى، عن بُرَيْدَةَ، به. ولا يَصِحُّ أيضاً.

﴿إِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَجِئَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ ۝١٥ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ ۝١٦ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۖ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ ۝١٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة. وأوّل ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور، وهي النفخة، وقد أكدها هنا بأنها واحدة، لأن أمر الله لا يُخَالَفُ ولا يُمَانَعُ، ولا يحتاج إلى تكرار وتأکید. وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة، والظاهر ما قلناه، ولهذا قال ها هنا ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ﴾، أي فمُدَّتْ مَدَّ الْأَيَّامِ الْمُكَاطِطِي، وَتَبَدَّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ﴾ أي قامت القيامة، ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ﴾، قال سِمَاك، عن شيخ من بني أسيد، عن علي قال: تَنْشَقُّ السَّمَاءُ مِنَ الْمَجْرَةِ. رواه ابن أبي حاتم. وقال ابن جرير: هي كقوله: ﴿وَقِيَّهَا السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۖ﴾ [النبا: ١٩] وقال ابن عباس: مُتَخَرِّقَةٌ، والعرش بِحِذَائِهَا. ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ۖ﴾، الْمَلَكُ: اسمُ جِنْسٍ، أي الملائكة على أرجاء السماء. قال ابن عباس على ما لم يَهِ مِنْهَا. أي حَافَاتِهَا. وكذا قال سعيد بن جبّير،

(١) باطل. أخرجه الطبري ٣٤٧٧١ عن مكحول مرسلًا، ومع إرساله مكحول فيه ضعف إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله ١٩ وله علة ثانية. الوليد بن مسلم، يدلّس التسوية، وقد عنعن، وتابعه العباس بن الوليد، وهو وإو، وعلة ثالثة وهي نكارة المتن. فقد عده جماعة من النقاد من بدع التأويل.

(٢) باطل. أخرجه الطبري ٣٤٧٧٢ والواحد ٨٣٨ وابن عساكر ٤٢٣/٢ وأبو نعيم ٦٧/١، وفيه عبد الله بن الزبير، وهو ضعيف كما في «الميزان» ٤٣١٨، وفيه صالح بن الهيثم، لم أجد من ترجمه، وتابعه عبد الله بن رستم عند الطبري ٣٤٧٧٢ وابن رستم لم أجد من ترجمه أيضاً. والظاهر أن هذا الإسناد وما قبله قد ركه بعض الهلكن، وسرقه بعض الضعفاء كعبد الله بن الزبير، أو من دونه فسرقوه، وأسندوه عن مجاهيل، كما هو الحال في كلا الإسنادين. وكرره الطبري ٣٤٧٧٣ من طريق أبي داود النخعي عن بريدة، وأبو داود اسمه نعيم بن الحارث، وهو متروك الحديث يروي الموضوعات.

والأوزاعي. وقال الضحاك: أطرافها. وقال الحسن البصري: أبوابها. وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾، يقول: على ما استندت من السماء ينظرون إلى أهل الأرض. وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾، أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة. ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفضل القضاء، والله أعلم بالصواب. وفي حديث عبد الله بن عبيدة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، في ذكر حَمَلَةِ العرش أنهم ثمانية أوعال^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو السَّمْح المصري، حدثنا أبو قُبَيْلَ حُيَيِّ بن هانئ: أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: حَمَلَةُ العرش ثمانية ما بين فوق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مِثَّةَ عام.

[٧٠٠٦] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: كَتَبَ إِلَيَّ أَحْمَدُ بن حفص بن عبد الله النيسابوري: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَى بن عُقْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بن الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، بَعْدَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَنْقِهِ مَخْفِقُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(٢). وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات.

[٧٠٠٧] وقد رواه أبو داود في كتاب السُّنَّةِ مِنْ «سُنَّتِهِ»: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن حفص بن عبد الله، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَى بن عُقْبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بن الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بن عبد الله: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(٣). هذا لفظ أبي داود.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بن الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ أَشْعَثَ، عَنْ جَعْفَرِ، عَنْ سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾. قال: ثمانية صُفُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. قال: وَرَوَى عَنْ الشَّعْبِيِّ، وَعِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَابْنِ جُرَيْجٍ، مِثْلُ ذَلِكَ. وكذا رَوَى السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ثمانية صفوف، وكذا رَوَى العوفي، عنه. وقال الضحاك، عن ابن عباس الكرويين ثمانية أجزاء، كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُمْ بِقَدْرِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالْمَلَائِكَةِ. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٤)، أي: تُعْرَضُونَ عَلَى عَالَمِ السَّرِّ وَالنَّجْوَى الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ، بَلْ هُوَ عَالَمٌ بِالظَّاهِرِ وَالسَّرَّاتِ وَالضَّمَائِرِ. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

وقد قال ابن أبي الدنيا: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بن إسماعيل، أَخْبَرَنَا سَفِيَّانُ بن عُيَيْنَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بن بُرْقَانَ، عَنْ ثَابِتِ بن الْحِجَّاجِ قال: قال عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَخَفُّ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدَاً أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ، وَتَزِينُوا لِلْعَرْضِ الْأكْبَرِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٥).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) إسناده حسن، وله شواهد وتقدم، وانظر ما بعده.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٢٧ وإسناده حسن، وانظر «الصحيحة» ١٥١.

[٧٠٠٨] وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا علي بن علي بن رفاعه، عن الحسن، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعَرَّضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَجَدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعَنْدَ ذَلِكَ تَطْيِيرُ الصُّحُفِ فِي الْأَيْدِي، فَأَخَذَ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ بِشِمَالِهِ»^(١)، ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، به. وقد رواه الترمذي عن أبي كريب، عن وكيع، عن علي بن علي، عن الحسن، عن أبي هريرة، به. وقد رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ مُوسَى، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ سَلِيمِ بْنِ خَيْثَانَ، عَنْ مُرْوَانَ الْأَصْغَرِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: يُعَرَّضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: عَرَضَتَانِ مَعَاذِيرُ وَخُصُومَاتٌ، وَالْعَرْضَةُ الثَّلَاثَةُ تَطْيِيرُ الصُّحُفِ فِي الْأَيْدِي. ورواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلاً، مثله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبُوتِهِ بِإِيمَانِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾ (١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِي﴾ (٢٠) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٢) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِئَةِ﴾ (٢٤)

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ سَعَادَةٍ مِنْ أَوْتِي كِتَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ، وَقَرَحَهُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾، أَي: خُذُوا أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي فِيهِ خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ مُحَضَّةٌ، لِأَنَّهُ مِمَّنْ يَذُلُّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: مَعْنَى ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾، أَي: هَا أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ، وَهُوَ زَائِدَةٌ. كَذَا قَالَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا بِمَعْنَى: هَا كُمْ.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا بشر بن مَطَرٍ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا عَاصِمُ الْأَحُولِ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ قَالَ: الْمُؤْمِنُ يُعْطَىٰ كِتَابُهُ فِي يَمِينِهِ مِنَ اللَّهِ، فَيَقْرَأُ سَيِّئَاتِهِ، فَكُلَّمَا قَرَأَ سَيِّئَةً تَغْيِيرُ لَوْنِهِ حَتَّى يَمُرَ بِحَسَنَاتِهِ فَيَقْرَأُهَا، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ لَوْنُهُ. ثُمَّ يَنْظُرُ فَلِذَا سَيِّئَاتِهِ قَدْ بَدَلَتْ حَسَنَاتٍ، قَالَ: فَعَنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ. وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا زَوْجُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ - غَسِيلُ الْمَلَأَكَةِ - قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقِفُ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُبَيِّنُ (أَي يَظْهَرُ) سَيِّئَاتِهِ فِي ظَهْرِ صَحِيفَتِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ عَمِلْتَ هَٰذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ! فَيَقُولُ لَهُ: إِنِّي لَمْ أَنْصَحْكَ بِهِ، وَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ. فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي﴾ (١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِي﴾ (٢٠)، حِينَ نَجَا مِنْ فَضِيحَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[٧٠٠٩] وقد تقدَّم في الصحيح حديث ابن عمر حين سُئِلَ عَنِ السُّجُودِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يُدْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُفَرِّقُهُ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ اللَّهُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ثُمَّ يُعْطَىٰ كِتَابُ حَسَنَاتِهِ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) [هود: ١٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي﴾

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٢٧٧ وأحمد، ٤١٤/٤ والطبري ٣٤٧٩٥. وإسناده ضعيف، لانقطاعه بين الحسن وأبي موسى. وأخرجه الترمذي ٢٤٢٥ عن الحسن عن أبي هريرة، وقال: الحسن لم يسمع من أبي هريرة. وورد عن قتادة مرسلاً أخرجه الطبري ٣٤٧٩٧، وهذا يشهد لما قبله إن كان قتادة سمعه من غير الحسن، وأما إن كان قد سمعه من الحسن، فلا يشهد لما قبله لعدم اختلاف خارجه. وقد ورد عن ابن مسعود موقوفاً أخرجه الطبري ٣٤٧٩٦، ومثله لا يقال بالرأي، فلعل المرفوع يحسن بهذا مع المرسَل المتقدم، ومع ذلك ذكره الألباني في «ضعيف ابن ماجه» ٩٣٢. والله تعالى أعلم.

(٢) وتقدم تخريج الحديث.

حَسَابَةٍ ﴿٢٥﴾ أَي: قد كنتُ مُوقِنًا في الدنيا أن هذا اليومَ كائنٌ لا محالة كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَلُّونَ أَنَّهُمْ مُلَكُّوا رَيْبَهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦] قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿٢٦﴾، أَي: مُرضية، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ﴿٢٧﴾، أَي: رَفيعةٍ قصورها، حسانِ حُوزِها، نعيمِ دُورِها، دائمِ حُبورِها.

[٧٠١٠] قال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو عُتْبَةَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُسْلِمِ السَّكُونِي، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَوْسُفَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أَمَامَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ يَتَزَاوَرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّهُ لِيَهْبِطُ أَهْلُ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا إِلَى أَهْلِ الدَّرَجَةِ السُّفْلَى، فَيُحْيِيهِنَّهُمْ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَهْلُ الدَّرَجَةِ السُّفْلَى، يَصْعَدُونَ إِلَى الْأَعْلَى، تُقَصَّرُ بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ»^(١).

[٧٠١١] وقد ثبت في الصحيح: «إِنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢). وقوله تعالى: ﴿قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ﴿٢٨﴾، قال البراء بن عازب: أَي: قَريبة، يتناولها أحدُهم، وهو نائم على سَريه، وكذا قال غير واحدٍ.

[٧٠١٢] قال الطبراني: [حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبَرِيِّ]^(٣)، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ بْنِ أَنْعَمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَازٍ: بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ لِفُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ، أَدْخَلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً، قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ»^(٤).

[٧٠١٣] وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد، عن سُلَيْمَانَ التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سَلْمَانَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ جَوَازًا عَلَى الصُّرَاطِ: بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانٍ، أَدْخَلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ»^(٥). وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ ﴿٢٩﴾، أَي: يُقال لهم ذلك، تُفَضَّلُ عليهم. وامتناناً وإنعاماً وإحساناً.

[٧٠١٤] وإلا فقد ثبت في الصحيح، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اعْمَلُوا وَاسْدُدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَدْخُلَهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّقِمَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(٦).

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةٍ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَدْرَى مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَانَتْ الْفَاضِيَّةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعُوقُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَبِجِمِ صَلْوَهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ دَرَعَهَا

(١) فيه سعيد بن يوسف، وقد ضعفه يحيى، ولينه النسائي. راجع الميزان ٣٢٩٨.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٩٠، وتقدم.

(٣) زيادة عن «المعجم الكبير».

(٤) ضعيف. أخرجه الطبراني ٦١٩١ وابن عدي ٣٤٤/١ والخطيب ٥/٥ وابن الجوزي في «العلل» ١٥٤٧ وإسناده واه، أحله ابن عدي بأنه وهم من إسحاق الدبري، وقال ابن الجوزي: فيه عبد الرحمن بن زياد، قال أحمد: لا نروي عنه، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات ويدلس.

(٥) ضعيف. أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ١٥٤٨ وقال: سعدان مجهول، وكذا محمد بن خشام.

(٦) متفق عليه، وتقدم.

سَبْمُونَ ذَرَاكَ فَاَسْلُكُوهُ ﴿٢٦﴾ اِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيْمِ ﴿٢٧﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِيْنَ ﴿٢٨﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَلَا طَعَامٌ اِلَّا مِنْ غَنِيٍّ ﴿٣٠﴾ لَا يَأْكُلُهُ اِلَّا الْخٰطِثُونَ ﴿٣١﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذ أعطي أحدهم كتابه في العَرَصَاتِ بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم، فيقول: ﴿يَلَيْتَنِي لَرَأَيْتُ كَيْبِيَّةً﴾ (٢٥) ﴿وَلَرَأَيْتُ مَا حَسِيَّةً﴾ (٢٦) يَلَيْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ. قال الضحاك: يعني موتاً لا حياة بعدها. وكذا قال محمد بن كعب، والزبيع، والسدي. وقال قتادة: تَمَتُّى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه. ﴿مَا أَقْنَعَنِي مَا لِي﴾ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُطْلَانِيَّةٌ (٢٩)، أي: لم يَدْفَعْ عني مالي ولا جامي عذاب الله وبأسه، بل خَلَصَ الأمر إليّ وحدي، فلا مُعِين لي ولا مُجِير، فعندها يقول الله عز وجل: ﴿خُذُوهُ قَتَلُوهُ﴾ (٣٠) ﴿قَتَلُوهُ قَتَلُوهُ﴾ (٣١)، أي: يأمر الزبانية أن تأخذ عتفاً من المحشر، فقتلوه، أي: تضع الأغلال في عنقه، ثم تُورده إلى جهنم فتصلي به إياها، أي: تغمره فيها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن عمرو بن قيس، عن الجهم بن عفر، قال: إذا قال الله - عز وجل -: خُذُوهُ، ابتدره سَبْمُونَ ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا، فيلقي سبعين ألفاً في النار. وروى ابن أبي الدنيا في «الأحوال»: إنه يبتدره أربعمئة ألف، ولا يبقى شيء إلا ذقه، فيقول: مالي ولك؟ فيقول: إن الرب عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك. وقال الفضيل - هو ابن عياض -: إذا قال الرب - عز وجل - خُذُوهُ قَتَلُوهُ، ابتدره سَبْمُونَ ألف ملك، أيهم يجعل الغل في عنقه. ﴿قَتَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣١)، أي: اغمروه فيها.

وقوله تعالى: ﴿قَتَلُوهُ فِي سَلَاسِلٍ ذَرْعُهَا سَبْمُونَ ذَرَاكَ فَاَسْلُكُوهُ﴾ (٢٦)، قال كعب الأحبار: كل حلقية منها كَقَدْرِ حديد الدنيا، وقال العوفي، عن ابن عباس، وابن جريج: بذراع الملك. وقال ابن جريج، قال ابن عباس: ﴿فَاَسْلُكُوهُ﴾: تدخل في استيه ثم تخرج من فيه، ثم ينظفون فيها كما ينظف الجراد في العود حين يشوي، وقال العوفي، عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من مثخريه، حتى لا يقوم على رجله.

[٧٠١٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا سعيد بن يزيد، عن أبي السَّمْح، عن عيسى بن هلال الصَّدْفِيِّ، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى جُمُجْمَةٍ - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمئة سنة، لَبَلَّغْتَ الأرض قبل الليل. ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة، لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار، قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها» (١). وأخرجه الترمذي، عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك، به. وقال: «هذا حديث حسن».

وقوله تعالى: ﴿اِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيْمِ﴾ (٢٧) وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِيْنَ (٢٨)، أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤذي حقهم، فإن الله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى. ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

[٧٠١٦] وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم» (٢). وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٥٨٨ وأحمد ١٩٧/٢ وإسناده ضعيف لضعف دجاج أبي السَّمْح.

(٢) تقدم في سورة النساء آية ٣٦.

هَٰذَا جَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْفَاطِنُونَ ﴿٣٧﴾ ، أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله، لا حميم - وهو القريب - ولا شفيح يطاع، ولا طعام له ها هنا إلا من غشلين. قال قتادة: هو شرُّ طعام أهل النار، وقال الربيع، والضحاك: هو شجرة في جهنم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، عن خُصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: ما أدري ما الغسلين؟ ولكنني أظنه الزقوم، وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم. وقال علي بن أبي طلحة، عنه: الغسلين: صديد أهل النار.

﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَلِيِّينَ ﴿٤٣﴾﴾

يقول تعالى مقسماً بخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم ممَّا لا يشاهدونه من المعنويات عنهم: إن القرآن كلامه وحيه وتنزيله من عبده ورسوله، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾، يعني: محمداً ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل، ولهذا أضافه في سورة التكويد إلى الرسول المَلَكِي: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٤١﴾ تُطَّلِعُ تَمَّ أَمِينٍ ﴿٤٢﴾﴾ وهذا جبريل عليه السلام. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا سَاجِدٌ بِجَنَّةٍ ﴿٤٣﴾﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْإِنِّي ﴿٤٤﴾﴾، يعني أن محمداً رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِنَبِيٍّ ﴿٤٥﴾﴾، أي: بمُتَّهِمٍ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾؛ وهكذا قال ها هنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَلِيِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَوَلَّوْكَ عَيْنًا بِعَصِّ الْآفَاقِيلِ ﴿٤٤﴾﴾، فأضافه تارة إلى قول الرسول المَلَكِي، وتارة إلى الرسول البَشَرِي، لأن كلا منهما مُبَلِّغٌ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه. ولهذا قال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَلِيِّينَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٧٠١٧] قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا شريح بن عبيد قال: قال عمر ابن الخطاب: خرجت أنعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح، سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا - والله - شاعر كما قالت قريش. قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾، قال: فقلت: كاهن. قال: فسقرأ: ﴿وَمَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَلِيِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَوَلَّوْكَ عَيْنًا بِعَصِّ الْآفَاقِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزٌ ﴿٤٧﴾﴾... إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل نزوع^(١). فهذا من جملة الأسباب التي جعلها مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة، والله الحمد والمنة.

﴿وَلَوْ نَوَلَّوْكَ عَيْنًا بِعَصِّ الْآفَاقِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ ﴿٤٧﴾﴾

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ١٧/١، وهو منقطع كما قال الهيثمي في «المجمع» ١٤٤٠٧.

حَجِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّ لَظَعْلَمَ أَنْ مَنَّكَ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّ لَحَسْرَةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّ لِحَقِّ الْيَقِينِ ﴿٥٠﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥١﴾

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا﴾، أي: محمد ﷺ أو كان كما يزعمون مُفْتَرِيًّا عَلَيْنَا، فزاد في الرسالة أو نَقَصَ منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناهُ بالعقوبة. ولهذا قال تعالى: ﴿لَاخْذَنَا يَتُهُ بِالْيَمِينِ﴾، قيل: معناه: لا نتقمنا منه باليمين، لأنها أشد في البَطْش. وقيل: لا خذنا بِيَمِينِهِ ﴿ثُمَّ لَنَقْلَنَّهُ يَتُهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: وهونيأط القلب، وهو العِزْقُ الذي القلب مُعْلَقٌ فيه، وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، والحكم، وقتادة، والضحاك، ومسلم البطين، وأبو صخر حميد بن زياد. وقال محمد بن كعب: هو القلب ومزاقه وما يليه.

وقوله تعالى ﴿فَمَا مَنَّكَ مِنْ أَمْدٍ عَنْهُ حَجِرِينَ﴾، أي: فما يقدرُ أحدٌ منكم على أن يحجزَ بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنى في هذا: بل هو صادقٌ بارٌّ راشدٌ، لأن الله - عز وجل - مُقَرَّرٌ له ما يُبْلَغُه عنه، مُؤَيَّدٌ له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَظَعْلَمَ أَنْ مَنَّكَ مُكَذِّبِينَ﴾، يعني: القرآن. كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [نصفت: ٤٤].

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَظَعْلَمَ أَنْ مَنَّكَ مُكَذِّبِينَ﴾، أي: مع هذا البيان والوضوح سيوجدُ منكم من يكذب بالقرآن. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَحَسْرَةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، قال ابن جرير: وإنَّ التَّكْذِيبَ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يوم القيامة، وحكاة عن قتادة بمثله. وروى ابن أبي حاتم، من طريق السُّدِّي، عن أبي مالك: ﴿وَإِنَّ لَحَسْرَةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - يقول: لندامة. ويحتملُ عودَ الضمير على القرآن، أي: وإنَّ القرآن والإيمانَ به لحَسْرَةٌ في نفس الأمر على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء: ٢٠٠ - ٢٠١]. وقال تعالى: ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: ٥٤] ولهذا قال ها هنا: ﴿وَإِنَّ لِحَقِّ الْيَقِينِ﴾، أي: الخبرُ الصِّدْقُ الحقُّ الذي لا مِزْيَةَ فيه، ولا شك ولا ريب. ثم قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

آخر تفسير سورة الحاقة، والله الحمد والمنة



ويقال: سورة «سأل سائل»؛ وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ أَنَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَنْزُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَنَّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف «الباء»، كأنه مُقَدَّر: استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: ﴿وَسْتَعْلِجْهُ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] أي: وعذابه واقع لا محالة. قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ قال: النضر بن الحارث بن كلدة. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾، قال: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال: وهو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَحَازَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ أَتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وقال ابن زيد وغيره: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾، أي: واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب. وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول للدلالة السياق عليه. وقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾، أي: مُرَصَّدٌ مُعَدٌّ للكافرين. وقال ابن عباس ﴿وَاقِعٍ﴾ جاء. ﴿لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾، أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه. ولهذا قال: ﴿مِنْ أَنَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾، قال الثوري، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾، قال: ذو الدراجات. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: الغلو والفواضل. وقال مجاهد: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾: معارج السماء. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم. وقوله تعالى ﴿تَنْزُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، قال عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ عن قتادة: ﴿تَنْزُجُ﴾: تصعد. وأما الروح فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله يشبهون الناس، وليسوا ناساً قلت: ويحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام. ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فإنها إذ قُبِضَتْ يُصْعَدُ بها إلى السماء، كما دل عليه حديث البراء.

[٧٠١٨] وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من حديث المنهال، عن زاذان، عن البراء مرفوعاً الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة، قال فيه: «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة»^(١). والله أعلم بصحته، فقد تكلم في بعض رواه،

(١) تقدم تخريجه مع ما بعده في سورة إبراهيم ٢٧.

ولكنه مشهور، وله شاهد في حديث أبي هريرة.. فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، من طريق ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عنه. وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة. وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الْقَلِيلِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: فيه أربعة أقوال: أحدها: أنَّ المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي وسط الأرض السابعة. وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة: وأنه من ياقوتة حمراء، كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب «صفة العرش».

وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَةَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مَعْرُوفٍ عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَالَ: مُنْتَهَى أَمْرِهِ مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ إِلَى مُنْتَهَى أَمْرِهِ مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ، يَعْنِي بِذَلِكَ تَنْزُلُ الْأَمْرِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَذَلِكَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ، لِأَنَّهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِقْدَارُ مَسِيرَةِ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ ابْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ حَكَّامِ بْنِ سَلَمٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ، لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ عَبَّاسٍ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ الْمَضْرُوبِ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: غُلْظُ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ، فَذَلِكَ سَبْعَةُ آلَافٍ عَامٍ. وَغُلْظُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى السَّمَاءِ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ، فَذَلِكَ أَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْعَرْشِ مَسِيرَةُ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ عَامٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

والقول الثاني: أنَّ المراد بذلك مُدَّةُ بقاء الدُّنْيَا مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْعَالَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَالَ: الدُّنْيَا عُمْرُهَا خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَذَلِكَ عُمْرُهَا يَوْمٌ، سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى يَوْمًا، ﴿تَمُتُّ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾، قَالَ: الْيَوْمُ الدُّنْيَا. وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ - وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قَالَ: الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَا يَذَرِي أَحَدٌ كَمْ مَضَى، وَلَا كَمْ بَقِيَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

القول الثالث: أَنَّهُ الْيَوْمُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ قَوْلٌ غَرِيبٌ جَدًّا، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، حَدَّثَنَا بُهْلُولُ بْنُ الْمُؤَرَّقِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قَالَ: هُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

القول الرابع: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قَالَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. وَرَوَاهُ الثَّوْرِيُّ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ

عَبَّاسٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَمَجُّجُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قال: فهذا يومُ القيامةِ، جعله الله على الكافرين مقدارَ خمسين ألف سنة. وقد وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ فِي مَعْنَى ذَلِكَ.

[٧٠١٩] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنَا دُرَّاجٌ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ يُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيُهَا فِي الدُّنْيَا»^(١). وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ دُرَّاجٍ، بِهِ. إِلَّا أَنَّ دُرَّاجًا وَشَيْخَهُ ضَعِيفَانِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٧٠٢٠] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي عُمَرَ الْغُدَّانِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بِنِ صَغُصْعَةَ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا أَكْثَرُ عَامِرِيِّ مَالًا، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رُدُّوهُ. فَقَالَ: ثَبُتْ أَتُكُّ ذُو مَالٍ كَثِيرًا؟ فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: إِي وَاللَّهِ، إِنَّ لِي لَمِئَةً خُمْرًا وَمِئَةً أَدَمًا - حَتَّى عَدُّ مِنْ الْوَانِ الْإِبِلِ - وَأَفْنَانِ الرُّقِيقِ وَرِبَاطِ الْخَيْلِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّكَ وَأَخْفَافُ الْإِبِلِ وَأُظْلَافُ الْغَنَمِ - يُرَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، حَتَّى جَعَلَ لَوْنُ الْعَامِرِيِّ يَتَغَيَّرُ - فَقَالَ: مَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولُ اللَّهِ! مَا نَجَدْتُهَا وَرَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا - فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْدُ مَا كَانَتْ وَأَكْثَرُهُ وَأَسْمَنُهُ وَأَشْرُهُ حَتَّى يُبَطِّخَ لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرٍ»^(٢)، فَتَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا فَإِذَا جَاوَزَتْهُ أَخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ قَبْرِي سَبِيلَهُ. وَإِذَا كَانَتْ لَهُ بَقَرٌ لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولُ اللَّهِ! مَا نَجَدْتُهَا وَرَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا - فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْدُ مَا كَانَتْ وَأَكْثَرُهُ وَأَسْمَنُهُ وَأَشْرُهُ ثُمَّ يُبَطِّخَ لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرٍ فَتَطْوُهُ كُلُّ ذَاتِ ظُلْفٍ بِظُلْفِهَا، وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، إِذَا جَاوَزَتْهُ أَخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ قَبْرِي سَبِيلَهُ. وَإِذَا كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولُ اللَّهِ! مَا نَجَدْتُهَا وَرَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا - فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْدُ مَا كَانَتْ وَأَكْثَرُهُ وَأَسْمَنُهُ وَأَشْرُهُ حَتَّى يُبَطِّخَ لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرٍ، فَتَطْوُهُ كُلُّ ذَاتِ ظُلْفٍ بِظُلْفِهَا وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا عُضْبَاءٌ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أَخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ قَبْرِي سَبِيلَهُ. فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: وَمَا حَقُّ الْإِبِلِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: أَنْ تُعْطِيَ الْكَرِيمَةَ، وَتَمْنَحَ الْغَزِيرَةَ، وَتُقَفِّرَ الظَّهْرَ، وَتَسْقِيَ اللَّبَنَ، وَتَطْرِقَ الْفَحْلَ»^(٣). وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، وَالتَّسَانِي مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ، بِهِ.

[٧٠٢١] طريق أخرى لهذا الحديث، قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ

(١) حسن بشواهد. أخرجه أحمد ٧٥/٣ وأبو يعلى ١٣٩٠، وابن حبان ٧٣٣٤، وإسناده ضعيف لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم، وقال الهيثمي في «المجمع» ٣٣٧/١٠: إسناده حسن على ضعف في روايته. وله شاهد أخرجه ابن حبان ٧٣٣٣، وأبو يعلى ٦٠٢٥، من حديث أبي هريرة، وإسناده قوي. وقال الهيثمي في «المجمع» ٣٣٧/١٠: رجاله رجال الصحيح، غير إسماعيل، وهو ثقة. اهـ.

(٢) القرقرة من الأودية والقيعان: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة.

(٣) حسن. أخرجه أحمد ٤٩٠/٢ وأبو داود ١٦٦٠ والنسائي ١٢/٥ - ١٤ ورجاله ثقات مشاهير سوى أبي عمر، وهو مقبول، وله شاهد من مرسل عبيد بن عمير، أخرجه أبو داود ١٦٦١، وشاهد آخر أخرجه مسلم ٩٨٨ ح ٢٨ عن جابر، وفيه عنقعة ابن جريج وأبي الزبير.

أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحتمل عليها في نار جهنم، فتكوى بها جهنم وجننه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم، وفيه: «الخیل لثلاثة: لرجل أجبر، ولرجل ستر، وعلى رجل ورز»^(١). إلى آخره. ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري، من حديث سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة في «الأحكام»، والغرض من إيرادها هنا قوله: «حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة». وقد روى ابن جرير عن يعقوب، عن ابن علقمة، وعبد الوهاب، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس عن قوله: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»، قال: فاتهمه فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنما سألتك لثحدثني. قال: هما يومان ذكرهما الله، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا﴾^(٩)، أي: اصبر - يا محمد - على تكذيب قومك، واستعجالهم العذاب استعباداً لوقوعه، كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا آتِيَةٌ﴾ [الشورى: ١٨]، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾^(١٠)، أي: وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيداً الوقوع، بمعنى مستحيل الوقوع، ﴿وَرَبَّهُ قَرِيبًا﴾^(١١)، أي: المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل، لكن كل ما هو آت قريب وواقع لا محالة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾^(٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ^(٩) وَلَا يَنْتَلِ حِمِيمٌ حَمِيمًا^(١٠) يَصْرُوفُهُمْ يُودُّ^(١١) الْمُعْرِجُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ^(١٢) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ^(١٣) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ^(١٤) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ^(١٥) كَلَّا إِنَّهَا لَأُتَى^(١٦) نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى^(١٧) تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرٍ وَقَوْلًا^(١٨) وَجَمَعَ فَأَوْعَى^(١٩)

يقول تعالى: العذاب واقع بالكافرين ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾^(٨)، قال ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي، وغير واحد: كدردى الزيت، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾^(٩)، أي: كالصوف المنفوش، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾^(٩) الْمَنْفُوشِ^(١٠) [القارة: ٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَلِ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾^(١٠) يَصْرُوفُهُمْ^(١١)، أي: لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره. قال العوفي، عن ابن عباس يعرف بعضهم بعضاً، ويتعارفون بينهم، ثم يفتر بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمِّيَّةٍ يَوْمَئِذٍ نَمِيمٌ شَأْنُ يُنْجِيهِ﴾^(١٢). وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَكَايَا أَتَقَاتُ أُنْقَا رَيْبَكُمْ وَأَخْشَا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [القمان: ٣٣]. وكقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَدْعَ مَثَلَهُ إِنْ جَمِلَهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١٣) [المؤمنون: ١٠١]، وكقوله: ﴿يَوْمَ يَرَى الْأُرَىٰ مِنْ أَيْدِيهِ^(١٤) وَأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِيهِ^(١٥) وَصَحْبَتِهِ وَيَوْمَئِذٍ يُنْجِيهِ^(١٦) يَوْمَئِذٍ شَأْنُ يُنْجِيهِ﴾^(١٧) [عبس: ٣٤ - ٣٧]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْمُعْرِجُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ^(١٨) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ^(١٩) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ^(٢٠) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ^(٢١) كَلَّا﴾^(٢٢)، أي: لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل

الأرض وباعز ما يجده من المال، ولو يملأ الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، يؤد يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يقتدي من عذاب الله به، ولا يقبل منه، قال مجاهد والسدي: ﴿وَصَلَّى﴾: قبيلته وعشيرته. وقال عكرمة: فحذه الذي هو منهم، وقال أشهب عن مالك ﴿وَصَلَّى﴾: أمه. وقوله: ﴿إِنَّمَا لَطَى﴾ يَصِفُ النَّارَ وَشِدَّةَ حَرِّهَا، ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦) قال ابن عباس، ومجاهد: جلدَةُ الرَّأْسِ. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦) الجلود والهوام وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم. وقال سعيد بن جبیر: العَصَبُ والعَقَبُ. وقال أبو صالح: ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦): يعني أطراف اليدين والرجلين. وقال أيضاً: ﴿نَزَاعَةً لِّحَمِّ السَّاقَيْنِ﴾. وقال الحسن البصري، وثابت البناني: ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦)، أي: مكارم وجهه. وقال الحسن أيضاً: تحرق كل شيء فيه، ويبقى فوائده يصنع. وقال قتادة: ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦): أي: نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلفه وأطرافه. وقال الضحاك: تَبْرِي اللَّحْمِ والجِلْدُ عن العظم، حتى لا تترك منه شيئاً. وقال ابن زيد: الشَّوَى الآرَابُ العِظَامُ. فقوله: نزاعة، قال: تقطع عظامهم، ثم يُجَدُّ خلقهم وتبدل جلودهم. وقوله: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧) ﴿رَجَعَ فَأَوَّعَ﴾ (١٨)، أي: تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طَلَّى ذَلِّي، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كما قال الله - عز وجل - كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧)، أي: كذب بقلبه، وترك العمل بجوارحه، ﴿رَجَعَ فَأَوَّعَ﴾ (١٨)، أي: جمع المال بعضه على بعض فأوعاه، أي: أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه من النفقات ومن إخراج الزكاة.

[٧٠:٢٢] وقد ورد في الحديث: «ولا تُوعى فيوعي الله عليك»^(١). وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول: سمعت الله يقول: ﴿رَجَعَ فَأَوَّعَ﴾ (١٨). قال الحسن البصري: يا بن آدم، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا، وقال قتادة في قوله: ﴿رَجَعَ فَأَوَّعَ﴾ (١٨) قال: كان جُمُوعاً قُمُوعاً للخبيث.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٢٠) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١) ﴿إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الَّذِينَ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ يَفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبُول عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩)، ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٢٠)، أي: إذا أصابه الضرُّ فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الزعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١)، أي: إذا حصلت له نعمة من الله يخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها.

[٧٠:٢٣] قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن عُلي بن رباح: سمعت أبي يحدث

عن عبد العزيز بن مَرْوَانِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شَحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»^(١). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِي، بِهِ: وَلَيْسَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَهُ سِوَاهُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^(٢)، أَي: الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الدِّمِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَوَقَّعَهُ، وَهَدَاهُ إِلَى الْخَيْرِ وَيَسِّرَ لَهُ أَسْبَابَهُ، وَهُمْ الْمُصَلُّونَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٣) يُحَافِظُونَ عَلَى أَوْقَاتِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، قَالَه ابْنُ مَسْعُودٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْدَّوَامِ هَا هُنَا السُّكُونُ وَالْخُشُوعُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» [المؤمنون: ١ - ٢٢]. قَالَه عَقِبَةُ بْنُ عَامِرٍ. وَمِنَ الْمَاءِ الدَّائِمُ، أَي: السَّاكِنُ الرَّائِذُ. [وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة، فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته، لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته]. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الَّذِينَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا دَاوَمُوا عَلَيْهِ وَأَثْبَتُوهُ.

[٧٠٢٤] كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قُلَّ» - وَفِي لَفْظٍ: «مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا دَاوَمَ عَلَيْهِ. وَفِي لَفْظٍ: أَثْبَتَهُ^(٥).

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٦). وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ دَانِيَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَعَتْ أُمَّةً مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ: يُصَلُّونَ صَلَاةً لَوْ صَلَّاهَا قَوْمٌ نُوحٍ مَا غَرِقُوا، أَوْ قَوْمٌ عَادٍ مَا أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ، أَوْ ثَمُودٌ مَا أَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ. فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا خُلِقَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ حَسَنًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَثْمَانِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾^(٧) لِسَائِلٍ وَكَاتِرُونَ^(٨)، أَي: فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبٌ مُقَرَّرٌ لِذَوِي الْحَاجَاتِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي «سُورَةِ الذَّارِيَاتِ». وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُضَيِّقُونَ بَيُوتَ الَّذِينَ﴾^(٩)، أَي: يُوقِفُونَ بِالْمَعَادِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا مَن يَرْجُو الثَّوَابَ وَيَخَافُ الْعِقَابَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^(١٠)، أَي: خَائِفُونَ وَجُلُونَ، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^(١١)، أَي لَا يَأْمَنُهُ أَحَدٌ مِمَّنْ عَقِلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ إِلَّا بِأَمَانٍ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(١٢)، أَي: يَكْفُونَهَا عَنِ الْحَرَامِ وَيَمْتَنِعُونَهَا أَنْ تُوَضَعَ فِي غَيْرِ مَا أَذِنَ اللَّهُ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾^(١٣)، أَي: مِنْ الْإِمَاءِ، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(١٤) فَمَنْ أَتَى رَجُلًا فَالْوَلِيُّ لَهُ الْعَادُونَ^(١٥). وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ هَذَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١٦)، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَا هُنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ﴾^(١٧)، أَي: إِذَا أَوْثَقُوا لَمْ يَخُونُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَغْدُرُوا. وَهَذِهِ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَضِدُّهَا صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

[٧٠٢٥] «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ»^(١٨).

[٧٠٢٦] وَفِي رِوَايَةٍ: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١٩).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ٢٥١١ وَابْنُ خَرِيزٍ فِي «التَّارِيخِ» ٨/٦ - ٩ وَأَحْمَدُ ٣٢٠/٢ وَابْنُ حِبَانَ ٣٢٥٠ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٩٨/٩ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» ٥٠/٩ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، عَبْدِ الْعَزِيزِ صَدُوقٌ وَبَاقِي الْإِسْنَادُ ثِقَاتٌ، وَجُودَةُ الْعِرَاقِيُّ فِي «الْإِحْيَاءِ» ٢٤٨/٣ - ٢٥٣.

(٢) تَقْدِيمُ تَخْرِيجِهِ.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِإِسْلَامِهِمْ قَائِمُونَ﴾، أي: مُحَافِظُونَ عليها لا يَزِيدُونَ فيها ولا يَنْقُصُونَ منها، ولا يَكْتُمونها، ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلِيلٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، أي: على مَوَاقِيتِها وَأَرْكَانِها وواجباتها ومُستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بِذِكْرِها، فدلَّ على الاعتناء بها والتنويه بِشَرَفِها، كما تقدَّم في أول سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، سواء، ولهذا قال هناك: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْآخِرَةَ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقال ما هنا: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ﴾، أي: مُكْرَّمُونَ بأنواع المَلَادِ وَالْمَسَارِ.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ مُهْطِئٌ بِكَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّهِ﴾ (٣٦) ﴿أَبْطَغُ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (٣٨) ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) ﴿فَلَا أَقِمْ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٤١) ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَأْتِيَآ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٤٢) ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْنَادِ سِرَافًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُرٍ يُّوفُونَ﴾ (٤٣) ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٤٤)

يقول تعالى مُتَكَبِّرًا على الكُفَّار الذين كانوا في زمان النبي ﷺ وهم مشاهدون له، ولما أرسله الله به من الهدى وأيده به من المعجزات الباهرة، ثم هُم مع هذا كله فارُّون منه، مُتَفَرِّقُونَ عنه، شاردين يمينًا وشمالًا، فِرَقًا فِرَقًا، وشِيعًا شِيعًا، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَمْ يَنْتَفِرُوا مِنْ حِجْرٍ مِّنْهُمْ يَمُوتُونَ﴾ (٥٠) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المندر: ٤٩ - ٥١]... الآية، وهذه مثله، فإنه قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ مُهْطِئٌ بِكَ﴾، أي: ما لِهؤلاء الكُفَّار الذين عندك يا محمدًا ﴿مُهْطِئٌ﴾، أي: مُسْرِعِينَ نَافِرِينَ منك، كما قال الحسن البصري: ﴿مُهْطِئٌ﴾، أي: مُنْطَلِقِينَ، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّهِ﴾ (٣٦)، واحدا عِزَّةً، أي: متفرقين. وهو حال من مهطعين، أي: في حال تفرقهم واختلافهم، كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: فهم مخالِفُونَ للكتاب مُخْتَلِفُونَ في الكتاب، مُتَفِقُونَ على مُخَالَفَةِ الكتاب. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ مُهْطِئٌ﴾ وشمال مُعْرِضِينَ يَسْتَهْزِئُونَ به. وقال ابن جرير حدثنا ابن بَشَّار حدثنا أبو عامر، حدثنا قُرَّة، عن الحسن في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّهِ﴾ (٣٦)، مُتَفَرِّقِينَ، يأخذون يمينًا وشمالًا يَقُولُونَ: ما قال هذا الرجل؟. وقال قتادة: ﴿مُهْطِئٌ﴾ عامِدِينَ، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّهِ﴾ (٣٦)، أي: فِرَقًا حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لا يَزْغَبُونَ في كتاب الله، ولا في نَبِيِّهِ ﷺ.

[٧٠: ٢٧] وقال الثوري، وشعبة، وعيسى بن يونس، وعَبَثَرُ بن القاسم، ومحمد بن قُضَيْلٍ، ووكيع، ويحيى القطان، وأبو معاوية، كُلُّهُمْ عن الأعمش، عن المُسَيَّبِ بن رافع، عن تميم بن طَرْقَةَ، عن جابر ابن سَمُرَةَ: أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وهم جُلُوعٌ، فقال: «ما لي أراكم عِزِينَ؟»^(١). رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، من حديث الأعمش، به.

[٧٠: ٢٨] وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بَشَّار، حدثنا مؤمِل، حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيْرَةَ: أن رسول الله ﷺ خَرَجَ على أَصْحَابِهِ وهم جُلُوعٌ جُلُوعٌ، فقال: «ما لي أراكم عِزِينَ؟»^(٢). وهذا إسنَادٌ جَيِّدٌ، ولم أَرَهُ في شيءٍ من الكُتُبِ السِّتَةِ من هذا الوجه.

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٤٣٠/١١٩ وأبو داود ٤٨٢٣ والنسائي في «التفسير» ٦٤٢ والطبري ٣٤٩٦٥.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٩٦٣ وفيه مؤمل بن إسماعيل صدوق سيء الحفظ، لكن للحديث شاهد صحيح.

سُورَةُ نُوحٍ

مُتَشَبِّهًا
٧١آيَاتُهَا
٢٨

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنْ أَعْبَدُوا اللَّهَ وَأَتَّقَوْهُ وَأَطِيعُوا أَوْفِي لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ وَيُخْزِرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخَرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن نوح - عليه السلام - أنه أرسله إلى قومه أمراً له أن ينذيرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أي: بين النذارة، ظاهر الأمر واضحه، ﴿إِنْ أَعْبَدُوا اللَّهَ وَأَتَّقَوْهُ﴾ أي: اتركوا محاربه واجتنبوا ما يكرهه، ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به وأنهاكم عنه، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ﴾، أي إذا فعلتم ما أمرتكم به وصدقت ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم. و﴿يَنْ﴾ ها هنا قيل: إنها زائدة. ولكن القول بزيادتها في الإنبات قليل. ومنه قول بعض العرب: «قد كان من مطر». وقيل: إنها بمعنى «عن»، تقديره: يصفح لكم عن ذنوبكم. واختاره ابن جرير. وقيل: إنها للتبعض، أي: يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام. ﴿وَيُخْزِرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: يمد في أعماركم ويدرككم العذاب الذي إن لم تنزعوا عما نهاكم عنه أوقعه بكم. وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزداد بها في العمر حقيقة.

[٧٠٢٩] كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»^(١). وقوله: ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخَرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النعمة، فإنه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِلاً وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٦﴾ إِذْ إِذَا نِيحُوا بِآثَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْ قَارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ

أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ اشْتَكَى إِلَى رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَا صَبَرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَلْفُ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَمَا بَيَّنَّ لِقَوْمِهِ وَوَضَحَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الرُّشْدِ وَالسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾، أَي: لَمْ أَتْرُكْ دُعَاءَهُمْ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، امْتِنَالًا لَأَمْرِكَ وَابْتِغَاءً لَطَاعَتِكَ، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾، أَي: كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَقْتَرِبُوا مِنَ الْحَقِّ قَرَّبُوا مِنْهُ وَخَادُوا عَنْهُ، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَ فِي أَعَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا يَأْتِهِمْ﴾، أَي: سَدُّوا أَذَانَهُمْ لِثَلَا يَسْمَعُوا مَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ كِفَارِ قَرِيشٍ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَىٰ فِيهِ قُلُوبُكُمْ تَقْبَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢٦]. ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا يَأْتِهِمْ﴾، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَنَكَّرُوا لَهُ لِثَلَا يَعْرِفَهُمْ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ: غَطُّوا رُؤُوسَهُمْ لِثَلَا يَسْمَعُوا مَا يَقُولُ. ﴿وَأُتْرِبُوا﴾، أَي: اسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ الْعَظِيمِ الْفَظِيعِ، ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا أَنْتَنَّاكَ﴾، أَي: وَاسْتَنَكَفُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ. ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾، أَي: جَهْرَةً بَيْنَ النَّاسِ: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَتْلُوكَ مَخْفَىٰ﴾، أَي: كَلَامًا ظَاهِرًا بِصَوْتٍ عَالٍ، ﴿وَأُتْرِبْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، أَي: فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَنُوعُ عَلَيْهِمُ الدُّعْوَةُ لِتَكُونَ أَنْجَعَ فِيهِمْ، ﴿فَنَقَلْتُ أَنْتَفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْكَ غَفَّارًا﴾، أَي: أَرْجِعُوا إِلَيْهِ وَارْجِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ، فَإِنَّهُ مِنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مَهْمَا كَانَتْ فِي الْكَفْرِ وَالشُّرْكِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَنَقَلْتُ أَنْتَفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْكَ غَفَّارًا﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يَرْزُقُكُمْ، أَي: مُتَوَاصِلَةً الْأَمْطَارِ. وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي صَلَاةِ الْاسْتِسْقَاءِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهَكَذَا زَوَىٰ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ صَعِدَ الْمَنْبِرَ لِيَسْتَسْقِيَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْاسْتِغْفَارِ، وَقَرَأَ الْآيَاتِ فِي الْاسْتِغْفَارِ. وَمِنْهَا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَنَقَلْتُ أَنْتَفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْكَ غَفَّارًا﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يَرْزُقُكُمْ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْغَيْثَ بِمَجَادِيحِ^(١) السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُعِيدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمُ الْآثَرَا﴾، أَي: إِذْ تُبْنِي إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفَرْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ كَثُرَ الرِّزْقُ عَلَيْكُمْ، وَأَسْقَاكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبَتَ لَكُمْ الزَّرْعَ، وَأَدْرَكَ لَكُمْ الضَّرْعَ، وَأَمَدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، أَي: أَعْطَاكُمْ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ، وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ فِيهَا أَنْوَاعُ الثَّمَارِ، وَخَلَّلَهَا بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهَا. هَذَا مَقَامُ الدُّعْوَةِ بِالرَّغْبِ، ثُمَّ عَدَلَ بِهِمْ إِلَى دُعْوَتِهِمْ بِالرَّهْبِ فَقَالَ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، أَي: عَظَمَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تُعْظَمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ. أَي: لَا تَخَافُونَ مِنْ بَاسِهِ وَنَقِمَتِهِ، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، قِيلَ: مَعْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرَمَةُ وَقْتَادَةُ، وَيَحْيَى بْنُ رَافِعٍ، وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، أَي: وَاحِدَةً فَوْقَ وَاحِدَةٍ، وَهَلْ هَذَا يَتَلَقَّى مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ فَقَطْ؟ أَوْ هُوَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ بِالْحَسِّ، مِمَّا عَلِمَ مِنَ التَّسْيِيرِ وَالْكَسُوفَاتِ، فَإِنَّ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ السَّيَّارَةَ يَكْسِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَأَدْنَاهَا الْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَهُوَ يَكْسِفُ مَا فَوْقَهُ، وَغُطَّارِدُ فِي الثَّانِيَةِ وَالزُّهْرَةُ فِي الثَّلَاثَةِ وَالشَّمْسُ فِي الرَّابِعَةِ وَالْمَرِيخُ فِي الْخَامِسَةِ وَالْمَشْتَرِيُّ فِي السَّادِسَةِ وَزُحْلُ فِي السَّابِعَةِ، وَأَمَّا

بقية الكواكب - وهي الثوابت - في فلك ثامن يُسمونه فلك الثوابت. والمُتَشَرِّعون منهم يقولون: هو الكرسي، والفلك التاسع، وهو الأطلس. والأثير عندهم: الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات، وهي من المغرب إلى المشرق، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب، ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للشيّارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق. وكلّ يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرّة والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها، وإن كان حركة الجميع في السرعة متناسبة، هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام، على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة، لسنا بصدد بيانها، وإنما المقصود أن الله سبحانه خلق: ﴿سَبْعَ سَكُونٍ بِلَاقًا ١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ بَرَكَاتًا ١٦، أي: فاوت بينهما في الاستنارة، فجعل كلًّا منهما أنموذجاً على جذء، ليُعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبيها، وقدر القمر منازل ويروجاً، وفاوت نُورُهُ، فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يشترى، ليدل على مُضيّ الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٧﴾ [يونس: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَلْبَنُّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاً ١٧﴾: هذا اسم مصدر، والإتيان به هنا أحسن، ﴿ثُمَّ يُبْدِكُمْ فِيهَا ١٨﴾، أي: إذا مُتِمَّ وَخَرَجَكُمْ إِخْرَاجًا ١٩، أي: يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرّة، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ٢٠﴾، أي: بسطها ومهدّها وقَرَّرها وثبَّتْها بالجيال الراسيات والشمّ الشامخات، ﴿لِتَسْلَكُوا مِنْهَا سُبُلًا ٢١﴾، أي: خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلّكوا فيها أين شِئْتُمْ، من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكلّ هذا مما يُنبّههم نوح - عليه السلام - على قُدرة الله وعظمتها في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرازق، جعل السماء بناءً والأرض مهاداً، وأوسع على خلقه، من رزقه فهو الذي يجب أن يُعبَدَ ويُوَحَّدَ ولا يُشْرَكَ به أحد، لأنه لا نظير له ولا عدل ولا يد ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مُشير، بل هو العليّ الكبير.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمْ عَصَوْتُ وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَرِ زَيْدُهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ٢٢﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ٢٣ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ٢٤ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٢٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن نوح - عليه السلام - أنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله، ومُنِعَ بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام. ولهذا قال: ﴿وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَرِ زَيْدُهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ٢٢﴾. قرئ: ﴿وَوَلَدُهُ﴾ بالضم وبالفتح، وكلاهما مُتَقَارِبٌ. وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ٢٣﴾، قال مجاهد: ﴿كَبِيرًا﴾، أي: عظيماً. وقال ابن زيد: ﴿كَبِيرًا﴾، أي: كبيراً. والعرب تقول: أمر عَجِيبٌ وَعَجَابٌ وَعُجَابٌ. ورجل حَسَنٌ وَحُسَانٌ، وَجَمَالٌ وَجُمَالٌ، بالتخفيف والتشديد، بمعنى واحد. والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ٢٣﴾، أي: باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى، كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَتِيلٌ وَالنَّهَارُ لِذِي الْأُمُورِ أَنْ تَكْفُرَ بِاللَّهِ وَتَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ [سبا: ٣٣]. ولهذا قال ها هنا: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ٢٣﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ

إِلَهُنَّكَ وَلَا تَذَرْنَّ وُدًّا وَلَا سُلَاطَةً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا. وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دُونِ الله.

[٧٠٣٠] قال البخاري: حدثنا إبراهيم، حدثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء، عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل؛ وأما سُلَاطة فكانت لِهَذِيل، وأما يَغُوث فكانت لمراد، ثم لبني غطفان بالجُزف عند سبأ، وأما يَعُوق فكانت لِهَمْدَان، وأما نَسْر فكانت لِحَمِير لآل ذي كَلَّاح وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسُمُّوها بأسمائهم، ففعلوا. فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ غِيَدَتْ^(١). وكذا روي عن عكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن إسحاق، نحو هذا. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: كانت هذه أصناماً تُعبد في زمن نوح. وقال ابن جريج: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا مهرا، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس «ويعوق ونسرا»، قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح. وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صُورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فَصَوَّرُوهُمْ، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسْقَوْنَ المطر. فعبدوهم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عمر الدُّوري، حدثني أبو إسماعيل المؤدب، عن عبد الله بن مسلم بن هُرَيم، عن أبي حَزْرَةَ، عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر قال: اشتكى آدم - عليه السلام - وعنده بثوة: وُد، ويغوث، ويعوق، وسُوراع، ونَسْر، وكان وُد أكبرهم وأبرُّهم به.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث - عليه السلام - من طريق إسحاق بن بشر قال: أَخْبَرَنِي جُوَيْر ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: وُلِدَ لآدم عليه السلام أربعون ولداً، عشرون غلاماً وعشرون جارية، فكان ممن عاش منهم: هَابِيل، وَقَابِيل، وَصَالِح، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الذي كان سَمَاءَ عَبْدُ الْحَارِث، وَوَدَّ وكان وَدَّ يُقال له: شيث، ويقال له: هبة الله، وكان إخوته قد سَوَّدُوهُ، وَوُلِدَ لَهُ سُورَاع وَيَعُوقُ وَنَسْر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب، عن أبي المظهر قال: ذكروا عند أبي جعفر، وهو قائم يُصَلِّي، يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكركم يزيد بن المهلب، أما إنه قُتِلَ في أول أرض عُبدَ فيها غيرُ الله. قال: ثم ذكر وُدّاً - قال: وكان وُدَّ رَجُلًا مُسْلِمًا، وكان محبوباً في قومه، فلما مات عَسَكُوا حَوْلَ قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جَزَعَهُمْ عليه، تَشَبَّه في صُورَةِ إنسان، ثم قال: إني أرى جَزَعَكُمْ على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله، فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم. فَصَوَّرَ لَهُمْ مثله، قال: ووضعوه في ناديهم، وجعلوا يذكرونه. فلما رأى ما بهم من ذِكْرِهِ قال: هل لكم أن أجعل في منزل كُلِّ واحدٍ منكم تمثالاً مثله، فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم. قال: فَمَثَلٌ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ تمثالاً مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يَرَوْنَ ما يصنعون به، وتناسلوا وذرَّسَ أمرَ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ، حتى اتَّخَذَهُ إِلَهًا يعبدونه من دُونِ الله أولاً ولآلِهِمْ، فكان أول ما عُبدَ غيرُ الله الصنم الذي سَمَّوه وُدّاً.

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا»، يعني الأصنام التي اتخذوها أضلُّوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادته

في القرون إلى زماننا هذا في العَرَب والعَجَم وسائر صُوف بني آدَم، وقد قال الخليل - عليه السلام - في دعائه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢٥) رَبِّ إِنِّي نَسَلْتُكَ كَثِيرًا مِنْ الثَّانِيَةِ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم، كما دعا موسى - عليه السلام - على فرعون وملتبه في قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَأْتِيَ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. وقد استجاب الله لكل من التَّيْبِينَ في قومه، وأغرق أُمَّتَهُ بتكذيبهم لما جاءهم به.

﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُبْطِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴿٢٨﴾

يقول تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ وقرئ: (خطاياهم) ﴿أُغْرِقُوا﴾، أي: من كثرة ذنوبهم وعشورهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم، ﴿أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا﴾، أي: نُقِلُوا من تيار البحار إلى حرارة النار، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، أي: لم يكن لهم معين ولا مُعِيت ولا مُجِير يُنْقِذُهُمْ من عذاب الله، كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ﴾ [هود: ٤٣]. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦)، أي: لا تترك على الأرض منهم أحدا ولا ثومريا. وهذه من صيغ تأكيد النفي، قال الضحاك: ﴿دَيَّارًا﴾: واحدا. وقال السدي: الديار: الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى وَلَدَ نُوحٍ لِصُلَيْبِهِ الذي اعتزل عن أبيه، قال: ﴿سَوَّيْتُ لَكَ جَبَلًا يَمُوسِي مِنْ أَلَمَاءَ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

[٧٠٣١] وقال ابن أبي حاتم: قرئ على يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني شبيب بن سعيد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لو رجم الله من قوم نوح أحدا لَرَجِمَ امرأة، لَمَّا رَأَتْ الْمَاءَ حَمَلَتْ وَلَدَهَا ثُمَّ صَعِدَتْ الْجَبَلَ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ صَعِدَتْ بِهِ مِنْكِبَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ مِنْكِبَهَا وَضَعَتْ وَلَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ رَأْسَهَا رَفَعَتْ وَلَدَهَا بِيَدِهَا. فَلَوْ رَجِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا لَرَجِمَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ»^(١). هذا حديث غريب، ورجاله ثقات، ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح - عليه السلام - وهم الذين أمره الله بحملهم معه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُبْطِلُوا عِبَادَكَ﴾، أي: إِنَّكَ أَنْ أَبْقَيْتَ مِنْهُمْ أَحَدًا أَضَلُّوا عِبَادَكَ، أي الذين تخلّفهم بعدهم، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، أي: فاجرا في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبزته بهم ومكثيه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ قال الضحاك: يعني مسجدي، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن.

[٧٠٣٢] وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا خَيْوَةُ، أَنبَأَنَا سَالِمُ بْنُ غَيْلَانَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ قَيْسٍ الشَّجْبِيَّ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - أَوْ: عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ

(١) الراجع وقفه. مداره على شبيب بن سعيد، وهو وإن روى له البخاري ووثقه غير واحد، فقد قال ابن عدي: حدث عنه ابن وهب بأحاديث متكبر. وقال الحافظ في «التقريب»: لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد لا من رواية ابن وهب. والراجع وقفه، والله أعلم.

الله ﷻ يقول: «لَا تَضْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيًّا»^(١). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ خَيْوَةَ بْنِ شَرِيحٍ، بِهِ. ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: دَعَاءٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَذَلِكَ يَعُمُّ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ، وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ مِثْلُ هَذَا فِي الدَّعَاءِ، اقْتِدَاءً بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِمَا جَاءَ فِي الْأَثَارِ وَالْأَدْعِيَةِ الْمَشْرُوعَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾، قَالَ السُّدِّيُّ: إِلَّا هَلَاكًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِلَّا خَسَارًا. أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ «سُورَةِ نُوحٍ»، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ

(١) حسن. أخرجه أبو داود ٤٨٣٢ والتِّرْمِذِيُّ ٢٣٩٥ وأحمد ٣/٣٨، وتقدم.

سُورَةُ الْجِنِّ

آياتها
٢٨ترتيبها
٧٢

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْكِرْ لِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٣ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٤ وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَقُولُونَ سَفِينَتَانِ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٥ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَا بَقَوْلِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٦ وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَحَالُونَ ۝٧ يَحَالُونَ مِنَ الْجِنِّ فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا ۝٨ وَأَنْتُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٩﴾

يقول تعالى أمرًا رسوله ﷺ أن يخبر قومه: أَنَّ الْجِنِّ اسْتَمِعُوا الْقُرْآنَ فَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَانْقَادُوا لَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، أي: إلى السداد والشجاع، ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْكِرْ لِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾. وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الاحقاف: ٢٩]. وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادتها هنا. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٣ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٤ وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَقُولُونَ سَفِينَتَانِ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٥ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَا بَقَوْلِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٦ وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَحَالُونَ ۝٧ يَحَالُونَ مِنَ الْجِنِّ فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا ۝٨ وَأَنْتُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٩﴾، أي: فعله وأمره وقدرته. وقال الضحاك، عن ابن عباس: جَدُّ اللَّهِ: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه. وزوي عن مجاهد وعكرمة: جلال رَبِّنَا. وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره. وقال السدي: تعالى أمر رَبِّنَا. وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضاً وابن جريج: تعالى ذكره. وقال سعيد بن جبیر: ﴿تَعْلَمُونَ ۝٣ جَدُّ رَبِّنَا﴾، أي: تعالى رَبِّنَا. فأما ما رواه ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمَقْرِيُّ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْجَدُّ أَبٌ. ولو عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ فِي الْإِنْسِ جَدًّا مَا قَالُوا: تعالى جَدُّ رَبِّنَا. فهذا إسناد جيد، ولكن لسئ أفهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط شيء، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٤﴾، أي: تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد. أي قالت الجن: تنزه الرب - تعالى جلاله وعظمته - حين أسلموا وأمَّنوا بالقرآن عن اتخاذ صاحبة والولد. ثم قالوا: ﴿وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَقُولُونَ سَفِينَتَانِ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٥﴾، قال مجاهد، وعكرمة، والسدي: ﴿سَفِينَتَانِ﴾ يعنون إبليس، ﴿شَطَطًا﴾، قال السدي، عن أبي مالك: ﴿شَطَطًا﴾، أي: جوراً. وقال ابن زيد: ظُلماً كبيراً. ويُحتمل أن يكون المراد بقولهم ﴿سَفِينَتَانِ﴾: اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَقُولُونَ سَفِينَتَانِ﴾، أي: قبل إسلامه ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، أي: باطلاً وزوراً. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَا بَقَوْلِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٦﴾، أي: ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالؤون على الكذب على الله في نسبة صاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وأمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَحَالُونَ ۝٧ يَحَالُونَ مِنَ الْجِنِّ فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا ۝٨﴾، أي:

كُنَّا نَرَىٰ أَن لَّنَا فُضْلًا عَلَى الْإِنسِ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعُودُونَ بِنَا، أَي: إِذَا نَزَّلُوا وَادِيًا أَوْ مَكَانًا مُّوَجَّهًا مِنَ الْبَرَارِي وَغَيْرِهَا، كَمَا كَانَ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا، يَعُودُونَ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْجِبَالِ، أَن يُصَيِّبَهُمْ بَشِيءٌ يَسُوءُهُمْ، كَمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَدْخُلُ بِلَادَ أَعْدَائِهِ فِي جَوَارِ رَجُلٍ كَبِيرٍ وَذِمَامِهِ وَخِفَارَتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِنَّ أَنَّ الْإِنْسَ يَعُودُونَ بِهِمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْهُمْ زَادُوهُمْ رَهَقًا، أَي: خَوْفًا وَإِرْهَابًا وَذُعْرًا، حَتَّى تَبَقُّوا أَشَدَّ مِنْهُمْ مَخَافَةً وَأَكْثَرَ تَعَوُّدًا بِهِمْ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أَي: إِثْمًا، وَازْدَادَاتِ الْجِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَرَاءَةً. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أَي: اِزْدَادَاتِ الْجِنَّ عَلَيْهِمْ جَرَاءَةً. وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ بِأَهْلِهِ فَيَأْتِي الْأَرْضَ فَيَنْزِلُهَا فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنَ الْجِنَّ أَن أُضَرَّ أَوْ فِيهِ أَوْ مَالِي أَوْ وَلَدِي أَوْ مَا شِئْتِي، قَالَ: فَإِذَا عَادَ بِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ رَهَقَتَهُمُ الْجِنَّ الْأَذَى عِنْدَ ذَلِكَ.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْحَرْثِ، عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: كَانَ الْجِنَّ يَفْرُقُونَ مِنَ الْإِنْسِ كَمَا يَفْرُقُ الْإِنْسُ مِنْهُمْ أَوْ أَشَدَّ، فَكَانَ الْإِنْسُ إِذَا نَزَّلُوا وَادِيًا هَرَبَ الْجِنَّ، فَيَقُولُ سَيِّدُ الْقَوْمِ: نَعُوذُ بِسَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي. فَقَالَ الْجِنَّ: نَرَاهُمْ يَفْرُقُونَ مِنَّا كَمَا نَفْرُقُ مِنْهُمْ. فَدَنُّوا مِنَ الْإِنْسِ فَأَصَابُوهُمْ بِالْخَبَلِ وَالْجُنُونِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَقُولُونَ بِرِجَالٍ لَّنَآ أَلَمِينَ فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾. وقال أبو العالية، والربيع، وزيد بن أسلم: ﴿رَهَقًا﴾، أَي: خَوْفًا. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾، أَي: إِثْمًا. وكذا قال قَتَادَةُ. وقال مجاهد: زَادَ الْكُفَّارُ طَغْيَانًا.

[٧٠٣٣]: وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ أَبِي الْمَغْرَاءِ الْكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ - يَعْنِي الْمُزَنِّيَ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ كُرْدَمَ بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَةٍ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَأَوَانَا الْمَبِيتَ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ. فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ جَاءَ ذَنْبٌ فَأَخَذَ حَمَلًا مِنَ الْغَنَمِ فَوَثَبَ الرَّاعِي فَقَالَ: يَا عَامِرَ الْوَادِي، جَارُكَ! فَنَادَى مَنَادًا لَا تَرَاهُ، يَقُولُ: يَا سِرْحَانُ، أَرْسِلْهُ. فَأَتَى الْحَمَلَ يَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلَ فِي الْغَنَمِ لَمْ تُصِبه كَذَمَةٌ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ بِمَكَّةَ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَقُولُونَ بِرِجَالٍ لَّنَآ أَلَمِينَ فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾. ثم قال: وَرَوَى عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَالْحَسَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، نَحْوَهُ^(١). وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي أَخَذَ الْحَمَلَ، وَهُوَ وَلَدُ الشَّاةِ، كَانَ جَنِيًّا حَتَّى يُرْهَبَ الْإِنْسِيُّ وَيَخَافُ مِنْهُ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ لَمَّا اسْتَجَارَ بِهِ، لِيُضِلَّهُ وَيُهَيِّئَهُ، وَيُخْرِجَهُ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُمْ طَغَوْا كَمَا طَغَيْنَا أَن لَّنَآ يَمَعَتُ اللَّهُ أَحَدًا﴾، أَي: لَنَآ يَمَعَتُ اللَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْمَدَّةِ رَسُولًا. قَالَ الْكَلْبِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مُلْبَسَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانٍ يَحْجِدْ لَكُمْ شَهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَوِيدٍ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْجِنَّ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ مِنْ جَفِظِهِ لَهُ أَنَّ السَّمَاءَ

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني ١٩١/١٩ والعقيلي في «الضعفاء» ٣٥/١ وأبو الشيخ ١١٢٢ وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق، وبه أعله العقيلي، والهيشي في «المجمع» ١٢٩/٧ - ١٣٠.

(٢) ليس فيها ذكر هذه القصة وإنما هي بنحو قول السدي المتقدم.

مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا، وَحُفِظَتْ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَقَاعِدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ، لِثَلَا يَسْتَرْقُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ. فَيُلْقُوهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْكَهَنَةِ، فَيَلْتَبِسُ الْأَمْرُ وَيَخْتَلِطُ وَلَا يُدْرَى مِنَ الصَّادِقِ. فَكَانَ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَحِفْظِهِ لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَلِهَذَا قَالَتِ الْجِنَّ: ﴿وَأَنَّا لَنَسْتَأْذِنُكَ لَمَّا كُنَّا نَسْتَأْذِنُكَ مِنْ شَيْءٍ شَدِيدٍ وَشُبُهَاءٍ ۖ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمِيعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَحِدْ لَكُمْ شَهَابًا رَّصَدًا﴾، أَي: مَنْ يَزُومُ أَنْ يَسْتَرْقِيَ السَّمْعَ الْيَوْمَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا مُرْصَدًا لَهُ، لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ، بَلْ يَمَحَقُهُ وَيُهْلِكُهُ، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ۖ أَي: مَا نَدْرِي هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ حَدَثَ فِي السَّمَاءِ، لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا؟ وَهَذَا مِنْ أَذْبَهُمْ فِي الْعِبَارَةِ حَيْثُ أَسْنَدُوا الشَّرَّ إِلَى غَيْرِ فَاعِلٍ، وَالْخَيْرُ أَضَافُوهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

[٧٠٣٤] وَقَدْ وَزَدَ فِي الصَّحِيحِ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^(١). وَقَدْ كَانَتْ الْكَوَاكِبُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِكَثِيرٍ بَلْ فِي الْأَحْيَانِ بَعْدَ الْأَحْيَانِ.

[٧٠٣٥] كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ: مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ فَقُلْنَا: كُنَّا نَقُولُ: يُوَلَّدُ عَظِيمٌ، يَمُوتُ عَظِيمٌ. فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ اللَّهُ إِذَا قَضَى الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ...»^(٢) وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ، وَقَدْ أوردناه في «سورة سبأ» بتمامه. وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى تَطَلُّبِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ، فَأَخَذُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِأَصْحَابِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَعَرَفُوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي حُفِظَتْ مِنْ أَجْلِهِ السَّمَاءُ، فَأَمَّنَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، وَتَمَرَّدَ فِي طُغْيَانِهِ مَنْ بَقِيَ، كَمَا تَقَدَّمَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ، عِنْدَ قَوْلِهِ فِي «سورة الأحقاف»: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الْآيَةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَمَّا حَدَّثَ هَذَا الْأَمْرَ، وَهُوَ كَثْرَةُ الشُّهُبِ فِي السَّمَاءِ وَالرَّمْيُ بِهَا، هَالِ ذَلِكَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَانزَعَجُوا لَهُ وَارْتَاعُوا لَذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لَخَرَابِ الْعَالَمِ..

[٧٠٣٦] كَمَا قَالَ السُّدِّيُّ: لَمْ تَكُنِ السَّمَاءُ تُحْرَسُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ نَبِيٌّ أَوْ دِينَ اللَّهِ ظَاهِرٌ، وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ اتَّخَذَتْ الْمَقَاعِدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَسْتَمِعُونَ مَا يَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ مِنْ أَمْرٍ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا نَبِيًّا رَجَعُوا لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَفَزِعَ لَذَلِكَ أَهْلُ الطَّائِفِ، فَقَالُوا: هَلَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ؛ لِمَا رَأَوْا مِنْ شِدَّةِ النَّارِ فِي السَّمَاءِ وَاخْتِلَافِ الشُّهُبِ، فَجَعَلُوا يَعْتَقُونَ أَرْقَاءَهُمْ وَيُسَيِّبُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ يَالِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمِيرٍ: وَيَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الطَّائِفِ، أَمْسِكُوا عَنْ أَمْوَالِكُمْ، وَانظُرُوا إِلَى مَعَالِمِ النُّجُومِ، فَإِنْ رَأَيْتُمُوهَا مُسْتَقَرَّةً فِي أَمَكْنَتِهَا فَلَمْ يَهْلِكْ أَهْلُ السَّمَاءِ، إِنَّمَا هَذَا مِنْ أَجْلِ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ - يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْهَا فَقَدْ هَلَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ. فَانظُرُوا فَرَأَوْهَا، فَكَفُّوا عَنْ أَمْوَالِهِمْ. وَفَزَعَتِ الشَّيَاطِينُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَأَتُوا إِبْلِيسَ فَحَدَّثُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَقَالَ: اثْنُونِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بِقَبْضَةٍ مِنْ تَرَابِ أَشْهُمِ. فَأَتَوْهُ فَشَمَّ فَقَالَ: صَاحِبُكُمْ بِمَكَّةَ. فَبَعَثَ سَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْ جُنِّ نَصِيبِينَ، فَقَدِمُوا مَكَّةَ فَوَجَدُوا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَذَنَبُوا مِنْهُ جِرْصًا عَلَى الْقُرْآنِ حَتَّى كَادَتْ كَلَالُهُمْ تُصِيبُهُ، ثُمَّ أَسْلَمُوا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَمْرَهُمْ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ^(٣). وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْفَصْلَ مُسْتَقْصًى فِي أَوَّلِ الْبَعْثِ مِنْ (كِتَابِ السَّيْرَةِ) الْمَطُولِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم في الأحقاف: ٢٩.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا ۖ﴾ (١١) ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ﴾ (١٢) ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَائِئَ ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا وَلَا رَهَقًا ۖ﴾ (١٣) ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ﴾ (١٤) ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ﴾ (١٥) ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۖ﴾ (١٦) ﴿لِنَقْنِئَنَّهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۖ﴾ (١٧)

يقول تعالى مخبراً عن الجن: إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾، أي: غير ذلك، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا﴾، أي: طرائق متعددة وآراء متفرقة. قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا﴾، أي: منا المؤمن ومنا الكافر.

وقال أحمد بن سليمان النجاشي في أماليه: حدثنا أسلم بن سهل نخشل، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان، وهو أبو الشعثاء الحضرمي، شيخ مسلم - حدثنا أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تروّج إلينا جني، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال: الأرز. قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً. قلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الراضة فيكم؟ قال: شرنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش. وذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال: سمعت بعض الجن وأنا في منزلي بالليل ينشد:

قُلُوبٌ بَرَاها الحُبُّ حَتَّى تَعَلَّقَتْ مَذَاهِبُهَا فِي كُلِّ غَرَبٍ وَشَارِقِ
تَهَيَّمُ بِحُبِّ اللَّهِ، وَاللَّهُ رُؤْيَا مُعَلِّقَةٌ بِاللَّهِ دُونَ الْخَلَائِقِ

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ﴾ (١٢)، أي: نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب؛ فإنه علينا قادر، لا يعجزه أحد منا. ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَائِئَ ءَامَنَّا بِهِ﴾: يفتخرون بذلك، وهو مفخر لهم، وشرّف رفيع، وصفة حسنة. وقولهم: ﴿فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَاسًا وَلَا رَهَقًا﴾، قال ابن عباس، وقناة، وغيرهما: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضَبًا﴾ [طه: ١١٢]. ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾، أي: منا المسلم ومنا القاسط، وهو: الجائر عن الحق الناكب عنه، بخلاف المقسط فإنه العادل، ﴿فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، أي: طلبوا لأنفسهم النجاة. ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ﴾ (١٥)، أي: وقوداً تسعر بهم. وقوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۖ﴾ (١٦)، اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعُدلوا إليها واستمروا عليها، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾، أي: كثيراً. والمراد بذلك سعة الرزق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَاوُا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ لَأُزِيلَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ١٩٦]. وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَقْبَلُوا لِلْفَتْحِ عَلَىٰكُمْ بِرِكَابٍ مُّزَيَّجٍ وَالسَّكَنِ وَالْأَرْضِ﴾ [الاعراف: ٩٦]. وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لِنَقْنِئَنَّهُمْ فِيهِ﴾، أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿لِنَقْنِئَنَّهُمْ﴾: لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية؟ ذكر من قال بهذا القول: قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: يعني بالاستقامة الطاعة. وقال مجاهد: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، قال: الإسلام. وكذا قال سعيد بن جبّير، وسعيد بن المسيّب، وعطاء، والسدي، ومحمد بن كعب القرظي. وقال قتادة: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾،

يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. وقال مجاهد: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، أي: طريقة الحق. وكذا قال الضحاك، واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: ﴿لِنُثَبِّتَنَّ فِيهِ﴾، أي: لنثبت عليهم به. وقال مقاتل: نزلت في كُفَّارِ قُرَيْشٍ حين مُنِعُوا المَطَرُ سَبْعَ سِنِينَ. والقول الثاني: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، الضلالة ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ غَدَقًا﴾، أي: لأوسعنا عليهم في الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا شَاؤُوا مَا دُخِرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿أَيَسْبُونَ أَمَّا يُدْهَرُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَيَتِينَ﴾ [٥٥] شَايَع لَمْ فِي الْفَرِيقِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦] وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حُمَيد؛ فإنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، أي: طريقة الضلالة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وحكاها البغوي عن الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كيسان. وله اتجاه، ويتأيد بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَنَّ فِيهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، أي: عذاباً شاقاً شديداً مَوْجِعاً مؤلماً. قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وابن زيد: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾، أي: مَشَقَّةٌ لا راحةَ معها. وعن ابن عباس: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ. وعن سعيد بن جبیر: بئر فيها.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَبْغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أضعفُ ناصراً وأقلَّ عدداً ﴿٢٤﴾

يقول تعالى أمراً عباده أن يؤخّده في محالّ عبادته، ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به، كما قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)، قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يؤخّده وحده. وقال ابن حاتم: ذكر علي بن الحسين: حدثنا إسماعيل ابن بنت السدي، أخبرنا رجل سَمَاء، عن السدي، عن أبي مالك - أو: أبي صالح - عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)، قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام، ومسجد إيلياء ببيت المقدس. وقال الأعمش: قالت الجن: يا رسول الله! أيذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك. . . . فانزل الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)، يقول: صلّوا، لا تُخَالِطُوا النَّاسَ^(١).

[٧٠٣٧] وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابن حُمَيد، حَدَّثَنَا مِهْرَان، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن محمود، عن سعيد بن جبیر: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ قال: قالت الجن لنبي الله ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن نأوون عنك؟ وكيف نشهد الصلاة ونحن نأوون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)^(٢). وقال سفیان، عن خُصَيْفٍ، عن عكرمة: نزلت في المساجد كلها. وقال سعيد ابن جبیر: نزلت في أعضاء السجود، أي: هي لله فلا تسجدوا بها لغيره^(٣).

(١) هذا مرسل وكذا ما بعده.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥١٢٨ مرسلًا.

(٣) وهذا التأويل غريب، والصواب أن المراد بيوت الله عز وجل. والله تعالى أعلم.

[٧٠٣٨] وذكروا عند هذا القول: الحديث الصحيح، من رواية عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين»^(١). وقوله تعالى: «وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا»^(٢)، قال العوفي، عن ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه؛ من الحزص، لما سمعوه يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه: «قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ»، يستمعون القرآن. هذا قول، وهو مزوي عن الزبير بن العوام، رضي الله عنه.

[٧٠٣٩] وقال ابن جرير: حدثني محمد بن مغمّر، حدثنا أبو مسلم، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال الجن لقومهم: «لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا»، قال: لما راوه يصلّي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طوعية أصحابه له، قال: فقالوا لقومهم: «لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا»^(٣). وهذا قول ثان، وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضاً. وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى ربهم، كادت العرب تكون^(٣) عليه جميعاً.

وقال قتادة في قوله تعالى: «وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا»، قال: تَلَبَّدَتِ الْإِنْسُ وَالْجَنُّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لِيُطْفِئُوهُ، فأبى الله إلا أن ينصره ويُمضِيهِ وَيُظْهِرَهُ عَلَى مَنْ نَآوَاهُ. وهذا قول ثالث، وهو مروى عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقول ابن زيد، واختيار ابن جرير، وهو الأظهر لقوله بعده: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا»^(٤)، أي: قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه، لِيُطْفِئُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ واجتمعوا على عَدَوَاتِهِ: «إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي»، أي: إنما أعبدُ ربِّي وحده لا شريك له، واستجبر به وأتوكل عليه، «وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا». وقوله تعالى: «قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشَدًا»^(٥)، أي: إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي، وعبدٌ من عباد الله، ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل. ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجبره من الله أحد، أي: لو عصيته فإنه لا يقدر أحدٌ على إنقاذه من عذابه، «وَلَنْ أَعِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا»، قال مجاهد، وقاتدة، والسدي: ملجأ. وقال قتادة أيضاً: «قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَعِدَّ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا»^(٦)، أي: لا نصير ولا ملجأ. وفي رواية: لا ولي ولا موئل. وقوله تعالى: «إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً»، قال بعضهم: هو مستثنى من قوله: «قُلْ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشَدًا»... إِلَّا بَلَاغًا. ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: «لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ»، أي: لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» [المائدة: ٦٧]. وقوله تعالى: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا»، أي: إنما أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك، نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. وقوله: «حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْمَعُونَ مِّنْ أَصْعَفٍ نَّاصِرًا وَأَقَلِّ عَدَدًا»^(٧)، أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يُوعَدُونَ يَوْمَ

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥١٣٣ وإسناده صحيح.

(٣) في النسخ «تلبد» والمثبت عن الطبري.

القيامة، فسيعلمون يومئذٍ من أضعف ناصراً وأقل عدداً؟ هم أم المؤمنون الموحّدون لله عز وجل، أي: بل المشركون لا ناصر لهم بالكُلّية، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا ۖ﴾ (٢٥) ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۚ﴾ (٢٦) ﴿لَعَلَّكُمْ أَنْ تَأْتِلَوا بِعَهْدِ اللَّهِ فَلَا تَحْشَرُوهُ عَنَاءً ۚ﴾ (٢٧) ﴿لَعَلَّكُمْ أَنْ تَأْتِلَوا بِعَهْدِ اللَّهِ فَلَا تَحْشَرُوهُ عَنَاءً ۚ﴾ (٢٨)

يقول تعالى أمرأ رسولهُ ﷺ أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يذري أقرب وقتها أم بعيداً؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا ۖ﴾ (٢٥)، أي: مدة طويلة. وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه - عليه السلام - «لا يؤلف تحت الأرض»، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب. وقد كان ﷺ يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها.

[٧٠٤٠] ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: «يا محمد! فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(١).

[٧٠٤١] ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد! متى الساعة؟ قال: «ويحك! إنها كائنة، فما أعددت لها؟» قال: أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسول. قال: «فأنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث^(٢).

[٧٠٤٢] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا أبو بكر بن أبي مزيم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «يا بني آدم! إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لأب»^(٣).

[٧٠٤٣] وقد قال أبو داود في آخر «كتاب الملاحم»: حدثنا موسى بن سهل، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم»^(٤). انفرد به أبو داود.

[٧٠٤٤] ثم قال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح ابن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم». قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسون عاماً^(٥). انفرد به أبو داود.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۚ﴾ (٢٧) «عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ وَلَا يُظْهِرُونَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ». وهكذا قال ما هنا: إنه يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾، وهذا يعم الرسول الملكوتي والبشري. ثم قال: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۚ﴾ (٢٧).

(١) تقدم في سورة الأعراف آية ١٨٧.

(٢) في إسناده أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. لكن في الباب أحاديث تشهد لأصله. والله أعلم.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ٤٣٤٩ والحاكم ٤٢٤/٤ وإسناده حسن لأجل معاوية بن صالح، وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم! ووافقه الذهبي! والصواب أنه على شرط مسلم وحده، ومعاوية صدوق يخطئ، انفرد عنه مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٣٥٠ وفيه انقطاع بين شريح وسعد بن أبي وقاص.

خَلْقِهِ رَصَدًا، أي: يَخْتَصُّهُ بِمَزِيدٍ مُعَقَّبَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَيُسَاقِفُونَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ. ولهذا قال: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَتَلَّفُوا رِيسَتَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾. وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾، إلى مَنْ يَعُودُ؟ فقيل: إنه عائدٌ على النبي ﷺ، قال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيْدٍ، حدثنا يعقوبُ القُمِّي، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَيْرٍ في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (١) إِلَّا مَنْ آزَقْنِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢)، قال: أربعةُ حَفَظَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ جَبْرِيلَ، ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿أَنْ قَدْ أَتَلَّفُوا رِيسَتَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾. ورواه ابنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ يَعْقُوبَ الْقُمِّي بِهِ. وهكذا رواه الضَّحَّاكُ، والسُّدِّي، ويزيدُ بنُ حَبِيبٍ. وقال عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَتَلَّفُوا رِيسَتَ رَبِّهِمْ﴾، قال: ليعلمَ نبيُّ الله أن الرُّسُلَ قد بَلَّغَتْ عَنْ اللَّهِ، وأن الْمَلَائِكَةَ حَفَظَتْهَا وَدَفَعَتْ عَنْهَا. وكذا رواه سعيدُ بنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عن قتادة. واختاره ابنُ جرير. وقيل غيرُ ذلك، كما رواه العوفيُّ عن ابنِ عَبَّاسٍ في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ آزَقْنِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، قال: هي مُعَقَّبَاتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ النَّبِيَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: لَيَعْلَمَنَّ أَهْلُ الشَّرْكِ أَنْ قَدْ أَتَلَّفُوا رِيسَالَاتِ رَبِّهِمْ. وكذا قال ابنُ أَبِي نَجِيحٍ، عن مجاهد: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَتَلَّفُوا رِيسَتَ رَبِّهِمْ﴾، قال: ليعلمَ مَنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ أَنْ قَدْ أَتَلَّفُوا رِيسَالَاتِ رَبِّهِمْ. وفي هذا نظر. وقال البَغَوِيُّ: قرأ يعقوبُ: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ بِالضَّمِّ، أي: لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وهو قول حكاه ابنُ الجَوْزِيِّ في «زاد المسير». ويكونُ المعنى في ذلك: أَنَّهُ يَحْفَظُ رُسُلَهُ بِمَلَائِكَتِهِ لِيَتِمَّ كُنُوتُهُمْ مِنْ أَدَاءِ رِيسَالَاتِهِ، وَيَحْفَظُ مَا بَيَّنَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ لِيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَتَلَّفُوا رِيسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكقوله تَعَالَى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (٣) [العنكبوت: ١١]، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كُوزِنِهَا قَطْعًا لَا مُحَالَةً، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ هَذَا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

آخر تفسير سورة الجن، والله الحمد والمنّة



وهي مكية

[٧٠٤٥] قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي، حدثنا مَعْلَى بن عبد الرحمن، حدثنا شريك، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل، عن جابر قال: اجتمعت قُرَيْشٌ في دار التَّذْوَةِ فقالوا: سَمُّوا هذا الرجلَ اسماً تُصَدُّوا الناس عنه. فقالوا: كاهنٌ. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنونٌ. قالوا: ليس بمجنونٍ. قالوا: ساحرٌ. قالوا: ليس بساحرٍ. فتنفَرَقَ المشركون على ذلك، فبلغ ذلك النَّبِيَّ ﷺ فَتَزَمَّلَ في ثِيَابِهِ وَتَدَثَّرَ فِيهَا. فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ - عليه السلام - فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(١). ثم قال البزار: مَعْلَى بن عبد الرحمن قد حَدَّثَ عنه جماعةٌ من أهل العلم، واحتملوا حديثه، لكنه تفرد بأحاديث لا يَتَابِعُ عليها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ﴾ (١) قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا (٧) وَادْكُرْ آثَمَ رَيْكَ وَتَنَبَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)

يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَرَكَ التَّزْمَلَ، وَهُوَ التَّغَطِّيُّ فِي اللَّيْلِ، وَيَنْهَضَ إِلَى الْقِيَامِ لِرَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنَجَّاهُ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١١) [السجدة: ١٦]. وكذلك كان رسول الله ﷺ مُعْتَمِلًا مَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقَدْ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَمَّا أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧٨) [الإسراء: ٧٩]. وَهَذَا هُنَا بَيِّنٌ لَهُ مَقْدَارُ مَا يَقُومُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ﴾ (١) قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ﴾، يَعْنِي: يَا أَيُّهَا النَّاسِمُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمَرْزُوقُ فِي ثَابِهِ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: نَزَلَتْ وَهُوَ مُتَزَمِّلٌ بِقَطِيفَةٍ. وَقَالَ شَيْبَابُ بْنُ بَشَرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ﴾، قَالَ: يَا مُحَمَّدًا زُمِلْتَ الْقُرْآنَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَصَفَهُ﴾: بَدَّلَ مِنَ اللَّيْلِ، ﴿أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ، أَي: أَمْرُنَا أَنْ تَقُومَ نِصْفَ اللَّيْلِ بِزِيَادَةِ قَلِيلَةٍ أَوْ نَقْصَانِ قَلِيلٍ، لَا خَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، أَي: اقْرَأْهُ عَلَى تَمَهُّلٍ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَوْنًا عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ صَلَوَاتِ اللهِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ يَقْرَأُ السُّورَةَ فَيَرْتَلُّهَا، حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلُ مِنْ أَطْوَلٍ مِنْهَا.

(١) إسناده ضعيف جداً. أخرجه البزار ٢٢٧٦، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٤٣: رواه البزار والطبراني في «الأوسط» وفيه معل بن عبد الرحمن الواسطي، وهو كذاب.

[٧٠٤٦] وفي صحيح البخاري، عن أنس: أنه سُئِلَ عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يُمَدُّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمد ﴿الرَّحْمَنِ﴾ ويمد ﴿الرَّحِيمِ﴾^(١).

[٧٠٤٧] وقال ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة: أنها سُئِلَت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢)، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٤)، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٥). ورواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

[٧٠٤٨] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٦). ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، من حديث سفيان الثوري، به. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وقد قَدَّمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة، كما جاء في الحديث:

[٧٠٤٩] «رَبِّتُوا الْقُرْآنَ بأصواتكم»^(٧).

[٧٠٥٠] و «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»^(٨).

[٧٠٥١] و «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود». يعني أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبزه لك تحبيراً^(٩). وعن ابن مسعود أنه قال: لا تثنوه نثر الدقل^(١٠)، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة. رواه البيهقي.

[٧٠٥٢] وقال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: قرأت المفضل الليلة في ركعة. فقال: هَذَا كَهَذَا الشعر! لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يَقْرَنَ بَيْنَهُنَّ! فذكر عشرين سورة من المفضل، سورتين في ركعة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثِقِيلًا﴾^(١١)، قال الحسن، وقتادة: أي: العمل به. وقيل: ثَقِيلٌ وقت نزوله، من عَظَمَتِهِ. كما قال زيد بن ثابت: أنزل على رسول الله ﷺ وَفَجَذَهُ عَلَى فَخْذِي، فكادت تُرَضُّ فَخْذِي^(١٢).

[٧٠٥٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! هل تحسُّ بالوحي؟ فقال رسول

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠٤٦ وابن حبان ٦٣١٧.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٦٦ والترمذي ٢٩٢٧ وأحمد ٣٠٢/٦ وتقدم في الفاتحة.

(٣) جيد. أخرجه أبو داود ١٤٦٤ والترمذي ٢٩١٤ وأحمد ١٩٢/٢ وابن أبي شيبة ٤٩٨/١٠ وابن حبان ٧٦٦ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه أبو داود ١٤٦٨ والنسائي ١٧٩/٢، ١٨٠ وابن ماجه ١٣٤٢ وعبد الرزاق ٤١٧٦ وأحمد ٢٩٦/٤ وابن حبان ٧٤٩ من حديث البراء بن عازب، وهو صحيح.

(٥) تقدم تخريجه في سورة الحجر آية ٨٧، متفق عليه.

(٦) تقدم في سورة الأنبياء آية ٧٩.

(٧) للدقل: أردأ التمر.

(٨) صحيح. أخرجه البخاري ٧٧٥ و ٥٠٤٣.

الله ﷺ : «أَسْمَعْ صَلَاحَ، ثُمَّ أَسْكُتْ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسِي تَفِيضُ»^(١)، تفرد به أحمد.

[٧٠٥٤] وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليَتَفَصَّدُ عَرَقاً^(٢). هذا لفظه.

[٧٠٥٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: إن كان ليُوحَى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فَتَضَرَّبَ بِجِرَانِهَا^(٣).

[٧٠٥٦] وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته، وَضَعَتْ جِرَانُهَا، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه^(٤). وهذا مرسل، الجِرَانُ: هو باطن العنق. واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معاً، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ مِنْ أَشَدِّ وَطْأٍ وَأَقْوَمَ قِيلاً﴾^(٥)، قال أبو إسحاق، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: نشأ: قام بالحبيشة. وقال عمر، وابن عباس، وابن الزبير: الليل كله ناشئة. وكذا قال مجاهد، وغير واحد، يقال: نشأ: إذا قام من الليل. وفي رواية عن مجاهد: بعد العشاء. وكذا قال أبو مجلز، وقائدة، وسالم، وأبو حازم، ومحمد بن المنكدر. والغرض: أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تُسَمَّى ناشئة، وهي الآثاء، والمقصود: أن قيام الليل هو أشد مواطاة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة. ولهذا قال تعالى: ﴿مِنْ أَشَدِّ وَطْأٍ وَأَقْوَمَ قِيلاً﴾، أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش.

وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش: أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ مِنْ أَشَدِّ وَطْأٍ وَأَقْوَمَ قِيلاً)، فقال له رجل: إنما نقرأها: ﴿وَأَقْوَمَ قِيلاً﴾. فقال له: إن أضوب وأقوم وأهياً، وأشباه هذا واحد.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾^(٦)، قال ابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن أبي مسلم: الفراغ والنوم. وقال أبو العالية، ومجاهد، وأبو مالك، والضحاك، والحسن، وقائدة، والربيع ابن أنس، وسفيان الثوري: فراغاً طويلاً، وقال قتادة: فراغاً وبُغْيَةً ومُتْلَباً. وقال السدي: ﴿سَبْعًا طَوِيلًا﴾: تَطَوُّعاً كَثِيراً. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾، قال: لِحَوَائِجِكَ، فَأَقْرَبُ لِدِينِكَ اللَّيْلِ. قال: وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة، ثم إن الله مَنَّ على العباد فَخَفَّفَهَا وَوَضَعَهَا، وقرأ: ﴿فَرَّ اللَّيْلِ

(١) أخرجه أحمد ٢٢٢/٢ وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف. وصدره محفوظ يشهد له ما بعده. والوهن فقط في عجزه.

(٢) تقدم في سورة الشورى، آية ٣.

(٣) أخرجه أحمد ١١٨/٦ وإسناده حسن، عبد الرحمن هو أبي الزناد، حديثه حسن عن هشام بن عروة.

(٤) هذا مرسل، وتقدم موصولاً من وجوه أخر فيما مضى، والله الموفق.

إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ إلى آخر الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقَرُّ بِكَ تَقَرُّمُ أَنْتَ مِنْ قُلُوبِ الْآلِي﴾ حتى بلغ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْشُرُ مِنْهُ﴾ - الليل نصفه أو ثلثه. ثم جاء أمر أَوْسَعُ وَأَفْسَحُ وَضَعَ الفريضة عنه وعن أمته - فقال: وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْآلِي فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وهذا الذي قاله كما قاله. والدليل عليه: ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال:

[٧٠٥٧] حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ: أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا وَيَجْعَلَهُ فِي الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ ثُمَّ يُجَاهِدَ الرُّومَ حَتَّى يَمُوتَ. فَلَقِي رَهْطًا مِنْ قَوْمِهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّ رَهْطًا مِنْ قَوْمِهِ سَبَّوْهُ أَرَادُوا ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «الْأَيْسَ لَكُمْ فِي أَسْوَأَ حَسَنَةٍ؟ فَتَهَاجَرُوا عَنْ ذَلِكَ، فَأَشْهَدُهُمْ عَلَى رَجْعَتِهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْنَا فَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنِ الْوُتْرِ فَقَالَ: أَلَا أَنْبِئُكَ بِأَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوُتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ابْنُ عَائِشَةَ فَسَأَلَهَا ثُمَّ أَرْجَعَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلَى حَكِيمِ بْنِ أَلْفَلَحٍ فَاسْتَلَحَقْتُهُ إِلَيْهَا، فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا؛ إِنِّي نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ فِي هَاتَيْنِ الشَّيْعَتَيْنِ شَيْئًا، فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا. فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ مَعِيَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَقَالَتْ: حَكِيمٌ؟ وَعَرَفْتَهُ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ. قَالَتْ: مَنْ هِشَامٌ؟ قَالَ: ابْنُ عَامِرٍ. قَالَ: فَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ وَقَالَتْ: نَعَمْ الْمَرْءُ كَانَ عَامِرًا. قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ. فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، ثُمَّ بَدَأَ لِي قِيَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: أَلَسْتُ تَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّاقِلُونَ﴾؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتَمَتَهَا فِي السَّمَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ التَّخْفِيفَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةٍ. فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، ثُمَّ بَدَأَ لِي وَتْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِينِي عَنْ وَتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: كُنَّا نُعْبُدُ لَهُ سِرَاجَهُ وَطُهْرَهُ، فَيُعْبَدُ اللَّهُ لَمَّا شَاءَ أَنْ يَنْعَتَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُصَلِّي ثَمَانِي رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ، فَيَجْلِسُ وَيَذْكُرُ رَبَّهُ وَيَدْعُو وَيَسْتَغْفِرُ ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يَسْلُمُ. ثُمَّ يُصَلِّيُ التَّاسِعَةَ فَيَقْعُدُ فَيَحْمَدُ رَبَّهُ وَيَذْكُرُهُ وَيَدْعُو ثُمَّ يَسْلُمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّيُ رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَمَا يُسَلِّمُ. فَتَلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بَنِي. فَلَمَّا أَسْنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ اللَّحْمَ، أَوْتَرِ بِسَبْعٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ، فَتَلْكَ تِسْعٌ يَا بَنِي! وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةَ أَحَبِّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ أَوْ مَرَضٌ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً، وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَلَا قَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ. فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِهَا، فَقَالَ: صَدَقْتَ، أَمَا لَوْ كُنْتُ أَدْخَلْتُ عَلَيْهَا لِأَنْبِئْتُهَا حَتَّى تَشَافِهَنِي مُشَافَهَةً^(١). هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِتَمَامِهِ. وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ، بِنَحْوِهِ.

[٧٠٥٨] طَرِيقٌ أُخْرَى عَنْ عَائِشَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ - وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، قَالَا جَمِيعًا، وَاللَّفْظُ لَابْنِ وَكِيعٍ: عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَحْلَاءَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَجْعَلُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَصِيرًا يُصَلِّيُ عَلَيْهِ مِنْ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٧٤٦ ح ١٣٩ وأبو داود ١٣٤٢ والنسائي في «السنن» ١٦٠١ وفي «التفسير» ٦٤٧ وابن ماجه

الليل، فتسامع الناس به فاجتمعوا، فخرج كالمغضب، وكان بهم رحماً، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، فقال: «أيها الناس، اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملأ من الثواب حتى تملأوا من العمل، وخير الأعمال ما ديم عليه». ونزل القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ۖ قُلْ أَلَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ۖ يَضَعُهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه، فراحهم فزدهم إلى الفريضة، وترك قيام الليل^(١). ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الرزدي، وهو ضعيف. والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة، وهذا السياق قد يؤهم أن نزول هذه السورة بالمدينة، وليس كذلك، وإنما هي مكية. وقوله في هذا السياق: إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر، غريب؛ فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مسعر، عن سيمالك الحنفي، سمعت ابن عباس يقول: أول ما نزل أول المزمل، كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة. وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب، عن أبي أسامة، به. وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي، كلاهما عن مسعر، عن سيمالك، عن ابن عباس: كان بينهما سنة. وروى ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل، عن سيمالك، عن عكرمة، عن ابن عباس، مثله.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن أبي عبد الرحمن قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ۖ﴾، قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم، حتى نزلت: ﴿فَاقْرَءْ مَا يَنْزِلُ مِنْهُ ۖ﴾ قال: فاستراح الناس. وكذا قال الحسن البصري والسدي.

[٧٠٥٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام قال: فقلت - يعني لعائشة - أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: ألسن تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ۖ﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم، وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهراً، ثم نزل^(٢). وقال معمر، عن قتادة: ﴿قُلْ أَلَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾، قاموا حولاً أو حولين، حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة.

[٧٠٦٠] وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد - هو ابن جببر - قال: لما أنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ۖ﴾، قال: مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل، كما أمره، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَيْكَ يَغْلُكَ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَتَضَعُ وَكَلَامَهُ مِنَ اللَّيْلِ مَكَكٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْشِرُوا الصَّلَاةَ﴾، فخفف الله عنهم بعد عشر سنين^(٣). ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن رافع، عن يعقوب القمي، به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قُلْ أَلَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ۖ يَضَعُهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ﴾ أو زِدْ

(١) أخرجه الطبري ٣٥١٧٢ من حديث عائشة، وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، والحديث صحيح دون «ونزل القرآن...» فإن الآية مكية من أول ما نزل كما هو مشهور.

(٢) إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٥١٧٤ وهو مرسل، فهو ضعيف، ويعارضه ما قبله.

عَلَيْهِ وَرَبِّ الْقَوْمَانِ تَبَيَّنَا ①﴾، فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلاً، فشئ ذلك على المؤمنين، ثم خفف الله عنهم ورحمهم، فأنزل بعد هذا: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ وَمَأْتُورٌ بِالْبُخْلِ فِي الْآرِضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْشُرُ مِنْهُ﴾، فوسّع الله - وله الحمد - ولم يضيق. وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَنْتَ رَبَّكَ وَلَتَبْلُغْ إِلَيْهِ تَبَيَّنَا ②﴾، أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت في أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنيائك، كما قال تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ③﴾ [الانشراح: ٧]، أي: إذا تفرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال. قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه. قال ابن عباس ومجاهد، وأبو صالح، وعطية، والضحاك، والسدي: ﴿وَيَبْلُغْ إِلَيْهِ تَبَيَّنَا﴾، أي: أخلص له العبادة. وقال الحسن: اجتهد وابتل إليه نفسك. وقال ابن جرير: يقال للعابد: مُتَبَلِّلٌ، ومنه الحديث المروي: نَهَى عَنْ التَّبَلُّلِ. يعني الانقطاع إلى العبادة وترك الزوج. وقوله تعالى: ﴿رَبُّكَ لِلشَّرِّ وَالْقُرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ④﴾، أي: هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب، الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ⑤﴾ [مرد: ١٢٣]، وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑥﴾، في آيات كثيرة في هذا المعنى، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑦﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑧ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ⑨ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑩ يَوْمَ تُرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ⑪ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑫ فَصَحَّىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ⑬ فَكَيْفَ تَنْفِقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑭ السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِدءٍ كَانَ وَعَدُّمْ مَفْعُولًا ⑮﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً، وهو الذي لا عتاب معه. ثم قال له متوعداً لكفار قومه ومتهذداً - وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء -: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ﴾، أي: ذعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال، فإنهم أقدر على الطاعة من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾، أي: رويداً، كما قال تعالى: ﴿تَمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ⑮﴾ [لقمان: ٢٤]. ولهذا قال ما هنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾، وهي القيود. قاله ابن عباس، وعكرمة، وطاوس، ومحمد بن كعب، وعبد الله بن بريدة، وأبو عمران الجوني، وأبو مجلز، والضحاك، وخماد بن أبي سليمان، وقتادة، والسدي، وابن المبارك، والثوري، وغير واحد ﴿وَجَحِيمًا﴾، وهي السعير المضطربة. ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، قال ابن عباس: يَنْشِبُ فِي الْحَلْقِ فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑩﴾ يَوْمَ تُرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، أي: تُزَلْزَلُ، ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا﴾، أي: تصير ككتبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء، ثم إنها تُنْسَفُ نَسْفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذقب، حتى تصير الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ⑪﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا، أي: وادياً، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦ - ١٠٧]، أي: رابية. ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع. ثم قال مخاطباً لكفار قريش، والمراد سائر الناس: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾، أي: بأعمالكم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑫﴾ فَصَحَّىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ⑬، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والثوري: ﴿أَخَذًا وَبِيلًا﴾، أي: شديداً. أي: فاحذروا أنتم أن تُكذِّبُوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فِرْعَوْنَ، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدير، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ⑭﴾

وَالْأُولَى ﴿١٩﴾ [النازعات: ٢٥]، وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم؛ لأن رُسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران. ويروى عن ابن عباس، ومجاهد. وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿٢٠﴾، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﴿يَوْمًا﴾ معمولاً لتتقون، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود: فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كُفِرْتُمْ بالله ولم تُصَدِّقُوا به؟! ويحتمل أن يكون معمولاً لكُفِرْتُمْ، فعلى الأول: كيف يحصل لكم أمانٌ من يوم هذا الفرع العظيم إن كُفِرْتُمْ؟ وعلى الثاني: كيف يحصل لكم تقوى إن كُفِرْتُمْ يوم القيامة وَجَّهْتُمُوهُ؟ وكلاهما معنى حسنٌ، ولكن الأول أولى، والله أعلم. ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، أي: من شِدة أهواله وزلازله وبلايله، وذلك حين يقول الله لآدم: ابعث بعث النار. فيقول: مِنْ كَمْ؟ فيقول: من كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة.

[٧٠٦١] قال الطبراني: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْعَلَّافِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْزَمٍ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، قَالَ: «ذلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَذلِكَ يَوْمٌ يَقُولُ اللَّهُ لآدَمَ: قُمْ فابْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعثاً إِلَى النَّارِ. قَالَ: مِنْ كَمْ يَا رَبُّ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعُونَ، وَيَنْجُو وَاحِدٌ. فَاشْتَدَّ ذَلِكُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَعَرَفَ ذَلِكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ حِينَ أَبْصَرَ ذَلِكَ فِي وَجُوهِهِمْ: «إِنَّ بَنِي آدَمَ كَثِيرٌ، وَإِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَلَدَ آدَمَ، وَإِنَّهُ لَا يَمُوتُ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَرِيْتَهُ لَصْلِبِهِ أَلْفَ رَجُلٍ ففِيهِمْ وَفِي أَشْبَاهِهِمْ جُنَّةٌ لَكُمْ»^(١). هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْحَجِّ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَسَمَاءٌ مُنْقَطِرَةٌ يَدُهُ﴾، قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: أَيُّ بِسَبَبِهِ مِنْ شِدَّتِهِ وَهَوْلِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُعِيدُ الضَّمِيرَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ، وَلَيْسَ بِقَوِيٍّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرُهَا هُنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾، أَيُّ: كَانَ وَعْدُ هَذَا الْيَوْمِ مَفْعُولًا، أَيُّ: وَاقِعًا لَا مُحَالَةً، وَكَانَتْ لَا مُحِيدَ عَنْهُ.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي إِلِيلٍ وَبُضْعُهُمْ وَثُلُثُهُمْ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الْإِلَّ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تَتَسَّرَ مِنَ الْقرآنِ عَلِمَ أَن سَبَكُوهُ مِنكُمْ رَّحِيًّا وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تَتَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآفِرُوا بِاللَّهِ قَرَضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ﴾، أي: السورة ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾، أي: يَتَذَكَّرُ بِهَا أَوَّلُو الْأَلْبَابِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، أي: مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ، كَمَا قَيَّدَهُ فِي السُّورَةِ الْآخَرَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٢٠﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي إِلِيلٍ وَبُضْعُهُمْ وَثُلُثُهُمْ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾، أي: تَارَةً هَكَذَا، وَتَارَةً هَكَذَا، وَذلِكَ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى الْمَوَاطَبَةِ عَلَى مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، لِأَنَّهُ يَشُقُّ عَلَيْكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الْإِلَّ وَالنَّهَارَ﴾، أي: تَارَةً

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الطبراني ١٢٠٣٤، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٦٤٤٦: فيه عثمان بن عطاء الخراساني، وهو ضعيف.

يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، أو هذا من هذا، ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾، أي: الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿فَقَارَءُوا مَا يَنْسَرُ﴾، أي: من غير تحديد بوقت، أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسر. وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال في سورة سبحان: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾، أي: بقراءة تلك، ﴿وَلَا تَخَافُهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقد استدلل أصحاب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - بهذه الآية، وهي قوله: ﴿فَقَارَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْ الْقُرْآنِ﴾، على أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية، أجزأه؛ [٧٠٦٢] واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»^(١).

[٧٠٦٣] وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت، وهو في الصحيحين أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٢).

[٧٠٦٤] وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِذَاج، فهي خِذَاج، فهي خِذَاج: غير تمام»^(٣).

[٧٠٦٥] وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تُجْزَى صلاة من لم يقرأ بأم القرآن»^(٤). وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُوٌّ وَأَخْرُجُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُجُونَ يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل، من مرضى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله. وهذه الآية، بل السورة كلها مكية، ولم يكن القتال شريع بعد، فهي من أكبر دلائل الثبوت، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلية. ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَارَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾، أي: قوموا بما تيسر عليكم منه. قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علفية، عن أبي رجاء محمد قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد! ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد الصالح: ﴿وَلَنْتَ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مَا لَوْ قَلَّمُوا أَنْتَرُ وَلَا آبَاءُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]. قلت: يا أبا سعيد! قال الله: ﴿فَقَارَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْ الْقُرْآنِ﴾؟ قال: نعم، ولو خمس آيات. وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يرى حقاً واجباً على حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل.

[٧٠٦٦] ولهذا جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح، فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه»^(٥). فقيل: معناه: نام عن المكتوبة. وقيل: عن قيام الليل.

[٧٠٦٧] وفي السنن: «أوتروا يا أهل القرآن»^(٦).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٣٩٥ ح ٣٨ وأحد ٢٤١/٢ وابن حبان ١٧٨٨ وتقدم.

(٤) أخرجه ابن خزيمة ٤٩٠، وتقدم.

(٥) متفق عليه، وتقدم.

(٦) جيد. أخرجه أبو داود ١٤١٦ والترمذي ٤٥٣ وابن ماجه ١١٦٩ وإسناده قوي، وله شواهد.

[٧٠٦٨] وفي الحديث الآخر: «من لم يُؤتِر فليس منا»^(١). وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر عبد العزيز، من الحنابلة، من إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم.

[٧٠٦٩] وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجدي، حدثنا أبو حمة محمد بن يوسف الزبيدي، حدثنا عبد الرحمن بن طاووس، من ولد طاووس، عن محمد بن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن طاووس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «فَأَقْرُوا مَا يَنْتَرِ مِنْهُ»، قال: «مئة آية»^(٢). وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله. وقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة. وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصب والمخرج لم تُبين إلا بالمدينة. والله أعلم. وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نُسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل. واختلّفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدّم.

[٧٠٧٠] وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خمس صلوات في اليوم والليلة». قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تَطُوع»^(٣).

وقوله تعالى: «وَأَقْرُوا اللَّهَ قَرْمًا حَسَنًا»، يعني من الصدقات، فإن الله يُجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْمًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً» [البقرة: ٢٤٥]. وقوله تعالى: «وَمَا تَقْتُلُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا»، أي: جميع ما تقدّموه بين أيديكم فهو لكم حاصل، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا.

[٧٠٧١] قال الحافظ أبو يغلى الموصلي: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أَيْكُمْ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ؟». قالوا: يا رسول الله! ما منا من أحد إلا ماله أحبُّ إليه من ماله واريثه. قال: «اعلموا ما تقولون». قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله! قال: «إنما مال أحديكم ما قدّم وما واريثه ما أخر»^(٤). ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث، والنسائي من حديث أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، به. ثم قال تعالى: «وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، أي: أكثرُوا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها؛ فإنه غفورٌ رحيمٌ لمن استغفره.

آخر تفسير «سورة المزمل»، والله الحمد والمنة

(١) أخرجه أحمد ٤٤٣/٢ وإسناده ضعيف لضعف الخليل بن مرة، وأعله الزيلعي في «نصب الراية» ١١٣/٢ بالانقطاع بين معاوية بن قرة وأبي هريرة، وانظر: «ضعيف أبي داود» ٣٠٩.

(٢) أخرجه الطبراني ١٠٩٤٠. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٤٧: فيه عبد الرحمن بن طاووس، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا. اهـ وفيه محمد بن عبد الله بن طاووس، وثقه ابن حبان وحده، فالحديث ضعيف.

(٣) متفق عليه، وتقدم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري وأبو يعلى، وتقدم.



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ ١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ٢ ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣﴾ وَتَبَارَكَ فَطَعِرْ ٤ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَشْكُرْ ٦ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ٨ ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠ ﴿

[٧٠٧٢] ثَبِتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ ١﴾^(١)، وَخَالَفَهُ الْجُمْهُورُ فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ أَوَّلَ الْقُرْآنِ نَزُولاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾، كَمَا سَيَأْتِي ذَلِكَ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

[٧٠٧٣] قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: ﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ ١﴾. قُلْتُ: يَقُولُونَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق: ١]؟ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِي، فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أَحَدَّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَاوَرْتُ بِحَرَاءَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَتَنَظَّرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرْ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرْ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرْ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرْ شَيْئاً. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئاً. فَاتَيْتُ خَدِجَةَ فَقُلْتُ: دَثُرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً. فَدَثُرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ ١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ٢ ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣﴾^(٢). هَكَذَا سَأَقَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[٧٠٧٤] وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عَقِيلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «قَبِينَا أَنَا أَمَشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَبُجِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِثْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي. فَرَمَلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ ١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ٢ إِلَى: ﴿فَاهْجُرْ ٥﴾ - قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ - الْأَوْتَانُ - ثُمَّ حَمَى الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ^(٣). هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ، وَهَذَا السِّيَاقُ هُوَ الْمَحْفُوظُ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ الْوَحْيُ قَبْلَ هَذَا، لِقَوْلِهِ: «إِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ»، وَهُوَ جَبْرِيلُ حِينَ أَنَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ

(١) هُوَ الْآتِي.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٤٩٢٢ لَكِنْ الرَّاجِحُ مَا بَعْدَهُ.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٩٤٢٥ وَمُسْلِمٌ ١٦١/٢٥٥، وَتَرْمِذِي ٣٣٢٥ وَالنَّسَائِي فِي «التَّفْسِيرِ» ٦٥١.

بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٢﴾. ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نَزَلَ الْمَلَكُ بعد هذا. ووجه الْجَفْعِ: أن أول شيء نَزَلَ بعد فترة الوحي هذه السورة.

[٧٠٧٥] كما قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ثُمَّ قَرَأَ الْوَحْيُ عَنِي فِتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ الْآنَ قَاعِدَةً عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَنُجِشْتُ مِنْهُ فِرْقًا، حَتَّى هَوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ، فَجَنَّتْ أَهْلِي فَقُلْتُ لَهُمْ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَرَمَلُونِي، فَنَزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾ وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ﴿٥﴾﴾. ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ بَعْدَ وَتَابِعِ^(١). أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الزَّهْرِيِّ، بِهِ.

[٧٠٧٦] وقال الطبراني: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شُعَيْبِ السَّمْسَارِ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرِ الْبَجَلِيِّ، حَدَّثَنَا الْمُعَاوِيَةُ بْنُ عِمْرَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ صَنَعَ لِقْرِيشٍ طَعَامًا، فَلَمَّا أَكَلُوا. قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاحِرٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِسَاحِرٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَاهِنٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِكَاهِنٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِشَاعِرٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَحَرٌ يُؤَثِّرُ. فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّهُ سَحَرٌ يُؤَثِّرُ. فَلَبِغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَزَنَ وَقَنَّعَ رَأْسَهُ، وَتَدَثَّرَ، فَنَزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾ وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ تَشْتَكِرْ ﴿٦﴾ وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾^(٢).

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾، أَي: شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْعَزْمِ، وَأَنذِرَ النَّاسَ. وَبِهَذَا حَصَلَ الْإِرْسَالُ كَمَا حَصَلَ بِالْأَوَّلِ النَّبُوءَةِ. ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾، أَي: عَظَّمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾، قَالَ الْأَجْلَحُ الْكِندِيُّ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ أَنَاءَ رَجُلٍ فَسَّالَهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾، قَالَ: لَا تَلْبِسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا عَلَى عَذْرَةٍ. ثُمَّ قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ:

فَلِإِنِّي بِحَنَدِ اللَّهِ لَا ثُوبَ فَاجِرٍ لَيْسْتُ، وَلَا مِنْ عَذْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾، قَالَ: فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: نَقِي الثِّيَابِ. وَفِي رِوَايَةِ بَهْزَادِ الْإِسْنَادِ: فَطَهَّرَ مِنَ الذَّنُوبِ. وَكَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَعَطَاءٌ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾، قَالَ: مِنَ الْإِثْمِ. وَكَذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾، قَالَ: نَفْسَكَ، لَيْسَ ثِيَابَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾: عَمَلَكَ فَاصْلِحْ. وَكَذَا قَالَ أَبُو رَزِينٍ. وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾، أَي: لَسْتُ بِكَاهِنٍ وَلَا سَاحِرٍ، فَاعْرِضْ عَمَّا قَالُوا. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾﴾، أَي: طَهَّرَهَا مِنَ الْمَعَاصِي، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّي الرَّجُلَ إِذَا نَكَثَ وَلَمْ يَفِ بِعَهْدِ اللَّهِ: إِنَّهُ لَمَدْنُسُ الثِّيَابِ، وَإِذَا وَفَى وَأَصْلَحَ: إِنَّهُ لِمُطَهَّرُ الثِّيَابِ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ، وَالضَّحَّاكُ: لَا تَلْبِسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنُسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِزُّهُ فَكُلْ رِذَائِ يَزِيدِهِ جَمِيلُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٣٨ ومسلم ١٦١ ح ٢٥٦ وأحمد ٣/٣٢٥.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ١١٢٥٠ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٤٨: وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَيَاكَ فَكْفَرُ﴾، يعني لا تَكُ ثِيَابَكَ التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية. وقال محمد بن سيرين: ﴿وَيَاكَ فَكْفَرُ﴾، أي: اغسلها بالماء. وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه. وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه، كما قال امرؤ القيس:

أفأطم مهلاً بعض هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملني
وإن لك قد ساءت منك خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبيرة: ﴿وَيَاكَ فَكْفَرُ﴾، وقلبك ونيتك فطهر. وقال محمد بن كعب القرظي، والحسن البصري: وخلقك فحسن. وقوله تعالى: ﴿وَالزَّيْرُ فَاهْجُرُ﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَالزَّيْرُ﴾ وهو الأصنام فاهجر. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهرى، وابن زيد: إنها الأوثان. وقال إبراهيم، والضحاك: ﴿وَالزَّيْرُ فَاهْجُرُ﴾، أي: اترك المعصية. وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْجُوا إِلَى الْكُفْرِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١٦]، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْ فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا تَتَكَبَّرَ﴾، قال ابن عباس: لا تعط العطية لتلمس أكثر منها. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وطاوس، وأبو الأحوص، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم. وزوي عن ابن مسعود أنه قرأ: (ولا تمن أن تستكثر). وقال الحسن البصري: لا تمن بعملك على ربك تستكثره. وكذا قال الربيع بن أنس، واختاره ابن جرير. وقال خُصيف، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا تَتَكَبَّرَ﴾، قال: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمن في كلام العرب: تضعف. وقال ابن زيد: لا تمن بالنبوة على الناس، تستكثروهم بها، تأخذ عليه عوضاً من الدنيا. فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه الله عز وجل، قاله مجاهد. وقال إبراهيم النخعي: اصبر على عطيتك لله عز وجل. وقوله تعالى: ﴿إِذَا نَزَلَ فِي النَّفْثَةِ﴾، فذلك يوم يَوْمُ عَيْسَى عَلَى الْكُفْرَيْنِ غَيْرَ يَبْرُ، قال ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وزيد بن أسلم، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع بن أنس، والسدي، وابن زيد: ﴿النَّفْثَةُ﴾: الصور، قال مجاهد: وهو كهينة القرن.

[٧٠٧٧] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أسباط بن محمد، عن مطرف، عن عطاء العوفي، عن ابن عباس: ﴿إِذَا نَزَلَ فِي النَّفْثَةِ﴾، فقال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفع؟» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «فما تأمرنا يا رسول الله؟» قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(١). وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط، به. ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن ابن فضال وأسباط، كلاهما عن مطرف، به. ورواه من طريق أخرى، عن العوفي، عن ابن عباس، به.

وقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَ عَيْسَى﴾، أي: شديد، ﴿عَلَى الْكُفْرَيْنِ غَيْرَ يَبْرُ﴾، أي: غير سهل

عليهم. كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾. وقد رَوَيْنَا عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى قَاضِي الْبَصْرَةِ أَنَّهُ صَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَقَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُفَرِّقُ فِي السَّاعَةِ﴾ (٨) فَقَالَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَرِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ عَرِيرٌ يَبِيرُ (١٠)، شَبَقٌ شَبَقَةٌ، ثُمَّ خَرَّ مَيِّتًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَمِيدًا (١٦) سَأَرْفُقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَفَرَ (٢١) ثُمَّ حَسَّ وَنَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سَعْتَرٌ يُوَفِّرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَزِيدُكَ مَا سَفَرُ (٢٧) لَا بَقِيَ وَلَا نَذَرُ (٢٨) لَوَاعَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهِمَا تِسْعَةُ عَشَرَ (٣٠)﴾

يقولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لِهَذَا الْخَبِيثِ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعَمِ الدُّنْيَا، فَكَفَرَ بِأَنْعَمَ اللَّهُ، وَبَذَلَهَا كُفْرًا، وَقَابَلَهَا بِالْجُحُودِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَهَا مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ. وَقَدْ عَدَدَ اللَّهُ نِعَمَهُ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)﴾، أَي: خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَحْدَهُ لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، ثُمَّ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَالًا مَمْدُودًا (١٢)﴾، أَي: وَاسِعًا كَثِيرًا. قِيلَ: أَلْفَ دِينَارٍ. وَقِيلَ: مِثَّةُ أَلْفِ دِينَارٍ. وَقِيلَ: أَرْضًا يَسْتَغْلَهَا. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَجَعَلَ لَهُ (بَنِينَ شُهُودًا)، قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَغَيَّبُونَ، أَي: حُضُورًا عِنْدَهُ لَا يَسَافِرُونَ فِي التَّجَارَاتِ، بَلْ مَوَالِيَهُمْ وَأَجْرَاهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَهُمْ قُعُودٌ عِنْدَ آبِيهِمْ، يَتَمَتَّعُ بِهِمْ وَيَتَعَمَّلُ بِهِمْ. وَكَانُوا - فِيمَا ذَكَرَ السُّدِّيُّ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ - ثَلَاثَةَ عَشَرَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ: كَانُوا عَشْرَةً. وَهَذَا أَبْلَغُ فِي النِّعْمَةِ وَهُوَ إِقَامَتُهُمْ عِنْدَهُ. ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤)﴾، أَي: مَكَّنْتَهُ مِنْ صُنُوفِ الْمَالِ وَالْأَثَاثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَمِيدًا (١٦)، أَي: مُعَانِدًا، وَهُوَ الْكَفَرُ عَلَى نِعَمِهِ بَعْدَ الْعِلْمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأَرْفُقُهُ صَعُودًا (١٧)﴾.

[٧٠٧٨] قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَسَنٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ دَرَّاجٍ، عَنْ ابْنِ الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَيْلٌ: وَإِذَا فِي جَهَنَّمَ، يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، وَالصُّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يَصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوِي بِهِ كَذَلِكَ فِيهِ أَبَدًا»^(١). وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْأَشَجِّ بِه. ثُمَّ قَالَ: «غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيْعَةَ عَنْ دَرَّاجٍ». كَذَا قَالَ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عُمَرُو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ دَرَّاجٍ. وَفِيهِ غُرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ.

[٧٠٧٩] وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - الْمَعْرُوفُ بِعَلَّانِ الْمَصْرِيِّ - قَالَ: حَدَّثَنَا مِنْجَابٌ، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عِمَارِ الدُّهْنِيِّ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿سَأَرْفُقُهُ صَعُودًا (١٧)﴾، قَالَ: «هُوَ جَبَلٌ فِي النَّارِ مِنْ نَارٍ يُكَافَأُ أَنْ يَصْعَدَهُ، فَإِذَا وَضَعَ يَدَهُ ذَابَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ، وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ ذَابَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ»^(٢). وَرَوَاهُ الْبَزَارُ وَابْنُ جَرِيرٍ، مِنْ حَدِيثِ شَرِيكٍ، بِهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: صَعُودٌ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ يُسْحَبُ عَلَيْهَا الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: صَعُودٌ

(١) صدره ضعيف. وتقدم في البقرة: ٧٩.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥٤١٢ وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي. لكن يشهد لعجز المتقدم.

صخرة ملساء في جهنم، يُكَلَّف أن يصعدَها. وقال مجاهد: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ﴾، أي: مشقة من العذاب. وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه. واختاره ابن جرير. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ﴾، أي: إنما أرهقناه صُعُوداً، أي: قُرْبناه من العذاب الشاق؛ لبعده عن الإيمان، لأنه فَكَّرَ وَقَدَّرَ، أي: تَرَوَّى ماذا يقول في القرآن حين سُئِلَ عن القرآن، فَفَكَّرَ ماذا يختلق من المقال، ﴿وَقَدَّرَ﴾، أي: تَرَوَّى، ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ﴾، ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ، ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۖ﴾، أي: أعاد النظر والتروى، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾، أي: قَبَضَ بين عينيه وَقَطَبَ، ﴿وَيَسَّرَ﴾، أي: كَلَحَ وكره، ومنه قولُ توبة بن الحمير الشاعر:

وَقَدْ رَابِنِي مِنْهَا صُدُودُ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَيُسُورُهَا

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذِىرَ وَأَنكَرَ ۖ﴾، أي: صُرِفَ عن الحق وَرَجَعَ القهقري مُستَكبراً عن الانقياد للقرآن، ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۖ﴾، أي: هذا سحرٌ ينقله محمدٌ عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ ۖ﴾، أي: ليس بكلام الله. وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي، أحد رؤساء قُرَيْش - لعنه الله -.

[٧٠٨٠] وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي، عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خَرَجَ على قُرَيْش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة! فوالله ما هو بشعرٍ ولا بسحرٍ ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله. فلما سَمِعَ بذلك النفَرُ من قُرَيْش اتتمروا فقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبون قُرَيْش. فلما سَمِعَ بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفكم شأنه. فانطلق حتى دَخَلَ عليه بيته فقال للوليد: ألم ترَ قومك قد جَمَعُوا لك الصدقة؟ فقال: ألسْتُ أَكْثَرَهُمْ مالاً وولداً. فقال له أبو جهل: يَتَحَدَّثُونَ أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لِتُصِيبَ من طعامه. فقال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي؟! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عَمَرَ، ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحرٌ يُؤْثَرُ. فأنزل الله على رَسُولِهِ ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَنِي وَلَا تَذَرُ ۖ﴾^(١). وقال قتادة: رَعِمُوا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلو، وما أشك أنه سحرٌ. فأنزل الله: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ﴾... الآية، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَيَسَّرَ ۖ﴾: قَبَضَ ما بين عينيه وَكَلَحَ.

[٧٠٨١] وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابنُ عبد الأعلى، أخبرنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عباد بن منصور، عن عكرمة: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقِيَ له. فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام، فأتاه فقال: أي عَمَ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: يُعْطُونَكَ، فإنك أتيت محمداً تَتَعَرَّضُ لما قَبَلَهُ. قال: قد عَلِمْتُ قُرَيْشُ أني أَكْثَرُها مالاً. قال: قُلْ فيه قولاً يَعْلَمُ قومك أنك مُنْكَرٌ لما قال، وأنت كاره له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجلٌ أَعْلَمُ بالأشعارِ مِنِّي، ولا أعلم برَجَزِهِ ولا بَقَصِيدِهِ ولا بأشعارِ الجَنِّ، والله ما يُشَبِّهُ الذي يقول شيئاً من ذلك. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنه لِيُحْطَمُ ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلو، قال والله لا يَرْضَى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه. فلما فَكَّرَ قال: هذا سحرٌ يَأْثَرُهُ عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ قال قتادة: خرج من بطن أمه وحيداً، حتى بلغ: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ ۖ﴾^(٢).

(١) أخرجه الطبري ٣٥٤٢٠ وفيه عطية العوفي ضعيف، لكن ورد من وجوه عدة منها الآتي.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥٤١٩ وهو مرسل، لكن له شواهد.

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نَحْوًا من هذا. وقد زعم السُّدِّي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليُجمعوا رأيهم على قولٍ يقولونه فيه، قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر. وقال آخرون: ساحر. وقال آخرون: كاهن. وقال آخرون: مجنون. كما قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨]، كلُّ هذا والوليد يُفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر، ونظر وعبس وسر، فقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مِرْيَةٌ تُؤْتِي ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [٢٥]، قال الله عز وجل: ﴿سَأُنَبِّئُكَ سِرًّا﴾ [٢٦]، أي: سأغمره فيها من جميع جهاته. ثم قال: ﴿وَمَا أَتُوكَ إِلَّا بِمِثْرِ نَخْلٍ﴾ [٢٧]، وهذا تهويل لأمرها وتفخيم. ثم فسر ذلك بقوله: ﴿لَا بَقِيَّ وَلَا نَذْرٌ﴾ [٢٨]، أي: تأكل لحومهم وغرقهم وعصبهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموثون ولا يخيون، قاله ابن بُريدة وأبو سنان وغيرهما. وقوله تعالى: ﴿لَوَاكُمُ النَّبِيُّ﴾ [٢٩]، قال مجاهد: للجلد. وقال أبو رزين: تُلَفِّحُ الْجِلْدَ لَفْحَةً فَتَدْعُهُ أَسْوَدَ مِنَ اللَّيْلِ. وقال زيد بن أسلم: تُلَوِّحُ أَجْسَادَهُمْ عَلَيْهَا. وقال قتادة: ﴿لَوَاكُمُ النَّبِيُّ﴾ [٢٩]، أي: حَرَاةٌ لِلْجِلْدِ. وقال ابن عباس: تَحْرِقُ بَشَرَةَ الْإِنْسَانِ. وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا نِتَمَّةٌ عَشْرٌ﴾ [٣٠]، أي: من مُقَدِّمِي الزبانية، عَظِيم خَلْقُهُمْ، غَلِيظُ خَلْقُهُمْ.

[٧٠٨٢] وقد قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، أَخْبَرَنِي حَرِثٌ، عَنْ عَامِرٍ، عَنِ الْبَرَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا نِتَمَّةٌ عَشْرٌ﴾، قال: إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خَزَنَةِ جَهَنَّمَ، فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء رجل فأخبر النبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه ساعته: ﴿عَلَيْهَا نِتَمَّةٌ عَشْرٌ﴾ [٢٩]. فأخبر أصحابه وقال: «ادعهم، أما إني سألتهم عن ثَرَةِ الْجَنَّةِ إِنْ أَتَوْنِي، أَمَا إِنَّهَا دَرَمَكَةٌ بِيضَاءُ». فجاؤوا فسألوه عن خَزَنَةِ جَهَنَّمَ، فأهوى بأصابع كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ وَأَمْسَكَ الْإِبْهَامَ فِي الثَّانِيَةِ، ثُمَّ قَالَ: «أَخْبَرُونِي عَنْ ثَرَةِ الْجَنَّةِ». فقالوا: أخبرهم يابن سَلَامٍ. فقال: كأنها خُبْزَةٌ بِيضَاءُ. فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا إِنْ الْخُبْزُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الدَّرَمِكِ»^(١). وهكذا وَقَعَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْبَرَاءِ، وَالْمَشْهُورُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَرَّاءُ فِي مُسْنَدِهِ:

[٧٠٨٣] حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدَةَ، أَخْبَرَنَا سَفِيانٌ وَيَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ، حَدَّثَنَا سَفِيانٌ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، غَلِبَ أَصْحَابُكَ الْيَوْمَ. فَقَالَ: «بَأَيِّ شَيْءٍ؟» قَالَ: سَأَلْتُهُمْ يَهُودُ هَلْ أَعْلَمُكُمْ نَبِيَّكُمْ عِدَّةَ خَزَنَةِ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: لَا نَعْلَمُ حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْغَلِبَ قَوْمٌ سَأَلُوا عَمَّا لَا يَذَرُونَ فَقَالُوا: لَا نَدْرِي حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا؟ عَلَيَّ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ، لَكِنْ قَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ أَنْ يُرِيَهُمُ اللَّهُ جَهْرَةً». فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ قَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! كَمْ عِدَّةَ خَزَنَةِ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «هَكَذَا، وَطَبَّقَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ طَبَّقَ كَفَّيْهِ، مَرَّتَيْنِ، وَعَقَدَ وَاحِدَةً، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «إِنْ سَأَلْتُمْ عَنْ ثَرَةِ الْجَنَّةِ فَهِيَ الدَّرَمِكُ». فَلَمَّا سَأَلُوهُ فَأَخْبَرَهُمْ بَعْدَ خَزَنَةِ أَهْلِ النَّارِ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا ثَرَةُ الْجَنَّةِ؟ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: خُبْزَةٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ: «الْخُبْزُ مِنَ الدَّرَمِكِ»^(٢). وهكذا رواه الترمذي عند هذه

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» ٥٠٩ وإسناده ضعيف لضعف حريث بن أبي مطر، وبه أهله البيهقي، وقال: نزلت هذه الآية في شأن الوليد. قلت: ذكر نزول الآية لا أصل له هنا، فالسورة مكية، وسؤالات يهود كانت في المدينة. والدريمك: هو الدقيق الحواري، أي الأبيض.

(٢) إسناده ضعيف. وأخرجه الترمذي ٣٣٢٧ وضعفه بقوله: غريب. قلت: وعلة مجالد بن سعيد، فقد ضعفه الجمهور لسوء حفظه، وانظر «الضعيفة» ٣٣٤٨، وذكر الدريمك ورد في حديث الدجال، وهو صحيح.

الآية عن ابن أبي عمير، عن سفيان، به. وقال هو والبزار: «لا نعرفه إلا من حديث مجالد». وقد رواه الإمام أحمد، عن علي بن المدني، عن سفيان، بِقِصَّةِ الدَّرْمَكِ فقط.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكًا وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّبِيِّ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَفْجَرَ (٣٤) إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلنَّبِيِّ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ﴾ أي: خُزَانَهَا ﴿إِلَّا مَلَكًا﴾، أي: زبانية غلاظاً شديداً. وذلك ردُّ على مشركي قُرَيْش حين ذَكَرَ عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قُرَيْش، أما يستطيع كلُّ عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكًا﴾، أي شديدي الخَلْقِ لا يُقَاوَمُونَ ولا يُعَالَبُونَ. وقد قيل: إن أبا الأشدِّين - واسمه: كَلْدَةُ بن أبييد بن خَلْف - قال: يا معشر قُرَيْش! اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عَشَرَ، إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة - فيما يزعمون - أنه كان يَقِفُ على جلد البقر ويُجَاذِبُهُ عَشْرَةَ لِيَنْتَزِعُوهُ من تحت قَدَمَيْهِ، فيتمزق الجلد ولا يَتَزَحُّزَحُ عنه. قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مُصَارَعَتِهِ وقال: إن صَرَعْتَنِي آمَنْتُ بك. فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مراراً، فلم يُؤْمِن. قال: وقد نَسَبَ ابنُ إسحاق خبر المصارعة إلى زُكَّانَةَ بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب. قلت: ولا منافاة بين ما ذكره والله أعلم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: إنما ذكرنا عِدَّتَهُمْ أنهم تسعة عشر اختباراً مثلاً للناس، ﴿لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، أي: يعلمون أن هذا الرسول حق؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المُنزَّلة على الأنبياء قبله. وقوله تعالى: ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، أي: إلى إيمانهم، أي: بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ﴾، أي: من المنافقين ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي يقولون: ما الحكمة في ذِكْرِ هذا ما هنا؟ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، أي: من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام، ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لثلاث يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط كما قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمِعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فافهموا صدر الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

[٧٠٨٤] وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم»^(١).

[٧٠٨٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن

مُورِقٌ، عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا تَرَوْنَ، وأسمَعُ ما لا تَسْمَعُونَ، أظنُّ السماءَ وحقُّ لها أن تَنُطَّ، ما فيها موضع أربع أصابعٍ إلا عليه مَلَكٌ ساجدٌ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولا تَلذَّذتم بالنساء على الفُرُشَات، ولخرجتم إلى الصُّعَدَات، تجارون إلى الله عزَّ وجلَّ». فقال أبو ذرٍّ: والله لو دِدْتُ أني شجرة تُعَصَّدُ^(١). ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: «حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَيُرْوَى عن أبي ذرٍّ مَوْقُوفًا»^(٢).

[٧٠٨٦] وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حَدَّثَنَا خَيْرُ بْنُ عَرْفَةَ الْمَصْرِي، حَدَّثَنَا غَزْوَةُ بْنُ مِرْوَانَ الرَّقْمِي، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ما في السموات السبع موضعٌ قَدَمٌ ولا شِبْرٌ ولا كَفٌّ إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ، أو مَلَكٌ ساجدٌ، أو مَلَكٌ راکعٌ، فإذا كان يومُ الْقِيَامَةِ قالوا جميعاً: سُبْحَانَكَ! ما عَبْدُناكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ إلا أنا لم نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا»^(٣).

[٧٠٨٧] وقال محمد بن نصر المروزي في «كتاب الصلاة»: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صفوان بن مُحَرَّرٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جِرَّامٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مع أصحابه إِذْ قَالَ لَهُمْ: هَلْ تَسْمَعُونَ ما أَسْمَعُ؟ قالوا: ما نَسْمَعُ من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَسْمِعْ أَطِيطُ السَّمَاءَ وما تَلَامُ أَنْ تَنُطَّ، ما فيها موضعُ شِبْرٍ إلا وعليه مَلَكٌ راکعٌ أو ساجدٌ»^(٤).

[٧٠٨٨] وقال أيضاً: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَهْرَازٍ، حَدَّثَنَا أَبُو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَاهِلِي، سَمِعْتُ الضُّحَّاكَ بْنَ مَزاحمٍ يُحَدِّثُ عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضعٌ قَدَمٌ إلا عليه مَلَكٌ ساجدٌ أو قائمٌ، وذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا يَئِسا إِلَّا لَمْ يَمْلِكُوا مَقْلُومٌ﴾^(١) وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّائِرِينَ^(٢) وَإِنَّا لَنَعْنُ النَّاسِيخُونَ^(٣)»^(٤). وهذا مرفوعٌ غريبٌ جداً، ثم رواه عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: إن من السموات سماء ما فيها موضعُ شِبْرٍ إلا وعليه جبهةٌ مَلَكٌ أو قدماء قائمًا، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّائِرِينَ^(١) وَإِنَّا لَنَعْنُ النَّاسِيخُونَ^(٢)﴾.

[٧٠٨٩] ثم قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِيَّارٍ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الدمشقي المعروف بابن أمه، قال: حَدَّثَنِي المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف، حَدَّثَنِي سليمان بن أيوب بن سالم ابن عوف، حَدَّثَنِي عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحُبَلِيِّ، حَدَّثَنِي سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم، حَدَّثَنِي عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد، وقد شَهِدَ الفتح وما بعده: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال

(١) حسن. أخرجه الترمذي ٢٣١٢ وابن ماجه ٤١٩٠ وأحمد ١٧٣/٥ وإسناده حسن في الشواهد، وفي الباب أحاديث.

(٢) نقل ابن كثير كلام الترمذي عقب سياق لفظ أحمد، مما أوهم بأن الحديث ورد كله موقوفاً. وليس كذلك. فإن الترمذي أخرجه ٢٣١٢ مرفوعاً مع عجزه، وهو لفظ «لوددت أني شجرة تعصد» وهذا اللفظ هو وحده الموقوف على أبي ذر كما بينه أحمد في روايته.

(٣) صدره صحيح. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٣٥٩٢ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٤٣٧: فيه عروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث. قلت: وتفرّد بقوله: «إِنْ كَانَ...» وأما صدره فله شواهد كما ترى.

(٤) صحيح. أخرجه محمد بن نصر ٢٥٠ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٥) تقدم في الصافات: ١٦٤ - ١٦٦.

يوماً لجلسائه: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟! قال: «أطبت السماء وحُق لها أن تَنط، إنه ليس فيها موضع قَدَم إلا وعليه ملك قائم أو راکع أو ساجد، وقالت الملائكة: ﴿وَلَا تَنفُ الْصَّافُونَ﴾ (١٥) وَلَا تَنفُ الْكَلْبُوتُونَ (١٦)» (٣). وهذا إسنادٌ غريبٌ جداً.

[٧٠٩٠] ثم قال: حَدَّثَنَا [محمد بن يحيى، قال حدثنا] (١) إسحاق بن محمد بن إسماعيل القُرَوي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ قَدَامَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ جَاءَ وَالصَّلَاةَ قَائِمَةً، وَتَفَرَّقَ ثَلَاثَةٌ جُلُوسٌ، أَحَدُهُمْ أَبُو جَحْشٍ اللَّيْثِيُّ، فَقَالَ: قَوْمُوا فَصَلُّوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَامَ اثْنَانِ وَأَبَى أَبُو جَحْشٍ أَنْ يَقُومَ، وَقَالَ: لَا أَقُومُ حَتَّى يَأْتِيَ رَجُلٌ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ذِرَاعَيْنِ، وَأَشَدُّ مِنِّي بَطْشاً فَيَصْرَعَنِي، ثُمَّ يَدْسُ وَجْهِي فِي التُّرَابِ. قَالَ عُمَرُ: فَصْرَعْتُهُ وَدَسَسْتُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، فَأَتَى عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فَحَبَسَنِي عَنْهُ، فَخَرَجَ عُمَرُ مَغْضَباً حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَاذَا بَكَ يَا أَبَا حَفْصٍ؟ فَذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رِضَا عُمَرَ رَحْمَةً، وَاللَّهِ لَوِ دِدْتُ أَنَّكَ جِئْتَنِي بِرَأْسِ الْخَبِيثِ». فَقَامَ عُمَرُ فَوَجَّهَ نَحْوَهُ، فَلَمَّا أَبْعَدَ نَادَاهُ فَقَالَ: «اجْلِسْ حَتَّى أَخْبِرَكَ بِغَيْبِ الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ صَلَاةِ أَبِي جَحْشٍ، إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَلَائِكَةٌ خُشُوعاً لَا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. فَإِذَا قَامَتْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: رَبَّنَا، مَا عَبْدُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَإِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مَلَائِكَةٌ سُجُوداً لَا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِذَا قَامَتْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، وَقَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. وَإِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ مَلَائِكَةٌ رُكُوعاً لَا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِذَا قَامَتْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ وَقَالُوا: سُبْحَانَكَ! مَا عَبْدُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَمَا يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ يَا مُلْكُ وَالْمَلَائِكَةُ. وَأَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ يَا عِزَّةَ وَالْجَبَرُوتِ. وَأَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ يَا حَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. فَقُلْنَا يَا عُمَرُ فِي صَلَاتِكَ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَكَيْفَ بِالَّذِي كُنْتُ عَلَّمْتَنِي وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَقُولَهُ فِي صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «قُلْ هَذَا مَرَّةً وَهَذَا مَرَّةً»، وَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ أَنْ يَقُولَهُ: أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، جَلَّ وَجْهُكَ (٢). هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا، بَلْ مُنْكَرٌ نَكَارَةً شَدِيدَةً، وَإِسْحَاقُ الْقُرَوي رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ وَضَعَفَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالْعُقَيْلِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: «كَانَ صَدُوقاً إِلَّا أَنَّهُ ذَقَبَ بِصُرْهُ قُرْبَمَا لِقْنٍ وَكُتِبَتْهُ صَحِيحَةً». وَقَالَ مَرَّةً: هُوَ مُضْطَرِبٌ، وَشَيْخُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَدَامَةَ أَبُو قَتَادَةَ الْجَمَحِيُّ تُكَلِّمُ فِيهِ أَيْضاً. وَالْعَجَبُ مِنَ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ كَيْفَ رَوَاهُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عَلَيْهِ، وَلَا عَرَفَ بِحَالِهِ، وَلَا تَعَرَّضَ لِضَعْفِ بَعْضِ رِجَالِهِ؟! غَيْرَ أَنَّهُ رَوَاهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مُرْسَلاً بِنَحْوِهِ. وَمِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ مُرْسَلاً قَرِيباً مِنْهُ.

[٧٠٩١] ثم قال محمد بن نصر: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَهْزَادٍ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا عَبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ وَهُوَ يَخْطُبُنَا عَلَى مِثْبَرِ الْمَدَائِنِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) زيادة عن كتاب «الصلاة».

(٢) أخرجه محمد بن نصر في «كتاب الصلاة» ٢٥٦ وإسناده ضعيف جداً، إسحق ضعفه الجمهور كما ذكر ابن كثير، وشيخه ضعيف، وعبد الرحمن فيه ضعيف، والمتن غريب جداً بل منكر كما ذكر ابن كثير رحمه الله. وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير، أخرجه برقم ٢٥٧ ومع إرساله فيه جعفر القمي، قال ابن مندة: ليس بالقوي في سعيد بن جبير. وله شاهد من مرسل الحسن، أخرجه برقم ٢٥٨، ومراسيل الحسن وإميه، وفيه عمر بن المغيرة منكر الحديث.

عن رسول الله ﷺ قال: إن لله ملائكة تُرعد فرائضهم من خيفته، ما منهم مَلَكٌ تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على مَلَكٍ يُصَلِّي، وإن منهم ملائكة سُجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة. وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله - عز وجل - قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك^(١). وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ﴾، قال مجاهد وغير واحد: ﴿وَمَا مِنْ﴾، أي: التار التي وصفت، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ (٣٦) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، أي: ولي، ﴿وَالشُّجِّ إِذَا اشْرَقَ﴾، أي: العظام، يعني النار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وغير واحد من السلف: ﴿نَذِيرًا لِلنَّاسِ﴾ (٣٦) ﴿لَنْ شَأْنٌ يَنْفَعُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ أَوْ يَنْفَعَهُمْ﴾، أي: لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويؤلّي ويردّها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ (٣٨) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤١) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصْلِينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَوْ نَكُنَّ نَفُومَ الْيَسْكِينِ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْفَافِيينِ﴾ (٤٥) ﴿وَكَا كَذَّبَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤٦) ﴿حَتَّى أَتْنَا الْيَقِيْنَ﴾ (٤٧) ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠) ﴿فَزَتْ مِنْ قُصُورِهِمْ﴾ (٥١) ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾ (٥٢) ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٥٣) ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ تَذْكِرَةٌ﴾ (٥٤) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكِّرْهُ﴾ (٥٥) ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفُورَةِ﴾ (٥٦)

يقول تعالى مخبراً أن كل نفس بما كسبت رهينة، أي: مُعْتَلَّةٌ بعملها يوم القيامة، قاله ابن عباس وغيره، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) ﴿فإنهم﴾ (٤٠) ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٤١) ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤٢) ، أي: يسألون المجرمين وهم في العُرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصْلِينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَوْ نَكُنَّ نَفُومَ الْيَسْكِينِ﴾ (٤٤) ، أي: ما عبدنا ربنا ولا أحسننا إلى خلقه من جنسنا، ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْفَافِيينِ﴾ (٤٥) ، أي: نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: كُلُّمَا غَوَى غَاوٍ غَوَيْنَا مَعَهُ، ﴿وَكَا كَذَّبَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤٦) ﴿حَتَّى أَتْنَا الْيَقِيْنَ﴾ (٤٧) ، يعني الموت. كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾ (٩١) [الحجر: ٩٩].

[٧٠٩٢] وقال رسول الله ﷺ: «أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه»^(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) ، أي: مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةُ شَافِعٍ فِيهِ؛ لَأَنَّ الشَّفَاعَةَ إِنَّمَا تَنْجَعُ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا، فَأَمَّا مَنْ وَافَى اللَّهَ كَافِرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ لَهُ النَّارَ لَا مُحَالَاةً، خَالِدًا فِيهَا. ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) ، أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قَبِلَكُ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَتَذْكُرُهُمْ بِهِ مُعْرِضِينَ، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠) ﴿فَزَتْ مِنْ قُصُورِهِمْ﴾ (٥١) ، أي:

(١) ضعيف. أخرجه محمد بن نصر ٢٦٠ وفيه عدي بن أرطاة، وهو مقبول كما في التقريب، وعنه عباد بن منصور، وهو ضعيف الحديث. روى مناكير. انظر الميزان ٤١٤١ فالإسناد ضعيف، وليس كما قال ابن كثير رحمه الله. ثم إن المتن غريب بهذا اللفظ.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٩٢٩ من حديث أم العلاء، وله قصة، وتقدم في سورة الحجر.

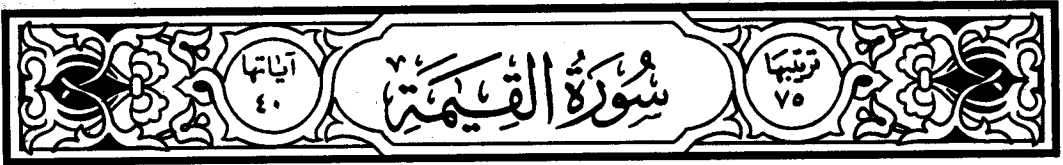
كانهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حُمْرٌ من حُمْرِ الوحش إذا فَرَّتْ مِمَّنْ يُريدُ صيدها من أسيدٍ، قاله أبو هريرة، وابن عباس - في رواية عنه - وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن، أو: رام، وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول الجمهور. وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مَاهِك، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحِشْبِيَّة قَسُورَةٌ، وبالفارسية شِيرٌ، وبالنبطية أويَا.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى سُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ (٥٦)، أي: بل يُريد كل واحدٍ من هؤلاء المشركين أن يُنزلَ عليه كتابٌ كما أنزل على النبي. قاله مجاهدٌ وغيره، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وفي رواية عن قتادة: يُريدون أن يؤتوا براءةً بغير عَمَلٍ. فقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٥٦)، أي: إنما أفسدَهُم عدمُ إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقوعها. ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ»﴾ (٥٦)، أي: حقًا إن القرآن تذكُّرٌ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿كَقَوْلِهِ: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْوَةِ﴾، أي: هو أهلٌ أن يُخَافَ منه، وهو أهلٌ أن يَغْفَرَ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ. قاله قتادة.

[٧٠٩٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني سهيل أخو حَزْم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْوَةِ﴾، وقال: «قال ربكم: أنا أهلٌ أن تُتَّقَى فلا يُجْعَلْ معي إله، فمن اتقى أن يجْعَلَ معي إلهًا كان أهلاً أن أغْفِرَ له»^(١). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافى بن عمران، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعي، به. وقال الترمذي: حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي. ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هُدْبَةَ بن خالد، عن سهيل، به. وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبخاري وغيرهم، من حديث سهيل القطعي، به.

أَخْرَجَ تَفْسِيرَ سُورَةِ الْمَدْثَرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٢٨ وابن ماجه ٤٢٩٩ والنسائي في «التفسير» ٦٥٠ وأحمد ٢٤٣/٣ والدارمي ٣٠٢/٢ وأبو يعلى ٣٣١٧ والحاكم ٥٠٨/٢ ومداره على سهيل، وهو ضعيف، ومع ذلك صححه الحاكم، وسكت الذهبي.



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامُهُ ۝٣﴾ بَلْ قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۝٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ ۝٥﴾ يَسْتَلْ أَكَانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝٦﴾ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۝٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآخِرَ ۝١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ النَّفْسُ تُنَادِي ۝١٢﴾ يَبْنُو ۝١٣﴾ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٤﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٥﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ ۝١٦﴾

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه متى كان مثقياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه ما هنا هو إثبات المعاد، والرّد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى : ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ ، قال الحسن : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة . وقال قتادة : بل أقسم بهما جميعاً . هكذا حكاه ابن أبي حاتم . وقد حكى ابن جرير ، عن الحسن والأعرج أنهما قرآ : (لأقسم) . وهذا يؤجّه قول الحسن ؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة . والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قاله قتادة ، رحمه الله . وهو المروي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبّير ، واختاره ابن جرير . فاما يوم القيامة فمعروف ، وأما النفس اللوامة فقال قرّة بن خالد ، عن الحسن البصري في هذه الآية : إنّ المؤمن - والله - ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ؟ وما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ وإنّ الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه . وقال جويبر : بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله تعالى : ﴿لَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ ، قال : ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة . وقال ابن أبي حاتم : [حدثني أبي] حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم ، عن إسرائيل ، عن سماك : أنه سأل عكرمة عن قوله تعالى : ﴿لَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ ، قال : يلوم على الخير والشر : لو فعلت كذا وكذا ! ورواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، به . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبّير في : ﴿لَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ ، قال : تلوم على الخير والشر . ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك ، فقال : هي النفس اللووم . وقال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : تندم على ما فات وتلوم عليه . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿اللَّوَامَةُ ۝٢﴾ المذمومة . وقال قتادة : ﴿اللَّوَامَةُ ۝٢﴾ الفاجرة . قال ابن جرير : وكلّ هذه الأقوال متقاربة المعنى ، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر ، وتندم على ما فات . وقوله تعالى : ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامَهُ ۝٣﴾ ، أي : يوم القيامة ، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه

وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بَلْ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَاتَهُ﴾، قال سعيد بن جبيرة والعوفي، عن ابن عباس: أن نجعله خفياً أو حافراً. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن جرير. وجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا. والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَدَرِينَ﴾ حال من قوله تعالى: ﴿نَجْعَ﴾، أي: أياظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بل سنجمعها قادرين على أن تُسَوِّيَ بناته، أي: قُدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بناته، وهي أطراف أصابعه، مستوية. وهذا معنى قول ابن قتيبة، والزجاج. وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْتَرِ أَمَانَةً﴾، قال سعيد، عن ابن عباس: يعني يمضي قدماً. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لِيَفْتَرِ أَمَانَةً﴾، يعني الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة. وقال مجاهد: ﴿لِيَفْتَرِ أَمَانَةً﴾: يمضي أمامه ركباً رأسه. وقال الحسن: لا يلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى مغصية الله قدماً قدماً، إلا من عصمه الله تعالى. وزوي عن عكرمة، وسعيد بن جبيرة، والضحاك، والسدي، وغير واحد من السلف: هو الذي يغفل الذنوب ويُسوّف التوبة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو الكافر يُكذّب بيوم الحساب، وكذا قال ابن زيد، وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده: ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ يُفْتَنُ﴾، أي: يقول متى يكون يوم القيامة؟ وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَعِدِّيُونَ ﴿٣٠﴾ [سبا: ٢٩ - ٣٠].

وقال تعالى ها هنا: ﴿إِنَّا بِقَرْنٍ الْقَمَرِ﴾، قال أبو عمرو بن العلاء: ﴿قَرْنٌ﴾ - بكسر الراء - أي: حار. وهذا الذي قاله شيبه بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾، أي: بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء؛ من شدة الرعب. وقرأ آخرون: (بَرَقَ) بالفتح، وهو قريب في المعنى من الأول. والمقصود أن الأبصار تنبهز يوم القيامة وتخضع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور. وقوله تعالى: ﴿وَسَخَفَ الْقَمَرُ﴾، أي: ذهب ضوؤه، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، قال مجاهد: كُور. وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١ - ٢]. وزوي عن ابن مسعود أنه قرأ: ﴿وجُمِعَ بين الشمس والقمر﴾. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآخِرَ﴾، أي: إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفتر ويقول: أين المفتر؟ أي: هل من ملجأ أو موئل؟ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَدَّكَ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ لِّلشَّارِ﴾، قال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وغير واحد من السلف: أي لا نجاة. وهذه كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الشورى: ٤٧]، أي: ليس لكم مكان تنكرونها فيه. وكذا قال ها هنا: ﴿لَا وَدَّكَ﴾، أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه. ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ لِّلشَّارِ﴾، أي: المرجع والمصير. ثم قال تعالى: ﴿يَبْقَى الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، أي: يُخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿وَوَعَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وهكذا قال ها هنا: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ﴿١٢﴾ وَكَوَّالَتَىٰ مَعَاذِرُهُ﴾، أي: هو شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [النبي: ١٢]، أي: تبصر القداة في عين أخيك، وتترك الجذع في عينك لا تبصره؟. وقال مجاهد: ﴿وَكَوَّالَتَىٰ مَعَاذِرُهُ﴾ ﴿١٣﴾، ولو جادل عنها فهو بصيرة عليها. وقال قتادة: ﴿وَكَوَّالَتَىٰ مَعَاذِرُهُ﴾ ﴿١٤﴾: ولو اعتذر يومئذ بباطل لا

يُقبل منه. وقال السُّدِّي: ﴿وَلَوْ أَلْفَ مَآذِيرٍ ۖ﴾: حُجَّتُهُ. وكذا قال ابنُ زيد، والحسنُ البصري، وغيرهم. واختاره ابنُ جرير. وقال قتادة، عن زُرَّادَةَ، عن ابنِ عباس: ﴿وَلَوْ أَلْفَ مَآذِيرٍ ۖ﴾، يقول: لو أَلْفَى ثِيَابَهُ، وقال الضُّحَّاك: ولو أَرخى سُتُورَهُ، وأهلُ اليمنُ يُسمُّونَ السَّترَ: المِغْذارَ. والصحيحُ قولُ مجاهد وأصحابه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِئْتَنُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۖ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا يَتْلُونَ لَهُمْ مَا بَيَّنَّوْا لَكُمْ وَتَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّا لَمِثْمُورُونَ ۖ﴾ [المجادلة: ١٨]. وقال المعوفي: عن ابنِ عباس: ﴿وَلَوْ أَلْفَ مَآذِيرٍ ۖ﴾، هي: الاعتذار، ألم تسمع أنه قال: ﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، وقال: ﴿وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَهِ السَّعَةِ﴾ [النحل: ٨٧]، ﴿قَالُوا أَلَسْنَا بِكُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨] وقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهِ ۖ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَفْطُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)

هذا تعليم من الله - عز وجل - لرسوله في كيفية تلقِّيهِ الوحي من المَلَكِ، فإنه كان يُبادِر إلى أخذه ويُسابق المَلَكِ في قراءته، فأمره الله - عز وجل - إذا جاءه المَلَكُ بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن يُسَرِّهَ لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يُبَيِّنَهُ له ويُفَسِّرَهُ ويوضحه. فالحالة الأولى جَمْعُهُ في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهِ ۖ﴾ (١٦)، أي: بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ بِالْقُرْآنِ مَنْ قَبْلَ أَنْ يُقَضَّ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾، أي: في صدرك، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾، أي: أن تقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾، أي: إذا تلاه عليك المَلَكُ عن الله عز وجل ﴿فَاقْرَأْ قُرْآنَهُ﴾، أي: فاستمع له ثم أقرأه كما أقرأك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩)، أي: بعد حفظه وتلاوته يُبَيِّنُهُ لك وتوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

[٧٠٩٤] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن أبي عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُعالِجُ من التنزيل شدة، فكان يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ - قال: فقال لي ابنُ عباس: أنا أحرَّكُ شفتي كما كان رسول الله ﷺ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ. وقال لي سعيد: وأنا أحرَّكُ شَفْتَيْ كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ - فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ بِهِ ۖ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)، قال: جَمْعُهُ في صدرك، ثم تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْرَأْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨): فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩)، فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريلُ قرأه كما أقرأه^(١).

[٧٠٩٥] وقد رواه البخاري ومسلم، من غير وجه، عن موسى بن أبي عائشة، به. ولفظ البخاري: فكان إذا أتاه جبريلُ أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعدَّه الله عز وجل^(٢).

[٧٠٩٦] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة، وكان

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣٤٣/١ وإسناده على شرطهما، وتقدم في طه: ١١٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٧ و ٤٩٢٨ و ٥٠٤٤ و ٧٥٢٤ ومسلم ١٤٧/٤٤٨ والترمذي ٣٣٢٩ والنسائي في

إذا نزل عليه عُرف في تحريكه شَفْتِيهِ، يَتَلَقَّى أَوَّلَهُ وَيَحْرُكُ شَفْتِيهِ خَشْيَةً أَنْ يَنْسَى أَوَّلَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ آخِرِهِ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَملَ بِهِ﴾ (١٦). وهكذا قال الشعبي، والحسن البصري، وقَتَادَةُ، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد: إن هذه الآية نَزَلَتْ في ذلك. وقد روى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَملَ بِهِ﴾ (١٦)، قال: كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَملَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ، أن نجتمعهم لك، ﴿وَوَإِنَّكَ لَفِي ظَنِينٍ﴾، أن تُقرئك فلا تنسى. وقال ابن عباس وعطية العوفي: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٧)، تبين حلاله وحرامه. وكذا قال قَتَادَةُ. وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِيكَ اللَّهُ الْعَمَلُ﴾ (١٨) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (١٩)، أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله - على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة. ثم قال تعالى: ﴿وَجُودَ يُؤْتِيهِمْ لَيْسَةً مِنَ الْمَالِ﴾ (٢٠)، من الثَّغَارِ، أي: حَسَنَةً بَهِيَّةً مُشْرِقةً مُسْرورةً ﴿إِلَى رِيحٍ نَارَةٍ﴾ (٢١)، أي: تراه عياناً.

[٧٠٩٧] كما رواه البخاري - رحمه الله - في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عياناً» (٢٢). وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله - عز وجل - في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متوافرة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها.

[٧٠٩٨] لحديث أبي سعيد وأبي هريرة - وهما في الصحيحين - أن ناساً قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا: لا. «فإنكم ترون ربكم كذلك» (٢٣).

[٧٠٩٩] وفي الصحيحين عن جرير قال: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا» (٢٤).

[٧١٠٠] وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» (٢٥).

[٧١٠١] وفي أفراد مسلم، عن ضُحَيْب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قال: يقول الله تعالى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فيقولون: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعْتِهِمْ زَيْدًا﴾ (٢٦) [يونس: ٢٦].

(١) صحيح. إسناده ضعيف لضعف التيمي واسمه إسماعيل بن إبراهيم، لكن للحديث شواهد.

(٢) تقدم في سورة طه آية ١٣٠.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٤٣٧ ومسلم ١٨٢ ج ٢٩٩ وأحمد ٢٩٣/٢ - ٢٩٤ وابن حبان ٧٤٢٩، من حديث أبي هريرة.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٣ وأحمد ٣٦٢١٤ والطبراني ٢٢٢٤ وابن حبان ٧٤٤٣.

(٥) تقدم في سورة التوبة آية ٧٢.

(٦) وتقدم الحديث أثناء تفسيرها.

[٧١٠٢] وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه: «إن الله يَتَجَلَّى للمؤمنين يَضَحُّكَ»^(١) - يعني في عرصات القيامة - ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم - عز وجل - في العرصات، وفي روضات الجنات.

[٧١٠٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن أبجر، حدثنا ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفِي سَنَةً، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، يَنْظُرُ إِلَى أَزْوَاجِهِ وَخُدَمِهِ. وَإِنْ أَفْضَلُهُمْ مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»^(٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ شُبابَةَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ ثَوِيرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ... فَذَكَرَهُ، قَالَ: «وَرَوَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي جَرْرٍ، عَنْ ثَوِيرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَلَمْ يَرْفَعِهِ. وَلَوْلَا خَشْيَةُ الْإِطَالَةِ لِأَوْرَدْنَا الْأَحَادِيثَ بِطُرُقِهَا وَالْفَاظِهَا مِنَ الصُّحَاغِ وَالْجِسَانِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ، وَلَكِنْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ مَفْرَقًا فِي مَوَاضِعَ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ. وَهَذِهِ الْأَنَامُ. وَمَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَرَادَ: ﴿إِلَّا﴾ مفرد الآلاء، وهي النعم - كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد: ﴿إِلَّا رِبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٣)، فَقَالَ: تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ مُجَاهِدٍ وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ أَيْضًا - فَقَدْ أَبْعَدَ هَذَا الْقَائِلُ الثُّجْعَةَ، وَأَبْطَلَ فِيهَا ذَهَبَ إِلَيْهِ. وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾^(٤)، قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَا حَجَبَ الْفَجَارُ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْأَبْرَارَ يَزُونَهُ عِزٌّ وَجَلٌّ. ثُمَّ قَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا رِبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٥). قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ، حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ، عَنْ الْحَسَنِ: ﴿وَبُؤْمُرَ يَوْمِهِمْ تَأْتِرُهُ﴾^(٦)، قَالَ: حَسَنَةٌ، ﴿إِلَّا رِبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٧)، قَالَ: تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ، وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْضُرَ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ.

وقوله تعالى: ﴿وَبُؤْمُرَ يَوْمِهِمْ كَأَيُّرَةٍ﴾^(٨) تَنْظُرُ أَنْ يَقَعَ بِهَا قَائِرَةٌ^(٩): هَذِهِ وَجْهُ الْفَجَارِ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاسْرَةٍ. قَالَ قَتَادَةُ: كَالْحَةِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: تُغَيَّرُ أَلْوَانُهَا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿كَأَيُّرَةٍ﴾، أَي: عَابِسَةٌ. ﴿تَنْظُرُ﴾، أَي: تَسْتَبِقُنَ، ﴿أَنْ يَقَعَ بِهَا قَائِرَةٌ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: دَاهِيَةٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: شَرٌّ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَسْتَبِقُنَ أَنَّهَا هَالِكَةٌ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تَنْظُرُ أَنْ سَتَدْخُلَ النَّارَ. وَهَذَا الْمَقَامُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُشْفَرَةٌ﴾^(١٠) حَايِكَةٌ مُتَشَتِّرَةٌ^(١١) وَبُؤْمُرَ يَوْمِهِمْ عَلَيْهَا عَذَابٌ^(١٢) تَرْفَعُهَا قَائِرَةٌ^(١٣) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْقَبِيرَةُ^(١٤) [عبس: ٣٨-٤٢]. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَانِئَةٌ﴾^(١٥) عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ^(١٦) قَصَلْنَا نَارًا حَاطِيَةً^(١٧) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾^(١٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ^(١٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ^(٢٠) [الغاشية: ٢-١٠]، فِي أَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالسِّيَاقَاتِ.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفَاقُ﴾^(٢١) وَقِيلَ مَنْ رَافٍ^(٢٢) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ^(٢٣) وَاللَّفَتِ أَلْسَانُهَا لِلسَّاقِ^(٢٤) إِلَّا رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ أَلْسَانُ^(٢٥) فَلَا مَصَدَّقَ وَلَا صَلَ^(٢٦) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى^(٢٧) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَطِي^(٢٨) أُولَئِكَ لَكَ فَآوَى^(٢٩)

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٩١ في أثناء حديث مطول.

(٢) ضعيف، وتقدم في سورة طه: ١٣٠..

ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَكَ ﴿٢٥﴾ اِيْحَسَبِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴿٢٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَعًا مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٢٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّئَ لَكُمُ الْمَوْتَ ﴿٣٠﴾

يُخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال - ثَبَّتْنَا الله هناك بالقول الثابت - فقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ أَهْلَهَا﴾، إن جعلنا رادعةً فمعناها: لست يابن آدم تكذب هناك بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عياناً، وإن جعلناها بمعنى «حقاً» فظاهر، أي: حَقًّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ أَهْلَهَا﴾، أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي: جمع ترقوة، وهي العظام التي بين ثَغْرَةِ النحر والعاتق، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُ الْهَرَمَ وَانْتَرَوْا حِينَهُمْ نَظَرُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧]. وهكذا قال ما هنا: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ أَهْلَهَا﴾، ويُذَكِّرُها هنا حديث بُسْر بن جَحَاش الذي تقدم في سورة «يس»^(١). والتراقي: جمع ترقوة، وهي قريبة من الحلقوم. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ ﴿٢٧﴾، قال عكرمة، عن ابن عباس: أي من راق يزقي؟ وكذا قال أبو قلابة: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ ﴿٢٧﴾، أي: من طبيب شاف؟ وكذا قال قتادة، والضحاك، وابن زيد. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ ﴿٢٧﴾، قال قيل: من يزقي برؤوسه، ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة. وبهذا الإسناد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاتُ بِالْأَسَاقِ﴾ ﴿٢٨﴾، قال: التفت عليه الدنيا والآخرة. وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاتُ بِالْأَسَاقِ﴾ ﴿٢٨﴾، يقول: آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحم الله. وقال عكرمة: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاتُ بِالْأَسَاقِ﴾ ﴿٢٨﴾: الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهد: بلاء ببلاء. وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاتُ بِالْأَسَاقِ﴾ ﴿٢٨﴾: هما ساقاك إذا التفتا. وفي رواية عنه: مات رجله فلم تحمله، وقد كان عليهما جوالاً. وكذا قال السدي، عن أبي مالك. وفي رواية عن الحسن: هو لثهما في الكفن. وقال الضحاك: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاتُ بِالْأَسَاقِ﴾ ﴿٢٨﴾، اجتمع عليه أمران: الناس يُجَهِّزُونَ جسده، والملائكة يُجَهِّزُونَ رُوحه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَيْبَ يَوْمِهِدِ الْأَسَاقِ﴾ ﴿٢٩﴾، أي: المرجع والمآب، وذلك أن الروح تُرْفَعُ إلى السموات، فيقول الله: رُدُّوا عبيدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. كما ورد في حديث البراء الطويل^(٢). وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَفْقَارُ قَوْصِ عِبَادِهِ وَرُسُلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَمْرُكَ أَمْرُتُ فَوْقَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ أَلْمُتُّمْ وَهُوَ أَمْرُ الْمُتْسِبِينَ﴾ ﴿١٢﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢]. وقوله: ﴿فَلَا مَنَّةَ وَلَا مَكَلَ﴾ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَوْلَ﴾ ﴿٣٢﴾: هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متولياً عن العمل بقلبه، فلا خير فيه باطنياً ولا ظاهراً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا مَنَّةَ وَلَا مَكَلَ﴾ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَوْلَ﴾ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آخِلِيهِ يَتَتَلَّى فِي الْفَيْفِ﴾ ﴿٣٣﴾، أي: جِدلاً أشيراً بطراً كسلاً لا همه له ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى آخِلِيهِمْ انْقَلَبُوا فِيهِمْ﴾ ﴿٣٤﴾ [المطففين: ٣١]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانَ فِي آخِلِيهِمْ مَسْرُورًا﴾ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنْ لَنْ يَمُوتَ﴾ ﴿٣٦﴾، أي: يرجع، ﴿بَلْ إِنْ رَجَعْتَ كَانَ بِهِ بَعِيرًا﴾ ﴿٣٧﴾ [الانشقاق: ١٣،

(١) انظر سورة يس: آية ٧٧.

(٢) تقدم في الأعراف: ٤٠.

١٥]. قال الضحّاك، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَيْهِ يَتَمَلَّقُ﴾ (٣٦): يختال. وقال قتادة وزيد بن أسلم: يَتَمَلَّقُ. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَفْئِدَةٌ يَتَذَكَّرُ فِيهَا﴾ (٣٧) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٨): وهذا تهديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ منه تعالى للكافر به المتبخر في مشيئته، أي: يحقُّ لك أن تمشي هكذا وقد كُفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد، كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٣٩) [الدخان: ٤٩]. وكقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَشَبِّهُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ (٤٠) [المرسلات: ٤٦]. وكقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الزمر: ١٥]، وكقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. إلى غير ذلك.

[٧١٠٤] وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا عبد الرحمن - يعني ابن مهدي - عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت سعيد بن جبيرة قلت: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَفْئِدَةٌ يَتَذَكَّرُ فِيهَا﴾ (٣٧) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٨) قال: قال النبي ﷺ لأبي جهل، ثم نزل به القرآن^(١).

[٧١٠٥] وقال أبو عبد الرحمن النسائي، حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا أبو الثعمان، حدَّثنا أبو عوانة - (ح) وحدَّثنا أبو داود: حدَّثنا محمد بن سليمان، حدَّثنا أبو عوانة - عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَفْئِدَةٌ يَتَذَكَّرُ فِيهَا﴾ (٣٧) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٨)، قال: قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله عز وجل^(٢).

[٧١٠٦] قال ابن أبي حاتم: وحدَّثنا أبي، حدَّثنا هشام بن خالد، حدَّثنا شعيب بن إسحاق، حدَّثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَفْئِدَةٌ يَتَذَكَّرُ فِيهَا﴾ (٣٧) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٨)، وعيدٌ على أثر وعيد، كما تسمعون، ورَّعَمُوا أَنْ عَدُوَّ اللَّهِ أَبَا جَهْلٍ أَخَذَ نَبِيَّ اللَّهِ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَفْئِدَةٌ يَتَذَكَّرُ فِيهَا﴾ (٣٧). فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟! والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً، وإني لأعزُّ من مشى بين جبليها^(٣). وقوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَقْرَأَ سُحُفًا﴾ (٣٩)، قال السُّدِّي: يعني لا يُبْعَثُ. وقال مجاهد، والشافعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يُؤَمَّرُ ولا يُنْهَى. والظاهر أن الآية تُعْمُ الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يُؤَمَّرُ ولا يُنْهَى، ولا يترك في قبره سُدًى لا يُبْعَثُ، بل هو مأمورٌ منه في الدنيا، محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة. والمقصود هنا إثبات المعاد، والرُّدُّ على مَنْ أنكره من أهل الزُّبْغ والجهل والعناد، ولهذا قال مُسْتَدلاً على الإعادة بالبدأة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَفْئِدَةٌ يَتَذَكَّرُ فِيهَا﴾ (٣٧) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ (٣٨)، أي: أما كان الإنسان نطفةً ضعيفةً من ماءٍ مهين، ﴿يَتَنَقَّى﴾، يُرَاقُ من الأصلاب في الأرحام. ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُتَلَقِّاً فَسَوْى﴾ (٣٨)، أي: فصار علقَةً، ثم مُضْغَةً، ثم سُكُلاً ويُفْخِ فيه الرُّوحُ، فصار خلقاً آخرَ سَوياً سليم الأعضاء، ذكر أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى: ﴿بِمَثَلَيْتِهِ الْوَجِيعِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (٣٩). ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيْنَا نَحْنُ الْغَنِيُّ الْكَوْنُ﴾ (٤٠)، أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادرٍ على أن يُعيدَه كما بدأه؟ وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البدأة، وإما مساويةً على القولين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. والأول أشهر كما تقدّم في «سورة الروم» بيانه وتقديره، والله أعلم.

[٧١٠٧] قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدَّثنا شَبَابَةُ، عن شعبة، عن موسى

(١) أخرجه الطبري ٣٥٧٣٤ وهو مرسل لكن يعتضد بما بعده.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٥٨ والطبراني ١٢٢٩٨ والحاكم ٥١٠/٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٥٧٣١ و ٣٥٧٣٢ عن قتادة مرسلًا.

ابن أبي عائشة، عن آخر: أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْكَوْكَبَ﴾ قال: سبحانك اللهم قَبْلِي. فُسِّيلُ عَنْ ذَلِكَ فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ ^(١).

[٧١٠٨] وقال أبو داود - رحمه الله -: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّيُ فَوْقَ بَيْتِهِ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْكَوْكَبَ﴾ قال: سُبْحَانَكَ، قَبْلِي فَسَالُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ، وَلَمْ يُسَمِّ هَذَا الصَّحَابِيَّ، وَلَا يَضُرُّ ذَلِكَ.

[٧١٠٩] وقال أبو داود أيضاً: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَمِيَّةٍ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ مِنْكُمُ بِالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لِمَنْ يَكْفُرُ الْكَافِرِينَ﴾»، فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَمَنْ قَرَأَ: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، فَانْتَهَى إِلَى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْكَوْكَبَ﴾»، فَلْيَقُلْ: بَلَى. وَمَنْ قَرَأَ: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ﴾، فَلْيَقُلْ: «فَيَأْتِي حَدِيثُ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ»، فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ ^(٣). وَرَوَاهُ أَحْمَدُ، عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَرَ، عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ. وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَمِيَّةٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَنْ حَدَّثَكَ؟ قَالَ: رَجُلٌ صَدَقَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

[٧١١٠] وقال ابنُ جرير: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْكَوْكَبَ﴾، ذَكَرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: «سُبْحَانَكَ وَبَلَى» ^(٤). ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّ أَنْ يُحْيِيَ الْكَوْكَبَ﴾، قَالَ: سُبْحَانَكَ؛ قَبْلِي.

أَخْرُ تَفْسِيرَ سُورَةِ الْقِيَامَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

(١) إسناده صحيح، رجاله ثقات، وجهالة الصحابي لا تضر، وانظر ما بعده.

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود ٨٨٤ ورجال البخاري ومسلم، وجهالة الصحابي لا تضر.

(٣) ضعيف. أخرجه أبو داود ٨٨٧ والتِّرْمِذِيُّ ٣٣٤٧ وفيه راو لم يسم، وسماء الحاكم ٥١١/٢ أبا اليسع، وهو مجهول، فالإسناد ضعيف، ولا يصح كون ذلك بصيغة الأمر.

(٤) صحيح. أخرجه الطبري ٣٥٧٣٨ مرسلاً، لكن يتأيد بالمقدم قبل حديث.



وهي مكية

[٧١١١] قد تقدّم في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ السجدة، و ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^(١).

[٧١١٢] وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا ابن زيد: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود، فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه. فقال رسول الله ﷺ: «أخرج نفس صاحبكم - أو قال: أخيكم - الشوق إلى الجنة»^(٢). مُرْسَلٌ غريب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾ ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر، لحقارته وضعفه، فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿١﴾. ثم بيّن ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، أي: أخلاط. والمشيخ والمشيخ: الشيء المختلط بعضه في بعض. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعا واختلطاً، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال ولون إلى لون. وهكذا قال عكرمة، ومجاهد، والحسن، والربيع بن أنس: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. وقوله تعالى: ﴿نَبْتَلِيهِ﴾، أي: نختبره، كقوله جل جلاله: ﴿يَبْلُوكُم بِإِكْرَامٍ غَلِيظٍ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢٠]. ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾، أي: جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.

وقوله جل جلاله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، أي: بيناه له ووضّحناه وبصّرناه به، كقوله جل جلاله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْكَوْنِ﴾ [فصلت: ١٧]، وكقوله جل جلاله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ﴿١٥﴾ [البلد: ١٥]، أي: بيناه له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة، وعطية، وابن زيد، ومجاهد - في المشهور عنه - والجمهور. وزوي عن مجاهد، وأبي صالح، والضحاك، والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا

(١) أخرجه مسلم وغيره، وتقدم في السجدة.

(٢) إسناده ضعيف، وهو مرسل، ومع إرساله ابن زيد - عبد الرحمن - ضعيف الحديث إن وصله، فكيف إذا أرسله؟ وقال السيوطي في «الدرر» ٤٨٠/٦: وأخرجه أحمد في «الزهد» عن محمد بن مطرف قال: حدثني الثقة، ثم ذكره بنحوه. وورد موصولاً عن ابن عمر، أخرجه الطبراني وابن مردويه وابن عساكر، وإسناده ضعيف، وسيأتي عند الآية ٢٠ من هذه السورة.

هَذَيْنَتَهُ السَّيِّدَ: يعني خروجه من الرحم. وهذا قول غريب، والصحيح المشهور الأول. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ منصوب على الحال من «الهاء» في قوله: ﴿إِنَّمَا هَذَيْنَتَهُ السَّيِّدَ﴾، تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد.

[٧١١٣] كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا أَوْ مُعَيْقُهَا»^(١).

[٧١١٤] وتقدم في «سورة الروم»، عند قوله جل جلاله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ آلِي فطرَ النَّاسَ عَلَيَّهَا﴾^(٢) [الروم: ٣٠]، من رواية جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعَرَّبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَإِذَا أَعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا».

[٧١١٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ إِلَّا بِبَابِهِ رَايَتَانِ: رَايَةُ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةُ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللَّهُ اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ. وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللَّهُ اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ»^(٣).

[٧١١٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ». قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: «أَمْرَاءُ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَتُونَ بِسُتَيَّ، فَمَنْ صَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرُدُّونَ عَلَى حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يَصْدَقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يَعْهَدْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرُدُّونَ عَلَى حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ! الصُّومُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ! إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتْ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ! النَّاسُ غَاوِيَانِ، فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعَيْقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا»^(٤). ورواه عن عَفَّانَ، عَنْ وَهَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، بِهِ.

﴿إِنَّمَا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (١) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيَطْعَمُونَ الْأَطْعَامَ عَلَى حُبِّهِمْ شَيْكِنًا وَنَدِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوْنَهُ اللَّهُ لَا زَيْدٌ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقْنَهُمْ نَصْرًا وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

(١) تقدم تخريجه في سورة الأعراف، آية ٣٠.

(٢) وتقدم تخريج الحديث فيها.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢٣٢ والطبراني في «الأوسط» ٤٧٨٣ ومداره على عثمان بن محمد وهو غير قوي، وقال ابن المديني: روى منكبر اهـ وهذا غريب.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٣/٣٢١. انظر «المجمع» ٥/٢٤٦ - ٢٤٧، وله شواهد كثيرة.

يُخَبِّرُ تَعَالَى عَمَّا أَرْصَدَهُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ خَلْقِهِ بِهِ مِنَ السَّلَامِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالسَّعِيرِ، وَهُوَ اللَّهْيَبُ وَالْحَرِيقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا الْأَعْظَلُ فِي أَغْتَبِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧٦) فِي التَّحْيِيرِ ثَمَّ فِي النَّارِ يُسْحَرُونَ (٧٧) [غافر: ٧١ - ٧٢]. وَلَمَّا ذَكَرَ مَا أَعَدَّهُ لَهُؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءُ مِنَ السَّعِيرِ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٧٨)، وَقَدْ عَلِمَ مَا فِي الْكَافُورِ مِنَ التَّبْرِيدِ وَالرَّاحَةِ الطَّيِّبَةِ، مَعَ مَا يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ اللَّذَاقَةِ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ الْحَسَنُ: يَزُدُّ الْكَافُورَ فِي طَيِّبِ الزَّنَجِيلِ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٧٩)، أَي: هَذَا الَّذِي مُزِجَ لَهُؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ مِنَ الْكَافُورِ هُوَ عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صِرَافًا بِلَا مُزْجٍ وَيَزَوُّونَ بِهَا؛ وَلِهَذَا ضَمَّنَ يَشْرَبُ (يَزَوُّ) حَتَّى عَدَاهُ بِالْبَاءِ، وَنَصَّبَ (عَيْنًا) عَلَى التَّمْيِيزِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا الشَّرَابُ فِي طَيِّبِهِ كَالْكَافُورِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مِنْ عَيْنٍ كَافُورٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِـ (يَشْرَبُ). حَكَى هَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةَ ابْنُ جَرِيرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أَي: يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا حَيْثُ شَاؤُوا وَأَيْنُ شَاؤُوا، مِنْ قُصُورِهِمْ وَذُورِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَحَالِّهِمْ. وَالتَّفْجِيرُ هُوَ الْإِنْبَاقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَقًّا نَقَبْرُكَ مِنَ الْأَرْضِ يَلْبُوعًا﴾ (٨٠) [الإسراء: ٩٠]، وَقَالَ: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣]. قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يَقُودُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا. وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ، وَقَتَادَةُ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: يُصَرَّفُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا. وَقَوْلُهُ: ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَوْنُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٨١)، أَي: يَتَعَبَّدُونَ لِلَّهِ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ الْوَاجِبَةِ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، وَمَا أَوْجَبُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِطَرِيقِ النَّدَرِ.

[٧١١٧] قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَيْلِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ» (١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ. وَيَتَرَكُونَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي نَهَاهُمْ عَنْهَا خِيفَةً مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي شَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ، أَي: مُنْتَشِرٌ عَامٌ عَلَى النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاشِيًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: اسْتَطَارَ - وَاللَّهُ - شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ: اسْتَطَارَ الصَّدْعُ فِي الزُّجَاجَةِ وَاسْتَطَالَ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى:

فَبَاسَتْ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعًا، عَلَى نَائِيهَا، مُسْتَطِيرًا

يَعْنِي: مُمْتَدًّا فَاشِيًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُطِيمُونَ اللَّعْلَمَ عَلَى حَيْوَةٍ﴾، قِيلَ: عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى. وَجَعَلُوا الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الطَّعَامِ، أَي: وَيُطِيعُمُونَ الطَّعَامَ فِي حَالِ مُحِبَّتِهِمْ وَشَهْوَتِهِمْ لَهُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَمُقَاتِلٌ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَى الْكَلَّ عَلَى حَيْوَةٍ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْآلِهَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ مِنَّا شُيُوبٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: مَرَضَ ابْنُ عُمَرَ فَاشْتَهَى عَيْنًا، أَوَّلَ مَا جَاءَ الْعَنْبُ، فَأَرْسَلَتْ صَفِيَّةٌ - يَعْنِي أَمْرَأَتَهُ - فَاشْتَرَتْ عَنْقُودًا بِدِرْهَمٍ، فَاتَّبَعَ الرَّسُولُ السَّائِلَ، فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ قَالَ السَّائِلُ: السَّائِلُ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ. فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ. ثُمَّ أَرْسَلَتْ بِدِرْهَمٍ آخَرَ فَاشْتَرَتْ عَنْقُودًا فَاتَّبَعَ الرَّسُولُ السَّائِلَ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ السَّائِلُ: السَّائِلُ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ. فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ. فَأَرْسَلَتْ صَفِيَّةٌ إِلَى السَّائِلِ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنْ عُدْتُ لَا تُصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا أَبَدًا. ثُمَّ أَرْسَلَتْ بِدِرْهَمٍ آخَرَ فَاشْتَرَتْ بِهِ.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٦٩٦ و ٦٧٠٠ وأبو داود ٣٢٨٩ والترمذي ١٥٢٦ والنسائي ١٧/٧ ومالك في «الموطأ» ٢/

[٧١١٨] وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر»^(١)، أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢)، أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما. وأما الأسير فقال سعيد ابن جبير، والحسن، والضحاك: الأسير من أهل القبلة. وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء. وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة. وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث.

[٧١١٩] حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(٣). وقال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير، لغوم الآية للمسلم والمشرک. وقال مجاهد: هو المحبوس. أي: يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه، قائلين بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرَبِّهِ اللَّهِ﴾، أي: رجاء ثواب الله ورضاه، ﴿لَا تَزِدْ مِنْكَ جَزَلًا وَلَا شُكْرًا﴾، أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافؤنا بها، ولا أن تشكرونا عند الناس.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بالسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليزغب في ذلك راغب. ﴿إِنَّمَا تَخَافُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾^(٤)، أي: إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطرير. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿عَبُوسًا﴾: ضيقًا، ﴿قَطِيرًا﴾: طويلًا. وقال عكرمة وغيره، عنه، في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَطِيرًا﴾، أي: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾، العابس الشفتين ﴿قَطِيرًا﴾، قال: تقيض الوجه بالسور. وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قَطِيرًا﴾: تقليص الجبين وما بين العينين، من الهول. وقال ابن زيد: العبوس: الشرو. والقمطرير: الشديد. وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس، رضي الله عنه. قال ابن جرير: والقمطرير هو: الشديد؛ يقال: هو يوم قمطرير ويوم قماطر، ويوم عصيب وعصيب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطارًا، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم:

بني عَمْنَا، هل تذكرون بَلَاءَنَا
عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قَمَاطِرُ

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(٥)، وهذا من باب التجانس البلغ، ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾، أي: في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾، أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس. وهذه كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ الشُّعْرَةُ﴾^(٦) حاكمه شتيرة [عبس: ٣٨ - ٣٩]، وذلك أن القلب إذا شُر استنار الوجه.

[٧١٢٠] قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: «وكان رسول الله ﷺ إذا شُر استنار وجهه حتى كأنه فلق قمر»^(٧).

[٧١٢١] وقالت عائشة: «دخل علي رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه»...^(٨) الحديث.

(١) تقدم في سورة البقرة، آية ١٧٧.

(٢) تقدم في سورة النساء، آية ٣٦.

(٣) تقدم تحريجه في سورة التوبة: ١١٨.

(٤) متفق عليه، وتقدم في النور.

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾، أي: بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبؤاهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، أي: منزلاً رجباً، وعيشاً رغداً، وليباساً حسناً. وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال: قرئ على أبي سليمان الداراني سورة: ﴿هَذَا أَقْبَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾، فلما بلغ القارئ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (٧)، قال: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد:

كَمْ قَتِيلٍ لَشَهْوَةٍ وَأَسِيرٍ أَفٍّ مِنْ مُشْتَهِي خِلَافِ الْجَمِيلِ
شَهْوَاتِ الْإِنْسَانِ ثَوْرُهُ الذَّلُّ وَتُلْقِيهِ فِي الْبَلَاءِ الطَّوِيلِ

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَتَاً وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوَافُهَا نَزِيلًا (١٤) وَيَطُافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فَضْلِ وَآكَوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِنْ سُندُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَحُلُوءٌ آسَافُ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)

يُخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أُسْبِغَ عليهم من الفضل العَمِيم فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾. وقد تقدّم الكلام على ذلك في «سورة الصافات»، وذكر الخلاف في الالتكاء: هل هو الاضطجاع، أو التمرق، أو التربع، أو التمكن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السُرر تحت الجبال. وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَتَاً وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، أي: ليس عندهم حرٌّ مُزَعِجٌ، ولا بَرْدٌ مُؤْلِمٌ، بل هي مزاجٌ واحد دائم سَرْمَدِيٌّ، ﴿لَا يَبْغَوْنَ عَنْهَا حَرًّا﴾ [الكهف: ١٠٨]. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾، أي: قريبة إليهم أغصانها، ﴿وَذُلَّتْ أَطْوَافُهَا نَزِيلًا﴾، أي: متى تعاطاه دَنَا الْقِطْفُ إِلَيْهِ وَتَذَلَّى مِنْ أَعْلَى غُصْنِهِ، كأنه سامع طائع، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى مَرْثَبٍ مُبْلَغًا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿فَقُلُوبُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. قال مجاهد: ﴿وَذُلَّتْ أَطْوَافُهَا نَزِيلًا﴾: إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تَذَلَّتْ له حتى ينالها، وإن اضطجع تَذَلَّتْ له حتى ينالها، فذلك قوله تعالى: ﴿نَزِيلًا﴾. وقال قتادة: لا يبرد أيديهم عنها شوكٌ ولا بعدٌ. وقال مجاهد: أرض الجنة وَرْقٌ، وترباها المسك، وأصول شجرها من دَقَبٍ وَفَضَّةٍ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت، والورق والشمر بين ذلك. فمن أكل منها قائماً لم يؤذه، ومن أكل منها قاعداً لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعا لم يؤذه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فَضْلِ وَآكَوَابٍ﴾، أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فِضَّةٍ، وأكوابٍ الشراب، وهي الكيزان التي لا غرأ لها ولا خراطيم. وقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ، فالأول منصوب بخبر «كان»، ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾، والثاني منصوب إما على البدلية، أو تمييزاً؛ لأنه بيّنه بقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾. قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن البصري، وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج. فهذه الأكواب هي من فِضَّةٍ، وهي مع هذا شَفَافَةٌ يَرَى مَا فِي بَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، وهذا مما لا نظير له في الدنيا. قال ابن المبارك، عن إسماعيل، عن رجل، عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيت في الدنيا شبهه إلا قوارير من فِضَّةٍ. رواه ابن أبي حاتم. وقوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، أي: على قدر رتبهم، لا تزيد عنه ولا تنقص، بل هي مُعَدَّةٌ لذلك، مُقَدَّرَةٌ بحسب ربي صاحبها. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، وقتادة، وابن أبيزى، وعبد

الله بن عبيد بن عمير، وقتادة، والشَّعْبِيُّ، وابن زيد. وقاله ابن جرير وغير واحد. وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿قَدَرُوا قَدِيرًا﴾، قُدِّرَتْ لِلْكَفِّ. وهكذا قال الربيع بن أنس. وقال الضحاك على قدر أكف الخُدَّام. وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مُقَدَّرَةٌ في القدر والزِّي.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۖ﴾، أي: يُسْقَوْنَ - يعني الأبرار أيضاً - في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾، أي: خَمْرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، فتارة يُمَزَّجُ لهم الشَّرابُ بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يُمَزَّجُ لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفًا، كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدَّم قوله جل وعلا: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾، وقال ما هنا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ۖ﴾: أي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسيلاً، قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها. وقال قتادة: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ۖ﴾ عين سلسة مُسْتَقِيمَةٌ ماؤها. وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سُمِّيت بذلك لسلاستها في الخلق. واختار هو أنها تَعَمُّ ذلك كله، وهو كما قال. وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ۖ﴾، أي: يطوفُ على أهل الجنة للخدمة وَلِدَانٌ من وَلَدَانِ الجنة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾، أي: على حالة واحدة مُخَلَّدُونَ عليها، لا يَتَغَيَّرُونَ عنها، لا تَزِيدُ أعمارهم عن تلك السَّن. ومن قَسَرَه بأنهم مُخَرَّصُونَ في آذانهم الأقرطة فإنما عُبِّرَ عن المعنى بذلك، لأن الصغير هو الذي يليقُ له ذلك دُونَ الكبير. وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ۖ﴾، أي: إذا رأيتهُم في انتشارهم في قُضَاءِ حوائج السادة وكَفَرْتَهُم، وصباحة وجوهمهم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحُلِيِّهم، حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن. قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمر: ما من أهل الجنة من أحدٍ إلا يَسْعَى عليه ألف خادم، كلُّ خادمٍ على عَمَلٍ ما عليه صاحبه. وقوله جلا وعلا: ﴿وَلَدَانِ رَأَيْتَ﴾، أي: وإذا رأيت يا محمد ﴿نَمَّ﴾، أي: هناك، يعني الجنة ونعيمها وسَعَتها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَةِ والسرور، ﴿رَأَيْتَ نَيْمًا وَمَلَكًا كَرِيمًا﴾، أي: مملكة الله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً.

[٧١٢٢] وثبت في الصحيح: «أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا إليها: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»^(١).

[٧١٢٣] وقد قَدَّمْنَا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه»^(٢). فإذا كان هذا عطاءه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما طُلُوكُ بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى.

[٧١٢٤] وقد رَوَى الطبراني ما هنا حديثاً غريباً جداً فقال: حَدَّثَنَا علي بن عبد العزيز، حَدَّثَنَا محمد ابن عَمَّار الموصلي، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بن سالم، عن أيوب بن عُتْبَةَ، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «سَلْ واستفهم». فقال: يا رسول الله! فَضَلْتُمْ علينا بالصُّور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمَنت بما آمَنت به وعملت بمثل ما عملت به إني لكائن معك في الجنة؟ قال:

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) ضعيف لضعف ثوير، وتقدم في القيامة: ٢٣.

«نعم، والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة في مسيرة ألف عام. ثم قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كُتِبَ له مئة ألف حسنة، وأربعة وعشرون ألف حسنة. فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جَبَلٍ لَأَثَقَلَهُ، فنقوم النعمة - أو: نعم الله - فتكاد تُسْتَفِذُّ ذلك كُلُّهُ، إلا أن يَتَعَمَّده الله برحمته». ونزلت هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ الْأَدْهَرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَلَكًا كِيدًا﴾، فقال الحبشي: وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة؟ قال: «نعم». فاستبكي حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدِيلُهُ في حُفْرَتِهِ بيده^(١).

وقوله جل جلاله: ﴿عَلَيْهِمْ يَأْتِ سُنْدِينَ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه سندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإسْتَبْرَقُ منه ما فيه بريق ولَمَعَان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللبس، ﴿وَسَلَوَاتٌ مِنْ النَّبَسِ﴾، ﴿وَسَلَوَاتٌ مِنْ النَّبَسِ﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما الْمُقْرَبُونَ فكما قال تعالى: ﴿يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾. ولما ذكر الله تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، أي: طهر بواطنهم من الحسد والغُلِّ والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما رَوَيْنَا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وَجَدُوا هنالك عينين، فكانما ألهموا ذلك، فشرَبوا من إحداها فأذهبت ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى فَجَرَتْ عليهم نَضْرَةُ النعيم. فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا فَتَبَيَّنَ لَهُمْ سَعِيرُكُمْ﴾ (٢٣)، أي: يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَهَبْنَا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وكقوله: ﴿وَوَدَّوْا أَنْ تَكُلُمَ لَهُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وقوله: ﴿وَكَانَ سَعِيرًا فَتَبَيَّنَ لَهُمْ سَعِيرُكُمْ﴾، أي: جزاكم الله على القليل بالكثير.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرَوْنَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نُفِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي وَالْظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)

يقول تعالى مُتَتًا على رسوله ﷺ بما نَزَلَهُ عليه من القرآن العظيم تنزيلاً: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، أي: كما أكرمك بما أنزلت عليك فاصبر على قضاياه وقدره، واعلم أنه سَيَذَرُكَ بحسن تدييره، ﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، أي: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صَدَكَ عما أنزل إليك، بل تَلْغُ ما أنزل إليك من رَبِّكَ. وتوَكَّلْ على الله؛ فإن الله يعصمك من الناس. فالأثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر بقلبه. ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥)، أي: أول النهار وآخره. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦)، كقوله

تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ عَمَّا أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ۚ لَئِنِ أَتَاكَ مِنْ شَرِّ الْأَنْفُسِ فَصَبْرٌ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَيَّ وَرَئِي ۚ وَالْقُرْآنَ قَرِيبًا﴾.

ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿إِنَّكَ هَؤُلَاءِ تُجِبُونَ الدَّاعِيَ ۖ وَيَذَرُونَ ۚ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَبِيلًا﴾ [٧٧]، يعني يوم القيامة. ثم قال: ﴿مَنْ خَلَقْتَهُمْ وَشَدَدْتَ أَسْرَهُمْ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني خلقهم. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بِدَلَّا أَتَّخَذْتَهُمْ تَبَدُّلًا﴾، أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبَدَّلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً. وهذا استدلال بالبَدَلِ على الرجعة. وقال ابن زيد، وابن جرير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بِدَلَّا أَتَّخَذْتَهُمْ تَبَدُّلًا﴾: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم. كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ النَّاسَ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، وكقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [١٦١] وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [١٧٧] [فاطر: ١٦ - ١٧].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾، يعني السورة ﴿تَذَكُّرٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُتَذَكِّرْ ۚ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي طريقاً ومسلماً، أي: من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان، ولا يجر لنفسه نفعاً، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٣٠]، أي: عليم بمن يستحق الهداية فيسيرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٣١]، أي: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن يهديه فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له.

آخر سورة الإنسان، والله الحمد والمنة



وهي مكية

[٧١٢٥] قال البخاري، حَدَّثَنَا عمر بن حفص بن غياث، حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا الأعمش، حَدَّثَنِي إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: بينما نحنُ مع النبي ﷺ، في غار بمنى، إذ نَزَلَتْ عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، فإنه لیتلوها وإني لآتلقاها من فيه، وإنَّ فاه لَرَطَّبَ بها، إذ وثبت علينا حيَّة، فقال النبي ﷺ: «اقتلوها». فابتدرناها فذهبت. فقال النبي ﷺ: «وَقِيَّتْ شَرُّكُمْ كَمَا وَقِيَّتُمْ شَرُّهَا»^(١). وأخرجه مسلم أيضاً، من طريق الأعمش.

[٧١٢٦] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا سفيان بن عُيينة، عن الزهري، عن عُبَيْدِ اللَّهِ، عن ابن عباس، عن أمه: أنها سَمِعَتْ النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً^(٢).

[٧١٢٧] وفي رواية مالك، عن الزهري، عن عُبَيْدِ اللَّهِ، عن ابن عباس: أن أم الفضل سَمِعَتْه يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾^(٣). فقالت: يا بُنَيَّ! ذَكَرْتَنِي بقراءتك هذه السورة، إنها لَأَخِرُ ما سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقرأ بها في المغرب^(٣). أخرجه في الصحيحين، من طريق مالك، به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ① فَأَلْصَقْنَ عَصْفًا ② وَالنَّشِيرَاتِ تَشْرًا ③ فَأَلْزَقْنَ فَرْقًا ④ فَأَلْمَلَقْنَ ذِكْرًا ⑤ عُدْرًا ⑥ أَوْ نُذْرًا ⑦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ⑧ فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ⑨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑩ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ⑪ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْنَتْ ⑫ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ⑬ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑭ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ⑮ وَيْلَ يَوْمَئِذٍ ⑯ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑰

قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا زكريا بن سهل المزوزي، حَدَّثَنَا علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا الحسين بن واقد، حَدَّثَنَا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾^(١)، قال: الملائكة. قال: وزوي عن مسروق، وأبي الضحى، ومجاهد - في إحدى الروايات - والسدي، والربيع ابن

(١) صحيح. أخرجه البخاري ١٨٣٠ و ٤٩٣٤ ومسلم ٢٢٣٤ و ٢٢٣٥ وأحمد ٤٢٨/١ والطبراني ١٠١٤٩ والحاكم ٤٥٣/١ وابن حبان ٧٠٨.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣٣٨/٦ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٦٣ و ٤٤٢٩ ومسلم ١٧٣/٤٦٢ وأبو داود ٨١٠ والترمذي ٣٠٨ والنسائي ٩٨٦ وفي «التفسير» ٦٦١ وابن ماجه ٨٣١.

أنس، مثل ذلك. ورؤي عن أبي صالح أنه قال: هي الرُّسُل. وفي رواية عنه: هي الملائكة. وهكذا قال أبو صالح في ﴿فَالْمُصَوِّتِ﴾، و ﴿وَالنَّاشِرِ﴾، و ﴿فَالْفَرْقَتِ﴾، و ﴿فَالْمُفَصِّلِ﴾: أنها الملائكة. قال الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن مُسلم البطّين، عن أبي العبيد بن قال: سألت ابن مسعود عن ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عَرَفَا﴾ (١)، قال: الريح. وكذا قال في: ﴿فَالْمُصَوِّتِ عَصَفَا﴾ (٢) والنَّاشِرِ نَشْرًا: إنها الريح. وكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح - في رواية عنه - وتوقف ابن جرير في ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عَرَفَا﴾ (١): هل هي الملائكة أرسلت بالعُزْف، أو كعُزْف الفُرس يتبع بعضهم بعضاً؟ أو: هي الريح إذا هبَّت شيئاً فشيئاً وقطع بأن العاصفات عصفاً هي الرياح، كما قاله ابن مسعود ومن تابعه. ومن قال ذلك في العاصفات أيضاً: علي بن أبي طالب، والسُّدي، وتوقف في ﴿وَالنَّاشِرِ نَشْرًا﴾ (٢)، هل هي الملائكة أو الريح؟ كما تقدم. وعن أبي صالح: أن النّاشرات نشرًا: المطر. والأظهر أن «المرسلات» هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ﴾ [الحجر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]. وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عَصَفَتِ الرِّيحُ إذا هَبَّتْ بتصويت، وكذا النّاشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في أفاق السماء، كما يشاء الربُّ عزَّ وجلَّ. وقوله تعالى: ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرَقَا﴾ (٤) فَالْمُفَصِّلِ ذَكْرًا (٥) عَذْرَا أَوْ تَذَكَّرَا، يعني: الملائكة. قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسُّدي، والثوري. ولا خلاف ها هنا؛ فإنها تنزلُ بأمر الله على الرسل، تُفَرِّقُ بين الحقِّ والباطل، والهدى والغَيِّ، والحلال والحرام، وتُلقي إلى الرسل وحيًا فيه إعدادٌ إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقاب الله إن خالفوا أمره. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقٍ﴾ (٧): هذا هو المُفَصِّلُ عليه بهذه الأقسام، أي: ما وُعدتم به من قيام الساعة، والتنفخ في الصور، وبعث الأجساد، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كلِّ عامل بعمله، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، إن هذا كله ﴿لَوَاقٍ﴾، أي: لكائن لا محالة. ثم قال تعالى: ﴿إِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨)، أي: ذُفِبَ ضَوْوُهَا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٩) [التكوير: ٢]. وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ (١٠) [الانفطار: ٢]. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ﴾ (١١)، أي: انفطرت وانشقت، وتدلَّت أرجاؤها، وَهَت أطرافها. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّتٌ﴾ (١٢)، أي: ذُهِبَ بها، فلا يبقى لها عينٌ ولا أثرٌ، كقوله تعالى: ﴿وَسَتُّونَكُمْ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٣) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٤) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ سَنُيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (١٥) [الكهف: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ (١٦)، قال العوفي، عن ابن عباس: جُمِعت. وقال ابن زيد: وهذه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾. وقال مجاهد: ﴿أَقْبَتْ﴾: أجلت. وقال الثوري، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿أَقْبَتْ﴾: أوعدت. وكأنه يجعلها كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٧) [الزمر: ٦٩]. ثم قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ (١٨) يَوْمَ الْقَضَاءِ﴾ (١٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقَضَاءِ (٢٠) وَلَئِنْ يَوْمَ الْإِثْمِ لَأَسْفَلُ (٢١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْإِثْمِ (٢٢) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعِظِيمًا رُسُلَهُ (٢٣) إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٢٤) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبُرُودًا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٧ - ٤٨]. وهو يومُ الفصل، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْقَضَاءِ﴾ (٢٥). ثم قال تعالى مُعْظَمًا لشأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقَضَاءِ (٢٦) وَلَئِنْ يَوْمَ الْإِثْمِ لَأَسْفَلُ (٢٧)﴾، أي: ويلٌ لهم من عذاب الله غداً. وقد قَدَّمنا في الحديث أن «ويل»: وادٍ في جهنم. ولا يصحُّ (١).

﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَقْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَهِخَتْ وَأَفْهِنَتْكُمْ مَاءٌ فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦)، يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به، ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ﴾ (١٧)، أي: ممن أشبههم. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (١٨) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. قاله ابن جرير. ثم قال تعالى ممتثًا على خلقه ومحتجًا على الإعادة بالبدأة: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ (٢٠)؛ أي: ضعیف حقیر بالنسبة إلى قُدرة الباري عز وجل، كما تقدم في سورة ﴿يَس﴾ في حديث بُسْر بن جَحَاش:

[٧١٢٨] «ابن آدم، أتى تُعْجُزِي وقد خلقتك من مثل هذه» (١).

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (٢١)، يعني: جَمَعْنَاهُ فِي الرَّحْمِ، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرَّحْمُ مُعْدٌ لذلك، حَافِظٌ لما أودِعَ فيه من الماء. وقوله تعالى: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢٢)، يعني إلى مُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ من ستة أشهر أو تسعة أشهر. ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ (٢٣) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، قال ابن عباس: ﴿كِفَاتًا﴾: كِنَا. وقال مجاهد: يُكْفَتُ الْمَيِّتُ فلا يَرَى منه شيء. وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم. وكذا قال مجاهد وقتادة: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَهِخَتْ﴾، يعني: الجبال أُرْسِي بها الأرض لثلاث تَمِيدٍ وتَضَطْرِبُ. ﴿وَأَفْهِنَتْكُمْ مَاءٌ فُرَاتًا﴾: عَذَابٌ زُلْزَالًا من السحاب، أو مما أنبعه الله من عُيُونِ الأرض. ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٨)، أي: ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الذالَّة على عَظْمَةِ خَالِقِهَا، ثم بعد هذا يستمرُّ على تكذيبه وكفره.

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٩) أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمْلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مخاطبًا للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يُقال لهم يوم القيامة: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٩) أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ، يعني لَهَبُ النار إذا ارتفع وصعد معه دُخَانٌ، فَمِنْ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ أَنْ لَهُ ثَلَاثُ شُعَبٍ، ﴿لَا ظِلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ﴾ (٣١)، أي: ظلُّ الدُخَانِ المقابل للهِبِ لا ظِلِيلٌ هو في نفسه، ولا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ، يعني ولا يُقِيهِمْ حَرَّ الْهَبِ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢)، أي: يتطاير الشرُّ من لَهَبِهَا كَالْقَصْرِ. قال ابن مسعود: كَالْحُصُونِ، وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم، وغيرهم: يعني أصولُ الشَّجَرِ. ﴿جِمْلَتٌ صُفْرٌ﴾، أي: كالإبل السود. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة، والضَّحَّاك. واختاره ابن جرير. وعن ابن عباس، ومجاهد،

وسعيد بن جبيرة: ﴿يَمْلِكُ صُفْرًا﴾: يعني حبال السفن، وعنه - أعني ابن عباس - ﴿يَمْلِكُ صُفْرًا﴾ قطع نحاس. وقال البخاري: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس قال: سمعت عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ۖ﴾، قال: كنا نعوذ إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك، فنرفعه للبناء، فنسميه القصر، ﴿كَأَنَّهُ يَمْلِكُ صُفْرًا ۖ﴾: حبال السفن، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال. ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾، ثم قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۖ﴾، أي: لا يتكلمون. ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۖ﴾، أي: لا يقدرون على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا، بل قد قامت عليه الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعَرَصَاتُ الْقِيَامَةِ حالات، والرَّبُّ تعالى يُخبر عن هذه الحالة تارة، وعن هذه الحالة تارة؛ ليدل على شدة الأحوال والزلازل يومئذ. ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾. وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۖ﴾، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۖ ﴿٤٢﴾: وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۖ﴾، يعني أنه جَمَعَهُمْ بِقُدْرَتِهِ في صعيد واحد، يُسْمِعُهُم الداعي وينفذهم البصر. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۖ﴾: تهديد شديد ووعد أكيد، أي: إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرُونَ على ذلك، كما قال: ﴿يَتَمَتَّعُ الْلَيْلُ وَالْأَيُّومُ إِنْ أَسْتَكْبَرْتُمْ أَنْ تَفْذَرُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْذَرُوا لَا تَفْذَرُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۖ﴾ [الرحمن: ٣٣]. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَصْرُفْهُ شَيْئًا﴾ [هود: ٥٧].

[٧١٢٩] وفي الحديث: «يا عبادي! إنكم لن تبُلغوا نفعي فتفعلوني، ولن تبُلغوا ضرري فتضرروني»^(١).

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن المنذر الطريقي الأودي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن حسان بن أبي المخارق، عن أبي عبد الله الجذلي قال: أتيت بيت المقدس، فإذا عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي. ويقول الله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۖ﴾، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۖ، اليوم لا ينجو مني جبار عبيد، ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: فإننا نحدث يومئذ أنه يخرج عُقُقُ من النار فتنتطلق حتى إذا كانت بين ظهرائي الناس نادى: أيها الناس! إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يُغَيِّبُهُمْ عَنِّي وَرَزَّ، ولا تُخَفِّبُهُمْ عَنِّي خافية: الذي جعل مع الله إلهًا آخر، وكل جبار عبيد، وشيطان مريد. فتنتطوي عليهم، فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ۖ﴾ (٤١) ﴿وَوَكَّهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ﴾ (٤٢) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ﴾ (٤٣) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ﴾ (٤٤) ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾ (٤٥) ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ۖ﴾ (٤٦) ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾ (٤٧) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۖ﴾ (٤٨) ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾ (٤٩) ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدُ يَوْمُئِذٍ ۖ﴾ (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبّده بآداء الواجبات، وترك المحرمات، أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه، من ظلّ اليحُموم، وهو: الدخان الأسود

الْمُتَيْنِ. وقوله تعالى: ﴿وَفَرَكَةً يَمَّا يَشْتَبُونَ﴾ (٤٢)، أي: ومن سائر أنواع الشمار، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْتًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣)، أي: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ. ثم قال تعالى مُخْبِرًا خَبْرًا مُسْتَأْنَفًا: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٤)، أي: هذا جزاؤنا لم أَحْسَنَ الْعَمَلِ، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٥). وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ (٤٦)، خطاب للمكذِّبين بيوم الدين، وأمرهم أَمَرَ تَهْدِيدٍ وَوَعِيدٍ فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾، أي: مُدَّةٌ قَلِيلَةٌ قَرِيبَةٌ قَصِيرَةٌ، ﴿إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾، أي: ثم تُسَاقُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧)، كما قال تعالى: ﴿نُفِثْنَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَظَرْنَهُمْ إِلَا عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (٤٨) [القصص: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٤٩) [يونس: ٧٠]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٥٠)، أي: إِذَا أُمِرَ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ مِنَ الْكُفَّارِ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُصَلِّينَ مَعَ الْجَمَاعَةِ امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهُ. ولهذا قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٥١). ثم قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢)، أي: إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ فَبِأَيِّ كَلَامٍ يُؤْمِنُونَ بِهِ؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ وَالْحَقُّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٣) [الجنات: ٦].

[٧١٣٠] قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا بَدُوًّا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَرْوِيهِ: إِذَا قُرَأَ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عِزًّا﴾ (٥١)، فَقَرَأَ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) فليقل: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِمَا أُنْزِلَ. وقد تقدم هذا الحديث في «سورة القيامة» (١).

آخر تفسير سورة «المرسلات»، والله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة

سُورَةُ النَّبَاِ

آياتها
٤٠ترتيبها
٧٨

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٢) ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٣) ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٥)
 أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٦) ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٧) ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (٨) ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا﴾ (٩)
 لِبَاسًا ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١٠) ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (١١) ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (١٢) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (١٣) ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ (١٤) ﴿وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا﴾ (١٥) ﴿وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا﴾ (١٦)

يقول تعالى مُنْكَرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لو قوعها: ﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ (٢)، أي: عن أي شيء يتساءلون؟ عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المُفْظِعُ الباهر. قال قتادة، وابن زيد: النبأ العظيم: البعث بعد الموت. وقال مجاهد: هو القرآن. والأظهر الأول لقوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٢)، يعني الناس فيه على قولين مؤمنين به وكافر. ثم قال تعالى مُتَوَعِّدًا لِمُنْكَرِي الْقِيَامَةِ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٣) ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٥)، وهذا تهديد شديد ووَعِيدٌ أكيد. ثم شرع تعالى يَبَيِّنُ قُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ على خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ وَالْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الدَّالَّةِ على قُدْرَتِهِ على ما يشاء من أَمْرِ الْمَعَادِ وغيره، فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٦)، أي: مُمَهَّدَةً لِلْخَلَائِقِ ذُلُولًا لَهُمْ، قَارَةً سَاكِنَةً ثَابِتَةً، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧)، أي: جعلها لها أوتاداً أرساها بها وَثَبَتَهَا وَقَرَّرَهَا، حتى سكنت ولم تَضْطَرِبْ بِمَنْ عَلَيْهَا. ثم قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٨)، يعني: ذَكَرًا وَأُنْثَى، يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التنازل بذلك، كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (٩)، أي: قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عَرْضِ النَّهَارِ. وقد تَقَدَّمَ مثل هذه الآية في «سورة الفرقان». ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا﴾ (١٠)، أي: يغشى الناس ظلامه وسواده، كما قال: ﴿وَأَيْلًا إِذَا يَمُوشُ﴾ (١١) [الشمس: ٤٤]، وقال الشاعر:

فَلَمَّا لَبَسَ اللَّيْلُ، أَوْ جِئَ نَضَبَتْ لَهُ مِنْ حَدَا أَدَانِهَا وَهُوَ جَانِحُ

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا﴾ (١٠)، أي: سَكَنًا. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١٠)، أي: جعلناه مُشْرِقًا مُبَيَّنًا مُضِيًّا، لِيَتِمَّكَنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ وَالذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ لِلْمَعَاشِ وَالتَّكْسُبِ وَالتَّجَارَاتِ، وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (١١)، يعني: السموات السَّبعَ، في اتساعها وارتفاعها، وإحكامها وإتقانها، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات. ولهذا قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا لِرِجَالِكُمْ وَهَابًا ۝١٣﴾، يعني: الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم. وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا ۝١٤﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: الرِّيحُ. وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ الْجَنَاهِلِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، قال: الرِّيحُ. وكذا قال عِكْرَمَةُ، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: أنها الرِّيحُ. ومعنى هذا القول أنها تستدرُّ المَطَرُ مِنَ السَّحَابِ. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، أي: مِنَ السَّحَابِ، وكذا قال عِكْرَمَةُ أيضًا، وأبو العالية، والضَّحَّاكُ، والحسن، والزُّبَيْرُ بْنُ أَنَسٍ، والثوري. واختاره ابن جرير. وقال الفراء: هي السحاب التي تتحلَّبُ بالمطر ولم تُبَطِّرْ بعد، كما يُقال: امرأة مُعْصِرٌ: إذا دنا حَيْضُهَا ولم تحض. وعن الحسن، وقتادة: ﴿وَمِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾: يعني السَّمَاوَاتِ. وهذا قول غريب. والأظهر أن المراد بِالْمُعْصِرَاتِ السَّحَابُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [الروم: ٤٨]، أي: من بينه. وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَاءً ثَجَابًا﴾، قال مجاهد، وقتادة، والزُّبَيْرُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿ثَجَابًا﴾: مُنْصَبًا. وقال الثوري: مُتَابِعًا. وقال ابن زيد: كَثِيرًا. قال ابن جرير: ولا يُعرَفُ في كلام العرب في صفة الكثرة الثَّجُّ، وإنما الثَّجُّ: الصَّبُّ المتتابع.

[٧١٣١] ومنه قول النبي ﷺ: «أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ»^(١). يعني: صَبَّ دِمَاءِ الْبُذْنِ. هكذا قال.

[٧١٣٢] قُلْتُ: وفي حديثِ المستحاضَةِ حين قال لها رسولُ الله ﷺ: «أَنَعْتُ لَكَ الْكُرْسَفُ» - يعني أن تَحْتَشِي بِالْقُطْنِ - قالت: يا رسولَ الله! هو أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، إنما أَتَجُّ ثَجًّا»^(٢). وهذا فيه دلالة على استعمالِ الثَّجِّ في الصَّبِّ المتتابع الكثير، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾، أي: لِنُخْرِجَ بهذا الماء الكثير الطيب النافع الْمُبَارَكِ ﴿حَبًّا﴾ يُدْخَرُ لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ، وَنَبَاتًا، أي: خَضِرًا يُؤْكَلُ رَطْبًا، وَجَنَّاتٍ، أي بساتين وحدائق من ثمرات مُتَنَوِّعَةٍ، وَالْوَاوُ مُخْتَلَفَةٌ، وَطُغُومٌ وَرَوَائِحٌ مُتَفَاوِتَةٌ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي بَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مُجْتَمِعًا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾، قال ابن عباس، وغيره: ﴿أَلْفَافًا﴾: مُجْتَمِعَةً. وهذه كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُلُوبٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَيْتُونٌ وَنَخِيلٌ مُّنبُتُونَ بِأَمْوَ وَجِدٍ وَفُضِّلَ عَلَيْهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكْثَرِ﴾ [الرعد: ٤]... الآية.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝١٧ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِلطَّاعِينَ مَنَاقِبًا ۝٢٢ لِيَشِيبَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٣ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ۝٢٥ جَزَاءً وَفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۝٢٨ وَكُلُّ شَوْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝٢٩ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، أنه مُؤَقَّتٌ بأجل معدود، لا يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا يَعْلَمُ وَقْتَهُ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْخِئُتُهُمْ إِلَّا لِلْأَجَلِ يُعَذِّبُهُمْ ۝٣١﴾ [هود: ٣١]

١٠٤. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝﴾، قال مجاهد: زُمرًا. قال ابن جرير: يعني: تأتي كل أمة مع رسولها، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْبَارِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

[٧١٣٣] وقال البخاري: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝﴾، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون». قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبَيْتُ». قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبَيْتُ». قال: أربعون سنة؟ قال: «أبَيْتُ». قال: «ثم يَنْزِلُ الله من السماء ماءً فَيُثَبِّتُونَ كما يَنْبُثُ البَقْلُ، ليس من الإنسان شيء إلا يَبْلَى، إلا عِظْماً واحداً، وهو عَجَبُ الذَّنْبِ، ومنه يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

﴿وَيُخَوِّضُ السَّمَاءَ فَنَكَّاتٍ أَفْوَاجًا ۝﴾، أي: طُرُقاً ومسالك لنزول الملائكة، ﴿وَشَرِبَتْ لَجْبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝﴾ كقوله تعالى: ﴿وَرَوَى لَجْبَالٌ فَتَحَسَّبَهَا جَابِلَةٌ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّعَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝﴾ [القارعة: ٥]. وقال هاهنا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، أي: يُخَيَّلُ إلى الناظر أنها شيء، وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر، كما قال تعالى: ﴿وَنَسُفْنَا سَفَافًا ۝﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝﴾، أي: مُرْصَدَةً، مُعَدَّةً لِلطَّغْيِينَ مَتَابًا ۝﴾، وهم: المَرَدَّةُ الغصاة المخالفون للرُّسُل، ﴿مَتَابًا﴾، أي: مَرْجِعاً وَمُنْقَلَباً وَمَصِيرًا ونُزُولًا. وقال الحسن، وقتادة في قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝﴾، يعني: أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتسب. وقال سفيان الثوري: عليها ثلاث قناطر. وقوله تعالى: ﴿لَيْتَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا ۝﴾، أي: ما كَثُرَ فيها أَحْقَابًا، وهي جنم «حَقْبٌ»، وهو: المُدَّة من الزمان. وقد اختلفوا في مقداره، فقال ابن جرير، عن ابن حُمَيد، عن مهران، عن سفيان الثوري، عن عَمَّارِ الدُّهْنِيِّ، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لِهلال الهَجْرِيِّ: ما تجدون الحَقْبَ في كتاب الله المُنَزَّل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. وهكذا رُوِيَ عن أبي هريرة، وعبد الله ابن عمرو، وابن عباس، وسعيد بن جبَّير، وعمرو بن ميمُون، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والضحاك. وعن الحسن، والسدي أيضاً: سبعون سنة كذلك. وعن عبد الله بن عمرو: الحَقْبُ أربعون سنة. كل يوم منها كالف سنة مما تعدون. رواهما ابن أبي حاتم. وقال بَشِيرُ بْنُ كَعْبٍ: ذُكِرَ لي أن الحَقْبَ الواحد ثلاثمئة سنة، كل سنة ثلاثمئة وستون يوماً، كل يوم ألف سنة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

[٧١٣٤] ثم قال ابن أبي حاتم: ذُكِرَ عن عُمَرَ بن علي بن أبي بكر الأسفَذَنِيِّ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بن معاوية الفَرَّازِيُّ، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَيْتَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا ۝﴾، قال: فالحَقْبُ شهرٌ، الشهرُ ثلاثون يوماً، والسنة اثنا عشر شهراً، والسنة ثلاثمئة وستون يوماً، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون، فالحَقْبُ ثلاثون ألف ألف سنة^(٢). وهذا حديثٌ منكرٌ جداً، والقاسم والراوي عنه، وهو جعفر بن الزبير، كلاهما متروك.

[٧١٣٥] وقال البزار: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن مَرْدَاس، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بن مسلم أبو المُعَلَّى قال: سألتُ سليمان

(١) صحيح. أخرجه البخاري وغيره، وتقدم.

(٢) أخرجه الطبراني ٧٩٥٧، وإسناده ضعيف جداً. فيه القاسم صاحب منكير. وجعفر بن الزبير متروك الحديث كما قال ابن كثير، والصواب في هذا وأمثاله الوقف، وهو متلفن عن أهل الكتاب.

التيمي هل يخرج من النار أحد؟ فقال: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَحَدٌ حَتَّى يَمُوتَ فِيهَا أَحْقَابًا». قَالَ: وَالْحَقُّبُ: بَضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَالسَّنَةُ ثَلَاثُمِئَةٌ وَسِتُّونَ يَوْمًا مِمَّا تَعْدُونَ^(١). ثُمَّ قَالَ: سَلِيمَانُ بْنُ مُسْلِمٍ بَصْرِيُّ مَشْهُورٌ.

وقال السُّدِّيُّ: «لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا» ﴿١٧﴾: سَبْعُمِئَةٌ خُفْبٌ، كُلُّ خُفْبٍ سَبْعُونَ سَنَةً، كُلُّ سَنَةٍ ثَلَاثُمِئَةٌ وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلُّ يَوْمٍ كَالْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ. وَقَدْ قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَذُوقُوا فَلَنْ نَرِيَّكُمْ إِلَّا عَذَابًا» ﴿١٨﴾. وقال خالد بن معدان: هَذِهِ الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ. رَوَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ. ثُمَّ قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا» ﴿١٧﴾ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا» ﴿١٩﴾، ثُمَّ يُحَدِّثُ اللَّهُ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَذَابًا مِنْ شَكْلِ آخَرٍ وَنَوْعٍ آخَرٍ. ثُمَّ قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا لَا انْقِضَاءَ لَهَا كَمَا قَالَ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ. وَقَدْ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرْقِيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ زُهَيْرٍ، عَنْ سَالِمٍ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا» ﴿١٧﴾، قَالَ: أَمَّا الْأَحْقَابُ فَلَيْسَ لَهَا عِدَّةٌ إِلَّا الْخُلُودُ فِي النَّارِ، وَلَكِنْ ذَكَرُوا أَنَّ الْحَقْبَ سَبْعُونَ سَنَةً، كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا كَالْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ. وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا» ﴿١٧﴾، وَهُوَ: مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، وَكُلَّمَا مَضَى خُفْبٌ جَاءَ خُفْبٌ بَعْدَهُ، وَذَكَرْنَا أَنَّ الْحَقْبَ ثَمَانُونَ سَنَةً. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: «لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا» ﴿١٧﴾: لَا يَعْلَمُ عِدَّةَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ الْحَقْبُ الْوَاحِدُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَالسَّنَةُ ثَلَاثُمِئَةٌ وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلُّ يَوْمٍ كَالْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ. رَوَاهُمَا أَيْضًا ابْنُ جَرِيرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا» ﴿١٩﴾، أَيُّ: لَا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلَا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا» ﴿٢٠﴾، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَشْنَى مِنَ الْبَرْدِ الْحَمِيمَ وَمِنَ الشَّرَابِ الْغَسَّاقَ. وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ. فَأَمَّا الْحَمِيمُ فَهُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ وَخُمُوهُ. وَالْغَسَّاقُ: هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَعَرَقِهِمْ وَدُمُوعِهِمْ وَجُرُوحِهِمْ، فَهُوَ بَارِدٌ لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ وَلَا يُوَاجَهُ مِنْ نَتْنِهِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى الْغَسَّاقِ فِي سُورَةِ «مَرَّةً» بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا»، يَعْنِي: النَّوْمَ، كَمَا قَالَ الْكِنْدِيُّ:

بَرَدَتْ مَرَاتِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِي عَنْهَا وَعَنْ قُبُلَاتِهَا، الْبَرْدُ

يعني بالبرد: الثُّعَاسُ وَالنَّوْمُ. هَكَذَا ذَكَرَهُ وَلَمْ يَغْزِهِ إِلَى أَحَدٍ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ، عَنْ مَرْثَةِ الطَّيِّبِ، وَنَقَلَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا. وَحَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَالْكَسَائِيُّ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «جَزَاءً وَفَاقًا» ﴿٢١﴾، أَيُّ: هَذَا الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ وَفَقُّ أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «لَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا» ﴿٢٢﴾، أَيُّ: لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ثَمَّ دَارًا يُجَازُونَ فِيهَا وَنُحَاسَبُونَ، «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا» ﴿٢٣﴾، أَيُّ: وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَدَلَالَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، فَيَقْبَلُونَهَا بِالتَّكْذِيبِ وَالْمَعَانِدَةِ. وَقَوْلُهُ:

(١) باطل. أخرجه البزار ٥٣٠٣. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٣٣: فيه سليمان بن مسلم الخشاب، وهو ضعيف جداً. وأما أمانة الوضع لا تمتح على هذا الحديث، فإن هناك من يدخل النار لحظات، أو ساعات، أو أياماً، أو شهوراً، وربما سنوات، على قدر أعمالهم. والله تعالى أعلم. وقد ذكر الذهبي هذا الحديث في «الميزان» ٣٥١٣ في ترجمة الخشاب هذا، مع حديث آخر وقال: وهما موضوعان في نقدي.

﴿كَذَّابًا﴾، أي: تكذيباً، وهو مصدرٌ من غير الفعل. قالوا: وقد سُمِعَ أعرابي يستفتي الفَرَّاءَ على المروءة: أَلَحَلُّ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ الْقِصَاصُ؟ وأنشد بعضهم:

لَقَدْ طَالَ مَا تُبْطِئَنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ جَوْجٍ قِصَاصُهَا مِنْ شِفَائِيَا

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَخَصَيْنْتُهُ كِتَابًا﴾ (٢٩)، أي: وقد عَلِمْنَا أَعْمَالَ الْعِبَادِ كُلَّهُمْ، وكتبناها عليهم، وَسَجَّزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠)، أي: يقال لأهل النار: ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِنْ جَنْسِهِ، ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ (٣١) [ص: ٥٨]. قال قتادة، عن أَبِي أَيُّوبَ الْأَزْدِيِّ، عن عبد الله بن عمرو قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠). قال: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا.

[٧١٣٦] قال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُصْعَبِ الصُّورِيِّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا جَسْرُ بْنُ فَرْقَدٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيَّ عَنْ أَشَدِّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠)، فَقَالَ: «هَلَكَ الْقَوْمُ بِمَعَاصِيهِمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (١). جَسْرُ بْنُ فَرْقَدٍ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ بِالْكَلْبَةِ.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٦١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٦٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٦٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٦٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٦٥﴾ جَزَاءً مِمَّنْ زَكَّ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٦٦﴾

يقولُ تعالى مُخْبِرًا عَنِ السُّعْدَاءِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ تَعَالَى مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٦١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضُّحَاكُ: مُنْتَزَهًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: فَازُوا فَتَجَاوَوْا مِنَ النَّارِ. وَالْأَظْهَرُ هَا هُنَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿حَدَائِقَ﴾، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهَا ﴿وَأَعْنَابًا﴾ (٦٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٦٣)، أَي: وَخُورًا كَوَاعِبِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾، أَي: نَوَاهِدُ، يَعْنُونَ: أَنْ تُثْبِتَهُمْ نَوَاهِدُ لَمْ يَتَدَلَّيْنِ لِأَنَّهُنَّ أَبْكَارٌ عَرُبُ أَتْرَابٍ، أَي: فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ، كَمَا تَقْدَمُ بَيَانُهُ فِي «سُورَةِ الْوَاقِعَةِ».

[٧١٣٧] قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّشْتُكِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ بَنِ تَمِيمٍ، حَدَّثَنَا عَطِيَّةُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاسِمِ ابْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الدَّمَشْقِيِّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ قُصَصَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَتَبْدُو مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَإِنَّ السَّحَابَةَ لَتَمُرُّ بِهِمْ فَتَنَادِيهِمْ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ أَمْطِرَكُمْ؟ حَتَّى إِذَا لَتَمْطِرُهُمُ الْكَوَاعِبُ الْأَتْرَابُ» (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ (٦٤)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَمْلُوءَةٌ مُتَابَعَةً. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: صَافِيَةٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ (٦٤): الْمَلَأَى الْمَتْرَعَةَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هِيَ

(١) ضَعِيفٌ جَدًّا. لَهُ عِلَتَانِ: جَسْرُ بْنُ فَرْقَدٍ ضَعِيفٌ جَدًّا كَمَا ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَكَذَا الْحَسَنُ ابْنُ دِينَارٍ. ضَعِيفٌ وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ كَمَا فِي «الْمَجْمَعِ» ١١٤٦٣ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ، وَضَعْفُهُ بِشُعَيْبِ بْنِ بَيَانَ.

(٢) ضَعِيفٌ جَدًّا. أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ صَاحِبُ مَنَاقِيرٍ، وَعَطِيَّةُ بْنُ سُلَيْمَانَ مَجْهُولٌ، وَالْمَتْرُكَ.

الْمُتَّبَاعَةِ. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ وَلَا كَذِبًا﴾ (٣٥) كقوله: ﴿لَا تَقْرَأُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِ﴾ [الطور: ٢٣]، أي: ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل كلام فيها سالم من النقص. وقوله: ﴿بِرَّكَ يَنْزِلُكَ عَطَاءٌ حَسَبًا﴾ (٣٦)، أي: هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهم، بفضله ومثله وإحسانه ورحمته؛ ﴿عَطَاءٌ حَسَبًا﴾: أي: كافياً وافراً شاملاً كثيراً؛ تقول العرب: «أعطاني فأحسبني»، أي: كفاني. ومنه «حسبي الله»، أي: الله كافني.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ (٣٨) أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٣٩)

يُخبر تعالى عن عظمته وجلاله، وأنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء. وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، أي: لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾: اختلف المفسرون في المراد بالروح ها هنا، ما هو؟ على أقوال:

أحدها: ما رواه العوفي، عن ابن عباس: أنهم أرواح بني آدم.

الثاني: هم بنو آدم، قاله الحسن، وقتادة. وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه.

الثالث: أنهم خلق من خلق الله، على صور بني آدم، وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون. قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو صالح، والأعمش.

الرابع: هو جبريل. قاله الشعبي، وسعيد بن جبيرة، والضحاك. ويُستشهد لهذا القول بقوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٧) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]. وقال مقاتل بن حيان: الروح أشرف الملائكة، وأقرب إلى الرب - عز وجل - وصاحب الوحي.

والخامس: أنه القرآن. قاله ابن زيد، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. الآية.

والسادس: أنه ملك من الملائكة يَقْدِرُ جميع المخلوقات؛ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، قال: هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا زوَاد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود قال: «الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السماوات ومن الجبال ومن الملائكة، يُسَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ، يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ تَسْبِيحَةٍ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفًّا وَحْدَهُ»^(١)، وهذا قول غريب جداً.

[٧١٣٨] وقد قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن غُزَس المصري، حدثنا وهب الله بن رزق أبو هريرة، حدثنا بشر بن بكر، حدثنا الأوزاعي، حدثني عطاء، عن عبد الله بن عباس: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) لا أصل له عن ابن مسعود، رواد روى منكير، وأبو حمزة هو ميمون القصاب متروك الحديث.

يقول: «إِنَّ اللَّهَ مُلْكًا لَوْ قِيلَ لَهُ: اتَّقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ بِلُغْمَةٍ وَاحِدَةٍ لَفَعَلَ، تَسْبِيحُهُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ»^(١). وهذا حديث غريب جداً، وفي رَفْعِهِ نَظَرٌ، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم. وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فَلَمْ يَقْطَعْ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا، وَالْأَشْبَهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُمْ بَنُو آدَمَ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرِّجْمُ﴾، كقوله: ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَاتِهَا﴾.

[٧١٣٩] وكما ثبت في الصحيح: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، أي: حقاً، ومن الحق: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، كما قاله أبو صالح، وعكرمة. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، أي: الكائن لا محالة، «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا»، أي: مزججاً وطريقاً يهتدي إليه، ومنهجاً يمر به عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يعني: يوم القيامة، لتأكد وقوعه صار قريباً، لأن كل ما هو آتٍ آتٍ. «يَوْمَ يُنْظَرُ أَلْمَزَّةُ مَا قَدَّمَتْ يَدَا»، أي: يُعرض عليه جميع أعماله، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وكقوله تعالى: ﴿يَبْذُلُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَلْزَمَ﴾ [القيامة: ١٣]. «وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلْأَنفِي كُنْتُ تُرَابًا»، أي: يؤذ الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خَلْقٌ، ولا خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ. وذلك حين عاين عذاب الله، ونَظَرَ إِلَى أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ قَدْ سَطُرَتْ عَلَيْهِ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ السُّفْرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ. وقيل: إنما يؤذ ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فَيَفْصِلُ بَيْنَهَا بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ، حتى إنه لَيَقْتَصِرُ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ. فإذا فَرَّغَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا قَالَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا. فَتَصِيرُ تُرَابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿بَلْأَنفِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، أي: كنت حيواناً فأرجع إلى التراب. وقد وَرَدَ مَعْنَى هَذَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ^(٣)، وَوَرَدَ فِيهِ آثَارٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَغَيْرِهِمَا.

آخر تفسير سورة النبا، والله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة

(١) تقدم تخريجه في سورة الإسراء، آية: ٨٥.

(٢) تقدم تخريجه، رواه الشيخان.

(٣) تقدم تخريجه مستوفياً.



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١ ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُعًا﴾ ٢ ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبًا﴾ ٣ ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبًا﴾ ٤ ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ٥
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُنَّ الرَّاوِدَةَ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَوَنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ ﴿١٠﴾ أَوَإِذَا كُنَّا عِظْلًا تَخَزَّعَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

قال ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جببر، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسدي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١: الملائكة، يَمُوتُونَ حين تنتزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ رُوحه بِغُسْرِ فَتُغْرَقُ فِي نَزْعِهَا، وَمَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسَهْوَةٍ وَكَأَنَّمَا حَلَّتْهُ مِنْ نِشَاطٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُعًا﴾ ٢. قاله ابن عباس. وعن ابن عباس: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: هي أنفس الكفار، تُنَزَّعُ ثم تُنْشَطُ، ثم تُغْرَقُ فِي النَّارِ. رواه ابن أبي حاتم. وقال مجاهد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١: الموت. وقال الحسن، وقتادة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُعًا﴾: هي النجوم. وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ و﴿وَالنَّشِيطَاتِ﴾: هي القسي في القتال. والصحيح الأول، وعليه الأكثر. وأما قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبًا﴾ ٣ فقال ابن مسعود: هي الملائكة. وزوي عن علي، ومجاهد، وسعيد بن جببر، وأبي صالح مثل ذلك. وعن مجاهد: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبًا﴾ ٣: الموت. وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن. وقوله تعالى: ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبًا﴾ ٤، زوي عن علي، ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري: يعني الملائكة؛ [قال] الحسن: سَبَقَتْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ بِهِ. وعن مجاهد: الموت. وقال قتادة: هي النجوم. وقال عطاء: هي الخيل في سبيل الله. وقوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ٥، قال علي، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي: هي الملائكة - زاد الحسن: تُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ. يعني بأمر رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ. ولم يختلفوا في هذا، ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك، إلا أنه حكى في ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ٥: أنها الملائكة، ولا أثبت ولا نفي. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٦ تَتَّبِعُنَّ الرَّاوِدَةَ ٧، قال ابن عباس: هما الثفختان الأولى والثانية. وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغير واحد. وعن مجاهد: أما الأولى، وهي قوله جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٦، فكقوله جَلَّتْ عِظْمَتُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزم: ١٤]، والثانية، وهي الرادفة، فهي كقوله: ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَكَانَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ١٣ [الحاقة: ١٤].

[٧١٤٠] وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: «إِذَا يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهْمُكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ»^(١).

[٧١٤١] وقد رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، بإسناده مثله، ولفظُ الترمذي وابن أبي حاتم: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلَاثُ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»»^(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨)، قال ابن عباس: يعني خائفة. وكذا قال مجاهد، وقتادة. ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (٩)، أي: أبصار أصحابها وإنما أُضيفَ إليها للملابسة. أي: ذليلة حقيرة؛ مما عاينت من الأهوال. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠)، يعني مشركي قُرَيْشٍ ومن قال بقولهم في إنكار المعاد، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة، وهي القبور، قاله مجاهد. وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم وتُخَوَّرُها، ولهذا قالوا: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا فِئْرَةً﴾ (١١). وقرئ: ناخرة. وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: أي بالية. قال ابن عباس: وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه. ﴿قَالُوا يَلَكَّ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢). وعن ابن عباس، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، وأبي مالك، والشدي، وقتادة: الحافرة الحياة بعد الموت. وقال ابن زيد: الحافرة: النار. وما أَكْثَرَ أَسْمَاءَهَا! هي: النار، والجحيم، وسقر، وجهنم، والهواية، والحافرة، ولظى، والمُطَمَّة. وأما قولهم: ﴿قَالُوا يَلَكَّ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢)، فقال محمد بن كعب: قالت قُرَيْشٌ: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿فَلَمَّا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤)، أي: فلأنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد فلإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر [الله] تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فلذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب - عز وجل - ينظرون، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَسْرَةٍ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْتَ لَنَا قَلِيلًا﴾ (١٥) [الإسراء: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (١٦) [القمصر: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاهِرَةِ إِلَّا كَلَمْحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]. قال مجاهد: ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣): صيحة واحدة. وقال إبراهيم التيمي: أشد ما يكون الرب غضباً على خلقه يوم يبعثهم. وقال الحسن البصري: زَجْرَةٌ من الغضب. وقال أبو مالك، والربيع بن أنس: زَجْرَةٌ واحدة: هي النفخة الآخرة. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤)، قال ابن عباس: «الساهرة» الأرض كلها. وكذا قال سعيد بن جبيرة، وقتادة، وأبو صالح. وقال عكرمة، والحسن، والضحاك، وابن زيد: «الساهرة» وجه الأرض. وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها، قال: «الساهرة»: المكان المستوي. وقال الثوري: «الساهرة»: أرض الشام، وقال عثمان بن أبي العاتكة: «الساهرة»: أرض بيت المقدس. وقال وهب بن مئنه: «الساهرة»: جبل إلى جانب بيت المقدس. وقال قتادة أيضاً: «الساهرة»: جهنم. وهذه أقوال كلها غريبة، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى. وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا جِرْزُ بْنُ الْمُبَارَكِ الشَّيْخُ الصَّالِحُ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: ﴿فَلَمَّا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤).

قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخُبْزَةِ النِّعْيِ. وقال الربيع بن أنس: ﴿إِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤)، يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٥). [إبراهيم: ٤٨]. ويقول تعالى: ﴿وَسُئِلْتُمْ عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ طه: ١٠٥ - ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِفُ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧]: وبَرَزَتِ الْأَرْضُ التي عليها الجبال، وهي لا تُعَدُّ من هذه الأرض، وهي أرض لم يُعْمَلْ عليها خطيئة، ولم يُهْرَقْ عليها دم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ لَكَ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ تَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

يُخْبِرُ تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى - عليه السلام - أنه ابتعثه إلى فِرْعَوْنَ، وأيده بالمعجزات، ومع هذا استمر على كُفْرِهِ وطمغِيَانِهِ، حتى أخذه الله أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ. وكذلك عاقبه من خالفك وكَذَّبَ بما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾. فقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾﴾ أي: هل سمعت بخبره؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴿١٦﴾﴾، أي: كلمه يَدَاءً، ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، أي: الْمُطَهَّرِ: ﴿طُوًى﴾، وهو اسم الوادي على الصحيح، كما تقدّم في سورة ﴿طه﴾. فقال له: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ لَكَ ﴿١٧﴾﴾، أي: تَجَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَعَتَا، ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾، أي: قل له: هل لك أن تُجِيبَ إلى طريقي ومَسَلِكِ تَزَكَّىٰ به، أي: تُسَلِّمَ وَتُطِيعَ. ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، أي: أدلك إلى عبادة ربك، ﴿فَتَخْشَىٰ﴾، أي: فيصير قلبك خاضعاً له مُطِيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير. ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، يعني: فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حُجَّةً قَوِيَّةً وَدَلِيلًا وَاضِحًا على صِدْقِ ما جاء به من عند الله، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾، أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة. وحاصله أنه كَفَرَ قلبه فلم يَنْفَعِلْ لِمُوسَى بباطنه ولا بظاهره، وعِلْمُهُ بأن ما جاء به أنه حق لا يَلْزَمُ منه أنه مؤمن به؛ لأن المعرفة علم القلب، والإيمان عمله، وهو الانقياد للحق والخضوع له.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾، أي: في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى - عليه السلام - من المعجزة الباهرة، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾، أي: في قومه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾. قال ابن عباس، ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فِرْعَوْنُ بعد قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ غَيْرَ﴾، بأربعين سنة. قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ تَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾، أي: انتقم منه انتقاماً جَعَلَهُ به عبرة ونكالا لأمثاله من المُتَمَرِّدين في الدنيا ﴿وَيَوْمَ الْيَوْمِ يُنْفَخُ الرُّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُكَذِّبُونَكَ إِلَىٰ النَّكَارِ وَيَوْمَ الْفَيْصَمَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١]. هذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿تَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾، أي: الدنيا والآخرة. وقيل: المراد بذلك كلمته الأولى والثانية. وقيل: كُفْرِهِ وعِصْيَانِهِ والصحيح الذي لا شك فيه الأول. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾، أي: يتعظ ويتزجر.

﴿وَأَن تَأْمُرُوا أَشْدَّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَعْتَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَّعَا لَكُمْ وَلَافْتِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

يقول تعالى محتجاً على مُنْكَرِي البعث في إعادة الخلق بعد بَذْنِهِ: ﴿أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ﴾؟ يعني: بل السماء أشدُّ خلقاً منكم، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الْكَائِينِ﴾ [غافر: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]. فقلوه: ﴿بَنَيْنَا﴾ فُسِّرْهُ بقوله: ﴿رَفَعْنَا سَنَكُمَا سَنَوْنَهَا﴾ [٢٨]، أي: جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مُسْتَوِيَةً الأرجاء، مُكَلَّلَةً بالكواكب في الليلة الظلماء. وقوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [٢٩]، أي: جعل ليلها مظليماً أسودَ حالِكاً، ونهارها مُضيئاً مُشرقاً نيراً واضحاً. قال ابن عباس: أغطش ليلها. أظلمها. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبیر، وجماعة كثيرون. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أي: أثار نهارها. وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [٣٠]، فُسِّرْهُ بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَاءَهَا وَنَمَرَعَهَا﴾ [٣١]، وقد تقدّم في سورة ﴿حَمَّ﴾ السجدة، أن الأرض خُلِقَتْ قبل السماء، ولكن إنما دُحِيت بعد خَلْقِ السماء، بمعنى أنه أُخْرِجَ ما كَانَ فيها بالقُوَّة إلى الفعل. وهذا معنى قول ابن عباس، وغير واحد، واختاره ابن جرير، قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّي، حَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ - يعني ابن عمرو - عن زيد بن أبي أُنَيْسَةَ، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: ﴿دَحَاهَا﴾: وَدَخِيهَا أَنْ أُخْرِجَ مِنْهَا الماء والمرعى، وَشَقَّ فِيهَا الْأَنْهَارَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ وَالزَّمَالَ وَالسُّبُلَ وَالْأَكَامَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [٣٠]، وقد تقدّم تقريرُ ذلك هنالك. وقوله تعالى: ﴿وَاللِّمَّالُ أَرْسَلَهَا﴾ [٣٢]، أي: قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا وَأَكْدَاهَا فِي أَمَاكِنَهَا، وهو الحكيمُ العليمُ. الرَّؤُوفُ بِخَلْقِهِ الرَّحِيمُ.

[٧١٤٢] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا، فَاسْتَقَرَّتْ، فَتَجَعَّبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْحَدِيدُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، النَّارُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْمَاءُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الرِّيحُ. قَالَتْ: يَا رَبِّ! فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ، يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ»^(١).

وقال أبو جعفر بن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ قَمَصَتْ وَقَالَتْ: تَخْلُقْ عَلَيَّ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ، يُلْقُونَ عَلَيَّ نَتْنَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَلَيَّ بِالْخَطَايَا؟ فَأَرْسَاهَا اللَّهُ بِالْجِبَالِ، فَمِنْهَا مَا تَزُونَ، وَمِنْهَا مَا لَا تَزُونَ، وَكَانَ أَوَّلُ قَرَارِ الْأَرْضِ كُلِّحِمِ الْجَزُورِ إِذَا نُجِرَ، يَخْتَلِجُ لَحْمُهُ غَرِيبٌ جَدًّا.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا لَكُمْ وَلَئِنَّكُمْ لَخَلْقٌ﴾ [٣٣]، أي: دَحَا الْأَرْضَ فَاتَّبَعَ عُيُونُهَا، وَأَظْهَرَ مَكْنُونُهَا، وَأَجْرَى أَنْهَارَهَا، وَأَثْبَتَ زُرُوعَهَا وَأَشْجَارَهَا وَثِمَارَهَا، وَثَبَّتَ جِبَالَهَا لِتَسْتَقِرَّ بِأَهْلِهَا وَيَقَرَّ قَرَارُهَا، كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعٌ لَخَلْقِهِ وَلَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا وَيَرْكَبُونَهَا مَدَّةَ احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن يَنْتَهِيَ الْأَمَدُ، وَيَنْقُضِيَ الْأَجَلُ.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [٣٤] يَوْمَ يَنْدَكُرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَيُزَيَّرُ الْجَحِيمُ لِمَنْ رَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى

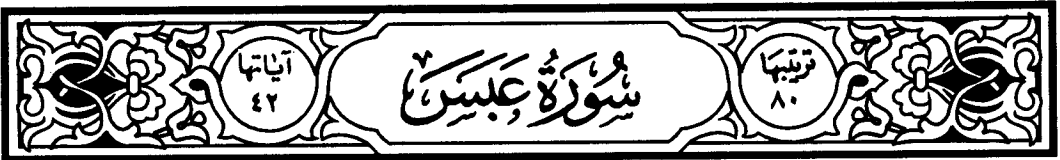
﴿٣٧﴾ وَآثَرُ لَيْلِيَةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسُهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِنَّكَ رَبُّكَ مُنْهِنَهَا ﴿٤٤﴾
 إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّلُهَا لَوْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾

يقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَتِ الْفَافَةُ الْكُبْرَى﴾ ﴿٣٧﴾، وهو يوم القيامة. قاله ابن عباس، سُميت بذلك لأنها تَطْمُ على كل أمر هائل مُفْطِع، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْزُ﴾ [القمر: ٤٦]. ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ﴿٣٨﴾، أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرُونَ﴾ [الفجر: ٢٣]. ﴿وَيُزَوَّلُ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ ﴿٣٩﴾، أي: أظهرت للنظرين فرأها الناس عياناً. ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ﴿٤٠﴾، أي: تَمَرَّدَ وَعَتَا، ﴿وَأَثَرُ لَيْلِيَةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٣٨﴾، أي: قَدَمُهَا على أمر دينه وأخراه، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٣٩﴾، أي: فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْجَحِيمِ، وَإِنْ طَعَمَهُ مِنَ الرُّقُومِ وَمَشَرَهُ مِنَ الْحَجِيمِ. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾، أي: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٤١﴾، أي: مُنْقَلَبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ الْفِيحَاءِ. ثم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسُهَا﴾ ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِنَّكَ رَبُّكَ مُنْهِنَهَا ﴿٤٤﴾، أي: ليس علمها إليك ولا إلى أحدٍ من الخلق، بل مَرَدُّهَا وَمَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فهو الذي يَعْلَمُ وَقْتَهَا عَلَى التَّعْيِينِ؛ ﴿نُفِثَتْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسُتَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيَةٌ عَلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال ما هنا ﴿إِنَّكَ رَبُّكَ مُنْهِنَهَا﴾ ﴿٤٤﴾.

[٧١٤٣] ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ ﴿٤٥﴾، أي: إنما بعثتك لِتُنْذِرَ النَّاسَ وتُحَذِّرَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَخَافَ مُقَامَهُ وَوَعِيدَهُ، اتَّبَعَكَ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَالْخَبِيئَةُ وَالْخَسَارُ عَلَى مَنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ. وقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّلُهَا لَوْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ ﴿٤٦﴾، أي: إذا قاموا من قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَسْتَقْصِرُونَ مَدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَهَا عَنْدهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ أَوْ ضُحًى مِنْ يَوْمٍ. قال جُوَيْرٍ عن الضُّحَّاك، عن ابن عباس: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّلُهَا لَوْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ ﴿٤٦﴾، أَمَا عَشِيَّةٌ فَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، ﴿أَوْ ضُحًى﴾، مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ. وقال قتادة: دَقَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ الْقَوْمِ حِينَ عَايَنُوا الْآخِرَةَ.

أَخْرَجَ تَفْسِيرَ سُورَةِ «النَّازِعَاتِ»، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّكَ بُرْكَ (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَا مِنْ أَسْتَفَى (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصْدَى (٦) وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بُرْكَ (٧) وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ (١١) فَتَنْ شَاءَ ذَكْرُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مُزَوَّجَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)

ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفْسِّرِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُخَاطَبُ بَعْضَ عِظَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ طَمَعَ فِي إِسْلَامِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَخَاطِبُهُ وَيُنَاجِيهِ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا - فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ وَيُلِخُّ عَلَيْهِ، وَوَدَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَتَهُ تِلْكَ لَيَتِمَكَّنَ مِنْ مَخَاطَبَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؛ طَمَعًا وَرَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ. وَعَبَسَ فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِ، فَاَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَبَسَ وَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّكَ بُرْكَ (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)، أَي: يَحْصُلُ لَهُ زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ فِي نَفْسِهِ، ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ (٤)، أَي: يَحْصُلُ لَهُ اتِّعَازٌ وَانْتِجَارٌ عَنِ الْمَحَارِمِ، ﴿أَمَا مِنْ أَسْتَفَى﴾ (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصْدَى (٦)، أَي: أَمَا الْغِنَى فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي، ﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بُرْكَ﴾ (٧)، أَي: مَا أَنْتَ بِمُطَالَبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ زَكَاةٌ. ﴿وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسَى﴾ (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩)، أَي: يَقْصِدُكَ وَيُؤْمِكُ لِيَهْتَدِيَ بِمَا تَقُولُ لَهُ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (١٠)، أَي: تَتَشَاغَلُ. وَمِنْ هُنَا أَمْرُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - رَسُولَهُ ﷺ أَلَّا يَخْصُصَ بِالْإِنْذَارِ أَحَدًا، بَلْ يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ، وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالسَّادَةِ وَالْعَبِيدِ، وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالصَّغَارِ وَالْكِبَارِ. ثُمَّ اللَّهُ تَعَالَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، لَهُ الْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ.

[٧١٤٤] قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَغْلَى فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - هُوَ ابْنُ مَهْدِيٍّ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَوَلَّى﴾ (١)، جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُكَلِّمُ أَبِي بَنٍ خَلْفَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَاَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَبَسَ وَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ. قَالَ قَتَادَةُ: وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَمَعَهُ رَايَةُ سُودَاءَ، يَعْنِي ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ (١).

[٧١٤٥] وَقَالَ أَبُو يَغْلَى وَابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى [بْنُ سَعِيدٍ] الْأُمَوِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ مِمَّا عَرَّضَهُ عَلَيْهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزِلَتْ: ﴿عَبَسَ وَوَلَّى﴾ (١) فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ

الأعمى، أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أزيذني - قالت: وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين - قالت: فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: «أترى بما أقول بأساً؟». فيقول: لا. ففي هذا أنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١)﴾ (١). وقد رَوَى الترمذي هذا الحديث، عن سعيد بن يحيى الأموي، بإسناده، مثله، ثم قال: «وقد رَوَاهُ بعضهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١)﴾ في ابن أم مكتوم، ولم يذكر فيه عن عائشة». قلت: كذلك هو في الموطأ (٢).

[٧١٤٦] ثم رَوَى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً من طريق العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١)﴾ أن جَاءَهُ الْأَعْمَى، قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عُتْبَةَ بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب - وكان يتصدى لهم كثيراً، ويحرص عليهم أن يؤمنوا - فأقبل إليه رجل أعمى - يقال له: عبد الله ابن أم مكتوم - يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله! علّمني مما علّمك الله. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه، وتولى وكبر كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره، ثم خفق برأيه، ثم أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١)﴾ أن جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَكَ بُرْءُكَ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ (٤). فلما نزل فيه ما نزل، أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه وقال له النبي ﷺ «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟ وإذا ذهب من عنده قال: هل لك حاجة في شيء؟». وذلك لما أنزل الله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَن تَلَمْ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَا بَرٌّ (٧)﴾ (٣). فيه غرابة ونكارة، وقد تكلم في إسناده.

[٧١٤٧] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرُمادي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، حدثني يونس، عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ بَلَائاً يُؤْذِنُ بَلِيلٍ، فَكُلُوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم». وهو الأعمى الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١)﴾ أن جَاءَهُ الْأَعْمَى، وكان يؤذن مع بلال، قال سالم: وكان رجلاً ضريب البصر، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس - حين ينظرون إلى بزوغ الفجر: أذن (٤). وهكذا ذكر عروة بن الزبير، ومجاهد، وأبو مالك، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، وغير واحد من السلف والخلف: أنها نزلت في ابن أم مكتوم. والمشهور أن اسمه عبد الله، ويقال: عمرو. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١)﴾، أي: هذه السورة، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم وضيعهم. وقال قتادة والسدي: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١)﴾، يعني القرآن. ﴿فَنَسَى ذِكْرَهُ (١٢)﴾، أي: فمن شاء ذكره الله في جميع أموره. ويحتمل عود الضمير على الوحي؛ لدلالة الكلام عليه. وقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) تَرْفَعُوهُنَّ مِثْقَلَهُنَّ﴾، أي: هذه السورة أو العظة، وكلاهما متلازم، بل جميع القرآن ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣)﴾، أي: مَعْظَمَةٌ مَوْقَرَةٌ. ﴿تَرْفَعُوهُنَّ﴾، أي: عالية القدر، ﴿مِثْقَلَهُنَّ﴾ أي: من الدّنس والزيادة والنقص. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِي سَرَّوًى (١٤)﴾. قال ابن عباس، ومجاهد والضحاك، وابن زيد: هي الملاكمة.

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٢٨ وأبو يعلى ٤٨٤٨ وصححه الحاكم ٥١٤/٢ والطبري ٧٦٣١٨ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) هو في الموطأ ٢٠٣/١.

(٣) إسناده ضعيف. أخرجه الطبري ٣٦٣١٩. وفيه عطية العوفي ضعيف الحديث، وفي الإسناد مجاهيل.

(٤) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح، لكن أصله محفوظ بشواهد.

وقال وهب بن منبه: هم أصحاب محمد ﷺ . وقال قتادة: هم القراء . وقال ابن جريج، عن ابن عباس: السفرة بالبطيّة: القراء . وقال ابن جريج: الصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني بين الله تعالى وبين خلقه، ومنه يقال: السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير، كما قال الشاعر:

وَمَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أَمْشِي بِغَشٍّ إِنْ مَشَيْتُ

وقال البخاري: سفرة: الملائكة. سفرث: أصلحت بينهم. وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم. وقوله تعالى: ﴿إِكْرَامٌ بَرَزَ﴾ (١١)، أي: خلّقه كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن ها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

[٧١٤٨] قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا هشام، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «الذي يقرأ القرآن - وهو ماهر به - مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه - وهو عليه شاق - له أجران» (١). أخرجه الجماعة من طريق قتادة، به.

﴿قِيلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُوا﴾ (١٧) ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨) ﴿مِنْ تُطْفِئُ خَلَقَهُ فَقَدَرُوا﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُوا﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ﴾ (٢١) ﴿فَاقْبَرُوا﴾ (٢٢) ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرُوا﴾ (٢٣) ﴿كَلَّا لَمَّا يُقْضَىٰ مَا أَمَرُوا﴾ (٢٤) ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ (٢٥) ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٢٦) ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (٢٧) ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٨) ﴿وَعَبَا وَقَضَبًا﴾ (٢٩) ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ (٣٠) ﴿وَحَدَائِقَ غُلًّا﴾ (٣١) ﴿وَفَلَاحَةً وَابًّا﴾ (٣٢) ﴿مَنْعًا لَّكُمْ وَلَئَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٣)

يقول تعالى ذامًا لمن أنكر البعث والنشور من بين آدم: ﴿قِيلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُوا﴾ (١٧)، قال الضحّاك، عن ابن عباس: ﴿قِيلَ الْإِنْسَنُ﴾: لئمن الإنسان. وكذا قال أبو مالك. وهذا لجنس الإنسان المكذب؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند، بل بمجرّد الاستبعاد وعدم العلم. قال ابن جريج: ﴿مَا أَكْفَرُوا﴾: ما أشدّ كفره! وقال ابن جريج: ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافرًا؟ أي: ما حمّله على التكذيب بالمعاد. وقال قتادة، وقد حكاه البغوي عن مقاتل الكلبي: ﴿مَا أَكْفَرُوا﴾ ما ألعنه! ثم بين تعالى له كيف خلقه الله من الشيء الحقيق، وأنه قادر على إعادته كما بداه، فقال تعالى: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨) ﴿مِنْ تُطْفِئُ خَلَقَهُ فَقَدَرُوا﴾ (١٩)، أي: قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُوا﴾ (٢٠)، قال العوفي، عن ابن عباس: ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه. وكذا قال عكرمة، والضحاك، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، واختاره ابن جريج. وقال مجاهد: هذه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَا وَإِمَّا كَفُورَا﴾ (٢١) [الإنسان: ٣]. أي: بيّناه له ووضحناه وسهلناه عليه علمه، وهكذا قال الحسن وابن زيد. وهذا هو الأرجح، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرُوا﴾ (٢٢)، أي: إنه بعد خلقه له ﴿أَمَانَهُ فَاقْبَرُوا﴾، أي: جعله ذا قبر، والعرب تقول: «قبر الرجل»: إذا ولي ذلك منه، وأقبره الله. «وعضبت قرن الثور، وأعضبه الله، وبترت ذنب البعير وأبتره الله، وطردت عني فلانًا، وأطرده الله. أي: جعله طريدًا، قال الأعشى:

لَوْ أَسْنَدْتُ مَيِّتًا إِلَى صَدْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٧ ومسلم ٧٩٨ ح ٢٤٤ وأبو داود ١٤٥٤ والترمذي ٢٩٠٤ والنسائي ٧٠ وفي «التفسير»

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرْنَاهُ﴾ (٢٧)، أي: بعثه بعد موته، ومنه يقال: البعث والثُّور، ﴿وَمِنْ عَائِنَتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَشْرَبْتُمْ بَسْرًا تَنْشِرُونَ﴾ (٢٨)، [الروم: ٢٠]، (وانظر إلى العظام كيف تُنشَرُها ثُمَّ تَكْسُوها لَحْمًا) (٢٩).

[٧١٤٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أصبغ بن الفرج، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو ابن الحارث: أن ذراجا أبا السَّمْح أخبَرَ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ». قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ تُشْأُونِ» (٣٠).

[٧١٥٠] وهذا الحديث ثابت في الصحيح من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، بدون هذه الزيادة، ولفظه: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَلِكُ إِلَّا عَجَبُ الذَّنْبِ، مِنْهُ خَلِقَ فِيهِ يُرْكَبُ» (٣١).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَنَا بَقِيصٌ مَا أَمرُّ﴾ (٣٢)، قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه: كَلَّا، ليس الأمرُ كما يقول هذا الإنسانُ الكافر؛ من أنه قد أدى حقَّ الله عليه في نفسه وماله، ﴿لَنَا بَقِيصٌ مَا أَمرُّ﴾، يقول: لم يؤدِّ ما فُرض عليه عز وجل من الفرائض لربِّه عز وجل. ثم رَوَى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيع، عن مجاهد قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَنَا بَقِيصٌ مَا أَمرُّ﴾ (٣٢)، قال: لا يقضي أحدٌ أبداً كُلَّ ما افترض عليه. وحكاة البَغَوِيِّ عن الحسن البصري، بنحو من هذا. ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا. والذي يَقَعُ لي في معنى ذلك - والله أعلم - أن المعنى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرْنَاهُ﴾ (٢٧)، أي: بَعَثَهُ، ﴿كَلَّا لَنَا بَقِيصٌ مَا أَمرُّ﴾ (٣٢): لا يفعلُه الآن حتى تنقضي المَدَّةُ، ويفرغ القَدَرُ من بني آدم ممن كَتَبَ تعالى أن سَيُوجَدُ منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أَمَرَ به تعالى كوناً وقَدَرًا، فإذا تنهى ذلك عند الله أنشَرَ الله الخلائقَ وأعادَهُمْ كما بدأَهُمْ. وقد رَوَى ابن أبي حاتم، عن وهب بن مُثَنِّبٍ قال: قال عَزِيز - عليه السلام -: قال الملك الذي جاءني: فإن القبور هي بطنُ الأرض، وإن الأرض هي أمُّ الخلق، فإذا خَلَقَ الله ما أراد أن يَخْلُقَ وَتَمَّتْ هذه القبورُ التي مَدَّ الله لها، انقطعتِ الدنيا ومات من عليها، وَلَقَطَّتِ الأرضُ ما في جوفِها، وأخرجتِ القبورَ ما فيها. وهذا شبيهة بما قلنا من معنى الآية، والله - سبحانه وتعالى - أعلم بالصواب.

وقال تعالى: ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَلْحِهِ﴾ (٣٣): فيه امتنان وفيه استدلالٌ بإحياءِ النبات من الأرضِ الهامِدةِ على إحياءِ الأجسام بعدما كانت عظاماً باليةً وتُراباً مُتَمَرِّقاً، ﴿أَنَا صَبَّأُ آلَهِمَا﴾ (٣٤)، أي: أنزلناه من السماء على الأرض، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (٣٥)، أي: أسكنناه فيها فَدْخَلَ في ثُخُومِها وَتَخَلَّلَ في أَجْزَاءِ الحَبِّ المَوْدَعِ فيها، فَتَبَّتْ وارتفعَ وظهر على وَجْهِ الأرضِ، ﴿فَالْبَيْتُ فِيهَا جَبًّا﴾ (٣٦) وَبَيْنَا وَقَفْنَا، ﴿فَالْحَبُّ: كُلُّ ما يُذَكَّرُ من الحبوب، والعِئْبُ معروفٌ، والقَضْبُ هو: الفُضْفِصَةُ التي تَأْكُلُهَا الدَوَابُّ رَطْبَةً. ويقال لها: القَتُّ أيضاً. قال ذلك ابنُ عباس، وقتادة، والضْحَاك، والسُّدِّي. وقال الحسنُ البصري: القَضْبُ العَلْفُ. ﴿وَرَبِّتُونَا﴾، وهو معروف، وهو أَدَمُ وَعَصِيْرُهُ أَدَمُ، وَيُسْتَصْبَحُ به، وَيُذْهِنُ به ﴿وَمَخَلَّا﴾ يُوكَلُّ بِلَحاً بَسْراً وَرُطْباً، وَتَمْرًا، وَنَيْثًا، وَمَطْبُوخًا، وَيُعْتَصَرُ مِنْهُ رُبٌّ وَخَلٌّ. ﴿وَمَدَائِقُ غَلَّا﴾ (٣٧): أي بساتين. قال الحسن، وقتادة: ﴿غَلَّا﴾: نخل غلاظٌ كِرَامٌ. وقال ابنُ عباس، ومجاهد: «الحدايق»: كل ما التَفَّ واجْتَمَعَ. وقال ابنُ عباس أيضاً ﴿غَلَّا﴾: الشجر الذي يستظل به. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَمَدَائِقُ غَلَّا﴾ (٣٧): أي طوال، وقال عكرمة:

(١) البقرة: ٢٥٩. وهذه قراءة أبي عمرو ونافع وابن كثير.

(٢) إسناده ضعيف لضعف دراج، لكن أصل الحديث محفوظ.

(٣) تقدم في سورة المؤمنون آية ١٤ وسورة فاطر آية ٩.

﴿عَلَّا﴾، أي: غِلَظَ الأوساط. وفي رواية: غِلَظَ الرِّقَاب، ألم تَرِ إلى الرُّجُلِ إذا كان غَلِيظَ الرِّقْبَةِ قيل: والله إنه لأغْلَب. رواه ابن أبي حاتم، وأنشد ابنُ جريرٍ للغزدق:

عَوَى فَائِزًا أَغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا قَوْلُ ابْنِ الْمَرَاغَةِ مَا اسْتَشَارَا

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ وَأَبَا﴾ (٣٦)، أما الفاكهة فهو ما يَتَفَكَّهُ به من الثمار. قال ابنُ عباس: الفاكهة كُلُّ ما أَكِلَ رُطْبًا. والأب ما أُنْبِتَتِ الأرضُ مما تَأْكُلُهُ الدُّوَابُّ ولا يَأْكُلُهُ النَّاسُ. وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم. وقال مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، وأبو مالك: الأب: الكَلأ. وعن مجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم. وعن عطاء: كُلُّ شيءٍ نَبَتَ على وَجْهِ الأرضِ فهو أب. وقال الضُّحَّاك: كُلُّ شيءٍ أُنْبِتَتْهُ الأرضُ سِوَى الفاكهة فهو أب.

وقال ابنُ إدريس، عن عاصم بن كُلَيْب، عن أبيه، عن ابن عباس: الأب: نَبَتُ الأرضِ مما تَأْكُلُهُ الدُّوَابُّ ولا يَأْكُلُهُ النَّاسُ. ورواه ابنُ جريرٍ من ثلاث طُرُق، عن ابن إدريس، ثم قال: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَبُو السَّائِبِ قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عن سعيد بن جُبَيْر قال: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ سَبْعًا وقال: الأب: ما أُنْبِتَتِ الأرضُ لِلْإِنْعَامِ. هذا لفظ أبي كريب وقال أبو السائب في حديث: ما أُنْبِتَتِ الأرضُ مما يَأْكُلُ النَّاسُ وتَأْكُلُ الْإِنْعَامِ. وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب الكَلأ والمرعى. وكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد، وغير واحد. وقال أبو عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بن سلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن يَزِيدَ، حَدَّثَنَا الْعَوَّامُ بن حَوْشَب، عن إبراهيم التَّيْمِيِّ قال: سَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ - رضي الله عنه - عن قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ وَأَبَا﴾ (٣٦) فقال: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ. وهذا منقطع بين إبراهيم التَّيْمِيِّ والصَّدِيقَ رضي الله عنه. فأما ما رواه ابنُ جريرٍ حيث قال: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عن أنس قال: قَرَأَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (٣٧) فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَلَكُمْ وَأَبَا﴾ (٣٦)، قال: عَرَفْنَا ما الْفَاكِهَةُ، فما الأب؟ فقال: لَعَمْرُكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكْلِفُ. فهو إسناد صحيح، وقد رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عن أنس، به. هو محمودٌ على أنه أراد أن يَعْرِفَ شَكْلَهُ وَجَنْسَهُ وَعَيْنَهُ، وإلا فهو وكلٌ من قرأ هذه الآية يَعْلَمُ أنه من نَبَاتِ الأرض، لقوله: ﴿قَالَبْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (٣٧) وَصَبًّا وَفَصًّا (٣٨) وَزَيْتُونًا وَفَخَّالًا (٣٩) وَحَبَابَ غُلًّا (٤٠) وَلَكُمْ وَأَبَا. وقوله تعالى: ﴿تَنَمَّ لَكُمْ وَلَا تَنَمَّيْكُمْ﴾ (٤٢)، أي: عَيْشَةٌ لَكُمْ ولأنعامكم في هذه الدَّارِ إلى يومِ الْقِيَامَةِ.

﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ (٣٢) يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُخِيهِ وَأُخِيهِ (٣٥) وَمَنْجَبِيهِ وَيَبِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْفَعُهَا قَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)

قال ابنُ عباس: ﴿الصَّلَاةُ﴾: اسمٌ من أسماء القيامة، عَظَّمَهُ اللهُ، وَحَدَّرَهُ عِبَادَهُ. قال ابنُ جريرٍ: لَعَلَّهُ اسْمٌ لِلنَّفْعَةِ فِي الصُّورِ. وقال البَغَوِيُّ: ﴿الصَّلَاةُ﴾: يعني صِيحَةُ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذلِكَ لأنها تَصْخُحُ الْأَسْمَاعُ، أي: تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى تَكَادُ تُصَيِّمُهَا. ﴿يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُخِيهِ وَأُخِيهِ (٣٥) وَمَنْجَبِيهِ وَيَبِيهِ، أي: يَرَاهُمْ، وَيَقَرُّ مِنْهُمْ، وَيَبْتَغِدُ عَنْهُمْ، لَأَنَّ الْهَوَلَ عَظِيمٌ، وَالْخَطْبُ جَلِيلٌ. قال عِكْرَمَةُ: يَلْقَى الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: يَا هَذِهِ! أَيُّ بَعْلٍ كُنْتُ لِكَ؟ فنقول: نعم البعلُ كُنْتَ! وتثنى بخير ما استطاعت، فيقول لها: فَإِنِّي أَطْلُبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ حَسَنَةً وَاحِدَةً تَهَيِّئِيهَا لِي لَعَلِّي أَنْجُو مِمَّا تَرِينَ. فنقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أَطِيقُ أَنْ أُعْطِيكَ

شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف. قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بُنَيَّ! أي والد كنت لك؟ فيثني بخير. فيقول له: يا بُنَيَّ! إني احتججت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلني أنجو بها مما ترى. فيقول ولده: يا أبت! ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَى الْمُتَرَفُّونُ مِنْ آبِهِمْ﴾ (٢٤) ﴿وَأَبْنَاهُمْ﴾ (٢٥) ﴿وَصَنَجِبَهُمْ وَيَبِيَهُ﴾.

[٧١٥١] وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة: أنه إذا طُلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: نفسي نفسي، لا أسأله اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتنى^(١).

ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَى الْمُتَرَفُّونُ مِنْ آبِهِمْ﴾ (٢٤) ﴿وَأَبْنَاهُمْ﴾ (٢٥) ﴿وَصَنَجِبَهُمْ وَيَبِيَهُ﴾. قال قتادة: الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب، من هؤلاء ذلك اليوم.

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٢٧)، أي: هو في شغل شاغل عن غيره.

[٧١٥٢] قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا الوليد بن صالح، حدثنا ثابت أبو زيد العبّاداني، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاءَ غُرَاءَ مُشَاءَ غُرَاءَ». قال: فقالت زوجته: يا رسول الله! أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٢٧). أو قال: «ما أشغله عن النظر!»^(٢). وقد رواه النسائي مُنفرداً به، عن أبي داود، عن عارم، عن ثابت بن يزيد - وهو أبو زيد الأحول البصري، أحد الثقات - عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به.

[٧١٥٣] وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن محمد بن الفضل، عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تُحْشَرُونَ حُفَاءَ غُرَاءَ غُرَاءَ». فقالت امرأة: أيبصر - أو: يرى - بعضنا عورة بعض؟ قال: «يا فلانة! ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾» (٢٧). ثم قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن ابن عباس، رضي الله عنه.

[٧١٥٤] وقال النسائي: أخبرني عمرو بن عثمان، حدثنا بَقِيَّةُ، حدثنا الزبيدي، أخبرني الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ غُرَاءَ غُرَاءَ». فقالت عائشة: يا رسول الله! فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٢٧).^(٤) انفرد به النسائي من هذا الوجه.

[٧١٥٥] ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أزهر بن حاتم، حدثنا الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس بن مالك قال: سألت عائشة - رضي الله عنها - رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! إني سألتك عن حديث فتخبرني أنت به. قال: «إن كان عندي منه علم». قالت: يا نبي الله! كيف يُحْشَرُ الرجال؟ قال: «حُفَاءَ غُرَاءَ». ثم انتظرت ساعة فقالت: يا نبي الله! كيف يُحْشَرُ النساء؟ قال: «كذلك حُفَاءَ غُرَاءَ». قالت: واسواته من يوم القيامة! قال: «وعن أي ذلك تسألين، إنه قد نزل علي آية لا

(١) تقدم في الإسراء: ٧٩.

(٢) أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٦٧ والحاكم ٢٥١/٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٣٢ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٤) صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٦٨ وفي «السنن» ٢٠٨٣ والحاكم في «مستدرکه» ٥٦٤/٤.

يَضُرُّكَ كَانَ عَلَيْكَ نِيَابٌ أَوْ لَا يَكُونُ». قالت؛ أَيْهَ آيَةٍ هِيَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟! قال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ يَنْتَهِي يَوْمَهُمْ شَأْنٌ يُتَبَيَّنُ﴾^(١). وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي، عن الفضل ابن موسى، به. ولكن قال أبو حاتم الرازي: «عائذ بن شريح ضعيف، في حديثه ضعف»^(٢).

[٧١٥٦] وقال البغوي في تفسيره: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا ابن أبي أويس، حدثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ خُفَاءَ غُرَاءَ غُرْلًا قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَبَلَغَ شُحُومُ الْأَذَانِ». فقلت: يا رسول الله! واسواتنا! ينظر بعضنا إلى بعض؟! فقال: «قَدْ شَغِلَ النَّاسُ، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ يَنْتَهِي يَوْمَهُمْ شَأْنٌ يُتَبَيَّنُ﴾»^(٣). هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِ يُؤْمِدُ مُسْتَبِيرَةً﴾^(٤٨) «مُتَبَيِّنَةً»، أي: يكون الناس هنالك قَرِيبَيْن «وَجُوه» مُسْفِرَةً، أي: مُسْتَبِيرَةً «مُتَبَيِّنَةً»^(٤٩)، أي: مسرورة فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء أهل الجنة، ﴿وَجِبْرِ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبْرَةً﴾^(٥٠) «تَرَفُّقَهَا قَرَّةً»، أي: يعملوها ويغشاها قتره، أي: سَوَادً.

[٧١٥٧] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلْجِمُ الْكَافِرَ الْعَرَقُ ثُمَّ تَقَعُ الْغَبْرَةُ عَلَى وَجُوهِهِمْ». قال: فهو قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبْرَةً﴾»^(٥١). وقال ابن عباس: «تَرَفُّقَهَا قَرَّةً»^(٥٢)، أي: يغشاها سواد الوجوه. وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥٣)، أي: الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٧].

آخر تفسير سورة «عبس»، والله الحمد والمئة

- (١) أخرجه الطبري ٣٦٣٩٢، وفيه عائذ بن شريح. ذكره الذهبي في «الميزان» ٤١٠٠ وقال: قال أبو حاتم: فيه ضعف. وقال ابن طاهر: ليس بشيء اهـ. فالإسناد ضعيف، والتمن غريب بهذا اللفظ وأصله له شواهد. انظر ما قبله. والله تعالى أعلم.
- (٢) هذا التعليق «وهكذا رواه ابن جرير...» في حديثه ضعف جاء في النسخ بعد الحديث الآتي.
- (٣) أخرجه البغوي في «تفسيره» ٤١٨/٤، وفيه محمد بن أبي عياش لم أجده من ترجمه، وفيه الثعلبي روى مناكير كثيرة، وابن أبي أويس وأبوهِ روى مناكير.
- (٤) إسناده ضعيف لجهالة أبي علي هذا، والتمن منكر بهذا التمام.



وهي مكية

[٧١٥٨] قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عبد الله بن بجير القاص أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره: أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١). وهكذا رواه الترمذي، عن العباس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرزاق، به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ (٨) أَيُّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَبْعُ سُيِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ (١٤)

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١)، يعني: أظلمت. وقال العوفي، عنه: ذهب. وقال مجاهد: اضمحلّت وذهبت. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: ذهب ضوءها. وقال سعيد بن جبیر: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غُوِّرَتْ. وقال الربيع بن خثيم: ﴿كُوِّرَتْ﴾: يعني: رُمي بها. وقال أبو صالح: ﴿كُوِّرَتْ﴾: أُلْقِيَتْ. وعنه أيضاً: نُكِسَتْ. وقال زيد بن أسلم: نَقَعَ فِي الْأَرْضِ. قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكويد جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وهو لفها على الرأس، وتكويد الكارة وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾: جُمِعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ لُفَّتْ قَرْمِي بِهَا، وَإِذَا فَعِلَ بِهَا ذَلِكَ ذَهَبَ ضَوْوُهَا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأودي، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن شيخ من بجيلة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١)، قال: يَكُونُ اللَّهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْبَحْرِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ رِيحاً دُوراً فَتَضَرِمُهَا نَاراً وكذا قال عامر الشعبي.

[٧١٥٩] ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن ابن يزيد بن

(١) حسن. أخرجه الترمذي ٣٣٣٣ وأحمد ٢٧/٢ - ٣٦ - ١٠٠ والحاكم ٥١٥/٢ وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي ١٣٤/٧ رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات.

أبي مَرْيَم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١)، قال: «كُوِّرَتْ في جَهَنَّمَ» (١).

[٧١٦٠] وقال الحافظ أبو يَغْلَى في مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا موسى بن محمد بن حَيَّان، حَدَّثَنَا دُرُوسْتُ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الشَّمْسُ والقَمَرُ نُورَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ» (٢). هذا حديثٌ ضعيفٌ، لأن يزيد الرقاشي ضعيفٌ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة.

[٧١٦١] ثم قال البخاري: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عبد العزيز بن المختار، حَدَّثَنَا عبد الله الداناج، حَدَّثَنِي أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ: «الشَّمْسُ والقَمَرُ يَكُونَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣). انفرد به البخاري وهذا لفظه، وإنما أخرجه في كتاب «بَدَأَ الْخَلْقَ»، وكان جديراً أن يذكره ها هنا أو يُكْرَرُهُ، كما هي عادته في أمثاله.

[٧١٦٢] وقد رواه البزار فَجَوَّدَ إيراده، فقال: حَدَّثَنَا إبراهيم بن زياد البغدادي، حَدَّثَنَا يونس بن محمد، حَدَّثَنَا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج قال: سَمِعْتُ أبا سَلَمَةَ بن عبد الرحمن [يحدث في زمن] (٤) خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه فَحَدَّثَ قال: حَدَّثَنَا أبو هُرَيْرَةَ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الشَّمْسَ والقَمَرِ [نوران] في النار [عقيران] يوم القيامة». فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أَحَدُكُمَا عن رسول الله ﷺ وتقول - أحسبه قال -: وما ذنبُهما (٥). ثم قال: لا يروى عن أبي هُرَيْرَةَ إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٦)، أي: انتشرت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ (٧) [الانفطار: ٢]، وأصل الانكدار الانصباب. قال الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: سَتُّ آيات قبل يوم القيامة، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت واضطربت واختلطت. فَفَزَعَتِ الْجَنُّ إِلَى الْإِنْسِ وَالْإِنْسُ إِلَى الْجَنِّ، واختلطت الدواب والطيور والوحوش، فمأجوا بعضهم في بعض: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٨)، قال: اختلطت، ﴿وَإِذَا الْبُشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٩)، قال: أهملها أهلها، ﴿وَإِذَا الْيَمَامُ سُيِّرَتْ﴾ (١٠)، قال: قالت الجن: نحن نأتيكم بالخبر. قال: فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك

(١) فيه أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، روى مناكير كثيرة. وابن أبي مريم اسمه نوح، متروك. وأبوه تابعي. فالحديث مرسل. وانظر ما بعده.

(٢) ضعيف. أخرجه أبو يعلى ٤١١٦ وابن عدي ١٠٢/٣ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٤٣، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٤٠ وقال: لا يصح. قال ابن حبان: لا يحمل الاحتجاج برواية درست بن زياد اهـ. وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ١٨٥٩٩: فيه ضعفاء وثقوا اهـ. كذا قال رحمه الله، والصواب أن للحديث علة ثانية، فيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف روى مناكير كثيرة عن أنس.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٠.

(٤) في النسخ «بن عبد الرحمن بن خالد...» والمثبت عن «فتح الباري» ٦/ ٣٠١.

(٥) رجاله ثقات، لكن مسدّد أحفظ من يونس، ومع ذلك فالخبر غريب، فإن القمر لا نور فيه. والحديث عند البخاري ليس فيه «في النار»، والله تعالى أعلم.

إذ جاءتهم الرياح فأماتهم. رواه ابن جرير - وهذا لفظه - وابن أبي حاتم، ببعضه، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم، والحسن البصري وأبو صالح، وحماد بن أبي سليمان، والضحاك في قوله جلا وعلا: ﴿وَإِذَا الْتُجُومٌ انْكَدَرَتْ ۝١﴾، أي: تناثرت. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا الْتُجُومٌ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾، أي: تغيرت.

[٧١٦٣] وقال يزيد بن أبي مريم، عن النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا الْتُجُومٌ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾، قال: «انْكَدَرَتْ فِي جَهَنَّمَ، وَكُلُّ مَنْ عُيِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ فِي جَهَنَّمَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عِيسَى وَآمِهِ، وَلَوْ رَضِيَا أَنْ يُعْبَدَا لِدَخَلَاهَا»^(١). رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾، أي: زالت عن أماكنها ونُسِفَتْ، فَتَرِكَتِ الْأَرْضُ قَاعًا صَفْصَفًا. وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾، قال عكرمة، ومجاهد: عشار الإبل. قال مجاهد: «عُطِّلَتْ: تَرِكَتْ وَسُيِّتْ». وقال أبي بن كعب، والضحاك: أهملها أهلها. وقال الربيع بن خثيم: لم تُحْلَبْ ولم تُصَرَّ، تَخْلَى مِنْهَا أَرْبَابُهَا. وقال الضحاك: تَرِكَتْ لَا رَاعِيَ لَهَا. والمعنى في هذا كله متقارب. والمقصود: أن العشار من الإبل - وهي: خيَارُهَا والحوامل منها التي قد وَصَلَتْ فِي حَمْلِهَا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، وَاحِدُهَا: عُشْرَاءُ، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمَهَا حَتَّى تَضَعُ - وقد اشتغل الناس عنها وعن كَفَالَتِهَا والانتفاع بها، بعدما كانوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فِيهَا، بِمَا دَهَمَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الْمُفْطِئِ الْهَائِلِ، وَهُوَ أَمْرُ الْقِيَامَةِ وَانْعِقَادُ أَسْبَابِهَا، وَوُقُوعُ مُقَدَّمَاتِهَا. وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك ولا سبيلَ لَهُمْ إِلَيْهَا. وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض، لخراب الدنيا. وقيل: إنها الأرض التي تُعْثَرُ. وقيل: إنها الديار التي كانت تسكن تُعْطَلُ لذهاب أهلها. حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القُرطبي في كتابه «التذكرة»، وَرَجَّحَ أَنَّهَا الْإِبِلُ، وَعَزَّاهُ إِلَى أَكْثَرِ النَّاسِ. قُلْتُ: بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، أي: جُمِعَتْ. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَاوَتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمِيرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُنْمٌ أَتَانَاكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْنَا رِيَهُمْ يُحْشَرُونَ ۝٦﴾ [الأنعام: ٣٨]، قال ابن عباس: يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ. رواه ابن أبي حاتم. وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي، وغير واحد. وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية: إن هذه الخلائق موافقة فيقضي الله فيها ما يشاء. وقال عكرمة: حَشَرَهَا مَوْتُهَا. وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَسْلَمٍ الطُّوسِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْقَوَّامِ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، قال: حَشَرُ الْبَهَائِمِ مَوْتُهَا، وَحَشَرُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ غَيْرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَإِنَّهُمَا يُوقَفَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي يَغْلَى، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، قال: أَتَى عَلَيْهَا أَمْرُ اللَّهِ. قال سفيان: قال أبي: فَذَكَرْتُهُ لِعِكْرَمَةَ، فَقَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَشَرُهَا مَوْتُهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي بَنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾: اخْتَلَطَتْ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْأَوَّلَى قَوْلٌ مِنْ قَالَ: ﴿حُشِرَتْ﴾ وَجُمِعَتْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالطَّلِيرُ مَحْشُورٌ ۝٦﴾، أي: مَجْمُوعَةٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْيَحَاثُ سُيِّرَتْ ۝٦﴾، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ: أَبِنْ جَهَنَّمَ؟

قال: البحرُ. فقال: ما أراه إلا صادقاً، ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ [الطور: ٦]، ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٦) مخففة. وقال ابن عباس وغير واحد: يُرسل الله عليها الرياح الذبور فتسعرها، فتصير ناراً تأجج. وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ (٦). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد، حدثنا أبو طاهر، حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض، والأنهار كلها تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله أبار مبطقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر. وهذا أثر غريب عجيب.

[٧١٦٤] وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو مُعتمر أو غاز، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً» الحديث^(١)، وقد تقدم الكلام عليه في «سورة فاطر».

وقال مجاهد، والحسن بن مسلم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: أوقدت. وقال الحسن: يَبَسَتْ. وقال الضحاك، وقتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة. وقال الضحاك أيضاً: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فُجرت. وقال السدي: فُتحت وسُيِّرَت. وقال الربيع بن خثيم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فاضت. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧)، أي: جمع كل شكل إلى نظيره، كقوله تعالى: ﴿اْمُتَشْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢].

[٧١٦٥] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح البزار، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سمالك، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧)، قال: «الضرباء»، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) فَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مِمَّا أَصْحَبُ الْيَمِينِ (٨) وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَبُ الشِّمَالِ (٩) وَالشُّعْبُونَ الثَّلَاثُونَ [الواقعة: ٧ - ١٠]^(٢)، قال: هم الضرباء. ثم رواه ابن أبي حاتم من طريق آخر، عن سمالك بن حرب، عن النعمان بن بشير أن عمر خطب الناس فقراً: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧)، فقال: تزوجها أن تؤلف كل شعبة إلى شيعتهم. وفي رواية: هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار. وفي رواية عن النعمان قال: سُئِلَ عُمَرُ عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧)، فقال: يُقَرَّن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقَرَّن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس. وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧) فسكتوا. قال: وَلَكِنْ أَعْلَمُهُ هُوَ الرَّجُلُ يُزَوِّجَ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يُزَوِّجَ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿اْمُتَشْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾. وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧)، قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثاً. وقال ابن أبي نجيع، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧)، قال: الأمثال من الناس جمع بينهم. وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن، وقتادة. واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

قول آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْتَفَافَتِ رُجُوتٌ﴾ (٧)، قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث [بن سرار]، عن جعفر، عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس قال: يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين، ومقدار ما بينهما أربعون عاماً، فَيَنْبُتُ مِنْهُ كُلُّ خَلْقٍ بَلِيٍّ، مِنَ الْإِنْسَانِ أَوْ طَيْرٍ أَوْ دَابَّةٍ، وَلَوْ مَرَّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ قَدْ عَرَفَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ

(١) تقدم تخريجه وهو ضعيف.

(٢) والحديث أخرجه الطبري ٣٦٤٥١ وإسناده ضعيف لضعف الوليد بن عبد الله بن أبي ثور. فقد ضعفه أحمد وصالح جزرة وغيرهما، وسماك بن حرب فيه ضعف. والصحيح عن عمر قوله.

لَعَرَفَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَدْ نَبَّأُوا، ثُمَّ تُرْسِلُ الْأَرْوَاحَ فَتَزُوجُ الْأَجْسَادَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧). وكذا قال أبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، والشَّعْبِي، والحسن البصري أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧)، أي: زُوِّجَتْ بِالْأَبْدَانِ. وقيل: زُوِّجَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَزُوِّجَ الْكَافِرُونَ بِالشَّيَاطِينِ. حكاه القرطبي في «التذكرة».

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿ هَكَذَا قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ ﴾ سُئِلَتْ. والموءودة: هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية للنبات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قُتِلَتْ، ليكون ذلك تهديداً لقائلها، فإنه إذا سُئِلَ المظلومُ فما ظنُّ الظالمِ إذا؟ وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (وإذا الموءودة سُئِلَتْ)، وكذا قال أبو الضحى (سألت)، أي: طلبت بدمها. وعن السدي، وقاتدة، مثله. وقد وردت أحاديثُ تتعلقُ بالموءودة.

[٧١٦٦] فقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسود - وهو: محمد بن عبد الرحمن بن نوفل - عن عروة، عن عائشة، عن جُدَامة بنتِ وهب - أخت عكاشة - قالت: حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ عَنِ الْغَيْلَةِ، فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارَسَ فَلِذَا هُمْ يُغَيِّلُونَ أَوْلَادَهُمْ، وَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئاً». ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْغَزْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ الْوَادُ الْخَفِيُّ، وَهُوَ الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ»^(١). ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ - وهو عبد الله بن يزيد - عن سعيد بن أبي أيوب. ورواه أيضاً ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن إسحاق السيلحيني، عن يحيى بن أيوب. ورواه مسلم أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث مالك بن أنس، ثلاثهم عن أبي الأسود، به.

[٧١٦٧] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَخِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ أَمْنَا مُلْكِيكَ كَانَتْ تَصِلُ الرَّجْمَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. هَلَكْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئاً؟ قَالَ: «لَا». قلنا: فَإِنَّمَا كَانَتْ وَأَدَّتْ أَخْتَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئاً؟ قَالَ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءِدَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ، فَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهَا»^(٢). وَزَوَّاهُ النَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، بِهِ.

[٧١٦٨] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَنَانٍ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزَّبِيرِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَلْقَمَةَ وَأَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءِدَةُ فِي النَّارِ»^(٣).

[٧١٦٩] وقال أحمد أيضاً: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ، أَخْبَرَنَا عَوْفٌ، حَدَّثَنِي حَسَنَاءُ ابْنَةُ مَعَاوِيَةَ الصُّرَيْمِيَّةُ،

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٤٢ ح ١٤١ و ١٤٢ والترمذي ٢٠٧٦ وابن ماجه ٢٠١١ والنسائي ١٠٦/٦ - ١٠٧ وابن حبان ٤١٩٦ وأحمد ٤٣٤/٦. وعجزه عند مسلم: وهي (وإذا الموءودة سُئِلَتْ).

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٤٧٨/٣ والنسائي في «التفسير» ٦٦٩ والطبراني ٦٣١٩ وإسناده على شرطهما.

(٣) رجاله رجال البخاري ومسلم، لكن سمع إسرائيل من أبي إسحق بعد الاختلاط، لكن توبع عند ابن حبان بإثر حديث ٧٤٨٠، وورد من وجه آخر، أخرجه الطبراني ١٠٢٣٦ وفيه يحكى الحماني ضعيف ومع ذلك هو يتأيد بما قبله، ويحمل هذا الأخير على الأول على أن ذلك في الكفار، وهو الذي نص عليه ابن حبان.

عن عَمَّها قال: قلت: يا رسول الله! مَنْ في الجنة؟ قال: «النبيُّ في الجنة، والشهيدُ في الجنة، والمولودُ في الجنة، والممودةُ في الجنة»^(١).

[٧١٧٠] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مسلم بن إبراهيم، حَدَّثَنَا قُرَّةُ قال: سَمِعْتُ الحسن يقول: قيل: يا رسول الله! مَنْ في الجنة؟ قال: «الممودةُ في الجنة»^(٢). هذا حديثُ مُرْسَلٌ من مراسيل الحسن، ومنهم مَنْ قبله. وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنِي أبو عبد الله الطُّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا حفصُ بن عُمرَ العَدَنِيِّ، حَدَّثَنَا الحكم بن أبان، عن عكرمة قال: قال ابنُ عباس: أطفالُ المشركين في الجنة، فمن رَعِمَ أنهم في النار فقد كَذَبَ، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾، قال ابنُ عباس: هي المدفونة.

[٧١٧١] وقال عبد الرزاق: أَخْبَرَنَا إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عُمر ابن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾، قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إني وأدتُ بناتٍ لي في الجاهلية، فقال: «أعتق عن كلِّ واحدةٍ منهنَّ رقبةً». قال: يا رسول الله! إني صاحبُ إبلٍ؟ قال: «فانحر عن كلِّ واحدةٍ منهنَّ بدنةً»^(٣). قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق، ولم نكتبه إلا عن الحسين بن مهدي، عنه.

[٧١٧٢] وقد رواه ابنُ أبي حاتم فقال: أَخْبَرَنَا أبو عبد الله الطُّهْرَانِيُّ، فيما كتب إليّ، قال: حَدَّثَنَا عبد الرزاق... فذكره بإسناده مثله، إلا أنه قال: «وأدت ثمان بناتٍ لي في الجاهلية». وقال في آخره: «فأهدِ إن شئتَ عن كلِّ واحدةٍ بدنةً»^(٤).

[٧١٧٣] ثم قال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عبد الله بن رجاء، حَدَّثَنَا قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين قال: قَدِمَ قيسُ بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إني وأدتُ اثنتي عشرة ابنةً لي في الجاهلية - أو: ثلاث عشرة - قال: «أعتق عَدَدَهُنَّ نَسْماً»، قال: فأعتق عددَهُنَّ نسماً، فلما كان في العام المقبل جاء بمئة ناقةٍ، فقال: يا رسول الله! هذه صدقةٌ قومي على أثر ما صَنَعْتَ بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب: فكنا نُريحها، ونسميها القيسية^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الضُّفَى تُثْرِتُ﴾^(٦)، قال الضحاك: أعطي كلَّ إنسانٍ صَحيفته بِيَمِينِهِ أو بِشِمَالِهِ. وقال قتادة: صحيفتك يا بن آدم، تُملَى فيها، ثم تُطوى، ثم تُنشرُ عليك يومَ القيامة، فنظر رجلٌ ماذا يُملَى في صحيفته. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النَّمَةُ كُفِلَتْ﴾^(٧)، قال مجاهد: اجْتَلَبَتْ. وقال السدي: كُفِلَتْ. وقال الضحاك: تَنكِيضٌ فتذهب. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَمِيمُ سُفِرَتْ﴾^(٨)، قال السدي: أَحْمِيَتْ. وقال قتادة: أُوْقِدَتْ. قال: وإنما يُسْعِرُها غَضَبُ الله وخطايا بني آدم. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَبَنَةُ أُرْلَتْ﴾^(٩)، قال الضحاك، وأبو مالك، وقتادة، والربيع بن خثيم: أي قُرِبَتْ إلى أهلها. وقوله تعالى: ﴿عَلَيْتَ نَقَسًا مَّا﴾

(١) إسناده لين لأجل حسناء، فإنها مقبولة، وتقدم في الإسراء، آية ١٥ وهو في المؤمنين.

(٢) مرسل، ومراسيل الحسن ضعيفة، ولعله يشهد لما قبله.

(٣) حسن. أخرجه البزار ٢٢٨٠ والطبراني ٣٣٧/١٨ والبيهقي ١١٦/٨ وإسناده حسن، سماك فيه كلام، وهو من رجال مسلم. قلت: لم أره عند عبد الرزاق مسنداً، وإنما هو في «التفسير» ٣٥١٥ عن معمر عن قتادة مرسلًا، وهو عند الطبري ٣٦٤٦٧ من طريق آخر عن معمر عن قتادة مرسلًا، ومع ذلك هو يشهد لما قبله، وانظر ما بعده.

(٤) أخرجه ابن منده كما في «الإصابة» ٣/٣٥٣/٧١٩٤ بهذا الإسناد، وهو حسن.

(٥) فيه قيس بن الربيع، وهو ضعيف. وورد من وجه آخر أخرجه الطبراني ١٣٨/١٨ وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٧٠: ضعيف اهـ.

أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾، هذا هو الجواب، أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عجلت وأحضر ذلك لها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿يَبْكَوُا الْإِنْسُ يَوْمَهُمْ بِمَا قَدَّمُوا وَآخَرُ﴾ ﴿١٥﴾ [القيامة: ١٣]. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا محمد بن مُطَرَف، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: نَزَلَتْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿١٦﴾، قال عُمر: لما بلغ: ﴿عَمِلَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ ﴿١٧﴾، قال: لهذا أُجْرِي الحديث.

﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾ ﴿١٥﴾ لِبُكَوْرِ الْكُتُبِ ﴿١٦﴾ وَالْإِيلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالشَّيْخِ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيَمِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

[٧١٧٤] روى مسلم في صحيحه، والنسائي في تفسيره عند هذه الآية، من حديث يسر بن كدام، عن الوليد بن سريح، عن عمرو بن حُرَيْث قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الصُّبْحَ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾ ﴿١٥﴾ لِبُكَوْرِ الْكُتُبِ ﴿١٦﴾ وَالْإِيلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالشَّيْخِ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ بُنْدَارٍ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ الْحُجَّاجِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، بِهِ نَحْوُهُ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ، مِنْ طَرِيقِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ مُرَادٍ، عَنْ عَلِيٍّ: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾ ﴿١٥﴾، قَالَ: هِيَ النُّجُومُ تَخْسُ بِالنَّهَارِ، وَتُظْهِرُ بِاللَّيْلِ.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سيماء بن حرب، سمعت خالد بن عَزْرَةَ، سمعت علياً وسُيْلَ عَنْ ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾ ﴿١٥﴾ لِبُكَوْرِ الْكُتُبِ ﴿١٦﴾، فقال: هِيَ النُّجُومُ، تَخْسُ بِالنَّهَارِ وَتُكْنِسُ بِاللَّيْلِ. وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سِمْكَاءَ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: هِيَ النُّجُومُ. وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ صَحِيحٌ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَزْرَةَ، وَهُوَ السَّهْمِيُّ الْكُوفِيُّ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: «رَوَى عَنْ عَلِيٍّ، وَرَوَى عَنْهُ سِمْكَاءُ وَالْقَاسِمُ بْنُ عَوْفٍ الشَّيْبَانِيُّ». وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ جَزْأً وَلَا تَعْدِيلاً، فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَرَوَى يُونُسُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ: أَنَّهَا النُّجُومُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَكَذَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيَّ، وَغَيْرِهِمْ: أَنَّهَا النُّجُومُ.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا هُوْدَةُ بْنُ خَلِيفَةَ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾ ﴿١٥﴾ لِبُكَوْرِ الْكُتُبِ ﴿١٦﴾، قَالَ: هِيَ النُّجُومُ الدَّرَارِيُّ، الَّتِي تَجْرِي تَسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ. وَقَالَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ: إِنَّمَا قِيلَ لِلنُّجُومِ «الْخُسُّ»، أَيْ: فِي حَالِ طُلُوعِهَا، ثُمَّ هِيَ جَوَارٍ فِي فَلَكِهَا، وَفِي حَالِ غَيْبِهَا يُقَالُ لَهَا «كُتُسٌ»، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: أَرَى الظُّبْيَ إِلَى كَيْتَابِهِ: إِذَا تَغَيَّبَ فِيهِ. وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾ ﴿١٥﴾، قَالَ: يَقْرَأُ الْوَحْشُ. وَكَذَا قَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ﴾ ﴿١٥﴾ لِبُكَوْرِ الْكُتُبِ ﴿١٦﴾، مَا هِيَ يَا عَمْرُو؟ قُلْتُ: الْبَقْرُ. قَالَ: وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ. وَكَذَا رَوَى يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لِبُكَوْرِ الْكُتُبِ﴾ ﴿١٦﴾، قَالَ: الْبَقْرُ تَكْنِسُ إِلَى الظِّلِّ. وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ

جُبَيْر. وقال العوفي، عن ابن عباس: هي الظباء. وكذا قال سعيد أيضاً، ومجاهد، والضحاك. وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظباء والبقر.

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد: أنهما تذاكرا هذا الآية: ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالْحَقِّسِ ١٥﴾ لُجُورَ الْكَثِيرِ، فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت. قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئاً، وناس يقولون: إنها النجوم. قال: فقال إبراهيم: قل فيها بما سمعت. قال: فقال مجاهد: كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكس في حجرتها. قال: فقال إبراهيم: إنهم يكذبون على علي، هذا كما رَوَا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلى، والأعلى الأسفل. وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالْحَقِّسِ ١٥﴾ لُجُورَ الْكَثِيرِ: هل هو النجوم، أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويَحْتَمِلُ أن يكون الجميع مراداً. وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّلَ إِذَا عَسَسَ ١٧﴾، فيه قولان:

أحدهما: إقباله بظلامه. قال مجاهد: أظلم. وقال سعيد بن جبيرة: إذا نشأ. وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس. وكذا قال عطية العوفي. وقال علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾: إذا أذرب. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وكذا قال زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾، أي: إذا ذُفِبَ قَتُولَى. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبه، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال: خَرَجَ علينا علي - رضي الله عنه - حين ثَوَّبَ الْمُتَوَبِّ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ فقال: أين السائلون عن الوتر: ﴿وَأَيُّلَ إِذَا عَسَسَ ١٧﴾ وَالشَّيْخُ إِذَا تَنَسَّ، هذا حين وثّر حسن. وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾: إذا أذرب. قال لقوله: ﴿وَالشَّيْخُ إِذَا تَنَسَّ ١٨﴾، أي: أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضاً:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسَا وانجابت عنها ليلها وعَسَسَا

أي: أدير. وعندي أن المراد بقوله: ﴿عَسَسَ﴾: إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً، لكن الإقبال هنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضياؤه إذا أشرق، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّلَ إِذَا يَتَنَسَّ ١٦﴾ وَأَتَهَارَ إِذَا جَلَّ [الليل: ١ - ٢]. وقال تعالى: ﴿وَالشَّيْخُ ١٧﴾ وَأَيُّلَ إِذَا سَجَى [الضحى: ١ - ٢]. وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَمَلُ آيَاتِ سَكَاةٍ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وغير ذلك من الآيات. وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة ﴿عَسَسَ﴾ تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يَرَادَ كُلُّ منهما، والله أعلم. قال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن ﴿عَسَسَ﴾: دَنَا من أوله وأظلم. وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي يُنْشِدُ بيتاً:

عَسَسَ حَتَّى لَوْ يَشَاءُ أَذْنَا كَانَ لَهُ مِنْ ضَوْؤِهِ مَقْبِسُ

يريد: لو يشاء إذ دنا، أَدْعَمُ الذَّالِ فِي الدَّالِ. وقال الفراء: وكانوا يَرَوْنَ أن هذا البيت مصنوع. وقوله: ﴿وَالشَّيْخُ إِذَا تَنَسَّ ١٨﴾، قال الضحاك: إذا طَلَعَ. وقال قتادة: إذا أضاء وأقبل. وقال سعيد بن جبيرة: إذا نشأ. وهو المروي عن علي رضي الله عنه. وقال ابن جرير: يعني: وضوء النهار إذا أقبل وتَبَيَّنَ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩﴾، يعني: إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام. قاله ابن عباس، والشعبي، وميمون بن مهران، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ٢٠﴾ ذُو مِرَّةٍ [النجم: ٥ - ٦]، أي: شديد الخلق، شديد البطش والفعل، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، أي: له مكانة عند الله - عز وجل - ومنزلة رفيعة. قال أبو صالح في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، قال: جبريل يدخل في

سبعين حجاباً من نور بغير إذن. ﴿تُطَاعُ ثَمَّ﴾، أي: له وجاعة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى. قال قتادة: ﴿تُطَاعُ ثَمَّ﴾، أي: في السموات، يعني: ليس هو من أفناء الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، مفتتن به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله تعالى: ﴿أَمِينٌ﴾: صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب - عز وجل - يُزَكِّي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زَكَّى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ ٢١. قال الشعبي، وميمون بن مهران، وأبو صالح، ومن تقدم ذكرهم: المراد بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ ٢٢، يعني: محمداً ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِثَةِ الَّتِي﴾ ٢٣، يعني: ولقد رأى محمداً جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله - عز وجل - على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ﴿بِالْأَفْئِثَةِ الَّتِي﴾، أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٢٤ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ٢٥ ﴿وَهُوَ بِالْأَفْئِثَةِ الْأَعْلَى﴾ ٢٦ ثَمَّ ذَا فَتْدَلْ ٢٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٢٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ٣٠، كما تقدم تفسير ذلك وتقريره. والدليل أن المراد بذلك جبريل عليه السلام. والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ٣١ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ٣٢ عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَى ٣٣ إِذْ يَتَنَفَّسُ الْغَدَرَةُ مَا يَقْنُ ٣٤. فتلك إنما ذكرت في «سورة النجم»، وقد نزلت بعد الإسراء. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ٣٥، أي: وما محمداً على ما أنزله الله إليه بظنين، أي: بمتهم، ومنهم من قرأ ذلك بالضاد، أي: ببخيل، بل يبذله لكل أحد. قال سفيان بن عيينة: ظنين وضنين سواء، أي: ما هو بكاذب، وما هو بفاجر. والظنين: المتهم، والضنين: البخيل. وقال قتادة: كان القرآن غيباً، فأنزله الله على محمد، فما ضن به على الناس. وكذا قال عكرمة، وابن زيد، وغير واحد، بل بلغه ونشره وبذله لكل من أراده. واختار ابن جرير قراءة الضاد. قلت: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيح كما تقدم. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ٣٦، أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي: لا يقدر على حمله، ولا يريده، ولا ينبغي له. كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ٣٧ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٣٨ إِنْ هُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ٣٩ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢]. وقوله تعالى: ﴿فَأَن تَذَهَبَ﴾ ٤٠، أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه حقاً من الله عز وجل، كما قال الصديق - رضي الله عنه - لو فد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم قتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمه الذي هو في غاية الهذيان والركاكة، فقال: ويحكم. أين يذهب بعقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل، أي: من إله. وقال قتادة: أي عن كتاب الله وعن طاعته.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ٤١، أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون، ﴿لِيُنْذِرَ لَكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ٤٢، أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه، ﴿وَمَا تَشَاوَرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٣، أي: ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله - عز وجل - رب العالمين. قال سفيان الثوري، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية: ﴿لِيُنْذِرَ لَكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ٤٢، قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاوَرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٣.

آخر تفسير سورة التكوين، والله الحمد والمنة



وهي مكية

[٧١٧٥] قال النسائي: أخبرنا محمد بن قدامة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن محارب بن دثار، عن جابر قال: قام معاذٌ فُصِّلَ العشاء الآخرة فطول، فقال النبي ﷺ: «أفثان يا معاذ؟، أفثان يا معاذ؟»، أين كنت عن سبع اسم ربك الأعلى، والضحى، وإذا السماء انفطرت»^(١) وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ من أفراد النسائي.

[٧١٧٦] وتقدم من رواية عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾»، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾»، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كُنِينِ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١)، أي: انشقت. كما قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِدٍّ﴾ [المزمل: ١٨]. ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ (٢)، أي: تساقطت. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ (٣)، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض. وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط مالها بعضها. وقال الكلبي: ملئت. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (٤)، قال ابن عباس: بُحِثَتْ. وقال السُّدِّي: تُبْعَثَر: تُحْرَكُ فيخرج من فيها. ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٥)، أي: إذا كان هذا حصل هذا. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦): هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: ﴿الْكَرِيمِ﴾، حتى يقول قائلهم: غَرَّه كَرَمُهُ. بل المعنى في هذا الآية: ما غَرَّك - يابن آدم - بِرَبِّكَ الكريم - أي: العظيم - حتى أقدمت على مغصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: [٧١٧٧] «يقول الله يوم القيامة: ابن آدم! ما غَرَّك بي؟ ابن آدم! ماذا أجبت المرسلين؟»^(٣).

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٧٢ وفي «السنن» ٨٣١ و ٩٨٤ وإسناده صحيح، وأصل الحديث متفق عليه، وتقدم.

(٢) تقدم تخريجه، وهو حسن.

(٣) تقدم تخريجه.

قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سَفِيَان: سَمِعَ عُمَرَ رجلاً يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ①، فقال عمر: الجهل. وقال أيضاً: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّة، حَدَّثَنَا أَبُو خَلْف، حَدَّثَنَا يَحْيَى الْبُكَاء، سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ②، قال ابن عمر: غَرَّه - والله - جهله. قال: وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، وَالْحَسَنِ، مِثْلُ ذَلِكَ. وقال قتادة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾: شيء ما غَرَّ ابْنَ آدَمَ، وَهَذَا الْعَدُوُّ الشَّيْطَانُ. وقال الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ: لو قال لي «ما غَرَّكَ بي»، لقلت: سُتُورُكَ الْمُزْحَاةُ. وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، لقلت: غَرَّنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ. قال الْبَغَوِيُّ: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته، كانه لَقْنَهُ الإجابة. وهذا الذي تَحِيلُهُ هَذَا الْقَائِلُ لَيْسَ بِطَائِلٍ، لَأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِاسْمِهِ ﴿الْكَرِيمِ﴾، لِئِنَّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ الْكَرِيمُ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَأَعْمَالِ السُّوءِ.

[٧١٧٨] وحكى الْبَغَوِيُّ، عَنْ الْكَلْبِيِّ، وَمُقَاتِلٍ أَنَّهُمَا قَالَا: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْأَسْوَدِ بْنِ شَرِيْقٍ، ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يُعَاقَبْ فِي الْحَالَةِ الرَّاهِنَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ③. وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ④، أي: مَا غَرَّكَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ⑤، أي: جعلك سوياً مستقيماً معتدلاً الْقَامَةَ مُتَنَصِّبَهَا، فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ.

[٧١٧٩] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو الْمَغْفِرَةِ، حَدَّثَنَا خَرِيزُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ بُشَيْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَقَ يَوْماً فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا إصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ابْنُ آدَمَ! أَتَى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟ حَتَّى إِذَا سَوَيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَفَيْدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ: أَنْصَدُقُ، وَأَتَى أَوَانُ الصَّدَقَةِ» ⑥. وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن خريز بن عثمان، به. قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: وتابعه يحيى بن حمزة، عن ثور بن يزيد، عن عبد الرحمن بن ميسرة.

وقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ⑦، قال مجاهد: فِي أَيِّ شَبَهٍ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ خَالَ أَوْ عَمٍّ؟ [٧١٨٠] وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ الْقُرَازِي، حَدَّثَنَا مُطَهَّرُ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَبِيعٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «مَا وُلِدَ لَكَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَسَى أَنْ يُولَدَ لِي؟ إِمَّا غُلَامٌ وَإِمَّا جَارِيَةٌ. قَالَ: «فَمَنْ يُشَبِّهِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ عَسَى أَنْ يُشَبِّهِ؟ إِمَّا أَبَاهُ وَإِمَّا أُمَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا: «مَهْ. لَا تَقُولَنَّ هَكَذَا، إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ أَحْضَرَهَا اللَّهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آدَمَ؟ أَمَّا قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ⑧، قَالَ: «سَلَكَكَ» ⑨. وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني، من حديث مُطَهَّرِ بْنِ الْهَيْثَمِ، بِهِ. وهذا الحديث لو صَحَّ لَكَانَ فَيَصْلَافِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَكِنْ إِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالثَّابِتِ، لِأَنَّ «مُطَهَّرَ بْنَ الْهَيْثَمِ» قَالَ فِيهِ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ يُونُسَ: كَانَ مَتْرُوكَ الْحَدِيثِ، وَقَالَ ابْنُ جِبَّانَ: يَزُودُ عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ مَا لَا يُشَبِّهُ حَدِيثَ الْأَثْبَاتِ.

(١) باطل. ذكره البغوي ٤/٢٢٤ بدون إسناد. وهو غير صحيح. فالكلبي، وهو محمد بن السائب متروك متهم بالكذب. وكذا

مقاتل، إن كان بن سليمان، وإن كان ابن حيان فهو ضعيف، وهو معضل بكل حال.

(٢) مضى هذا الحديث في النحل، ولفظ «بصق» غريب، تفرد به ابن ميسرة، وهو شبه مجهول.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٦٥٦٧ والطبراني ٤٦٢٤. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٧٣: فيه مطهر بن الهيثم، وهو متروك اهـ.

[٧١٨١] ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن امرأتي ولدت غلاماً أسوداً؟ قال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «فما ألوانها؟» قال: حمز. قال: «فيها من أوزق؟» قال: نعم. قال: «فأنتي أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزع عرق. قال: «وهذا عسى أن يكون نزع عرق؟»^(١). وقد قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (٨): «إن شاء في صورة قز، وإن شاء في صورة خنزير، وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة خنزير. وقال قتادة: ﴿وَأَيُّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (٨)، قال: قادر - الله - ربنا على ذلك. ومعنى هذا القول عند هؤلاء: أن الله - عز وجل - قادر على خلقي النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وجله يخلق على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة. وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ (٩)، أي: بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَيْنَا لَخَوِضِينَ﴾ (١٠) كراماً كيين ﴿يَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ﴾، يعني: وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقباح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

[٧١٨٢] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان وميسرة، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا الكرام الكاتيين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين: الجنابة والغائط. فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجزء حائط أو ببيعه، أو ليستتره أخوه»^(٢).

[٧١٨٣] وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار، وصلة بلفظ آخر، فقال: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبدة الله بن موسى، عن حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعري، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم، الكرام الكاتيين، الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الجنابة، والغائط، والفعل. فإذا اغتسل أحدكم بالعرء فليستتر بثوبه، أو بجزء حائط، أو ببيعه»^(٣). ثم قال: حفص بن سليمان ليّن الحديث، وقد روي عنه، واحتمل حديثه.

[٧١٨٤] وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، حدثنا تمام بن نجيع، عن الحسن - يعني البصري - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من حافطين يرفعان إلى الله - عز وجل - ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة»^(٤). ثم قال: تفرد به تمام بن نجيع، وهو صالح الحديث. قلت: وثقه ابن

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٠٥ و ٦٨٤٧ ومسلم ١٥٠٠ وأبو داود ٢٢٦١ و ٢٢٦٢ والترمذي ٢١٢٨ والنسائي ١٧٨/٦ - ١٧٩ وابن ماجه ٢٠٠٢ وأحمد ٢٣٩/٢ والشافعي ٣١/٢ وابن حبان ٤١٠٧.

(٢) هذا مرسل فهو ضعيف.

(٣) ضعيف. أخرجه البزار ٣١٧ بهذا الإسناد إلا أنه وقع في «المجمع» ١٤٥٤ «جعفر بن سليمان» بدل «حفص» لذا قال الهيثمي: جعفر بن سليمان من رجال الصحيح اهـ. والصواب أن في الإسناد حفص بن سليمان، وهو ضعيف، والراجح المرسل المتقدم. فرجال المرسل ثقات معروفون.

(٤) أخرجه البزار ٣٢٥٢ بهذا الإسناد، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٧٥٨٠: تمام بن نجيع، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره. وبقي رجاله رجال الصحيح اهـ. فالحديث فيه ضعف عتمل.

معين وضَعَفَهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالثَّسَالِيُّ، وَابْنُ عَدِيٍّ. وَرَمَاهُ ابْنُ حَبَانَ بِالْوَضْعِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَا أَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ.

[٧١٨٥] وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَلِيمَانَ الْبَغْدَادِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقُلُوبِيِّ، حَدَّثَنَا بِيَانُ بْنُ حُمْرَانَ، حَدَّثَنَا سَلَامٌ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَادَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ يَعْرِفُونَ بَنِي آدَمَ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَيَعْرِفُونَ أَعْمَالَهُمْ - فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى عَبْدٍ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ذَكَرُوهُ بَيْنَهُمْ وَسَمَّوْهُ، وَقَالُوا: أَفْلَحَ اللَّيْلَةُ فَلَانٌ، نَجَا اللَّيْلَةُ فَلَانٌ. وَإِذَا نَظَرُوا إِلَى عَبْدٍ يَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ذَكَرُوهُ بَيْنَهُمْ وَسَمَّوْهُ، وَقَالُوا: هَلَكَ اللَّيْلَةُ فَلَانٌ»^(١). ثُمَّ قَالَ الْبَزَّازُ: سَلَامٌ هَذَا، أَحْسِبُهُ سَلَامَ الْمَدَانِيِّ، وَهُوَ لَيْسَ الْحَدِيثُ.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [١٣] وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

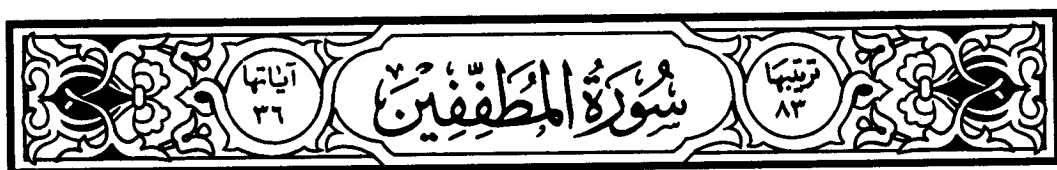
يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَالَ يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَقَابِلُوهُ بِالْمَعَاصِي. [٧١٨٦] وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجُمَةِ «مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ»، عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَارِبٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ الْأَبْرَارَ لِأَنَّهُمْ بَرَّوْا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ»^(٢). وَذَكَرَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ وَالْعَذَابِ الْمُقِيمِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [١٥]، أَي: يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْقِيَامَةِ، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [١٦]، أَي: لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَازُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [١٧]، تَعْظِيمٌ لِّشَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [١٨]. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾، أَي: لَا يَقْدِرُ وَاحِدٌ عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ وَلَا خَلَاصِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى.

[٧١٨٧] وَيَذَكِّرُهَا هُنَا حَدِيثُ: «يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آخِرِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وَكَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤]. قَالَ قَتَادَةُ: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [١٩]، وَالْأَمْرُ - اللَّهُ - الْيَوْمَ اللَّهُ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَئِذٍ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ.

آخر تفسير سورة الانفطار، والله الحمد والمِنَّة، وبه التوفيق والعصمة

(١) أخرجه البزار ٣٢١٤، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٧٦٨٩: وفيه من لم أعرفهم اهـ. فالإسناد ضعيف. وسلام هو ابن سلم، وهو متروك الحديث، راجع الميزان ٣٣٤٣، ومن دونه لا يعرف كما قال الهيثمي في «المجمع».

(٢) هشام بن عمار من رجال البخاري، ومن فوقه رجال البخاري ومسلم. وأما موسى بن محمد فهو ابن عطاء المقدسي، وقد كذبه موسى بن سهل الرملي وأبو زرعة، راجع ترجمته في «الجرح والتعديل» فالإسناد ضعيف جداً، والأشبه أنه موقوف، أو من كلام بعض المفسرين، والله أعلم.



وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْآلَمِينَ ⑥ ﴿

[٧١٨٨] قال النسائي وابن ماجه: أخبرنا محمد بن عقيل - زاد ابن ماجه: وعبد الرحمن بن بشر - قالوا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، عن يزيد - هو ابن أبي سعيد النخعي، مولى قريش - عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخيب الناس كيلاً فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ①، فَحَسِّنُوا الْكَيْلَ بعد ذلك ①.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن النضر بن حماد، حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن هلال بن طلق قال: بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت: من أحسن هيئة وأوفاه كيلاً؟ أهل مكة أو المدينة؟ قال: حق لهم، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ①.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن عبد الله المكي، عن رجل، عن عبد الله قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! إن أهل المدينة ليوفون الكيل. قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ①، حتى بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْآلَمِينَ﴾ ⑥. فالمراد بالتطفيف ها هنا: البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل، بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾، أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ③، أي: ينقصون. والأحسن أن يجعل «كالوا» و«وزنوا» متعدياً، ويكون هم في محل نصب: ومنهم من يجعلها ضميراً مؤكداً للمستتر في قوله: «كالوا» و«وزنوا»، ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وكلاهما متقارب.

وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ السِّتْرَ الَّذِي سَبَّرْتُمْ وَأَحْسِنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ⑥. وأهلك الله قوم

شُعِيبَ وَذَمَّهُمْ عَلَى مَا كَانُوا يَتَخَسُّونَ النَّاسَ فِي الْبِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، أَي: أَمَا يَخَافُ أُولَئِكَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ، فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ الْهَوْلِ، كَثِيرِ الْفَرْعِ، جَلِيلِ الْخَطْبِ، مَنْ خَسِرَ فِيهِ أَدْخَلَ نَارًا حَامِيَةً؟ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْآلَمِينَ ﴿٢﴾﴾، أَي: يَقُومُونَ خُفَاءً غُرَاءً غُرْلًا، فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرِجٍ ضَيِّقٍ ضَنْكٍ عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَعَجَّزُ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ.

[٧١٨٩] قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْآلَمِينَ ﴿١﴾﴾ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذْنِهِ^(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ، كِلَاهُمَا عَنْ نَافِعٍ، بِهِ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ أَيْضًا. وَكَذَلِكَ رَوَاهُ أَيُّوبُ وَصَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَغُبَيْدُ اللَّهِ ابْنَا عُمَرَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، بِهِ.

[٧١٩٠] وَلَفَظَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْآلَمِينَ ﴿١﴾﴾: لِعَظْمَةِ الرَّحْمَنِ - عَزَّ وَجَلَّ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنْ الْعَرَقُ لَيُلْجِمُ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ أَذَانِهِمْ^(٢).

[٧١٩١] حَدِيثٌ آخَرُ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي الْمَقْدَادُ - يَعْنِي ابْنَ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيَّ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذِنَتْ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ، حَتَّى تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ. قَالَ: فَتَضَاهُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِيْبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا^(٣)». رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ مُوسَى، عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمْرَةَ - وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ سُؤَيْدٍ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ - كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ جَابِرٍ، بِهِ.

[٧١٩٢] حَدِيثٌ آخَرُ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ: أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيَزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، تَغْلِي مِنْهَا الْهَوَامُ كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ، يَغْرَقُونَ فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبِيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقِيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسْطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ^(٤)». انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ.

[٧١٩٣] حَدِيثٌ آخَرُ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَسَنٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عُشَّانَةَ حَنِيٌّ بْنُ يُؤْمِنُ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَغْرَقُ النَّاسُ، فَيَمِنُ النَّاسُ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِيْبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٣١ ومسلم ٢٨٦٢ ح ٦٠ والتِّرْمِذِيُّ ٢٤٢٢ و٣٣٣٦ والنسائي في «التفسير» ٦٧٧ وابن ماجه ٤٢٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣١/٢ والطبري ٣٦٥٨٢ و٣٦٥٨٣، وفيه عن عنترة ابن إسحق، والحديث صحيح، لكن «لعظمة الرحمن» ملرج.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٦٤ والتِّرْمِذِيُّ ٢٤٢١ وأحمد ٣/٦ - ٤ والبيهقي ٤٣١٧ وابن حبان ٧٣٣٠.

(٤) أخرجه أحمد ٥/٢٥٤ ورجاله ثقات سوى أبي عبد الرحمن واسمه القاسم، فقد ضعفه غير واحد، وتفرّد بلفظ «تغلي منها الهوام».

يبلغ العَجَزَ، ومنهم مَنْ يبلغُ الخاصِرَةَ، ومنهم من يبلغُ مَنْكِبَيْهِ، ومنهم من يبلغُ وَسَطَ فِيهِ - وأشار بيده فآلَجَمَهَا فاه - رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُشير هكذا - «ومنهم من يُغَطِّيهِ عِرْقُهُ»، وضرب بيده إشارة^(١). انفرد به أحمد.

[٧١٩٤] وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون^(٢). وقيل: يقومون ثلاثمائة سنة. وقيل: يقومون أربعين ألف سنة، ويُقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة.

[٧١٩٥] كما في صحيح مُسلم عن أبي هُرَيْرَةَ مرفوعاً: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»^(٣).

[٧١٩٦] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عون الزبادي، أخبرنا عبد السلام بن عجلان، سمعت أبا يزيد المَدَنِي، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ لِيشير الغفاري: كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين، من أيام الدنيا، لا يأتيهم فيه خير من السماء ولا يؤمر فيه بأمر؟ قال بشير: المستعان الله. قال: فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كَرْبِ يوم القيامة، وسوء الحساب^(٤). ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام، به.

[٧١٩٧] وفي سنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة^(٥). وعن ابن مسعود: يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء، لا يكلمهم أحد، قد ألجم العرق برَّهم وفاجرهم. وعن ابن عُمر: يقومون مئة سنة. رواهما ابن جرير.

[٧١٩٨] وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه، من حديث زيد بن الحُبَاب، عن معاوية بن صالح، عن أَزْهَرَ بْنِ سَعِيدِ الْخَزَازِيِّ، عن عاصم بن حميد، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يفتح قيام الليل: يُكَبِّرُ عشراً، ويحمد عشراً، ويُسَبِّحُ عشراً، ويستغفر عشراً، ويقول: «اللهم اغفر لي واهديني، وارزقني وعافني». ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة^(٦).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٍ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا ثُلَّى عَلَيْهِ ءِثْنًا قَالَ أَسْطِيطُ الْآوَلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكْذِبُونَ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى: حَقًّا ﴿٧﴾ إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَفِي سِجِّينٍ﴾، أي: إن مصيرهم وماوهم لفي سجين - فعيل من السَّجَن، وهو الضيق - كما يقال: فُسِّقَ وَشَرِيبٌ وَخَمِيرٌ وَسَكِيرٌ، ونحو ذلك. ولهذا عَظَّمَ أمره فقال تعالى:

(١) أخرجه أحمد ١٥٧/٤ والطبراني ٨٥٥/١٧ والحاكم ٥٧١/٤ وابن حبان ٧٣٢٩، وفيه ابن لهيعة اختلط، ولكن أصل الحديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم في سورة المعارج.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٥٦٩٠ بهذا الإسناد، وفيه عبد السلام بن عجلان. قال الذهبي في «الميزان» ٥٠٥٧: قال أبو حاتم: يكتب حديثه، وتوقف غيره في الاحتجاج به. وأبو يزيد شبه مجهول.

(٥) هو عجز الآتي.

(٦) جيد. أخرجه أبو داود ٧٦٦ والنسائي ٢٠٨/٣ - ٢٠٩ و ٢٨٤/٨ وابن ماجه ١٣٥٦ وأحمد ١٤٣/٦ وابن حبان ٢٦٠٢، وإسناده حسن، ورجاله ثقات، وورد من وجه آخر بسند ضعيف، أخرجه أحمد ١٤٣/٦ والنسائي في «اليوم واللييلة» ٨٧٠.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَجِئُ﴾ أي: هو أمرٌ عظيمٌ، وسيجئُ مُقيّمٌ وعذابٌ أليمٌ. ثم قد قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة.

[٧١٩٩] وقد تقدّم في حديث البراء بن عازب، في حديثه الطويل: «يقول الله عز وجل في روح الكافر: اكتبوا كتابه في سبعين»^(١). وسبعين: هي تحت الأرض السابعة. وقيل: صخرة تحت السابعة خضراء. وقيل: بئر في جهنم. وقد روى ابن جرير في ذلك حديثاً غريباً منكراً لا يصح، فقال:

[٧٢٠٠] حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ وَهَبٍ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا مَسْعُودُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُشْكَانَ الْوَاسِطِيِّ، حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ الْوَاسِطِيُّ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صِفْوَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْقَلْبُ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مَغْطًى، وَأَمَّا سَبْعِينَ فَمَفْتُوحٌ»^(٢). والصحيح أن «سبعيناً» مأخوذ من السّجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كلّ ما تسافل منها ضاق، وكلّ ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كلّ واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كلّ واحدة أوسع من التي دونها، حتى ينتهي السفول المطلق والمحلّ الأضيّق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصيرُ الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٣) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَهَلُمُوا إِلَى صَوَابِ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [التين: ٥-٦]. وقال ما هنا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَبْعِينَ﴾^(٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَجِئُ، وهو يجمع الضيق والسّفول، كما قال تعالى: ﴿وَلِذَا أَلْفَاوُا مَكَانًا مَّعِيَةً مَقْرَرِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾^(٥) [الفرقان: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾^(٦) ليس تفسيراً لقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَجِئُ﴾^(٧)، وإنما هو تفسير لما كُتِبَ لهم من المصير إلى سبعين، أي: مرقومٌ مكتوب مفروغٌ منه، لا يُزاد فيه أحدٌ ولا يُنقصُ منه أحدٌ؛ قاله محمد بن كعب القرظي. ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَمَكِّنُ لِلْمُكْذِبِينَ﴾^(٨)، أي: إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السّجن والعذاب المُهمين. وقد تقدّم الكلام على قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ بما أغنى عن إعادته، وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار، كما يقال: ويلٌ لفلان.

[٧٢٠١] وكما جاء في المُسنَدِ والسُنَنِ من رواية بُهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ للذي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ النَّاسَ، وَيَلْ لَهُ، وَيَلْ لَهُ»^(٩). ثم قال تعالى مُفسِّراً للمُكْذِبِينَ الْفَجَارِ الْكَفَرَةَ: ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾^(١٠)، أي: لا يُصدّقون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾^(١١)، أي: مُعتدٍ في أفعاله؛ من تعاطي الحرام والمُجاوِزة في تناول المُباح، والأثيم في أقواله إن حَدَّثَ كَذِباً، وإن وَعَدَ أَخْلَفَ، وإن خَاصَمَ فَجَرَ.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُلِّلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٢)، أي: إذا سَمِعَ كلامَ الله تعالى من الرسول، يَكْذِبُ به، وَيَظُنُّ به ظَنُّ السُّوءِ، فيعتقد أنه مُفْتَعَلٌ مَجْمُوعٌ من كُتُبِ الأوائل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ لَكُمْ فَاذْكُرُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٣) [النحل: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَخِيرًا﴾^(١٤) [الفرقان: ٥]. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٥)، أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطيرُ الأولين، بل هو كلامُ الله وَوَحْيُهُ وتنزيلُهُ على

(١) تقدم في الأعراف: ٤٠.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٦٦١٤، وفيه شعيب بن صفوان، وهو منكر الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٩٠ والترمذي ٢٣١٥ والنسائي في «التفسير» ٦٧٥ وأحمد ٢/٥ و٣ والطبراني ٩٥٠ و٩٥٦ وهو

حديث حسن.

رسوله ﷺ وإنما حَجَبَ قُلُوبَهُمْ عن الإيمان به ما عليها من الرِّيب الذي قد لَيْسَ قُلُوبُهُمْ من كَثْرَةِ الذُّنُوبِ والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١). والريُّ يَعْتَرِي قُلُوبَ الكافرين، والغيمُ للأبرار، والغينُ للمقربين.

[٧٢٠٢] وقد رَوَى ابنُ جرير والترمذي والنسائي وابنُ ماجه. من طُرُقٍ، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ العبدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نَكْتَةً سوداءَ في قلبه، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١)». وقال الترمذي: «حسن صحيح». ولفظ النسائي: «إِنَّ العبدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً، فَإِنْ هُوَ تَرَعَّ واستغفر وتاب صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبُهُ، فَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١)».

[٧٢٠٣] وقال أحمد: حَدَّثَنَا صفوانُ بن عيسى، أَخْبَرَنَا ابنُ عَجْلَانَ، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نَكْتَةً سوداءَ في قلبه، فَإِنْ تَابَ وَتَرَعَّ واستغفر صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١)». وقال الحسن البصري: هو الذنبُ على الذنب، حَتَّى يَغْمَى القَلْبُ فيموت. وكذا قال مجاهد بن جبر، وقتادة، وابنُ زيد، وغيرهم. وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥)، أي: لهم يوم القيامة مَنْزِلٌ وَتُرُلٌ سَجِينٌ، ثم هم مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم. قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليلٌ على أن المؤمنين يَرُونَهُ - عز وجل - يومئذ. وهذا الذي قاله الإمام الشافعي - رحمه الله - في غاية الحسن، وهو استدلالٌ بمفهوم هذه الآية، كما دَلَّ عليه منطوقُ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ نَأْتِيهِ نَاصِيَةٌ﴾ (٢٦) [إِنَّ رَبَّكَ نَاطِقٌ] [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. وكما دَلَّتْ على ذلك الأحاديثُ الصَّحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - في الدار الآخرة، رؤيةً بالأبصار في عَرَصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة. وقد قال ابن جرير محمد بن عمار الرازي: حَدَّثَنَا أَبُو معمر المنقري، حَدَّثَنَا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبَّيد، عن الحسن بن علي، عن قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥)، قال: يُكْشَفُ الحجابُ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يُحَجَّبُ عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون. كُلُّ يَوْمٍ غُدْوَةٌ وَعَشِيَّةٌ. أو كلاماً هذا معناه. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَنَّةِ﴾ (١٦)، أي: ثم هم مع هذا الحرمانِ عن رؤية الرحمن من أهل النيران، ﴿ثُمَّ هَآؤَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ﴾ (١٧)، أي: يُقال لهم ذلك على وجه التقرُّيع والتوبيخ، والتصغير والتحقير.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّاتٍ﴾ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَّاتٌ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرَقَّوْنَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُورٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُ مِسْكِ ﴿٢٦﴾ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٨﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُرَقَّوْنَ ﴿٢٩﴾

(١) حسن. أخرجه الترمذي ٣٣٣٤ والنسائي في التفسير ٦٧٨ وفي «السنن» ٤١٨ وابن ماجه ٤٢٤٤ والطبري ٣٦٦٢٣.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٧/٢ وإسناده حسن لأجل ابن عجلان. وتقدم.

يقول تعالى: **حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِرِ﴾**، وهم بخلاف **الْفُجَّارِ**، **﴿لَقَدْ عَلَيْنَا﴾**، أي: مَصِيرُهُمْ إِلَى عَلَيْنٍ، وهو بخلاف **سَجِينٍ**. قال الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر عن **سَجِينٍ**، قال: هي الأرض السابعة، وفيها أرواح الكفار. وسأله عن **عَلَيْنٍ** فقال: هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين. وهكذا قال غير واحد: إنها السماء السابعة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: **﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِرِ لَقَدْ عَلَيْنَا﴾** (١٨)، يعني: الجنة. وفي رواية العوفي، عنه: أعمالهم في السماء عند الله. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: **﴿عَلَيْنَا﴾**: ساق العرش اليمنى. وقال غيره: **﴿عَلَيْنَا﴾** عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى. والظاهر أن **عَلَيْنَا** مأخوذ من **الْعُلُو**، وكلما علا الشيء وارتفع عَظُمَ واتَّسَعَ، ولهذا قال تعالى **﴿مُعْظَمًا أَمْرَهُ مُتَّفَعًا شَأْنَهُ﴾** (١٩) **﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيْنَا﴾** (٢٠). ثم قال تعالى مؤكداً لما كُتِبَ لهم: **﴿كِتَابُ مَرْثُومٍ﴾** (٢١) **﴿يَشْهَدُ الْقُرُونُ﴾**، وهم الملائكة، قاله قتادة. وقال العوفي، عن ابن عباس: يشهده من كل سماءٍ مَقْرَبُوهَا. ثم قال تعالى: **﴿إِنَّ الْأَنْبِرَ لَقَدْ تَمِيمٍ﴾** (٢٢)، أي: يوم القيامة هم في نعيم مُقِيمٍ، وَجَنَّاتٍ فيها فضلٌ عِيمٍ. **﴿عَلِ الْأَرْشِ﴾**، وهي: السُّرُرُ تحت الجبال، **﴿يَنْظُرُونَ﴾**، قيل: معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا يَنْقُصِي ولا يَبِيدُ. وقيل: معناه **﴿عَلِ الْأَرْشِ يَنْظُرُونَ﴾** (٢٣) إلى الله عز وجل. وهذا مقابل لما وُصِفَ به أولئك الفجار: **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾** (٢٤)، فذكر عن هؤلاء أنهم يَبَاحُونَ النظر إلى الله - عز وجل - وهم على سُرُرِهِمْ وَقُرُشِهِمْ.

[٧٢٠٤] كما تقدم في حديث ابن عمر: **﴿إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مَلِكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِي سَنَةٍ، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ﴾** (١).

وقوله تعالى: **﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَقَرَةً أَلْيَمِينِ﴾** (٢٥)، أي: تَعْرِفُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةً النعيم، أي: صِفَةُ التَّرَافَةِ وَالْجِسْمَةِ وَالسُّرُورِ وَالذِّقَّةِ وَالرَّيَاسَةِ؛ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمِ. وقوله تعالى: **﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾** (٢٦)، أي: يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ. وَالرَّحِيقُ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ. قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقاتدة، وابن زيد.

[٧٢٠٥] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا حَسَنٌ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ سَعْدِ أَبِي الْمَجَاهِدِ الطَّائِي، عَنْ عَطِيَّةِ ابْنِ سَعْدِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - أَرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: **﴿أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا شَرِبَهُ عَلَى ظَمًا سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ. وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ. وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ﴾** (٢). وقال ابن مسعود في قوله: **﴿خَتَمُهُمْ بِسُكِّ﴾**، أي: خَلَطَهُمْ بِسُكِّ. وقال العوفي، عن ابن عباس: طَبَّبَ اللَّهُ لَهُمُ الْخَمْرَ، فَكَانَ آخِرُ شَيْءٍ جُعِلَ فِيهَا مَسْكٌ، خَتَمَ بِمَسْكٍ. وكذا قال قتادة، والضحاك. وقال إبراهيم والحسن: **﴿خَتَمُهُمْ بِسُكِّ﴾**، أي: عَاقِبَتُهُ بِسُكِّ.

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ

(١) إسناده ضعيف، وقد تقدم.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٤٩ وأحمد ١٣/٣، وإسناده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي. وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وقد روي موقوفاً على أبي سعيد، وهو أصح، وأشبهه به وأخرجه أبو داود ١٦٨٢ من وجه آخر، وفيه أبو خالد الدالاني، وهو غير قوي، لكن يصلح للاعتبار. فالحديث حسن إن شاء الله. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الخواص» ٣٠ و ٣١ عن ابن مسعود موقوفاً ومثله لا يقال بالراي.

عبد الرحمن بن سابط، عن أبي الدرداء: ﴿خَتَمْتُ مِسْكَ﴾، قال: شراب أبيض مثل الفضة، يَخْتِمُونَ به شرابهم. ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل إصبغ فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها. وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿خَتَمْتُ مِسْكَ﴾. قال: طيبه مِسْكَ. وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، أي: وفي مثل هذا الحال فليتنافس المتنافسون، وليتباهى ويكاثِر ويستبق إلى مثله المُستَبِقُونَ. كقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِلْ هَذَا فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَيَزَالُ مِنْ تَنْنِيمٍ﴾، أي: ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تننيم، أي: من شراب يقال له تننيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه. قاله أبو صالح والضحاك. ولهذا قال: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، أي: يشربها المقربون صِرْفًا، وتمزج لأصحاب اليمين. قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، وقتادة، وغيرهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يُخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، أي: يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم، أي: محتقرين لهم، ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١)، أي: وإذا انقلب، أي: رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم، انقلبوا إليها فاكهين، أي: مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ (٣٦)، أي: لكونهم على غير دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ (٣٣)، أي: وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم، ولا كلّفوا بهم، فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نُصْبَ أعينهم؟ كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْفُسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ (٣٨) إِنَّكُمْ كَانْتُمْ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّخَذْتُمُ يَهُودِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ ضَبْحَكُونَ ﴿١٠٩﴾ إِلَىٰ جَزَائِهِمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [المؤمنون: ١٠٨ - ١١١]. ولهذا قال ما هنا: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾. أي: في مقابلة ما ضحك بهم أولئك، ﴿عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥)، أي: إلى الله - عز وجل - في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، وليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته. وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)، أي: هل جُوزي الكفار على ما كانوا يُقَابِلُونَ به المؤمنين من الاستهزاء والتقصص أم لا؟ يعني: قد جُوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله.

آخر تفسير سورة المطففين، والله الحمد والمنّة



وهي مكئية

[٧٢٠٦] قال مالك، عن عبد الله بن يزيد، عن أبي سلمة: أَنَّ أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها^(١). رواه مسلم والنسائي، من طريق مالك، به.

[٧٢٠٧] وقال البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو الثُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَكْرِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ، قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ^(٢). ورواه أيضاً عن مُسَدَّدٍ، عَنْ مُعْتَمِرٍ، بِهِ. ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ مُسَدَّدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، عَنِ الثَّيْمِيِّ، عَنْ بَكْرِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، فَذَكَرَهُ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ طَرْخَانَ الثَّيْمِيِّ، بِهِ.

[٧٢٠٨] وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السَّنَنِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ - زَادَ النَّسَائِيُّ: وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ - كِلَاهُمَا عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَجَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، وَ «أَقْرَأَ بِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»^(٣) [العلق: ١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ⑤ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِسْمِئِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَنُقَلِّبُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ⑭ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮﴾

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①﴾، وذلك يوم القيامة، ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا ②﴾، أي: استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق ﴿وَحُفَّتْ ③﴾، أي: وحق لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٥٧٨ ح ١٠٧ والنسائي في «التفسير» ٦٨٠ وفي «السنن» ٩٦١.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١٠٧٨ ومسلم ٥٧٨ ح ١١ وأبو داود ١٤٠٨ والنسائي ١٦١/٢.

(٣) والحديث صحيح. أخرجه مسلم ٥٧٨ ح ١٠٨ وأبو داود ١٤٠٧ والنسائي ١٦٢/٢ والترمذي ٥٧٣ وابن ماجه ١٠٥٨ وابن حبان ٢٧٦٧.

يُغَالِبُ، بل قد قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ. ثم قال: ﴿وَلَا الْأَرْضُ مَدَدَتْ﴾، أي: بُسِطَتْ وَفُرِشَتْ وَوُسِّعَتْ.

[٧٢٠٩] قال ابن جرير رحمه الله: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَيْمِ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى، وَجَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَاللَّهُ مَا رَأَاهُ قَبْلَهَا، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «صَدَقَ». ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! عِبَادُكَ عَبْدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ. قَالَ: وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، أي: أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ. قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدٌ، وَقَتَادَةُ. «وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ»^(٢). كَمَا تَقَدَّمُ. وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾، أي: إِنَّكَ سَاعَ إِلَى رَبِّكَ سَعِيًّا، وَعَامِلٌ عَمَلًا، «فَتَلْقِيهِ»، ثُمَّ إِنَّكَ سَتَلْقَى مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ.

[٧٢١٠] مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي الزَّبِيرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ جَبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ»^(٣). وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِيدُ الضَّمِيرَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّكَ﴾، أَي: فَمُلَاقِ رَبِّكَ، وَمَعْنَاهُ: فَيُجَازِيكَ بِعَمَلِكَ وَيُكَافِئُكَ عَلَى سَعْيِكَ. وَعَلَى هَذَا فَكَلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَازِمٌ. قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾، يَقُولُ: تَعْمَلُ عَمَلًا تَلْقَى اللَّهَ بِهِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾: إِنْ كَذَحَكَ - يَابْنَ آدَمَ - لَضَعِيفٌ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ كَدْحُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَجُاسِبُ ۖ وَسُكَّابًا يَسِيرًا﴾، أَي: سَهْلًا بِلَا تَفْسِيرٍ، أَي: لَا يُحَقِّقُ عَلَيْهِ جَمِيعَ دَقَائِقِ أَعْمَالِهِ؛ فَإِنْ مِنْ حُوسَبَ كَذَلِكَ يَهْلِكُ لَا مُحَالَةً.

[٧٢١١] قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَجُاسِبُ ۖ وَسُكَّابًا يَسِيرًا﴾^(٤)؟ قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالْحِسَابِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْعَرَضُ، مِنْ تُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) أخرجه الطبري ٣٦٧٢٥ عن علي بن الحسين، وهو زين العابدين رضي الله عنه، وهذا مرسل، وللحديث شواهد كثيرة سوى لفظ «والله ما رآه قبلها».

(٢) أخرجه الطيالسي ١٧٥٥ والبيهقي في «الشعب» ١٠٥٤٠، وإسناده ضعيف لأجل الحسن بن أبي جعفر، وورد من وجه آخر أخرجه البيهقي ١٠٥٤٠ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١٠٨/٢ من حديث سهل بن سعد. وأخرجه الحاكم ٣٢٥/٤ والبيهقي ١٠٥٤٢ عن ابن عمر أو عن سهل بن سعد. وصححه الحاكم! وسكت الذهبي! ومداره على زافر بن سليمان، وقال ابن الجوزي: قال ابن عدي: لا يتابع على عامة ما يرويه. قال ابن الجوزي: وفيه محمد بن حميد. وقد كذب أبو زرعة وأبو داود أهد قلت: تابعه عيسى بن صبيح عند الحاكم، وزافر بن سليمان وثقه غير واحد. ونقل السيوطي في «اللائل» ٣٠/٢ عن ابن حجر قوله: صححه الحاكم، ورواه ابن الجوزي واتهم به محمد بن حميد، أو زافر - بن سليمان - ومحمد توبع، وزافر لم يتهم بكذب. والصواب أنه لا يحكم عليه بالوضع ولا بالصحة، ولو توبع لكان حسنًا أهد قلت تقدم أنه تابعه غير واحد ومن ذلك حديث جابر، وورد من حديث الحسن بن علي أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢٠٢/٣ وإسناده ضعيف. فهذا حديث حسن، أو يشبه الحسن، والله أعلم.

عُذِبُ»^(١). وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، من حديث أيوب السخيتاني، به.

[٧٢١٢] وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْخَزَّازُ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مُعَذَّبًا». فَقُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: «فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حَسَابًا بَصِيرًا»^(٨)، قَالَ: «ذَاكَ الْعَرْضُ، إِنَّهُ مِنْ تَوْقِشِ الْحَسَابِ عُذْبٌ»، وَقَالَ بِيَدِهِ عَلَى إصْبَعِهِ كَأَنَّهُ يَنْكُثُ^(٢). وَقَدْ رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَدِيٍّ، عَنْ أَبِي يُونُسَ الْقَشِيرِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ. أَخْرَجَاهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي يُونُسَ الْقَشِيرِيِّ، وَاسْمُهُ حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، بِهِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ الْحَرِشِ بْنِ الْخَرِثِ أَخِي الزَّبِيرِ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مِنْ تَوْقِشِ الْحَسَابِ - أَوْ: مِنْ حُوسِبٍ - عُذْبٌ. قَالَ: ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّمَا الْحَسَابُ الْيَسِيرُ عَرْضُ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ يَرَاهُمْ.

[٧٢١٣] وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، عَنْ عُبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبِنِي حَسَابًا يَسِيرًا». فَلَمَّا أَنْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْحَسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يُنْظَرَ فِي كِتَابِهِ فَيُتَجَاوَزَ لَهُ عَنْهُ، إِنَّهُ مِنْ تَوْقِشِ الْحَسَابِ - يَا عَائِشَةُ - يَوْمَئِذٍ هَلْكَ»^(٣). صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقْلِبُ إِلَهُ أَهْلِيهِ مَسْرُورًا﴾^(٤)، أَي: وَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ. قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، ﴿مَسْرُورًا﴾، أَي: فَرِحَانٌ مُغْتَبِطٌ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ثَوْبَانَ - مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالًا لَا تَعْرِفُ، وَيُوشِكُ الْغَائِبُ أَنْ يَثُوبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَمَسْرُورٌ وَمَكْظُومٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾^(٥)، أَي: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، ثَنَّى يَدَهُ إِلَى وَرَائِهِ وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِهَا كَذَلِكَ، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾^(٦)، أَي: خَسَارًا وَهَلَاكًا، ﴿وَيَصَلَّى سَعِيرًا﴾^(٧)، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِيهِ مَسْرُورًا، أَي: فَرِحًا لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ، وَلَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الْفَرَحُ الْيَسِيرُ الْحَزْنَ الطَّوِيلَ، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(٨)، أَي: كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَلَا يُعِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمَا، وَالْحَوُورُ: هُوَ الرَّجُوعُ. قَالَ اللَّهُ: ﴿يَنْ لَنْ رَيْتُكَ كَانَ يَوْمَ بَصِيرًا﴾^(٩)، يَعْنِي: بَلَى سَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا بَدَأَهُ، وَيُجَاوِزُهُ عَلَى أَعْمَالِهِ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، فَإِنَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا، أَي: عَلِيمًا خَبِيرًا.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾^(١٠) وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقَ^(١١) وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَقَى^(١٢) لَتَرَكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ^(١٣) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١٤) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ^(١٥) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ^(١٦) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٩ و ٦٥٣٦ و مسلم ٢٨٧٦ ح ٧٩ و الترمذي ٣٣٣٧ و النسائي في «التفسير» ٦٧٩، وأحمد ١٢٧/٦، والطبري ٣٦٧٣٦.

(٢) أخرجه الطبري ٣٦٧٣٧ وإسناده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، لكن أخرجه البخاري ٤٩٣٩ و مسلم ٢٨٧٦ ح ٨٠ من طريق أبي يونس القشيري.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٤٨/٦ والطبري ٣٦٧٣٣ والحاكم ٥٧/١ و ٢٥٥ و ٢٤٩/٤ وابن حبان ٧٣٧٢ وإسناده قوي، وقد صرح ابن اسحق بالتحديث لكن ما روى له مسلم في الأصول، إنما روى له متابعة، وله شواهد.

يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

رُوي عن علي، وابن عباس، وعُبادة بن الصامت، وأبي هُرَيْرَةَ، وشَدَادِ بن أَوْس، وابن عُمر، ومحمد بن علي بن الحسين، ومكحول، وبكر بن عبد الله المزني، ويُكَيْر بن الأشج، ومالك، وابن أبي ذئب، وعبد العزيز بن أبي سَلَمَةَ الماحِشُونَ أنهم قالوا: الشفق: الحُمرة. وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خُثَيْم، عن ابن لُبَيْبة، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: الشفقُ البياضُ. فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس - كما قاله مجاهد - وإما بعد غروبها - كما هو معروف عند أهل اللغة. قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحُمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفقُ. وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وخمرتها في أول الليل إلى قريب من العَتَمَةِ. وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

[٧٢١٤] وفي صحيح مُسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وقت المغرب ما لم يَغِبِ الشَّفَقُ»^(١). ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل. ولكن صَحَّ عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: «فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾»: هو النهار كله. وفي رواية عنه أيضاً أنه قال: الشفقُ الشمسُ. رواهما ابن أبي حاتم. وإنما حمّله على هذا قرأته بقوله تعالى: «وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾»، أي: جَمَعَ. كأنه أقسم بالضياء والظلام.

وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً، وبالليل مقبلاً. قال ابن جرير: وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض. وقالوا: هو من الأضداد. قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة: «وَمَا وَسَقَ»: وما جَمَعَ. قال قتادة: وما جَمَعَ من نجم ودابة. واستشهد ابن عباس بقول الشاعر:

مُسْتَوِيسَاتٍ لَوْ يَجِدُنَّ سَائِقًا

وقال عكرمة: «وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾»، يقول: ما ساق من ظلمة، إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه. وقوله تعالى: «وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾»، قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبّير، ومسروق، وأبو صالح، والضحاك، وابن زيد: «وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾»: إذا استوى. وقال الحسن: إذا اجتمع، إذا امتلا. وقال قتادة: إذا استدار. ومعنى كلامهم: أنه إذا تكامل ثوره وأبدَرَ، جعله مقابلاً لليل وما وَسَقَ. وقوله تعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾».

[٧٢١٥] قال البخاري: أخبرنا سعيد بن النضر، أخبرنا هُثَيْم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد قال: قال ابن عباس: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾»: حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ^(٢). هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ، وهو مُحْتَمِل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ كأنه قال: سَمِعْتُ هذا من نبيكم ﷺ، فيكون قوله «نبيكم» مرفوعاً على الفاعلية من «قال» وهو الأظهر، والله أعلم.

[٧٢١٦] كما قال أنس: «لا يأتي عام إلا والذي بعده شرُّ منه»، سَمِعْتُه من نبيكم ﷺ^(٣).

(١) صحيح. أخرجه مسلم ح ١٧٣.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٠.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٠٦٨ والترمذي ٢٢٠٧ وأحمد ١٧٩/٣ وأبو يعلى ٤٠٣٧.

[٧٢١٧] وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَشَرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)، قال: يعني: نَبِيَّكُمْ ﷺ، يقول: حالاً بعد حال^(١). هذا لفظه. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال. وكذا قال عكرمة، ومُرة الطَّيِّبُ، ومجاهد، والحسن، والضحاك. ويحتمل أن يكون المراد: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩): حالاً بعد حال. قال: هذا... يعني المراد بهذا: نبيكم ﷺ فيكون مرفوعاً على أن «هذا» و«نبيكم» يكونان مبتدأ وخبراً، والله أعلم. ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة، كما قال أبو داود الطيالسي وغندر: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بَشَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)، قال: محمد ﷺ. ويؤيد هذا المعنى قراءة عُمَرُ، وابن مسعود، وابن عباس، وعائِةُ أهْلِ مَكَّةَ والكوفة: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح التاء والباء.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجُ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)، قال: لَتَرْكَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ سَمَاءَ بَعْدَ سَمَاءٍ. هكذا زُيِّدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمَسْرُوقٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: سَمَاءَ بَعْدَ سَمَاءٍ. قلت: يعنون ليلة الإسراء. وقال أبو إسحاق، والسُّدِّيُّ، عَنْ زُجَلٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، مَنَزِلًا عَلَى مَنَزِلٍ، وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس مثله، وزاد: «ويقال: أمراً بعد أمرٍ، وحالاً بعد حالٍ». وقال السُّدِّيُّ نفسه: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩): أَعْمَالٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ مَنَزِلًا عَنْ مَنَزِلٍ.

[٧٢١٨] قلت: كأنه أراد معنى الحديث الصحيح: ﴿لَتَرْكَبَنَّ سَنَنٌ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذَوُ الْفُتَّةِ بِالْفُتَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ﴾. قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟^(٢). وهذا مُحْتَمَلٌ.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ: أَنَّهُ سَمِعَ مَكْحُولًا يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)، قال: فِي كُلِّ عَشْرِينَ سَنَةً تُحَدِّثُونَ أَمْرًا لَمْ تَكُونُوا عَلَيْهِ. وقال الأعمش: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)، قال: السماء تنشق ثم تَحْمَرُّ، ثم تكون لوناً بعد لونٍ. وقال الثوري، عن قيس بن وهب، عن مُرة، عن ابن مسعود: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قال: السماء مرة كالدَّهَانِ، ومُرة تَنَشَقُّ. وروى البزار من طريق جابر الجعفي، عن الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)، يا محمد، يعني: حالاً بعد حالٍ. ثم قال: وَرَوَاهُ جَابِرٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وقال سعيد بن جُبَيْرٍ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)، قال: قَوْمٌ كَانُوا فِي الدُّنْيَا خَبِيسَ أَمْرِهِمْ، فَارْتَفَعُوا فِي الْآخِرَةِ. وَآخَرُونَ كَانُوا أَشْرَافًا فِي الدُّنْيَا، فَانْضَعُوا فِي الْآخِرَةِ. وقال عكرمة: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حالٍ، فطَيْمًا بعد ما كان رَضِيْعًا، وشَيْخًا بعد ما كان شَابًّا. وقال الحسن البصري: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، يقول: حالاً بعد حالٍ، رخاء بعد شِدَّةٍ، وشِدَّةٌ بعد رخاءٍ، وَغَنًى بعد فقرٍ، وفقرٌ بعد غنى، وصِحَّةٌ بعد سَقَمٍ، وَسَقَمٌ بعد صِحَّةٍ.

[٧٢١٩] وقال ابن أبي حاتم: ذُكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَاهِرٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمِيرٍ، عَنْ جَابِرٍ - هُوَ الْجُعْفِيُّ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَفِي

(١) صحيح. أخرجه الطبري ٣٦٧٩٠ وإسناده على شرط الصحيح.

(٢) تقدم تحريمه، وهو صحيح.

عَفَلَةٍ مَّا خُلِقَ لَهُ؛ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ خَلْقَهُ قَالَ لِلْمَلِكِ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، اكْتُبْ أَجَلَهُ، اكْتُبْ أَثَرَهُ، اكْتُبْ شَقِيئًا أَوْ سَعِيدًا. ثُمَّ يَرْتَفِعُ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَيُبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَحْفَظُهُ حَتَّى يَدْرِكَ، ثُمَّ يَرْتَفِعُ ذَلِكَ الْمَلِكُ، ثُمَّ يُوَكَّلُ اللَّهُ بِهِ مَلَكَ يَكْتَبُ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَإِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ارْتَفَعَ ذَايِكَ الْمَلِكُ، وَجَاءَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ فَقَبِضَ رُوحَهُ، فَإِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ رَدَّ الرُّوحَ فِي جَسَدِهِ. ثُمَّ ارْتَفَعَ مَلِكُ الْمَوْتِ وَجَاءَهُ مَلِكُ الْقَبْرِ فامْتَحَنَاهُ. ثُمَّ يَرْتَفِعَان، فَإِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ انْحَطَّ عَلَيْهِ مَلِكُ الْحَسَنَاتِ وَمَلِكُ السَّيِّئَاتِ، فَانْتَشَطَا كِتَابًا مَعْقُودًا فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ حَضَرَا مَعَهُ: وَاحِدًا سَائِقًا وَآخَرَ شَهِيدًا، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي عَفْوٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق: ٢٢]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (١٩). قَالَ: «حَالًا بَعْدَ حَالٍ». ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ قُدِّمَ لَكُمْ لَأَمْرًا عَظِيمًا لَا تَقْدِرُونَهُ، فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ» (١). هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وَإِسْنَادُهُ فِيهِ ضَعْفٌ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بَعْدَ مَا حَكَى أَقْوَالَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْقُرَاءَةِ وَالْمُفَسِّرِينَ: وَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: لَتَرْكَبَنَّ أَنْتَ - يَا مُحَمَّدٌ - حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ. وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ - وَإِنْ كَانَ الْخُطَابُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمِيعُ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالَ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُوا﴾ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ، أي: فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟! وَمَا لَهُمْ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ وَكَلَامُهُ - وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ - لَا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا واحترامًا؟! وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٢١)، أي: مِنْ سَجِيئَتِهِمُ التَّكْذِيبُ وَالْعِنَادُ وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَقِّ. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٢٢)، قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ. ﴿فَيَبْخِرُهُمْ بِعَذَابٍ آلِيمٍ﴾ (٢٣)، أي: فَأَخْبِرُهُمْ - يَا مُحَمَّدُ - بِأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، يَعْنِي: لَكِنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا، أَيْ بَقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾، أي: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. ﴿غَيْرِ مَتَّوِّينَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرِ مَنْقُوصٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ: غَيْرُ مُحْسُوبٍ. وَحَاصِلُ قَوْلِهِمَا: أَنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَطَاةٌ غَيْرَ تَجَدُّوفٍ﴾ [هُود: ١٠٨]. وَقَالَ السُّدِّيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿غَيْرِ مَتَّوِّينَ﴾: غَيْرِ مَنْقُوصٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿غَيْرِ مَتَّوِّينَ﴾ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا الْقَوْلُ الْآخَرُ عَنْ بَعْضِهِمْ قَدْ أَنْكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ الْمُنَّةُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ حَالٍ وَأَن وَلِحِظَةٍ، وَإِنَّمَا دَخُولُهَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ لَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَلَهُ عَلَيْهِمُ الْمُنَّةُ دَائِمًا سَرْمَدًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ أَبَدًا، وَلِهَذَا يُلْهَمُونَ تَسْبِيحَهُ وَتَحْمِيدَهُ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ: ﴿وَمَا آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

آخر تفسير سورة الانشقاق، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة

(١) ضعيف جداً. فيه عمرو بن شمر الجعفي وهو متروك الحديث، وشيخه جابر هو ابن يزيد الجعفي، وهو متروك أيضاً، ولبعضه شواهد، وبعضه غريب جداً؛ ولعله موضوع.



وهي مكية

[٧٢٢٠] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا زُرَيْقُ بْنُ أَبِي سَلَمَى، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُهْزَمِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ^(١).
[٧٢٢١] وقال أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ عِبَادِ السُّدُوسِيِّ، سَمِعْتُ أَبَا الْمُهْزَمِ يَحْدُثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ يَقْرَأَ بِالسَّمَوَاتِ فِي الْعِشَاءِ^(٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١﴾ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ٢﴾ وَشَاهِدٍ مَشْهُودٍ ٣﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧﴾ وَمَا نَفْعُ مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَبْتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١٠﴾

يقسم تعالى بالسَّما والبروجا، وهي: النجوم العظام. كما تقدّم بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ١١﴾ [الفرقان: ٦١]. قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي: البروج النجوم. وعن مجاهد أيضاً: البروج التي فيها الحرس. وقال يحيى ابن رافع: البروج: قُصُورُ فِي السَّمَاءِ. وقال المنهال بن عمرو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١﴾: الْخَلْقُ الْحَسَنُ. واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر بُرجاً، تسيّر الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد يومين وثلاثاً، فذلك ثمانية وعشرون منزلةً، وَيُسْتَسِيرُ لَيْلَتَيْنِ. وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ٢﴾: اختلف المفسرون في ذلك.

[٧٢٢٢] وقد قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو الْعَزِّي، حَدَّثَنَا عُبيد الله - يعني ابن موسى - حَدَّثَنَا موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ٢﴾: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿وَشَاهِدٍ ٣﴾: يَوْمُ الْجُمُعَةِ. وَمَا

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ وإسناده ضعيف فيه أبو المهزم. قال الهيثمي في «المجمع» ٢٧٠٦: ضعفه شعبة وابن المديني وأبو زرعة والنسائي. وقال أحمد: ما أقرب حديثه له وقال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك.

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٧/٢، وهو ضعيف كسابقه. والمقصود: السور التي في مطلعها ذكر «السما» وهي: الانفطار والانشقاق والبروج والطارق.

طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُّ فِيهَا مَنْ شَرًّا إِلَّا أَعَادَهُ، ﴿وَمَشْهُورٌ﴾: يَوْمَ عَرَفَةَ^(١). وهكذا رَوَى هذا الحديث ابنُ خُرَيْمَةَ مِنْ طَرُقٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ الرِّبَازِيِّ - وَهُوَ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ - وَقَدْ رَوَى مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ أَشْبَهُ.

[٧٢٢٣] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ زَيْدٍ وَيُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ يَحْدِثَانِ عَنْ عَمَّارٍ - مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - أَمَا عَلِيٌّ فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَا يُونُسُ فَلَمْ يَعُدْ أَبَا هُرَيْرَةَ - أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَشَاهِدٌ وَمَشْهُورٌ﴾^(٢) قَالَ: يَعْنِي الشَّاهِدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمَ مَشْهُودِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٣). وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يُونُسَ، سَمِعْتُ عَمَّارًا مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَشَاهِدٌ وَمَشْهُورٌ﴾^(٤)، قَالَ: الشَّاهِدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالْمَوْعُودُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَلَمْ أَرَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَحْمَدُ.

[٧٢٢٤] ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا ضَمْضَمُ بْنُ زُرْعَةَ، عَنْ شَرِيحِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الشَّاهِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ الْمَشْهُودَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ ذَخَرَهُ اللَّهُ لَنَا»^(٥).

[٧٢٢٥] ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فَيْدِيكٍ، عَنْ ابْنِ خُرَيْمَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ سَيِّدَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الشَّاهِدُ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمَ عَرَفَةَ»^(٦). وَهَذَا مُرْسَلٌ مِنْ مَرَاثِلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ الْمَكِّيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الشَّاهِدُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: «ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ الْآلَاءُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ» [هود: ١٠٣]. وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَغِيرَةَ، عَنْ شَبَّاحٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَنْ: ﴿وَشَاهِدٌ وَمَشْهُورٌ﴾^(٧) قَالَ: سَأَلْتَ أَحَدًا قَبْلِي؟ قَالَ: نَعَمْ، سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَا: يَوْمُ الذَّبْحِ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ. فَقَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الشَّاهِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ: ثُمَّ قَرَأَ: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا»^(٨) [النساء: ٤١]، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: «ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ الْآلَاءُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ».

(١) فِيهِ مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ الرِّبَازِيِّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ رَوَى مَنَاكِيرَ كَثِيرَةً. وَأَصْلُ الْحَدِيثِ عَفْوَظٌ، وَالْوَهْنُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَتَيْنِ، وَلَاجِلَ ذَلِكَ ضَعُفَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَصَوَّبَ الْوَقْفَ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢٩٨/٢ وَالرَّاجِحُ وَقْفُهُ، رَفَعَهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ بْنُ جَدْعَانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَخَالَفَهُ يُونُسُ، وَهُوَ ثِقَةٌ فَرَفَعَهُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ أَصَحُّ. وَقَدْ أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٦٨٣٨ عَنْ يُونُسَ عَنْ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَوْقُوفًا، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٦٨٤٠ وَ ٣٦٨٥٢ وَ الطَّبْرَانِيُّ ٣٤٥٨، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لَهُ عِلَتَانِ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ ضَعُفَهُ الْجُمْهُورُ، وَهُوَ مُنْقَطِعٌ بَيْنَ شَرِيحِ بْنِ عُبَيْدٍ وَأَبِي مَالِكٍ. وَأَعْلَاهُ الْهَيْشَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ١٤٤٨٠ بَضْعُفَ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ فَقَطْ.

(٤) ضَعِيفٌ. أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٦٨٥٠ عَنْ ابْنِ السَّيِّبِ مُرْسَلًا، وَمَرَاثِلُ ابْنِ السَّيِّبِ قَوِيَّةٌ، لَكِنْ كَرَّرَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٦٨٥٣ وَ ٣٦٨٥٧ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، وَالثَّوْرِيُّ أَحْفَظُ مِنْ ابْنِ أَبِي فَيْدِيكٍ وَالْأَشْبَهُ فِي هَذَا وَأَمثالُهُ الْوَقْفُ عَلَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ، أَوْ عَلَى بَعْضِ التَّابِعِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهكذا قال الحسن البصري. وقال سفيان الثوري، عن ابن خزيمة، عن سعيد بن المسيب: «وَشَاهِدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وقال مجاهد، وعكرمة، والضحاك: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة. وعن عكرمة أيضاً: الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الشاهد الله، والمشهود يوم القيامة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن أبي يحيى القنات، عن مجاهد، عن ابن عباس: «وَشَاهِدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قال: الشاهد الإنسان. والمشهود يوم الجمعة. هكذا رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن ابن عباس: «وَشَاهِدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، الشاهد: يوم عرفة، والمشهود يوم القيامة. وبه عن سفيان - هو الثوري - عن مغيرة، عن إبراهيم قال: يوم الذبح، ويوم عرفة، يعني الشاهد والمشهود. قال ابن جرير: وقال آخرون: المشهود يوم الجمعة.

[٧٢٢٦] وَرَوَا فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي عُمِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن، عن عباد بن نسي، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١). وعن سعيد بن جبير: الشاهد الله، وتلا: «وَكَلَّمَ اللَّهُ شَيْدَا» [النساء: ٧٩]. والمشهود نحن. حكاه البغوي، وقال: الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة.

وقوله تعالى: «قِيلَ أَتَسْتَبِئُونَ الْأُنْثَىٰ»^(٢)، أي: لئن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد، وهي الحفيرة في الأرض. وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله - عز وجل - فقهرهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقتلهم فيها، ولهذا قال تعالى: «قِيلَ أَتَسْتَبِئُونَ الْأُنْثَىٰ ذَاتَ الْوَقْدِ»^(٣) إِذْ هِيَ عَلَيْهَا مَوْءٌ^(٤) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ^(٥)، أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين. قال الله تعالى: «وَمَا تَقْصُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»^(٦)، أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا لإيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لا يحبنا به، المنيع الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به، فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس.

ثم قال تعالى: «أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»^(٧)، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، «وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^(٨)، أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض، ولا تخفى عليه خافية. وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة، من هم؟ فتن علي - رضي الله عنه - أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليه علماءهم، فعمد إلى حفرة أخدود فقتل فيه من أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين، فخذوا لهم الأخاديد،

(١) أخرجه الطبري ٣٦٨٧، وفيه زيد بن أيمن، قال الذهبي في «الميزان» ٢٩٩١: روى عنه سعيد بن أبي هلال فقط، لكن ذكره ابن حبان في الثقات على قاعدته اهـ أي في توثيقه للمجاهيل. وقال عنه الحافظ في «التقريب» مقبول. أي حيث يتابع، وله علة ثانية، أحد بن عبد الرحمن ابن أخي عبد الله بن وهب ضعيف الحديث. وفي الباب أحاديث تشهد لصدره.

وأحرقوهم فيها. وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة، واحدُهم حَبَشِيٌّ. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَصْحَبَ الْأَخْدُودَ﴾ ① التَّارِ ذَاتِ الْوُؤُودِ ②، قال: ناسٌ من بني إسرائيل، خَدُّوا أَخْدُوداً فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهِ نَاراً، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ الْأَخْدُودِ رَجَالاً وَنِسَاءً، فَعُرِضُوا عَلَيْهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ. وهكذا قال الضَّحَّاكُ بْنُ مَرْحَمٍ، وقيل غير ذلك.

[٧٢٢٧] وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَفَانٌ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِرُ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ سِنِّي وَخَضِرَ أَجْلِي، فَادْفَعْ إِلَيَّ غُلَاماً فَأَعْلَمَهُ السَّحْرَ. فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَاماً فَكَانَ يُعَلِّمُهُ السَّحْرَ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ رَاهِبٌ، فَأَتَى الْغُلَامُ عَلَى الرَّاهِبِ فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ، فَأَعْجِبَهُ نَحْوَهُ وَكَلَامَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرِبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ السَّاحِرُ أَنْ يَضْرِبَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا أَرَادَ أَهْلُكَ أَنْ يَضْرِبُوكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ فَظِيعةٌ عَظِيمَةٌ، قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ أَمْرَ الرَّاهِبِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَمْ أَمْرُ السَّاحِرِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضِي مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَجُوزَ النَّاسُ. وَزَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ. فَأَخْبَرَ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَإِنَّكَ سَبَّحْتَنِي، فَإِنْ ابْتَلَيْتَ فَلَا تُدَلُّ عَلَيَّ. فَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ وَيَشْفِيهِمْ، وَكَانَ جَلِيسَ الْمَلِكِ فَعَمِيَ، فَسَمِعَ بِهِ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: اشْفِنِي وَلَكَ مَا هُنَا أَجْمَعُ. فَقَالَ: مَا أَنَا أَشْفِي أَحداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ آمَنْتَ بِهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَأَمَّنَ قَدْعَا اللَّهُ فَشَفَاهُ. ثُمَّ أَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ مِنْهُ نَحْوَ مَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا فُلَانُ، مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ فَقَالَ: رَبِّي؟ فَقَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيُّ بَنِي، بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ أَنْ تُبْرِئَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَهَذِهِ الْأَدْوَاءُ؟! قَالَ: مَا أَشْفِي أَنَا أَحداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَوَّلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ أَيْضاً بِالْعَذَابِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَتَى بِالرَّاهِبِ فَقَالَ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ. فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاقُهُ، وَقَالَ لِلْأَعْمَى: ارْجِعْ عَن دِينِكَ. فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاقُهُ إِلَى الْأَرْضِ. وَقَالَ لِلْغُلَامِ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ. فَأَبَى، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: إِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا قَدْ هَدَيْتُمُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا عَلَوْا بِهِ الْجَبَلَ قَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَزَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَذَهَبُوا أَجْمَعُونَ. وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمْ اللَّهُ. فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ فِي قُرُورٍ فَقَالَ: إِذَا لَجَجْتُمْ بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَعَرِّثُوهُ فِي الْبَحْرِ. فَلَجَجُوا بِهِ الْبَحْرَ فَقَالَ الْغُلَامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَعَرِّقُوا أَجْمَعُونَ، وَجَاءَ الْغُلَامُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمْ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ مَا أَمْرُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي، وَإِلَّا فَاِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ قَتْلِي. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجَمُّعُ النَّاسِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ تَضْلِيلِي عَلَى جَذَعٍ وَتَأْخُذُ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ قُلْ: «بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ»، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. ففعل، ووضع السهم في كَبِدِ قَوْسِهِ ثُمَّ رَمَاهُ، وَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ»، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى مَوْضِعِ السَّهْمِ وَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَذِّرُ؟ فَقَدْ - وَاللَّهِ - نَزَلَ بِكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ. فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السُّكَّ فَخُدَّتْ فِيهَا الْأَخَادِيدُ، وَأُضْهِمَتْ فِيهَا النَّيْرَانُ، وَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ

فَدَعُوهُ وَلَا فَاقِجْمُوهُ فِيهَا. قَالَ: فَكَانُوا يَتَعَادُونَ فِيهَا وَيَتَدَافَعُونَ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ بَابِن لَهَا تُرَضِعُهُ، فَكَانَهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي النَّارِ، فَقَالَ الصَّبِي: اصْبِرِي يَا أُمَاهُ، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ^(١). وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هُذَيْبَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ نَحْوَهُ. ورواه النَّسَائِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَلِيمَانَ، عَنْ عَفَّانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَمِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، كِلَاهُمَا عَنْ ثَابِتٍ، بِهِ وَاخْتَصَرُوا أَوَّلَهُ.

[٧٢٢٨] وَقَدْ جَوَّدَهُ الْإِمَامُ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ، فَرَوَاهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ غِيلَانَ وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ - الْمَعْنَى وَاحِدٌ - قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ثَابِتِ الْبَتَّانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ هَمَسَ - وَالْهَمَسُ فِي بَعْضِ قَوْلِهِمْ: تَحْرِيكُ شَفْتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ - فَقِيلَ لَهُ: - يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّيْتَ الْعَصْرَ هَمَسْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأُمَّتِي فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لَهْؤُلَاءِ؟! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيَّرَهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، وَبَيْنَ أَنْ أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَذَابُهُمْ. فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ سَبْعُونَ أَلْفًا». قَالَ: وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْآخَرَ قَالَ: كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ لَذَلِكَ الْمَلِكِ كَاهِنٌ يَتَكَهَّنُ لَهُ، فَقَالَ الْكَاهِنُ: انظُرُوا لِي غَلَامًا فِهْمًا - أَوْ قَالَ: فُطْنًا لَقِينًا - فَأَعْلَمَنَهُ عِلْمِي هَذَا... فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِتَمَامِهَا، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قِيلَ أَهْبَبْ الْأَنْدَادُ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُكُوفِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿الْعَزِيزُ الْمُجِيدُ﴾. قَالَ: فَأَمَّا الْغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ قَالَ: فَيَذَكُرُ أَنَّهُ أَخْرَجَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِصْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ^(٢). ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ». وَهَذَا السِّيَاقُ لَيْسَ فِيهِ صِرَاحَةٌ أَنَّ سِيَاقَ هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْيَزِيدِيُّ: فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ صُهَيْبِ الرُّومِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ أَخْبَارِ النَّصَارَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ أوردَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَّارٍ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي السِّيَرَةِ بِسِيَاقٍ آخَرَ، فِيهَا مُخَالَفَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ - وَحَدَّثَنِي أَيْضًا بَعْضُ أَهْلِ نَجْرَانَ، عَنْ أَهْلِهَا -: أَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ كَانُوا أَهْلَ شَرِّكَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَكَانَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا قَرِيبًا مِنْ نَجْرَانَ - وَنَجْرَانُ هِيَ الْقَرْيَةُ الْعُظْمَى الَّتِي إِلَيْهَا جَمَاعُ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ - سَاحِرٌ يُعَلِّمُ غُلَمَانَ أَهْلَ نَجْرَانَ السَّحَرَ، فَلَمَّا نَزَلَهَا قَيْمِيُونُ - وَلَمْ يَسْمُوهُ لِي بِالْأَسْمِ الَّذِي سَمَاهُ ابْنُ مُثَنَّبِهِ، قَالُوا: رَجُلٌ نَزَلَهَا - فَابْتَنَى خِيْمَةً بَيْنَ نَجْرَانَ وَبَيْنَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي فِيهَا السَّاحِرُ، وَجَعَلَ أَهْلُ نَجْرَانَ يُرْسِلُونَ غُلَمَانَهُمْ إِلَى ذَلِكَ السَّاحِرِ يُعَلِّمُهُمُ السَّحَرَ، فَبَعَثَ التَّامِرُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ التَّامِرِ مَعَ غُلَمَانِ أَهْلِ نَجْرَانَ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِصَاحِبِ الْخِيْمَةِ أَعْجَبَهُ مَا يَرَى مِنْ عِبَادَتِهِ وَصَلَاتِهِ، فَجَعَلَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيَسْمَعُ مِنْهُ، حَتَّى أَسْلَمَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَعَبَدَهُ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ حَتَّى إِذَا فَقَّهَ فِيهِ جَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ، وَكَانَ يَعْلَمُهُ، فَكَتَمَهُ إِيَّاهُ وَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ أَخِي، إِنَّكَ لَنْ تَحْمِلَهُ؛ أَخْشَى ضَعْفَكَ عَنْهُ. وَالتَّامِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَا يَظُنُّ إِلَّا أَنَّ ابْنَهُ يَخْتَلِفُ إِلَى السَّاحِرِ كَمَا يَخْتَلِفُ الْغُلَمَانُ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ ضَنَّ بِهِ عَنْهُ، وَتَخَوَّفَ ضَعْفَهُ فِيهِ، عَمَدَ إِلَى أَقْدَاحٍ فَجَمَعَهَا، ثُمَّ لَمْ يُبَيِّنْ لِهَ اسْمًا يَعْلَمُهُ إِلَّا كَتَبَهُ فِي قِدْحٍ، وَكُلَّ اسْمٍ فِي قِدْحٍ، حَتَّى إِذَا أَحْصَاهَا أَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ جَعَلَ يَقْدِفُهَا فِيهَا قِدْحًا قِدْحًا، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ قَذَفَ فِيهَا يَقْدَحُهُ، فَوَثَبَ الْقِدْحُ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، فَأَخَذَهُ ثُمَّ أَتَى بِهِ صَاحِبَهُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٥ ح ٧٣ والنسائي في التفسير ٦٨١ وفي «السنن» ٦١٤ وأحمد ١٧/٦.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٤٠ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

الذي كَتَمَهُ فَقَالَ: وما هو؟ قال: هُوَ كَذَا وَكَذَا. قال: وكيف عَلِمْتَهُ؟ فَأَخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ. قال: أَيُّ ابْنِ أَخِي! قد أَصَبْتَهُ فَأَمْسِكْ عَلَى نَفْسِكَ، وما أَظُنُّ أَنْ تَفْعَلَ.

فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ التَّامِرِ إِذَا دَخَلَ نَجْرَانُ لَمْ يَلْقَ أَحَدًا بِهِ ضَرْبًا إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَتَوَحَّدُ اللَّهَ وَتَدْخُلُ فِي دِينِي وَأَدْعُو اللَّهَ لَكَ قِيَعَايِكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ؟ فيقول: نعم. فَيُتَوَحَّدُ اللَّهُ وَيُسَلِّمُ، فَيَدْعُو اللَّهَ لَهُ فَيُشْفَى، حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِنَجْرَانِ أَحَدٌ بِهِ ضَرْبٌ إِلَّا أَتَاهُ، فَاتَّبَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَدَعَا لَهُ فَعُوفِي، حَتَّى رَفَعَ شَأْنَهُ إِلَى مَلِكِ نَجْرَانِ، فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَفْسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ قَرِيَّتِي، وَخَالَفْتَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي، لَأَمُتَنَّ بِكَ. قال: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. قال: فَجَعَلَ يُرْسِلُ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ الطَّوِيلِ، فَيُطْرَحُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيَقَعُ إِلَى الْأَرْضِ مَا بِهِ بَأْسٌ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ بِهِ إِلَى مِيَاهِ بِنَجْرَانِ، بُحُورٌ لَا يَلْقَى فِيهَا شَيْءَ إِلَّا هَلَكَ، فَيُلْقَى فِيهَا، فَيَخْرُجُ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. فَلَمَّا غَلِبَهُ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ التَّامِرِ: إِنَّكَ - وَالله - لَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِي حَتَّى تُتَوَحَّدَ اللَّهُ فَتُؤْمِنَ بِمَا آمَنْتُ بِهِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ سَلَطْتُ عَلَيَّ فَيَقْتُلُنِي. قال: فَوَحَّدَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ التَّامِرِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِعَصَا فِي يَدِهِ فَشَجَّهُ شَجَّةً غَيْرَ كَبِيرَةٍ، فَقَتَلَهُ، وَهَلَكَ الْمَلِكُ مَكَانَهُ. وَاسْتَجْمَعَ أَهْلُ نَجْرَانٍ عَلَى دِينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ التَّامِرِ - وَكَانَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنَ الْإِنْجِيلِ وَحُكْمِهِ - ثُمَّ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ أَهْلَ دِينِهِمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ، فَمِنْ هُنَاكَ كَانَ أَصْلُ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ بِنَجْرَانٍ.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر، والله أعلم أي ذلك كان. قال: فسار إليهم ذو نواس بجندته، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخذ الأخدود، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنّده أنزل الله - عز وجل - على رسوله ﷺ ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودَ ۚ﴾ التَّارِ ذَاتِ الْوُؤُودِ ۚ إِذْ هَرَّ عَلَيْهِمُ قُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَى مَا يَقَعُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ. هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة: أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس، واسمه: زُرْعَةُ، ويسمى في زمان مملكته بيوسف، وهو ابن ثَبَّانٍ أسعد أبي كرب، وهو تبع الذي غزا المدينة وكسا الكعبة، واستصحب معه خبرين من يهود المدينة، فكان تهوّد من تهوّد من أهل اليمن على يديهما، كما ذكره ابن إسحاق مبسوطاً، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له: دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانِ، ذهب فارساً، وطردوا وراءه فلم يقدر عليه، فذهب إلى قيصر ملك الشام، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدّمهم أرياط وأبرهة، فاستنقلوا اليمن من أيدي اليهود، وذهب ذو نواس هارباً فلجج في البحر فغرق. واستمر ملك الحبشة في أيدي النصاري سبعين سنة، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الجُمَيْرِيُّ من أيدي النصاري، لما استجاش بكسرى ملك الفرس، فأرسل معه من في السجون، وكانوا قريباً من سبعمائة، ففتح بهم اليمن، ورجع الملك إلى جُمَيْرٍ. وسنذكر طرفاً من ذلك - إن شاء الله - في تفسير سورة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْأَيْلِيلِ ۚ﴾.

وقال ابن إسحاق: وحديثي عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أنه حدث: أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب، حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، ممسكاً عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها تنقب دماً، وإذا أرسلت يده ردت عليها، فأمسكت دمه، وفي يده خاتم مكتوب فيه: رَبِّيَ اللَّهُ. فكتب فيه إلى

عَمَرَ بن الخطاب يُخبره بأمره، فكتب عَمَرَ إليهم: أن أقروه على حاله، وزدوا عليه الدَّقْنَ الذي كان عليه. ففعلوا.

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا - رحمه الله -: حَدَّثَنَا أَبُو بِلَالٍ الْأَشْعَرِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ أَبَا مُوسَى لَمَّا افْتَتَحَ أَصْبَهَانَ وَجَدَ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ قَدْ سَقَطَ، فَبَنَاهُ فَسَقَطَ، ثُمَّ بَنَاهُ فَسَقَطَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ تَحْتَهُ رَجُلًا صَالِحًا. فَخَفَرَ الْأَسَاسَ فَوَجَدَ فِيهِ رَجُلًا قَائِمًا مَعَهُ سَيْفٌ، فِيهِ مَكْتُوبٌ: أَنَا الْحَارِثُ بن مُضَاضٍ، نَقِمْتُ عَلَى أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ. فَاسْتَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى، وَبَنَى الْحَائِطَ، فَقُبْتُ. قلت: هُوَ الْحَارِثُ بن مُضَاضٍ بن عمرو بن مُضَاضٍ بن عَمْرِو الْجُرْهَمِيِّ، أَحَدُ مُلُوكِ جُرْهَمِ الَّذِينَ وَلَّوْا أَمْرَ الْكُفَّةِ بَعْدَ وَلَدِ ثَابِتِ بن إِسْمَاعِيلِ بن إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْلَدُ الْحَارِثِ هَذَا هُوَ: عَمْرِو بن الْحَارِثِ بن مُضَاضٍ هُوَ آخِرُ مُلُوكِ جُرْهَمِ بِمَكَّةَ، لَمَّا أَخْرَجْتَهُمْ خِزَاعَةُ وَأَجْلَوْهُمْ إِلَى الْيَمَنِ، وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي شِعْرِهِ الَّذِي قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: إِنَّهُ أَوَّلُ شِعْرِ قَالَهُ الْعَرَبُ:

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا أَيْنِسَ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَسَى، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا قَابَدْنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وهذا يقتضي أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ قَدِيمًا بَعْدَ زَمَانِ إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِقَرِيبٍ مِنْ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقٍ يَقْتَضِي أَنَّ قِصَّتَهُمْ كَانَتْ فِي زَمَانِ الْفَتْرَةِ الَّتِي بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ - وَهُوَ أَشْبَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ فِي الْعَالَمِ كَثِيرًا، كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا صَفْوَانٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن جُبَيْرٍ قَالَ: كَانَ الْأَخْدُودُ فِي الْيَمَنِ زَمَانِ ثُبَيْعٍ، وَفِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ زَمَانِ قُسْطَنْطِينَ حِينَ صَرَفَ النَّصَارَى قِبَلَتَهُمْ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ وَالتَّوْحِيدِ، فَاتَّخَذُوا أَتُونًا، أَلْقَى فِيهِ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ وَالتَّوْحِيدِ. وَفِي الْعِرَاقِ فِي أَرْضِ بَابِلَ يُخْتَنَصِرُ، حِينَ صَنَعَ الصَّنَمَ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ، فَامْتَنَعَ دَانِيَالُ وَصَاحِبَاهُ: عَزْرِيَا وَمِيشَائِيلُ، فَأَوْقَدَ لَهُمْ أَتُونًا وَأَلْقَى فِيهِ الْحَطَبَ وَالنَّارَ، ثُمَّ أَلْقَاهُمَا فِيهِ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا بَرْدًا وَسَلَامًا، وَأَنْقَذَهُمَا مِنْهَا، وَأَلْقَى فِيهَا الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهِ وَهُمْ تِسْعَةُ رَهْطٍ، فَأَكَلْتَهُمُ النَّارُ.

وقال أسباطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾، قَالَ: كَانَتْ الْأَخْدُودُ ثَلَاثَةً: خَذٌ بِالشَّامِ وَخَذٌ بِالْعِرَاقِ، وَخَذٌ بِالْيَمَنِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَعَنْ مُقَاتِلٍ قَالَ: كَانَتْ الْأَخْدُودُ ثَلَاثَةً: وَاحِدَةٌ بَنَجْرَانَ بِالْيَمَنِ، وَالْأُخْرَى بِالشَّامِ، وَالْأُخْرَى بِفَارَسَ، حَرَّقُوا بِالنَّارِ أَمَا الَّتِي بِالشَّامِ فَهُوَ انْطَنَابُوسُ الرُّومِيِّ، وَأَمَا الَّتِي بِفَارَسَ فَهُوَ بَخْتَنَصَرُ، وَأَمَا الَّتِي بِأَرْضِ الْعَرَبِ فَهُوَ يُوسُفُ ذُو نَوَاسٍ. فَأَمَا الَّتِي بِفَارَسَ وَالشَّامَ فَلَمْ يُنْزَلِ اللَّهُ فِيهِمْ قَرَأَنًا، وَأَنْزَلَ فِي الَّتِي كَانَتْ بِبَنَجْرَانَ.

وقال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن عبد الرحمن الدُّشَكِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ - هُوَ ابْنُ أَنَسٍ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾، قَالَ: سَمِعْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فِي زَمَانِ الْفَتْرَةِ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا وَقَعَ فِي النَّاسِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَصَارُوا أَحْزَابًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الرُّومُ: ٣٢]، اعْتَزَلُوا إِلَى قَرْيَةٍ سَكَنُوهَا، وَأَقَامُوا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاقَةً يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البينة: ٥]، وَكَانَ هَذَا أَمْرُهُمْ حَتَّى سَمِعَ بِهِمْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ، وَحَدَّثَ حَدِيثَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ الَّتِي اتَّخَذُوا، وَإِنَّهُمْ أَبَوْا عَلَيْهِ كُلَّهُمْ وَقَالُوا: لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَعْبُدُوا هَذِهِ الْأَلْهَةَ الَّتِي عِبَدْتُ فَإِنِّي قَاتِلُكُمْ. فَأَبَوْا عَلَيْهِ، فَخَذَّ أَخْدُودًا مِنْ نَارٍ، وَقَالَ لَهُمْ الْجَبَّارُ - وَوَقَفَهُمْ عَلَيْهَا -: اخْتَارُوا هَذِهِ أَوِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ. فَقَالُوا: هَذِهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا. وَفِيهِمْ نِسَاءٌ وَذُرِّيَّةٌ،

فَفَرِغَتِ الذَّرِيَّةُ، فَقَالُوا لَهُمْ: لَا نَارَ مِنْ بَعْدِ الْيَوْمِ. فَوَقَعُوا فِيهَا، فَفَقِضَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسَهُمْ حَرُّهَا، وَخَرَجَتِ النَّارُ مِنْ مَكَانِهَا فَاحَاطَتْ بِالْجَبَّارِينَ، فَأَحْرَقَهُمُ اللَّهُ بِهَا، فَقَبِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَمْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾. ورواه ابن جرير: حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، بِهِ نَحْوُهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿١١﴾، أَي: حَرَّفُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ أَبِي زَيْ. ﴿ثُمَّ لَمْ يَبُوءُوا﴾، أَي: لَمْ يَقْلِعُوا عَمَّا فَعَلُوا، وَيَنْدُمُوا عَلَى مَا أَسْلَفُوا، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَقَمُودُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَوْلُكَ نَجْمٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، بِخِلَافِ مَا أَعَدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْحَرِيقِ وَالْجَحِيمِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، أَي: إِنَّ بَطْشَهُ وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ لَشَدِيدٌ عَظِيمٌ قَوِيٌّ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ كَمَا يَشَاءُ فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصَرِ، أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾، أَي: مِنْ قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ التَّامَةِ يُبْدِي الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ كَمَا بَدَأَهُ، بِلَا مُمَانَعٍ وَلَا مُدَافِعٍ. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾﴾، أَي: يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَخَضَعَ لَدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ. وَالْوُدُودُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُوَ الْحَبِيبُ ﴿ذُو الْعَرْشِ الْحَكِيمُ﴾، أَي: صَاحِبُ الْعَرْشِ الْمَعْظَمِ الْعَالِيِّ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ. وَالْمَجِيدُ: فِيهِ قِرَاءَتَانِ، الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ لِلرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْجَرُّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ لِلْعَرْشِ، وَكِلَاهُمَا مَعْنَى صَحِيحٌ. ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾، أَي: مَهْمَا أَرَادَ فَعَلَهُ، لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؛ لِعَظَمَتِهِ وَقَهْرِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، كَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ وَهُوَ فِي مَرَضٍ الْمَوْتِ: هَلْ نَظَرَ إِلَيْكَ الطَّبِيبُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي فَعَالٌ لِمَا أُرِيدُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَقَمُودُ ﴿١٨﴾﴾، أَي: هَلْ بَلَغَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الثَّقَمَةِ الَّتِي لَمْ يَزِدْهَا عَنْهُمْ أَحَدٌ؟ وَهَذَا تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، أَي: إِذَا أَخَذَ الظَّالِمُ أَخْذَهُ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا، أَخَذَ عَزِيزٌ مُقَدَّرٌ.

[٧٢٢٩] قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِئِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ تَقْرَأُ: ﴿هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾، فَقَامَ يَسْتَمِعُ، فَقَالَ: «نَعَمْ، قَدْ جَاءَنِي»^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾، أَي: هُمْ فِي شَكٍّ

(١) ضعيف جداً. عمرو بن ميمون تابعي، فهو مرسل، وأبو بكر بن عياش، صدوق إلا أنه كثير الخطأ، لذا ضعفه غير واحد وفيه عننة أبي إسحاق؛ والمتن منكر.

وَرَبِّ وَكَفَّرْ وَعَنَادِ، ﴿وَاللَّهُ مِنْ دَرَجَاتٍ عِظِيمًا﴾ (٢٠)، أي: هو قادرٌ عليهم، قاهرٌ لا يُفَوِّتونه ولا يُعْجزونه، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١)، أي عظيمٌ كريمٌ، ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (٢٢)، أي: هو في الملاء الأعلى محفوظٌ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

قال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا قرّة بن سليمان، حدثنا حرب بن سُرَيْج، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١) في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله. ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١) في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)، في جَنَّةِ إِسْرَافِيلَ. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن صالح: أن أبا الأَعْيَسِ - وهو عبد الرحمن بن سَلْمَانَ - قال: ما من شيء قضى الله - القرآن فما قبله وما بعده - إلا وهو في اللوح المحفوظ. واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل، لا يؤذن له بالنظر فيه. وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ، يُنزل منه ما يشاء على مَنْ يشاء من خَلْقِهِ. وقد روى البَغَوِي من طريق إسحاق بن بشر: أخبرني مقاتل وابن جُرَيْج، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: إن في صَدْرِ اللّوْحِ: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصَدَّقَ بوعده واتبع رُسُلَهُ، أدخله الجنة. قال: واللوح لوحٌ من دُرَّةٍ بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعَرْضُهُ ما بين المشرق والمغرب، وحافَتَاهُ الدرُّ والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقودٌ بالعرش، وأصله في جَنَّةِ مَلِكٍ^(١). قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

[٧٢٣٠] وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَةَ، حدثنا مُنْعَبَجُ بْنُ الْحَارِثِ، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا زياد بن عبد الله، عن ليث، عن عبد الملك بن سعيد بن جُبَيْر، عن أبيه، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خَلَقَ لَوْحاً محفوظاً من دُرَّةٍ بيضاء، صَفَحَاتُهَا من ياقوتة حمراء، قلمه نورٌ وكتابه نورٌ، لله فيه في كلِّ يومٍ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِئَةَ لَحْظَةٍ، يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيَعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»^(٢).

آخر تفسير سورة البروج، والله الحمد والمِنَّة

(١) لا أصل له عن ابن عباس. إسحاق بن بشر أبو حذيفة منهم بالكذب.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ١٢٥١١، وفيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وهو ضعيف. وزيد وليث ضعيفان، والخبر شبه موضوع.



وهي مكية

[٧٢٣١] قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد - قال عبد الله: وسمعتُه أنا منه - حدثنا مزوان بن معاوية القزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عبد الرحمن بن خالد ابن أبي جبيل العدواني، عن أبيه: أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس - أو: عصا - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، فسمعتُه يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ۚ﴾، حتى ختمها - قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام - قال: فدعنتي ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم. فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم مايقول حقاً لا لبئنا^(١).

[٧٢٣٢] وقال النسائي: حدثنا عمرو بن منصور، حدثنا أبو نعيم، عن مسعر، عن مُحارب بن دثار، عن جابر قال: صَلَّى معاذُ المَغْرِبِ، فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: «أَفَتَأْنِ يا معاذ؟! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها، ونحو هذا»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ۚ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿١﴾ أَلَتَجْمُ الْفَارِقُ ﴿٢﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٣﴾ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٤﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٥﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٦﴾ إِنْهَ عَنْ رَجِيمِهِ لِقَادِرٌ ﴿٧﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٨﴾ قَالُوا لَمْ يَنْزِلْ مِنْ قَوْفٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿٩﴾

يُقسِمُ تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ۚ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۚ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿أَلَتَجْمُ الْفَارِقُ ۚ﴾. قال قتادة وغيره: إنما سُمي النجم طارقاً لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار.

[٧٢٣٣] ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نُهي أن يطرق الرجل أهله طروقاً^(٣)، أي: يأتيهم فجأة بالليل.

[٧٢٣٤] وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»^(٤).

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ٣٣٥/٤ والطبراني ٤١٢٦ و ٤١٢٧، وفيه عبد الرحمن مجهول، والطائفي ضعفه غير واحد.

(٢) تقدم، وهو صحيح.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٥٢٤٣ ومسلم ١٥٢٨ وأبو داود ٢٧٧٦ وأحمد ٢٩٩/٣ و ٣٠٢ وابن حبان ٤١٨٢ من حديث جابر.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ٤١٩/٣ وأبو يعلى ٦٨٤٤ وهو حسن، وتقدم.

وقوله تعالى: ﴿الْأَنفِثْ﴾، قال ابن عباس: المضيء. وقال السُّدِّي: يَثْقُبُ الشَّيَاطِينَ إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهَا. وقال عِكْرَمَةُ: هو مضيء مُحْرَقٌ لِلشَّيْطَانِ. وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، أي: كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ يَحْرُسُهَا مِنَ الْآفَاتِ، كما قال تعالى: ﴿لَمْ تُمَفِّكْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُمْ يَحْفَظُهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. الآية. وقوله تعالى: ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ يُخْلَقُ﴾، تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خُلِقَ منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأنَّ من قدر على البدأة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿يُخْلِقُ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾، يعني: المني؛ يخرج دافقاً من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله - عزَّ وجلَّ - ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يعني: صلب الرجل وترائب المرأة، وهو صدرها. قال شَيْبُ بْنُ نُشْرٍ، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾؛ صلب الرجل وترائب المرأة، أَصْفَرُ رقيق، لا يكون الولد إلا منهما. وكذا قال سعيد بن جُبَيْرٍ، وعِكْرَمَةُ، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرهم. وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عن يسعر: سَمِعْتُ الْحَكَمَ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، قال: هذه الترائب. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ. وقال الضَّحَّاكُ وعَطِيَّةُ، عن ابن عباس: تَرْبِيَةُ الْمَرْأَةِ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ. وكذا قال عِكْرَمَةُ، وسعيد بن جُبَيْرٍ. وقال علي بن أَبِي طَلْحَةَ، عن ابن عباس: الترائب: بَيْنَ ثَدْيَيْهَا. وعن مجاهد: الترائب ما بَيْنَ الْمُتَكَبِّينَ إِلَى الصَّدْرِ. وعنه أيضاً: الترائب أسفل من الثَّرَاقِي. وقال سفيانُ الثَّوْرِيُّ: فوق الثديين. وعن سعيد بن جُبَيْرٍ: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل. وعن الضَّحَّاك: الترائب بَيْنَ الثَّدْيَيْنِ وَالرُّجُلَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ. وقال الليث بن سعد، عن معمر بن أَبِي حَبِيبَةَ الْمَدَنِيِّ: أَنَّهُ بَلَغَهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، قال: هو عُصَارَةُ الْقَلْبِ، مِنْ هُنَاكَ يَكُونُ الْوَلَدُ. وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، من بَيْنِ صُلْبِهِ وَنَحْرِهِ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجِيءٍ لَقَادِرٌ﴾، فيه قولان: أحدهما: على رَجْعِ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ إِلَى مَقَرِّهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ لِقَادَرٌ عَلَى ذَلِكَ. قاله مجاهدٌ، وعِكْرَمَةُ، وغيرهما. والقول الثاني: إنه على رَجْعِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، أي: إِعَادَتِهِ وَبَعْثِهِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، لِقَادَرٍ؛ لأنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ. وقد ذكر الله - عزَّ وجلَّ - هَذَا الدَّلِيلَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَ بِهِ الضَّحَّاكُ، واختاره ابن جَرِيرٍ. ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلُغُ السَّاعَةُ﴾، أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْلَى فِيهِ السَّاعَةُ، أي: تَظْهَرُ وَتَبْدَى، وَيَبْقَى السِّرُّ عَلَانِيَةً وَالْمَكْنُونُ مَشْهُورًا.

[٧٢٣٥] وقد ثبت في الصحيحين، عن ابنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِئْثَارِهِ، يُقَالُ: هَذِهِ عَذْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ»^(١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ﴾، أي: الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾، أي: فِي نَفْسِهِ، ﴿وَلَا تَأْمُرُ﴾، أي: مِنْ خَارِجٍ مِنْهُ، أي: لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ أَحْذُ ذَلِكَ.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١) ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعَرِ﴾ (١٢) ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ (١٣) ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ﴾ (١٤) ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (١٦) ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُوسُهُمْ﴾ (١٧)

قال ابنُ عَبَّاسٍ: الرَّجْعُ الْمَطَرُ. وعنه: هُوَ السَّحَابُ فِيهِ الْمَطَرُ. وعنه: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١)، تُمْطِرُ ثُمَّ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦١٧٨ ومسلم ١٧٣٥ ح ١٠ وأبو داود ٢٧٥٦ وأحمد ٥٦/٢ و ١١٦ وابن حبان ٧٣٤٢.

ثُمَّ يَطْرُقُ، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لَهَلَكُوا وَهَلَكَتْ مَوَاشِيهِمْ. وقال ابن زيد: تَرْجِعُ
 نَجُومُهَا وَشَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، يَأْتِينَ مِنْهَا هُنَا. ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّالِخِينَ﴾ (١٢)، قال ابن عباس: هو انصداعها عن
 النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو مالك، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، وغير
 واحد. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٣)، قال ابن عباس: حَقٌّ. وكذا قال غيره. وقال آخر: حُكْمٌ عَذَلٌ
 ﴿وَمَا هُوَ بِالْمَازِلِ﴾ (١٤)، أي: بل هو جدُّ حقٍّ. ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله،
 فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥)، أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن. ثم قال تعالى: ﴿فَيَهْلِكُ
 الْكَافِرِينَ﴾، أي: أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿أَنَّهُلَهُمْ حَبَالًا﴾، أي: قليلاً. أي: وترى ماذا أجلُّ بهم من العذاب
 والثكال والعقوبة والهلاك، كما قال تعالى: ﴿تُعِظُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (١٦) [لقمان: ٢٤].

آخر تفسير «سورة الطارق»، والله الحمد والمنة



ويقال: سورة سُبْح؛ وهي مَكِّيَّة

[٧٢٣٦] والدليل على ذلك: ما رواه البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرَأُنَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ. ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ. ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَايَةَ وَالصُّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فِي سُورَةٍ مِثْلِهَا^(١).

[٧٢٣٧] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ ثَوْبَرِ بْنِ أَبِي فَاخْتَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

[٧٢٣٨] وثبت في الصحيحين: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمَعَاذٍ: «هَلَا صَلَّيْتُ بِسُبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى. وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا. وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى»^(٣).

[٧٢٣٩] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُنْتَشِرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِيدَيْنِ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَيَاتُ الْفَنَاءِ﴾، وَإِنْ وَافَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَرَأَهُمَا جَمِيعًا^(٤). هَكَذَا وَقَعَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ - فِي صَحِيحِهِ - وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَوَّانَةَ وَجَرِيرٍ وَشُعْبَةَ، ثَلَاثَتُهُمْ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُنْتَشِرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ سَالِمٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، بِهِ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «وَكَذَا رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ وَمُسْعَرٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ - قَالَ: وَرَوَاهُ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النُّعْمَانِ. وَلَا يَعْرِفُ لِحَبِيبٍ رَوَايَةً عَنْ أَبِيهِ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْتَشِرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ سَالِمٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بِهِ. كَمَا رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٧٢٤٠] ولفظ مسلم وأهل السنن: كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَيَاتُ الْفَنَاءِ﴾، وَرَبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَهُمَا^(٥).

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤١ و ٣٩٢٤ و ٣٩٢٥ و ٤٩٩٥.

(٢) أخرجه أحمد ٩٦/١ وإسناده ضعيف لضعف ثوير.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٠٥ ومسلم ٤٦٥ ح ١٧٩ وتقدم.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٢٧٧/٤، وإسناده على شرط الصحيح.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٨٧٨ ح ٦٢ وأبو داود ١١٢٢ والتِّرْمِذِيُّ ٥٣٣ والنَّسَائِيُّ فِي «التَّفْسِيرِ» ٦٨٥ وَفِي «السنن»

١٤٢٤ و ١٥٦٨ و ١٥٩٠ وَابْنُ مَاجَةَ ١٢٨١.

[٧٢٤١] وقد رَوَى الإمام أحمد في مُسنَدِه من حديث أبي كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبزى، وعائشة أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَتُوبُ الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، زادت عائشة: والمُعَوِّذَتَيْنِ^(١). وهكذا رُوي هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صُدِّي بن عجلان، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومُثُونه، ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنَقِرُكَ فَلَا تَنسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَيَبْسُطُ رَبُّكَ لِلْيَسْرَى ⑧ فَذَكَرْ إِن تَفَعَّلَ الْذِّكْرَى ⑨ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتَارُ ⑩ وَيَنْجِنُهَا الْأَشَقَى ⑪ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬

[٧٢٤٢] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا مُوسَى - يعني ابن أيوب الغافقي - حَدَّثَنَا عُمَيَّ إِيَّاس بن عامر، سَمِعْتُ عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنِي لما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ①، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم». فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ①، قال: «اجعلوها في سجودكم»^(٢). ورواه أبو داود وابن ماجه، من حديث ابن المبارك، عن موسى بن أيوب، به.

[٧٢٤٣] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عن أبي إسحاق، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ①، قال: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»^(٣). وهكذا رواه أبو داود عن زُهَيْر بن حَرْب، عن وكيع، به. وقال: «خُويلف فيه وكيعٌ، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد، عن ابن عباس، موقوفاً». وقال الثَّوْرِي، عن السَّدي، عن عبد خير قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ①، فقال: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى.

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عن عُبَيْسَةَ، عن أبي إسحاق الهَمْدَانِي: أن ابن عباس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ①، يقول: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، وإذا قرأ: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ②، فأتى على آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ الْكَوْثَى﴾ ③، [القيامة: ٤٠]، يقول: سُبْحَانَكَ وبلى.

[٧٢٤٤] وقال قتادة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ①: ذِكْرٌ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كان إذا قرأها قال: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى^(٤). وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ②، أي: خَلَقَ الْخَلْقَ وَسَوَّى كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١٢٣/٥ من حديث أبي بن كعب بسند صحيح، وأخرجه أبو داود ١٤٢٤ وصححه الحاكم ٣٠٥/١ ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد ٤٠٦/٣ عن ابن أبزى.

(٢) تقدم تخريجُه، وهو إلى الضعف أقرب.

(٣) حسن. أخرجه أبو داود ٨٨٣ وأحمد ٢٣٢/١ وإسناده على شرطهما، لكن روي موقوفاً.

(٤) حسن. أخرجه الطبري ٣٦٩٧٢ وهو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف. لكن يشهد للموصول المتقدم، وقد صح عن علي وابن عباس موقوفاً، كما تقدم.

الهيئات. وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، قال مجاهد: هَدَى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهَدَى الأنعام لمراعاتيها. وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: قَدَّرَ قَدْرًا، وهَدَى الخلاق إليه.

[٧٢٤٥] كما ثبت في صحيح مُسلم، عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قَدَّرَ مقادير الخلاق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ النَّعْيَ﴾، أي: من جميع صُنفِ النباتات والزروع، ﴿فَجَعَلَهُ نَعْيًا أَخْوَى﴾، قال ابن عباس: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا. وعن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، نحوه.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يَرَى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وأن معنى الكلام: والذي أخرج المرعى أَخْوَى، أي: أخضر إلى السواد، فجعله نَعْيًا بعد ذلك. ثم قال ابن جرير: وهذا وإن كان مُحتملاً إلا أنه غير صواب، لمخالفته أقوال أهل التأويل. وقوله تعالى: ﴿سَنُقَرِّبُكَ﴾، أي: يا محمد: ﴿فَلَا تَنْسَ﴾. وهذا إخبار من الله - عز وجل - ووعد منه له: بأنه سَيُقَرِّبه قراءة لا ينساها، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾. وهذا اختيار ابن جرير. وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا يَنْسَى شيئاً إلا ما شاء الله. وقيل: المراد بقوله: ﴿فَلَا تَنْسَ﴾ طَلَبٌ، وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ، أي: لا تَنْسَ ما نُقِرَّك إلا ما شاء الله رَفَعَهُ، فلا عليك أن تَنْزَكَهُ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَمْلِكُ الْغَيْبَ وَمَا يَنْفِي﴾، أي: يعلم ما يجهر به العباد وما يخفون من أقوالهم وأفعالهم، لا يَخْفَى عليه من ذلك شيء. وقوله تعالى: ﴿وَيُنِيرُكَ لِلنَّارِ﴾، أي: يُسَهِّلُ عليك أفعال الخير وأقواله، ونَشْرَعُ لك شرعاً سهلاً سَمِحاً مستقيماً عذلاً، لا اعوجاج فيه ولا خرج ولا عُسر. وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعِيَ الْدُّكْرَى﴾، أي: ذَكَرْ حيث تنفع التذكُّر. ومن ها هنا يُؤْخَذُ الأدب في نشر العلم، فلا يَضَعُهُ عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -: ما أنت بمُحَدِّثِ قوماً حديثاً لا تبُلِّغه عقولهم إلا كان فتنَةً لبعضهم. وقال: حَدِّثِ الناس بما يَغْرِفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟ وقوله تعالى: ﴿سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخَشَى﴾، أي: سَيُعْظِمْ بما تَبَلَّغُه - يا محمد - مَنْ قلبه يخشى الله ويعلم أنه مُلَاقِيه، ﴿وَيَجَنَّبُكَ الْأَسْخَى﴾ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُورَى ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾، أي: لا يَمُوتُ فيستريح ولا يحيا حياة تَنْفَعُهُ، بل هي مُضَرَّةٌ عليه، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب، وأنواع النكال.

[٧٢٤٦] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عن سليمان - يعني التيمي - عن أبي نُضْرَةَ، عن أبي سَعِيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها لا يَمُوتون ولا يَحْيَوْنَ، وأما أناس يُريد الله بهم الرحمة فَيُيَمِّتُهُمْ في النار فيدخل عليهم الشُّفَعاء، فيأخذ الرجل الضُّبَارَةَ فَيُثَبِّتُهُمْ - أو قال: يَنْتَبِثون - في نهر الحياء - أو قال: الحياة - أو قال: الحيوان - أو قال: نهر الجنة، فينبتون - نبات الحَبَّةِ في حَمِيلِ السَّيْلِ» - قال: وقال: النبي ﷺ: «أما تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضِرَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ صَفْرَاءَ، أو قال: تَكُونُ صَفْرَاءَ ثُمَّ تَكُونُ خَضِرَاءَ؟» - قال: فقال بعضهم: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ^(٢).

[٧٢٤٧] وقال أحمد أيضاً: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ، عن أبي نُضْرَةَ، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، ولكن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٥/٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

أناس - أو كما قال - تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أو قال: بخطاياهم - فَيَمِيتُهُمْ إِمَاتَةً، حتى إذا صاروا فحمًا أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَنَجَّى بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرٍ، فَبَشَوْا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ. قال: فقال رجلٌ من القوم حينئذٍ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ^(١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ بَشْرِ بْنِ الْمُفَضَّلِ وَشُعْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ، مِثْلَهُ.

[٧٢٤٨] وَرَوَاهُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ إِيَّاسِ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ لَا يُرِيدُ اللَّهُ إِخْرَاجَهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ يُرِيدُ اللَّهُ إِخْرَاجَهُمْ يُمِيتُهُمْ فِيهَا إِمَاتَةً حَتَّى يَصِيرُوا فَحْمًا، ثُمَّ يَخْرُجُونَ ضَبَائِرَ قَيْلَقُونٍ عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَرْتَشُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»^(٢). وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَنَادَا يَمْكُكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكَ مَلَكَوْتُ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ قِيَمَتُهُمْ وَلَا يَحْشَعُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ فَصَّلَ [١٥] بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [١٦] وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى [١٧] إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى [١٨] صُحُفٍ إِنْزَاهِمٍ وَمُوسَى [١٩]

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤]، أي: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَتَابَعَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - ﴿وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ فَصَّلَ﴾ [١٥]، أي: أَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أَوَاقِئِهَا، ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَامْتِثَالًا لَشَرْعِ اللَّهِ.

[٧٢٤٩] وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَرَزَمِيُّ، حَدَّثَنَا عُمِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤]، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ، وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»، ﴿وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ فَصَّلَ﴾ [١٥]، قَالَ: «هِيَ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْمَحَافِظَةُ عَلَيْهَا وَالْإِهْتِمَامُ بِهَا»^(٣). ثُمَّ قَالَ: لَا يُرَوَى عَنْ جَابِرٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَمَلِيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي خَلْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَالِيَةِ فَقَالَ لِي: إِذَا عَدَوْتَ غَدَا إِلَى الْعِيدِ فَمُرِّي. قَالَ: فَمَرَرْتُ بِهِ فَقَالَ: هَلْ طَعَمْتَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَقْضَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْمَاءِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَا فَعَلْتَ زَكَاتُكَ؟ قُلْتُ: قَدْ وَجَّهْتُهَا. قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُكَ لِهَذَا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ فَصَّلَ. وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يَرُونَ صَدَقَةً أَفْضَلَ مِنْهَا وَمِنْ سِقَايَةِ الْمَاءِ. قُلْتُ: وَكَذَلِكَ رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِإِخْرَاجِ صَدَقَةِ الْفَطْرِ، وَيَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ فَصَّلَ. وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ: إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ سَائِلٌ وَهُوَ يَرِيدُ الصَّلَاةَ فَلْيَقْدَمْ بَيْنَ يَدَيْ صَلَاتِهِ زَكَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قَدْ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٨٥ وابن ماجه ٤٣٠٩ وأحمد ١١/٣ وابن حبان ١٨٤.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٢٠/٣ وإسناده على شرط الشيخين.

(٣) ضعيف. أخرجه البزار ٢٢٨٤، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٨٨: عباد بن أحمد العزمي، متروك اهـ وفيه عطاء بن السائب. صدوق إلا أنه اختلط بأخوة.

أَلَّحَ مِنْ نَزَكٍ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّ ﴿١٥﴾. وقال قتادة في هذه الآية: ﴿قَدْ أَلَّحَ مِنْ نَزَكٍ﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّ ﴿١٥﴾: زَكَّى ماله، وأَرْضَى خَالِقَهُ.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٦﴾، أي: تَقْدُمُونَهَا عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَتُبْدُونَهَا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُكُمْ وَصَلَاحُكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ وَمَعَادِكُمْ، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿١٧﴾، أي: ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَنِيَّةٌ فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَةُ شَرِيفَةٌ بَاقِيَةٌ، فَكَيْفَ يُؤْثِرُ عَاقِلٌ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى، وَيَهْتَمُّ بِمَا يَزُولُ عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرَكُ الْإِهْتِمَامَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلْدِ.

[٧٢٥٠] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا دُوَيْدُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عُروَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهَا، وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مِنْ لَا عَقْلَ لَهُ»^(١). وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِيعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ عَرْفَجَةَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: اسْتَقْرَأْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٦﴾ تَرَكَ الْقِرَاءَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَتَرْنَا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ. فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: أَتَرْنَا الدُّنْيَا لَأَنَّا رَأَيْنَا زِينَتَهَا وَنِسَاءَهَا وَطَعَامَهَا وَشَرَابَهَا وَزُيُوتَ عَنَا الْآخِرَةَ فَاخْتَرْنَا هَذَا الْعَاجِلَ وَتَرَكْنَا الْآجِلَ. وَهَذَا مِنْهُ عَلَى وَجْهِ التَّوَضُّعِ وَالْهَضْمِ، أَوْ هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْجَنَسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٧٢٥١] وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضْرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضْرَّ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى»^(٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ. وَقَدْ رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ الْخَزَاعِيِّ، عَنِ الدَّرَاوَزِيِّ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، بِهِ مِثْلُهُ سِوَاءً. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

[٧٢٥٢] قال الحافظ أبو بكر البزار: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَانَ كُلُّ هَذَا - أَوْ: كَانَ هَذَا - فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»^(٣). ثُمَّ قَالَ: لَا نَعْلَمُ أَسْنَدَ الثَّقَاتِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ غَيْرَ هَذَا، وَحَدِيثًا آخَرَ أَوْزَدَهُ قَبْلَ هَذَا.

وقال الثَّسَنَائِيُّ: أَخْبَرَنَا زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾ ﴿١٦﴾، قَالَ: كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلَ﴾ ﴿١٧﴾، قَالَ: وَفِي إِبْرَاهِيمَ ﴿أَلَّا نَرَى دَرِدَةً وَسَدْرَةً﴾ وَنَزَلَتْ لُفْرَى ﴿٢٨﴾. يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي «سُورَةِ النَّجْمِ»: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَسْ يَمَّا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ﴿٢٩﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلَ ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَرَى دَرِدَةً وَسَدْرَةً لُفْرَى ﴿٢٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُمْ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُمِيزُهُ الْجَزَاءُ ﴿٤١﴾ وَأَنْ لَكَ رَبُّكَ أَلْسَنُهَا. . . الْآيَاتُ إِلَى آخِرِهَا. وَهَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةَ، فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ، عَنْ ابْنِ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف. أخرجه أحمد ٤/٤١٢ وإسناده ضعيف، المطلب لم يسمع من أبي موسى، وعمرو غير قوي.

(٣) ضعيف. أخرجه البزار ٢٢٨٥، وفيه عطاء بن السائب. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٨٩: وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات اهـ فالإسناد ضعيف، والصواب وقفه على ابن عباس، وهم عطاء وفرعه، والله تعالى أعلم.

حُمَيْد، عن مِهْرَان، عن سَفِيَّانِ الثَّوْرِيِّ، عن أَبِيهِ، عن عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٨) صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، يَقُولُ: الْآيَاتُ الَّتِي فِي سَبِّحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى. وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٩) وَذَكَرَ أَمْرَهُ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤَفِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾، أَيُّ: مَضْمُونُ هَذَا الْكَلَامِ ﴿لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٨) صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ، وَقَدْ رَوَى عَنْ قَتَادَةَ وَابْنِ زَيْدٍ، نَحْوَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

آخر تفسير «سورة سبِّح» والله الحمد والمنَّة، وبه التوفيق والعصمة



وهي مكِّيَّة

[٧٢٥٣] قد تقدّم عن النعمان بن بشير: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، والغاشية، في صلاة العيد ويوم الجمعة^(١).

[٧٢٥٤] وقال الإمام مالك، عن ضَمْرَةَ بن سعيد، عن عُبَيْدِ الله بن عبد الله، أن الضحّاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: بِمَ كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَنَيْيَةِ﴾^(٢). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنِ الْقَعْنَبِيِّ، وَالنَّسَائِيُّ عَنِ قُتَيْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ مَالِكٍ، بِهِ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَه، مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ ضَمْرَةَ بن سَعِيدٍ، بِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَنَيْيَةِ﴾ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ أَمِينَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُفْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)﴾

الغاشية: من أسماء يوم القيامة. قاله ابن عباس، وقتادة، وابن زيد؛ لأنها تغشى الناس وتُعْمَهُم.

[٧٢٥٥] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأةٍ تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَنَيْيَةِ﴾ (١)، فقام يستمع ويقول: «نعم، قد جاءني»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢)، أي: ذليلة. قاله قتادة. وقال ابن عباس: تنخسُّ ولا ينفعها عملها. وقوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣)، أي: قد عملت عملاً كثيراً، ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة نَاراً حَامِيَةً.

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني: حدثنا إبراهيم بن محمد المُرَكِّي، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعتُ أبا عمران الجوني يقول: مرَّ عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - بدير راهبٍ، قال: فناداه: يا راهبُ! يا راهبُ! فأشرف، قال: فجعل عُمَرُ ينظر إليه

(١) تقدم تحريره.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٨٧٨ ح ٦٣ وأبو داود ١١٢٣ والنسائي في «التفسير» ٦٨٩ وفي «السنن» ١٤٢٣ وابن ماجه ١١١٩.

(٣) ضعيف جداً. فهو مرسل، عمرو بن ميمون، تابعي وفيه أبو بكر بن عيَّاش، صدوق إلا أنه كثير الخطأ، وتقدم مثل هذا، وبهذا الإسناد لكن في «سورة سبح» والظاهر أنه خبر منكر لا أصل له، والله أعلم.

وبيكي. فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله - عز وجل - في كتابه: ﴿عَالِمَةٌ نَّاصِيَةٌ ﴿٢﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾، فذاك الذي أبكاني.

وقال البخاري: قال ابن عباس: ﴿عَالِمَةٌ نَّاصِيَةٌ ﴿٣﴾﴾، النصارى. وعن عكرمة، والسدي: ﴿عَالِمَةٌ﴾ في الدنيا بالمعاصي، ﴿نَّاصِيَةٌ﴾ في النار بالعذاب والأغلال. قال ابن عباس، والحسن، وقتادة: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾، أي: حارة شديدة الحر، ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنِي وَأَيْنَةٍ ﴿٥﴾﴾، أي: قد انتهى حرها وغليانها. قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، والسدي. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: شجر من نار. وقال سعيد بن جببر: هو الزقوم. وعنه: إنها الحجارة. وقال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو الجوزاء، وقتادة: هو الشبرق. قال قتادة: قرش تسميه في الربيع الشبرق، وفي الصيف الضريع، قال عكرمة: وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض. وقال البخاري: قال مجاهد: الضريع نبت يقال له: الشبرق، يسميه أهل الحجاز الضريع إذا ييس، وهو سم. وقال معمر، عن قتادة: ﴿لَا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو الشبرق، إذا ييس سمي الضريع. وقال سعيد، عن قتادة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾: من شر الطعام وأبشعه وأخبثه. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسِينُ وَلَا يَفْنَى بِنِجْوَةٍ ﴿٧﴾﴾، يعني: لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيَّةٌ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَكَاتٌ مَبْنُوءَةٌ ﴿١٦﴾﴾

لما ذكر حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾، أي: يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾، أي: يعرف النعيم فيها. وإنما حصل لها ذلك بسعيها. وقال سفيان: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾، قد رضية عملها. وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾، أي: رفيعة بهيمة في العرفات آمنون، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيَّةٌ ﴿١١﴾﴾، أي: لا يسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو. كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ وَلَا تَأْيِيماً ﴿١٥﴾﴾. وقال تعالى: ﴿لَا تَلْقَوُا فِيهَا وَلَا تَأْيِيماً﴾ [الطور: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ وَلَا تَأْيِيماً ﴿١٥﴾﴾، إلا قلة سلكنا سلكاً [الواقعة: ٢٥-٢٦]. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾، أي: سارحة. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً واحدة، وإنما هو جنس، يعني: فيها عيون جاريات.

[٧٢٥٦] وقال ابن أبي حاتم: قرئ على الربيع بن سليمان: حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو: من تحت جبال - المسلك»^(١).

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾، أي: عالية ناعمة كثيرة الفُرش مرتفعة السَّمك، عليها الحور العين. قالوا: فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السُرر العالية تواضعت له، ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾، يعني: أواني الشراب مَعْدَةٌ مَرصدة لمن أرادها من أربابها، ﴿وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾، قال ابن عباس: النمارق الوسائد. وكذا قال عكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، والثوري، وغيرهم. وقوله تعالى: ﴿وَزَكَاتٌ مَبْنُوءَةٌ ﴿١٦﴾﴾، قال ابن

(١) أخرجه ابن حبان ٧٤٠٨ والعقيلي في «الضعفاء» ٣٢٦/٢ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣١٣ وأعله العقيلي بعد الرحمن بن ثوبان، ونقل عن ابن معين قوله: ضعيف، وقال أحمد: ليس بالقوي.

عباس: الزرابيُّ البُسْط. وكذا قال الضحَّاك، وغيرُ واحد. ومعنى «بَبُؤَةٌ»، أي: ها هنا وها هنا لمن أراد الجلوس عليها.

[٧٢٥٧] ونذكر ها هنا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود: حَدَّثَنَا عمرو بن عثمان، حَدَّثَنَا أَبِي، عن محمد بن مَهْجَر، عن الضَّحَّاك المَعَاوِرِيِّ، عن سليمان بن موسى: حَدَّثَنِي كُرَيْبُ أَنَّهُ سَمِعَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا هَلْ مِنْ مُشْمَرٍ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا؟ هِيَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ نَوْرٌ يَتَلَاوَلَا، وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مَطْرَدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارِ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ، وَخَبْرَةٌ وَنَعْمَةٌ، فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةِ بَهْيَةٍ». قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَحْنُ الْمَشْمُرُونَ لَهَا. قَالَ: «قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ الْقَوْمُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١). وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَه، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ الدَّمَشَقِيِّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلَمٍ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَهْجَرٍ، بِهِ.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾، فإنها خلقٌ عجيبٌ، وتركيبها غريبٌ، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تليّن للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتوكلُ، وتنتفعُ بوبرِها، ويشربُ لبنُها. وتُبْهوا بذلك لأن العرب غالبُ دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: أخرجوا بنا حتى ننظرَ إلى الإبل كيف خُلِقَتْ، وإلى السماء كيف رُفِعَتْ؟ أي: كيف رَفَعَهَا اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - عن الأرض هذا الرفع العظيم، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [لق: ٦]. ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾، أي: جُعِلَتْ منصوبة قائمة ثابتة راسيةً لثلاث أُمِدِّ الْأَرْضِ بأهلها، وجعلَ فيها ما جعلَ من المنافع والمعادن. ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾، أي: كيف بسطت ومُدَّتْ ومُهَدَّتْ؟ فنبهُ البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بَعِيرِهِ الذي هو راكبٌ عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تُجاهاه، والأرض التي تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الربُّ العظيمُ الخالقُ المتصرفُ المالكُ، وأنه الإله الذي لا يستحقُّ العبادة سِوَاهُ. وهكذا أقسم «ضِيَام» في سؤاله على رسول الله ﷺ.

[٧٢٥٨] كما رواه الإمام أحمد حيث قال: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا نُهَيِّنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعَجِّبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَرَعَمَ لَنَا أَنْكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ:

(١) ضعيف. أخرجه ابن ماجه ٤٣٣٢ وابن حبان ٧٣٨١ والبخاري في تاريخه ٣٣٦/٤ والفسوي في «المعرفة والتاريخ» ١/ ٣٠٤٠ والطبراني ٣٨٨ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٠١ وابن أبي داود في «البعث» ٧٢ والبغوي ٤٣٨٦، قال البوصيري في «الزوائد»: في إسناده مقال. والضحاك المعافري الدمشقي، ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي في «طبقات التهذيب»: مجهول، وفيه سليمان بن موسى مختلف فيه اهـ. وقال المنذري في «الترغيب» ٥٤٧٢ ما ملخصه: الضحاك - هذا - وثقه ابن حبان، وهو في عداد المجاهولين اهـ فالإسناد ضعيف.

فمن نَصَب هذه الجبال وجَعَلَ فيها ما جَعَلَ؟ قال: «الله». قال: فبالذي خَلَقَ السماء والأرض ونصب هذه الجبال، أَلَمْ أَرْسَلْكَ؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا خمسَ صَلَوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أَرْسَلْكَ، أَلَمْ أَمُرْكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أَرْسَلْكَ، أَلَمْ أَمُرْكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدق». قال: ثم ولى فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيدُ عليهن شيئاً ولا أنقصُ منهن شيئاً. فقال النبي ﷺ: «إِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ»^(١). وقد رواه مسلم، عن عمرو الناقد، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، به. وعَلَّقَهُ البخاري، ورواه الترمذي، والنسائي، من حديث سليمان بن المغيرة، به.

[٧٢٥٩] ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس، به بطوله، وقال في آخره: «وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»^(٢).

[٧٢٦٠] وقال الحافظ أبو يعلى: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيراً مِمَّا كَانَ يَحْدُثُ عَنْ امْرَأَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، مَعَهَا ابْنٌ لَهَا تَرْعَى غَنَمًا، فَقَالَ لَهَا ابْنُهَا: يَا أُمُّهُ، مَنْ خَلَقَكَ؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ أَبِي؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: فَمَنْ خَلَقَنِي؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْجَبَلَ؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ هَذِهِ الْغَنَمَ؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: إِنِّي لَأَسْمَعُ اللَّهَ شَأْنًا. وَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ الْجَبَلِ فَتَقَطَعَ. قَالَ ابْنُ عُمرَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيراً مَا يُحَدِّثُنَا هَذَا. قَالَ ابْنُ دِينَارٍ: كَانَ ابْنُ عُمرَ كَثِيراً مَا يَحْدُثُنَا بِهَذَا^(٣). فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ هَذَا هُوَ الْمَدِينِيُّ ضَعَفَهُ وَلَهُدَّهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُهُ.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، أي: فَذَكِّرْ - يا محمد - الناس بما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٤)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ بِجَبَّارٍ، أَي: لَسْتَ تَخْلُقُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَسْتَ بِالَّذِي تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ.

[٧٢٦١] قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ أَبِي الزَّيْبِرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمِيرُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا هَذَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٥). وَهَكَذَا رَوَاهُ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٢ ح ١٠ والترمذي ٦١٩ والنسائي ١٢١/٤ - ١٢٢ وأحمد ١٤٣/٣.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٣ وأبو داود ٤٨٦ والنسائي ١٢٢/٤ - ١٢٣ وابن ماجه ١٤٠٢ وأحمد ١٦٨/٣، وابن حبان ١٥٤.

(٣) إسناده ضعيف، كما قال ابن كثير - رحمه الله - وقد تقدم تحريمه.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢١ ح ٤٥ والترمذي ٣٣٤١ والنسائي في «التفسير» ٦٩٠ وأحمد ٣٠٠/٣ لكن ذكر الآية ههنا مدرج من كلام جابر، فإن الحديث معارض لظاهر هذه الآية، والآية مكية، فيكون مخصص لها أو ناسخ، فإنه حديث مشهور بل متواتر. وعلى هذا يصح تخصيص الكتاب به، كما هو مقرر في قواعد علماء الأصول. والحديث ورد عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما بدون ذكر الآية، والله تعالى أعلم.

مسلم في كتاب «الإيمان»، والترمذي والنسائي في كتاب «التفسير» من سُنَّيهما، من حديث سفيان بن سعيد الثوري، به بهذه الزيادة. وهذا الحديث مخرُج في الصحيحين من رواية أبي هريرة، بدون ذكر هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢٣)، أي: تولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق بجنانه ولسانه. وهذه كقوله تعالى: ﴿فَلَا مَلَأَ وَلَا سَلَ﴾ (٢٤) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١ - ٣٢]. ولهذا قال: ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (٢٥).

[٧٢٦٢] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ خَالِدٍ، أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ مَرَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْإِنِّ كَلِمَةً سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِلَّا كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ شَرَّدَ عَلَى اللَّهِ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ»^(١). تفرَّد بإخراجه الإمام أحمد، وعلي بن خالد^(٢) هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه، ولم يزد على ما هنا: «روى عن أبي أُمَامَةَ، وعنه سعيد بن أبي هلال». وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥)، أي: مَرْجِعُهُمْ وَمُنْقَلَبُهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦)، أي: نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

آخر تفسير سورة الغاشية، والله الحمد والمنّة

(١) حسن. أخرجه أحمد ٢٥٨/٥ وإسناده حسن، وأصله شواهد.

(٢) قال عنه الحافظ في «التقريب» ٤٧٢٨: صدوق. اهـ.



وهي مكية

[٧٢٦٣] قال النُسائي: أخبرنا عبد الوهاب بن الحكم، أخبرني يحيى بن سعيد، عن سليمان، عن محارب بن دثار وأبي صالح، عن جابر قال: صَلَّى معاذُ صلاةً، فجاء رجلٌ فصلَّى معه فطوَّل، فصلَّى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً فقال: مُنَافِقٌ. فذَكَرَ ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى، فقال: يا رسول الله! جئتُ أصليَّ معه فطوَّلَ عَلَيَّ، فانصرفتُ وصليتُ في ناحية المسجد، فَعَلَفْتُ ناضِحِي. فقال رسول الله ﷺ: «أَفْتَانُ يَا معاذ؟ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ «سَجَّ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، و «وَالشَّمْسُ وَنُجُجَهَا»، و «وَالْقَمَرُ» و «وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْتَنُ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيْلٍ عَشْرِ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥﴾ أَلَمْ تَرَ ٦﴾ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٧﴾ إِمْرَ دَاتٍ الْعِمَادِ ٨﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٩﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ١٠﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ ١١﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١٢﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٣﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ١٥﴾

أما الفجرُ فمعروفٌ، وهو: الصبحُ. قاله عليُّ، وابنُ عباس، ومجاهدٌ، وعكرمةٌ، والسديُّ. وعن مسروق، ومجاهدٍ، ومحمد بن كعب: المراد به فجرُ يومِ النحرِ خاصَّةً، وهو خاتمةُ الليالي العشر. وقيل: المراد بذلك الصلاةُ التي تُفَعَّلُ عنده، كما قاله عكرمةٌ. وقيل: المرادُ به جميعُ النهار. وهو رواية عن ابن عباس. والليالي العشرُ المراد بها عشرُ ذي الحجة. كما قاله ابنُ عباس، وابنُ الزبير، ومجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ من السلفِ والخلف.

[٧٢٦٤] وقد ثَبِتَ في صحيح البخاري، عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحبُّ إلى الله فيهنَّ العملُ من هذه الأيام» - يعني عشرَ ذي الحجة - قالوا: ولا الجهادُ في سبيلِ الله؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»^(٢). وقيل: المرادُ بذلك العشرُ الأولُ من المحرم، حكاه أبو جعفر بن جرير، ولم يَعْزْه إلى أحد. وقد رَوَى أبو كُذَيْبَةَ، عن قابوس بن أبي ظبيان،

(١) تقدم تخريجه في سورة الانفطار، وهو صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٩٦٩ وأبو داود ٢٤٣٨ والترمذي ٧٥٧ وابن ماجه ١٧٢٧ وأحمد ٢٢٤/١ والطبراني ٢٦٣١ وابن حبان ٣٢٤.

عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلَيْلَا عَشْرِ ۝﴾ ، قال: هو العشر الأول من رمضان. والصحيح القول الأول. [٧٢٦٥] قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عياش بن عتبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر»^(١). ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله، كل منهما عن زيد بن الحباب، به. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث زيد بن الحباب، به. وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندني أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْشَّفْعُ وَالْوَتْرُ ۝﴾ ، قد تقدّم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة، ليكونه التاسع، وأن الشفع يوم النحر ليكونه العاشر. وقاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك أيضاً.

قول ثان: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثني عتبة بن خالد، عن واصل بن السائب قال: سألت عطاء عن قوله تعالى: ﴿وَالْشَّفْعُ وَالْوَتْرُ ۝﴾ ، قلت: صلاتنا ووترنا هذا؟ قال: لا، ولكن الشفع يوم عرفة، والوتر ليلة الأضحى.

قول ثالث: قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني، حدثني أبي، عن النعمان - يعني ابن عبد السلام - عن أبي سعيد بن عوف، حدثني بمكة قال: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن الشفع والوتر. فقال: الشفع قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ مَّجَلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ، والوتر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وقال ابن جريج: أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول: الشفع أوسط أيام التشريق، والوتر آخر أيام التشريق. ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج.

[٧٢٦٦] ثم قال ابن جرير: وروى عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرناه عن ابن الزبير، حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني عياش بن عتبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: الشفع اليومان، والوتر الثالث^(٢). هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالف لما تقدّم من اللفظ من رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم، وما رواه هو أيضاً، والله أعلم.

[٧٢٦٧] وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، منه إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»، وهو وتر يحب الوتر^(٣).

قول رابع: قال الحسن البصري، وزيد بن أسلم: الخلق كلهم شفع ووتر، أقسم تعالى بخلقه. وهو رواية عن مجاهد، والمشهور عنه الأول. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَالْشَّفْعُ وَالْوَتْرُ ۝﴾ ، قال: الله وتر

(١) الصحيح موقوف. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٩١ وأحمد ٣/٣٢٧ والطبري ٣٧٠٧٣ والحاكم ٤/٢٢٠ والبخاري ٢٢٨٦ من حديث جابر. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/١٣٧، رجاله رجال الصحيح غير عياش بن عتبة، وهو ثقة، اهـ. قلت: علته الوحيدة، عننه أبي الزبير، فهو وإن كان من رجال مسلم، إلا أنه مدلس، وقد عنعن. وما يقوي ما ذهب إليه ابن كثير من نكارة رفعه هو اختلاف أئمة التفسير في ذلك من الصحابة والتابعين، فلو صح هذا المرفوع لكان قيصلاً في ذلك، وانظر هذا الاختلاف في الروايات الآتية.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧١٠٢ من حديث جابر، وفيه أبو الزبير مدلس، وقد عنعن، وقد رواه غير واحد بهذا الإسناد، لكن بلفظ آخر وتقدم.

(٣) متفق عليه. وتقدم مراراً.

واحد، وأنتم شَفَع. ويقال: الشَفْع صلاة العَدَاة، والوتر صلاة المغرب.

قول خامس: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ (٣)، قال: الشفع الزوج، والوتر: الله عز وجل. وقال أبو عبد الله عن مجاهد: الله الوتر، وخلقه الشفع، الذكر والأنثى. وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد قوله: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ (٣): «كل شيء خلقه الله شَفْع، والسما والارض، والبر والبحر، والجن والإنس، والشمس والقمر، ونحو هذا». ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣)، أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد.

قول سادس: قال قتادة، عن الحسن: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ (٣): هو العدد، منه شفع ومنه وتر.

قول سابع في الآية الكريمة: قال أبو العالية، والربيع بن أنس، وغيرهما: هي الصلاة، منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب، فإنها ثلاث، وهي وتر النهار. وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل. وقد قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة، عن عمران بن حصين: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾ (٣)، قال: هي الصلاة المكتوبة، منها شفع ومنها وتر. وهذا منقطع وموقوف، ولفظه خاص بالمكتوبة. وقد روي متصلاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولفظه عام.

[٧٢٦٨] قال الإمام أحمد: حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عَصَام: أن شيخاً حدثه من أهل البصرة، عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر، فقال: «هي الصلاة، بعضها شفع، وبعضها وتر»^(١). هكذا وقع في المسند، وكذا رواه ابن جرير عن بُندار، عن عفان، وعن أبي كريب، عن عبيد الله بن موسى، كلاهما عن همام - وهو ابن يحيى - عن قتادة، عن عمران بن عَصَام، عن شيخ، عن عمران بن حصين. وكذا رواه أبو عيسى الترمذي، عن عمرو بن علي، عن ابن مهدي وأبي داود، كلاهما عن همام، عن قتادة، عن عمران بن عَصَام، عن رجل من أهل البصرة، عن عمران بن حصين، به. ثم قال: «غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة. وقد روي عن عمران بن عَصَام، عن عمران نفسه، والله أعلم.

[٧٢٦٩] قلت: ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عَصَام الضبيعي، شيخ من أهل البصرة - عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ فذكره^(٢)، هكذا رأيت في تفسيره، فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عَصَام.

[٧٢٧٠] وهكذا رواه ابن جرير: حدثنا نصر بن علي، حدثني أبي، حدثني خالد بن قيس، عن قتادة، عن عمران بن عَصَام، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال: «هي الصلاة، منها شفع، ومنها وتر»^(٣). فأسقط ذكر الشيخ المجهول، وتفرد به عمران به عَصَام الضبيعي أبو عمارة البصري، إمام مسجد

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٤٢ وأحمد ٤٣٧/٤ - ٤٣٨ والطبري ٣٧٠٩٩ من حديث عمران بن حصين. وضعفه الترمذي بقوله: غريب، وهو كما قال، فإن فيه رجلاً لم يسم. وقد كرره الطبري ٣٧٠٩٧ من وجه آخر عن قتادة بهذا الإسناد بدون ذكر الشيخ الذي لم يسم، والظاهر أنه أسقطه بعض الرواة. والحديث ضعيف بكل حال، والأشبه فيه الوقف كما اختاره ابن كثير كما سيأتي، والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف، وانظر ما بعده.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٠٩٧ والحاكم ٥٢٢/٢ وصححه! ووافقه الذهبي، مع أن إسناده منقطع، وانظر ما تقدم.

بني ضبيعة وهو والد أبي جفرة نصر بن عمران الضبعي. روى عنه قتادة، وابنه أبو جفرة، والمثنى بن سعيد، وأبو التياح يزيد بن حميد. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وذكره خليفة ابن خياط في التابعين من أهل البصرة، وكان شريفاً نبيلاً خطيباً عند الحجاج بن يوسف، ثم قُتِلَ يوم الزاوية سنة ثلاث وثمانين، لخروجه مع ابن الأشعث، وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد. وعندي أن وقَّفه على عمران بن حصين أشبه، والله أعلم. ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشُّفْعِ والوثر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَسِرَ﴾ ١٤، قال العوفي، عن ابن عباس: أي إذا ذهب. وقال عبد الله بن الزبير: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَسِرَ﴾ ١٤: حتى يذهب بعضه بعضاً. وقال مجاهد، وأبو العالية، وقتادة، ومالك، عن زيد بن أسلم وابن زبير: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَسِرَ﴾ ١٤، إذا سار. وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس، أي: ذهب. ويحتمل أن يكون المراد إذا سار، أي: أقبل. وقد يقال: إن هذا أنسب، لأنه في مقابلة قوله: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ١٥، فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حُمِلَ قوله: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَسِرَ﴾ ١٤، على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار، وبالعكس، كقوله: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا عَسَسَ﴾ ١٧ ﴿وَالشُّجِّ إِذَا نَفَسَ﴾ [التكوير: ١٧-١٨]. وكذا قال الضحاك: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَسِرَ﴾ ١٤، أي: يجري. وقال عكرمة: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَسِرَ﴾ ١٤، يعني: ليلة جمع. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، ثم قال ابن أبي حاتم.

حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عامر، حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، يقول في قوله: ﴿وَأَتْلَىٰ إِذَا يَسِرَ﴾ ١٤، قال: اسر يا سار ولا تبيت إلا بجمع. وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّئِي حِيَرٌ﴾ ٥، أي: لذي عقل ولُبٍّ وجباً؛ وإنما سمي العقل جِحْراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه جِحْرُ البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي. ومنه جِحْرُ اليمامة، وحجّر الحاكم على فلان: إذا منعه التصرف، ﴿وَيَقُولُونَ جِبْرًا نَحْنُ أَجْرًا﴾ [الفرقان: ٢٢]، كل هذا من قبيل واحد، ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حجٍّ وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون لذيّه، الخاشعون لوجهه الكريم. ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاوَا﴾ ١٦، وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذِّبين لِرُسُلِهِ، جاحدين ليُكْتَبَ، فذكر تعالى كيف أهلكهم وذمرهم، وجعلهم أحاديث وعبراً، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاوَا﴾ ١٦ إِمَّ ذَاتِ الْاَلَمَادِ: وهؤلاء عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق وهم الذين بعث فيهم رسوله هوداً - عليه السلام - فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَكْنِيَةً أَيَّامٍ خُسُوفًا فَذَرَى الْقَوْمَ فِيهَا مَرْعًى فَكُنَّ لَأَعْيَادًا فَخُلِيَ خَاوَوُهَا﴾ ٧ ﴿فَقُلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنَ آيَاتِكُمْ﴾ [الحاقة: ٧-٨]. وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون. فقوله تعالى: ﴿بِمَاوَا﴾ ١٦ إِمَّ ذَاتِ الْاَلَمَادِ ﴿٧﴾: عطف بيان؛ زيادة تعريف بهم.

وقوله تعالى: ﴿ذَاتِ الْاَلَمَادِ﴾، لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي تُرفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقوامهم بطشاً، ولهذا ذكّرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّكَو تَلْمِخُونَ﴾ [الاعراف: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنَهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ٥١]. وقال ها هنا: ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي

الْبَلَدِ ﴿٨﴾، أي: القبيلة التي لم يُخلق مثلها في بلادهم، لِقَوْتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَعَظَمَ تَرْكِيبِهِمْ. قال مجاهد: إِرْمُ أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ. يعني عاداً الأولى، كما قال قتادة بن دِعامَة، والسَّدي: إن إِرْمَ بَيْتٍ مَمْلُوكَةٌ عَادٍ. وهذا قول حسنٌ جيّدٌ قويٌّ. وقال مجاهد، وقاتدة، والكلبي في قوله: ﴿ذَاتِ الْوَعْدِ﴾ كانوا أهل عُمُودٍ لا يقيمون. وقال العوفي، عن ابن عباس: إنما قيل لهم ﴿ذَاتِ الْوَعْدِ﴾ ليطولهم. واختار الأول ابن جرير، وردّ الثاني فأصاب. وقوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ ﴿٩﴾: أعاد ابنُ زيد الضميرَ على العمادِ لارتفاعها، وقال: بَنُوا عُمُوداً بالأحقاد لم يُخلق مثلها في البلاد. وأما قتادة وابنُ جرير فأعاد الضمير على القبيلة، أي: لم يُخلق مثل تلك القبيلة في البلاد، يعني في زمانهم: وهذا القول هو الصواب، وقول ابن زيد وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبُهُ ضَعِيفٌ؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال: التي لم يُعْمَلْ مثلها في البلاد، وإنما قال: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾.

[٧٢٧١] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي معاويةُ بنُ صالح، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عن المقدم، عن النبي ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَقَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْتِي عَلَى الصَّخْرَةِ فَيَحْمِلُهَا عَلَى الْحَيِّ فَيُهْلِكُهُمْ»^(١). ثم قال ابنُ أبي حاتم - حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو الطاهر، حدثنا أنس بن عياض، عن ثور بن زيد الديلي قال: قرأت كتاباً قد سَمِىَ حيث قرأه -: أنا شَدَّادُ ابنِ عاد، وأنا الذي رفعتُ العِمَادَ، وأنا الذي شَدَدْتُ بِذِرَاعِي نَظَرَ واحدٍ، وأنا الذي كَثُرَتْ كَنَزاً على سبعةِ أَذْرُعٍ لا يُخْرِجُهُ إِلَّا أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ -. قلتُ: فعلى كُلِّ قولٍ سواءٌ كانت العِمَادُ أبنيةً بَنَوْها، أو أعمدةً بيوتهم للبدو، أو سَلاحاً يُقاتلون به، أو طول الواحد منهم، فهم قبيلةٌ وأُمَّةٌ من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرئون بِشُؤد كما ها هنا. والله أعلم.

ومن زَعَمَ أن المراد بقوله: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْوَعْدِ﴾ ﴿٩﴾ مدينةٌ إما دمشق، كما رُوِيَ عن سعيد بن المسيَّب وعكرمة - أو إسكندرية كما رُوِيَ عن القُرظي - أو غيرهما - ففيه نظرٌ، فإنه كيف يلتصق الكلام على هذا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ﴿١٠﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْوَعْدِ ﴿٧﴾، إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حيثئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحلَّ الله بهم من بأسِهِ الذي لا يَرُدُّ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم. وإنما تَبَيَّنَتْ على هذا لثلاثُ يَغْتَرُّ بكثير مما ذَكَرَهُ جماعةٌ من المفسرين عند هذه الآية، من ذكر مدينةٍ يقال لها: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْوَعْدِ﴾ ﴿٩﴾، مبنيةٌ بِلَبَنِ الذهبِ والفضة، قصورها ودورها وبساتينها، وأن حصبها لآلئٌ وجواهرٌ، وترابها بنادقُ المسك، وأنهاها سارحةٌ، وثمارها ساقطةٌ، ودورها لا أنيسَ بها، وسورها وأبوابها تَصْفُرُ، ليس بها داع ولا مُجِيبٌ. وأنها تَنْتَقِلُ فتارةً تكونُ بأرض الشام، وتارةً باليمن، وتارةً بالعراق، وتارةً بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خُرافات الإسرائيليين، من وَضَعَ بعضُ زنادِقتهم، ليختبروا بذلك القول عُقُولَ الْجَهْلَةِ من الناسِ أنْ صَدَّقَهُمْ في جميع ذلك.

وذكرُ الثعلبي وغيره أن رجلاً من الأعراب، وهو عبد الله بن قلابَة، في زمان معاويةَ ذَهَبَ في طلب أباعر له شَرَدَتْ، فبينما هو يتيه في ابتغائها، إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سورٌ وأبوابٌ، فدخلها فوجد فيها قريباً مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدّم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس، فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يَزُوا شيئاً. وقد ذكر ابنُ أبي حاتم قصة ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْوَعْدِ﴾ ﴿٧﴾ ها هنا مطوّلةً جداً، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوعٌ من الهوس

(١) إسناده ضعيف جداً، فيه راوٍ لم يسم، وعلة ثانية: عبد الله بن صالح، روى مناكير كثير، بسبب جاره له كان يدس في كتبه، والأشبه في مثل هذا الوقف على بعض الصحابة أو التابعين.

والجبال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك. وهذا مما يقطع بعدم صحته. وهذا قريب مما يُخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين، من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطر الذهب والفضة، وألوان الجواهر والياقيات واللآلئ والإكسير^(١) الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاير ونحو ذلك من الهذيان، ويطنزون^(٢) بهم. والذي نجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزاً كثيرة، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولونه إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب.

وقول ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِرم﴾ قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فذلك لم تُصَرَف - فيه نظر؛ لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: ﴿وَتُمَوِّدُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾، يعني يقطعون الصخر بالوادي. قال ابن عباس: يَنحِتُونَهَا وَيُخْرِقُونَهَا. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، ومنه يقال «مُجتابي الثمار»، إذا خرقتها، واجتباب الثوب: إذا فتحه. ومنه الجيب أيضاً. وقال الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ مِنْ آلِجَالٍ يَوْمًا نَقَرِهِمْ﴾ [الشعراء: ١٤٩]. وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ما هنا قول الشاعر:

الآكل شيء - ما خلا الله - باند كما باد حَي من شنيف ومارد
هُم ضَرَبُوا فِي كُلِّ صَمَاءٍ صَعْدَةً بأيدي شِذَادٍ أَيْدَاتِ السَّوَاعِدِ

وقال ابن إسحاق: كانوا عرباً، وكان منزلهم بوادي القُرى. وقد ذكرنا قصته مُستقصاة في سورة «الأعراف»، بما أغنى عن إعادته.

وقوله تعالى: ﴿وَوَعَدَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يُعَلِّقُهُمْ بها. . وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد، وهكذا قال سعيد بن جببر، والحسن، والسدي. قال السدي: كان يربط الرجل، كل قائمة من قوائمه في وتد، ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشده. وقال قتادة: بلغنا أنه كانت له مَطَالٌ ومَلَاعِبٌ يلعب له تحتها، من أوتاد وحبال. وقال ثابت البناني، عن أبي رافع: قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضَرَبَ لامراته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رخی عظيمة حتى ماتت.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ طَفَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ فَاكْتَرَوْا فِيهَا الْفَسَادَ، أي: تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ وَالْأَذِيَّةِ لِلنَّاسِ، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، أي: أنزل عليهم رجزاً من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يَرُدُّهَا عَنْ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَالَغُ الرَّصَادِ﴾، قال ابن عباس: يَسْمَعُ وَيَرَى. يعني: يرصد خلقه فيما يعملون، ويُجازي كل ما يسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بقضاه، ويُقَابِلُ كل ما يستحقه. وهو المُنَزَّه عن الظلم والجور. وقد ذكر ابن أبي حاتم ما هنا حديثاً غريباً جداً - وفي إسناده نظر وفي صحته، فقال:

[٧٢٧٢] حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ الْحَذَّاءُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الْبَيْهَقِيِّ، عَنْ

(١) الإكسير: الكيمياء.

(٢) يطنزون: يسخرون.

مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَا مُعَاذُ! إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَدَى الْحَقِّ أَسِيرٌ. يَا مُعَاذُ! إِنْ الْمُؤْمِنُ لَا يَسْكُنُ رَوْعَهُ وَلَا يَأْمَنُ اضْطِرَابَهُ حَتَّى يُخْلَفَ جَسْرُ جَهَنَّمَ خَلْفَ ظَهْرِهِ. يَا مُعَاذُ! إِنْ الْمُؤْمِنُ قَيْدُهُ الْقُرْآنُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِهِ، وَعَنْ أَنْ يَهْلِكَ فِيهَا هُوَ بِإِذْنِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَالْقُرْآنُ دَلِيلُهُ، وَالْخَوْفُ مَحَجَّتُهُ، وَالشُّوقُ مَطْلَبَتُهُ، وَالصَّلَاةُ كَهْفُهُ، وَالصَّوْمُ جُنَّتُهُ، وَالصَّدَقَةُ فَكَاكُهُ، وَالصَّدَقُ أَمِيرُهُ، وَالْحَيَاءُ وَزِيرُهُ، وَرَبُّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْمَرَصَادِ»^(١). قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: يُونُسُ الْحَدَّاءُ وَأَبُو حَمْزَةَ مَجْهُولَانِ، وَأَبُو حَمْزَةَ عَنْ مُعَاذٍ مُرْسَلٌ، وَلَوْ كَانَ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ لَكَانَ حَسَنًا، أَيْ: لَوْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَكَانَ حَسَنًا. ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَيُّقَعَ بْنِ عَبْدِ الْكَلَاءِ عَمِّي: أَنَّهُ سَمِعَهُ وَهُوَ يَعْظُمُ النَّاسَ يَقُولُ: إِنْ لَجَهْتُمْ سَبْعَ قَنَاطِرٍ، قَالَ: وَالصَّرَاطُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَيُحْبَسُ الْخَلَائِقُ عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مُسْتَوْلُونَ﴾^(٢) [الصفات: ٢٤]، قَالَ: فَيُحَاسِبُونَ عَلَى الصَّلَاةِ وَيُسْأَلُونَ عَنْهَا، قَالَ: فَيَهْلِكُ فِيهَا مَنْ هَلَكَ، وَيَنْجُو مَنْ نَجَا، فَإِذَا بَلَغُوا الْقَنْطَرَةَ الثَّانِيَةَ حُوسِبُوا عَلَى الْأَمَانَةِ كَيْفَ أَدَوْهَا، وَكَيْفَ خَاتَمُوهَا؟ قَالَ: فَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ وَيَنْجُو مَنْ نَجَا. فَإِذَا بَلَغُوا الْقَنْطَرَةَ الثَّلَاثَةَ سُئِلُوا عَنِ الرَّحِمِ كَيْفَ وَصَلُوهَا وَكَيْفَ قَطَعُوهَا؟ قَالَ: فَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ وَيَنْجُو مَنْ نَجَا. قَالَ: وَالرَّحِمُ يَوْمَئِذٍ مُتَدَلِّيةٌ إِلَى الْهُوِيِّ فِي جَهَنَّمَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ مَنْ وَصَلَنِي فَيَصِلْهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي فَاقْطَعْهُ. قَالَ: وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغُ الْمَرَصَادِ﴾^(٣). هَكَذَا أورد هذا الأثر، ولم يذكر تمامه.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾^(١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ^(١٦) كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ^(١٧) وَلَا تَخْضَعُونَ عَلَى طَعَامِ الْيَسْكِينِ^(١٨) وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاكَ أَكْلًا لَمًّا^(١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا^(٢٠)

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ لِيُخْتَبِرَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ. بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُخْتَبَرُونَ أَنَّمَا يُبَدِّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٥٥) شَايِعٌ لَهُمْ فِي الْفِتْنَةِ بَلْ لَا يَتَّقُونَ^(٥٦) [المؤمنون ٥٥-٥٦]. وَكَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ إِذَا ابْتَلَاهُ فَامْتَحَنَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِهَانَةٌ لَهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، لَا فِي هَذَا وَلَا فِي هَذَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَإِنَّمَا الْمِدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ مِنَ الْحَالَيْنِ، إِذَا كَانَ غَنِيًّا بَانَ يَشْكُرُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا بَانَ يَصْبِرُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾، فِيهِ أَمْرٌ بِالْإِكْرَامِ لَهُ.

[٧٢٧٣] كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلِيمَانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي عَتَّابٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحَسِّنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ». ثُمَّ قَالَ بِإِصْبَاحِهِ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»^(٢).

[٧٢٧٤] وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ بْنِ سَفْيَانَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ - يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَازِمٍ -

(١) ضَعِيفٌ جَدًّا. وَقَدْ ضَعَفَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، فَأَعْلَاهُ يُونُسُ الْحَدَّاءُ، وَأَبُو حَمْزَةَ، وَالْإِنْتِقَاعُ؛ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَصِحَّ الْإِسْنَادُ إِلَى مُعَاذٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ ٦٥٤ وَتَقَدَّمَ.

حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ سَهْلٍ - يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ». وَقُرْنٌ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ: الْوُسْطَى وَالتِّي تَلِي الْإِبْهَامَ^(١).

﴿وَلَا تَخْشَوْنَ عَلَى طَعْمَارٍ الْيَتِيمِينَ﴾^(١٨)، يَعْنِي: لَا يَأْمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيَحُثُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ، ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾، يَعْنِي الْمِيرَاثَ، ﴿أَكْثَلًا لَّكُمَا﴾، أَي: مِنْ أَيِّ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ، مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، ﴿وَيُخْبِتُونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(٢٠)، أَي: كَثِيرًا، زَادَ بَعْضُهُمْ: فَاحْشَا.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾^(٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(٢٢) وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَبَذَرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرَى^(٢٣) يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي^(٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا^(٢٥) وَلَا يُؤْنِقُ نَاقَتُهُ أَحَدًا^(٢٦) يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ^(٢٧) أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً^(٢٨) فَأَدْخِلْنِي عِبَادِي^(٢٩) وَأَدْخِلْنِي جَنَّاتٍ^(٣٠)

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾، أَي: حَقًّا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا﴾، أَي: وَطُئَتْ وَمُهْدَتْ وَسُوِّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَقَامَ الْخِلَاقُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّهِمْ، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، يَعْنِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدٍ وَلَدَ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - بَعْدَ مَا يَسْأَلُونَ أُولَى الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكُلُّهُمْ يَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَاكُم، حَتَّى تَنْتَهِيَ التَّوْبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا. فَيَذْعَبُ فَيُشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَيُشْفَعُهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ «سَبْحَانَ»، فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَىٰ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا.

[٧٢٧٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾؛ قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا عُمرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ خَالِدٍ الْكَاهِلِيِّ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا»^(٢). وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ، عَنْ عُمرُ بْنُ حَفْصٍ، بِهِ. وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ - وَهُوَ أَبُو إِثَلٍ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَوْلُهُ وَلَمْ يَرْفَعِهِ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْفَزَارِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَوْلُهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَبَذَرُ الْإِنْسَانُ﴾، أَي: عَمَلَهُ وَمَا كَانَ أَسْلَفَهُ فِي قَدِيمِ ذَهَرِهِ وَحَدِيثِهِ، ﴿وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرَى﴾، أَي: وَكَيْفَ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى؟! ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٢٤)، يَعْنِي يَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي - إِنْ كَانَ عَاصِيًا - وَيَتَوَدُّ لَوْ كَانَ أَزْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ - إِنْ كَانَ طَائِعًا -.

[٧٢٧٦] كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ - حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وَلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٠٤ وأبو داود ٥١٥٠ والترمذي ١٩١٨ وأحمد ٣٣٣/٥ وابن حبان ٤٦٠.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٤٢ والترمذي ٢٥٧٣.

ولَوْدُ أَنَّهُ يُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ^(١). ورواه بَجِيرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عْتَبَةَ بْنِ عَبْدِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَمْدُحُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ (٢٥)، أي: ليس أحدٌ أشدَّ عذاباً من تعذيب الله من عَصَاهُ، ﴿وَلَا يُؤْتِي وَفَاقَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٦)، أي: وليس أحدٌ أشدَّ قبضاً وَوَفَاقاً من الزبانية لمن كَفَرَ بِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفسُ الزكية المَطْمَئِنَّةُ وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، أي: إلى جوارحه وَثَوَابِهِ وما أعدَّ لعباده في جنته، ﴿رَاضِيَةً﴾، أي: في نفسها ﴿مَرْضِيَّةً﴾، أي: قد رَضِيتَ عن الله وَرَضِيَ عنها وأَرْضاها، ﴿وَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٨)، أي: في جُمْلَتِهِمْ، ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٢٩). وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يُشِيرُونَ المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، وكذلك ها هنا.

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذا الآية: فَرَوَى الضَّحَّاكُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي عِثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ. وعن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ: نَزَلَتْ فِي حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال العوفي، عن ابن عباس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ، يعني: صَاحِبِكَ، وهو بَدَنُهَا الذي كانت تعمُرُهُ في الدنيا ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا: (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي). وكذا قال عكرمة والكلبلي، واختاره ابن جرير، وهو غريب، والظاهر الأول لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَأَن مَّرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣]، أي: إلى حكمه والوقوف بين يديه.

[٧٢٧٧] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدُّشْتُكِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَشْعَثَ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، قال: نَزَلَتْ وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَحْسَنَ هَذَا! فقال: «أما إنه سَيَقَالُ لك هذا»^(٢).

[٧٢٧٨] ثم قال: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ أَشْعَثَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قال: قُرِئَتْ عند النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن هذا لَحَسَنٌ! فقال له النبي ﷺ: «أما إن المَلَكَ سَيَقُولُ لك هذا عند الموت»^(٣). وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كُرَيْبٍ، عن ابن يَمَانَ، به. وهذا مرسل حسن.

ثم قال ابن أبي حاتم: وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ شُجَاعٍ الْجَزَرِيُّ، عَنْ سَالِمِ الْأَفْطَسِ،

(١) هو موقوف. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٣٤ وأحمد ١٨٥/٤، وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه أحمد ١٨٥/٤ والبخاري في «التاريخ» ١٥/١/١ وأبو نعيم ١٥/٢ و ٢١٩/٥ من طريق بقية بن الوليد عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة مرفوعاً، وإسناده ضعيف، خالد ثقة لكنه كثير الإرسال، وهو لم يسمعه من عتبة، إنما سمعه من جبيرة كما في الرواية المتقدمة. ولم يتبينه الألباني إلى هذه العلة فجرى على ظاهره، وأورده في «الصحيحة» ٤٤٦ ولم يذكر له طرقات ولا شواهد، فالصواب أنه موقوف، والمرفوع ضعيف. وقد روي موقوفاً من طرق. راجع «الإصابة» ٣/٣٨١/٣. ٧٧٩٨.

(٢) ضعيف. رجاله ثقات، لكن أشعث، وهو ابن إسحاق بن سعد قال البزار: روى أحاديث لا يتابع عليها. وفيه أيضاً جعفر بن أبي المغيرة، ذكره ابن أبي حاتم من غير جرح ولا تعديل. وقال ابن مندة: ليس هو بالقوي في سعيد بن جبيرة. وهذا رواه عن سعيد والمتن غريب. والله أعلم.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٢١٣ مرسلًا، ومع إرساله سقط الوسيلة بين أشعث وسعيد.

عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طير لم ير على خلقته، فدخل نغشه، ثم لم ير خارجاً منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، لا يدري من تلاها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِذِّي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۖ﴾. رواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن مزوان بن شجاع، عن سالم بن عجلان الأقطبي، به فذكره.

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشكر - في كتاب العجائب بسنده عن قُبات ابن رزين أبي هاشم قال: أُسِرْتُ في بلاد الروم، فجمعنا المَلِكُ وَعَرَضَ علينا دينه، على أن من امتنع ضُربت عنقه. فارتد ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع، فَضُربت عنقه، وألقي رأسه في نهر هناك، فَرَسِبَ في الماء ثم طَفَا على وجه الماء، ونَظَرَ إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان! يا فلان! يا فلان! - يُناديهم بأسمائهم - قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِذِّي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۖ﴾. ثم غاص في الماء، قال: فكادت النصارى أن يسلّموا، وَوَقَعَ سَرِيرُ المُلِكِ، وَرَجَعَ أولئك الثلاثة إلى الإسلام - قال: وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فَخَلَصْنَا.

[٧٢٧٩] وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رَوَاحَةَ بنت أبي عمرو الأوزاعي، عن أبيها: حَدَّثَنِي سليمان بن حبيب المحاربي، حَدَّثَنِي أبو أمامة: أن رسولَ الله ﷺ قال لرجل: «قُل: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْساً بِكَ مُطْمَئِنَّةً، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ، وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَتَقْنَعُ بِعِطَائِكَ»^(١). ثم رَوَى عن أبي سليمان بن زُبَيْر أنه قال: حَدِيثُ رَوَاحَةَ هَذَا وَاحِدٌ أُمُّهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

(١) إسناده ضعيف. رَوَاحَةُ، تفرد بذكرها ابن عساكر، ولم أجد لها ترجمة في شيء من كتب التراجم، وقد تفردت بهذا الحديث، ولم يتابعها عليه أحد، فهي لا تعرف بحمل العلم، فالخبر ضعيف.



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَفْقَرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ مَا لَأُبَدَا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

هذا قسم من الله - عز وجل - بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً؛ لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها. قال خُصيف، عن مجاهد ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) : ﴿لَا﴾ : رد عليهم؛ ﴿أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢) وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) ، يعني مكة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢) ، قال: أنت - يا محمد - يحل لك أن تقابل به. وكذا روي عن سعيد بن جبير، وأبي صالح، وعطية، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد. وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك. وقال قتادة: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢) ، قال: أنت به من غير حرج ولا إثم. وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار.

[٧٢٨٠] وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرّام بحُرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعصّد شجره ولا يُختلى خلاله، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب». وفي لفظ: «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم» (١).

وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ﴾ (٣) ، قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، عن شريك، عن خُصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ﴾ (٣) ، الوالد: الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له. ورواه ابن أبي حاتم، من حديث شريك - وهو ابن عبد الله القاضي - به. وقال عكرمة: الوالد: العاقر، وما ولد: الذي يلد. رواه ابن أبي حاتم. وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والضحاك، وسفيان الثوري، وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن البصري، وخُصيف، وشُرجيل بن سعد، وغيرهم: يعني بالوالد آدم، وما ولد ولده. وهذا الذي دُعِب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي؛ لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن أقسم بعده بالسكن، وهو آدم أبو البشر ولده. وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم. واختار ابن جرير أنه عام في كل والد ولده. وهو مُحتمل أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (١): رُوِيَ عن ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وخثيمة، والضحاك، وغيرهم: يعني مُتَّصِباً، زاد ابن عباس في رواية عنه - في بطن أمه. والكَبَدُ: الاستواء والاستقامة. ومعنى هذا القول: لقد خلقنا الإنسان سوياً مُستقيماً كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ (٢) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ [الانفطار: ٧ - ٨]، وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التيين: ٤). وقال ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿فِي كَبَدٍ﴾، قال: في شِدَّةِ خَلْقٍ، ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه؟ وقال مجاهد: ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نُطْفَةٌ، ثم علقَةٌ، ثم مضغَةٌ، يتكبد في الخلق، قال مجاهد: وهو كقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّكُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحاف: ١٥]، وأرضعته كُرْهًا، ومعيشته كره، فهو يُكَابِدُ ذلك. وقال سعيد بن جبيرة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٣): في شِدَّةٍ وَطَلَبِ مَعِيشَةٍ. وقال عكرمة: في شِدَّةٍ وَطُولٍ. وقال قتادة: في مشقَّةٍ. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عِصَام، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلاً من الأنصار عن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٤)، قال: في قيامه واعتداله. فلم يُنكر عليه أبو جعفر. وروى من طريق أبي مودود: سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٥)، قال: يُكَابِدُ أَمْرًا من أمر الدنيا، وأمرًا من أمر الآخرة. وفي رواية: يُكَابِدُ مضايق الدنيا وشدائد الآخرة. وقال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٦)، قال: آدم خُلِقَ في السماء فَسُمِّيَ ذلك الكَبَدُ، واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها. وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (٧)، قال الحسن البصري: يعني ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (٨). وقال قتادة: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (٩)، قال: ابن آدم يظن أن لن يسأل عن هذا المال: من أين اكتسبه؟ وأين أنفق؟ وقال السدي: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (١٠)، قال: الله عز وجل. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ (١١)، أي: يقول ابن آدم: أنفقت ما لا لبدا، أي: كثيراً. قاله مجاهد، والحسن، وقاتدة، والسدي، وغيرهم. ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (١٢)، قال مجاهد: أي: يحسب أن لم يره الله عز وجل. وكذا قال غيره من السلف. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾ (١٣)، أي: يُبَصِّرُ بهما. ﴿وَلِسَانًا﴾، أي: يَنْطِقُ به، فَيُعَبِّرُ عما في ضميره، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وقبحه.

[٧٢٨١] وقد رَوَى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي، عن مكحول قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: يابن آدم، قد أنعمت عليك نعماً عظماً لا تُحصى عَدَدُهَا ولا تُطيق شُكْرُهَا، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عَيْنَيْنِ تنظر بهما، وجعلت لهما غِطَاءً، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فَأَطِيقْ عليهما غِطَاءَهُمَا. وجعلت لك لساناً، وجعلت له غِلافاً، فانطق بما أمرتك وأحللت لك، فإن عَرَضَ لك ما حرمت عليك فَأَغْلِقْ عليك لسانك. وجعلت لك فَرْجاً، وجعلت لك بَيْتاً، فأصَبْ بفرجك ما أحللت لك، فإن عَرَضَ لك ما حرمت عليك فَأَرْخِ عليك بَيْتَكَ. يابن آدم، إنك لا تحيل سَخَطِي، ولا تطيق انتقامي» (١).

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٤)، قال سفيان الثوري، عن عاصم، عن زُرِّ، عن عبد الله - هو ابن مسعود -: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٥)، قال: الخير والشر. وكذا رُوِيَ عن علي، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبي

(١) ضعيف جداً. فهو مرسل، فهذه علة، ومكحول فيه ضعف إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله، ولم يذكر المصنف رجال الإسناد، والتين غريب جداً، يشبه أنه من الاسرائيليات.

وائل، وأبي صالح، ومحمد بن كعب، والضحاك، وعطاء الخراساني في آخرين.

[٧٢٨٢] وقال عبد الله بن وهب: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سينان بن سعد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «هما نَجْدَانِ، فما جُعِلَ نجد الشر أحب إليكم من نَجْدِ الخير»^(١). تَفَرَّدَ به سنَانُ بن سعد - ويقال: سعد بن سينان - وقد وثقه ابن معين. وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني: منكر الحديث: وقال أحمد: تركت حديثه لاضطرابه. وروى خمسة عشر حديثاً منكراً كلها، ما أعرف منها حديثاً واحداً، يشبه حديث الحسن - يعني البصري - لا يُشَبِّه حديث أنس.

[٧٢٨٣] وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُليّة، عن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: «وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ (١١)»، قال: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا النُّجْدَانِ، نَجْدُ الْخَيْرِ وَنَجْدُ الشَّرِّ، فَمَا جُعِلَ نَجْدُ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ»^(٢). وكذا رواه حبيب بن الشهيد، ومعمّر، ويونس بن عُبيد، وأبو وهب، عن الحسن مرسلاً. وهكذا أرسله قتادة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عسّام الأنصاري، حدثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِيُّ، حدثنا عيسى بن عَقَالٍ، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: «وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ (١١)»، قال: الثَّوْدَيْنِ. وَرَوَى عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، وَقتادة، وأبي حازم، مثل ذلك. ورواه ابن جرير عن أبي كُرَيْبٍ، عن وكيع عن عيسى بن عَقَالٍ، به ثم قال: والصواب القول الأول. ونظير هذه الآية قوله: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطَلُوعٍ أَتَشَاجٍ يَبْتَلِيهِ فَعَمَلَتْهُ سِيمَاءٌ بِصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا» [الإنسان: ٢ - ٣].

﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) بَيْنَمَا ذَا مَقَرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَفْرَقَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُنَا لَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)﴾

قال ابن جرير: حدثني عمر بن إسماعيل بن مُجَالِدٍ، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن عطية، عن ابن عمر في قوله تعالى: «فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ (١١)»، قال: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ أَزَلٌ. وقال كعب الأحبار: «فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ»، هو سبعون درجة في جهنم. وقال الحسن البصري: «فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ (١١)»، قال: عقبة في جهنم. وقال قتادة: إنها فُحْمَةٌ شديدة فاقترحوها بطاعة الله عز وجل. وقال قتادة في قوله: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢)»، ثم أخبر عن اقتحامها فقال: «فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ». وقال ابن زيد: «فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ (١١)»، أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير؟! ثم بينها فقال تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمْتُ». فُرىء: بالإضافة، وُقرئ على أنه فعل، وفيه ضمير الفاعل، والرقبة مفعوله. وكلتا القراءتين معناه مقارب.

[٧٢٨٤] قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إبراهيم، حدثنا عبد الله - يعني ابن سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم - مولى آل الزبير - عن سعيد بن مرجانة: أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ لِزَبٍ مِنْهَا إِزْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْتَقُ بِالْيَدِ الْيَدَ، وَبِالرَّجْلِ الرَّجْلَ،

(١) ضعيف جداً. وله علقان ضعف ابن لهيعة، وسنان بن سعد، بل هو منكر الحديث.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه عبد الرزاق ٣٦٢٢ والطبري ٣٧٢٩٩ و ٣٧٣٣٠٢ من طرق عن الحسن مرسلاً، فهذه علة، ومراسيل الحسن واهية، والمتن رفعه غريب، فهذه علة ثلاث.

وبالفرج الفرج^(١). فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم. فقال علي بن الحسين لغلाम له أقره غلماناه: ادع مطرفاً. فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حر لوجه الله^(٢). وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، من طرق، عن سعيد بن مرجانة، به. وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم.

[٧٢٨٥] وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَانَ بن أبي طلحة، عن أبي نَجِيح قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: أَيْمَانُ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَاقًا كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيْمَانُ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَاقًا كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِهَا مِنَ النَّارِ^(٣). رواه ابن جرير هكذا. وأبو نَجِيح هذا هو عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ، رضي الله عنه.

[٧٢٨٦] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا حَيُّوَةُ بْنُ شَرِيحٍ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةٌ، حَدَّثَنَا بِحَيْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ: أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِيُذَكَّرَ اللَّهُ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً كَانَتْ فِدْيَتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ. وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

[٧٢٨٧] طريق أخرى، قال أحمد: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا حَرِيزٌ؛ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ شُرَيْبَ بْنَ السَّمِطِ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ: حَدَّثَنَا حَدِيثًا لَيْسَ فِيهِ تَزْيِيدٌ وَلَا يُشَيِّئَانِ. قَالَ عمرو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فَكَاكُهُ مِنَ النَّارِ، غُضُوًّا بِغُضُوٍّ. وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ قَبْلَ أَنْ يَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ كَمُعْتِقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ»^(٥). وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ بَعْضُهُ.

[٧٢٨٨] طريق أخرى، قال أحمد: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا الْفَرَجُ، حَدَّثَنَا لُقْمَانُ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ فِيهِ انْتِقَاصٌ وَلَا وَهْمٌ. قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ وَلَدَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَلْبُغُوا الْجَنْتَ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ. وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلَغَ بِهِ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ لَهُ عِتْقٌ رَقَبَةٍ. وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ غُضُوٍّ مِنْهُ غُضُوًّا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ يَدْخُلُهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا»^(٥). وَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَيِّدَةٌ قَوِيَّةٌ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

[٧٢٨٩] حديث آخر، قال أبو داود: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَبْلَةَ، عَنْ الْغَرِيفِ بْنِ عِيَّاشِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْنَا وَائِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ فَقُلْنَا لَهُ: حَدَّثَنَا حَدِيثًا لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصَانٌ. فَغَضِبَ وَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَقْرَأُ وَمَصْحَفُهُ مُعَلَّقٌ فِي بَيْتِهِ، فَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ. قُلْنَا: إِنَّمَا أَرَدْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي صَاحِبٍ لَنَا قَدْ أَوْجَبَ - يَعْنِي النَّارَ - بِالْقَتْلِ، فَقَالَ: «اعْتِقُوا عَنْهُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٥١٧ و ٦٧١٥ ومسلم ١٥٠٩ والترمذي ١٥٤١ والنسائي ٥٠٥/٩ وأحمد ٤٢٠/٢.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٧٣١٧ وإسناده على شرط مسلم، وله طرق.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٣٨٦/٤ وإسناده على شرط مسلم.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٣٨٦/٤ وأبو داود ٣٩٦٦ والنسائي ٤٨٨٥ وإسناده على شرط مسلم.

(٥) حسن. أخرجه أحمد ٣٨٦/٤ وإسناده ضعيف لضعف فرج بن فضالة، لكن له شواهد مجتمعة ومتفرقة يحسن بها.

يُعْتَقُ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ^(١). وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم ابن أبي عبلة، عن العُرفِ بن عِيَّاش الدَّيْلَمي، عن وائلة، به.

[٧٢٩٠] حديث آخر، قال أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هِشَامُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ قَيْسِ الْجَذَامِي، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجَهَنِي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً فَهُوَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

[٧٢٩١] وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الْخَفَّافُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذُكِرَ أَنَّ قَيْسَ الْجَذَامِي حَدَّثَ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَهِيَ فَكَاكُهُ مِنَ النَّارِ»^(٣). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[٧٢٩٢] حديث آخر، قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ وَأَبُو أَحْمَدَ قَالَا: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَجَلِيُّ - مِنْ بَنِي بَجِيلَةَ - مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ - عَنْ طَلْحَةَ - قَالَ أَبُو أَحْمَدَ: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ مُصْرَفٍ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «لَنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ. أَعْتَقَ النَّسْمَةَ، وَفَكَ الرِّقَبَةَ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَلَيْسَتْ بَوَاحِدَةً؟ قَالَ: «لَا، إِنْ عِتَّقَ النَّسْمَةَ أَنْ تَتَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَ الرِّقَبَةَ أَنْ تُعَيِّنَ فِي عِتْقِهَا. وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفِيءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ؛ فَإِنْ لَمْ تُطْلَقْ ذَلِكَ فَاطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ» وَأَمَّا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُشْكِرِ، فَإِنْ لَمْ تَطْلُقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانُكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لِمَعْنَى فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ قال ابن عباس: ذِي مَجَاعَةٍ. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَالْمَسْغَبُ: هُوَ الْجُوعُ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّخَعُمِيُّ: فِي يَوْمِ الطَّعَامِ فِيهِ عَزِيزٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي يَوْمٍ يُشْتَهَى فِيهِ الطَّعَامُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَسَاءَلُونَ، أَيْ: أَطْعِمُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَتِيمًا، ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أَيْ: ذَا قَرَابَةٍ مِنْهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرَمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ.

[٧٢٩٣] كما جاء في الحديث الذي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا هِشَامُ، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحْمِ اثْنَانِ، صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ»^(٥). وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَسْكِنَ ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أَيْ: فَقِيرًا مُدْقِعًا لاصِقًا بِالتُّرَابِ، وَهُوَ الدَّقْعَاءُ أَيْضًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «ذَا مَقْرَبَةٍ» هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي الطَّرِيقِ، الَّذِي لَا بَيْتَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ يَقِيهِ مِنَ التُّرَابِ. وَفِي رَايَةٍ: هُوَ الَّذِي لَصِقَ بِالدَّقْعَاءِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ. وَفِي رَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْبَعِيدُ التَّرْبَةَ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: يَعْنِي الْغَرِيبَ عَنْ وَطَنِهِ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: هُوَ الْفَقِيرُ الْمَدْيُونُ الْمُحْتَاجُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الَّذِي لَا أَحَدَ لَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: هُوَ ذُو الْعِيَالِ. وَكُلُّ هَذِهِ قَرِيبَةُ الْمَعْنَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أَيْ: ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ الطَّاهِرَةِ مُؤْمِنٌ بِقَلْبِهِ، مُحْتَسِبٌ ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ٣٩٦٤١ وَالنَّسَائِيُّ ٤٨٩٢ وَهُوَ غَيْرُ قَوِيٍّ، وَتَقَدَّمَ.

(٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٥٠/٤ وَفِيهِ غَنَّةُ قَتَادَةَ، وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ قَيْسٍ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْإِسْنَادُ الْآتِي.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٤٧/٤، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِانْقِطَاعِهِ، لَكِنْ لِلْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ.

(٤) جَيِّدٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢٩٩/٤، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ.

(٥) تَقَدَّمَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإسراء: ١٩]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧] . الآية . وقوله تعالى: ﴿وَوَاصُواْ بِالصَّبْرِ وَوَاصُواْ بِالرَّحْمَةِ﴾، أي: كان من المؤمنين العاملين صالحاً، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث: .

[٧٢٩٤] «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١).

[٧٢٩٥] وفي الحديث الآخر: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^(٢).

[٧٢٩٦] وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عامر، عن عبد الله بن عمرو يرويه^(٣)، قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ أي: الْمُتَصِفُونَ بهذه الصفات من أصحاب اليمين. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَكُونُواْ أَصْحَابَ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾﴾، أي: أصحاب الشمال، ﴿عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ ﴿٢٠﴾﴾، أي: مُطَبَقَةٌ عليهم، فلا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. قال أبو هريرة، وابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، وعطية العوفي، والحسن، وقتادة، والسدي: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾، أي: مُطَبَقَةٌ، قال ابن عباس: مُغْلَقَةُ الأبواب. وقال مجاهد: أَصْدَ الباب بلغة قريش: أي أَغْلَقَهُ. وسيأتي في ذلك حديث في سورة: ﴿وَيْلٌ لَّكُم مِّنْ هَٰؤُلَاءِ لَمَزُواْ ﴿١﴾﴾. وقال الضحاك: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: حَيْطٌ لَا بَابَ لَهُ. وقال قتادة: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: مُطَبَقَةٌ لَا ضَوْءَ فِيهَا وَلَا فُرْجَ، وَلَا خُرُوجَ مِنْهَا آخِرَ الْأَبَدِ.

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يومُ القيامة أمر الله بكلِّ جبارٍ وكلِّ شياطينٍ وكلِّ مَنْ كَانَ يَخَافُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا شَرَّهُ، فَأَوْثَقُوا فِي الْحَدِيدِ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، ثُمَّ أَوْصَدُوا عَلَيْهِمْ، أي: أَطْبَقُوهَا - قال: فلا والله لَا تَسْتَقِرُّ أقدامهم على قَرَارٍ أَبَدًا، ولا والله لَا يَنْظُرُونَ فِيهَا إِلَى أَدِيمِ سَمَاءٍ أَبَدًا، ولا والله لَا تَلْتَقِي جَفُونُ أَعْيُنِهِمْ على غَمَضٍ نَوْمٍ أَبَدًا، ولا والله لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَارِدَ شَرَابٍ أَبَدًا. رواه ابن أبي حاتم.

آخر تفسير سورة البلد، ولله الحمد والمنّة

(١) تقدم تخريجه في سورة محمد آية ٤٧، وهو قوي.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٣٧٦ ومسلم ٣١٩ وأحمد ٥٦٢/٤ وابن حبان ٤٦٥ من حديث جرير بن عبد الله.

(٣) أي يرفعه كما هو مقرر في كتب علم الحديث.

(٤) جيد. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٣٥٥ و ٣٥٨ وأبو داود ٤٩٤٣ والترمذي ١٩٢٠ وهو حديث قوي وله شواهد.



وهي مكية

[٧٢٩٧] تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَا صَلَّيْتَ بِـ» سَجَ اسْتَرَيْكَ الْأَعْلَى، و «وَالشَّمْسِ وَخُصَّهَا»، و «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى» (١) (٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَخُصَّهَا﴾ ① وَالْقَمَرِ إِذَا لِلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩

قال مجاهد: ﴿وَالشَّمْسِ وَخُصَّهَا﴾ ①، أي: وَضَوَّيْهَا. وقال قتادة: ﴿وُخِّصَهَا﴾، النهار كله. قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهر النهار، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا لِلَّهَا﴾ ②، قال مجاهد: تبعها. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا لِلَّهَا﴾ ②، قال: يتلو النهار. وقال قتادة: ﴿لِلَّهَا﴾ ليلة الهلال، إذا سَقَطَتِ الشمسُ رُؤْي الهلال. وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلوه. وهو يتقدّمها في النصف الأخير من الشهر. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: إذا تَلَّاهَا ليلة القدر. وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ ③، قال مجاهد: أضاء. وقال قتادة: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ ③، إذا غَشِيَهَا النهار. قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جَلَّى الظلمة، لدلالة الكلام عليها.

قلت: ولو أن هذا القائل تأول بمعنى ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ ③، أي: البسيطة، لكان أولى ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ④، فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ ③، إنه كقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ④ [الليل: ٢٢]. وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس، لجريان ذكرها. وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ④، يعني إذا يَغْشَى الشمس حين تَغِيْبُ فَتُظْلِمُ الْآفَاقُ. وقال بَقِيَّةُ بن الوليد، عن صفوان: حدثني يزيد بن ذي حمامة قال: إذا جاء الليل قال الربُّ جلُّ جلاله: غَشِي عبادي خلقي العظيم، فالليل يهايه، والذي خَلَقَهُ أَحَقُّ أَنْ يَهَابَ. رواه ابن أبي حاتم. وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ ⑤: يحتمل أن تكون «ما» ها هنا مصدرية، بمعنى: والسماء وبناؤها، وهو قول قتادة: ويحتمل أن تكون بمعنى «مَنْ» يعني: والسماء وبانيها. وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم،

والبناء هو الرفع، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾، أي: بقوة، ﴿وَالْأَرْضَ لَنُوسِعُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا فَتَفْشَحُهَا السَّيْدُ﴾ (٤٨) [الذاريات: ٤٧ - ٤٨]. وهكذا قوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا﴾ (٤٩)، قال مجاهد: ﴿وَمَا عَلَيْهَا﴾ دَحَاهَا. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَمَا عَلَيْهَا﴾، أي: خَلَقَ فيها. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿لَهَا﴾ قَسَمَهَا. وقال مجاهد، وقتادة، والسدي، والثوري، وأبو صالح، وابن زيد: ﴿لَهَا﴾: بَسَطَهَا. وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طَحَوْتُهُ مِثْلَ دَحَوْتُهُ، أي: بسطته. وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٥٠)، أي: خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيْمَةِ، كما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَاهُ فِي حَيْثُ فَطَرْتَهُ اللَّهُ أَتَى فَطَرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

[٧٢٩٨] وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مولود يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَسْجِجَانِهِ، كَمَا تُولَدُ الْبَيْهَمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَذَعَاءٍ؟»^(١). أخرجه من رواية أبي هريرة.

[٧٢٩٩] وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي، عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَلَمَهَا لُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨)، أي: فأرشدها إلى فُجُورِها وتقواها، أي: بيّن لها ذلك، وهذا إلى ما قَدَّرَ لها. قال ابن عباس: ﴿فَأَلَمَهَا لُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨)، بيّن لها الخير والشر، وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري. وقال سعيد بن جبیر: ألهمها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فُجُورَها وتقواها.

[٧٣٠٠] وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَيْسَى وَأَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ قَالَا: حَدَّثَنَا عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَقِيلٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ أَبِي الْأَسود الدُّبَلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ ابْنُ حُصَيْنٍ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ فِيهِ النَّاسُ وَيَتَكَادَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ وَأَكْدَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ؟ قُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزَعْتُ مِنْهُ فِرْعَا شَدِيدًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ خَلَقَهُ وَمَلَكَ يَدَهُ، ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٣٣) [الأنبياء: ٢٣]، قَالَ: سَدَّدَكَ اللَّهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُ لِأَخْبِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ - أَوْ: جُهَيْنَةَ - أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ فِيهِ وَيَتَكَادَحُونَ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَمْ شَيْءٌ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ. وَأَكْدَتْ بِهِ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ؟ قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ». قَالَ: فَفِيمَ نَعْمَلُ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ لِإِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَأَلَمَهَا لُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾»^(٣). رواه أحمد ومسلم، من حديث عَزْرَةَ بْنِ ثَابِتٍ، بِهِ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا: يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهُ نَفْسَهُ، أي: بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل. وَيُزَوِّى نَحْوَهُ عَنْ مَجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. وكقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَا﴾ (٩) وَذَكَرَ اسْمُهُ رَبِّدُ فَصَلَّ [الاعلى: ١٤ - ١٥]. وَقَدْ

(١) تقدم في سورة النساء، آية ١١٩.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الإسراء، آية ١٥.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٠ وأحمد ٤٣٨/٤ والطبري ٣٧٣٨٢.

خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١١﴾، أي: دَسَّسَهَا، أي: أحمَلَهَا وَوَضَعَ مِنْهَا بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهُدَى، حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِي، وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، كَمَا قَالَ الْعَوْفِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

[٧٣٠١] وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو زُرْعَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عَثْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ - يَعْنِي عَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ - عَنْ جُوَيْرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿١١﴾، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْلَحْتَ نَفْسَ زَكَّاهَا اللَّهُ» عَزَّ وَجَلَّ: ^(١). وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ، بِهِ. وَجُوَيْرٍ هُوَ ابْنُ سَعِيدٍ، مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، وَالضَّحَّاكُ لَمْ يَلِقْ ابْنَ عَبَّاسٍ.

[٧٣٠٢] وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَثْمَانَ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿٧﴾ فَأَلَمَّهَا جُورَهَا وَتَقَوَّاهَا، وَقَفَّ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقَوَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، وَخَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا» ^(٢).

[٧٣٠٣] حَدِيثٌ آخَرُ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حَمِيدٍ الْمَدَنِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأُمَوِيُّ، حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغِفَارِيُّ، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿فَأَلَمَّهَا جُورَهَا وَتَقَوَّاهَا﴾ ﴿٨﴾، قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقَوَّاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا» ^(٣). لَمْ يُخْرِجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[٧٣٠٤] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا فَقَدَتْ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ مَضْجَعِهِ، فَلَمَسَتْهُ بِيَدِهَا، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «رَبِّ، أَعْطِ نَفْسِي تَقَوَّاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا» ^(٤). تَقَرَّدَ بِهِ.

[٧٣٠٥] حَدِيثٌ آخَرُ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَّانٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ الْأَحْوَلُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ، آتِ نَفْسِي تَقَوَّاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا». قَالَ زَيْدٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَاهُمْ وَنَحْنُ نَعْلَمُكُوهُمْ ^(٥). رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ - وَأَبِي عَثْمَانَ التَّهْدِي، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، بِهِ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ ﴿١١﴾ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذِئِبُهُمْ فِئُونَهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

(١) إسناده ضعيف جداً. فيه جوير، وهو متروك الحديث. والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٢) حسن. أخرجه الطبراني ١١٩١ وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، لكن يشهد له ما بعده. وقال الهيثمي ١١٤٩٥: إسناده حسن ٩١١.

(٣) حسن. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» ٣١٨ وفيه عبد الله الأموي، وهو ضعيف، لكن يصلح حديثه شاهداً لما قبله.

(٤) أخرجه أحمد ٢٠٩/٦ وإسناده ضعيف صالح لم يدرك عائشة، وهو مجهول، واللفظ المرفوع له شواهد منها الآتي، وحكاية عائشة في الصحيح لكن فيه غير هذا الدعاء، وتقدم.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٢٢ ح ٧٣ وأحمد ٣٧١/٤.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ثَمُودَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ بِسَبَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «يَطْفُونَهَا»، أَي: بِأَجْمَعِهَا. وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمَا: فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ تَكْذِيبًا فِي قُلُوبِهِمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْيَقِينِ. «إِذْ أُنِيعَتْ أَشْقَانَهَا» (١٢)، أَي: أَشَقَى الْقَبِيلَةَ، وَهُوَ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَهُوَ أَحْيَمَرُ ثَمُودَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ تَعَالَى: «فَنَادَا صَالِحًا فَطَلَمَى فَقَعَرَ» (١٣) [القمر: ٢٩]. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَزِيزًا فِيهِمْ، شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ، نَسِيبًا رَئِيسًا مُطَاعًا.

[٧٣٠٦] كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا ابْنُ نَعْمَانَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: «إِذْ أُنِيعَتْ أَشْقَانَهَا» (١٢)، أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ^(١). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ، وَمُسْلِمٌ فِي صِفَةِ النَّارِ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَانِئِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا، وَكَذَا ابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهِ.

[٧٣٠٧] وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خُثَيْمٍ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «أَلَا أُحَذِّرُكَ بِأَشَقَى النَّاسِ؟» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «رَجُلَانِ: أَحْيَمَرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذَا - يَعْنِي قَرْنَهُ - حَتَّى تَبْتَلَّ مِنْهُ هَذِهِ» يَعْنِي لِحْيَتَهُ^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» يَعْنِي: صَالِحًا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - «نَاقَةَ اللَّهِ»، أَي: احْذَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ أَنْ تَمْسُوهَا بِسُوءٍ «وَسُقَيْنَهَا»، أَي: لَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا، فَإِنَّ لَهَا شِرْبَ يَوْمٍ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا»، أَي: كَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا مِنَ الصَّخْرَةِ آيَةً لَهُمْ وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ، «فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ»، أَي: غَضِبَ عَلَيْهِمْ، فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ،

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٢ و ٣٣٧٧ و ٦٠٤٢ و مسلم ٢٨٥٥ ح ٤٩ و الترمذي ٣٣٤٣ و النسائي في التفسير ٦٩٥ وفي السنن ٢٨٤ و ابن ماجه ١٩٨٣، وأحد ١٧/٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢٦٣/٤ والطحاوي في المشكل ٣٥١/١ - ٣٥٢ و النسائي في خصائص علي ١٤٩ و الدلاوي في الكنى ١٦٣/٢ و البيهقي في الدلائل ١١/٣ - ١٢ و البزار ٢٥٦٧ من حديث عمار بن ياسر. قال الهيثمي في المجمع ١٤٧٧٥: رجال المجمع موثقون، إلا أن التابعي، لم يسمع من عمار اه وصححه الحاكم ١٤٠/٣ - ١٤١ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ١١، وليس كذلك. فإن محمد بن خثيم، وابنه يزيد، ما روى لهما مسلم شيئاً، ولا لهما رواية في الكتب الستة. وهما في عداد المجاهدين، إلا أن ابن معين قال عن يزيد: ليس به بأس. قال الذهبي في الميزان ٧٤٨٣: محمد بن خثيم المحاربي، ذكره البخاري في الضعفاء، بهذا الحديث، وقال: لا يعرف سماع يزيد من محمد، ولا محمد من ابن خثيم، ولا ابن خثيم من عمار اه فالإسناد ضعيف فيه انقطاع، وضعف، وله شواهد وأهية. فقد ورد من حديث صهيب أخرجه أبو يعلى ٤٨٥ و الطبراني ٧٣١١ وقال الهيثمي ١٣٧٧٦: فيه رشدين بن سعد، وقد وثق. وبقية رجاله ثقات! والصواب أن رشدين بن سعد ضعيف متروك الحديث. وفيه سويد بن سعيد، وهو ضعيف أيضاً. وورد من حديث جابر بن سمرة. أخرجه الطبراني ٢٠٣٧ وقال الهيثمي ١٤٧٧٧: فيه ناصح ابن عبد الله متروك. وورد عن عبيد الله بن أنس مرسلًا. أخرجه ابن سعد ٣/٣٥، ومع إرساله فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو متروك. وورد من حديث علي. أخرجه أبو يعلى ٤٣٠ و ٤٣١ وقال الهيثمي في المجمع ١٤٧٨١: فيه عبد الله بن جعفر، والد علي المديني، وهو ضعيف اه لكن توبع فقد أخرجه الحاكم ١١٣/٣ و الطبراني ٢/١١/١ من وجه آخر عن زيد بن أسلم به، وصححه الحاكم على شرط البخاري. وهو كما قال رجاله رجال البخاري لكن عبد الله بن صالح. ضعيف، فسد أمره بأخوة، وذلك من قبل جابر له كان يدس في كتبه لذا روى منكرات كثيرة. انظر ترجمته في الميزان.

﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾، أي: فجعل العُقوبة نازلةً عليهم على السواء. قال قتادة: بَلَّغْنَا أَنْ أُحْيِيَرِ ثَمُودَ لَمْ يَعْقِرِ النَّاقَةَ حَتَّى تَابِعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، وَذَكَرَهُمْ وَأَنْثَاهُمْ، فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَوْمُ فِي عَقْرِهَا ذَمَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (١٥). وَقُرِئَ (فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَهُ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَبُكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ، وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (١٥)، أي: لَمْ يَخَفْ الَّذِي عَقَرَهَا عَاقِبَةً مَا صَنَعَ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

آخر تفسير «والشمس وضحاها»، والله الحمد والمنّة

سُورَةُ اللَّيْلِ

آياتها
٢١ترتيبها
٩٢

وهي مكية

[٧٣٠٨] تقدّم قوله - عليه الصلاة والسلام - لمعاذ: «فهلّا صليت بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿وَالْتَمِمْ وُجْهَهَا﴾، و ﴿وَأَلِيلَ إِذَا يَنْشَقُّ﴾»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَلِيلَ إِذَا يَنْشَقُّ﴾ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَافًفَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ يَحِلْ وَأَسْتَفْتَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) ﴿

[٧٣٠٩] قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة: أنه قَدِمَ الشام فدخلَ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فصلى فيه ركعتين وقال: اللهم، ارزقني جليساً صالحاً. قال: فجلس إلى أبي الدرداء، فقال له أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ: ﴿وَأَلِيلَ إِذَا يَنْشَقُّ﴾ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)؟ قال علقمة: (والذكر والأنثى)، فقال أبو الدرداء: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هولاء حتى شككتوني. ثم قال: ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره، والذي أجير من الشيطان على لسان النبي ﷺ^(٢).

[٧٣١٠] وقد رواه البخاري ها هنا ومسلم، من طريق الأعمش، عن إبراهيم قال: قَدِمَ أصحابُ عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قالوا: كلنا، قال: أيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة، فقال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَأَلِيلَ إِذَا يَنْشَقُّ﴾ (١)؟ قال: (والذكر والأنثى)، (قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوني أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾) والله لا أتابعهم^(٣). هذا لفظ البخاري. هكذا قرأ ذلك ابن مسعود، وأبو الدرداء - ورفع أبو الدرداء - وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو مثبت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣)، فأقسم تعالى: بـ ﴿وَأَلِيلَ إِذَا يَنْشَقُّ﴾ (١)، أي: إذا غشي الخليفة بظلامه، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (٢)، أي: بضيائه وإشراقه، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣)، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (النبا: ٨)، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ نَفْسٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (الذاريات: ٤٩).

(١) تقدم تخرجه.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٤٤٩/٦ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٤ ومسلم ٨٢٤ ح ٢٨٢.

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضاً متضاداً، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ لَنَنْقُذَنَّكَ﴾، أي: أعمال العباد التي اكتسبها متضادة أيضاً ومتخالفة، فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَطْعَمَ وَأَتَقَى﴾ (٥) أي: أعطى، ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦)، أي: بالمجازاة على ذلك، قاله قتادة: وقال خُصِيف: بالثواب. وقال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو صالح، وزيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦)، أي: بالخلف. وقال أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦)، أي: بلا إله إلا الله. وفي رواية عن عكرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦)، أي: بما أنعم الله عليه. وفي رواية عن زيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦)، قال: الصلاة والزكاة والصوم. وقال مرة: وصدقة الفطر.

[٧٣١١] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا زهير بن محمد، حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال: «الحسنى: الجنة» (١).

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَبْشِرُ الْبَشِيرَ﴾ (٧)، قال ابن عباس: يعني للخير. وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة. وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسننة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَحِلْ﴾، أي: بما عنده، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾، قال عكرمة، عن ابن عباس، أي: يدخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل. رواه ابن أبي حاتم: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ (٩)، أي: بالجزاء في الدار الآخرة، ﴿فَسَيَبْشِرُ الْبَشِيرَ﴾ (١٠)، أي: لطريق الشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَقُولُ أَفَذُكَّرُ﴾ (١١) وأصغرهم كما لا يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١٢). والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله - عز وجل - يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان. وكل ذلك بقدر مقدّر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة.

[٧٣١٢] رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عياش، حدثني العطاء بن خالد، حدثني رجل من أهل البصرة، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه قال: سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف؟ قال: «بل على أمر قد فرغ منه». قال: فقيم العمل يا رسول الله؟! قال: «كل ميسر لما خلق له» (٣).

[٧٣١٣] رواية علي رضي الله عنه. قال البخاري: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقيد في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقالوا: يا رسول الله! أفلا نتكلم؟ فقال: «اعملوا»، فكل ميسر لما خلق له قال: ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَطْعَمَ وَأَتَقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦) ﴿فَسَيَبْشِرُ الْبَشِيرَ﴾ (٧) إلى قوله: ﴿الْبَشِيرَ﴾ (٨). وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع، عن الأعمش، بنحوه.

(١) إسناده ضعيف. له علتان: زهير بن محمد هذا روى عنه أهل الشام مناكير كما قال الإمام أحمد والبخاري. وفي الإسناد من لم يسم، وقد مر شيء من هذا في سورة يونس ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسنِهِمْ وَزِيَادَةً﴾.

(٢) الأنعام: ١١٠.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٦/١ وإسناده ضعيف فيه من لم يسم، لكن للحديث شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٥.

[٧٣١٤] ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقيد، فأتى رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله، ومعه ويخصرة فنكس فجعل ينكت بمخضرتيه، ثم قال: «ما منكم من أحد أو: ما من نفس منقوسة إلا كتبت مكانها من الجنة والنار، والآن قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله! أفلا تتكلم على كتابنا ونذك العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهل السعادة فيصرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فيصرون إلى عمل الشقاء». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾... الآية (١)». وقد أخرجه بقية الجماعة، من طرق، عن سعد بن عبيدة، به.

[٧٣١٥] رواية عبد الله بن عمر. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن عاصم ابن عبيد الله قال: سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر: قال: قال عمر: يا رسول الله! أرايت ما نعمل فيه؟ أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو متبذع؟ قال: «فيما قد فرغ منه، فاعمل يابن الخطاب فإن كلاً ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء» (٢). ورواه الترمذي في القدير، عن بشار، عن ابن مهدي، به وقال: «حسن صحيح».

[٧٣١٦] حديث آخر من رواية جابر. قال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله! أنعمم لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه؟ فقال: «لأمر قد فرغ منه». فقال سراقه: فقيم العمل إذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل عامل ميسر لعمله» (٣). ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، به.

[٧٣١٧] حديث آخر. قال ابن جرير: حدثني يونس، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق ابن حبيب، عن بشير بن كعب العدوي قال: سأل غلامان شابان النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله! أنعمم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير». قالوا: فقيم العمل إذا؟ قال: «اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له». قالوا: نجد ونعمل (٤).

[٧٣١٨] رواية أبي الدرداء. قال الإمام أحمد: حدثنا هيثم بن خارجة، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي، عن يونس بن ميسرة بن خلّيس، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء قال: قالوا: يا رسول الله! أرايت ما نعمل، أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه؟ قال: «بل أمر قد فرغ منه». قالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال: «كل امرئ مهياً لما خلق له» (٥). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

[٧٣١٩] حديث آخر. قال ابن جرير: حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كتيبة، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا عباد بن راشد، عن قتادة، حدثني خلد العصري، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٨ ومسلم ٢٦٤٧ ح ٦ وأبو داود ٤٦٩٤ والترمذي ٢١٣٦ و ٣٣٤٤ والنسائي في «التفسير» ٦٩٨ وابن ماجه ٧٨.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٢١٣٥ وأحمد ٥٢/٢ وإسناده ضعيف لضعف عاصم، لكن للحديث شواهد.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٤٨ والطبري ٣٧٤٧٨.

(٤) صحيح. أخرجه الطبري ٣٧٤٧٩ هكذا مرسلاً، لكن للحديث شواهد.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ٤٤٦/٦ وإسناده حسن لأجل سليمان، وللحديث شواهد.

«ما من يوم غَرَبَتْ فيه شمسُه إلا وَبَجَّيْنِيهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يَسْمَعُهُمَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مَنْفَقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مَمْسَكًا تَلْفًا». وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْرُهُ لِلسَّيْرِ ۖ وَأَمَّا مَنْ يَبْغِلْ وَاسْتَفْتَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْرُهُ لِلْعَصْرِ ۖ﴾ (١). ورواه ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن ابنِ أبي كَبْشَةَ، بإسناده مثله.

[٧٣٢٠] حديث آخر، قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطُّهْرَانِي، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْعَدَنِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ نَخْلٌ، وَمِنْهَا نَخْلَةٌ فَرَعُهَا فِي دَارِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَقِيرٍ ذِي عِيَالٍ، فَإِذَا جَاءَ الرَّجُلُ فَدَخَلَ دَارَهُ [فَصَعَدَ إِلَى النَخْلَةِ] (٢) لِيَأْخُذَ الثَّمَرَ مِنْ نَخْلَتِهِ، فَتَسْقُطَ الثَّمَرَةُ فَيَأْخُذُهَا صَبِيحَانِ الْفَقِيرِ، فَيَنْزِلُ مِنْ نَخْلَتِهِ فَيَنْزِعُ الثَّمَرَةَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَإِنْ أَدْخَلَ أَحَدُهُمَا الثَّمَرَةَ فِي فَمِهِ أَدْخَلَ إصْبَعَهُ فِي خَلْقِ الْغَلَامِ وَنَزَعَ الثَّمَرَةَ مِنْ خَلْقِهِ. فَشَكَا ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ صَاحِبِ النَخْلَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَذْهَبْ». وَلَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ - صَاحِبَ النَخْلَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْطِنِي نَخْلَتَكَ الَّتِي فَرَعُهَا فِي دَارِ فُلَانٍ وَلَكَ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ». فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَعْطَيْتَ، وَلَكِنْ يُعْجِبُنِي ثَمَرُهَا، وَإِنْ لِي لِنَخْلَةٍ كَثِيرًا مَا فِيهَا نَخْلَةٌ أَعْجَبُ إِلَيَّ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِهَا. فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ كَانَ يَسْمَعُ الْكَلَامَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ صَاحِبِ النَخْلَةِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ أَنَا أَخَذْتُ النَخْلَةَ فَصَارَتْ لِي النَخْلَةُ فَأَعْطَيْتُهَا أَتُعْطِينِي بِهَا مَا أَعْطَيْتَهُ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ لَقِيَ صَاحِبَ النَخْلَةِ، وَلِيَكْلَاهُمَا نَخْلًا، فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْكَ أَنْ مُحَمَّدًا أَعْطَانِي بِنَخْلَتِي الْمَائِلَةِ فِي دَارِ فُلَانٍ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ أَعْطَيْتَ وَلَكِنْ يُعْجِبُنِي ثَمَرُهَا. فَسَكَتَ عَنْهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ: أَتُرَاكَ إِذَا بَغْتَهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا، وَلَا أَظُنُّنِي أَعْطَاهُ. قَالَ: وَمَا مُنَاكَ بِهَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ نَخْلَةً. فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ جِئْتُ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، نَخْلَتَكَ تَطْلُبُ بِهَا أَرْبَعِينَ نَخْلَةً! ثُمَّ سَكْنَا وَأَنْشَأَ فِي كَلَامٍ آخَرَ، ثُمَّ قَالَ: فَأَنَا أَعْطَيْتُكَ أَرْبَعِينَ نَخْلَةً، فَقَالَ: أَشْهَدُ لِي إِنْ كُنْتُ صَادِقًا. فَأَمَرَ بَأَنَاسٍ فَدَعَاهُمْ فَقَالَ: أَشْهَدُوا أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مِنْ نَخْلِي أَرْبَعِينَ نَخْلَةً، بِنَخْلَتِهِ الَّتِي فَرَعُهَا فِي دَارِ فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ. ثُمَّ قَالَ: مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ صَاحِبُ النَخْلَةِ: قَدْ رَضِيتُ. ثُمَّ قَالَ بَعْدُ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَيْعٌ لَمْ نَفْتَرِقْ. قَالَ لَهُ: قَدْ أَقَالَكَ اللَّهُ وَلَسْتُ بِأَحْمَقَ حِينَ أَعْطَيْتُكَ أَرْبَعِينَ نَخْلَةً بِنَخْلَتِكَ الْمَائِلَةِ. فَقَالَ صَاحِبُ النَخْلَةِ: قَدْ رَضِيتُ عَلَى أَنْ تُعْطِنِي الْأَرْبَعِينَ عَلَى مَا أُرِيدُ. قَالَ: تُعْطِينِيهَا عَلَى سَاقٍ. ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ عَلَى سَاقٍ، وَأَوْقَفَ لَهُ شُهُودًا، وَعَدَّ لَهُ أَرْبَعِينَ نَخْلَةً عَلَى سَاقٍ، فَتَفَرَّقَا، فَذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ النَخْلَةَ الْمَائِلَةَ فِي دَارِ فُلَانٍ قَدْ صَارَتْ لِي، فَهِيَ لَكَ. فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّجُلِ صَاحِبِ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ: «النَخْلَةُ لَكَ وَلِعِيَالِكَ». قَالَ عِكْرَمَةُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَكْلِي إِذَا يَتَشَّى ۖ﴾ (٣) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْرُهُ لِلسَّيْرِ ۖ وَأَمَّا مَنْ يَبْغِلْ وَاسْتَفْتَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْرُهُ لِلْعَصْرِ ۖ﴾ (٤). هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا.

(١) أخرجه الطبري ٣٧٤٥٦ وإسناده ضعيف لضعف خُلَيْدٍ، وقد تفرد بذكر الآية عقب هذا الحديث، ثم حديثه معارض بما في الصحيح «ما من صباح».

(٢) زيادة عن «الدر» و «أسباب النزول».

(٣) ضعيف. أخرجه الواحدي في «الأسباب» ٨٥٢ وفيه حفص بن عمر العدني. وهو ضعيف، والخبر مدني كما هو ظاهر. والسورة مكية. وقد وضعه السيوطي في «الدر المثور» ٦/ ٦٢.

[٧٣٢١] قال ابن جرير: وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. حدثني هارون بن إدريس الأصم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتيق على الإسلام بمكة، فكان يعتيق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني! أراك تعتيق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتيق رجالاً جُلْدَاءَ يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك؟! فقال: أي أبت! إنما أريدُ - أظنه قال - ما عند الله. قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿قَالَا مَنْ أَطْعَمَ الْفَقِيرَ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ۖ فَسَيَبْرُرُ لِلْبَيْتِ ۖ﴾ (١).

وقوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١)، قال مجاهد: أي: إذا مات. وقال أبو صالح ومالك، عن زيد بن أسلم: إذا تردى في النار.

﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۚ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْقَوْنَ ۖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۖ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا إِتْيَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۚ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (١٢-٢١).

قال قتادة: ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (١٢)، أي: نبين الحلال والحرام. وقال غيره: من سلك طريق الهدى وصل إلى الله. وجعله كقوله تعالى: ﴿وَصَلَّ اللَّهُ فَصَدَّ السَّبِيلَ﴾ [النحل: ٩]. حكاه ابن جرير. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ (١٣)، أي: الجميع ملكتنا وأنا المتصرف فيهما. وقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْقَوْنَ﴾ (١٤)، قال مجاهد: أي توهج.

[٧٣٢٢] قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «أنذركم النار، أنذركم النار، أنذركم النار» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمع من مقامي هذا، قال: حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجليه (٢).

[٧٣٢٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، حدثني أبو إسحاق: سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع في أحمص قدّميه جمرتان يغلي منهما دماغه» (٣). رواه البخاري.

[٧٣٢٤] وقال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً» (٤). وقوله تعالى: ﴿لَا

(١) أخرجه الطبري ٣٧٤٥٧ مرسلًا، وأخرجه الواحدي ٨٥٥ عن عامر عن بعض أهله، ووصله الحاكم ٥٢٥/٢ بذكر ابن الزبير، وله شاهد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٧٤٩١، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها لكن الصواب عموم الآية، وأن أبا بكر منهم، والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٢٧٢/٤ وإسناده على شرط مسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٦١ وأحمد ٤٧١/٤.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٣ ح ٣٦٤.

يَصَلِّهَا إِلَّا أَلْتَقَى ﴿١٥﴾ ، أي: لا يدخلها دخولاً تحيط به من جميع جوانبه إلا الأتقى. ثم فسره فقال: «الَّذِي كَذَّبَ»، أي: بقلبه، «وَوَكَّلَ»، أي: عن العمل بجوارحه وأركانه.

[٧٣٢٥] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيعة، حَدَّثَنَا عَبْدُ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ». قيل: وَمَنْ الشَّقِيُّ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِطَاعَةٍ، وَلَا يَتْرُكُ لِلَّهِ مَعْصِيَةً»^(١).

[٧٣٢٦] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يُونُسُ وَسُرَيْجٌ قَالَا: حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، عَنْ هَلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ ابْنِ يسار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَبَى». قالوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(٢). ورواه البخاري عن محمد بن سنان، عن فُلَيْحٍ، به.

وقوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى ﴿١٧﴾»، أي: وَسَيُخْرِجُ عَنْ النَّارِ التَّقِيَّ النَّفِيَّ الْأَتَقَى، ثم فسره بقوله: «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾»، أي: يصرف ماله في طاعة ربه، لِيُزَكِّيَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَمَا وَعَبَهُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾»، أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يُعْطَى فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ ذَلِكَ «إِنْفَاءً وَتَوَرُّوهُ أَلْعَلَّ ﴿٢٠﴾»، أي: طمعاً في أن يحصلَ لَهُ رُؤْيَاهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾»، أي: وَلَسَوْفَ يَرْضَى مِنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها، وأزلى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى ﴿١٧﴾» الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾، ولكنه مقدّم الأمة وسابقتهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولا، ونصرة رسول الله، فكم من درهم ودينار بذله ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده مئة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف، يوم صلح الحديبية -: أما والله لولا يدك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا إِنْفَاءً وَتَوَرُّوهُ أَلْعَلَّ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾».

[٧٣٢٧] وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا خَيْرٌ». فقال أبو بكر: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْهَا ضَرُورَةٌ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(٣).

أخر تفسير سورة الليل، والله الحمد والمنّة

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ٣٤٩/٢ وفيه ابن لهيعة ضعيف.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٢٨٠ وأحمد ٣٦١/٢.

(٣) تقدم تخريجه في سورة الزمر آية ٧٣.



وهي مكيّة

[٧٣٢٨] رُوينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشيبل بن عباد، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَى﴾ قالوا لي: كُبر حتى تختتم مع خاتمة كل سورة، فإننا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، (وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك. وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك^(١)). فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القراءات. فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه. وكذلك أبو جعفر العُقيلي قال: هو منكر الحديث. لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سَمِعَ رجلاً يُكَبِّرُ هذا التكبير في الصلاة، فقال له: أحسنت وأصبحت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته، فقال بعضهم: يُكَبِّرُ من آخر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنفَكْ﴾. وقال آخرون: من آخر ﴿وَالضُّحَى﴾: وكيفيته التكبير عند بعضهم أن يقول: الله أكبر. ويقتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر.

[٧٣٢٩] وذكر القراء في مناسبات التكبير من أول «سورة الضحى»: أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه: ﴿وَالضُّحَى﴾ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ②... السورة بتمامها - كبر قرحاً وسروراً^(٢). ولم يزود ذلك بإسناد يُحكّم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى ⑤ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَحَافِي ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

[٧٣٣٠] قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سُفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جُنْدَباً يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يَمُ لَيْلَةً أو لَيْلَتَيْنِ، فأتته امرأة فقالت: يا محمد! ما أرى شيطانك إلا تَرَكَكَ.

(١) ضعيف. أخرجه الحاكم ٣/ ٣٠٤ والواحد في «الوسيط» ٤/ ٥١٣ - ٥١٤ وإسناده ضعيف لضعف أحمد البزي، ولم يتابع عليه، ومع ذلك صححه الحاكم! لكن أهله الذهبي.

(٢) لا أصل له، حيث لم أجده له إسناداً.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾^(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، مِنْ طُرُقٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جُنْدُبٍ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، ثُمَّ الْعَلَقِيُّ بِهِ.

[٧٣٣١] وفي رواية سفيان بن عُيينة، عن الأسود بن قيس: سَمِعَ جُنْدُبًا قَالَ: أَبْطَأَ جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾^(٢).

[٧٣٣٢] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ، حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جُنْدُبًا يَقُولُ: رُبِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجَرٍ فِي إصْبَعِهِ فَقَالَ: «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتْ * وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ». قَالَ: فَكَمْتُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لَا يَقُومُ، فَقَالَتْ لَهَا امْرَأَةٌ: مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا تَرَكَكَ. فَتَنَزَلَتْ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾^(٣). وَالسِّيَاقُ لِأَبِي سَعِيدٍ. قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ، وَذَكَرَ أَنَّ إصْبَعَهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - دَمِيَّتْ. وَقَوْلُهُ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي اتَّفَقَ أَنَّهُ مَوْزُونٌ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِينَ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ هَا هُنَا جَعَلَهُ سَبَبًا لِتَرْكِهِ الْقِيَامَ، وَنَزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ.

[٧٣٣٣] فَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ: أَنَّ خَدِيجَةَ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا قَدْ قَلَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾^(٤).

[٧٣٣٤] وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَبْطَأَ جَبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: إِنِّي أَرَى رَبَّكَ قَدْ قَلَكَ مِمَّا نَرَى مِنْ جَزَعِكَ. قَالَ: فَتَنَزَلَتْ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾^(٥). فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، وَلَعَلَّ ذِكْرَ خَدِيجَةَ لَيْسَ مُحْفُوظًا، أَوْ قَالَتْهُ عَلَى وَجْهِ التَّأْسُفِ وَالتَّحْزِينِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ - مِنْهُمْ ابْنُ إِسْحَاقَ - أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ هِيَ الَّتِي أَوْحَاهَا جَبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ١١٢٤ ومسلم ١٧٩٧ والترمذي ٣٣٤٥ والنسائي في «التفسير» ٧٠١ وأحمد ٣١٢/٤.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٩٧ ح ١١٤ بآتم منه.

(٣) غريب. إسناده صحيح. رجاله رجال البخاري ومسلم، لكن المتن غريب بهذا اللفظ، والحديث أخرجه الشيخان دون ذكر الشعر فيه، وإنما ورد ذكر الشعر في حديث ليس فيه هذه القصة، كذا أخرجه مسلم ١٧٩٦، وأغرب من ذلك كله هو أن الترمذي أخرجه ٣٣٤٥ من طريق ابن أبي عمر عن ابن عيينة به، وصدده «كنت مع النبي ﷺ...» بمثل سياق ابن أبي حاتم، وهذا منكر جداً وإن كان على شرط مسلم، لأن فيه «كنت» وفي آخره: «فتنزلت...» ومعلوم أن السورة مكية باتفاق، وجندب أسلم في العهد المدني، بل قال أحمد: ليست له صحة قديمة. راجع «التنذيب». وجرى الألباني على ظاهره في «صحيح الترمذي» ٢٦٦٥ فقال: «صحيح: ق» يعني متفق عليه!! وتقدم أنهما ما رواه هذا اللفظ وهو غريب وعلة ابن أبي عمر، قال أبو حاتم: كانت فيه غفلة والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبري ٣٧٥٠٧ عن عبد الله بن شداد، وهذا مرسل، ابن شداد تابعي، فالخير ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري ٣٧٥١٢ عن عروة مرسلًا، وهو معضل، والصواب أن القائلة هي امرأة من قريش كما رواه مسلم، وتقدم آنفًا. والله أعلم.

حين تَبْدَى له في صورته التي خَلَقَه الله عليها، وَذَنَا إِلَيْهِ وَتَدَلَّى مُنْهَبَطاً عَلَيْهِ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ، ﴿فَأَوْحَىٰ لَكَ عَبْدِيهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، قال: قال له هذه السورة: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ① ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾. قال العوفي، عن ابن عباس: لما نَزَلَ على رسول الله ﷺ القرآن، أَبْطَأَ عنه جبريلُ أياماً، فَتَغَيَّرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ②. وهذا قَسَمٌ مِنْ تَعَالَى بِالضُّحَى وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الضِّيَاءِ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ③، أي: سَكَنَ فَأَظْلَمَ وَأَذْلَهَمَ. قاله مجاهد، وقتادة، والضحاك، وابنُ زيد، وغيرهم. وذلك دليلٌ ظاهرٌ على قُدْرَةِ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ④ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ. وقال: ﴿فَالْأَصْبَحُ لَيَالٍ سَكَنًا وَاللَّيْلُ سَكَنًا وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾، أي: ما تَرَكَكَ، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾، أي: أَبْغَضَكَ، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾، أي: وللدارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ. ولهذا كان رسولُ الله ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْظَمَهُمْ لَهَا أَطْرَاحاً، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته. ولما خَيَّرَ - عليه السلام - في آخر عُمره بين الخُلْدِ فِي الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الصِّيُورَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا.

[٧٣٣٥] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ جَعَلَتْ أَمْسَحَ جَنْبَهُ وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا أَذْنُنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئاً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالِدُنْيَا؟! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَكَبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» ①. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ، مِنْ حَدِيثِ الْمَسْعُودِيِّ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ②، أي: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يُعْطِيهِ حَتَّى يُرْضِيَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَفِيمَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الَّذِي حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجُوفِ، وَطِيبُهُ مَسْكٌ أَذْفَرُ، كَمَا سَيَأْتِي.

[٧٣٣٦] وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: غُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَنْزاً كَنْزاً، فَسَرَّ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ③. فَأَعْطَاهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ أَلْفِ قَصْرِ، فِي كُلِّ قَصْرِ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخُدَّامِ ④. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِثْلُ هَذَا مَا يُقَالُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ ⑤. وَقَالَ السُّدِّي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: مِنْ رِضَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَلَّا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّارَ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي بِذَلِكَ الشَّفَاعَةَ. وَهَكَذَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقَرُ.

[٧٣٣٧] وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حَدَّثَنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٣٧٧ وابن ماجه ٤١٠٩ وأحمد ٤٤١/١، وفي إسناده المسعودي تغير حفظه، لكن للحديث شواهد كثيرة.

(٢) أخرجه الحاكم ٥٢٦/٢ والطبري ٣٧٥١٣ والطبراني ١٠٦٥٠ والواحدي في الأسباب ٨٦١ وعند الطبري عمرو بن هاشم غير قوي، وعند الحاكم وغيره رواد الجراح، وهو ضعيف.

(٣) كذا قال المصنف رحمه الله، والصواب أن ذلك ليس لكل الصحابة وبخاصة ابن عباس، فإنه كان يفسر القرآن آية آية لمجاهد وغيره ويجهد في ذلك، وقد حدث عن الإسراييليات أيضاً.

زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا أَهْلَ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾» (١).

ثم قال تعالى يُعَدِّدُ نِعَمَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ - صلوات الله وسلامه عليه - «أَلَمْ يَخْذَكْ يَتِيمًا فَكَأْوِي (١)»، وذلك أن أباه توفى وهو حَمْلٌ في بطن أمه، وقيل: بعد أن وُلِدَ عليه الصلاة والسلام. ثم تُوَفِّتَ أمه أمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جَدِّهِ عبد المطلب، إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمُّه أبو طالب. ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويؤقره، ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بِقَدْرِ الله وحسن تدبيره، إلى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قُرَيْش وجُهَاْلهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سُنته على الوجه الأتم الأكمل. فلما وَصَلَ إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا مِنْ حِفْظِ الله له وكَلَاءته وعنايته به.

وقوله تعالى: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧)» كقوله: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِمَّا آتَيْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)» [الشورى: ٥٢]، ومنهم من قال: إن المراد بهذا أنه - عليه الصلاة والسلام - ضَلَّ في شباب مكَّة وهو صغير، ثم رَجَعَ. وقيل: إنه ضَلَّ وهو مع عمِّه في طريق الشام، وكان راكباً ناقه في الليل، فجاء إبليس فعَدَلَ بها عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة دَهَبَ منها إلى الحبشة، ثم عَدَلَ بالراحلة إلى الطريق. حكاها البغوي. وقوله تعالى: «وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)»، أي: كُنْتَ فقيراً ذا عِيَالٍ، فأغناك الله عَمَّن سِوَاهُ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَقَامِي الْفَقِيرِ الصَّابِرِ وَالْغَنِيِّ الشَّاكِرِ، صلوات الله وسلامه عليه. وقال قتادة في قوله: «أَلَمْ يَخْذَكْ يَتِيمًا فَكَأْوِي (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)»، قال: كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

[٧٣٣٨] وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق - عن مَعْمَرٍ، عن هَمَّامِ بْنِ مِنْهٍ قال: هذا ما حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (٢).

[٧٣٣٩] وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَتَّمَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (٣).

ثم قال: «وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزَأْ (٩)» أي: كما كُنْتَ يَتِيمًا فَأَوَّاكَ اللَّهُ فَلَا تَهْزَأِ الْيَتِيمَ، أي: لَا تُثْذِلْهُ وَتُهْزِئْهُ وَتُهِنِّهِ، وَلَكِنْ أَحْسِنْ إِلَيْهِ، وَتَلَطَّفْ بِهِ. قال قتادة: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالأَبِ الرَّحِيمِ. «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)»، أي: وكما كُنْتَ ضَالًّا فَهَدَاكَ اللَّهُ، فَلَا تَنْهَرِ السَّائِلَ فِي الْعِلْمِ الْمُسْتَرْتِدِّ. قال ابن إسحاق: «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)»، أي: فَلَا تَكُنْ جَبَّارًا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا فَظًّا عَلَى الضَّعِيفِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ. وقال قتادة: يَعْنِي رَدَّ الْمِسْكِينِ بِرَحْمَةٍ وَلِينٍ. «وَأَمَّا يَنْتَعِمَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)»، أي: وكما كُنْتَ عَائِلًا فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ، فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٧٧١٦/٧ وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، وللحديث تنمة، وليس فيه ذكر الآية، فلعل سياق المصنف في «التفسير» والله أعلم، وهو لم يطبع.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٤٦ ومسلم ١٠٥١ والترمذي ٢٣٧٣ وأحمد ٣٨٩/٢ وابن حبان ٦٧٩.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٠٥٤ والترمذي ٢٣٤٨ وابن ماجه ٤١٣٨ وأحمد ١٦٨/٢ و١٧٢ وابن حبان ٦٧٠.

[٧٣٤٠] كما جاء في الدعاء المأثور النبوي: «واجعلنا شاكرين لنعمتك، مُثنيين بها، قابليها، وأنتمها علينا»^(١). وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ إِسَاسٍ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نُضْرَةَ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَزُونَ أَنْ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدِّثَ بِهَا.

[٧٣٤١] وقال عبد الله بن الإمام أحمد: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا الْجَرَّاحُ بْنُ مُلَيْحٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنِيرِ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ. وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كَفْرٌ. وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ»^(٢). إسناده ضعيف.

[٧٣٤٢] وفي الصحيح، عن أنس، أن المهاجرين قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. قَالَ: «لَا، مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ، وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ»^(٣).

[٧٣٤٣] وقال أبو داود: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(٤). ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد، عن ابن المبارك، عن الربيع بن مسلم، وقال: صحيح.

[٧٣٤٤] وقال أبو داود: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَرَّاحِ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَبْلَى بِلَاءَ فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»^(٥). تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ.

[٧٣٤٥] وقال أبو داود: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بَشَرٌ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةٍ، حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَنْجِزْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُتِّنْ بِهِ، فَمَنْ أَتَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»^(٦). قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَرَوَاهُ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةٍ، عَنْ شُرَحْبِيلَ، عَنْ جَابِرٍ. كَرِهَهُ فَلَمْ يُسْمُوهُ^(٧). تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي النَّبُوَّةَ الَّتِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الْقُرْآنُ. وَقَالَ لَيْثٌ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)»، قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ فَحَدِّثْ إِخْوَانَكَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَا جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ مِنَ النَّبُوَّةِ فَحَدِّثْ بِهَا وَادْكُرْهَا، وَادْعُ إِلَيْهَا: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَذْكُرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ النَّبُوَّةِ سِرًّا إِلَى مَنْ يَطْمَعُنْ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَافْتَرَضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى.

آخر تفسير سورة الضحى، والله الحمد والمِنَّةُ

- (١) تقدم.
- (٢) حسن. أخرجه أحمد ٣٧٥/٤ وابنه ٣٧٥/٤ أيضاً كلاهما من حديث النعمان بن بشير، وإسناده ضعيف، فيه الجراح بن مليح، وهو ضعيف الحديث. وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ١٣٦٤٨: أبو عبد الرحمن راويه عن الشعبي، لم أعرفه اهـ لكن للحديث شواهد بكل فقراته، ومنها ما سيأتي.
- (٣) تقدم في سورة الحشر آية ٩.
- (٤) أخرجه أبو داود ٤٨١١ والترمذي ١٩٥٥ والبخاري في «الأدب المفرد» ٢١٨ والطبراني ٢٤٩١ وأحمد ٥٨/٢، وابن حبان ٣٤٠٧ وهو صحيح، وله شواهد.
- (٥) صحيح. أخرجه أبو داود ٤٨١٤ وإسناده حسن، وله شواهد، انظر «الصحيحة» ٦١٨.
- (٦) حسن. أخرجه أبو داود ٤٨١٣، وفي الإسناد شرحبيل بن سعد، وقد اختلط، لذا ضعفه غير واحد، وقد توبع؛ فقد أخرجه الترمذي ٢٠٣٤ من طريق آخر وفيه عن عتبة أبي الزبير. لكن يصلح للمتابعة.
- (٧) أي أن عمارة بن غزوة كره شرحبيل، فلم يسمه حيث قال في الإسناد الأول «عن رجل من قومي».



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾، يعني أما شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ؟ أي: نَوْرَنَاهُ وجعلناه قَسِيحًا رَجِيْبًا واسعًا كقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكما شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَهُ قَسِيحًا واسعًا سَمْحًا سهلاً لَا خَرْجَ فِيهِ وَلَا إِضْرَ وَلَا ضِيقَ. وقيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ شَرْحُ صَدْرِهِ ليلة الإسراء، كما تقدّم من رواية مالك بن صُغْصَعَةَ، وقد أورده الترمذي ها هنا، وهذا وإن كان واقعاً، [ليلة الإسراء كما رواه مالك ابن صُغْصَعَةَ]، ولكن لا منافاة، فإن من جُمْلَةِ شَرْحِ صَدْرِهِ الَّذِي فُعِلَ بِصَدْرِهِ ليلة الإسراء، ما نشأ عنه من الشَّرْحِ المعنوي أيضاً، والله أعلم.

[٧٣٤٦] قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البراز، حدثنا يونس ابن محمد، حدثنا معاذ بن محمد بن أبي كعب، حدثني أبي محمد بن معاذ، عن معاذ عن محمد، عن أبي بن كعب: أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله! ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة، إني لفي الصحراء ابنَ عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجلٌ يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم. فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلقٍ قط، وأرواح لم أجدّها من خلقي قط، وثياب لم أرها على أحدٍ قط. فأتبلا إليّ يمشيان، حتى أخذ كل واحدٍ منهما بعضي، لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه: ضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر. فقال أحدهما لصاحبه: إلق صَدْرَهُ فهو أحدهما إلى صَدْرِي فقلقه فيما أرى بلا دم، ولا وجع، فقال له: أخرج الغُلَّ والحَسَدَ. فأخرج شيئاً كهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ ثم نَبَذَهَا فطَرَحَهَا، فقال له: أدخل الرأفة والرَّحْمَةَ، فإذا مثل الذي أخرج شِبْهَ الْفِضَّةِ، ثم هَزَّ إِبْهَامَ رِجْلِي الْيُمْنَى فقال: اغدُ واسلم. فرجعت بها أعدو، رِقَّةً على الصغير، ورحمةً للكبير»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾، بمعنى: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أي

(١) أخرجه عبد الله في «زوائد المسند» ١٣٩/٥ بإسناد ضعيف، معاذ بن محمد مقبول، ومحمد بن معاذ مجهول، لكن أصل الحديث له شواهد.

أَتَمَّلَكَ حَمَلَهُ. وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ، قال مجاهد: لا أذكرُ إلا ذُكرت معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال قتادة: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ في الدنيا والآخرة، فليس خطيبٌ ولا مُتَشَهِّدٌ ولا صاحبُ صلاةٍ إلا يُنادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

[٧٣٤٧] قال ابنُ جرير: حدَّثني يونسُ، أخبرنا ابنُ وهب، أخبرنا عمرو بنُ الحارث، عن ذَرَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريلُ فقال: إِنَّ رَبِّي وَرَبُّكَ يقول: كيف رَفَعْتَ ذِكْرَكَ؟ قال: اللَّهُ أَعْلَمُ. قال: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي»^(١). وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن يونس بن عبد الأعلى، به. ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة، عن ذَرَّاج.

[٧٣٤٨] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعة، حدَّثنا أبو عَمْرٍو الحَوْضي، حدَّثنا حَمَّاد بن زيد، حدَّثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألتُ رَبِّي مسألةً وَدِدْتُ أني لم أَكُنْ سألته، قلت: قد كانت قبلي أنبياءُ، منهم من سَخَرَتْ له الرِّيحُ، ومنهم من يحيي الموتى. قال: يا محمدا! ألم أَجِدْكَ يَتِيماً فأَوَيْتُكَ؟ قال: قلت: بلى يا رب! قال: ألم أَجِدْكَ ضالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ قلت: بلى يا رب! قال: ألم أَجِدْكَ عاتلاً فأَغْنَيْتُكَ؟ قال: قلت: بلى يا رب! قال: ألم أَشْرَحْ لك صَدْرَكَ؟ ألم أَزْغِ لك ذِكْرَكَ؟ قلت: بلى يا رب!»^(٢).

[٧٣٤٩] وقال أبو نُعَيْم في دلائل النبوة: حدَّثنا أبو أحمد الغُطَريفِي، حدَّثنا موسى بن سهل الجوني، حدَّثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيثمي، حدَّثنا نصر بن حَمَّاد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما فَرَعْتُ مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلتُ: يا رب! إنه لم يَكُنْ نبيُّ قبلي إلا وقد كَرَّمْتُهُ، جعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليمًا، وسَخَرْتَ لداودَ الجبالَ، ولسليمانَ الرِّيحَ والشياطينَ، وأحييت لعيسى الموتى، فما جَعَلْتَ لي؟ قال: أو ليس قد أعطيتُكَ أَفْضَلَ من ذلك كُلِّهِ؟ أني لا أَذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وَجَعَلْتُ صُدُورَ أُنَاجِيلٍ يقرؤون القرآن ظاهراً، ولم أعطِها أمةً، وأعطيتُكَ كِتَاباً من كنوز عَرْشِي، لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العليُّ العظيم»^(٣). وحكى البَغَوِيُّ، عن ابن عَبَّاس ومجاهد: أن المراد بذلك: الأَذَانُ. يعني ذِكْرَهُ فيه، وأورد من شعر حَسَّان بن ثابت:

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَنْ ثَوْرٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدُّ: أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِجِجْلِهِ قَدْوَ الْعَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهَذَا مُحَمَّدُ

وقال آخرون: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ في الأولين، ونَوَّه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأثروا أممهم بالإيمان به، ثم شَهَرَ ذِكْرَهُ في أُمَّتِهِ فلا يُذْكَرُ الله إلا ذُكِرَ معه. وما أحسن ما قال الصُّرَّصَرِيُّ رحمه الله:

لَا يَصِحُّ الْأَذَانُ فِي الْفَرْضِ إِلَّا بِاسْمِهِ الْعَذْبُ فِي الْفَمِ الْمَرْضِي
وقال أيضاً:

أَلَمْ تَرَ أَنَا لَا يَصِحُّ أَذَانُنَا وَلَا قَرَضُنَا إِنْ لَمْ تُكَرِّزْهُ فِيهِمَا

(١) أخرجه ابن حبان ٣٣٨٢ والطبري ٣٧٥٣٢، وإسناده ضعيف فهو من رواية ذَرَّاج عن أبي الهيثم.

(٢) فيه ابن السائب، اختلط بأخرة، لكن سمع منه حماد قبل الاختلاط. فالحديث حسن إن شاء الله.

(٣) فيه عثمان بن عطاء، وهو ضعيف، وضعفه ابن معين ومسلم وغيرهما. وللحديث شواهد تقويه منها المتقدم، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، أخبر تعالى أن مع العسر يُوجد اليسر، ثم أكد هذا الخبر.

[٧٣٥٠] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم، حدثنا عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي ﷺ جالساً وحياله حجر، فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه». فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (١).

[٧٣٥١] ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر، عن حميد بن حماد، به ولفظه: لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه ثم قال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٢)، ثم قال البزار: لا نعلم رَوَاهُ عن أنس إلا عائذ بن شريح. قلت: وقد قال فيه أبو حاتم الرازي: في حديثه ضعف، ولكن رواه شعبه عن معاوية بن قرة، عن رجل، عن عبد الله بن مسعود، موقوفاً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا أبو قطن، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يُسرَين اثنين.

[٧٣٥٢] وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن مغمّر، عن الحسن قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك، وهو يقول: «لن يغلب عسر يُسرَين، لن يغلب عسر يُسرَين، إن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً» (٣). وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي، ويونس بن عبيد، عن الحسن مرسلًا.

[٧٣٥٣] وقال سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال: «لن يغلب عسر يُسرَين» (٤). ومعنى هذا أن العسر مُعرّف في الحالين، فهو مفرد، واليسر منكر مُتَعَدَّد، ولهذا قال: «لن يغلب عسر يُسرَين»، يعني قوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تَعَدَّد.

[٧٣٥٤] وقال الحسن بن سفيان: حدثنا يزيد بن صالح، حدثنا خارجة، عن عباد بن كثير، عن أبي الزناد، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «نزل المعونة من السماء على قدر المؤونة،

(١) إسناده ضعيف، وانظر ما بعده.

(٢) ضعيف. أخرجه البزار ٢٢٨٨ والطبراني في «الأوسط» ١٥٤٨ والحاكم ٢٥٥٠/٢ والبيهقي في «الشعب» ١٠٠/٢، وإسناده ضعيف. له علتان حميد بن حماد وشيخه عائذ بن شريح، كلاهما ضعيف. قال الحاكم: حديث عجيب، غير أن الشيخين لم يحتجاً بآبِين شريح. وتعبه الذهبي، فقال: تفرد به حميد بن حماد عن عائذ، وحيد منكر الحديث كعائذ اهـ وكذا ضعفه البيهقي قبل روايته للحديث. وأما الهيثمي فأعله في «المجمع» ١١٥٠١ بعائذ، وأنه ضعيف، مع أن ابن حماد واه أيضاً، ثم إن المتن معلول، فظاهره أنه كان في المدينة، والسورة مكية كما تقدم. وورد عن ابن مسعود مرفوعاً، أخرجه الطبراني ٩٩٧٧ وأعله الهيثمي في «المجمع» ١١٥٠٠ بضعف أبي مالك النخعي، بل فيه أيضاً أبو حمزة، وهو ضعيف، وقد جاء موقوفاً عليه أخرجه البيهقي ١٠٠١١ والطبري ٣٧٥٣٨ و ٣٧٥٣٩ وهذا أصح من المرفوع، وانظر الآتي.

(٣) ضعيف. أخرجه الحاكم ٥٢٨/٢ والطبري ٣٧٥٣٣ و ٣٧٥٣٤ و ٣٧٥٣٥ و ٣٧٥٣٦ عن الحسن مرسلًا، ومرسلات الحسن واهية فهاتان علتان للحديث.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٥٣٧ عن قتادة مرسلًا، ومع إرساله هو بصيغة التمریض، فتادة أخذه عن الحسن فإنه كثير الرواية عنه فعلى هذا يكون أخرجه متحداً، وهو ضعيف بكل حال، والأشبه فيه الوقف، والله أعلم.

ونزل الصبر على قَدْرِ الْمُصِيبَةِ^(١). ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا
مَنْ صَدَّقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهُ أَدَى
وقال ابنُ دُرَيْدٍ: أنشدني أبو حاتم السَّجِسْتَانِي:
إِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبِ
وَأَوْطَأْتَ الْمَكَارِهِ وَاطْمَأْنَنْتِ،
وَلَمْ تَرَ لَانْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ
وقال آخر:

وَلَرْبُ نَازِلَةٍ يَضِيْقُ بِهَا الْفَتَى
كُمِلَتْ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا

وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) ﴿وَلَا رَيْبَ فَانصَبْ﴾، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها تهيئاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة. ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته:

[٧٣٥٥] «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان»^(٢).

[٧٣٥٦] وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤوا بالعشاء»^(٣). قال مجاهد في هذه الآية:

إذا فرغت من أمر الدنيا فقم إلى الصلاة، فانصب لربك، وفي رواية عنه: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل. وعن ابن عباس نحوه. وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) ﴿وَلَا رَيْبَ فَانصَبْ﴾، بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧)، يعني في الدعاء. وقال زيد بن أسلم، والضحاك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾، أي: من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾، أي: في العبادة. ﴿وَلَا رَيْبَ فَانصَبْ﴾ (٨)، قال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل.

آخر تفسير سورة «ألم نشرح»، والله الحمد والمنة

(١) فيه خارجة وعباد، وكلاهما ضعيف. لكن توبعا، فقد أخرجه البزار ١٥٠٦ من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧٧٠٣: فيه طارق بن عمار قال البخاري: لا يتابع على حديثه. وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ وبهذا الإسناد أخرجه البخاري في تاريخه ٣٥٢/٢/٢ وأخرجه العقيلي ٢٢٧/٢ عن عباد عن طارق عن أبي الزناد به. في حين أخرجه البيهقي ٩٩٥٤ وابن عدي ١٧٠٤/٥ عن عباد وطارق معاً عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً به. وله طريق آخر أخرجه البيهقي ٩٩٥٦ وفيه معاوية بن يحيى الأضرابلسي الدمشقي، وهو ضعيف، وبهذا الإسناد أخرجه ابن عدي ١٤٣٥/٤ وأعله بمعاوية هذا. لكن تابعه عمر بن طلحة عند البيهقي ٩٩٥٧ وابن عدي ١٧٠٤/٥ وإسناده ضعيف أيضاً. فلهذا هذه الطرق تعتضد بمجموعها، وإن كانت واهية، وهو في «الصحيحة» ١٦٦٤، والله تعالى أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٥٦٠ وأبو داود ٨٩ وأحمد ٤٣/٦ و٥٤ و٧٣ والحاكم ١٦٨/١ وابن حبان ٢٠٧٣ من حديث عائشة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٥٤٦٣ من حديث أنس بن مالك.



وهي مكية

[٧٣٥٧] قال مالك وشعبة، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب: كان النبي ﷺ في سفر فقرأ في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه^(١). أخرجه الجماعة في كتبهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّكْرِ﴾ ٧ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْحَكِيمِينَ﴾ ٨ ﴿

اختلف المفسرون ها هنا على أقوال كثيرة فقول: المراد بالتين مسجد دمشق. وقيل: هي نفسها. وقيل: الجبل الذي عندها. وقال القرطبي: هو مسجد أصحاب الكهف. وروى العوفي، عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي. وقال مجاهد: هو تينكم هذا. ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾، قال كعب الأحبار، وقتادة، وابن زيد، وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس. وقال مجاهد، وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، قال كعب الأحبار وغير واحد: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: يعني مكة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وإبراهيم النخعي، وابن زيد، وكعب الأحبار، ولا خلاف في ذلك. وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلًا من أولي العزم وأصحاب الشرائع الكبار، فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا ﷺ قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني: الذي كلم الله عليه موسى - وأشرق من ساعير يعني: جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى، واستعلن من جبال فاران - يعني: جبال مكة التي أرسل الله منها محمدا ﷺ فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم بالأشرف منه، ثم بالأشرف منهما.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٧٦٧ و ٧٦٩ و ٤٩٥٢ ومسلم ٤٦٤ ح ١٧٥ و ١٧٦ وأبو داود ١٢٢١ والترمذي ٣١٠ والنسائي

في «التفسير» ٧٠٢ وفي «السنن» ١٠٠٠ وابن ماجه ٨٣٤ و ٨٣٥.

في أحسن صورة، وشكل مُنتَصِب القامة، سَوِيّ الأعضاء حَسَنها. ﴿ثُمَّ رَدَدَتْهُ أَسْفَلَ سَفِيلَيْنِ﴾ ٦ ﴿أي: إلى النار. قاله مجاهد، وأبو العالية، والحسن، وابن زيد، وغيرهم. ثم بعد هذا الحُسن والنُّصارة مَصِيرُهُ إلى النار إن لم يُطِيع الله وَيَتَّبِع الرُّسُل. ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدَتْهُ أَسْفَلَ سَفِيلَيْنِ﴾ ٧ ﴿أي: إلى أَرْدَلِ العُمر. رُوِيَ هذا عن ابن عباس، وعِكْرمة، حتى قال عِكْرمة: مَنْ جَمَعَ القرآنَ لَمْ يُرَدْ إِلَى أَرْدَلِ العُمر. واختار ذلك ابن جرير. ولو كان هذا هو المراد لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهَرَم قد يُصِيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه، كقوله تعالى: ﴿وَالْمَصْرِيَّةُ﴾ ٨ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ﴾. وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ عَرَبٌ مَثُونٌ﴾، أي: غيرُ مقطوع كما تَقَدَّم. ثم قال: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْإِنْسَانِ﴾، يعني يابن آدم: ﴿بَعْدَ الْإِنْسَانِ﴾، أي: بالجزاء في المَعَاد، وقد عَلِمْتَ الْبَدَاةَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدَاةِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الرُّجْعَةِ بطريق الأولى، فأَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُكَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ وقد عَرَفْتَ هذا؟! قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ قَالَ: قُلْتُ لِمَجَاهِدٍ: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْإِنْسَانِ﴾ ٧، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! عَنَى بِهِ الْإِنْسَانَ. وَهَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَغَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ مِنَ النَّاسِ﴾ ٨، أي: أَمَا هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَمِنْ عَذْلِهِ أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ فَيَنْتَصِفَ الْمَظْلُومَ فِي الدُّنْيَا مِمَّنْ ظَلَمَهُ.

[٧٣٥٨] وقد قَدَّمنا في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «فَإِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ ١ ﴿فَأَتَى عَلَى آخِرِهَا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ مِنَ النَّاسِ﴾ ٨، فَلْيَقُلْ: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين» (١).

آخر تفسير «والتين والزيتون»، والله الحمد والمنة

(١) تقدم، وهو ضعيف بصيغة الأمر، وقد صح أنه كان يقوله.



وهي أول شيء نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ

الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾

[٧٣٥٩] قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مغمّر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء؛ فكان يأتي حراء فيتحنّث فيه - وهو: التعبّد - الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوّد له لمثلها حتى فيجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ! قال رسول الله ﷺ: «قلت: ما أنا بقارىء! قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارىء! فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارىء! فأخذني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ حتى بلغ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾، قال: فَرَجَعَ بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فزَمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الروع. فقال: «يا خديجة، مالي؟» فأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي». فقالت له: كلا، أبيتز، فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرّجيم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وهو ابن عمّ خديجة، أخي أبيها، وكان أمراً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي - فقالت خديجة: أي ابن عم! اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي! ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يُخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أو مُخرجي هم؟». فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا^(١) - حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواطئ الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريلُ فقال: يا محمد! إنك رسول الله حقاً. فيسكن بذلك جأشه، وتقرّ نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذرورة

(١) هذا من كلام الزهري. فما بعده مرسل، وليس بمصطل، فتنبه، والله الموفق.

جبل تَبْدَى له جبريلُ، فقال له مثل ذلك^(١). وهذا الحديث مخرُج في الصحيحين من حديث الزهري، وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى، فمن أرادَهُ فهو هناك محوَر، والله الحمد والمنّة. فأولُ شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريّمات المباركات، وهُنَّ أولُ رَحْمَةٍ رَجَمَ الله بها العبادَ، وأولُ نعمة أنعم بها عليهم. وفيها التنبية على ابتداء خلق الإنسان من عَلَقَةٍ، وأن من كَرَّمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه وكَرَّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدمُ على الملائكة، والعلّم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمها من غير عكس، فلهذا قال: ﴿اقْرَأْ رَبِّكَ الْأَكْرَمَ﴾ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

[٧٣٦٠] وفي الأثر: «قَيّدوا العلم بالكتابة»^(٢).

[٧٣٦١] وفيه أيضاً: «من عَمِلَ بما عَلِمَ أورثه علم ما لم يكن يعلم»^(٣).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (١) أَنْ رَآهُ اسْتَكْبَرَ (٢) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ (٣) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٤) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (٥) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (٦) أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى (٧) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٨) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٩) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١١) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِلَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطْلَعُ الْإِبْرَاقَ (١٩)﴾

وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (٢٠) ﴿١٩﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فَرْحٍ وأَشْرٍ وَيَطْرٍ وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكَثُرَ ماله. ثم تهذّده وتوعّده ووعظه فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ (٨)، أي: إلى الله المصير والمرجع، وسيُحاسِبُكَ على مالك، من أين جَمَعْتَهُ؟ وفيهِ صَرْفَتُهُ؟ قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّائِغُ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا

(١) صحيح دون عجزه، أخرجه أحمد ١٥٣/٦ وإسناده على شرطهما وتقدم من رواية البخاري ومسلم، وعجزه مدرج من كلام الزهري.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الحاكم ١٠٦/١ والخطيب في «تقييد العلم» ص ٦٩ وابن عبد البر في «جامع العلم» ٧٣/١ وابن الجوزي في «العلل» ٩٥ و ٩٦ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. ضعفه الحاكم. وقال الذهبي: ابن المؤمل - وهو عبد الله - ضعيف. وقال ابن الجوزي: قال أحمد: ابن مؤمل أحاديثه مناكير. وقال يحيى: ضعيف. وتابعه إسماعيل بن يحيى ٩٧ وهو يروي الموضوعات كما قال ابن حبان، وكذبه الدارقطني. وورد من حديث أنس، أخرجه الخطيب في «تقييد العلم» ص ٧٠ و ٩٧ وفي «التاريخ» ٤٦/١٠ وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» ٢٢٨/٢ وابن عبد البر ص ٧٢-٧٣ وأعله ابن الجوزي بقوله: لا يصح، تفرد بروايته مرفوعاً عبد الحميد - بن سليمان - وهو غير ثقة، وقال الدارقطني: ضعيف. وقال الدارقطني: وهم ابن المثنى في رفعه. والصواب عن ثمامة عن أنس كان يقول ذلك لنيه. ولا يرفعه اهـ وقال الحاكم في «المستدرک» ٣٦٠/١٠٦/١: صح ذلك عن عمر من قوله، وكذا عن أنس، وقد أسند - أي رفع - من غير وجه معتمد. اهـ باختصار. ولا يصح رفع هذا الحديث، فالنبي ﷺ كان قد نهاهم أن يكتبوا عنه شيئاً سوى القرآن. وقد أجاز لعبد الله بن عمرو بن العاص وحده أن يكتب. والحديث يشمل كافة الصحابة فهو منكر. والإسناد ضعيف. والله تعالى أعلم.

(٣) لا أصل له في المرفوع. أخرجه أبو نعيم ١٤/١٠ - ١٥ من حديث أنس، وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسى عليه السلام، فوهب بعض الرواة، فجعله عن النبي ﷺ، فوضع له هذا الإسناد لسهولته وقربه اهـ وذكره العراقي في «تخریج الإحياء» ٧١/١ وقال: أخرجه أبو نعيم، وضعفه اهـ والله تعالى أعلم.

أبو عَمَيْس، عن عَوْنٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْهُومان لَا يَشْبَعَان، صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَوِيَان، فَأَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ رِضًا الرَّحْمَنِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا فَيَتِمَادِي فِي الطَّغْيَانِ. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾. وَقَالَ لِلْآخَرِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلُوكُ﴾ [فاطر: ٢٨].

[٧٣٦٢٧] وَقَدْ رُويَ هَذَا مَرْفُوعاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْهُومان لَا يَشْبَعَان: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا»^(١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۖ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۚ﴾؛ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَوَعَّظَهُ تَعَالَى بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا فَقَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْاُذُنِ ۖ﴾، أَيْ: فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي نَتَهَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي وَفْلِهِ، ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۖ﴾ بِقَوْلِهِ، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صَلَاتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرَى ۖ﴾ أَيْ: أَمَّا عَلِيمُ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُهْتَدِي أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَنْتُمْ الْجَزَاءُ^(٢)؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا وَمُتَهَدِّدًا: ﴿كَأَنَّ لِرَبِّهِ بَنِينَ ۖ﴾، أَيْ: لِشَنِّ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّقَاقِ وَالْعِنَادِ ﴿لَتَسْفَهَنَ ۖ﴾ أَيْ: لَتَنْسِيئُهَا سَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ ۖ﴾ يَعْنِي: نَاصِيَةُ أَبِي جَهْلٍ كَازِبَةٌ فِي مَقَالِهَا، خَاطِئَةٌ فِي فِعَالِهَا. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ﴾، أَيْ: قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، أَيْ: لِيَذْهَبُوا بِسِتْنَصِرُ بِهِمْ. ﴿سَنَعُ الرَّايَةَ ۖ﴾، وَهِيَ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يَغْلِبُ: أَجْزَيْنَا أَوْ حَزَبُهُ؟

[٧٣٦٣٣] قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَيْتَ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّيُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ لِأَطَّانٍ عَلَى عُنُقِهِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَيْتَ فَعَلَهُ لَأَخَذْتَهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٣). ثُمَّ قَالَ: تَابَعَهُ عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو - عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِمَا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، بِهِ. وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، بِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ ١٠٣٨٨ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْعِلَلِ» ١١١ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ٥٧١: فِيهِ أَبُو بَكْرٍ الدَّاهِرِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ أَهْلُ وَوَرَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ. أَخْرَجَهُ أَبُو خَيْثَمَةَ فِي «الْعِلْمِ» ١٤١ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ١١٢ وَأَعْلَهُ بَلِيثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ، وَأَنَّهُ اخْتَلَطَ. وَكَذَا ضَعَفَهُ الْهَيْثَمِيُّ ٥٧٢ بَلِيثٌ. وَوَرَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٩٢/١، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ عِلَّةً، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ! وَلَيْسَ كَمَا قَالَا. فَإِنْ مَدَّاهُ عَنْدهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نَصَرٍ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ فَقَطْ، وَلَمْ يَرَوْهُ الشَّيْخَانُ أَوْ أَحَدُهُمَا. لَكِنَّهُ ثِقَةٌ حَافِظٌ. وَشَيْخُهُ شَرِيحُ بْنُ النُّعْمَانِ، لَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجُمَةً، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ تَصَحَّفَ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» فَلْيَنْظُرْ. وَوَرَدَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ١١٣ وَابْنُ عَدِيٍّ ٦/١ وَأَعْلَهُ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَحَدِ الْبَلْخِيِّ، وَقَالَ: حَدَّثَ بِأَشْيَاءٍ مُتَكَرِّرَةٍ، وَهُوَ يَسْرِقُ الْحَدِيثَ. وَهُوَ حَدِيثُ الْهَسَنَجَانِيِّ، سَرَقَهُ مِنْهُ مُحَمَّدٌ. وَقَدْ حَدَّثَنَا الْهَسَنَجَانِيُّ بِهِ عَنْ الْحَسَنِ مَرَّةً بَنَحْوَهُ، وَصَحَّفَهُ الْهَسَنَجَانِيُّ فَصِيرَ الْحَسَنَ أَنْسَاءً أَهْلُ وَوَقَعَ هَذَا لِلْبَيْهَقِيِّ حَيْثُ أَخْرَجَهُ فِي «الشَّعْبِ» ١٠٢٧٩ مِنْ طَرِيقِ الْهَسَنَجَانِيِّ عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَنَسٍ. وَذَكَرَهُ السَّخَاوِيُّ فِي «الْمَقَاصِدِ» ١٢٠٦ وَقَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ عَمْرِوٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مُفْرَدَاتِهَا ضَعِيفَةً فَبِمَجْمُوعِهَا تَقَوَّى أَهْلُ، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ فَلْيَحْزَرْ، وَلَمْ يَصِبْ مِنْ صَحِيحِهِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَالْتَنَ رَفَعَهُ غَرِيبٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٢) وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مُسْتَمَرَّةً شَامِلَةً لِكُلِّ مَنْ يَمْنَعُ الصَّلَاةَ بِأَيِّ شَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ، سَوَاءٌ كَانَ بِالْقُوَّةِ، أَوْ بِمَجْرَدِ تَخْوِيفٍ، أَوْ تَهْدِيدٍ. وَسَوَاءٌ كَانَ فِي الْأَمَاكِنِ الْعَامَّةِ، أَوْ كَانَ فِي الْأَمَاكِنِ الْخَاصَّةِ، وَسَوَاءٌ كَانَ مُبَاشِرَةً، أَوْ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَبَاءُ جَهْلٍ. نَسَّالُ اللَّهِ السَّلَامَةَ، وَحَسَنُ الْخِتَامِ.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٤٩٥٨ وَالتِّرْمِذِيُّ ٣٣٤٨ وَالنَّسَائِيُّ فِي «التَّفْسِيرِ» ٧٠٥ وَأَحَدُ ٣٦٨/١ وَالتَّبْرِي ٣٧٦٧٩.

[٧٣٦٤] وَرَوَى أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالتَّسَانِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ - وَهَذَا لَفْظُهُ - مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّيُ عِنْدَ الْمَقَامِ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ وَتَوَعَّدَهُ، فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْتَهَرَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! بَأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَعِزُّ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَدَّغَ الرَّبَّانِيَّةَ ﴿١٨﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ (١٩). وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٧٣٦٥] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَيْدٍ أَبُو يَزِيدَ، حَدَّثَنَا فُرَاتٌ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّيُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَتِيَهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ. قَالَ: فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَتُّوا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَزَاوَا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يَبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا» (٢٠).

[٧٣٦٦] وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ الْعِزَّازِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ عَادَ مُحَمَّدٌ يُصَلِّيُ عِنْدَ الْمَقَامِ لَأَقْتُلَنَّهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٢١) ، حَتَّى بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَتَسْفُكُنَّ أَنْفُسَهُ الْفَاسِقِينَ كَذِبٌ﴾ (٢٢) فَلْيَعِزُّ نَادِيَهُ (٢٣) سَدَّغَ الرَّبَّانِيَّةَ (٢٤) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (٢٥). فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّيُ، فَقِيلَ: مَا يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: قَدْ اسْوَدَّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْكِتَابِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ تَحَرَّكَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ (٢٦).

[٧٣٦٧] وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيُ كَذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَلَأَعْفُرَنَّ وَجْهَهُ فِي التَّرَابِ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّيُ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئْتُهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِهِ وَيَتَّقِي يَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنَحَةً. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ غَضُوءًا غَضُوءًا». قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ - لَا أَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفَرٍ﴾ (٢٧) ... إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (٢٨). وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُسْلِمٌ، وَالتَّسَانِيُّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ حَدِيثِ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، بِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾، يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ! لَا تُطِعْهُ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكَثْرَتِهَا، وَصَلَّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُبَالِهْ، فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَهُوَ يَعِصُّكَ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

[٧٣٦٨] كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٤٩ والتساني في «التفسير» ٧٠٤ وأحمد ٢٥٦/١ و٣٢٩ والطبري ٣٧٦٨٥.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٢٤٨/١ وكرره ٢٢٢٧/٢٤٨/١ من وجه آخر صحيح، لكن ظاهر المتن الوقف.

(٣) صحيح. أخرجه الطبري ٣٧٦٨٨ على شرط الشيخين.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٩٧ ح ٣٨ والتساني في «التفسير» ٧٠٣ وأحمد ٣٧٠/٢ والطبري ٣٧٦٨٧.

عُمارة بن عَزِيْة، عن سُمَيٍّ، عن أَبِي صَالِحٍ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدَّعَاءَ»^(١).

[٧٣٦٩] وَتَقَدَّمَ أَيْضاً: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْجُدُ فِي: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾»، و «أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾»^(٢).

أَخْرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ اقْرَأْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعَصْمَةُ

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٤٨٢ وأبو داود ٨٧٥ والنسائي ٢٢٦/٢ وأحمد ٤٢١/٢ وابن حبان ١٩٢٨.

(٢) تقدم مراراً.

سُورَةُ الْقَدْرِ

ترتيبها
٩٧آياتها
٥

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

يُخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الدخان: ٣]، وهي ليلة القدر، وهي من شهر رَمَضَانَ، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ. ثم قال تعالى مُعْظَمًا لَشَانَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، التي اختصّها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

[٧٣٧٠] قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسي، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ الْحُدَّانِي، عَنْ يَوْسُفَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَمَا بَايَعَ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ: سَوَدَتْ وَجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ: يَا مُسَوِّدَ وَجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ - فَقَالَ: لَا تُؤْنِبْنِي - رَحِمَكَ اللَّهُ - فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَى بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مَنْبَرِهِ، فَسَاءَ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ يَا مُحَمَّدُ، يَعْنِي نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ، وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، يَمْلِكُهَا بَعْدَكَ بَنُو أُمَيَّةَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ الْقَاسِمُ: فَتَعَدَدْنَا إِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ، لَا تَزِيدُ يَوْمًا وَلَا تَنْقُصُ ^(١). ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ، وَقَدْ قِيلَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٥٠ والطبري ٣٣٧١٤ والحاكم ٣/ ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٥، وضعفه الترمذي، وأعله بجهالة يوسف بن سعد، ويقال: ابن مازن، وخالفه ابن كثير على أنه معروف مشهور لكن علته الاضطراب، وهو منكر جداً، ونقل عن شيخه المزني قوله: هو حديث منكر أهد. وصححه الحاكم. وقال الذهبي: القاسم، وثقوه، وما أدري أفته من أين؟ أهد. قلت: اضطراب في هذا الإسناد، فعند الترمذي «يوسف بن سعد» وعند الحاكم والطبري «يوسف بن مازن» وعند الطبري عيسى بن مازن وقد اضطرب أئمة الجرح والتعديل، فقال بعضهم هما واحد. وفرق آخرون بينهما، وأياً كان فالثن منكر كما قال ابن كثير والمزي وقد ضعفه الترمذي. وقد رواه الحاكم من وجوه متعددة بأسانيد جياد، وليس فيه ذكر بني أمية، والمنبر. وتقدم تخریج هذه الأحاديث فيما مضى.

الفضل عن يوسف بن مازن والقاسم بن الفضل الحداني وهو ثقة، وثقه يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي. قال: وشيخه يوسف بن سعد - ويقال: يوسف بن مازن - رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه. وقد رَوَى هذا الحديث الحاكم في مستدركه، من طريق القاسم بن الفضل، عن يوسف بن مازن، به. وقول الترمذي: إن يوسف هذا مجهول - فيه نظر؛ فإنه قد روى عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد. وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معين: هو ثقة، وزواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، والله أعلم، ثم هذا الحديث على كل تقدير منكّر جداً، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكّر.

قلت: وقول القاسم بن الفضل الحداني: إنه حسب مدة بني أمية فوجدناها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - استقل بالملك حين سلم إليه الحسن ابن علي الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسُمي ذلك عام الجماعة، ثم استمرروا فيها مئتين بالشام وغيرها، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين، لكن لم تزل يدهم عن الإمرة بالكلية، بل عن بعض البلاد، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومئة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكان القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لدم دولة بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق؛ فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على دم أيامهم، فإن ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلا كما قال القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل: إن السيف أمضى من العصا
وقال آخر:

إذا أنت فضلت أمراً ذا براعة على ناقص، كان المديح من النقص

ثم من الذي يفهم من الآية أن الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية، والسورة مكية، فكيف يُحال على ألف شهر هي دولة بني أمية، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمتميز إنما صُنِعَ بالمدينة بعد مدة من الهجرة، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارة، والله أعلم.

[٧٣٧١] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا مسلم - يعني ابن خالد - عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فعجب المسلمون من ذلك، قال: فانزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝﴾، التي ليس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر^(١).

(١) ضعيف جداً، فهو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف وله علة ثانية، فيه مسلم بن خالد الزنجي، وهو ضعيف. والأشبه كونه عن مجاهد كما هو الآتي، وهو متلقن عن أهل الكتاب، والله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا حَكَّام بن سَلَم، عن المثنى بن الصباح، عن مُجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يُقَوِّم الليلَ حتَّى يُصبح، ثم يُجاهِدُ العدوَّ بالنهار حتَّى يُمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فانزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (١)، قيام تلك الليلة خيرٌ من عَمَلِ ذلك الرجل.

[٧٣٧٢] وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب، حدثني مسلمة بن عُلَيٍّ عن علي بن عَزْوَة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل، عبدوا الله ثمانين عاماً، لم يعضوه طرفة عين؛ فذكر أيوب، وزكريا، ويزقيل بن العجوز، ويوشع بن نون - قال: فَعَجِبَ أصحابُ رسول الله ﷺ من ذلك، فاتاه جبريلُ فقال: يا محمد! عَجِبْتَ أَمْتُكَ من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة، لم يعضوه طرفة عين؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك. فقرأ عليه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، هذا أفضل مما عَجِبْتَ أنت وأمْتُكَ. قال: فَسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ والناسُ معه (١).

وقال سُفيان الثوري: بَلَغَنِي عن مجاهد: ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهر. قال: عَمَلُهَا وصِيَامُهَا وقيامُهَا، خيرٌ من ألف شهر. رواه ابن جرير. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهد: ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهر، ليس في تلك الشهور ليلةُ القدر. وهكذا قال قتادة بن دُعامة، والشافعي، وغير واحد. وقال عمرو بن قيس المُلائي: عملٌ فيها خيرٌ من عمل ألف شهر. وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - وليس فيها ليلةُ القدر - هو اختيارُ ابن جرير، وهو الصواب لا ما عدها.

[٧٣٧٣] وهو كقوله ﷺ: «رباطُ ليلةٍ في سبيلِ الله خيرٌ من ألف ليلةٍ فيما سواه من المنازل» (٢). رواه أحمد.

[٧٣٧٤] وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، وثنية صالحة: أنه يُكْتَبُ له عملُ سنة، أجرُ صيامِها وقيامِها (٣). إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

[٧٣٧٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي هريرة قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهرُ رمضان، شهرُ مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تَفْتَحُ فيه أبوابُ الجنة، وتُغْلَقُ فيه أبوابُ الجحيم، وتُغْلَى فيه الشياطين، فيه ليلةُ خيرٍ من ألف شهر، من حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ» (٤). ورواه النسائي، من حديث أيوب، به. ولما كانت ليلةُ القدر تُعَدُّ لعبادتها عبادةُ ألف شهر.

[٧٣٧٦] ثَبَتَ في الصحيحين عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من قام ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه» (٥).

(١) باطل لا أصل له في المرفوع، والحمل فيه على علي بن عروة، وهو الدمشقي. فإنه متهم بالكذب ووضع الحديث، ومع ذلك هو معضل، وله علة ثالثة مسلمة بن عُلَيٍّ هو الحشني الشامي، متروك الحديث، ليس بشيء.

(٢) أخرجه أحمد ٧٥/١ وإسناده لين لأجل أبي صالح، فإنه مقبول، وللحديث شواهد كثيرة، تقدمت في آل عمران.

(٣) تقدم في سورة الجمعة، وهو صحيح.

(٤) أخرجه النسائي ١٢٩/٤ وأحمد ٢/٢٣٠ و٤٢٥. ورجاله رجال الصحيح، فهو صحيح إن كان أبو قلابة سمعه من أبي هريرة، فإنه كثير الإرسال وله شواهد دون «من حرم...».

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ١٩٠١ ومسلم ٧٦٠ وأبو داود ١٣٧٢ والنسائي ١١٨/٨ والترمذي ٨٠٨ وأحمد ٥٢٩/٢ وأبو يعلى ٢٦٣٢.

وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (١)، أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركاتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له. وأما الروح فقليل: إن المراد به هاهنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام. وقيل: هم ضرب من الملائكة. كما تقدم في سورة النبأ. والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، قال مجاهد: سلام هي من كل أمر. وقال سعيد بن منصور: حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾، قال: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى. وقال قتادة وغيره: تقضى فيها الأمور، وتقدر الأرزاق والآجال، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤) وقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٢)، قال سعيد بن منصور: حدثنا هُشَيْم، عن أبي إسحاق، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال: تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر. وروى ابن جرير، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: (من كل أمرىء). سلام هي حتى مطلع الفجر. وروى البيهقي في كتابه «فضائل الأوقات» عن عليٍّ أثرأ غريباً في نزول الملائكة، ومُرُورهم على المصلين ليلة القدر، وحُصول البركة للمُصلين. وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار أثرأ غريباً عجيباً مُطَوَّلاً جداً، في تنزل الملائكة من سِدْرَةِ المنتهى صحبة جبريل - عليه السلام - إلى الأرض، ودُعائهم للمؤمنين والمؤمنات.

[٧٣٧٧] وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عمران - يعني القطان - عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة، أو تسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى» (١). وقال الأعمش، عن البهال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، قال: لا يحدث فيها أمر. وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾، يعني: هي خير كلها، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر.

[٧٣٧٨] ويُؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد: حدثنا حنيفة بن شريح، حدثنا بَقِيَّةُ، حدثني بجير ابن سعيد، عن خالد بن معدان، عن عباد بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن ابتغاء حِسْبَتِهِنَّ فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر: تسع، أو سبع، أو خامسة، أو ثالثة، أو آخر ليلة. وقال رسول الله ﷺ: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمرأ ساطعاً، ساكنة ساجية، لا بَرَدَ فيها ولا حرٌّ، ولا يحل لكوكب يُرمى به حتى تُصبح. وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية، ليس لها شعاع، مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ» (٢). وهذا إسناد حسن، وفي المتن غرابة، وفي بعض ألفاظه نكارة.

[٧٣٧٩] وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زَمْعَةُ، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «ليلة سَمْحَةٍ طَلْقَةٍ، لا حارَّة ولا باردة، وتُصبح شمسٌ صبيحتها ضعيفة حمراء» (٣).

(١) حسن. أخرجه الطيالسي ٢٥٤٥ وإسناده لا بأس به، وله شواهد.

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٤/٥ وقال الهيثمي في «المجمع» ٥٠٤١: رجاله ثقات اهـ. وحسن إسناده ابن كثير، إلا أنه استنكر بعض ألفاظه، وفيما قاله نظر، فإن لصدره شواهد، وكذا لعجزه شواهد، وهي الآتية، والله أعلم. وانظر «المجمع» ٥٠٣٥ و ٥٠٤٠ و ٥٠٤٢ و ٥٠٥٢ و ٥٠٥٨ و ٥٠٦٥ فللحديث شواهد يحسن بها إن شاء الله. والله الموفق.

(٣) حسن. أخرجه الطيالسي ٢٦٨٠ وإسناده غير قوي لأجل زمة، لكن للحديث شواهد.

[٧٣٨٠] وَرَوَى ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيلُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَأُنْسِيْتُهَا، وَهِيَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ لَيَالِيهَا، وَهِيَ لَيْلَةٌ طَلَقَتْ بَلَجَةً، لَا حَارَّةَ وَلَا بَارِدَةَ، كَانَ فِيهَا قَمَرًا، لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يُضِيَّءَ فَجَرُهَا»^(١).

فصل: اختلف العلماء: هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين:

[٧٣٨١] قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ أَحْمَدُ بْنُ بَكْرِ الزَّهْرِيُّ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَى أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَهُ تَقَاصَّرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ الْأَيُّلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ^(٢). وَقَدْ أَسْنَدَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مَالِكٌ يَقْتَضِي تَخْصِيصَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَقَدْ نَقَلَهُ صَاحِبُ «الْعُدَّة» أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ عَنْ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعَ، وَنَقَلَهُ الرَّاضِي جَازِمًا عَنِ الْمَذْهَبِ. وَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِينَ كَمَا هِيَ فِي أُمَّتِنَا:

[٧٣٨٢] قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ عَمَّارٍ: حَدَّثَنِي أَبُو زُمَيْلٍ سِمَاكُ الْحَنْفِيُّ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ مَرْثَدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي مَرْثَدُ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ: كَيْفَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ قَالَ: «أَنَا كُنْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، أَفِي رَمَضَانَ هِيَ أَوْ فِي غَيْرِهِ؟ قَالَ: «بَلْ هِيَ فِي رَمَضَانَ». قُلْتُ: تَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا، فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ؟ أَمْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قُلْتُ: فِي أَيِّ رَمَضَانَ هِيَ؟ قَالَ: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ، وَالْعَشْرِ الْآخِرِ». ثُمَّ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثَ، ثُمَّ اهْتَبَلْتُ غَفْلَتَهُ قُلْتُ: فِي أَيِّ الْعَشَرَيْنِ هِيَ؟ قَالَ: «ابْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا». ثُمَّ حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اهْتَبَلْتُ غَفْلَتَهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي فِي أَيِّ الْعَشْرِ هِيَ؟ فَغَضِبَ عَلَيَّ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ مِنْذُ صَحَبْتُهُ، وَقَالَ: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّيِّئِ الْآخِرِ، لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا»^(٣). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنِ الْفَلَاسِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ بِهِ. فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَفِيهِ أَنَّهَا تَكُونُ بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ لَا كَمَا زَعَمَهُ بَعْضُ طَوَائِفِ الشَّيْعَةِ مِنْ رَفْعِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، عَلَى مَا فَهَمُوهُ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي سَنَوْدُهُ بَعْدَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَرَفَعْتُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ»^(٤)، لِأَنَّ الْمُرَادَ رَفْعَ عِلْمٍ وَقَتِهَا عَيْنًا. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ يَخْتَصُّ وَقُوعُهَا بِشَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ، لَا كَمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمَنْ تَابَعَهُ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، مَعَ أَنَّهَا تُوجَدُ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ، وَتُرْتَجَى فِي جَمِيعِ الشُّهُورِ عَلَى السَّوَاءِ.

(١) عزاه المصنف لابن أبي عاصم، ولم أره في «السنة» ولعله في كتاب آخر، وأخرجه ابن خزيمة ٢١٩٠ بهذا اللفظ من حديث جابر، وفيه عنعنات أبي الزبير، لكن للحديث شواهد.

(٢) ضعيف. أخرجه مالك ١/٣٢١ عن يثقبه، وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٣٦٦٧ عن مالك بلاغاً، وقد ورد من مرسل مجاهد بنحوه وتقدم.

(٣) أخرجه أحمد ٥/١٧١ والبخاري ١٠٣٥ و١٠٣٦ وإسناده ضعيف، مرثد لم يرو عنه سوى ابنه، وأصل الحديث محفوظ لكنه ضعيف بهذا اللفظ، ومن ذلك تكرار سؤالات أبي ذر.

(٤) سيأتي.

[٧٣٨٣] وقد تَرَجَّم أبو داود في سننه على هذا: فقال: «باب بيان أن ليلة القدر في كلِّ رمضان»: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ زَنْجُوِيهِ النَّسَائِيُّ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَسْمَعُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ: «هِيَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ»^(١). وهذا إسنَادُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ أَبَا دَاوُدَ قَالَ: «رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه». وقد حُكِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ - رحمه الله - رواية أنه تَرْتَجِي فِي جَمِيعِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَهُوَ وَجْهُ الْغَزَالِيِّ، وَاسْتَغْرَبَهُ الرَّافِعِيُّ جَدًّا.

فصل: ثم قد قيل: إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان، يُحْكِي هَذَا عَنْ أَبِي رَزِينٍ. وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة. وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود^(٢). وروى موقوفاً عليه، وعلى زيد بن أرقم، وعثمان بن أبي العاص. وهو قولٌ عن محمد بن إدريس الشافعي، ويُحْكِي عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. وَوَجَّهَهُ بِأَنَّهَا لَيْلَةُ بَدْرِ، وَكَانَتْ لَيْلَةُ جُمُعَةٍ هِيَ السَّابِعَةُ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِي صَبِيحَتِهَا كَانَتْ وَقْعَةً بِدَرٍ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾. وقيل: ليلة تسع عشرة، يُحْكِي عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضاً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقيل: ليلة إحدى وعشرين، لحديث أبي سعيد الخدري قال:

[٧٣٨٤] اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه، فاتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أملك. فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه، فاتاه جبريل فقال: الذي تطلب أملك. ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف معي فليرجع، فإني رأيت ليلة القدر، وإني أنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وترٍ، وإني رأيت كأنني أسجد في طينٍ وماءٍ» وكان سَقْفُ الْمَسْجِدِ جَرِيداً مِنَ النَّخْلِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئاً، فَجَاءَتْ قَرْعَةٌ فَمَطَرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ - حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عَلَى جَنْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تصديقاً رؤياه. وفي لفظ: «من صُحِّبَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ»^(٣). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ. وَقِيلَ: لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ، لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، وَهُوَ قَرِيبُ السِّيَاقِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقِيلَ: لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ.

[٧٣٨٥] قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ»^(٤). إسنَادُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

[٧٣٨٦] وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنِ الصَّنَابِيحِيِّ، عَنْ بِلَالٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ»^(٥). ابْنُ لَهْيَعَةَ ضَعِيفٌ. وَقَدْ خَالَفَهُ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَصْبَغٍ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَبِيبٍ،

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ١٣٨٧ بهذا الإسناد وهو إسنَادٌ قَوِيٌّ. لَكِنْ رَوَاهُ شُعْبَةُ وَالثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ مَوْقُوفاً. وَهُوَ الرَّاجِحُ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَحْفَظُ مِنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ فَمَنْ دُونَهُ. كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كُتُبِ الرِّجَالِ. فَالْمَوْقُوفُ ضَعِيفٌ، وَالرَّاجِحُ وَقْفُهُ.

(٢) الصحيح موقوف. أخرجه أبو داود ١٣٨٤ ورجاله ثقات ليس فيه سوى عننة أبي إسحاق، وبكل حال هو معارض بما في «الصحيحين» وأنها في العشر الأخير.

(٣) صحيح. أخرجه مالك ٣١٩/١ والبخاري ٢٠١٨ و ٢٠٤٠ و ٦٩٩١ ومسلم ١١٦٥ وأبو داود ١٣٨٢ والنسائي ٧٩/٣ وأحمد ٧/٣ وابن حبان ٣٦٧٣.

(٤) أخرجه الطيالسي ٢١٦٧ وإسناده على شرط مسلم لكن المتقدم أرجح منه، وكذا ما سيأتي.

(٥) أخرجه أحمد ١٢/٦ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، والموقوف أصح كما ذكر ابن كثير.

عن أبي الخير، عن أبي عبد الله الصنابحي قال: أخبرني بلال مؤذن رسول الله ﷺ أنها أول السبع الأواخر. فهذا الموقوف أصح، والله أعلم. وهكذا روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وجابر، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين:

[٧٣٨٧] وقد تقدّم في «سورة البقرة»، حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: «إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين»^(١). وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين:

[٧٣٨٨] لما رواه البخاري، عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»^(٢). فسره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر. وحمله آخرون على الأشفاق كما رواه مسلم، عن أبي سعيد، أنه حمله على ذلك. والله أعلم. وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين:

[٧٣٨٩] لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ «أنها ليلة سبع وعشرين»^(٣). [٧٣٩٠] قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان: سمعت عتبة وعاصماً، عن زر: سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقيم الحول يصيب ليلة القدر. قال: يرحمه الله، لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين. ثم حلف. قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة - أو: بالآية - التي أجزنا بها، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها، يعني الشمس^(٤).

[٧٣٩١] وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي، عن عتبة، عن زر، عن أبي.. فذكره. وفيه فقال: «والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان - يحلف ما يستثنى - والله إنني لأعلم أي ليلة هي، التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»^(٥). وفي الباب عن معاوية، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم، عن رسول الله ﷺ: إنها ليلة سبع وعشرين، وهو قول طائفة من السلف، وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً. وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: ﴿هي﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة، فالحق أعلم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري؛ أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة وعاصم: أنهما سمعا عكرمة يقول: قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر. قال ابن عباس: فقلت لعمر: إنني لأعلم - أو: إنني لأظن - أي ليلة هي؟ فقال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي أو سابعة تبقى - من العشر الأواخر. فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس، فقلت: خلق الله سبع سموات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الشهر يدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢١.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٧٦٢ ح ٢٢١.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٨٢٨ ح ٢٢٠ وأحمد ١٣٠/٥ والحميدي ٣٧٥ وابن خزيمة ١٢٩١ وابن حبان ٣٦٨٩ والبيهقي ١٨٢٨.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٧٦٢ ح ١٨٠ وأبو داود ١٣٧٨ والترمذي ٧٩٣ وعبد الرزاق ٧٧٠٠.

سبع، والطواف بالبيت سبع، وزمعي الجمار سبع، لأشياء ذكرها. فقال عمر: لقد قطنت لأمر ما فطنت له. وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالى: ﴿ثَلَاثًا فِيهَا جَبَّ﴾ [عبس: ٢٧].. الآية. وهذا إسناد جيد قوي، ومتن غريب جداً، والله أعلم. وقيل: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين.

[٧٣٩٢] قال أحمد بن حنبل: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عمر بن عبد الرحمن، عن عبادة بن الصامت: أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «في رمضان، فالتمسوها في العشر الأواخر، فإنها في وتر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو في آخر ليلة»^(١).

[٧٣٩٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود - وهو: أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة أو تسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»^(٢). تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به. وقيل: إنها تكون في آخر ليلة، لما تقدم من الحديث آنفاً.

[٧٣٩٤] ولما رواه الترمذي والنسائي، من حديث غيبة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: «في تسع يّقين، أو سبع يّقين، أو خمس يّقين، أو ثلاث، أو آخر ليلة. يعني: التمسوا ليلة القدر»^(٣). وقال الترمذي: «حسن صحيح». وفي المسند من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في ليلة القدر: «إنها آخر ليلة».

فصل: قال الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له: أتلمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول: نعم. وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تتنقل. نقله الترمذي عنه بمعناه. وروى عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم. وهو مخكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه، وهو الأشبه، والله أعلم.

[٧٣٩٥] وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عمر: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحريها في السبع الأواخر»^(٤).

[٧٣٩٦] وفيهما أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَيْلِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٥). ولفظه للبخاري. ويحتج للشافعي أنها لا تتنقل، وأنها معينة من الشهر:

(١) حسن. أخرجه أحمد ٣١٨/٥ وإسناده حسن في الشواهد لأجل ابن عقيل.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٥١٩/٢ وإسناده حسن في الشواهد لأجل عمران القطان.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٧٩٤ وأحمد ٣٦/٥ و٣٩ و٤٠ وابن خزيمة ٢١٧٥ وابن أبي شيبة ٧٦/٣ والحاكم ٤٣٨/١ وابن حبان ٣١٨٦ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠١٥ ومسلم ١١٦٥ ح ٢٥٥ والبيهقي ٣١٠/٤ و٣١١ والبخاري ١٨٢٣ وابن حبان ٣٦٧٥.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٠ ومسلم ١١٦٩ والترمذي ٧٩٢ والطحاوي في «المشكّل» ٥٤٧٩.

[٧٣٩٧] بما رواه البخاري في صحيحه، عن عبادة بن الصامت قال: خَرَجَ رسول الله ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَنَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَنَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتِمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ»^(١). وَجَهُ الدَّلَالَةِ مِنْهَا أَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُن مُعَيَّنَةً مُسْتَوْرَةً التَّعْيِينَ لَمَا حَصَلَ لَهُمُ الْعِلْمُ بِعَيْنِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ، إِذْ لَوْ كَانَتْ تَنْتَقِلُ لَمَا عَلِمُوا تَعْيِينَهَا إِلَّا ذَلِكَ الْعَامَ فَقَطْ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ لِيُعَلِّمَهُمْ بِهَا تِلْكَ السَّنَةَ فَقَطْ. وَقَوْلُهُ: «فَنَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ»: فِيهِ اسْتِنْسَاسٌ لَمَا يُقَالُ: إِنَّ الْمُمَارَاةَ تَقْطَعُ الْفَائِذَةَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ.

[٧٣٩٨] وكما جاء في الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»^(٢). وَقَوْلُهُ: «فَرُفِعَتْ» أَي: رُفِعَ عِلْمُ تَعْيِينِهَا لَكُمْ، لَا أَنَّهَا رُفِعَتْ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْوُجُودِ، كَمَا يَقُولُهُ جَهْلَةُ الشَّيْعَةِ، لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ بَعْدَ هَذَا: «فَالْتِمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ».

وقَوْلُهُ: «وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ»، يَعْنِي عَدَمَ تَعْيِينِهَا لَكُمْ، فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُبْهَمَةً اجْتَهِدَ طُلَابُهَا فِي ابْتِغَائِهَا فِي جَمِيعِ مَحَالِّ رَجَائِهَا، فَكَانَ أَكْثَرُ لِلْعِبَادَةِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا عَلِمُوا عَيْنَهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ إِلَيْهِمْ تَقْصُرُ عَلَى قِيَامِهَا فَقَطْ. وَإِنَّمَا اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ إِبْهَامَهَا لِتَعَمُّ الْعِبَادَةِ جَمِيعَ الشَّهْرِ فِي ابْتِغَائِهَا، وَيَكُونُ الْاجْتِهَادُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ أَكْثَرَ.

[٧٣٩٩] ولهذا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَكَّفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ^(٣). أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

[٧٤٠٠] وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عُمرَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَكَّفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ^(٤).

[٧٤٠١] وَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ^(٥) أَخْرَجَاهُ.

[٧٤٠٢] وَلِمُسْلِمٍ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ^(٦). وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهَا «وَشَدَّ الْمِئْزَرَ». وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ: اعْتِزَالُ النِّسَاءِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كُنَايَةً عَنِ الْأَمْرَيْنِ.

[٧٤٠٣] لَمَّا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا سُرَيْجٌ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَقِيَ عَشْرٌ مِنْ رَمَضَانَ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ^(٧). انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ.

وَقَدْ حَكِيَ عَنْ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ جَمِيعَ لَيَالِي الْعَشْرِ فِي تَطَلُّبِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عَلَى السَّوَاءِ، لَا يَتَرَجَّحُ مِنْهَا لَيْلَةٌ عَلَى أُخْرَى. رَأَيْتُهُ فِي شَرْحِ الرَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَالْمُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ،

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٣ و ٤٩ و ٦٠٤٩ والطحاوي ٥٧٦ ومالك ٣٢٠/١ وأحمد ٣١٣/٥ و ٣١٩ وابن حبان ٣٦٧٩.

(٢) تقدم تحريجه في سورة إبراهيم آية ٧.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٦ ومسلم ١١٧٢ ح ٥ وأبو داود ٢٤٦٢ والترمذي ٧٩١ والنسائي ٤٤/٢ - ٤٥ وابن ماجه ١٧٧١ وأحمد ١٦٧/٦ وابن حبان ٣٦٦٥.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٥ ومسلم ١١٧١ ح ١.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٤ ومسلم ١١٧٤ ح ٧.

(٦) صحيح. أخرجه مسلم ١١٧٥ ح ٨.

(٧) أخرجه أحمد ٦٧/٦ وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر، لكن أصل الحديث له شواهد.

وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتارهِ أكثر. والمستحب أن يُكثر من هذا الدعاء: اللهم، إنك عفوٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني.

[٧٤٠٤] لما رواه الإمام أحمد. حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا الجريري - وهو: سعيد بن إياس - عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ: أن عائشة قالت: يا رسول الله! إن وافقت ليلةَ القدر فما أدعو؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني»^(١).

[٧٤٠٥] وقد رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق كَهَمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله! أ رأيت أن علمتُ أي ليلةَ ليلةَ القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو، فاعفُ عني»^(٢). وهذا لفظُ الترمذي، ثم قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيح». وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: «هذا صحيح على شرط الشيخين».

[٧٤٠٦] ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُرَيْدَةَ عن عائشة قالت: [قلت:] يا رسول الله! أ رأيت إن وافقت ليلةَ القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو، فاعفُ عني»^(٣).

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب، يتعلّق بليلة القدر، رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا موسى بن سعيد - يعني الراسي - عن هلال بن أبي جبلة، عن أبي عبد السلام، عن أبيه، عن كعب أنه قال: إنَّ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى على حَدِّ السماء السابعة، مما يلي الجنة، فهي على حَدِّ هواء الدنيا وهواء الآخرة، علُوها في الجنة، وغُرُوقها وأغصانها من تحت الكرسي، فيها ملائكة لا يعلّم عدّتهم إلا الله عزّ وجلّ، يعبدون الله - عزّ وجلّ - على أغصانها في كل موضع شجرة منها ملك. ومقامُ جبريل - عليه السلام - في وَسْطِهَا، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلةٍ قَدْرٍ مع الملائكة الذين يسكنون سدرَةَ الْمُنتَهَى، وليس فيهم ملك إلا قد أُعْطِيَ الرأفة والرحمة للمؤمنين، فينزلون على جبريل في ليلة القدر، حين تغرب الشمس، فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك، إما ساجدٌ وإما قائمٌ، يدعو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو وثن، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخبث، أو بيت فيه سكران، أو بيت فيه مُسَكِّرٌ، أو بيت فيه وثنٌ منصوبٌ، أو بيت فيه جرسٌ مُعلّق، أو منبولة، أو مكانٌ فيه كُسَاحَة البيت. فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدعُ أحداً من الناس إلا صافحه، وعلامةُ ذلك من اقشعرَّ جلده ورق قلبه ودَمَعَت عيناه فإن ذلك من مصافحة جبريل.

وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر: «لا إله إلا الله»، ثلاث مرّات، غفر الله له بواحدة، ونجّاه من النار بواحدة، وأدخله الجنة بواحدة. فقلنا لكعب الأحبار: يا أبا إسحاق! صادقاً؟ فقال كعب: وهل يقول «لا إله إلا الله» في ليلة القدر إلا كل صادق؟ والذي نفسي بيده إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق، حتى كأنها على ظهره جبلٌ، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر. فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس، فيبسط جناحيه - وله جناحان أخضران، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة - فتصير

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١٨٣/٦ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٥١٣ والنسائي في «التفسير» ٧٠٨ وابن ماجه ٣٨٥٠ وإسناده على شرطهما.

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» ٨٨٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

الشمس لا شعاع لها، ثم يدعو ملكاً ملكاً فيصعد، فيجتمع ثور الملائكة ونور جناحي جبريل، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات، ولمن صام رمضان إيماناً واحتساباً، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله. فإذا أمسوا دخلوا إلى السماء الدنيا، فيجلسون خلقاً، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا، فيسألونهم عن رجل رجل، وعن امرأة امرأة، فيحدثونهم حتى يقولوا: ما فعل فلان؟ وكيف وجدتموه العام؟ فيقولون: وجدنا فلاناً عام أول في هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعاً، ووجدنا فلاناً مبتدعاً ووجدناه العام عابداً. قال: فيكفون عن الاستغفار لذلك، ويقبلون على الاستغفار لهذا، ويقولون: وجدنا فلاناً وفلاناً يذكران الله، ووجدنا فلاناً راکعاً، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تالياً لكتاب الله. قال: فهم كذلك يومهم وليلتهم، حتى يصعدون إلى السماء الثانية، ففي كل سماء يوم وليلة، حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى، فتقول لهم سدرة المنتهى: يا سكاني، حدثوني عن الناس وسئوهم لي. فإن لي عليكم حقاً، وإنني أحب من أحب الله. فذكر كعب الأخبار أنهم يعدون لها، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم. ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول: أخبريني بما أخبرك من الملائكة. فتخبرها، قال: فتقول الجنة: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، اللهم، عجلهم إلي، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم، فيلهم الله فيقول: وجدت فلاناً ساجداً فاغفر له، فيغفر له، فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، ومغفرته لفلان، ويقول: يا رب! وجدت عبدك فلاناً الذي وجدته عام أول على السنّة والعبادة، ووجدته العام قد أحدث حدثاً وتولى عما أمر به. فيقول الله: يا جبريل! إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل: لك الحمد إلهي، أنت أرحم من جميع خلقك، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم، قال: فيرتج العرش وما حوله، والحجب والسموات ومن فيهن، تقول: الحمد لله الرحيم، الحمد لله الرحيم. قال: وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب^(١).

آخر تفسير سورة «القدر»، والله الحمد والمنة

(١) هذا وما قبله من كلام كعب الأحبار، وقد تلقاه عن أجداده من بني إسرائيل، لا حجة فيه البتة.



ويقال: سورة لم يكن؛ وهي مدنيّة

[٧٤٠٧] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَفَّان، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ - هُوَ ابْنُ سَلَمَةَ - أَخْبَرَنَا عَلِيٌّ - هُوَ ابْنُ زَيْدٍ - عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَبَّةَ الْبَذْرِيَّ - وَهُوَ: مَالِكُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ - قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، قَالَ جَبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقَرِّئَهَا أَبِياً. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي: «إِنَّ جَبْرِيلَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ». قَالَ أَبِي: وَقَدْ ذُكِرْتُ ثُمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَبَكَى أَبِي^(١).

[٧٤٠٨] حَدِيثٌ آخَرُ: وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَحْدُثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَنْدَةَ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَبَكَى^(٢). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، بِهِ.

[٧٤٠٩] حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُؤَمِّلٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانٌ، حَدَّثَنَا أَسْلَمُ بْنُ مِقْرِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَنْدَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَقَدْ ذُكِرْتُ هُنَاكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! فَفَرَحْتُ بِذَلِكَ؟ قَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَاللَّهِ يَقُولُ: ﴿قُلْ يَقْضِلِ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣) [يونس: ٥٨]. قَالَ مُؤَمِّلٌ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ: الْقِرَاءَةُ فِي الْحَدِيثِ؟ قَالَ: نَعَمْ. تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[٧٤١٠] طَرِيقٌ آخَرُ! قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَحُجَّاجٌ قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ أَبِي بَنْدَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ». قَالَ: فَقَرَأُ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قَالَ: فَقَرَأَ فِيهَا: «وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِياً مِنْ مَالٍ فَأَعْطِيَهُ لَسَأَلَ ثَانِياً، وَلَوْ سَأَلَ ثَانِياً فَأَعْطِيَهُ لَسَأَلَ ثَالِثاً، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التَّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ. وَإِنَّ ذَلِكَ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْخَيْرِيَّةُ، غَيْرُ الْمُشْرِكَةِ، وَلَا الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ. وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْراً فَلَنْ يُكْفَرَهُ»^(٤). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ، بِهِ. وَقَالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٨٩/٣ وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ضَعْفَهُ الْجُمْهُورُ، وَلَكِنْ يَشْهَدُ لِحَدِيثِهِ مَا بَعْدَهُ.

(٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٣٨٠٨ وَ ٤٩٥٩ وَمُسْلِمٌ ٧٩٩ وَالنَّسَائِيُّ فِي «التَّفْسِيرِ» ٧١١ وَأَحْمَدُ ٢٧٣/٣.

(٣) وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٢٣/٥ وَفِيهِ مُؤَمِّلٌ وَهُوَ صَدُوقٌ سَيِّئُ الْحِفْظِ، وَقَدْ تَوَبَّعَ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٢٣/٥ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبْزَى، وَهُوَ مَقْبُولٌ، يَصْلُحُ لِلتَّمَتُّعَةِ.

(٤) حَسَنٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٣٢/٥ وَالتِّرْمِذِيُّ ٣٨٩٨ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ لِأَجْلِ عَاصِمٍ، وَفِيهِ لَيْنٌ، لَكِنْ لِلْحَدِيثِ شَاهِدٌ بِمَعْنَاهُ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢١٨/٥ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

[٧٤١١] طريق أخرى: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَلِيدٍ الْحَلَبِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الطَّبَاعُ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! إِنِّي أَمِرتُ أَنْ أُعْرِضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ». قَالَ: بِاللَّهِ أَمَنْتُ، وَعَلَى يَدِكَ أَسْلَمْتُ، وَمَنْكَ تَعَلَّمْتُ. قَالَ: فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ الْقَوْلَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَذَكَرْتُ هُنَاكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، بِاسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى». قَالَ: فَأَقْرَأَ إِذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! ^(١). هَذَا غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالثَّابِتُ مَا تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا قَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ السُّورَةَ تَثْبِيثًا لَهُ، وَزِيَادَةً لِإِيْمَانِهِ، فَإِنَّهُ - كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ عَنْهُ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ سَلِيمَانَ بْنِ صَرْدٍ عَنْهُ وَأَحْمَدُ عَنْ عَفَّانَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْهُ.

[٧٤١٢] وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَيْسَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْهُ - كَانَ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى إِنْسَانٍ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قِرَاءَةَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى خِلَافِ مَا أَقْرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَقْرَأَهُمَا، وَقَالَ لِكُلِّ مِنْهُمَا: «أَصِيبْتَ». قَالَ أَبُو بِنِ كَعْبٍ: فَأَخَذَنِي مِنَ الشُّكِّ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ، قَالَ أَبُو بِنِ كَعْبٍ: فَقَبِضْتُ عَرَقًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ قَرَقًا. وَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَى أَمْتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقُلْتُ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مَعَافَاتِهِ وَمَغْفِرَتَهُ»، فَقَالَ: عَلَى حَرْفَيْنِ. فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَى أَمْتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ ^(٢). كَمَا قَدَّمْنَا ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ بِطَرِيقِهِ وَالْفَاضِلُ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ وَفِيهَا: «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً» ^(٣) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ، قَرَأَهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةً إِبْلَاحَ وَتَثْبِيثَ وَإِنْدَارٍ، لَا قِرَاءَةَ تَعَلُّمٍ وَاسْتِذْكَارٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٧٤١٣] وَهَذَا كَمَا أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَنْ تِلْكَ الْأَسْتَلَةِ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: أَوْلَمْ تَكُنْ تَخْبِرُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ». فَلَمَّا رَجَعُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: «سُورَةُ الْفَتْحِ»، دَعَا عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَفِيهَا قَوْلُهُ: «لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَامِينَ» ^(٤) [الفتح: ٢٧]. . . الْآيَةُ، كَمَا تَقَدَّمَ.

[٧٤١٤] وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابِهِ «أَسْمَاءُ الصَّحَابَةِ»، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيِّ الْمَدَنِيِّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ الْمَدَنِيِّ، حَدَّثَنِي قُضَيْلٌ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ: «لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا»، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ عَبْدِي! فَوَعِزَّتِي لَا أُمَكِّنُ لَكَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى تَرْضَى» ^(٥). حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» ٤٤٧ وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَهُوَ مَجْهُولٌ وَلِأَصْلِ الْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ، لَكِنْ اسْتَنَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ لَفْظَ «عَرْضٍ».

(٢) تَقَدَّمَ فِي الْمَقْدَمَةِ.

(٣) وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ فِيهَا.

(٤) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا، فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، قَالَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَنَقَلَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْمِيزَانِ» ٩٢٢٣. وَلَهُ عِلَّةٌ ثَانِيَةٌ: فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمٍ. ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْمِيزَانِ» ٤٣٦٣ وَقَالَ: قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ. وَفِي رِوَايَةٍ: مَتْرُوكٌ. وَانْظُرْ مَا بَعْدَهُ.

[٧٤١٥] وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الأثير، من طريق الزهري، عن إسماعيل بن أبي حكيم عن نظير المزني - أو: المدني - عن النبي ﷺ : إن الله ليسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ويقول: أبشر عبدي! فوعزتي لا أنساك على حالٍ من أحوال الدنيا والآخرة، ولأنكنت لك في الجنة حتى ترضى^(١).
فقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٢) وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾ (٣)

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى، والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم. وقال مجاهد: لم يكونوا ﴿مُنْفَكِينَ﴾ يعني: مُتَّهِنِينَ حتى يَتَبَيَّنَ لهم الحق. وكذا قال قتادة: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، أي: هذا القرآن. ولهذا قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١). ثم فسر البينة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (٢)، يعني: محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مُكْتَتَبٌ في الملا الأعلى، في صُحُفٍ مطهرة، كقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ (١٣) تَرْفَعُهُمْ مَطَهَّرَةً (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ [عبس: ١٣ - ١٦].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٢)، قال ابن جرير: أي في الصُحُفِ المطهرة كُتِبَ من الله قِيمَةٌ: عادلةٌ مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله عز وجل. قال قتادة: ﴿رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (٢)، يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويُثني عليه بأحسن الثناء، وقال ابن زيد: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٢): مستقيمة معتدلة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (٣)، كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ عَظِيمٍ﴾ (١٥) [آل عمران: ١٥]، يعني بذلك: أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعدما أقام الله عليهم الحجج والبيّنات تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا في الذي أَرَادَهُ الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كثيراً، كما جاء في الحديث المروي من طُرُق:

[٧٤١٦] «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هم يا رسول الله؟! قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٣)، كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء: ٢٥]، ولهذا قال: ﴿حُنَفَاءَ﴾، أي: مُتَحَنِّفِينَ عن الشرك إلى

(١) إسناده ضعيف جداً كسابقه. ذكره الحافظ في «الإصابة» ٣/ ٥٥٨/ ٨٧٢١ في ترجمة نظير المزني. وقال: ذكره أبو موسى في «الذيل» من طريق محمد بن إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن سلمة عن الزهري عن إسماعيل عن نظير مرفوعاً. وقال الحافظ: وعبد الله بن سلمة، وأهي الحديث اهـ وكذا الرواي عنه كما تقدم.

(٢) تقدم تحريجه وهو صحيح.

التوحيد. كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَاطَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقد تقدّم تقرير الحنيف في «سورة الأنعام» بما أغنى عن إعادته ها هنا. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج. ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. أي: المِلة القائمة العادلة، أو: الأمة المستقيمة المعتدلة. وقد استدلل كثير من الأئمة، كالزهرري والشافعي، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان. ولهذا قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨)

يخبر تعالى عن مآل الفجار، من كفرة أهل الكتاب، والمشركون المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلين، أنهم يوم القيامة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون. ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، أي: شر الخليقة التي برأها الله وذراها.

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم، بأنهم خير البرية. وقد استدلل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة، لقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، أي: يوم القيامة، ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ. ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حتى تقواه، وعبده كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه.

[٧٤١٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا أبو معشر، عن أبي وهب - مولى أبي هريرة - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هيعة استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «رجل في ثلثة من غنمه، يُقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى. قال: الذي يسأل بالله، ولا يُعطي به» (١).

آخر تفسير سورة «لم يكن» والله الحمد والمنّة

(١) أخرجه أحمد ١٦٩/٢ وإسناده ضعيف لأجل أبي معشر واسمه نجيع، وأبو وهب مجهول لا يعرف، انظر «المجمع» ٥/ ٢٧٩. والهيعة: الصوت الذي تفرغ منه وتخافه من عدو.



وهي مكية

[٧٤١٨] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ هَلَالِ الصَّدْفِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَقْرَنْتَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ لَهُ: «أَقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ الرَّ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: كَبَّرَ سَنِي وَاشْتَدَّ قَلْبِي، وَغَلَطْتُ لِسَانِي. قَالَ: فَاقْرَأْ مِنْ ذَوَاتِ حَمٍ». فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ: أَقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الْمَسْبُوحَاتِ. فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَلَكِنْ أَقْرَنْتَنِي - يَا رَسُولَ اللَّهِ - سُورَةَ جَامِعَةٍ. فَأَقْرَأَهُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾. حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهَا قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ الرَّوَيْجِلُ! أَفْلَحَ الرَّوَيْجِلُ!» ثُمَّ قَالَ: «عَلَيَّ بِهِ». فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ: «أَمِرتُ بِيَوْمِ الْأَضْحَى بِجَعْلِهِ اللَّهُ عِيدًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ». فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا مَنِيحَةً أَنْشَى فَأُضْحِي بِهَا؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِكَ، وَتَقْلَمُ أَظْفَارَكَ، وَتَقْصُ شَارِبَتَكَ، وَتَحْلِقُ عَانَتَكَ، فَذَاكَ تَمَامُ أَضْحِيَّتِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١). وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَقْرِيءِ، بِهِ.

[٧٤١٩] وقال الترمذي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَشِيُّ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَلَمٍ بْنِ صَالِحِ الْعَجَلِيِّ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُتَّانِيُّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بَنَصْفِ الْقُرْآنِ»^(٢). ثُمَّ قَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ سَلَمٍ».

[٧٤٢٠] وقد رواه البراءُ عن محمد بن موسى الحرشي، عن الحسن بن سلم، عن ثابت، عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تُعَدُّ ثُلُثُ الْقُرْآنِ، وَ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تُعَدُّ رُبُعُ الْقُرْآنِ»^(٣). هَذَا لَفْظُهُ.

[٧٤٢١] وقال الترمذي أيضاً: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا يَمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْعَنْزِيُّ، حَدَّثَنَا عَطَاءٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تُعَدُّ نِصْفُ الْقُرْآنِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تُعَدُّ ثُلُثُ الْقُرْآنِ، وَ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تُعَدُّ رُبُعُ الْقُرْآنِ»^(٤). ثُمَّ قَالَ: «غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ يَمَانِ بْنِ الْمُغِيرَةِ».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ١٣٩٩ وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» ٧٢١ وَأَمَدُ ١٦٩/٢ وَابْنُ حِبَّانَ ٧٧٣ وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ لِأَجْلِ عِيسَى بْنِ هَلَالٍ، فَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْفَسَوِيُّ، وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الثَّقَاتِ، وَيَبْقَى الْإِسْنَادُ ثَقَاتٍ، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي الْإِحْسَانِ، فِي حِينَ ذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ضَعِيفِ أَبِي دَاوُدَ» ٣٠٠.

(٢) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لضعف الحسن بن سلم العجلي. وقد ضعفه الترمذي بقوله: غريب.

(٣) أَخْرَجَهُ الترمذي ٢٨٩٣ وَإِسْنَادُهُ كَسَابِقُهُ، وَالْوَهْنُ فَقَطْ فِيهِ ذِكْرُ الزَّلْزَلَةِ. وَأَمَّا بَاقِيهِ فَلَهُ شَوَاهِدُ تَقْوِيَةٍ.

(٤) أَخْرَجَهُ الترمذي ٢٨٩٤ وَالْحَاكِمُ ٥٦١/١ وَصَحَّحَهُ، وَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ: بَلْ يَمَانُ ضَعْفُهُ. وَكَذَا ضَعْفُهُ الترمذي بِقَوْلِهِ: غَرِيبٌ، قُلْتُ: وَالْوَهْنُ فَقَطْ فِي ذِكْرِ الزَّلْزَلَةِ. وَإِلَّا فَبَاقِيهِ لَهُ شَوَاهِدُ سِتَائِي.

[٧٤٢٢] وقال أيضاً: حدثنا عُبَيْة بن مُكْرَمَ العَمِي البَصْرِي، حَدَّثَنِي ابْن أَبِي قَلَيْبٍ، أَخْبَرَنِي سَلَمَةُ ابْن وَرْدَانَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «هَلْ تَزَوَّجْتَ يَا فُلَانُ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا عِنْدِي مَا أَنْتَزُوجُ؟! قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»؟! قَالَ: بَلَى. قَالَ: «ثُمَّ لَتُ الْقُرْآنَ». قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟! قَالَ: بَلَى. قَالَ: «رُزِعَ الْقُرْآنَ». قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ «قُلْ بِكُلِّ نَفْسٍ مَعْلُومٌ»؟! قَالَ: بَلَى. قَالَ: «رُزِعَ الْقُرْآنَ». قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾؟! قَالَ: بَلَى، قَالَ: «رُزِعَ الْقُرْآنَ، تَزَوَّجُ، تَزَوَّجُ»^(١). ثُمَّ قَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ». فَفَرَّدَ بِهِنِ الثَّلَاثِ التِّرْمِذِيُّ، لَمْ يَزُوهُنْ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

قال ابن عباس: ﴿إِنَّا زَلَّلْنَا الْأَرْضَ زَلْزَالًا﴾ (١)، أي: تحركت من أسفلها. ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (٢)، يعني: ألفت ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ﴾ (٣) ﴿زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ نَفْثٌ عَظِيمٌ﴾ (٤) [الحج: ١]. وكقوله: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٥) ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣ - ٤].

[٧٤٢٣] وقال مسلم في صحيحه: حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي خَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كِبْدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُورَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَجَمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ، أي: استنكر أمرها هذا بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مُسْتَقَرٌّ على ظهرها، أي: تَقَلَّبَتِ الحال، فصارت مُتَحَرِّكة مضطربة، قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أَعَدَّ لها من الزلزال الذي لا مَحِيدَ لها عنه، ثم أَلْقَتْ ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتَبَدَّلَتِ الأرضُ غَيْرَ الأرضِ والسمواتُ، وَبَرَزُوا لله الواحد القهار. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ، أي: تُحَدِّثُ بما عمل العاملون على ظهرها.

[٧٤٢٤] قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك - وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي، واللفظ له: حدثنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك - عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٩٥، وإسناده ضعيف لضعف سلمة بن وردان، وتقدم الكلام عليه.

(٢) صحيح . أخرجه مسلم ١٠١٣ والترمذي ٢٢٠٨ وابن حبان ٦٦٩٧ .

عبد وأمة بما عَمِلَ على ظهرها، أن تقول: عَمِلَ كذا وكذا، يومَ كذا وكذا. فهذه أخبارها^(١). ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

[٧٤٢٥] وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ - سَمِعَ رِبْعَةَ الْجَرَشِي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَحَفَّظُوا مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا أُمُكُمْ؛ وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ عَامِلٍ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا إِلَّا وَهِيَ مُخَيَّرَةٌ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَأْنِ رَبَّكَ أَتَىٰ لَهَا ۝٥﴾، قال البخاري: «أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها، واحد». وكذا قال ابن عباس: ﴿أَتَىٰ لَهَا﴾، أي: أوحى إليها. والظاهر أن هذا مُضْمَنٌ: أذن لها. وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: «يَوْمَهُذِ تَحَدَّثَ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾، قال: قال لها ربها: قولي، فقالت. وقال مجاهد: ﴿أَتَىٰ لَهَا﴾، أي: أمرها. وقال الفرطني: أمرها أن تنشق عنهم. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، أي: يرجعون عن موقف الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾، أي: أنواعاً وأصنافاً، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار. قال ابن جرير: يَتَصَدَّعُونَ أَشْتَاتًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم. وقال السدي: ﴿أَشْتَاتًا﴾ فرقاً. وقوله تعالى: ﴿يَسْرَوْنَ أَعْمَلَهُمْ﴾، أي: ليتعلموا ويُجَازُوا بما عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، من خيرٍ وشرٍّ. ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨

[٧٤٢٦] قال البخاري: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لثَلَاثَةِ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ. فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَاعَ طِيعَتَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيعَتِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيعَتَهَا فَاسْتَنْتَتْ شَرَفًا أَوْ شَرْفِينَ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأُرُوثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ. وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقَى بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَعْنِيًا وَتَعَفًُّا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخَرًّا وَرِثَاءً وَنَوَاءً فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ». فُسِّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْحُمْرِ، فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَادَةُ الْجَامِعَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨»^(٣). ورواه مسلمٌ من حديث زيد بن أسلم، به.

[٧٤٢٧] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، عَمَّ الْفَرَزْدَقِ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ وَمَنْ

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٢٩ و ٣٣٥٣ والنسائي في «التفسير» ٧١٣ وأحمد ٣٧٤/٢ والحاكم ٢٥٦/٢ - ٥٣٢ والبخاري في تفسيره ٥١٥/٤ وفي «السنة» ٤٣٠٨. قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي في الموضع الأول، وتعقبه في الموضع الثاني، فقال: يحسن بن أبي سليمان - هذا منكر الحديث، قاله البخاري اه قلت: ووثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، ولعل حديث مسلم المتقدم يشهد له، وكذا الآتي والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني ٤٥٩٦، وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٤١/١: فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف اه لكن يشهد لما قبله والله أعلم.

(٣) تقدم تخريجه في سورة الأنفال آية ٦٠.

يَسْمَلُ وَيَشْكَالُ دَرَّةً شَرًّا يَرُدُّ ﴿١﴾ ، قال: حسبي! لا أبالي ألا أسمع غيرها^(١). وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب، عن أبيه، عن جرير بن حازم، عن الحسن البصري قال: حَدَّثَنَا صَعْبَةُ عُمُ الْفَرَزْدَقِ... فذكره.

[٧٤٢٨] وفي صحيح البخاري، عن عدي مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة»^(٢).

[٧٤٢٩] له أيضاً وفي الصحيح: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المُستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه مُتَبسِّط»^(٣).

[٧٤٣٠] وفي الصحيح أيضاً: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(٤): يعني ظلفها.

[٧٤٣١] وفي الحديث الآخر: «ردوا السائل ولو بظلف مُحرق»^(٥).

[٧٤٣٢] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا محمد بن عبد الله الأنصاري، حَدَّثَنَا كثير بن زيد، عن المطلب ابن عبد الله، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: يا عائشة! استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدّها من الشبعان^(٦). تفرد به أحمد. وروى عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال دَرَّة.

[٧٤٣٣] وقال أحمد: حَدَّثَنَا أبو عامر، حَدَّثَنَا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: حَدَّثَنِي عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبي ﷺ كان يقول: يا عائشة! إياك ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فإن لها من الله طالباً^(٧). ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سعيد بن مسلم بن بآئك، به.

[٧٤٣٤] وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي أبو الخطاب الحسّاني، حَدَّثَنَا الهيثم بن الربيع، حَدَّثَنَا سِمَاك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابه، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فَتَزَلَّتْ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَسْمَلْ وَيَشْكَالْ دَرَّةً خَيْرًا يَرُدُّ﴾ (٧) وَمَنْ يَسْمَلْ وَيَشْكَالْ دَرَّةً شَرًّا يَرُدُّ ﴿١﴾، فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله! إني أجزى بما عملت من مثقال دَرَّة من شرٍّ؟ فقال: «يا أبا بكر! ما رأيت في الدنيا مما تَكْرَهُ فبمثاقيل دَرُّ الشر، ويدخر الله لك مثاقيل دَرُّ الخير حتى تُوفاه يوم القيامة»^(٨). ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي الخطاب، به.

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٧١٤ وأحمد ٥٩/٥ والحاكم ٦١٣/٣ والطبراني ٧٤١١ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤١/٧ رواه أحمد والطبراني مرسلًا ومتصلًا ورجال الجميع رجال الصحيح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١٤١٣ و ١٤١٧ ومسلم ١٠١٦ وأحمد ٢٥٦/٤ وابن حبان ٤٧٣.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٥٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٢٦٢/٥ والنسائي ٨١/٥ وأحمد ٤٣٥/٦ ومالك في «الموطأ» ٩٣١/٢ والطبراني ٥٥٥/٢٤ وابن حبان ٣٣٧٤ وإسناده حسن. وله شواهد.

(٦) أخرجه أحمد ٧٩/٦ وإسناده ضعيف، المطلب لم يسمع من عائشة.

(٧) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٤٢٤٣ وأحمد ٧٠/٦ والدارمي ٣٠٣/٢ وابن حبان ٥٥٦٨ وإسناده على شرط البخاري، وله شاهد، أخرجه أحمد ١٣٣/٥ من حديث سهل بن سعد وإسناده قوي، وحسنه الحافظ في «الفتح» ٢٨٣/١١.

(٨) أخرجه الطبري ٣٧٧٤٧. وإسناده ضعيف لضعف الهيثم بن الربيع. وورد مرسلًا، وهو الآتي، وموصولًا.

[٧٤٣٥] ثم قال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ قَالَ: فِي كِتَابِ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَهُ^(١). وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنْ يَعْقُوبَ، عَنْ ابْنِ عُثَيْمَةَ، عَنْ أَيُّوبَ عَنْ قَلَابَةَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ... وَذَكَرَهُ.

[٧٤٣٦] طَرِيقٌ أُخْرَى، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا حُجَيْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَاعِدٌ، فَبَكَى حِينَ أَنْزَلَتْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» قَالَ: تُبْكِينِي هَذِهِ السُّورَةُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنْكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ، لَخَلَقَ اللَّهُ أُمَّةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٢).

[٧٤٣٧] حَدِيثٌ آخَرٌ: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُغْبِرَةِ - الْمَعْرُوفُ بِعَلَّانِ الْمَصْرِيِّ - قَالَا: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدِ الْحَرَّانِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لِرَأْيِ عَمَلِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: تِلْكَ الْكِبَارُ الْكِبَارُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: الصَّغَارُ الصَّغَارُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَاتَّكَلْتُ أُمِّي؟ قَالَ: «أَبَشِّرْ يَا أَبَا سَعِيدٍ! فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا - يَعْنِي إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ - وَيُضَاعَفُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا أَوْ يَغْفِرُ اللَّهُ، وَلَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ». قُلْتُ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ»^(٣). قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: لَمْ يَزَوْ هَذَا غَيْرُ ابْنِ لَهْيَعَةَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، وَذَلِكَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْدٍ مُسْكِينًا وَبَيْنًا وَأَسِيرًا﴾ [الْإِنْسَانُ: ٨]، كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَزُونَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْجِرُونَ عَلَى الشَّيْءِ الْقَلِيلِ إِذَا أَعْطَوْهُ، فَيَجِيءُ الْمُسْكِينُ إِلَى أَبْوَابِهِمْ فَيَسْتَقْلُونَ أَنْ يُعْطَوْهُ الشَّمْرَةُ وَالْكَسْرَةُ وَالْحُجْرَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَيَرِدُونَهُ وَيَقُولُونَ: مَا هَذَا بَشِيءٌ؟ إِنَّمَا نُوْجِرُ عَلَى مَا تُعْطِي وَنَحْنُ نُجِبُهُ. وَكَانَ آخَرُونَ يَزُونَ أَنَّهُمْ لَا يُلَامُونَ عَلَى الذَّنْبِ الْيَسِيرِ: الْكَذْبَةُ وَالنَّظَرَةُ وَالْغِيْبَةُ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا وَعَدَ اللَّهُ النَّارَ عَلَى الْكِبَائِرِ. فَرَغِبَهُمْ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَعْمَلُوهُ، فَإِنَّهُ يُوْشِكُ أَنْ يَكْثُرَ، وَحَذَرَهُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ يُوْشِكُ أَنْ يَكْثُرَ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يَعْنِي: وَزُنْ أَصْغَرَ النَّمْلِ «خَيْرًا يَرَهُ» يَعْنِي فِي كِتَابِهِ، وَيَسْرُهُ ذَلِكَ. قَالَ: يُكْتَبُ لِكُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ، وَبِكُلِّ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٧٧٤٨ عَنْ أَيُّوبَ وَجَادَةَ مِنْ كِتَابِ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، وَهَذَا وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ الْخَوْلَانِيُّ، وَهُوَ مَرْسَلٌ أَيْضاً. وَكَرَّرَهُ ٣٧٧٤٩ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي قَلَابَةَ... فَذَكَرَهُ. وَهَذَا مَعَ إِرْسَالِهِ، صِغَةُ التَّحْمَلِ فِيهِ وَجَادَةُ، وَهِيَ أَوْفَعُ أَقْسَامِ التَّحْمَلِ فِي الرِّوَايَةِ. وَلَهُ شَاهِدٌ وَهُوَ الْآتِي، وَهُوَ مُتَّصِلُ الْإِسْنَادِ، وَشَوَاهِدُ أُخْرَى فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٦/٦٤٦ فَهُوَ يَتَّقُوْهُ بِذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٧٧٦٠ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «الشَّعْبِ» ٧١٠٣ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ ١٤١/٧: فِيهِ حَيٌّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَثِقَةٌ يَحْيَى وَغَيْرُهُ. وَيَشْهَدُ لَهُ مَرْسَلُ أَبِي إِدْرِيسَ السَّابِقُ، وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ.

(٣) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لَضَعْفِ ابْنِ لَهْيَعَةَ، وَشَيْخِهِ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، ضَعِيفٌ أَيْضاً، وَلَعَجْزُهُ شَوَاهِدُ فِي الصَّحِيحِ.

حَسَنَةٌ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، فإذا كان يومُ القيامة ضَاعَفَ اللَّهُ حَسَنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضاً، بكلِّ واحدةٍ عشراً، ويمحو عنه بكلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقالَ ذَرَّةٍ دَخَلَ الجنةَ.

[٧٤٣٨] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ، عَنْ أَبِي عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُمْ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَنَّهُ». وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا، «كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وَأَجْبُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا»^(١).

آخر تفسير سورة إذا زلزلت، والله الحمد والمنّة

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٤٠٢/١ والطبراني ١٠٥٠٠ وفيه عبد ربه بن يزيد، وهو مجهول. وأخرجه أبو يعلى ٥/٢٢ من وجه آخر وفيه إبراهيم الهجري، وهو ضعيف لكن له شواهد، راجع «المجمع» ١٨٩/١٠.



وهي مكئية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ۝١﴾ فَأَلْمُورِبَتِ قَدَحًا ۝٢﴾ فَأَلْمُعِيرَتِ صَبِيحًا ۝٣﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤﴾ فَوَسَطَنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾
 إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ ﴿فَلَا يَعْلَمُ إِذَا
 بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

يُقسم تعالى بالخيول إذا أُجريت في سبيله فَعَدَّتْ وَصَبَحَتْ، وهو: الصوت الذي يُسمع من الفرس حين تعدو: ﴿فَأَلْمُورِبَتِ قَدَحًا ۝١﴾، يعني: اصطكاك نعالها بالصخر فتَقْدَحُ منه النار. ﴿فَأَلْمُعِيرَتِ صَبِيحًا ۝٢﴾، يعني: الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله ﷺ يَغِيرُ صَبَاحًا وَيَتَسَمَّعُ، فإن سَمِعَ أذانا وإلا أَعَارَ. وقوله تعالى: ﴿فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ۝٣﴾، يعني: غباراً في مُغْتَرَكِ الخيول. ﴿فَوَسَطَنَ بِهِ جَمْعًا ۝٤﴾، أي: تَوَسَّطَنَ ذلك المكان كُلُّهُنَّ جَمْعٌ. قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ۝٥﴾، قال: الإبل. وقال علي: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيل. قَبْلَ عَلِيٍّ قولُ ابن عباس، فقال: ما كانت لنا خيل يوم بَدْرٍ. قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سَرِيَّةٍ بُعِثَتْ.

قال ابن أبي حاتم وابن جرير: حَدَّثَنَا يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عن أبي معاوية البَجَلِيِّ، عن سعيد بن جُبَيْرٍ، عن ابن عباس حَدَّثَهُ قال: بينا أنا في الحَجَرِ جالِساً جاعني رَجُلٌ فَسَأَلَنِي عن: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ۝٥﴾، فقلت له: الخيلُ حين تُغَيِّرُ في سبيلِ الله، ثم تأوي إلى الليل، فَيَصْنَعُونَ طَعَامَهُمْ وَيُوزُونُ نَارَهُمْ. فانفتل عني فذهب إلى علي - رضي الله عنه - وهو عند سِقَايَةِ زَمْزَمَ، فسأله عن ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ۝٥﴾، فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابنَ عباسٍ فقال: الخيلُ حين تُغَيِّرُ في سبيلِ الله. قال: اذهب فادعُه لي. فلما وَقَفَ على رأيه قال: تَفْتِي الناسَ بما لا عِلْمَ لك، والله لَئِنْ كَانَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ في الإسلامِ بَدْرٌ، وما كان معنا إلا فَرَسَانِ، فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ، وفَرَسٌ لِلْمُقَدَّادِ فكيف تكونُ العادياتُ صَبَحًا؟ إنما العادياتُ صَبَحًا من عَرَفَةٍ إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مِثْنَى. قال ابنُ عباسٍ: فَتَرَعْتُ عن قولِي وَرَجَعْتُ إلى الذي قال علي، رضي الله عنه^(١). وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قال علي: إنما ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ۝٥﴾ من عَرَفَةٍ إلى المزدلفة، فإذا أَوَّأُوا إلى المزدلفة أَوَّزُوا النيرانَ. وقال العوفي وغيره عن ابن عباس: هي الخيلُ.

(١) في إسناد هذا الأثر أبو معاوية البجلي، قال الذهبي في «الميزان» ١٠٦١٩: يقال هو والد عمار الدهني، وفيه جهالة اهـ وسياق الآيات يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس والجمهور. وهذا الأثر لا يصح عن علي لجهالة البجلي هذا، ثم إن الإبل لينة الحفاف لا تقدح أثناء سيرها بخلاف الخيل. وكذلك الغارة على الأعداء إنما يكون بواسطة الخيل لا الإبل، فإن الإبل تسير هويناً على الأرض، فتنه، والله أعلم.

وقد قال بقول علي: إنها الإبل، جماعة منهم: إبراهيم، وعبيد بن عمير. ويقول ابن عباس آخرون، منهم: مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، والضحاك. واختاره ابن جرير. قال ابن عباس، وعطاء: ما ضَبَحَتْ دابة قط إلا فَرَسٌ أو كَلْبٌ. وقال ابن جريج، عن عطاء: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَصِفُ الصُّبْحَ: أَخْ أَخْ. وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدَمًا﴾، يعني: بحوافرها. وقيل: أَسْعَرَنَ الحَرْبَ بَيْنَ رُكَبَانَهُنَّ. قاله قتادة. وعن ابن عباس ومجاهد ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدَمًا﴾، يعني: مَكَّرَ الرِّجَالِ. وقيل: هو إيقاد النار إذا رَجَعُوا إِلَى منازلهم من الليل. وقيل: المراد بذلك: نيران القبائل. وقال من فسرها بالخيال: هو إيقاد النار بالمزدلفة. قال ابن جرير: والصواب الأول، أنها الخيل حين تَقْدَحُ بحوافرها. وقوله: ﴿فَالْمُورِيَّتِ صَبَا﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني إغارة الخيل صُبحاً في سبيل الله. وقال من فسرها بالإبل: هو الدَفْعُ صُبحاً من المزدلفة إلى متى. وقالوا كُلُّهُمْ في قوله: ﴿فَأَتَزَنَ بِهِ نَقَمًا﴾، هو: المكان الذي حَلَّتْ فيه، أثارَت به القُبَارُ إما في حَجٍّ أو غَزْوٍ. وقوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾، قال العوفي، عن ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضحاك: يعني جَمَعَ الكُفَّارَ مِنَ العَدُوِّ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: فَوَسَطْنَ بِذَلِكَ المَكَانَ جَمِيعَهُنَّ، ويكون ﴿جَمًّا﴾ منصوباً على الحال المؤكدة.

[٧٤٣٩] وقد روى أبو بكر البزار ما هنا حديثاً [غريباً جداً] فقال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ جُمَيْعٍ، حَدَّثَنَا سِمَاكٌ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلاً فَأَشْهَرَتْ شَهْرًا لَا يَأْتِيهِ مِنْهَا خَبْرٌ، فنزلت: ﴿وَالْمُورِيَّتِ صَبَا﴾، ضَبَحَتْ بِأَرْجُلِهَا، ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدَمًا﴾، قدحت بحوافرها الحجارة فأورثت نارا، ﴿فَالْمُورِيَّتِ صَبَا﴾: ضَبَحَتْ القَوْمَ بَغَارَةً، ﴿فَأَتَزَنَ بِهِ نَقَمًا﴾، أثارَت بحوافرها التراب، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾، قال: ضَبَحَتْ القَوْمَ جَمِيعًا^(١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، هذا هو المُقْسَمُ عليه، بمعنى أنه لَيَنْعَمَ رَبُّهُ لَجَحُودِ كُفُورٍ. قال ابن عباس، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وأبو الجوزاء، وأبو العالية، وأبو الضمحي، وسعيد بن جبيرة، ومحمد بن قيس، والضحاك، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وابن زيد: الكُتُودُ الكُفُورُ. قال الحسن: هو الذي يَغْدُو المصائب، وينسى نِعَمَ رَبِّهِ عليه.

[٧٤٤٠] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عُبيد الله، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قال: الكفور الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رَفْدَهُ^(٢). ورواه ابن أبي حاتم: من طريق جعفر بن الزبير، وهو متروك. فهذا إسناد ضعيف. وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان، عن حمزة بن هانئ، عن أبي أمامة موقوفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْتُمْ عَلَى ذَلِكَ لَشَيْهٌ﴾، قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد. ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان، قاله محمد بن كعب القرظي. فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كُتُوداً لَشَيْهٍ، أي: بِلِسَانِ حاله. أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ

(١) أخرجه البزار ٢٢٩١، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥/٥: فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف.

(٢) المرفوع ضعيف جداً، والصواب موقوف، أخرجه الطبراني ٧٧٧٨ و ٧٩٥٨ بهذا الإسناد وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥١٦: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف. وفي الآخر من لم أعرفه اهـ وفيه القاسم بن عبد الرحمن ضعيف الحديث، روى منابر كثيرة.

يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴿[التوبة: ١٧]﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحِبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَشَدِيدٌ﴾ ٨، أي: وإنه لحب الخير، وهو المال، لشديد. وفيه مذهبان: أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال. والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح. ثم قال تعالى مُزْهِدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرْغَبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمُنْذِرًا عَلَى مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ: ﴿أَفَلَا يَتْلُمُ إِذَا بَعُثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ٩، أي: أخرج ما فيها من الأموات. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ١٠، قال ابن عباس وغيره: يعني أبرر وأظهر ما كانوا يُسِرُّون في نفوسهم، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ١١، أي: لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء، وَلَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

آخر سورة «العاديات» والله الحمد والمثنة



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ١ ﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ ﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١ ﴾

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾: من أسماء يوم القيامة، كالحاقَّة والطامة والصاخَّة والغاشية، وغير ذلك. ثم قال تعالى مُعْظَمًا أمرها ومُهَوَّلًا لسانها: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾، أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيتهم، من خبزتهم معاهم فيه، كأنهم فراش مبثوث. كما قال في الآية الأخرى: ﴿ كَانَتْ جَرَادٌ مُنْتَشِرَةٌ ﴾ [القمر: ٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾، يعني: قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شَرَعَ في الذهاب والتمزق. قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبیر، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضحاك، والسدي: «العهن»: الصوف. ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾، أي: رَجَحَتْ حسناته على سيئاته، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾، يعني: في الجنة. ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾، أي: رَجَحَتْ سيئاته على حسناته. وقوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾، قيل: معناه: فهو ساقط هارب بأُمِّ رَأْسِهِ في نار جهنم، وعبر عنه بأُمِّه، يعني دماغه، روي نحو هذا عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، وقتادة، قال قتادة: يَهْوِي في النار على رأسه. وكذا قال أبو صالح: يَهْوُونَ في النار على رؤوسهم. وقيل: معناه: «فَأُمُّهُ» التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها «هاوية»، وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية: أمه، لأنه لا مأوى له غيرها. وقال ابن زيد: الهاوية: النار، هي أمه ومأواه التي يَرْجِع إليها ويَأْوِي إليها، وقرأ: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴾. قال ابن أبي حاتم: وروي عن قتادة أنه قال: هي النار، وهي مأواهم. ولهذا قال تعالى مُفسراً للهاوية: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١ ﴾.

قال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الْأَشْعَثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْمَى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوْحُوا أَخَاكُمْ فإنه كان في عَمِّ الدُّنْيَا. قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية. وقد رَوَاهُ ابْنُ

مَرْدُويهِ مِنْ طَرِيقِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَرْفُوعاً، بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا، وَقَدْ أوردناه فِي كِتَابِ صِفَةِ النَّارِ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ (١١)، أَي: حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، قُوَّةُ اللَّهَبِ وَالسَّعِيرِ.

[٧٤٤١] قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقَدُونَ جُزْءَ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ! فَقَالَ: «إِنَّهَا فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً»^(١). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ مَالِكٍ.

[٧٤٤٢] وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، بِهِ. وَفِي بَعْضِ الْأَفَاضِلِ: «إِنَّهَا فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّهُمْ مِثْلَ حَرْمَاءَ»^(٢).

[٧٤٤٣] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ - وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ - سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقَدُونَ جُزْءَ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». فَقَالَ رَجُلٌ: إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ! فَقَالَ: «لَقَدْ فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً خَرّاً فَخَرّاً»^(٣). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَهُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

[٧٤٤٤] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضاً: حَدَّثَنَا سَفِيَّانٌ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - وَعَمْرُو، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْفَةَ - «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءَ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفْعَةً لِأَحَدٍ»^(٤). وَهَذَا عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِينَ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ طَرِيقٍ^(٥).

[٧٤٤٥] وَرَوَاهُ الْبُزَّارُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءَ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً»^(٦).

[٧٤٤٦] وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ - هُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَزْدِيُّ - عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «هَذِهِ النَّارُ جُزْءٌ مِنْ مِثْلِ جَهَنَّمَ»^(٧). تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضاً مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَهُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ أَيْضاً.

[٧٤٤٧] وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْخَلَّالُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْجَزَامِيُّ، حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى الْقَرَّازُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَدِرُونَ مَا مِثْلُ نَارِكُمْ هَذِهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ؟ لَهِيَ أَشَدُّ سَوَاداً مِنْ دُخَانِ نَارِكُمْ هَذِهِ بِسَبْعِينَ ضِعْفاً»^(٨). وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو مُصْعَبٍ، عَنْ مَالِكٍ... وَلَمْ يَرْفَعَهُ.

(١) تقدم تخريجه في سورة الواقعة آية ٧١.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٤٣ وتقدم.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٤٦٧/٢ وإسناده على شرط مسلم كما ذكر ابن كثير رحمه الله.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٢٤٤/٢ وإسناده على شرطهما كما قال الحافظ ابن كثير.

(٥) بياض في سائر النسخ.

(٦) صحيح. أخرجه البزار ٢٢/٢ و ٣٤٩٠ والطبراني ١٠٥٣٢ وفيه عبيد بن إسحق وهو ضعيف، لكن للحديث شواهد منها المتقدم، والآتي.

(٧) صحيح. أخرجه أحمد ٣٧٩/٢ وإسناده على شرط مسلم كما قال الحافظ.

(٨) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٤٨٩ ورجاله رجال البخاري ومسلم، لكن روي موقوفاً، ولعله أصح، فالمشهور في التضعيف سبعين مرة هو الحرارة لا السواد، والله أعلم.

[٧٤٤٨] وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه، عَنْ عَبَّاسِ الدُّورِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْقِدْ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى أَحْمَرَتْ، ثُمَّ أَوْقِدْ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أَوْقِدْ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ»^(١). وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

[٧٤٤٩] وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ - عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَد - مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَثْمَانَ التُّهَيْدِيِّ، عَنْ أَنَسٍ - وَأَبِي نَضْرَةَ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَعَجْلَانَ مَوْلَى الْمُشْتَمَعِلِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مِنْ لَهُ تَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ»^(٢).

[٧٤٥٠] وَتَبَّتْ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ! أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٌ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ. فَاشْتُدَّ مَا تَجِدُونَ فِي الشِّتَاءِ مِنْ بَرْدِهَا، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الصَّيْفِ مِنْ حَرِّهَا»^(٣).

[٧٤٥١] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»^(٤).

آخر تفسير سورة القارعة، والله الحمد والمنة

- (١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ٢٥٩١ وَابْنُ مَاجَه ٤٣٢٠ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، شَرِيكٌ سَاءَ حِفْظُهُ لِمَا تَوَلَّى الْقَضَاءَ، وَكَرَّرَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَوْقُوفًا، وَقَالَ: هُوَ أَصَحُّ.
- (٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٣٢/٢ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ.
- (٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٥٣٧ وَ ٣٢٦٠ وَمُسْلِمٌ ٦١٧ ح ١٨٥ وَالتِّرْمِذِيُّ ٢٥٩٢ وَابْنُ مَاجَه ٤٣١٩ وَأَحْمَدُ ٤٦٢/٢ وَابْنُ حِبَّانَ ٧٥٦٦ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.
- (٤) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٥٣٦ وَمُسْلِمٌ ٦١٥ ح ١٨٣ وَمَالِكٌ ١٦/١ وَأَحْمَدُ ٢٢٩/٢ وَ ٢٥٦ وَ ٣٤٨ وَابْنُ حِبَّانَ ١٥٠٦ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧ ﴿

يقول تعالى: شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمْ الْمَوْتُ وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَصَرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا!

[٧٤٥٢] قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا زَكْرِيَا بْنُ يَحْيَى الْوَقَارُ الْمَصْرِيُّ، حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ، عَنْ ابْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾» عَنْ الطَّاعَةِ، «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» ②: «حَتَّى يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ» ①. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾» فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

[٧٤٥٣] وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، فِي «الرَّقَاقِ» مِنْهُ: وَقَالَ لَنَا أَبُو الْوَلِيدِ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾»، يَعْنِي: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ ②.

[٧٤٥٤] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ مُطَرِّفٍ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ - عَنْ أَبِيهِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾»، يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي. وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِستَ فَابْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ ③. وَرواه مسلم والترمذي والنسائي، مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ، بِهِ.

(١) لَا أَصْلَ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَسِبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ - الْمَفْسَرِ - لَا يَتَعَدَّاهُ. وَهُوَ مُعْلُولٌ بِعِلَلٍ عِدَّةٍ، الْأُولَى الْإِسْرَالُ. وَالثَّانِيَةُ: ابْنُ زَيْدٍ سَوَاءٌ كَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ أَسَامَةُ فَقَدْ قَالَ ابْنُ مَعِينٍ: أَوْلَادُ زَيْدٍ لَيْسُوا بِشَيْءٍ. وَعِلَّةُ ثَالِثَةٍ: خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ ضَعْفُهُ ابْنُ حَيَّانٍ وَاتِّمَمَهُ، وَعِلَّةُ رَابِعَةٍ وَهِيَ الْأَسْوَأُ، زَكْرِيَا بْنُ يَحْيَى الْمَصْرِيُّ الْوَقَارُ، كَذِبُهُ صَالِحُ جُزْءٍ، وَقَالَ: كَانَ مِنَ الْكَذَّابِينَ الْكِبَارِ. وَقَالَ ابْنُ عَدِي: يَضَعُ الْحَدِيثَ.

(٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٦٤٤٠.

(٣) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ٢٩٥٨/٣ وَالتِّرْمِذِيُّ ٢٣٤٢ وَالنَّسَائِيُّ ٣٣٥٤ وَفِي «السَّنَنِ» ٣٦١٣ وَفِي «التَفْسِيرِ» ٧١٦ وَأَحَدٌ ٢٤/٤.

[٧٤٥٥] وقال مُسْلِمٌ في صحيحه: حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنِ الْغَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: يَا مَالِي يَا مَالِي! وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَتَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(١). تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلِمٌ.

[٧٤٥٦] وقال البخاري: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سَفِيَانٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(٢). وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عُيينة، به.

[٧٤٥٧] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحَرَصُ وَالْأَمَلُ»^(٣). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ. وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجُمَةِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَاسْمُهُ الضُّحَّاكُ، أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ رَجُلٍ دِرْهَمًا فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الدِّرْهَمُ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: لِي. فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ لَكَ إِذَا أَنْفَقْتَهُ فِي أَجْرٍ وَابْتِغَاءِ شُكْرِ. ثُمَّ أَنْشَدَ الْأَحْنَفُ مُتَمَثِّلًا قَوْلَ الشَّاعِرِ: أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ: قَالَ صَالِحُ بْنُ حِيَانَ: حَدَّثَنِي عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ: «الْهَنُكُ الْكَثَاثُ»^(٤)، قَالَ: نَزَلَتْ فِي قَبِيلَتَيْنِ مِنْ قَبَائِلِ الْأَنْصَارِ، فِي بَنِي حَارِثَةَ وَبَنِي الْحَارِثِ، تَفَاخَرُوا وَتَكَاثَرُوا، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا: فِيكُمْ مِثْلُ فُلَانٍ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ وَقَالَ الْآخَرُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، تَفَاخَرُوا بِالْأَحْيَاءِ، ثُمَّ قَالُوا: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى الْقُبُورِ. فَجَعَلَتْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ تَقُولُ: فِيكُمْ مِثْلُ فُلَانٍ؟ يُثِيرُونَ إِلَى الْقَبْرِ، وَمِثْلُ فُلَانٍ؟ وَفَعَلَ الْآخَرُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَانْزَلَ اللَّهُ: «الْهَنُكُ الْكَثَاثُ»^(٥) حَتَّى دُزِمَ الْمَقَابِرُ، لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيمَا رَأَيْتُمْ عِبْرَةً وَشَغْلًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: «الْهَنُكُ الْكَثَاثُ»^(٦) حَتَّى دُزِمَ الْمَقَابِرُ، كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، وَنَحْنُ أَعَدُّ مِنْ بَنِي فُلَانٍ. وَهَمَّ كُلُّ يَوْمٍ يَتَسَاقَطُونَ إِلَى آخِرِهِمْ، وَاللَّهُ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلِّهِمْ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «دُزِمَ الْمَقَابِرُ»، أَي: صِرْتُمْ إِلَيْهَا وَدُفِنْتُمْ فِيهَا.

[٧٤٥٨] كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَغُودُهُ، فَقَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». فَقَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟! بَلْ هِيَ حُمَى تَقُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورُ! قَالَ: «فَنَعَمْ إِذَا»^(٧).

[٧٤٥٩] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، أَخْبَرَنَا حُكَّامُ بْنُ سَلَمٍ الرَّازِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ الْحَجَّاجِ، عَنِ الْمُنْهَالِ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: مَا زِلْنَا نَشْكُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى نَزَلَتْ: «الْهَنُكُ الْكَثَاثُ»^(٨) حَتَّى دُزِمَ الْمَقَابِرُ^(٩). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ حُكَّامِ بْنِ سَلَمٍ، وَقَالَ: «غَرِيبٌ».

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٥٩ ح ٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥١٤ ومسلم ٢٩٦٠ والترمذي ٢٣٧٩ والنسائي ٢٠٦٤ وابن حبان ٣١٠٧.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ١١٥/٣ والبخاري ٦٤٢١ ومسلم ١٠٤٧ والطحاوي ٢٠٠٥ وأبو يعلى ٢٩٧٩ و٣٠١٠ وابن حبان ٣٢٢٩.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٦٢٢ والطبراني ١١٩٥١ وابن حبان ٢٩٥٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٥٥ وإسناده ضعيف لضعف حجج بن أوطاة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبي، حدثنا سلمة بن داود العُزَيزِي، حدثنا أبو المليح الرُّقَي، عن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زِدْتُمُ الْمَقَابِرَ ②، فلبث هُنْثَةً فقال: يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بُدٌّ من أن يرجع إلى منزله. قال أبو مُحمَّد: يعني أن يَرْجِعَ إلى منزله، أي: إلى جنَّة أو نار، وهكذا ذُكِرَ أن بعض الأعراب سَمِعَ رجلاً يتلو هذه الآية: ﴿حَتَّى زِدْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ②، فقال: بُعِثَ اليومَ وَرَبُّ الكعبة! إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④، قال الحسن البصري: هذا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ. وقال الضَّحَّاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ③، يعني: الكفار ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ④ يعني: أيها المؤمنون. وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ⑤، أي: لو عَلِمْتُمْ حقَّ العلم لما أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ عن طَلَبِ الدار الآخرة، حتى صِرْتُمْ إلى المقابر. ثم قال عز وجل: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦، هذا تفسيرُ الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ توعدهم بهذا الحال، وهي رؤية النار التي إذا زُفِرَتْ زفرةٌ خَرَّ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ على رُكْبَتَيْهِ، من المهابة والعظمة ومُعَايَنَةِ الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك. وقوله: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَأْذِنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾ ⑧، أي: ثم لَتَسْأَلَنَّ يومئذٍ عن شُكْرِ ما أنعم الله به عليكم، من الصَّحَّةِ والأمن والرزق وغير ذلك. ما إذا قابلتم به نِعَمَهُ من شُكْرِهِ وعبادته.

[٧٤٦٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو رُزعة، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز المقرئ، حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خَلْفٍ الخزاز، حدثنا يونس بن عُبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سَمِعَ عُمَرَ بن الخطاب يقول: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجك هذه الساعة؟» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله! قال: وجاء عُمَرُ بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا بن الخطاب؟» قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فَقَعَدَ عُمَرُ، وأقبل رسولُ الله ﷺ يُحَدِّثُهُمَا، ثم قال: «هل بكما من قُوَّة، تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاماً وشرباً وظلًّا؟» قلنا: نعم. قال: «مُرُوا بنا إلى مَنْزِلِ ابْنِ التَّيْهَانِ أَبِي الْهَيْثَمِ الْأَنْصَارِيِّ». قال: فَتَقَدَّمَ رسولُ الله ﷺ بين أيدينا، فَسَلَّمَ واستأذن - ثلاث مرَّاتٍ - وأمَّ الهيثم من وراء الباب تَسْمَعُ الكلام، تُرِيدُ أن يزيدها رسولُ الله ﷺ من السلام، فلما أراد أن ينصرف خَرَجَتْ أم الهيثم تَسْعَى خَلْفَهُمْ، فقالت: يا رسول الله! قد - والله - سَمِعْتُ تسليمَكَ، ولكن أردتُ أن تزيدينا من سلامِكَ. فقال لها رسولُ الله ﷺ: «خيراً». ثم قال: «أين أبو الهيثم لا أراه؟» قالت: يا رسول الله! هو قَرِيبٌ ذهب يستعذِبُ الماء، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله. فبَسَطَتْ بساطاً تحت شجرة، فجاء أبو الهيثم فَفَرَّحَ بهم، وَفَرَّتْ عيناه بهم، فَصَعِدَ على نخلة فصَرَمَ ① لهم أَعْدَاقاً، فقال له رسولُ الله ﷺ: «حَسْبُكَ يا أبا الهيثم!» قال: يا رسول الله! تَأْكُلُونَ من بُسْرِهِ، ومن رُطْبِهِ، ومن تَذَنُّوبِهِ. ثم أتاهم بماء فَشَرِبُوا عليه، فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تُسْأَلُونَ عنه» ②. هذا غريب من هذا الوجه.

[٧٤٦١] وقال ابنُ جرير: حدثني الحسين بن علي الصَّدَّائِي، حدثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كَيْسَانَ، عن أبي حازم عن أبي هُرَيْرَةَ قال: بينما أبو بكر وعُمَرُ جالسان إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: «ما أَجْلِسُكما ههنا؟» قالا: والذي بَعَثَكَ بالحق ما أخرجنا من بُيوتنا إلا الجُوع. قال: «والذي بَعَثَنِي بالحق ما

(١) صرم النخل والشجر: جزه. والعذق: قنو النخلة، أي عنقود البلح.

(٢) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عيسى، لكن أصل الحديث محفوظ بما بعده.

أخرجني غيره». فانطلقوا حتى أتوا بيت رجلٍ من الأنصار. فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي ﷺ: «أين فلان؟» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربة فقال: مرحباً، ما زار العباد نبي أفضل من نبي زارني اليوم! فعلق قربة بكرة نخلة، وانطلق فجاءهم يعذق، فقال النبي ﷺ: «ألا كنت اجتنت؟» فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم. ثم أخذ الشفرة، فقال النبي ﷺ: «إياك والحلوب؟» فذبح لهم يومئذ، فأكلوا. فقال النبي ﷺ: «لئن سألت عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم»^(١). ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان، به؛ ورواه أبو يعلى وابن ماجه، من حديث المَحَارِبِيِّ عن يحيى بن عبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق، به. وقد رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ الأربعة، من حديث عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحو من هذا السياق وهذه القصة.

[٧٤٦٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا سريج، حدثنا حشرج، عن أبي نصيرة، عن أبي عسيب - يعني مولى رسول الله - قال: خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمر بي، فدعاني فخرجت إليه، ثم مرَّ بعمر فدعاه فخرج إليه. فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطعمنا». فجاء يعذق فوضعه، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعاه بماء بارد فشرَّب، وقال: «لئن سألت عن هذا يوم القيامة». قال: فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البُسْرُ قِبَلَ رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله! إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم، إلا من ثلاثة: خرقة كف بها الرجل عورته، أو كسرة سد بها جوعته، أو جحر يتدخل فيه من الحر والقر»^(٢). تفرد به أحمد.

[٧٤٦٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا عمار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً، وشرَّبوا ماء، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»^(٣). ورواه النسائي، من حديث حماد بن سلمة، به.

[٧٤٦٤] وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد، حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، عن صفوان بن سليم، عن محمود بن الزبيع قال: لما نزلت ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ﴾^(٤)، فقرأ حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول الله! عن أي نعيم نسأل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: «أما إن ذلك سيكون»^(٥).

[٧٤٦٥] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا مسدد، حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لما نزلت: ﴿لَتَسْتَئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: يا

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٠٣٨ ح ٣٧٨٩٢ والطبري ٥١٢٨ وأبو داود ٢٨٢٢ و ٢٣٦٩ وابن ماجه ٣٧٤٥ والنسائي في التفسير ٧١٧.

(٢) صحيح دون بعضه، أخرجه أحمد ٨١/٥ وقال الهيثمي ٢٦٧/١٠: رجاله ثقات، وكذا قال المنذري في «الترغيب» ٤٧١١ قلت: حشر بن نباتة وإن وثقه غير واحد، فذكره البخاري في «الضعفاء»، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وصدر الحديث صحيح بشواهد المذكورة، ولمجزه شواهد في الترغيب، والوهن فقط في «أخذ عمر العذق... قبل رسول الله ﷺ».

(٣) صحيح. أخرجه النسائي ٦٤٦٦ وأحمد ٣٣٨/٣ وإسناده قوي.

(٤) أخرجه أحمد ٤٢٩/٥ وإسناده حسن، لكن عمود عامة ما يرويه عن الصحابة فإنه صحابي صغير، وانظر ما بعده.

رسول الله! لأني نعيم تُسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء! قال: «إن ذلك سيكون»^(١). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث سفيان - هو ابن عُيينة - به. ورواه أحمد عنه، وقال الترمذي: «حسن».

[٧٤٦٦] وقال أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مَعَاذُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فَطَلَعَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ. قَالَ: «أَجَلٌ». قَالَ: ثُمَّ خَاضَ النَّاسُ فِي ذِكْرِ الْغَنَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالْغَنَى لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَالصَّعَّةُ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغَنَى، وَطَيِّبُ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ»^(٢). وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَخْلَدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، بِهِ.

[٧٤٦٧] وقال الترمذي: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ الضَّحَّاكِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَزْرَمٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ - الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ تُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَتُزَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ»^(٣). تَقَرَّرَ بِهِ التِّرْمِذِيُّ. وَرَوَاهُ ابْنُ جِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ زُبَيْرٍ، بِهِ.

[٧٤٦٨] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْقَدَنِيِّ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ﴾^(٤)، قَالَتِ الصَّحَابَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَيْ نَعِيمٍ نَحْنُ فِيهِ، وَإِنَّمَا نَأْكُلُ فِي أَنْصَافٍ يُطَوَّنَا خُبْزُ الشَّعِيرِ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ قُلْ لَهُمْ: «الْيَسَّ تَحْتَدُونَ النِّعَالَ، وَتَشْرَبُونَ الْمَاءَ الْبَارِدَ؟ فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ»^(٥).

[٧٤٦٩] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى - أَظَنَّهُ عَنْ عَامِرٍ - عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ﴾، قَالَ: «الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ»^(٥).

[٧٤٧٠] وقال زيد بن أسلم، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ﴾^(٦)، «يَعْنِي: شَبَعَ الْبَطُونِ، وَبَارِدَ الشَّرَابِ، وَظِلَالُ الْمَسَاكِينِ، وَاعْتِدَالُ الْخَلْقِ، وَلَذَّةُ النَّوْمِ»^(٦). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَقَدِّمِ، عَنْهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: حَتَّى عَنْ شُرْبَةِ عَسَلٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مِنَ النَّعِيمِ الْغَدَاءُ وَالْعَشَاءُ. وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: مِنَ النَّعِيمِ أَكْلُ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ بِالْخُبْزِ النَّقِيِّ. وَقَوْلُ مُجَاهِدٍ أَشْمَلُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ثُمَّ

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٥٣ وابن ماجه ٤١٥٨ وأحمد ١٦٤/١ وإسناده حسن لأجل محمد بن عمرو. لكن قوله: «لما نزلت» في هذا الحديث وكذا المتقدم، غريب، ولعله من أوهام محمد بن عمرو، فإن السورة مكية باتفاق، وسياق الخبر مدني، والصحيح دون ذكر نزول الآية، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢١٤١ وأحمد ٣٧٢/٥ وإسناده حسن لأجل معاذ، وصححه الحاكم ٣/٢ ووافقه الذهبي والبوصيري.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٣٥٨ وابن حبان ٧٣٦٤ والحاكم في «المستدرک» ١٣٨/٤ وإسناده قوي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) حفص بن عمر ضعفه غير واحد، ولينه أبو حاتم. لكن للمتن شواهد كما ترى. والله أعلم.

(٥) إسناده ضعيف، له علتان: ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن، صدوق سيئ الحفظ، وقد شك في شيخه. فقال: أظنه عن عامر. والمراد ابن شراحيل الشعبي، وهو لم يدرك ابن مسعود. فهو منقطع، وإلا فهو مجهول.

(٦) تقدم أنه إسناد باطل انظر ٧٤٥٢، وحسبه أن يكون من كلام عبد الرحمن بن زيد المفسر.

لَتَشْكُنَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ قال: النعيمُ صِحَّةُ الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العبادَ فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

[٧٤٧١] وثبت في صحيح البخاري، وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحةُ والفراغ»^(١). ومعنى هذا أنهم مُقْصَرُونَ في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبونٌ.

[٧٤٧٢] وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا أبو حمزة، عن ليث، عن أبي فزارة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فوق الإزار، وظل الحائط، وجزء الماء فضلٌ يُحاسبُ به العبدُ يوم القيامة، أو يسأل عنه»^(٢). ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

[٧٤٧٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان قالا: حدثنا حماد، قال عفان في حديثه: قال إسحاق بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل - قال عفان، يوم القيامة -: يابن آدم، حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تزيع وتزأس، فأين شكر ذلك؟»^(٣). نقرأ به من هذا الوجه.

آخر تفسير سورة التكاثر، والله الحمد والمنة

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤١٢ والترمذي ٢٣٠٤ وابن ماجه ٤١٧٠ وتقدم.

(٢) حسن. أخرجه البزار ٣٦٤٣ وإسناده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم، لكن للحديث شاهد تقدم قبل أحاديث، وقال النذري في «الترغيب» ٤٧١٤: رواه ثقات إلا ليث، وحديثه جيد في المتابعات.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٤٩٢/٢ وإسناده على شرط مسلم. وورد من وجه آخر، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٥٤ وابن حبان ٧٣٦٧ وإسناده حسن.



وهي مكئة

ذَكَرُوا أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَقَدْ عَلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَمْرُو، فَقَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ: مَاذَا أَنْزَلَ عَلَى صَاحِبِكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ؟ قَالَ: لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ سُورَةٌ وَجِيزَةٌ بَلِيغَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾، فَفَكَّرَ مُسَيْلِمَةُ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ مِثْلَهَا. فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: يَا وَبَرُ يَا وَبَرُ، إِنَّمَا أَنْتَ أَذْنَانِ وَصَدْرُ، وَسَائِرُكَ حَقَرٌ تَقَرُّ. ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَرَى يَا عَمْرُو؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ تَكْذِبُ^(١).

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف «بمساوىء الأخلاق»، في الجزء الثاني منه، شيئاً من هذا أو قريباً منه. والوَبَرُ: دُوبِيَّةٌ تُشَبِّهُ الْهَرَّ، أَغْظَمُ شَيْءٍ فِيهِ أَذْنَاهُ، وَصَدْرُهُ وَبَاقِيهِ لَطِيفٌ ذَمِيمٌ، فَأَرَادَ مُسَيْلِمَةُ أَنْ يُرَكِّبَ مِنْ هَذَا الْهَذْيَانِ، مَا يُعَارِضُ بِهِ الْقُرْآنَ. فَلَمْ يَزُجْ ذَلِكَ عَلَى عَابِدِ الْأَوْتَانِ، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. [٧٤٧٤] وَذَكَرَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْضٍ أَبِي مَدْيَنَةَ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا التَّقْيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ سُورَةَ الْعَصْرِ، إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ^(٢). وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ تَذَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسَّعَتْهُمْ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

العصر: الزمان الذي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ

(١) أَخْرَجَهُ الْخَرَائِطِيُّ فِي «مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ» ١٧٣ فِي أَثْنَاءِ خَبَرٍ مَطْوُولٍ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لَضَعْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ، وَلَيْسَ فِيهِ تَكْذِيبُ عَمْرُوٍ لِمُسَيْلِمَةَ، وَهَذَا خَبَرٌ مَشْهُورٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ، لَكِنْ تَكْذِيبُ عَمْرُوٍ لَهُ بَعِيدٌ، فَإِنَّ مُسَيْلِمَةَ كَانَ عَاتِيًّا شَدِيدَ الْبَاسِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» ٥١٢٠ وَابَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» ٩٠٥٧، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، لَكِنْ أَبُو مَدْيَنَةَ اخْتَلَفَ فِيهِ هَلْ هُوَ صَحَابِيٌّ أَوْ تَابِعِيٌّ، وَبِكُلِّ حَالٍ الْمَثْنُ غَرِيبٌ، فَلَوْ صَحَّ مِثْلُ هَذَا لَجَاءَ مُتَوَاتِرًا، وَلَوْ ثَبِتَ لِعَمَلٍ بِهِ التَّابِعُونَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهَ، لِأَنَّ لَفْظَ «الرَّجُلَانِ» يَفِيدُ الْعُمُومَ لِأَنَّ «أَلَّ» هُنَا لَاسْتِغْرَاقُ الْجِنْسِ، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، بَلْ لَمْ يَرَوْهُ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ إِلَّا الطَّبْرَانِيُّ وَابَيْهَقِيُّ، وَكِلَاهُمَا يَرَوِي مَا يَجِدُ، فَالْخَبَرُ غَرِيبٌ جَدًّا، وَالْوَهْمُ فِيهِ إِمَّا مِنْ حَادٍ حَيْثُ تَغْيِيرٌ بِأُخْرَةٍ، أَوْ مِنْ أَبِي مَدْيَنَةَ، عَلَى أَنَّهُ التَّابِعِيُّ، فَهُوَ غَيْرُ مَشْهُورٍ بِحَمَلِ الْعِلْمِ، بَلْ لَيْسَ لَهُ رَوَايَةٌ غَيْرُ هَذَا الْأَثَرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. رَاجِعِ «الْإِصَابَةَ» ٢/٢٩٧/٤٦٢٦.

العَشيِّ. والمشهورُ الأولُ. فاقسم تعالى بذلك على أن الإنسانَ لفي خُسْرٍ، أي: في خسارةٍ وهلاكٍ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأدى مَنْ يُؤْذِي مَنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

آخرُ تفسير سورة «العصر» والله الحمدُ والمنَّةُ



وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨

الهُمَزُ بالقول، واللَّمَزُ بالفعل، يعني: يَزْدَرِي بالناس وَيَتَنَقَّصُ بهم. وقد تقدّم بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰكَذَا مَثَلٌ يُبَيِّنُ﴾ ⑩ [القلم: ١١]. قال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ﴾: طَعَانٌ معيَاب. وقال الربيع بن أنس: الهمزة، يَهْمِزُهُ في وجهه، واللُّمَزَةُ من خَلْفِهِ. وقال قتادة: يَهْمِزُهُ وَلِيْلِمِزُهُ بِلِسَانِهِ وَعَيْنِهِ، وَيَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمْ. وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللُّمَزَةُ باللسان. وهكذا قال ابن زيد. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هَمَزَةُ لَحُومِ النَّاسِ. ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شَرِيق، وقيل: غيره. وقال مجاهد: هي عَامَةٌ. وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ②، أي: جَمَعَهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَحْصَى عَدَدَهُ، كقوله تعالى: ﴿وَبِجْعٍ فَأَوْعَى﴾ ⑪، قاله السُّدِّي، وابن جرير. وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ②، ألْهَاهُ مَالُهُ بِالنَّهَارِ، هَذَا إِلَى هَذَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ نَامَ كَأَنَّهُ جَيِّفَةٌ. وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ③، أي: يَظُنُّ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالِ يُخْلِدُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ﴿كَلَّا﴾ ④، أي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ وَلَا كَمَا حَسِبَ. ثم قال تعالى: ﴿لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ﴾ ⑤، أي: لَيُتَلَقَّيْنِ هَذَا الَّذِي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ فِي الْخُطْمَةِ، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ صِفَةٌ، لِأَنَّهَا تُحْطِمُ مَنْ فِيهَا. ولهذا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ﴾ ⑥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ⑦، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑧، قال ثابت البناني: تَحْرِقُهُمْ إِلَى الْأَفْئِدَةِ وَهِيَ أَحْيَاءُ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْعَذَابُ، ثُمَّ يَبْكِي. وقال محمد بن كعب: تَأْكُلُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ فُؤَادَهُ حَذُوَ خَلْقِهِ، فَرُجِعَ عَلَى جَسَدِهِ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ ⑧، أي: مُطَبَّقَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَلَدِ.

[٧٤٧٥] وقال ابن مَرْدُويه: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَرَّاجٍ، حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ خَزْرَازٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَاعُ بْنُ أَشْرَسَ، حَدَّثَنَا شَرِيكَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ ⑧، قال: ﴿مُطَبَّقَةٌ﴾ ①. وقد رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَيْدٍ، عَنْ

(١) ضعيف. فيه علي بن سراج. قال الدارقطني: كان يحفظ الحديث، لكنه كان يشرب المسكر. راجع «الميزان» ٥٨٤٩ فلا حجة بحدِيثِهِ، فَلَعَلَّهُ أَدَاهُ مِنْ حِفْظِهِ، وَشَرِيكَ سَاءَ حِفْظُهُ لَمَا تَوَلَّى الْقَضَاءَ. وَعَاصِمٌ بْنُ بَهْدَلَةَ سَيِّئُ الْحِفْظِ أَيْضًا. لَكِنَّهُ صَدُوقٌ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ مِنْ قَوْلِهِ، وَهُوَ الصَّوَابُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

إسماعيل بن خالد، عن أبي صالح، قوله، ولم يَزَقْهُ. وقوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾، قال عطية العوفي: عَمَدٌ مِنْ حَدِيدٍ. وقال السُّدِّي: من نار. وقال شَيْبٌ بنِ بَشْرٍ، عن عِكْرَمَةَ، عن ابن عباس: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾، يعني: الأبواب هي الممدودة. وقال قتادة: في قراءة عبد الله بن مسعود: «إنها عليهم مُمَدَّدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ». وقال العوفي، عن ابن عباس: أدخلهم في عَمَدٍ قُمَدَتْ عليهم بِعَمَادٍ، في أعناقهم السلاسل قَسَدَتْ بها الأبواب. وقال قتادة: كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ. واختاره ابن جرير. وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ يعني القيود الطوال.

أَخْرَجَ تَفْسِيرَ سُورَةِ «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ»، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ



وهي مكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

هذه من الثعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرّف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد غزّموا على هذم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنافهم، وخيب سغيهم، وأضلّ عملهم، وردّهم بشرّ خبيّة. وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. لكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم - يا معشر قريش - على الحبشة لخيريّتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونؤقره ببعثه النبي الأمي محمد - صلوات الله وسلامه عليه - خاتم الأنبياء.

وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب: قد تقدّم في قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس - وكان آخر ملوك حمير، وكان مشركاً - هو الذي قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصاري، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً، فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام، وكان نصرانياً، فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة، لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أميرين: أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يَكْسُومَ، في جيش كثيف، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار، واستلبوا الملك من حمير، وهلك ذو نواس غريقاً في البحر، واستقلّ الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران: أرياط وأبرهة، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا، وتصافا، فقال أحدهما للآخر: إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا، ولكن ابزأ إليّ وأبرز إليك، فأثنا قتل الآخر استقلّ بعده بالملك. فأجابه إلى ذلك قنبارزاً، وخلف كل واحد منهما قناة، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه، وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله، ورجع أبرهة جريحاً، فداوى جرحه قبرا، واستقلّ بتدبير جيش الحبشة باليمن. فكتب إليه النجاشي يُلومه على ما كان منه، ويتوعده ويحلف ليطأ ناصيته. فأرسل إليه أبرهة يترفق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف، ويجراب فيه من تراب اليمن، وجزّ ناصيته، وأرسلها معه، ويقول في كتابه: ليطأ الملك على هذا الجراب فيبترّ قسمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك. فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه، ورّضه عنه، وأقره على عمله، وأرسل أبرهة يقول للنجاشي: إني سأنبي لك كنيسة بأرض اليمن

لم يَبْنِ قَبْلَهَا مِثْلَهَا. فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ، رَفِيعَةِ الْبِنَاءِ، عَالِيَةِ الْفَنَاءِ، مُزْخَرَفَةِ الْأَرْجَاءِ، سَمَّيْتُهَا الْعَرَبُ الْقَلْبِيسَ؛ لِارْتِفَاعِهَا، لِأَنَّ النَّازِلَ إِلَيْهَا يَكَادُ تَسْقُطُ قَلْبُسُوتهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا. وَعَزَمَ أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحْجُّ إِلَى الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ. فَكَرِهَتْ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ وَالْقَحْطَانِيَّةُ ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ قَرِيشٌ لَذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا، فَأَحْدَثَ فِيهَا، وَكَثَرَ رَاجِعًا. فَلَمَّا رَأَى السُّدَنَةُ ذَلِكَ الْحَدَثَ رَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قَرِيشٍ غَضَبًا لِبَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ. فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةُ لِيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ، وَلِيُخَرِّبَهُ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَرَ مِقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ فَتْيَةَ مِنْ قَرِيشٍ دَخَلُوهَا فَأَجْبُجُوا فِيهَا نَارًا، وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ فَاحْتَرَقَتْ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ. فَتَأَهَّبَ أَبْرَهَةُ لَذَلِكَ، وَسَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرَمَرَمَ لثَلَا يَصُدُّهُ أَحَدٌ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فَيْلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْجُثَّةِ لَمْ يَزِ مِثْلُهُ، يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودٌ. وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ لَذَلِكَ، وَيُقَالُ: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَةُ أَفْيَالٍ، وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ فَيْلًا، وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ، بَأَنْ تُجْعَلَ السَّلَاسِلُ فِي الْأَرْكَانِ، وَتَوْضَعُ فِي عُنُقِ الْفَيْلِ، ثُمَّ يُزَجَرُ لِيَلْقَى الْحَاطِطُ جَمَلَةً وَاحِدَةً. فَلَمَّا سَمِعَتْ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جَدًّا، وَزَاوَا أَنْ حَقًّا عَلَيْهِمُ الْمُحَاجَبَةُ دُونَ الْبَيْتِ، وَرَدُّ مِنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: ذُو نَفَرٍ، فَدَعَا قَوْمَهُ وَمِنْ أَجَابِهِ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهَةَ وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا يُرِيدُهُ مِنْ هَذِهِ وَإِخْرَاجِهِ. فَأَجَابُوهُ وَقَاتَلُوا أَبْرَهَةَ، فَهَزَمَهُمْ لَمَّا يُرِيدُهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ كِرَامَةِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَسِيرَ «ذُو نَفَرٍ» فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ، ثُمَّ مَضَى لَوَجْهِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَفْتَمٍ عَرَضَ لَهُ ثَقِيلُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَفْتَمِيُّ فِي قَوْمِهِ: شَهْرَانُ وَنَاهِسُ، فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهَةُ، وَأَسِيرَ ثَقِيلُ بْنُ حَبِيبٍ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيَدْلَهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ثَقِيفٌ وَصَانَعُوهُ خِيفَةً عَلَى بَيْتِهِمُ الَّذِي عِنْدَهُمْ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتَ. فَكَرَّمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ «أَبَا رِغَالٍ» دَلِيلًا. فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهَةُ إِلَى الْمُغَمَّسِ - وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ - نَزَلَ بِهِ وَأَغَارَ جَيْشُهُ عَلَى سَرْحِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا، فَأَخَذُوهُ. وَكَانَ فِي السَّرْحِ مَتْنًا بَعِيرٌ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ. وَكَانَ الَّذِي أَغَارَ عَلَى السَّرْحِ بِأَمْرِ أَبْرَهَةَ أَمِيرُ الْمُقَدَّمَةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الْأَسْوَدُ بْنُ مَفْصُودٍ، فَهَجَاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ - فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ - وَبَعَثَ أَبْرَهَةُ خُنَاطَةَ الْجَنْمِيرِيِّ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَشْرَفِ قَرِيشٍ، وَأَنْ يُخَبِّرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَجِءْ لِقِتَالِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ. فَجَاءَ خُنَاطَةُ قَدْ دُلَّ عَلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَبَلَغَهُ عَنْ أَبْرَهَةَ مَا قَالَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ: وَاللَّهِ مَا تُرِيدُ حَرْبَهُ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ خُنَاطَةُ: فَادْهَبْ مَعِيَ إِلَيْهِ. فَذَهَبَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَى أَبْرَهَةَ أَجْلَهُ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ رَجُلًا جَمِيلًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، وَنَزَلَ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ، وَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى الْبَسَاطِ، وَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لِلتَرْجُمَانِ: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكَ مَتْنِي بَعِيرٍ أَصَابَهَا لِي. فَقَالَ أَبْرَهَةُ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: لَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهَدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتَكَلِّمُنِي فِي مَتْنِي بَعِيرٍ أَصْبَتْهَا لَكَ، وَتَتْرَكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَازِمِهِ لَا تَكَلِّمُنِي فِيهِ؟! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ. قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْنَعَنِي مِنْهُ! قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ^(١).

(١) خبر أبرهة ومحاولة هدم الكعبة، خبر مشهور بل متواتر. وقد ساقه المصنف هنا عن مقاتل مرسلاً، ومن وجوه أخر =

ويقال: إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشرف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال يَهَامَة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، وَرَدَّ أبرهة على عبد المطلب إليه، ورجع عبد المطلب إلى قُرَيْش فأمرهم بالخروج من مكة. والتحصن في رؤوس الجبال، تَخَوُّفاً عليهم من مَعَرَّةِ الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يَدْعُونَ الله ويستنصرونه على أبرهة وجُنْدِهِ، وقال عبد المطلب وهو آخِذٌ بِحَلْقَةِ بابِ الكعبة:

لَا مُمَّ إِنْ الْمَرْءَ يَمُـ نَحْ رَحْلَهُ فَاَمْنُغْ جَلَالَكْ
لَا يَغْلِبُنْ صَليْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَاؤُا مِحَالَكْ

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال. وذكر مقاتلُ ابن سُليمان أنهم تَرَكُوا عند البيت مئةَ بَذَنَةٍ مُقْلَدَةٍ، لعلَّ بعضَ الحبشة ينالُ منها شيئاً بغير حقٍّ، فينتقم الله منه. فلما أصبح أبرهة تهيأَ لدخولِ مكةَ، وهَيَّأَ فيله - وكان اسمه محموداً - وعبأ جيشه، فلما وَجَّهوا الفيلَ نحو مكةَ أقبل نُفَيْلُ بن حبيب حتى قام إلى جَنْبِهِ، ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود، أو أرجع راشداً من حيثُ جِئْتَ، فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه، فبرك الفيلُ، وخَرَجَ نُفَيْلُ بن حبيب يَشْتَدُّ حتى أَضْعَدَ في الجبل. وضربوا الفيلَ ليقوم، فأبى، فَضَرَبُوا في رأسه بالطَّبْرَزين، وأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقِبِ فَرْغُوهِ^(١) بها ليقوم، فأبى، فَوَجَّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يَهْرُولُ. وَوَجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، وَوَجَّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، وَوَجَّهوه إلى مكة فَبَرَكَ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبُكَّاسان مع كلِّ طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حَجَرٌ في منقاره، وَحَجَرَانِ في رجليه، أمثال الحمص والعَدَسِ، لا تُصِيبُ منهم أحداً إلا هَلَكَ، وليس كُلُّهم أصابت. وَخَرَجُوا هارِبِينَ يبتدرون الطريق، ويسألون عن نُفَيْلٍ ليدلُّهم على الطريق. هذا وَنُفَيْلٌ على رأس الجبلِ مع قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْحِجَازِ، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحابِ الفيل من النَّقْمَةِ، وَجَعَلَ نُفَيْلٌ يقول:

أَيْنَ الْمَقْرُ؟ وَالإله الطَّالِبُ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غير الغالبِ

قال ابنُ إسحاق: وقال نُفَيْلٌ في ذلك أيضاً:

أَلَا حُيَيْتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا لَعِذَّتْ زَيْنَةُ، لَوْ رَأَيْتَ - وَلَا تَرَيْنَا
لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ - مَا رَأَيْنَا إِذَا لَعِذَّتْ زَيْنِي وَحَمَذَتْ أَمْرِي
وَلَمْ تَأْسِنِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا حَمَذَتْ اللَّهُ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا
وَحَفَّتْ حِجَارَةٌ ثَلَقَى عَلَيْنَا فَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ
كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبُشَانِ دَيْنًا؟

وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبوا لدخول الحرم وهيؤوا الفيل جَعَلُوا لا يَضْرِفُونَهُ إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها، فإذا وَجَّهوه إلى الحرم رَبَضَ وصاح. وجعل أبرهة يحملُ على سائس الفيل وينهزه

= عامتها مرسل. وهذا لا يدل على وهن الخبر بل شهرته تغني عن الإسناد، والله تعالى أعلم. وانظر «الدر المنثور» ٦/٦٧٢ - ٦٧٦. والطبري ٣٧٩٨٩ و «السيرة النبوية» ٤٨/١ و «السيرة» لابن كثير ٢٩/١ و «دلائل النبوة» ٨٥/١.
(١) الطبري بالفارسية: الفأس. والمحجن: عصا معوجة الطرف. وقيل: حديدة معقوفة. المراق: ما سفل من البطن. وبزغوه: آدموه.

وَيَضْرِبُهُ، لِيَقْهَرَ الْفِيلَ عَلَى دُخُولِ الْحَرَمِ. وطال الفصلُ في ذلك. هذا وعبدُ المطلب وجماعةٌ من أشراف مكة، منهم المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ، وعمرو بنُ عائذ بنِ عمرانَ بنُ مَخْزُومٍ، ومسعود بنُ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ، على جِزَاءٍ يَنْظُرُونَ إلى ما الحِشَّةُ يَصْنَعُونَ، وماذا يَلْقَوْنَ من أمر الفيل وهو العَجَبُ العُجَابُ. فبينما هم كذلك إذ بَعَثَ اللهُ عليهم طيراً أبابيلَ، أي: قِطْعاً قِطْعاً صُفْراً دون الحمام، وأرجلهم حمراً، ومع كل طائر ثلاثة أحجار، وجاءت فَحَلَقَتْ عليهم، وأرسلت تلك الأحجارَ عليهم فَهَلَكُوا. وقال محمد بن كعب: جاؤوا بِفِيلَيْنِ فأما محمود فَرَبَضَ، وأما الآخر فَشَجَعَ فَحَصِبَ.

وقال وَهْبُ بنُ مُثَنَّبٍ: كان معهم فيلةٌ، فأما محمودُ - وهو فيل الملك - فَرَبَضَ، لِيَقْتَدِيَ به بقيةُ الفيلةِ، وكان فيها فيلٌ تَشَجَّعَ فَحَصِبَ، فَهَرَبَتْ بقيةُ الفيلةِ. وقال عطاءُ بنِ يَسَّارٍ وغيره: ليس كلُّهم أصابه العذابُ في الساعةِ الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم مَنْ جَعَلَ يَتَساقَطُ عُضْواً عُضْواً وهم هارِبونَ، وكان أبرهةُ يَتَساقَطُ عُضْواً عُضْواً، حتى مات ببلاد خُثَمٍ. قال ابنُ إسحاق: «فخرجوا يتساقطون بكل طريق، وَيَهْلِكُونَ على كُلِّ مَنَهْلٍ، وَأَصِيبَ أبرهةُ في جَسَدِهِ، وخرجوا به معهم يَسْقُطُ أَمْلَةٌ أَمْلَةٌ، حتى قَدِمُوا به صنعاء وهو مثلُ فرخ الطائرِ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون». وذكر مقاتل بن سليمان: أن قُرَيْشاً أصابوا مالا جَزِيلاً من أسلابهم، وما كان معهم، وأن عبد المطلب أصاب يومئذٍ من الذهب ما مَلَأَ حُفْرَةً. وقال ابنُ إسحاق: وحَدَّثني يعقوب بن عُثْبَةَ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ أَوَّلَ ما رُؤِيَ الحَضْبَةُ والجُدْرِيُّ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذلك العام، وأنه أَوَّلَ ما رُؤِيَ به مَرَايِزُ الشَّجَرِ الحَزْمَلِ والحَنْظَلِ والعُشْرُ، ذلك العام. وهكذا رُوي عن عكرمة، من طريق جيد.

قال ابنُ إسحاق: «فلما بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ كان فيما يَعدُّ به على قُرَيْشٍ من نِعْمَتِهِ عليهم وفضله، ما رَدَّ عنهم من أمر الحِشَّةِ، لبقاء أمرهم ومُدَّتِهِمْ، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ يَسْبِيلٍ ④ فَعَلَّاهُمْ كَعَصِيفٍ مَّأْكُولٍ ⑤»، ﴿لَا يَلْفَافُ فَرَسٌ ①﴾ لِمَلَأَتْهُمْ رِجْلَةُ الشِّتَاءِ وَالْهَيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَمَلَعَهُمْ فِي جُودٍ وَأَمَنَّهُمْ فِي خَوْبٍ ④، أي: لثلاثِ يَغْيَرُ شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لِمَا أَرَادَ اللهُ بهم من الخير لو قَبِلُوهُ» ①.

قال ابن هشام: الأبابيلُ: الجماعاتُ، ولم تتكلم العربُ بواحدة. قال: وأما السَّجِيلُ فأخبرني يونس النحوي وأبو عُبَيْدَةَ أنه عند العرب: الشَّدِيدُ الصُّلْبُ. قال: وذكر بعضُ المفسرين أنهما كلمتان بالفارسيَّةِ، جَعَلَتْهُمَا العربُ كلمةً واحدةً، وإنما هو سَنَجٌ وَجَلٌ يعني بالسَّنَج: الحجر، والجَلُّ الطين، يقول: الحجارة من هذين الجنسين: الحَجَرُ والطين. قال: والعَصِفُ: ورقُ الزرع الذي لم يَقْصَبْ، وأحدته عَصْفَةً. انتهى ما ذكره. وقد قال حَمَّادُ بن سَلَمَةَ، عن عاصم، عن زُرِّ، عن عبد الله - وأبو سَلَمَةَ ابنُ عبد الرحمن -: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قال: الْفَرْقُ. وقال ابنُ عباس، والضحاك: ﴿أَبَابِيلَ﴾: يتبع بعضها بعضاً. وقال الحسنُ البصريُّ، وقَتَادَةُ: الأبابيلُ الكثيرة. وقال مجاهد: أبابيل، شَتَّى متتابعةٌ مجتمعة. وقال ابنُ زيد: الأبابيلُ المختلفة، تأتي من ها هنا، ومن ها هنا، أنتهم من كُلِّ مكانٍ. وقال الكسائي: «سمعتُ النحويين يقولون: يُبُولُ مثل الْعِجُولِ. قال: وقد سمعت بعض النحويين يقول واحد الأبابيل: إِبِيلٌ».

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابنُ المثنى، حَدَّثَنِي عبد الأعلى، حَدَّثَنِي داودُ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نُوفَلٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ②، هي: الأقاطيع، كالإبل المؤتلة. وحَدَّثَنَا

أبو كَرِيب، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عن ابنِ عَوْنٍ، عن ابنِ سيرين، عن ابنِ عباس: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قال: لها خراطيمٌ كخراطيمِ الطير، وأَكْفُ كأكفِ الكلاب. وحَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قال: كانت طيراً خُضْراً خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، لها رُؤُوسٌ كَرُؤُوسِ السباع. وحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عن سُفْيَانَ، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عُبيد بن عمير: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قال: هي طيرٌ سودٌ بحرية، في مناقيرها وأظفارها الحجارة، وهذه أسانيدٌ صَحِيحَةٌ.

وقال سعيد بن جُبَيْر: كانت طيراً خُضْراً لها مناقيرٌ صُفْرٌ، تختلف عليهم. وعن ابنِ عباس، ومجاهدٍ، وعطاء: كانت الطيرُ الأبابيل مثل التي يُقالُ عنقاءٌ مُغْرِب. رواه عنهم ابنُ أبي حاتم. وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد بن أبي شيبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عُبيد بن عمير قال: لما أراد الله أن يهلك أصحابَ الفيل بعثَ عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثالَ الخطاطيف، كلُّ طيرٍ منها يحمل ثلاثة أحجارٍ مُجَزَّعة: حَجَرَيْنِ في رِجْلَيْهِ وحَجَراً في مَنْقَارِهِ، قال: فجاءت حتى صَفَّتْ على رُؤُوسِهِمْ، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حَجَرٌ على رأس رجلٍ إلا خَرَجَ من دُبُرِهِ، ولا يَبْقَى على شيءٍ من جسده إلا خَرَجَ من الجانب الآخر. وبَعَثَ الله ريحاً شديدةً فَضَرَبَتْ الحجارة فزادتها شدةً فَاهْلِكُوا جميعاً. وقال السُّدِّي، عن عكرمة، عن ابنِ عباس: حجارةٌ من سَجِيل. قال: طينٌ في حجارة: «سَنَكٌ، وكِل». وقد قَدَّمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ها هنا.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، قال سعيد بن جُبَيْر: يعني الثَّيْنُ الذي تُسَمِّيهِ العامة: قَبُور. وفي رواية عن سعيد: وَرَقُ الحِنطة. وعنه أيضاً: العَصْفُ: الثَّيْنُ. والمَأْكُولُ: القَصِيلُ يُجَزُّ للدواب. وكذلك قال الحسن البصري. وعن ابنِ عباس: العَصْفُ: القَشْرَةُ التي على الحَبَّة، كالغَلَّافِ على الحِنطة. وقال ابنُ زَيْدٍ: العَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْع، وورق البَقْلِ، إذا أكلته البهائم فرائثه، فصار دَرِيناً. والمعنى أَنَّ الله - سبحانه وتعالى - أهلكهم ودمَّرهم، ورَدَّهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عائلتهم، ولم يرجع منهم مُخْبِرٌ إلا وهو جَرِيح، كما جَرَى لِمَلِكِهِمْ أبرهة، فإنه انصدَّعَ صَدْرُهُ عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جَرَى لهم، ثم مات. فَمَلَك بعده ابنه يَكْسُومُ، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة. ثم خَرَجَ سيفٌ بن ذِي يَزَنَ الحميري إلى كسرى فاستغاثه على الحيشة، فأنفذ معه من جُيُوشه فقاتلوا معه، فَرَدَّ الله إليهم مَلِكَهُمْ، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفودُ العَرَبِ للتهنئة. وقد قال محمد بن إسحاق: حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي بكر، عن عُمَرَةَ بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة، عن عائشة قالت: لقد رأيتُ قائدَ الفيل وسائسَه بمَكَّةَ أعميين مُقْعَدَيْنِ، يَسْتَطْعِمَان. ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضاً عن أسماء بنتِ أبي بكر أنها قالت: كانا مُقْعَدَيْنِ يستطعمان الناس عند إِسَافٍ ونائلة، حيث يذبحُ المشركون ذبائحهم. قلتُ: كان اسم قائد الفيل: أنيساً.

وقد ذكر الحافظُ أبو نُعَيْم في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب، عن ابنِ لهيعة، عن عَقِيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أَنَّ أبرهة قَدِمَ من اليمن، وإنما بَعَثَ على الجيش رَجُلًا يقال له شِمْر بن مفضود، وكان الجيش عشرين ألفاً، وذكر أَنَّ الطير طرقتهم ليلاً، فأصبحوا صَرَغَى. وهذا السياق غريب جداً، وإن كان أبو نعيم قد قَوَّاه ورجَّحه على غيره، والصحيحُ أَنَّ أبرهةَ الأَشْرَمَ الحبشي قَدِمَ مَكَّةَ كما دَلَّ على ذلك السياقات والأشعار. وهكذا رَوَى ابنُ لهيعة، عن الأسود، عن عَزْوَة؛ أَنَّ أبرهةَ بَعَثَ الأسودَ بن مفضودٍ على كَتِيبَةٍ معهم الفيل، ولم يذكر قُدُومَ أبرهة نفسه. والصحيحُ قُدُومُهُ، ولعلَّ ابنَ مفضودٍ كان على مُقَدِّمة الجيش، والله أعلم. ثم ذكر ابنُ إسحاق شيئاً من أشعار العرب، فيما كان من قِصَّةِ أصحاب الفيل، فمن ذلك شعرُ عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا
لَمْ تُخْلَقِ الشَّعْرَى لِبَالِي حُرْمَتِ
سَائِلِ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى؟
سَيُثَوْنَ أَلْفًا لَمْ يُوْثُوا أَرْضَهُمْ
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمْ قَبْلَهُمْ
وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المزي:

وَمِنْ ضَنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْخُبُ
مَحَاجِثُهُمْ تَخْتِ أَقْرَابِهِ
وَقَدْ جَعَلُوا سَوْطَهُ مِقْوَلًا
فَوَلَّسَى وَأَذْبَرَ أَذْرَاجَهُ
فَارْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ خَاصِبًا
تَحْتُ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارَهُمْ
وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، ويروى

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بِآيَاتِ
خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَكُلُّ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٍ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُعَمَّسِ حَتَّى
لَازِمًا خَلَقَهُ الْجِرَانُ كَمَا قَطَرَ
حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كُنْذَةِ أَبْطَالٍ
خَلَفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُوا جَمِيعًا
كُلَّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ الْ

كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
إِذْ لَا عَزِيزٌ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
فَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِبَابِ سَقِيمُهَا
وَاللهُ مِنْ قَوِّ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا

ش؛ إِذْ كُلُّ مَا بَعَثُوهُ رَزَمَ
وَقَدْ شَرُمُوا أَتْفَهَ فَانْخَرَمَ
إِذَا يَمُمُّوهَ قَفَاهُ كُلِّمَ
وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمَ
يَلْفَهُمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْزَمِ
وَقَدْ تَأَجَّرُوا كَثُوجَ الْعَنَمِ
لَأَمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:

مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
مُسْتَبِينَ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
بِمِهَاءِ شُعَاعِهَا مَنَشُورُ
صَارَ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَغْفُورُ
مِنْ ظَهَرِ كَنْكَبٍ مَحْدُورُ
مَلَاوِيثُ فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
كُلُّهُمْ عَظْمٌ سَاقِهِ مَكْسُورُ
لَهُ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ، بُورُ

[٧٤٧٦] وقد قَدَّمْنَا فِي تَفْسِيرِ «سورة الفتح» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَطْلَعَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى الثَّنِيَّةِ الَّتِي تَهْبِطُ
بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ بَرَكْتَ نَافَتُهُ، فَزَجَرُوهَا فَالْتَحَتْ، فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ. أَي: حَزَنَتْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقِي، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ». ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي
الْيَوْمَ خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا». ثُمَّ زَجَرَهَا فَقَامَتْ^(١). وَالْحَدِيثُ مِنْ أَفْرَادِ الْبُخَارِيِّ.
[٧٤٧٧] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ
عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(٢).

آخر تفسير سورة الفيل، والله الحمد والمنة

(١) تقدم تخريجه في سورة الفتح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٣٤ ومسلم ١٣٥٥، وتقدم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

آيَاتُهَا
٤تَرْتِيبُهَا
١٠٦

وهي مكية

[٧٤٧٨] ذكر حديث غريب في فضلها. قال البيهقي في كتاب «الخلافيات»: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو، حدثنا أحمد بن عبيد الله الثوري، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شريحيل، حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال: «فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِلَالٍ: أَنِي مِنْهُمْ، وَأَنَّ الثَّبُوتَ فِيهِمْ، وَالْحِجَابَةُ وَالسَّقَايَةُ فِيهِمْ. وَأَنَّ اللهَ تَصَرَّهَمَ عَلَى الْفِيلِ، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ، وَأَنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِيهِمْ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ تلاها رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قُرَيْشٍ﴾ ① لِأَنَّهُمْ رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④﴾ ①».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قُرَيْشٍ﴾ ① لِأَنَّهُمْ رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④﴾

هذه السورة مفصلة عن التي قبلها في المصحف الإمام^(٢)، كَتَبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وإن كانت متعلقة بما قبلها، كما صرح بذلك محمد بن إسحاق، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لأن المعنى عندهما: حَبَسْنَا عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَأَهْلَكْنَا أَهْلَهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قُرَيْشٍ﴾ ①، أي: لا تتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين.

وقيل: المرأ بذلك ما كانوا يَأْلُقُونَهُ مِنَ الرَّحْلَةِ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي الْمَتَاجِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى بِلَادِهِمْ آمِينَ فِي أَسْفَارِهِمْ، لِعِظَمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ، لَكُونِهِمْ سَكَانَ حَرَمِ اللهِ، فَمِنْ

(١) ضعيف. أخرجه الحاكم ٥٣٦/٢ بهذا الإسناد، وقال: صحيح الإسناد! وتعقبه الذهبي بقوله: يعقوب - بن محمد الزهري - ضعيف، وإبراهيم - بن محمد - صاحب مناكير، وهذا الإسناد أخرجه الخطيب ١٩٥/٧ وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦٤٤٦ من حديث أم هانئ، وقال: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه اهـ. وورد عن سعيد بن المسيب مرسلًا أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٤٧٧ وقال: لا يصح، وهو مرسل. وعتيبة - بنت عبد الملك، مجهولة الحال، وإبراهيم التيمي ضعيف. وورد من حديث الزبير أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٦٤٤٧ وإسناده ضعيف فيه غير واحد من الضعفاء. وقال الهيثمي: فيه من ضعف، وثقهم ابن حبان اهـ والأشبه في هذا الوقف على بعض الصحابة، أو التابعين، والله تعالى أعلم.

(٢) أي مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جمع الناس عليه.

عَرَفَهُمْ احْتَرَمَهُمْ بَلْ مِنْ ضَرَىٰ إِلَيْهِمْ وَسَارَ مَعَهُمْ أَمِنْ بِهِمْ، وَهَذَا حَالُهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ وَرِحْلَتِهِمْ فِي شَتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ، وَأَمَّا فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْبِلَدِ فَكَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا بَيْنَنَا وَمَنْ بَيْنَهُمْ حَرَمًا مِّمَّنْ لَّيْلَتُهُمْ﴾ [المنكوت: ٦٧] ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ لِّلَّيْلِهِمْ﴾، بدل من الأول ومُفسَّر له. ولهذا قال تعالى: ﴿لِّلَّيْلِهِمْ رِحْلَةُ الْبَيْتِ وَالصَّيْفِ﴾.

وقال ابن جرير: الصواب أن «اللام» لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان متفصلتان مُستقلتان.

ثم أُرشدُهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أي: فليؤخِّدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً مُحَرَّماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ﴾، أي: هو رب البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع، ﴿وَأَمَّنَّهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾، أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليُفَرِّدوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نذاً ولا وثناً. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عَصَاهُ سَلَبَهُمَا مِنْهُ، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَعْتَمُونَ﴾ [النحل: ١١٢ - ١١٣].

[٧٤٧٩] وقد قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الْعَدَنِيُّ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلَ أُنْكُمْ قُرَيْشَ، لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ»^(١).

[٧٤٨٠] ثم قال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْمُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ الْحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنَا عَيْسَى - يَعْنِي ابْنَ يُونُسَ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ زَيْدٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ لِّلَّيْلِهِمْ رِحْلَةُ الْبَيْتِ وَالصَّيْفِ﴾، ويحكم يا معشر قُرَيْشَ، اعبدوا ربَّ هذا البيت، الذي أطعمكم من جوع وأمنكم من خوف»^(٢). هكذا رأيته عن «أسماء بنت زيد»، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها. فلعله وَقَعَ غَلَطٌ فِي النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.

آخر تفسير سورة لإيلاف قريش، والله الحمد والمنة

(١) أخرجه الطبراني ١٧٧/٢٤ - ١٧٨ بهذا الإسناد، وفيه لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ وهو ضعيف، وشهر بن حوشب غير قوي، وتوبع لَيْثُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ الْقَدَاحُ عِنْدَ أَحْمَدَ ٤٦٠/٦. وقال الهيثمي ١١٥٢٠: ابن أبي زياد وشهر، وقد وثقا، وفيهما ضعف. وبقية رجال أحمد ثقات. اهـ. قلت: القداح توبع، وأما شهر فقد قال أحمد: روى عن أسماء بنت يزيد أحاديث حسناً، فالحديث حسن على رأي الإمام أحمد، في حين قال ابن عدي: لا يحتج به، ولا يتدين بحديثه، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٢) تقدم مع ما قبله. والصواب من حديث أسماء، كما رواه أحمد. وليس لشهر بن حوشب رواية عن أسماء بن زيد، وقد ذكر السيوطي في «الدر» ٦٧٧/٦ كلا الطريقين، وقال: من حديث أسماء. والظاهر أن نسخة ابن أبي حاتم من تفسيره وقع فيها تصحيف، والله أعلم.



وهي مكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْإِيْمَةَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾، يا محمد ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾، وهو: المعاد والجزاء والثواب، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْإِيْمَةَ﴾، أي: هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقّه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْإِيْمَةَ﴾ ولا تحضون على طعام المسكين ﴿[الفجر: ١٧-١٨]، يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته. ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال ابن عباس وغيره: يعني المنافقين. الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر. ولهذا قال: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾، أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلفة، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدّر لها شرعاً، فيخرجها عن وقتها بالكلفة، كما قاله مسروق، وأبو الضحى. وقال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولم يقل: في صلاتهم ساهون. وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً. وإما عن أداؤها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها. فاللفظ يشمل هذا كله، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسّط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها، وكمل له الشفّاق العملي.

[٧٤٨١] كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فقتر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»^(١). فهذا آخر صلاة العَصْرِ التي هي الوسطى، كما ثبت به النص إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فقترها فقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً. ولهذا قال: «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً». ولعله إنما حمّله على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو إذا لم يصل بالكلفة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا

قِيلَا ﴿٢٧﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى ها هنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاكُونَ﴾ ﴿٢٨﴾.

[٧٤٨٢] وقال الطبراني: حَدَّثَنَا يحيى بن عبد الله بن عبدويه البغدادي، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوهاب بن عطاء، عن يُونُسَ، عن الحسن، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًا، تَسْتَعِيدُ جَهَنَّمَ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعِمِئَةِ مَرَّةٍ، أُعِيدَ ذَلِكَ الْوَادِي لِلْمَرَّاتَيْنِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ: لِحَامِلِ كِتَابِ اللَّهِ، وَلِلْمُصَدِّقِ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ، وَلِلْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَلِلخَارِجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

[٧٤٨٣] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عن عَمْرُو بن مُرَّةٍ قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ فَذَكَرُوا الرِّيَاءَ، فَقَالَ رَجُلٌ يُكْنَى بِأَبِي يَزِيدَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرٍو يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعَ خَلْقَهُ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ». وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَرَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرُو بن مُرَّةٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَهُ^(٢). وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاكُونَ﴾ ﴿٢٨﴾، أَنَّ مِنْ عَمَلِ عَمَلَاءِ اللَّهِ فَأُطْلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ رِيَاءً.

[٧٤٨٤] والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يَغْلَى الموصلي في مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا هَارُونَ بنُ معروف، حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بنُ بَشِيرٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: كُنْتُ أَصْلِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ، فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «كُتِبَ لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السَّرِّ، وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ»^(٣). قَالَ أَبُو عَلِيٍّ هَارُونُ بنُ معروفٍ: «بَلَّغْنِي أَنَّ ابْنَ الْمُبَارَكِ قَالَ: نَعَمْ الْحَدِيثُ لِلْمَرَّاتَيْنِ». وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَسَعِيدُ بنُ بَشِيرٍ مُتَوَسِّطٌ، وَرَوَاتُهُ عَنِ الْأَعْمَشِ غَرِيزَةٌ. وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْهُ.

[٧٤٨٥] قَالَ أَبُو يَغْلَى أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الْمُثَنَّى بنُ موسى، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَبُو سِنَانٍ، عَنْ حَبِيبِ بنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ يَسْرَهُ، فَإِذَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُ أَجْرَانِ، أَجْرُ السَّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ»^(٤). وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الْمُثَنَّى، وَابْنُ مَاجَهٍ عَنْ بَنْدَارٍ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ الشَّيْبَانِيِّ، وَاسْمُهُ: ضِرَارُ بنُ مُرَّةٍ. ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «غَرِيبٌ»، وَقَدْ رَوَاهُ الْأَعْمَشُ وَغَيْرُهُ، عَنْ حَبِيبِ [عَنْ أَبِي صَالِحٍ] مُرْسَلًا.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ ١٢٨٠٣. وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا. فَهُوَ مُنْقَطِعٌ. الْحَسَنُ هُوَ الْبَصْرِيُّ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ١٧٦٥٨: شَيْخُ الطَّبْرَانِيِّ يَحْيَى بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِوَيْهِ عَنْ أَبِيهِ، وَلَمْ أَعْرِفْهُمَا، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ! وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ أَيْضًا، فَهَاتَانِ عِلَّتَانِ تَوْجِبَانِ ضَعْفَ الْحَدِيثِ. وَقَالَ الْمُنْذَرِيُّ فِي «تَرْغِيبَةٍ» ٤١: رَفَعَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ غَرِيبًا، وَلَعَلَّهُ مُوقُوفٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَهْلَهُ. وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ٢٣٨٣ وَابْنُ مَاجَهٍ ٢٥٦ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا لِأَجْلِ عِمَارِ بنِ سَيْفٍ الصَّنِينِيِّ. وَكَذَا شَيْخُهُ سَلِيمَانُ بنُ أَرْقَمِ الْبَصْرِيُّ وَاهُ. وَوَرَدَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» كَمَا فِي «الْمَجْمَعِ» ١٨٥٨٥ وَأَعْلَهُ الْهَيْثَمِيُّ بِمُحَمَّدِ بنِ الْفَضْلِ بنِ عَطِيَّةٍ، وَأَنَّهُ جَمَعَ عَلَى ضَعْفِهِ. فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) فِيهِ رَاوٍ مُجْهُولٌ. لَكِنْ لِلْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ تَجْعَلُهُ صَحِيحًا. انْظُرْ «الْمَجْمَعُ» (٢٢٢/١٠) ١٧٦٦٠ - ١٧٦٦٧ وَغَيْرُهَا مِنَ الرِّوَايَاتِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَغْوِيُّ فِي «شَرْحِ السَّنَةِ» ٤١٤١ وَسَعِيدُ ضَعْفُهُ الْجُمْهُورُ.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ٢٣٨٤ وَابْنُ مَاجَهٍ ٤٢٢٦ وَالتَّيَالِسِيُّ ٢٤٣٠ وَابْنُ حِبَّانَ ٣٧٥ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، حَبِيبٌ مَدْلَسٌ، وَقَدْ عَنَمْنَا، وَالرَّاجِعُ الْإِسْرَافُ وَانْظُرْ «الضَّعِيفَةُ» ٤٣٤٤.

[٧٤٨٦] وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني أبو كريب، حدثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي، عن جابر الجعفي، حدثني رجل، عن أبي بزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، «الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا. هو الذي إن صلى لم يَزُجْ خَيْرَ صَلَاتِهِ، وإن تركها لم يَخَفْ رَيْه»^(١). فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مبهتم لم يسم، والله أعلم.

[٧٤٨٧] وقال ابن جرير أيضاً: حدثني زكريا بن أبان المصيري، حدثنا عمرو بن طارق، حدثنا عكرمة بن إبراهيم، حدثني عبد الملك بن عمير، عن مُصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»^(٢). قلت: وتأخير الصلاة عن وقتها يَحْتَمِلُ تركها بالكُلِّية، أو صلاحها بعد وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت. وكذا رواه الحافظ أبو يغلى عن شيبان بن فروخ، عن عكرمة بن إبراهيم، به. ثم رواه عن أبي الربيع، عن حماد عن عاصم، عن مُصعب، عن أبيه موقوفاً سهواً عنها حتى ضاع الوقت. وهذا أصح إسناداً، وقد ضَعَفَ البيهقي رَفَعَهُ وَصَحَّحَ وقفه وكذلك الحاكم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعِزُّونَ الْمَاعُونَ﴾^(٣)، أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما يَنْتَفَعُ به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرْبَاتِ أولى وأولى. وقد قال ابن أبي نجيج، عن مجاهد: قال علي: الماعون الزكاة. وكذا رواه السدي، عن أبي صالح، عن علي. وكذا زوي من غير وجه عن ابن عمر. وبه يقول محمد بن الحنفية، وسعيد بن جببر، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، وعطية العوفي، والزهرري، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. وقال الحسن البصري: إن صَلَّى راءى، وإن فاتته لم يَأْسَ عليها، ويمتنع زكاة ماله. وفي لفظ: صدقة ماله. وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون، ظَهَرَتِ الصلاة فصلوها، وخَفِيتِ الزكاة فَمَنَعُوهَا. وقال الأعمش وشعبة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار: أن أبا العبيد بن سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاوَرُهُ الناس بينهم من الفأس والقِدْر. وقال المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيد بن: أنه سأل ابن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم، من الفأس والقدر والدلو، وأشباه ذلك.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العبيد بن سعد بن عياض، عن عبد الله قال: كُتِبَ - أصحاب رسول الله ﷺ - تتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر، لا يستغنى عنهم. وحدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعد بن عياض يُحَدِّثُ عن أصحاب النبي ﷺ مثله. وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله: أنه سُئِلَ عن الماعون، فقال: ما يتعاوَرُ الناس بينهم: الفأس والدلو، وشبهه.

[٧٤٨٨] وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي الفلاس، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا أبو

(١) أخرجه الطبري ٣٨٠٥٥، وإسناده ضعيف جداً، له علتان: جابر هو ابن يزيد الجعفي ضعيف واتهمه أبو حنيفة، وفيه راوٍ لم يسم. ثم إن المتن غريب، والأشبه فيه الوقف والله أعلم.

(٢) الصحيح وقفه. أخرجه الطبري ٣٨٠٣٤ والطبراني ١٨٥٣، وقال الهيثمي ١١٥٢٤: فيه عكرمة بن إبراهيم، وهو ضعيف جداً اهـ وقد رواه حماد موقوفاً كما هو الآتي. والله أعلم.

عَوَانة، عن عاصم بن بهذلة، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ وَنَحْنُ نَقُولُ: المَاعُونُ، مَنْعُ الدُّلُوِّ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ^(١).

[٧٤٨٩] وقد رواه أبو داود والنسائي، عن قُتَيْبَةَ، عن أَبِي عَوَانَةَ بِإِسْنَادِهِ، نحوه. وَلَفْظُ النَّسَائِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، كُنَّا نَعُدُّ المَاعُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَارِيَةً الدُّلُوِّ وَالْقِدْرِ^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَفَّانٌ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: المَاعُونُ: العَوَارِي، القِدْرُ والمِيزَانُ، والدُّلُوُّ. وقال ابنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾^(٣)، يعني متاع البيت. وكذا قال مجاهد، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبيرة، وأبو مالك، وغير واحد: إنها العارية للأمتعة. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾^(٤)، قال: لم يَجِءْ أَهْلُهَا بَعْدُ. وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾^(٥)، قال: اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ. ومنهم من قال: يَمْنَعُونَ الطَّاعَةَ، ومنهم من قال: يَمْنَعُونَ العَارِيَةَ. رواه ابن جرير. ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُثَيْبَةَ، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: المَاعُونُ مَنْعُ النَّاسِ الْفَاسِ وَالْقِدْرَ والدُّلُوَّ. وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المُنْخُلُ والدُّلُوُّ والإِبْرَةُ. رواه ابن أبي حاتم. وهذا الذي قاله عكرمة حَسَنٌ؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، ويرجع كلها إلى شيء واحد، وهو تركُ المعاونة بمال أو منفعة، ولهذا قال محمد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾^(٦)، قال: المعروف.

[٧٤٩٠] ولهذا جاء في الحديث: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»^(٧).

وقال ابنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾^(٨)، قال: بِلِسَانِ قُرَيْشٍ الْمَالُ.

[٧٤٩١] وَرَوَى هَذَا حَدِيثاً غَرِيباً فِي إِسْنَادِهِ وَمَتْنِهِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو زُرْعَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا قَيْسُ ابْنِ خَفْصٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا دَلْهَمُ بْنُ دَهْثَمٍ الْعِجْلِيُّ، حَدَّثَنَا عَائِذُ بْنُ رَبِيعَةَ النَّمِيرِيُّ، حَدَّثَنِي قُرَّةُ بْنُ دُعْمُوصٍ النَّمِيرِيُّ: أَنَّهُمْ وَفَدُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «لَا تَمْنَعُوا المَاعُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا المَاعُونَ؟ قَالَ: «فِي الْحَجَرِ، وَفِي الْحَدِيدَةِ، وَفِي الْمَاءِ». قَالُوا: فَأَيُّ الْحَدِيدَةِ؟ قَالَ: «قُدُورُكُمْ النَّحَاسُ، وَحَدِيدُ الْفَاسِ الَّذِي تَمْتَهِنُونَ بِهِ». قَالُوا: مَا الْحَجَرُ؟ قَالَ: «قُدُورُكُمْ الْحَجَارَةُ»^(٩). غَرِيبٌ جَدًّا، وَرَفَعَهُ مَتَكَّرًا، وَفِي إِسْنَادِهِ مَنْ لَا يَعْرِفُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٧٤٩٢] وقد ذكر ابنُ الأثير في الصحابة ترجمة «علي النَمِيرِي»، فقال: رَوَى ابْنُ قَانِعٍ بِإِسْنَادِهِ إِلَى

(١) أخرجه الطبري ٣٨١٣٠ وله حكم الرفع، وكذا ما بعده، لقوله «على عهد رسول الله» والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٥٧ والنسائي في «التفسير» ٧٢١، والبخاري ٢٢٩٢ وإسناده حسن.

(٣) تقدم.

(٤) ضعيف. فيه دَلْهَمُ بْنُ دَهْثَمٍ. قال الذهبي في «الميزان» ٢٦٧٩: تكلم فيه. ولم يترك. وقال الأزدي: يتكلمون فيه أهد وشيخه عائذ وثقه ابن حبان، وقيس بن خفص الدارمي، وثقه ابن حبان أيضاً على قاعدته، وقرة بن دُعْمُوصٍ مذكور في الصحابة. انظر الإصابة ٣/٢٢٣/٧١٠٣ فالإسناد ضعيف، والمتن غريب كما ذكر ابن كثير، والله تعالى أعلم.

عائذ بن ربيعة بن قيس النميري، عن علي بن فلان التميمي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، إِذَا لَقِيَهِ حَيَّاهُ بِالسَّلَامِ، وَبَرَّذُ عَلَيْهِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، لَا يَمْنَعُ الْمَاعُونُ». قلت: يا رسول الله! ما الماعون؟ قال: «الْحَجَرُ وَالْحَدِيدُ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ»^(١).

آخر تفسير سورة الماعون، والله الحمد والمنّة

(١) ضعيف. ذكره الحافظ في الإصابة ٥١١/٢/٥٦٩٥ في ترجمة علي النميري، وقال: قال الدارقطني: له صحبة. وروى ابن قانع.. فذكر هذا الحديث. وتويع فيه دُلهَم بن دُهَم لكن من فوقه مجاهيل والله تعالى أعلم.



مدينة، وقيل مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

[٧٤٩٣] قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن قلفل، عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ، فرفع رأسه متبسمًا، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت عليّ آية سورة». فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾﴾، حتى ختمها قال: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول: يا رب! إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك!»^(١). هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي، وهذا السياق.

[٧٤٩٤] وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة: أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر، وأن عليه آية عدد نجوم السماء^(٢).

[٧٤٩٥] وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي، من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر، كلاهما عن المختار بن قلفل، عن أنس، ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟! قال: «أنزلت عليّ آية سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾». ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - عليه خير كثير، [و] هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته عدد النجوم في السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب! إنه من أمتي. فيقول: إنك ما تدري ما أحدث بعدك!»^(٣)

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة، وأنها منزلة معها. فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾﴾، فقد تقدم في هذا الحديث: أنه نهر في الجنة.

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١٠٢/٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٧٤٩ وأحمد ٤/٤٢٤ وعبد الرزاق ٢٠٨٥٢ وابن حبان ٦٤٥٨ من حديث أبي بزة وهو صحيح، وله شواهد.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٤٠٠ وأبو داود ٧٨٤ والنسائي ١٣٣/٢ - ١٣٤.

[٧٤٩٦] وقد رَوَاهُ الإمام أحمد من طريق أخرى، عن أنس فقال: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي، وَلَمْ يُشَقَّ شَقًّا، وَإِذَا حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ، فَضْرِبُ بِيَدِي فِي تَرْتِهِ، فَإِذَا مِسْكَةٌ ذَفْرَةٌ، وَإِذَا خَصَاءُ اللَّوْلُؤِ»^(١).

[٧٤٩٧] وقال الإمام أحمد أيضاً: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ حَمِيدٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَتَاهُ اللَّوْلُؤُ، فَضْرِبُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟! قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

[٧٤٩٨] وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا عُرِّجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجَوَّفَةِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟! قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ»^(٣). وهذا لفظ البخاري، رحمه الله.

[٧٤٩٩] وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ أَبِي نَمْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَضَى بِهِ جَبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَذَهَبَ يَشُمُّ تَرَابَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، قَالَ: «يَا جَبْرِيلُ! مَا هَذَا النَّهْرُ؟» قَالَ: هُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ^(٤). وقد تقدّم في حديث الإسراء في سورة «شُبْحَانَ»، مِنْ طَرِيقِ شَرِيكَ عَنْ أَنَسٍ، وَهُوَ مُخْرَجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

[٧٥٠٠] وقال سعيد، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ، مُجَوَّفٌ، فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ. وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِهِ فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمِسْكَ»^(٥). وكذا رواه سليمان بن طرخان، ومعمّر وهَمَامٌ وَغَيْرُهُمْ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهِ.

[٧٥٠١] وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْعَبَّاسُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ، تَرَابُهُ مِسْكٌ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، تَرَدُّهُ طَيْرُ أَعْنَاقِهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزْرِ». فقال أبو بكر: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهَا لِنَاعِمَةٌ؟ قَالَ: «أَكَلُهَا أَنْعَمَ مِنْهَا»^(٦).

[٧٥٠٢] وقال أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْخَزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: «نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، لَهُوْ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طَيِّبُورٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزْرِ»، قَالَ عُمَرُ: يَا

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١٥٢/٣ وإسناده على شرط مسلم.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ١٠٣/٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٦٤.

(٤) تقدم تخريجه في سورة الإسراء.

(٥) صحيح. أخرجه الطبري ٣٨١٧٠ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٦) جيد. أخرجه الطبري ٣٨١٧٤ وإسناده قوي، وتقدم.

رسول الله! إنها لناعمة؟ قال: «أَكَلْهَا أَتَعْمَ مِنْهَا يَا عُمَرُ؟» . وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، مِنْ حَدِيثِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكَوْثَرِ... فَذَكَرَ مِثْلَهُ سَوَاءً.

[٧٥٠٣] وقال البخاري: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْكَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا لَكَ الْكَوْثَرَ ۝﴾ ، قَالَتْ: نَهْرٌ أُعْطِيَهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آتِيَتْهُ كَعْدَدُ النُّجُومِ. ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: «رَوَاهُ زَكْرِيَا وَأَبُو الْأَخْوَصِ وَمُطَرِّفٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ». وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ طَرِيقِ مُطَرِّفٍ، بِهِ.

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سَفْيَانَ وَإِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ. وَقَالَ إِسْرَائِيلُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَةِ عَدَدُ نَجُومِ السَّمَاءِ. وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ شَمِيرِ بْنِ عَطِيَّةٍ، عَنْ شَقِيقٍ أَوْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ! حَدَّثَنِي عَنِ الْكَوْثَرِ. قَالَتْ: نَهْرٌ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ، قُلْتُ: وَمَا بَطْنَانِ الْجَنَّةِ؟ قَالَتْ: وَسَطُهَا، حَافَتَاهُ قُصُورُ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، تُرَابُهُ الْمَسْكُ، وَخَضْبَاهُ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ. وَحَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَسْمَعَ خَرِيرَ الْكَوْثَرِ، فَلْيَجْعَلْ إصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ. وَهَذَا مُنْقَطِعٌ بَيْنَ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ وَعَائِشَةَ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: عَنْ رَجُلٍ، عَنْهَا، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ يَسْمَعُ تَغْيِيرَ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ يَسْمَعُهُ نَفْسُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٧٥٠٤] قَالَ السَّهْلِيُّ: وَرَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ مَرْفُوعاً، مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (٤).

ثم قال البخاري: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنْ نَاسَأَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. وَرَوَاهُ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ هُشَيْمٍ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ يُعْمُ النَّهْرُ وَغَيْرُهُ، لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثْرَةِ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرَمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَمُحَارِبُ بْنُ دِينَارٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ. حَتَّى قَالَ مَجَاهِدٌ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: هُوَ الثُّبُوءُ وَالْقُرْآنُ، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ. وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فُسِّرَ بِالنَّهْرِ أَيْضاً، فَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ دَهَبٌ وَفِضَّةٌ، يَجْرِي عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْدُرِّ،

(١) جيد . أخرجه أحمد ٣/ ٢٢١ والطبري ٣٨١٧٧ وإسناده جيد، وكذا جوده المنذري في «الترغيب» ٥٥٠٦.

(٢) صحيح . أخرجه البخاري ٤٩٦٥ والنسائي في «التفسير» ٧٢٥.

(٣) وإه بكرة ، ومع انقطاعه فيه أبو جعفر الرازي عيسى بن أبي عيسى، وهو ضعيف، روى مناهير كثيرة.

(٤) منكر جداً . مالك بن مغول فمن فوقه رجال البخاري ومسلم . وهذا دليل على بطلانه، فلو كان عند مالك بن مغول بهذا الإسناد لرواه أصحاب الكتب المعتمدة . والظاهر أنه من وضع أحد الرواة ممن دون مالك ابن مغول، ولم يسق المصنف إسناده، وللدارقطني كتاب «الأفراد» والظاهر أنه رواه فيه، فلينظر، وأياً كان فالنن منكر جداً لا يصح حتى موقوفاً، والله تعالى أعلم.

ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل. وَرَوَى الْعَوْفِيُّ، عن ابن عباس، نَحْوَ ذَلِكَ.

وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا هُثَيْمٌ، أَخْبَرَنَا عطاء بن السائب، عن مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عن ابن عُمر أنه قال: الكوثر نهر في الْجَنَّةِ، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل. وكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء بن السائب به مثله موقوفاً.

[٧٥٠٥] وقد روي مرفوعاً، فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص، حدثنا ورقاء قال: وقال عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(١). وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم وابن جرير، من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، به مرفوعاً. وقال الترمذي: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٧٥٠٦] وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ، أَخْبَرَنَا عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جببر في الكوثر؟ قلت: حَدَّثَنَا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدق، والله إنه للخير الكثير، ولكن حَدَّثَنَا ابْنُ عمر قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﷻ، قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافته من ذهب، يجري على الدر والياقوت»^(٢).

[٧٥٠٧] وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي ابْنُ الْبَرَقِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْزَمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ، أَخْبَرَنِي حَرَامُ بْنُ عَثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَسَمَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمًا فَلَمْ يَجِدْهُ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ - وَكَانَتْ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ - فَقَالَتْ: خَرَجَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْفًا عَامِدًا نَحْوَكُمْ، فَأَظَنَّهُ أَخْطَاكُمْ فِي بَعْضِ أَزْقَةِ بَنِي النَّجَّارِ، أَوْ لَا تَدْخُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَدَخَلَ، فَقَدِمَتْ إِلَيْهِ حَيْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَيْنَا لَكَ وَمَرِيئًا، لَقَدْ جِئْتَ وَأَنَا أَرِيدُ أَنْ آتِيَكَ فَأَهْنِيكَ وَأَمْرِيكَ؛ أَخْبَرَنِي أَبُو عَمْرَةَ أَنَّكَ أُعْطِيتَ نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ يُدْعَى الْكَوْثَرُ. فقال: «أَجَل، وَعَرَضُهُ - يَعْنِي أَرْضُهُ - ياقوت ومرجان، وَزَبَرَجْدٌ وَلَوْلُؤٌ»^(٣). حَرَامُ بْنُ عَثْمَانَ ضَعِيفٌ. ولكن هذا سياق حسن، وقد صح أصل هذا، بل قد تواتر من طريق تقييد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض. وهكذا روي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد، وغير واحد من السلف: أَنَّ الْكَوْثَرَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. وقال عطاء: هو حوض في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَغْصِرْ﴾ ﷻ، أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي صَلَّيْتُ وَأَسْكَيْتُ وَنَحَايْتُ وَمَتَّعْتُ يَوْمَ رَبِّ الْكَافِرِينَ﴾ ﷻ لَا شَرِيكَ لَكَ وَلِيَدَاكَ أَمْرٌ وَأَنَا أَوَّلُ الْكَافِرِينَ ﷻ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البذن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، والربيع،

(١) أحسن. أخرجه الترمذي ٣٣٦١ وابن ماجه ٤٣٣٤ والطيالسي ٢٨١١ و ٢٨١٢ وأحمد ٦٧/٢ وفيه عطاء اختلط، لكن للحديث شواهد.

(٢) حسن. أخرجه الطبري ٣٨١٨١ وعطاء اختلط، لكن للحديث شواهد.

(٣) أخرجه الطبري ٣٨١٨٣، وضعفه ابن كثير بحرام بن عثمان، وحسن سياقه، أي لأن أحاديث الحوض متواترة، والله أعلم.

وعطاء الخراساني، والحكم، وإسماعيل بن أبي خالد، وغير واحد من السلف. وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا﴾. الآية. وقيل: المراد بقوله: ﴿وَأَنْحَرْ﴾: وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يروى هذا عن علي، ولا يصح، وعن الشعبي مثله. وعن أبي جعفر الباقر: ﴿وَأَنْحَرْ﴾، يعني: أرفع اليدين عند افتتاح الصلاة. وقيل: ﴿وَأَنْحَرْ﴾، أي: استقبل بفتحك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

[٧٥٠٨] وقد روى ابن أبي حاتم ما هنا حديثاً منكراً جداً. فقال: حدثنا وهب بن إبراهيم القامي - سنة خمس وخمسين ومئتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم المزوي، حدثنا مقاتل بن حيان، عن الأصمغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، قال رسول الله: «يا جبريل! ما هذه التحجيرة التي أمرني بها ربي؟» فقال: ليست بتحجيرة، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة، أرفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع، وإن لكل شيء زينة، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة^(١). وهكذا رواه الحاكم في المستدرک، من حديث إسرائيل بن حاتم، به. وعن عطاء الخراساني: ﴿وَأَنْحَرْ﴾، أي: أرفع ضلباك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرک، يعني به الاعتدال. رواه ابن أبي حاتم. وكل هذه الأقوال غريبة جداً. والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك.

[٧٥٠٩] ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العبد ثم ينحر نُسكه ويقول: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَنَسَكْ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسْكَ. وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلَا نُسْكَ لَهُ». فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله! إني نسكت شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم. قال: «شأتك شاة لحم». قال: فإن عندي عناقاً هي أحب إلي من شاتين، أفجزئني عني؟ قال: «تجزئك، ولا تجزئ أحداً بعدك»^(٢).

قال أبو جعفر بن جرير: «والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلواتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك تحرك اجعله له دون الأوثان؛ شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كفاء له، وخضك به». وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعب القرظي، وعطاء. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾، أي: إن مغيضك - يا محمد - ومغيض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والثور المبين، هو الأبتَرُ الأقل الأذل المنقطع ذكره. قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل.

وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول:

(١) إسناده ضعيف جداً، والمتن باطل. أخرجه الحاكم ٥٣٨/٢ وابن حبان في «المجروحين» ١٧٧/١ وابن الجوزي في «الموضوعات» ٩٨ - ٩٩. سكت عليه الحاكم! وقال الذهبي: إسرائيل صاحب عجائب، لا يعتمد عليه. وأصمغ شيعي متروك عند النسائي. اهـ وهذا تساهل من الذهبي رحمه الله، فكلاهما متهم بالكذب، وليس بالضعف فقط. قال ابن حبان: إسرائيل بن حاتم يروي عن مقاتل بن حيان الموضوعات، وعن غيره الأوابد والطامات. وهذا الخبر يرويه عمر بن صبح، وعمر يضع الحديث، فظفر به إسرائيل، فحدث به اهـ. وأصمغ بن نباتة نقل الذهبي نفسه في «الميزان» ١٠١٤ عن أبي بكر بن عياش قوله فيه: كذاب، واتهمه ابن حبان اهـ وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٩٥٥ ومسلم ١٩٦١ ح ٧ وأبو داود وابن حبان ٥٩١٠ والبيهقي ٢٨٣/٣ من حديث البراء.

دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ، فَإِذَا هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ. وَقَالَ شَمِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ: نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضاً، وَعِكْرَمَةُ: نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ. وَقَالَ الْبِزَارُ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْحَسَنِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ سَيِّدُهُمْ أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُصَنَّبِ الْمُتَنَبِّئِ مِنْ قَوْمِهِ؟ يَزْعَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجَّاجِجِ، وَأَهْلُ السَّدَانَةِ وَأَهْلُ السَّقَايَةِ. فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ. قَالَ: فَتَنَزَّلَتْ: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. هَكَذَا رَوَاهُ الْبِزَارُ، وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. وَعَنْ عَطَاءٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ، وَذَلِكَ حِينَ مَاتَ ابْنُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَهَبَ أَبُو لَهَبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ: بُتِرَ مُحَمَّدٌ اللَّيْلَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ. وَعَنْهُ ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ﴾، يَعْنِي: عَدُوُّكَ. وَهَذَا يَعْنِي جَمِيعَ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ مِنْ ذُكْرِ وَغَيْرِهِمْ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: الْأَبْتَرُ: الْفَرْدُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانُوا إِذَا مَاتَ ذَكَوْرُ الرَّجُلِ قَالُوا: بُتِرَ. فَلَمَّا مَاتَ أَبْنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: بُتِرَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْأَبْتَرَ الَّذِي إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَتَوَهَّمُوا لَجَهْلِهِمْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَثُوهُ يَنْقَطِعُ ذِكْرُهُ، وَحَاشَا وَكَلَّا، بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعَهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْأَبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ.

آخر تفسير سورة الكوثر، والله الحمد والمنة



وهي مكية

[٧٥١٠] ثَبِتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ، وَبِـ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فِي رَكْعَتَيْ الطُّوَافِ^(١).

[٧٥١١] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُرْزُوقَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ^(٢).

[٧٥١٢] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَالرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ، بَضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً - أَوْ: بَضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً - «قُلْ يَتَّيَبُ الْكَافِرُونَ»، وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^(٣).

[٧٥١٣] وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَمَقَتْ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ - أَوْ: خَمْسًا وَعِشْرِينَ - مَرَّةً، يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ بِـ «قُلْ يَتَّيَبُ الْكَافِرُونَ» وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^(٤).

[٧٥١٤] وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ - هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الزُّبَيْرِيُّ - حَدَّثَنَا سُفْيَانُ - هُوَ الثَّوْرِيُّ - عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَمَقَتْ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ: «قُلْ يَتَّيَبُ الْكَافِرُونَ» وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^(٥). وَكَذَا رَوَاهُ الثُّرَيْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَةٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيِّ، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

[٧٥١٥] وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثٍ «أَنَّهَا تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ»، وَ «إِذَا دُرِّزَتْ» تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ^(٦).

[٧٥١٦] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ قُرْظَةَ ابْنِ نَوْفَلٍ - هُوَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ - عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «هَلْ لَكَ فِي رَبِّيبَةٍ لَنَا تَكْفُلُهَا؟» قَالَ: أَرَاهَا زَيْنَبَ.

(١) صحيح. هو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ١٢١٨ ح ١٤٧ وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٧٢٦ ح ٩٨.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٢٤/٢ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٩٥/٢ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٥) صحيح. أخرجه الترمذي ٤١٧ وابن ماجه ١١٤٩ وأحد ٩٤/٢ والنسائي ١٠٦٤ وإسناده على شرطهما.

(٦) تقدم تخريجه في الزلزلة.

قال: ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها، قال: «ما فعلت الجارية؟» قال: «تركتها عند أمها». قال: «فمجيء ما جاء بك؟» قال: «جئت لنعلمني شيئاً أقوله عند منامي». قال: «اقرأ ﴿قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ﴾»، ثم نَمَّ على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك^(١). تفرد به أحمد.

[٧٥١٧] وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو القطراني، حدثنا محمد بن الطفيل، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن جبلة بن حارثة - وهو أخو زيد بن حارثة - أن النبي ﷺ قال: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: ﴿قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ﴾ حتى تمر بأخوها، فإنها براءة من الشرك^(٢)».

[٧٥١٨] وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن قزوة بن نوفل، عن الحارث بن جبلة قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: «إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ: ﴿قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ﴾»، فإنها براءة من الشرك^(٣).

[٧٥١٩] وروى الطبراني من طريق شريك، عن جابر، عن مغفل الزبيدي، عن عباد بن أخضر أو أحمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ﴾ حتى يَخْتِمَهَا^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ ۝ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ (٢) وَلَا أَنْتَ عَبدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ (٤) وَلَا أَنْتَ عَبدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ (٦)﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قُلْ يَتَّابِئُ الْكَافِرُونَ ۝ (١)﴾، شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ (٢)﴾. يعني من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَا أَنْتَ عَبدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٣)﴾، وهو الله وحده لا شريك له. ف «ما» ها هنا بمعنى «من». ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ (٤) وَلَا أَنْتَ عَبدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٥)﴾، أي: ولا أعبد عبادتكم، أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه. ولهذا قال: ﴿وَلَا أَنْتَ عَبدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ (٥)﴾، أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿لَنْ يَنصُرَكَ إِلَّا أَلْفٌ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْفُلْهُنُ﴾ [النجم: ٢٣]، فتنبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بُدَّ له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة

(١) جيد. أخرجه أحمد ٤٥٦/٥ وأبو داود ٥٠٥٥ والترمذي ٣٤٠٣ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٢) حسن. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٩٨٩ و «الكبير» ٢١٩٥ وقال الهيثمي ١٧٠٣٣: رجاله وثقوا. قلت: شريك فيه كلام، لكن يشهد لأصل حديثه ما قبله.

(٣) إسناده حسن في الشواهد لأجل شريك. ولم أره في «المسند» ولا ذكره صاحب «المجمع»، فالحق أعلم.

(٤) أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١٧٠٣٢. وقال الهيثمي في «المجمع»: فيه يحيى الحماني، وجابر الجعفي، وكلاهما ضعيف، وأخرجه البزار ٣١١٣ من حديث خباب لكن فيه جابر - بن يزيد الجعفي - وهو ضعيف كما تقدم.

الإسلام «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، أي: لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم ياذن بها الله. ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١)، كما قال تعالى: ﴿لَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيقُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمَا أَصْنَعُ﴾ (٤١) [يونس: ٤١]. وقال: ﴿لَا أَصْنَعُ وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال البخاري: يقال لكم دينكم الكفر، ولي دين الإسلام. ولم يقل «ديني» لأن الآيات بالثون، فحذف الياء، كما قال: ﴿فَهَوَّ يَهْدِينُ﴾، و ﴿يُشْفِينِ﴾، وقال غيره: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١) «الآن، ولا أجيئكم فيما بقي من عمري، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٢)، وهم الذين قال: ﴿وَلَا يَزِيدُكُمْ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أُزِيلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُفَيْنًا وَكَفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]. انتهى ما ذكره. ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد، كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٣) «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» [الانشراح: ٥-٦]، وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٤) «لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ» [التكاثر: ٦-٧]. وحكاها بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتيبة، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال: أولها ما ذكرناه أولاً. الثاني: ما حكاها البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» في الماضي «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» (٤) «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» في المستقبل، الثالث: أن ذلك تأكيد محض.

وتم قول رابع، نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) «نفي الفعل لأنها جملة فعلية»، «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» (٤)، نفي قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الاسمية أكد فكانه نفي الفعل، وكونه قابلاً لذلك. ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً. وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم. وقد استدلل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١)، على أن الكفر كله ملة واحدة، فَوَرَّثَ اليهود من النصارى، وبالعكس؛ إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به؛ لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان. وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس.

[٧٥٢٠] لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى» (١).

آخر تفسير سورة «قل يا أيها الكافرون»، والله الحمد والمنّة



وهي مدنية

[٧٥٢١] قد تقدم «أنها تعدل رُبْع القرآن، و ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل رُبْع القرآن»^(١).

[٧٥٢٢] وقال النسائي: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا جعفر، عن أبي العُميس (ح) - وأخبرنا أحمد بن سليمان - حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العُميس عن عبد المجيد بن سهيل، عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُبَيْة قال: قال لي ابن عباس: يابن عُبَيْة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت^(٢).

[٧٥٢٣] ورَوَى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي، من حديث مُوسَى بن عُبَيْدَةَ الرُّبَيْذِيِّ، عن صَدَقَةَ ابن يسار، عن ابن عُمر قال: أنزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القُضواء فُرِجِلت، ثم قام فخطب الناس... فذكر خطبته المشهورة^(٣).

[٧٥٢٤] وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عَبْدِان، أخبرنا أحمد بن عُبَيْد الصنفار، حدثنا الأسفاطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عُبَادُ بن القوام، عن هلال بن خُبَاب، عن عكرمة، عن ابن عَبَّاس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال: «إنه قد نُعِيَتْ إلي نفسي». فبكيت ثم ضجكت، وقالت: أخبرني أنه نُعِيَتْ إليه نفسه فبكيت، ثم قال: «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي». ففَضَّجْتُ^(٤). وقد رَوَاهُ النسائي، كما سيأتي، بِدُونِ ذِكْرِ فَاطِمَةَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ تَوَّابٌ ③

[٧٥٢٥] قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن

(١) تقدم إلا أنه لم يصح.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٢٤ ح ٢١ والنسائي في «التفسير» ٧٣٣.

(٣) أخرجه البيهقي ١٥٢/٥، وفيه موسى بن عبيدة الرُّبَيْذِيِّ، وهو ضعيف الحديث.

(٤) أخرجه الطبراني ١١٩٠٧ والأوسط ٨٨٧ بهذا الإسناد، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤٢٤٢: رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة، وفيه ضعف اهـ. فالإسناد غير قوي. والله أعلم.

جُبَيْر، عن ابن عباس قال: كان عُمَرُ يُدْخِلُنِي مع أشياخِ بَذْرٍ، فكانَ بعضهم وَجَدَ في نَفْسِهِ، فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنا ولنا أبناءُ مثله؟ فقال عُمَرُ: إنه ممن عَلِمْتُمْ. فدعاهم ذاتَ يومٍ فادخلَهُ معهم، فما رُئِيتُ أَنه دعاني فيهم يومئذٍ إِلَّا ليربِّهم. فقال: ما تقولون في قولِ الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾؟ فقال بعضهم: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ الله ونستغفِرَه إذا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا. وَسَكَتَ بعضهم فلم يَقُلْ شيئاً، فقال لي: أَكْذَاكَ تقولُ يابنِ عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أَجَلُ رسولِ الله ﷺ أَغْلَمَهُ له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ فذلك علامةُ أَجْلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا ۖ﴾. فقال عُمَرُ بن الخطاب: لا أعلمُ منها إِلَّا ما تقولُ^(١): تَفَرَّدَ به البخاري. وروى ابنُ جرير، عن مُحَمَّد بن حُمَيد، عن مِهْرَانَ، عن الثوري، عن عاصم، عن أَبِي رَزِين، عن ابنِ عباس.. فذكر مثل هذه القصة، أو نحوها.

[٧٥٢٦] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن فَضِيل، حَدَّثَنَا عطاء، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابنِ عباس قال: لما نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾، قال رسولُ الله ﷺ: «نُعِيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي»، بأنَّه مقبوضٌ في تلك السنة^(٢)، تَفَرَّدَ به أحمد. وَرَوَى العَوْفِيُّ، عن ابنِ عباس، مثله. وهكذا قال مجاهدٌ، وأبو العالية، والضحاك، وغيرُ واحد: إنها أَجَلُ رسولِ الله ﷺ نُعِيَّ إليه.

[٧٥٢٧] وقال ابنُ جرير: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيل بن موسى، حَدَّثَنَا الحُسَيْن بن عيسى الحَنَفِيُّ، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن أَبِي حازِم، عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: بينما رسولُ الله ﷺ في المدينة إِذ قال: «الله أكبر، الله أكبر! جاء نصرُ الله والفتحُ، جاء أَهْلُ اليَمَنِ». قيل: يا رسولَ الله! وما أَهْلُ اليَمَنِ؟ قال: «قومٌ رقيقةٌ قلوبُهُم، لَيِّنَةٌ طِبَاعُهُم، الإِيْمَانُ يَمَانٍ، والْفَقْهُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»^(٣). ثم رَوَاهُ عن ابنِ عبدِ الأعلى، عن ابنِ ثَوْرٍ، عن معمر، عن عكرمة مرسلاً.

[٧٥٢٨] وقال الطبراني: حَدَّثَنَا زكريا بن يحيى، حَدَّثَنَا أَبُو كَامِل الجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَّانَةَ، عن هلال بن خَبَّاب، عن عكرمة، عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: لما نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾، حتى خَتَمَ السُّورَةَ، قال: نُعِيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسُهُ حينَ نَزَلَتْ، قال: فأخذَ بأشدَّ ما كانَ قُطُّ اجتهاداً في أمرِ الآخِرَةِ، وقال رسولُ الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتحُ ونصرُ الله، وجاء أَهْلُ اليَمَنِ». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! وما أَهْلُ اليَمَنِ؟ قال: «قومٌ رقيقةٌ قلوبُهُم، لَيِّنَةٌ قلوبُهُم، الإِيْمَانُ يَمَانٍ، والْفَقْهُ يَمَانٍ»^(٤).

[٧٥٢٩] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا وكيعٌ، عن سفيانَ، عن عاصم، عن أَبِي رَزِين، عن ابنِ عباس قال: لما نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾، عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قَدْ نُعِيْتُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فقيل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾، السُّورَةُ كُلُّهَا^(٥).

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٧٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٧/١، وفيه عطاء بن السائب، وهو صدوق إلا أنه اختلط، والراجح في لفظ «نُعيت».. أنه من قول ابن عباس كما اشتهر عنه ذلك، انظر ما بعده.

(٣) أخرجه الطبري ٣٨٢٣٠ وأبو يعلى ٢٥٠٥ والبخاري ٢٨٣٧. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٦٦٢٢: فيه الحسين بن عيسى الحنفي، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور. اهـ.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١١٩٠٣ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤٢٤١: وزاد «والحكمة يمانية» وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه أحمد ٣٤٤/١ وإسناده حسن لأجل عاصم، وهو ابن بهذلة.

[٧٥٣٠] حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي زُرَّيْنٍ: أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١)، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ تُعَيِّتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ (٢).

[٧٥٣١] وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْوُكَيْعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، عَنْ أَبِي الْعَظْمِيسِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ جَمِيعًا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٣).

[٧٥٣٢] وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِنِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٤)، قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ: النَّاسُ حَيْرٌ، وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَيْرٌ. وَقَالَ: لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ». فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: كَذَبْتَ. وَعِنْدَهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَاعِدَانِ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَوْ شَاءَ هَذَا لِحَدَّثَاكَ، وَلَكِنْ هَذَا يَخَافُ أَنْ تَنْزَعَهُ عَنْ عِرَافَةِ قَوْمِهِ، وَهَذَا يَخْشَى أَنْ تَنْزَعَهُ عَنِ الصَّدَقَةِ. فَرَفَعَ مَرْوَانُ عَلَيْهِ الدَّرَّةَ لِيُضْرِبَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَا: صَدَقَ (٥). تَقَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ مَرْوَانُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ.

[٧٥٣٣] فَقَدْ ثَبِتَ مِنْ وَرَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ: «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَلَكِنْ إِذَا اسْتَفْتَرْتُمْ فَانْفِرُوا» (٦). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا.

فَالَّذِي قَسَرَ بِهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ جُلُسَاءِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - مِنْ أَنَّهُ قَدْ أُمِرْنَا إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونُ أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنُشْكِرَهُ وَنُسَبِّحَهُ، يَعْنِي: نُصَلِّيَ لَهُ وَنُسْتَغْفِرَهُ - مَعْنَى مَلِيحٍ صَحِيحٍ، وَقَدْ ثَبِتَ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَقَتِ الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ (٧)، فَقَالَ قَائِلُونَ: هِيَ صَلَاةُ الضُّحَى. وَأُجِيبُوا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوَاطِبُ عَلَيْهَا، فَكَيْفَ صَلَّاهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَقَدْ كَانَ مُسَافِرًا لَمْ يَتَوَّأِ الْإِقَامَةَ بِمَكَّةَ؟ وَلِهَذَا أَقَامَ فِيهَا إِلَى آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ قَرِيبًا مِنْ تِسْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا يَقْصِرُ الصَّلَاةَ وَيُقِيطِرُ هُوَ وَجَمِيعُ الْجَيْشِ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ، قَالَ هَؤُلَاءِ: وَإِنَّمَا كَانَتْ صَلَاةُ الْفَتْحِ، قَالُوا: فَيَسْتَحَبُّ لِأَمِيرِ الْجَيْشِ إِذَا فَتَحَ بَلَدًا أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ أَوَّلَ مَا يَدْخُلُهُ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ. وَهَكَذَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ يَوْمَ فَتْحِ الْمَدَائِنِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: يُصَلِّيَهَا كُلُّهَا بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ.

[٧٥٣٤] كَمَا وَرَدَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُسَلِّمُ يَوْمَ الْفَتْحِ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ (٨). وَأَمَّا مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مِنْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تُعَيِّ فِيهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَأَعْلِمَ أَنَّكَ إِذَا فَتَحْتَ مَكَّةَ - وَهِيَ: قَرِيْنُكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ - وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَقَدْ فَرَّغَ شُغْلُنَا بِكَ فِي الدُّنْيَا، فَتَهَيَّأْ لِلدُّعُودِ عَلَيْنَا وَالْوَفُودِ إِلَيْنَا، فَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٩).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢١٧/١ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» ١٠٧٣٦/١٠ وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢٢/٣ وَ ١٨٧/٥ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، رَجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(٤) تَقْدِمُ تَحْرِيمِهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٢١٦.

(٥) تَقْدِمُ فِي سُورَةِ «ص».

(٦) تَقْدِمُ.

[٧٥٣٥] قال النسائي: أخبرنا عمرو بن منصور، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عوانة، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس: قال لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾، إلى آخر السورة، قال: نُعِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهداً في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: جاء الفتح، وجاء نصر الله، وجاء أهل اليمَن. فقال رجل: يا رسول الله! وما أهل اليمَن؟ قال: قوم رقيقة قلوبهم، لينّة قلوبهم، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفقّه يمان^(١).

[٧٥٣٦] وقال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»، يتأول القرآن^(٢). وأخرجه جماعة إلا الترمذي، من حديث منصور، به.

[٧٥٣٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»، وقال: «إِنَّ رَبِّي كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمْتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتَهَا أَنْ أَسْتَجِبَ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرَهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا، فَقَدْ رَأَيْتَهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ تَوَابًا ۖ»^(٣). ورواه مسلم من طريق داود، وهو ابن أبي هند، به.

[٧٥٣٨] وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا حفص، حدثنا عاصم، عن الشعبي، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا قال: «سبحان الله وبحمده». فقلت: يا رسول الله! إنك تكثّر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده؟ قال: «إني أمرت بها، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾...» إلى آخر السورة^(٤). غريب. وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مُفَرَّد، فيكتبها هنا.

[٧٥٣٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾، كان يكثّر إذا قرأها وركع أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي إنك أنت التَّوَابُ الرَّحِيمُ» ثلاثاً^(٥). تَفَرَّدَ به أحمد. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن مرة، عن شعبة، عن أبي إسحاق، به. والمراد بالفتح ما هنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوَّمُ بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظَهَرَ على قومه فهو نَبِيٌّ. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، والله الحمد والمئة.

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٧٣٢ والطبراني ١١٩٠٤ وإسناده لين لأجل هلال.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٩٤ و٨١٧ و٤٢٩٣ و٤٩٦٧ ومسلم ٤٨٤ ح ٢١٧ و٢١٨ وأبو داود ٨٧٧ والنسائي في

«السنن» ١٠٤٧ و١١٢٢ وفي «التفسير» ٧٣٠ وابن ماجه ٨٨٩.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٤٨٤ ح ٢٢٠ وأحمد ٣٥٠٦.

(٤) أخرجه الطبري ٣٨٢٤٨ وفيه حفص بن سليمان، وهو ضعيف، واللفظ المتقدم هو المحفوظ.

(٥) حسن. أخرجه أحمد ٤١٠/١ ورجاله ثقات، لكن فيه إرسال بين أبي عبيدة وأبيه، لكن للحديث ما يؤيده كما تقدم.

[٧٥٤٠] وقد روى البخاري في صحيحه، عن عمرو بن سَلَمَة قال: «لما كان الفتحُ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وكانت الأحياءُ تَتَلَوُّمُ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةُ، يقولون: دَعُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ...». الحديث^(١). وقد حَزَرْنَا غَزْوَةَ الْفَتْحِ فِي كِتَابِنَا: السَّيْرَةِ، فَمَنْ أَرَادَهُ فَلْيُراجِعْهُ هُنَاكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمَنَّةُ.

[٧٥٤١] وقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي جَارٌ لَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ فَجَاءَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُ عَنْ افْتِرَاقِ النَّاسِ وَمَا أَحَدُثُوا، فَجَعَلَ جَابِرٌ يَبْكِي، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَسَيُخْرِجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا»^(٢).

آخر تفسير السورة، والله الحمدُ والمنَّةُ

(١) صحيح . هو جزء من حديث أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣٤٣، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسم، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٢٢١٢: جار جابر لم أعرفه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

سُورَةُ الْمَسَدِ

تَرْبِيَّتُهُ
١١١آيَاتُهَا
٥

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤﴾

[٧٥٤٢] قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خَرَجَ إلى البطحاء، فَصَعِدَ الجبل فنَادَى: «يا صباحاه!» فاجتمعت إليه قُرَيْشٌ، فقال: «أرايتم إن حدثتكم أن العدو مُصْبِحُكُمْ أو مُنْصِيحُكُمْ، أكنتم تُصَدِّقُونِي؟» قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ». فقال أبو لهب: «إلهذا جَمَعْتَنَا؟ تَبَّا لَكَ! فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾... إلى آخرها. وفي رواية: فقام يَنْقُضُ يَدَيْهِ، وهو يقول: تَبَّا لَكَ سائرَ اليوم! إلهذا جَمَعْتَنَا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾. ①. الأول دُعَاءٌ عليه، والثاني خَبَرٌ عنه. فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتْبَةَ، وإنما سُمِّيَ «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذى لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنفص له ولدينه.

[٧٥٤٣] قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: أخبرني رجلٌ يُقال له ربيعة بن عَبَّادٍ، من بني الدليل، وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجَاز وهو يقول: «يا أيُّهَا النَّاسُ! قولوا: لا إله إلا الله، تفلِحُوا». والناس مُجْتَمِعُونَ عليه، ووراءه رجلٌ وَضِيءُ الوجه أحولُ ذو غَدِيرَتَيْنِ، يقول: إنه صابئةٌ كاذبٌ يَتَّبِعُهُ حيثُ ذَهَبَ، فسألت عنه فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب. ثم رَوَاهُ عن سُرَيْجٍ، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه... فذكره. قال أبو الزناد: قلتُ لربيعة: كنتُ يومئذٍ صغيراً؟ قال: لا، والله إني يومئذٍ لأعْقِلُ أني أُرْفِرُ القربة ②. ②. تَفَرَّدَ به أحمد.

[٧٥٤٤] وقال محمد بن إسحاق: حدثني حسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال: سَمِعْتُ ربيعة بن عَبَّاد الدِّيلِيَّ يَقُولُ: إني لَمَعَ أَبِي رَجُلٌ شَابٌ أَنْظَرُ إلى رسول الله ﷺ يَتَّبِعُ القَبَائِلَ - ووراءه رَجُلٌ أَحْوَلُ وَضِيءٌ، ذو جُمَّةٍ - يَقِفُ رسول الله ﷺ على القَبِيلَةِ فيقول: «يا بني فلان! إني رسول الله إليكم، أمركم أن تَعْبُدُوا الله لا تُشْرِكُوا به شيئاً، وأن تُصَدِّقُونِي وتَمْنَعُونِي حتى أُنْفَذَ عن الله ما بَعَثَنِي به». وإذا قَرَعَ من مقالته قال الآخرُ من

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٧٢.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣٤١/٤ والحاكم ١٦/١ وإسناده غير قوي لأجل عبد الرحمن، لكن يتأيد بما بعده. والزفر: الحمل على الظهر، والزفر: القوي على حمل القرب.

خَلْفِهِ : يا بني فَلَان! هذا يريدُ منكم أن تَسْلُخُوا اللاتَ والعُزَّى، وحُلُفاءكم من الجنِّ من بني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البِدْعَةِ والضَّلَالَةِ، فلا تَسْمَعُوا له ولا تَتَّبِعُوهُ. فقلت لأبي: مَنْ هذا؟ قال: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ^(١). رواه أحمد أيضاً، والطبراني بهذا اللفظ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، أي: خَسِرَتْ وخَابَتْ، وَضَلَّ عَمَلُهُ وَسَعْيُهُ، ﴿وَتَبَّتْ﴾، أي: وقد تَبَّتْ تَحَقُّقُ خَسَارَتِهِ وَمَلَكَه.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾^(٢)، قال ابن عباس وغيره: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، يعني: وَلَدَهُ. وَرَوَى عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله.

[٧٥٤٥] وَذَكَرَ عن ابن مسعود أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا فَإِنِّي أَتَّيِدِي نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ بِمَالِي وَلَدِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَصِلَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٤)، أي: ذَاتَ شَرَرٍ وَلَهَبٍ وَإِحْرَاقٍ شَدِيدٍ، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(٥)، وكانت زَوْجَتُهُ من ساداتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ، واسمها أَرْوَى بِنْتُ حَزْبِ بْنِ أُمَيَّةٍ، وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ. وكانت عَوْنًا لَزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ وَعِنَادِهِ، فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

ولهذا قال تعالى: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(٦) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ، يعني: تَحْمِلُ الْحَطَبَ فَتُلْقِيهِ عَلَى زَوْجِهَا، لِيَزَادَ فِي مَا هُوَ فِيهِ، وَهِيَ مُهَيَّأَةٌ لِّذَلِكَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ﴾^(٧)، قال مجاهدٌ وعُزْرَةُ: مِنْ مَّسَدِ النَّارِ. وعن مجاهدٍ، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والثوري، والسدي: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: كانت تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.

وقال العوفي عن ابن عباس، وعَطِيَّةُ الْجَدَلِي، والضحاك، وابن زيد: كانت تَضَعُ الشوكَ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. واختاره ابن جرير.

قال ابن جرير: وقيل: كانت تُعَيِّرُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْفَقْرِ، وكانت تَحْتَطِبُ، فَعَيِّرَتْ بِذَلِكَ. كَذَا حَكَاهُ، وَلَمْ يَعْرِهْ إِلَى أَحَدٍ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قِلَادَةٌ فَاحِرَةٌ، فَقَالَتْ: لَأَنْفِقَنَّهَا فِي عِدَاوَةِ مُحَمَّدٍ، يعني فَأَعَقَبَهَا اللَّهُ بِهَا حَبْلًا فِي جِيدِهَا مِنْ مَّسَدِ النَّارِ.

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنْ سُلَيْمٍ مَوْلَى الشَّعْبِيِّ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: الْمَسَدُ اللَّيْفُ. وَقَالَ عُزْرَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: الْمَسَدُ سِلْسَلَةٌ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا. وَعَنْ الثَّوْرِيِّ: هِيَ قِلَادَةٌ مِنْ نَارٍ، طَوْلُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْمَسَدُ اللَّيْفُ: وَالْمَسَدُ أَيْضًا: حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ أَوْ خُوصٍ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ أَوْ أَوْبَارِهَا، وَمَسَدَتْ الْحَبْلَ، أَمْسَدَتْهُ، مَسَدًا: إِذَا أَجْدَتْ قَتْلَهُ.

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٤٩٢/٣ والطبراني في «الكبير» ٤٥٨٩ وقال الهيثمي في «المجمع» ٩٨٥٤: فيه حسين ابن عبد الله بن عبيد الله وهو ضعيف ووثقه ابن معين في رواية. قلت: توبع في المتقدم، وأخرجه الحاكم ١٥/١ وأحمد ٤٩٢/٣ من وجه آخر، وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) لم أره مسنداً، وقد أشار ابن كثير لضعفه حيث ساقه معلقاً، وبصيغة التمرير.

وقال مجاهد: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ﴾، أي: طوقٌ من حديد، ألا تَرَى أَن الْعَرَبَ يُسَمُّونَ الْبَكْرَةَ مَسَدًا؟

[٧٥٤٦] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو زُرْعَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ ابْنِ تَذْرُسَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا إِلَىٰ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، أَقْبَلْتُ الْعَوْرَةَ أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلَوْلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فَهْرٌ^(١)، وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمًا أَبِينَا * وَدِينَهُ قَلِينَا * وَأَمْرَهُ عَصِينَا

ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسولَ الله! قد أقبلت وأنا أخافُ عليك أن تَرَكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنهَا لَن تَرَانِي، وَقَرَأَ قِرَاءً اعْتَصَمَ بِهِ». كما قال تعالى: ﴿وَلِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَاطِلًا أَخْرَوْا حِجَابًا مَّتَّشُورًا﴾^(٢) [الإسراء: ٤٥]. فأقبلت حتى وَقَفْتُ على أبي بكر ولم تَر رسولَ الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر! إِنِّي أَخْبِرُكَ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي؟ قال: لا. وَرَبُّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ. قَوْلْتُ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنِّي ابْنَةُ سَيِّدِهَا. قال: وقال الوليدُ في حديثه، أو غيره: فَعَثَرْتُ أُمَّ جَمِيلٍ فِي مِزْطِهَا وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَتْ: تَعِيسَ مُذَمَّمٌ. فقالت أمُ حَكِيمٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لَخَصَانٌ فَمَا أَكْلَمُ، وَتَقَافٌ فَمَا أَعْلَمُ، وَكُلُّنَا مِنْ بَنِي الْعَمِّ، وَقُرَيْشٌ بَعْدَ أَعْلَمُ.

[٧٥٤٧] وقال الحافظ أبو بكر البزار: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا إِلَىٰ لَهَبٍ﴾ جَاءَتْ امْرَأَةٌ أَبِي لَهَبٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: لَوْ تَنَحَّيْتُ لَا تُؤْذِيكَ بَشِيءٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا». فأقبلت حتى وَقَفْتُ على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر! هَجَانَا صَاحِبُكَ. فقال أبو بكر: لا، وَرَبُّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ مَا نَطَّقَ بِالشَّعْرِ وَلَا يَتَّقُوهُ بِهِ. فقالت: إِنَّكَ لَمُصَدِّقٌ، فَلَمَّا قَالَتْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا رَأَيْتُكَ؟ قال: لا، «مَا زَالَ مَلَكٌ يَسْتَرْنِي حَتَّى وَلَّتْ»^(٣)، ثُمَّ قَالَ الْبَزَارُ: لَا نَعْلَمُهُ يُرَوِّى بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ﴾^(٤)، أي: في عنقها حبلٌ من نار تُرْفَعُ بِهِ إِلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ يُرْمَى بِهَا إِلَى أَسْفَلِهَا، ثُمَّ كَذَلِكَ دَائِمًا.

قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير - وقد رَوَى ذَلِكَ - وَغُبَّرَ بِالْمَسَدِ عَنْ حَبْلِ الدَّلْوِ، كَمَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيُّ فِي كِتَابِ «النَّبَاتِ»: كُلُّ مَسَدٍ رِشَاءٌ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ:

وَيَكُورَةُ وَيَخُورًا صِرَارًا وَمَسَدًا مِنْ أَبْقِ مُقَارًا
قال: وَالْأَبْقَى الْقَيْْبُ. وقال الآخر:

يَا مَسَدَ الْحَوْضِ تَعَوَّذْ مِنِّي إِنَّ تَكُ لَدُنَّا لَيْنَا فِلَائِي
مَا شِئْتَ مِنْ أَشْمَطَ مُفَسِّنٍ

(١) الفهر: الحجر قدر ما يملأ به الكف.

(٢) وتقدم الحديث فيها.

(٣) أخرجه أبو يعلى ٢٥ و ٢٣٥٨ والبزار ٢٩٤ وقال: حسن الإسناد، وقال الهيثمي في المجمع ١١٥٢٩: ولكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، لكن توبع، راجع سورة الإسراء.

قال العلماء: وفي هذه السورة مُعْجِزَةٌ ظاهرة ودليلٌ واضح على النبوة، فإنه منذ نَزَلَ قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَنَ نَارًا ذَاتَ هَبٍ ۖ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يَقْضِ لهما أن يُؤْمِنَا، ولا واحد منهما، لا ظاهراً ولا باطناً، لا مُسِيراً ولا مُعْلِناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة.

آخر تفسير سورة «تَبَّت»، والله الحمد والمنّة



وهي مكية

ذكر سبب نزولها وفضيلتها:

[٧٥٤٨] قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد محمد بن ميسر الصاغاني، حدثنا أبو جعفر الرازي، حدثنا الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. وكذا رواه الترمذي، وابن جرير، عن أحمد بن منيع - زاد ابن جرير: ومحمود ابن خدّاش - عن أبي سعيد محمد بن ميسر، به - زاد ابن جرير والترمذي - قال: ﴿الصَّمَدُ﴾: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله - جلّ جلاله - لا يموت ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء^(١). ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعيد محمد بن ميسر، به. ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية... فذكره مرسلاً ولم يذكر «أخبرنا». ثم قال الترمذي: «وهذا أصح من حديث أبي سعيد».

[٧٥٤٩] حديث آخر في معناه، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا سريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: انسب لنا ربك. فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، إلى آخرها^(٢). إسناده مقارب. وقد رواه ابن جرير، عن محمد بن عوف، عن سريج، فذكره. وقد أرسله غير واحد من السلف.

[٧٥٥٠] وروى عبيد بن إسحاق القطار، عن قيس بن الربيع، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

(١) حسن دون الزيادة. أخرجه الترمذي ٣٣٦٤ والحاكم ٥٤٠/٢ وأحمد ١٣٤/٥ والواحدي ٨٨٠ والطبري ٣٨٢٩٨. صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وضعفه الترمذي بأن أحله بالإرسال وقال: المرسّل أصحّ اهـ. قلت: له ثلاث علل. أبو سعد تفرد برفعه وهو ضعيف الحديث كما في «التقريب» ٦٣٤٤، وأبو جعفر الرازي، صدوق إلا أنه كثير الخطأ، وعلّة ثالثة وهي كونه روي مرسلاً، وقد أخرجه الترمذي ٣٣٦٥ والوهن فقط في عجزه، وأما صدره فله شواهد وهي الآتية.

(٢) أخرجه أبو يعلى ٢٠٤٤ وفيه مجالد بن سعيد، وهو غير قوي لكن يصلح شاهداً لما قبله.

(٣) حسن. إسناده ضعيف لضعف عبيد، وقيس وضعفه قوم ووثقه آخرون، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٩١ عن أبي وائل مرسلاً، ومع ذلك يشهد له ما تقدم.

قال الطبراني: وَرَوَاهُ الْفَرِيزَايِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، مُرْسَلًا.

[٧٥٥١] ثُمَّ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَثْمَانَ الطَّائِفِيِّ، عَنْ الْوَائِزِ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ نِسْبَةٌ، وَنِسْبَةُ اللَّهِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»»^(١).

[٧٥٥٢] حَدِيثٌ آخَرٌ فِي فَضْلِهَا، قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، هُوَ الذَّهَلِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو، عَنْ ابْنِ أَبِي هَلَالٍ: أَنَّ أَبَا الرَّجَالِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ، عَنْ أُمِّ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وَكَانَتْ فِي جَنْبِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يقرأ لأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتُمُ بِـ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «سَلُوهُ: لَأَتِيَّ شَيْءٌ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: «لَأَنَّهُ صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ»^(٢). هَكَذَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ «التَّوْحِيدِ». وَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقِطُ ذِكْرَ «مُحَمَّدٍ الذَّهَلِيُّ»: وَيَجْعَلُهُ مِنْ رِوَايَتِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ، عَنْ عَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ، بِهِ.

[٧٥٥٣] حَدِيثٌ آخَرٌ، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ: وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةَ يقرأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يقرأُ بِهِ، افْتَتَحَ بِـ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» حَتَّى يَقْرَأَ مِنْهَا، ثُمَّ يقرأُ سُورَةَ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهِذِهِ السُّورَةَ ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِالْأُخْرَى، فَلَمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَذَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى. فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُوْمَكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَزَوْنُ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمِنَهُمْ غَيْرُهُ. فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ! مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا حَمَلَكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟» قَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُهَا. قَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٣). هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا مُجْزِئًا بِهِ. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ، عَنِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَزِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ... فَذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ سَوَاءً، ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ ثَابِتٍ».

[٧٥٥٤] قَالَ: «وَرَوَى مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَحْبَبْتُ هَذِهِ السُّورَةَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». قَالَ: «إِنْ حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٤).

[٧٥٥٥] وَهَذَا الَّذِي عَلَّقَهُ التِّرْمِذِيُّ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مُتَّصِلًا، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ هَذِهِ السُّورَةَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٥).

(١) ضعیف جداً. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٧٣٦ وفيه الوازع بن نافع العقيلي. قال ابن معين: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك. وقال أحمد: ليس بثقة اهـ راجع «الميزان» ٩٣٢٠. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥٤٣: الوازع، متروك.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٣٧٥ ومسلم ٨١٣ والنسائي ١٧١/٢ وابن حبان ٧٩٣.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٧٤ تعليقاً، ووصله الترمذي ٢٩٠١ وابن حبان ٧٩٤ والبيهقي ٦١/٢.

(٤) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٩٠١ وأحمد ١٤١/٣ والدارمي ٤٦٠/٢ وابن حبان ٧٩٢ وإسناده حسن في الشواهد.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ١٤١/٣ و١٥٠/٣ وإسناده لا بأس به لأجل مبارك لكن للحديث طرق وشواهد.

[٧٥٥٦] حديث في كونها تعدل ثلث القرآن. قال البخاري: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صغصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدُّهَا، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالتها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن». زاد إسماعيل بن جعفر، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان، عن النبي ﷺ^(١). وقد رواه البخاري أيضاً عن عبد الله بن يوسف، والقنبري. ورواه أبو داود عن القنبري، والنسائي عن قتيبة، كلهم عن مالك، به. وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين، عن إسماعيل بن جعفر، عن مالك، به.

[٧٥٥٧] حديث آخر، قال البخاري، حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرِقي، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فسق ذلك عليهم وقالوا: «أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟» فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»^(٢). تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن سرحبيل الهمداني المَشْرِقي، كلاهما عن أبي سعيد. قال القُرَيرِي: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله قال: قال أبو عبد الله البخاري: عن إبراهيم مُرْسَل، وعن الضحاك مُسْنَد.

[٧٥٥٨] حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث ابن يزيد، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدَري قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: والذي نفسي بيده لتعدل نصف القرآن، أو: ثلثه^(٣).

[٧٥٥٩] حديث آخر، قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حُيَ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبَلي، عن عبد الله بن عمرو: أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلاث القرآن كل ليلة؟ فقالوا: وهل يستطيع ذلك أحد؟ قال: فإن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلث القرآن. قال: فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب، فقال: «صدق أبو أيوب»^(٤).

[٧٥٦٠] حديث آخر: قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا يزيد بن كيسان، أخبرني أبو حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. ثم دخل فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»، إني لأرى هذا خيراً جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن»^(٥). وهكذا رواه مسلم في صحيحه، عن محمد بن بشار، به. وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب، واسم أبي حازم سلمان».

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٣ و ٥٠١٤ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤ وأبو داود ١٤٦١ والنسائي ١٧١/٢ وفي «عمل اليوم والليلة» ٦٩٨.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٥.

(٣) أخرجه أحمد ١٥/٣ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، والوهن فقط في «نصف» وأما أصل الحديث فيشهد له ما قبله.

(٤) أخرجه أحمد ١٧٣/٢ وابن لهيعة ضعيف، لكن كونها تعدل ثلث القرآن محفوظ بشواهد.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٨١٢ والترمذي ٢٩٠٠ وأحمد ٤٢٩/٢.

[٧٥٦١] حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن زائدة بن قدامة، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن الربيع بن خثيم، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن امرأة من الأنصار، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فإنه من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ﴿لَيْلَةً﴾ في ليلة، فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن»^(١). هذا حديث تَسَاعِي الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذي والنسائي، كلاهما عن محمد بن بشار بُنْدَارٍ - زاد الترمذي: وَثَّقْنِي - كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي، به. فصار لهما عَشَارِيًا. وفي رواية الترمذي: «عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب»، به. ثم قال: «وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي سعيد، وقتادة بن النعمان، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، وأبي مسعود. وهذا حديث حسن، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة»، وتابعه على روايته إسرائيل، والفَضِيل بن عِيَّاض. وقد رَوَى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور، واضطربوا فيه.

[٧٥٦٢] حديث آخر: قال أحمد: حدثنا هُشَيْم، عن حُصَيْن، عن هلال بن يساف، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب - أو: رَجُلٍ من الأنصار - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكانما قرأ بثلاث القرآن»^(٢). ورواه النسائي في «اليوم واللييلة»، من حديث هُشَيْم، عن حُصَيْن، عن ابن أبي ليلى، به. ولم يقع في روايته: هلال بن يساف.

[٧٥٦٣] حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سُفْيَانَ، عن أبي قيس، عن عمرو بن ميمون، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»^(٣). وهكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي، عن وَكِيع، به. ورواه النسائي في اليوم واللييلة من طُرُقٍ أُخَر، عن عمرو بن ميمون، مرفوعاً وموقوفاً^(٤).

[٧٥٦٤] حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزٌ، حدثنا بُكَيْر بن أبي السَّمِيط، حدثنا قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَانَ بن أبي طَلْحَةَ، عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن؟» قالوا: نعم يا رسول الله، نحن أضعف من ذلك وأعجز. قال: «فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلث القرآن»^(٥). ورواه مسلم والنسائي، من حديث قتادة، به.

[٧٥٦٥] حديث آخر، قال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد، حدثنا مُحَمَّد بن عبد الله بن مُسْلِم - ابن أخي ابن شهاب - عن عَمِّه الزُّهْرِيِّ، عن حَمِيد بن عبد الرحمن - هو ابن عوف - عن أمه - وهي أم كلثوم بنت عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط - قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»^(٦). وكذا رواه النسائي في «اليوم واللييلة»، عن عمرو بن علي، عن أمية بن خالد، به. ثم رواه من طريق مالك، عن الزُّهْرِيِّ، عن حَمِيد بن عبد الرحمن، قوله.

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٩٦ والنسائي ١٧٢/٢ وأحمد ٤١٩/٥. وهو حسن صحيح بطرقه وشواهد.

(٢) جيد. أخرجه النسائي في «عمل اليوم واللييلة» ٦٨٤ وأحمد ١٤١/٥. وهو حديث حسن صحيح بطرقه وشواهد.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٧٨٩ والنسائي في «عمل اليوم واللييلة» ٦٩٨ وأحمد ١٢٢/٤ وإسناده صحيح، وله شواهد.

(٤) الموقوف لا يعلل المرفوع. فإنه حديث يبلغ حد الشهرة.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٩ ج ٢ ٨١١ والنسائي في «عمل اليوم واللييلة» ٧٠٦ وأحمد ٤٤٢/٦ و ٤٤٧.

(٦) صحيح. أخرجه النسائي في «عمل اليوم واللييلة» ٧٠٠ وأحمد ٤٠٤/٦.

[٧٥٦٦] وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ أَيْضاً فِي «الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْقُضَيْلِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ تَقْرَأَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَدَّثُوهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ لِمَنْ صَلَّى بِهَا^(١).

[٧٥٦٧] حَدِيثٌ آخَرُ فِي كَوْنِ قِرَاءَتِهَا تُوجِبُ الْجَنَّةَ، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُنَيْنٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقْرَأُ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجِبَتْ. قُلْتُ: وَمَا وَجِبَتْ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ»^(٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ.

[٧٥٦٨] وَتَقْدَمُ حَدِيثٌ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٣).

[٧٥٦٩] حَدِيثٌ فِي تَكَرُّرِ قِرَاءَتِهَا. قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْمُوَصِّلِيُّ: حَدَّثَنَا قَطَرٌ بْنُ نُسَيْرٍ، حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونِ الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَمَّا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي لَيْلَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»؟^(٤). هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ.

[٧٥٧٠] وَأَجُودُ مِنْهُ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، عَنْ أَبِي سَيْدٍ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ خُثَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَصَابَنَا عَطَشٌ وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّيَ لَنَا، فَخَرَجَ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «قُلْ». فَسَكَتُ، قَالَ: «قُلْ». قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، تَكْفِيكَ، كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»^(٥). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، عَنْ مُعَاذِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ خُثَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ. فَذَكَرَهُ.

[٧٥٧١] حَدِيثٌ آخَرُ فِي ذَلِكَ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنِي لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي الْخَلِيلُ بْنُ مَرْثُةٍ، عَنْ الْأَزْهَرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاحِدًا أَحَدًا صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفَوًا أَحَدٌ - عَشْرَ مَرَّاتٍ - كُتِبَ لَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ أَلْفٍ حَسَنَةٍ»^(٦). فَتَرَدَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَالْخَلِيلُ بْنُ مَرْثُةٍ، ضَعْفَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ بِمَرْثُةٍ.

[٧٥٧٢] حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضاً: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنَا زَبَّانُ بْنُ

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» ٧٠١ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَابْنُ إِسْحَاقَ صَرَحَ بِالتَّحْدِيثِ عِنْدَ النَّسَائِيِّ.

(٢) أَخْرَجَهُ مَالِكُ ٢٠٨/١ وَالتِّرْمِذِيُّ ٢٨٩٨ وَالنَّسَائِيُّ ٧٠٧ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ فِي الشَّوَاهِدِ لِأَجْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ.

(٣) تَقْدَمُ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى ٤١١٨، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ١١٥٤٩ وَ ١١٥٥٠: عَبَّاسُ بْنُ مُوسَى، مَتْرُوكٌ أَهْـ وَفِيهِ يَزِيدُ بْنُ أَبَانَ الرَّقَاشِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ أَيْضاً، لَكِنْ يَشْهَدُ لَهُ مَا بَعْدَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٥) حَسَنٌ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ٥٠٨٢ وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» ٧٨٦٠ وَالتِّرْمِذِيُّ ٣٥٧٥ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ٧٨٥٢ مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَمُسْنَدُهُ حَسَنٌ.

(٦) بَاطِلٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٠٣/٤. وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا لِأَجْلِ الْخَلِيلِ بْنِ مَرْثُةٍ كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ. وَقَالَ ابْنُ حِبَّانٍ فِي «الْمَجْرُوحِينَ» ٢٨٦/١: الْخَلِيلُ بْنُ مَرْثُةٍ مَنكَرُ الْحَدِيثِ عَنِ الْمَجَاهِيلِ. رَوَى نَسْخَةً مَقْلُوبَةً أَهـ.

فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يَخْتِمَهَا - عشر مرّات - بنى الله له قصرًا في الجنة». فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله: فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب»^(١). تفرد به أحمد.

[٧٥٧٣] ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيَوَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَقِيلٍ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبُدٍ، قَالَ الدارمي: وكان من الأبدال - أنه سمع سعيد بن المسيّب يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ - بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرّة بنى الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرّة بنى الله له ثلاثة قُصُور في الجنة». فقال عمر بن الخطاب: إذن لَتَكْثُرَ قُصُورُنَا؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أوسع من ذلك»^(٢). وهذا مرسل جيد.

[٧٥٧٤] حَدِيثٌ آخَرُ: قال الحافظ أبو يَغْلَى: حَدَّثَنَا نصر بن علي، حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ الْعَطَّارُ، أَخْبَرَنِي أُمُ كَثِيرٍ الْأَنْصَارِيَّةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرّة غُفِرَ له ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً»^(٣). إسناده ضعيف.

[٧٥٧٥] حَدِيثٌ آخَرُ: قال أبو يَغْلَى: حَدَّثَنَا أبو الربيع، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في يوم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ متي مرّة كتب الله له ألفاً وخمسمئة حسنة، إلا أن يكون عليه دين»^(٤). إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون ضَعَفَهُ البخاري وغيره.

[٧٥٧٦] ورواه الترمذي، عن محمد بن مرزوق البصري، عن حاتم بن ميمون، به. ولفظه: «من قرأ كل يوم متي مرّة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُحِي عنه ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً، إلا أن يكون عليه دين»^(٥).

[٧٥٧٧] قال الترمذي: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من أراد أن يَنَامَ على فراشه، فَنَامَ على يمينه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرّة، فإذا كان يومُ القيامة يقولُ له الربُّ - عزَّ وجلَّ - يا عبدي! ادْخُلْ على يمينك الجنة»^(٦). ثم قال: «غريب من حديث ثابت، وقد رُوي من غير هذا الوجه، عنه».

[٧٥٧٨] وقال أبو بكر البزّاز: حَدَّثَنَا سهل بن بحر، حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ أَغْلَبٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ،

(١) أخرجه أحمد ٤٣٧/٣ وإسناده ضعيف فهو مسلسل بالضعفاء ابن لهيعة، وابن فائد، وابن معاذ، ثلاثتهم ضعفاء. لكن يشهد له المرسل الآتي.

(٢) مرسل. أخرجه الدارمي ٤٥٩/٢.

(٣) منكر. أخرجه الدارمي ٤٦١/٢، وفيه نوح بن قيس، وفيه ضعف، ومحمد العطار عن أم كثير، لم أجد لهما ترجمة، ويكل حال المتن منكر. وفيه مبالغة تدل على وهنه.

(٤) أخرجه أبو يعلى ٣٣٦٥ وابن عدي ٤٣٩/٢ وإسناده ضعيف جداً، لضعف حاتم بن ميمون، وضعفه الترمذي، بقوله غريب، وكذا ضعفه ابن عدي وابن حبان في «المجروحين» ٢٧١/١ وأعله بحاتم هذا. والمتن منكر فإن فيه مبالغة ظاهرة، وهي أمانة على بطلانه.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٨٩٨، وإسناده ضعيف كسابقه، والمتن منكر. والله أعلم.

(٦) إسناده ضعيف كسابقه، والمتن منكر جداً فإن الاشتغال بحفظ القرآن الكريم، أو بعضه. ومذاكرته أفضل من الاختصار على تكرار سورة واحدة في كل يوم عشرات المرات، فتنبه، والله الموفق.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - مِائَتِي مَرَّةً - حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبَ مِائَتِي سَنَةٍ»^(١). ثم قال: «لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ ثَابِتٍ إِلَّا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، وَالْأَغْلَبُ بْنُ تَمِيمٍ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي سُوءِ الْحِفْظِ».

[٧٥٧٩] حديث آخر في الدعاء بما تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ: قال النسائي عند تفسيرها: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَابِ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ يَصْلِي، يَدْعُو يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجِبَ»^(٢). وقد أَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ أَصْحَابِ السَّنَنِ مِنْ طُرُقٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ. وقال الترمذي: «حَسَنٌ غَرِيبٌ».

[٧٥٨٠] حديث آخر في قراءتها عشر مرّات بعد المكتوبة: قال الحافظ أبو يَغْلَى: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ نُبَهَانَ، عَنْ أَبِي شَدَادٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، وَزُوجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ حَيْثُ شَاءَ: مَنْ عَفَا عَنْ قَاتِلِهِ، وَأَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا، وَقَرَأَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». قال: فقال أبو بكر: أَوْ إِحْدَاهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قال: «أَوْ إِحْدَاهُنَّ»^(٣).

[٧٥٨١] حديث في قراءتها عند دُخُولِ الْمَنْزِلِ: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ السَّرَّاجِ الْقَنْسَكِرِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ نَقَتْ الْفَقْرَ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْجِيرَانِ»^(٤). إسناده ضعيف.

[٧٥٨٢] حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال: قال الحافظ أبو يَغْلَى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيْبِيِّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ الْعَلَاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُكَ، فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ بَضِيَاءً وَشُعَاعٌ وَثُورٌ لَمْ تَرَهَا طَلَعَتْ فِيمَا مَضَى بِمِثْلِهِ، فَاتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا جَبْرِيلُ! مَا لِي أَرَى الشَّمْسَ طَلَعَتْ الْيَوْمَ بَضِيَاءً وَثُورٌ وَشُعَاعٌ لَمْ أَرَهَا طَلَعَتْ فِيمَا مَضَى؟». قال: «إِنَّ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ مُعَاوِيَةَ اللَّيْثِي مَاتَ بِالْمَدِينَةِ الْيَوْمَ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلِكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ». قال: «وَفِيمَ ذَلِكَ؟». قال: «كَانَ يُكْثِرُ قِرَاءَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَفِي مَمَشَاهِ وَبَيْتِهِ».

(١) ضعيف جداً. أخرجه البزار ٨٤/٣ وأعله بأغلب بن تميم. وهو منكر الحديث قاله البخاري، والمتن منكر انظر الكلام على الحديث المتقدم.

(٢) جيد. أخرجه أبو داود ١٤٩٣ والترمذي ٣٤٧٥ وابن ماجه ٣٨٥٧ وأحمد ٣٥٠/٥ وتقدم.

(٣) أخرجه أبو يعلى ١٧٩٤، وإسناده ضعيف جداً، فيه أبو شداد، وهو مجهول، وعمر بن نبهان، ضعيف الحديث. وأعله الهيثمي في «المجمع» ١٠٢/١٠ بعمر بن نبهان وحده، وقال: هو متروك أهد.

(٤) متن باطل بإسناد ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ٢٤١٩، وعلمته مروان بن سالم، وهو الجزري متروك الحديث. واتهمه أبو عروبة الخرائي بالوضع. وهذا الحديث يدل على أنه من وضعه، فإن عامة المسلمين يقرؤونها على كل حال، ولا يرفع عنهم الفقر أو الفاقة. وله علة ثانية محمد بن الفرج هو المصري، منكر الحديث، راجع «الميزان» ٨٠٥٠.

وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي علي؟ قال: «نعم». فصلى عليه^(١). وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في «دلائل النبوة»، من طريق يزيد بن هارون، عن العلاء أبي محمد، وهو متهتم بالوضع، فله أعلم.

[٧٥٨٣] طريق أخرى: قال أبو يعلى: حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله، حدثنا عثمان ابن الهيثم - مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عبيد - عن محمود أبي عبد الله، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس قال: نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي، فتجيب أن تصلي علي؟ قال: «نعم». فضرب بجناحه الأرض، فلم تنب شجرة ولا أكمة إلا تضغضعت، فزفع سريزه فنظر إليه، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟». قال: بحبه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقراءته إياها ذاهباً وجائياً، وقائماً وقاعداً، وعلى كل حال^(٢). ورواه البيهقي، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن، عن محبوب بن هلال، عن عطاء ابن أبي ميمونة، عن أنس... فذكره. وهذا هو الصواب، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي: «ليس بالمشهور». وقد روي هذا من طرق أخر، تركناها اختصاراً، وكلها ضعيفة.

[٧٥٨٤] حديث آخر في فضليها مع المعوذتين: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معاذ ابن رفاعه، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله! بم نجاة المؤمن؟ قال: «يا عقبة! احرس لسانك، ولتسغك بيتك، وابك على خطيئتك». قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني فأخذ بيدي، فقال: «يا عقبة بن عامر! ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن العظيم؟» قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك. قال: فاقرائني: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَكٍ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثم قال: «يا عقبة، لا تنسهن، ولا تبث ليلة حتى تقرأهن». قال: فما نسيتهن منذ قال: لا تنسهن، وما بث ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة: ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله! أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «يا عقبة! صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عن ظلمك»^(٣). روى الترمذي بعضه في «الزهد»، من حديث عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد وقال: «هذا حديث حسن».

[٧٥٨٥] وقد رواه أحمد من طريق آخر: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ابن عياش، عن أسيد بن عبد

(١) إسناده ضعيف. والمتن منكر. أخرجه أبو يعلى ٤٢٦٧ وابن حبان في «المجروحين» ١٨١/٢ من حديث العلاء أبي محمد الثقفى. وهو متروك الحديث واتهمه علي المديني بالكذب وقال ابن حبان: منكر الحديث. ولست أحفظ أحداً من الصحابة يقال له: معاوية بن معاوية الليثي. وقد سرق هذا الحديث شيخ من أهل الشام فرواه عن بقية عن محمد بن زياد عن أبي أمامة، اهـ.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه أبو يعلى ٤٢٦٨ والبيهقي في «الدلائل» ٢٤٦/٥، وفيه محبوب بن هلال قال الذهبي في «الميزان» ٧٠٨٥: لا يعرف، وحديثه منكر، ومقدار ما يرويه غير محفوظ. وقال ابن حبان: يروي عن عبيد الله ما ليس من حديثه اهـ، وقال ابن عبد البر: أسانيد هذه الأحاديث ليست قوية، ولو أنها في الأحكام، لم يكن في شيء منها حجة اهـ، راجع الإصابة والاستيعاب في ترجمة معاوية بن معاوية الليثي.

(٣) أخرجه أحمد ١٤٨/٤ والطبراني ٢٧١/١٧ وإسناده ضعيف. له علتان: علي بن يزيد هو الألهاني، متروك ليس بشيء. والقاسم ضعيف روى منكرات كثيرة اهـ. لكن صدره له شواهد عن أبي ذر وغيره. وكذا لمعجه شواهد، وانظر الآتي: والوهن فيه فقط لفظ «أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور».

الرحمن الخَفِيمِي، عن قُرُوءَ بن مُجَاهِد اللَّخْمِي، عن عُقْبَةَ بن عامر، عن النبي ﷺ . . . فذكر مثله سواء^(١).
تفرد به أحمد.

[٧٥٨٦] حديث آخر في الاستشفاء بهن: قال البخاري: حدثنا قُتَيْبَةُ، حدثنا المفضل، عن عُقَيْل، عن ابن شهاب، عن عُرْوَةَ، عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كَفَّيْهِ، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مراتب^(٢). وهكذا رواه أهل السنن، من حديث عُقَيْل، به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ② ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ③ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ④

قد تقدم ذكر سبب نزولها. وقال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عُزَيْرَ ابنِ الله. وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله. وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر. وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان. أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ①. يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا غديل، ولا يُطلق هذا اللفظ «أحد» في الإثبات إلا على الله - عز وجل - لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ②، قال عكرمة، عن ابن عباس: يعني الذي يضمند الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سُؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكيمته. وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له. ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار. وقال الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل: ﴿الصَّمَدُ﴾: السيد الذي قد انتهى سُؤدده، ورواه عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، مثله. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿الصَّمَدُ﴾: السيد. وقال الحسن، وقتادة: هو الباقي بعد خلقه. وقال الحسن أيضاً: ﴿الصَّمَدُ﴾: الحي القيوم الذي لا زوال له. وقال عكرمة: ﴿الصَّمَدُ﴾: الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم. وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد. كأنه جعل ما بعده تفسيراً له، وهو قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ③. وهو تفسير جيد. وقد تقدم الحديث^(٣) من رواية ابن جرير، عن أبي بن كعب في ذلك، وهو صريح فيه. وقال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بُرَيْدَةَ، وعكرمة أيضاً، وسعيد بن جبيرة، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العوفي، والضحاك، والسدي: ﴿الصَّمَدُ﴾: الذي لا جوف له. [و] قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿الصَّمَدُ﴾: المصمت الذي لا جوف له. وقال الشعبي: هو الذي

(١) حسن. أخرجه أحمد ١٥٨/٤ - ١٥٩. وقال الهيثمي ١١٥٧: رجاله ثقات اهـ لكن هذا فيه «ما أنزلت» وهو الصحيح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٧ وأبو داود ٥٠٥٦ والترمذي ٣٤٠٢ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ٧٩٣.

(٣) تقدم أول السورة.

لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب. وقال عبد الله بن بُرَيْدَةَ أيضاً: ﴿الصَّمَدُ﴾ نورٌ يتلألأ. رَوَى ذلك كله وحكاه: ابنُ أبي حاتم، والبيهقي، والطبراني. وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده.

[٧٥٨٧] وقال: حَدَّثَنِي العباس بن أبي طالب، حَدَّثَنَا محمد بن عَمْرٍو بن رُوَيْمٍ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن سعيد قائد الأعمش، حَدَّثَنِي صالح بن حَيَّان، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قد رَفَعَهُ - قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لا جَوْفَ له^(١). وهذا غريبٌ جداً، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بُرَيْدَةَ.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنة» له، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير ﴿الصَّمَدُ﴾: وكلُّ هذه صَحِيحَةٌ، وهي صفات ربِّنا عزَّ وجلَّ، هو الذي يُصَمَدُ إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سُؤدده، وهو الصمد الذي لا جَوْفَ له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خَلْقِهِ. وقال البيهقي نحو ذلك أيضاً. وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ﴾^(٢) وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ^(٣)، أي: ليس له وَلَدٌ ولا والدٌ ولا صاحبةٌ. قال مجاهد: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٤)، قال: يعني لا صاحبة له. وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَكَ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، أي: هو مالكُ كُلِّ شَيْءٍ وخالقه، فكيف يكون له مِن خَلْقِهِ نظيرٌ يُساميه، أو قريبٌ يُدانيه، تعالى وتقدس وتنزه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٥) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا^(٦) تَكَذَّابْتُمْ فَتَقَرَّنْ مِنْهُ وَتَشْتَقِ الْأَرْضَ وَتَعْرِى لِبَالًا هَذَا^(٧) أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا^(٨) وَمَا يَلْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا^(٩) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا^(١٠) لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا^(١١) وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرْدًا^(١٢) [مریم: ٨٨ - ٩٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِصَادٌ مُتْكِرُونَ﴾^(١٣) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقْمَلُونَ^(١٤) [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمْنَا لَمَنِ الْمُنَّةُ إِنَّمَا لِمُحَمَّدٍ^(١٥) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨ - ١٥٩].

[٧٥٨٨] وفي الصحيح، صحيح البخاري: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويُعافِيهم»^(١٦).

[٧٥٨٩] وقال البخاري: حَدَّثَنَا أبو اليمان، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كَذَبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَا تَكْذِبِيهِ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي. وليس أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَا شَتَمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا». وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحداً»^(١٧). وَرَوَاهُ أيضاً من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن هَمَّامِ بْنِ مُثَنَّبٍ، عن أبي هريرة، مرفوعاً بمثله. تَقَرَّدَ بهما من هذين الوجهين.

آخر تفسير سورة «الإخلاص»، والله الحمد والمنة

(١) ضعيف جداً. والصواب موقوف. أخرجه الطبراني ١١٦٢. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٥٣٠: فيه صالح بن حيان، وهو ضعيف اهـ، وله علة ثانية: عبد الله بن سعيد قائد الأعمش. قال أبو داود: عنده أحاديث موضوعة. راجع الميزان ٥٣٦٤.

(٢) أخرجه البخاري وغيره، وتقدم. (٣) تقدم في سورة النحل آية ٤٠.

تفسير سورتَي المَعْوَذَتَيْن

وهما مَدَيَّتَانِ

[٧٥٩٠] قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا عَاصِمٌ بْنُ بَهْدَلَةَ، عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لَا يَكْتُبُ المَعْوَذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فَقُلْتُهَا، قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْكَافِرِ﴾، فَقُلْتُهَا. فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ^(١).

[٧٥٩١] وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الْحَمِيدِيُّ فِي مُسْنَدِهِ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ وَعَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ، أَنَّهُمَا سَمِعَا زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ المَعْوَذَتَيْنِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَحْكُمُهُمَا مِنَ المُصْحَفِ. فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «قِيلَ لِي: ﴿قُلْ﴾ فَقُلْتُ». فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(٢).

[٧٥٩٢] وَقَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنِ المَعْوَذَتَيْنِ فَقَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْهُمَا فَقَالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ لَكُمْ. فَقُولُوا» ^(٣). قَالَ أَبِي: فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَنَحْنُ نَقُولُ.

[٧٥٩٣] وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ، عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ - وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زُرِّ - قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ! إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ». فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(٤). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضاً وَالنَّسَائِيُّ، عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدِ عَاصِمٍ بْنِ أَبِي النُّجُودِ، عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، بِهِ.

[٧٥٩٤] وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا الْأَزْرَقِيُّ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ بَهْرَامٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْكُ المَعْوَذَتَيْنِ مِنَ المُصْحَفِ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهِمَا. وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ بِهِمَا ^(٥).

[٧٥٩٥] وَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ:

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١٢٩/٥ وإسناده حسن لأجل عاصم، لكن توبع.

(٢) أخرجه الحميدي ٣٧٤.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ١٢٩/٥ وهو صحيح الإسناد.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٧٧.

(٥) صحيح. أخرجه البزار ٢٣٠١ والطبراني في «الكبير» ٩١٥٢ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥٦٣: رجالهما ثقات.

كان عبد الله يَحْكُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ. قَالَ الْأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ»^(١). وَهَذَا مشهورٌ عند كثير من الثَّوَرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَتَوَاتَرَ عَنْهُ^(٢)، ثُمَّ لَعَلَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كَتَبُوهُمَا فِي الْمَصَاحِفِ الْأَثْمَةِ، وَتَقَدَّوْهَا إِلَى سَائِرِ الْأَفَاقِ كَذَلِكَ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

[٧٥٩٦] وَقَدْ قَالَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ يَبَّانٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَزَمْ لَهَا قَطٌّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلْكَ﴾، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْآلَافِ﴾»^(٣). وَرَوَاهُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ أَيْضاً، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عُقْبَةَ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

[٧٥٩٧] طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، عَنْ الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النَّقَابِ، إِذْ قَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ! أَلَا تَرْكَبُ؟» قَالَ: «فَأَجَلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ». ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ! أَلَا تَرْكَبُ؟» قَالَ: «فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ! أَلَا أَعْلَمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَاقْرَأْنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلْكَ﴾، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْآلَافِ﴾. ثُمَّ أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي فَقَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةُ! أَفَرَأَ بِهِمَا كُلُّمَا نِمْتُ وَكُلَّمَا قُمْتُ»^(٤). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ جَابِرٍ، بِهِ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ أَيْضاً، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُقْبَةَ، بِهِ.

[٧٥٩٨] طَرِيقٌ أُخْرَى، قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الرُّعَيْنِيُّ وَأَبُو مَرْحُومٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ فِي ذُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ^(٥). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ طَرِيقٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «غَرِيبٌ».

[٧٥٩٩] طَرِيقٌ أُخْرَى، قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، عَنْ مِشْرِحِ بْنِ هَاعَانَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلَهُمَا»^(٦). تَقَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

[٧٦٠٠] طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَنِوَةُ بْنُ شَرِيحٍ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، حَدَّثَنَا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ

(١) صحيح. أخرجه عبد الله بن أحمد ١٢٩/٥ والطبراني في «الكبير» ٩١٥٠ وقال الهيثمي في المجمع: ١١٥٦٢ ورجال عبد الله رجال الصحيح ورجال الطبراني ثقات.

(٢) وقد حصل لابن مسعود عنة بذلك أثناء جمع عثمان رضي الله عنهما للمصاحف على المصحف الأم، وحرقت وإتلاف ما سواه والقصة في ذلك معروفة، والله أعلم.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٥٥٨/١ ح ٨١٤ والتِّرْمِذِيُّ ٣٣٦٧ والنَّسَائِيُّ ١٥٨/٢ وأحمد ١٥١/٤.

(٤) حسن. أخرجه أبو داود ١٤٦٢ والنَّسَائِيُّ في «الكبرى» ٧٨٤٣ وأحمد ١٤٤/٤.

(٥) صحيح. أخرجه أبو داود ١٥٢٣ والتِّرْمِذِيُّ ٢٩٠٣ والنَّسَائِيُّ ١٢٥٩ وأحمد ٢٠١/٤.

(٦) أخرجه أحمد ١٤٦/٤، وهو حديث صحيح بطرقة.

خالد بن مَعْدَان، عن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن عُقْبَةَ بن عامر أنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَهْدَيْتَ لَهُ بَغْلَةً شَهْبَاءَ، فَرَكَبَهَا، فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾». فَأَعَادَهَا لَهُ حَتَّى قَرَأَهَا، فَعَرَفَ أَنِّي لَمْ أَفْرَحْ بِهَا جَدًّا، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَانَتْ بِهَا؟ فَمَا قُمْتَ تُصَلِّي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»^(١). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ بَقِيعَةَ، بِهِ.

[٧٦٠١] وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جُبَيْرِ ابْنِ نُفَيْر، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُقْبَةَ بن عامر: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمُعَوَّدَتَيْنِ... فَذَكَرَ نَحْوَهُ^(٢).

[٧٦٠٢] طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ النَّسَائِيُّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، سَمِعْتُ النُّعْمَانَ، عَنْ زِيَادِ أَبِي الْأَسَدِ، عَنْ عُقْبَةَ بن عامر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَعَوَّدُوا بِمِثْلِ هَذَيْنِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٣).

[٧٦٠٣] طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ النَّسَائِيُّ: أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بن عامر قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عُقَيْبُ! قُلْ». فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ؟ فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ». فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ عَنِّي، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْزُدْهُ عَلَيَّ. فَقَالَ: يَا عُقْبَةُ! «قُلْ». قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ». فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِذٌ بِمِثْلِهِمَا»^(٤).

[٧٦٠٤] طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ النَّسَائِيُّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا معاوية، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ عُقْبَةَ بن عامر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ^(٥).

[٧٦٠٥] طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ النَّسَائِيُّ: أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ أَسْلَمَ، عَنْ عُقْبَةَ بن عامر قال: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقْرَأْنِي سُورَةَ هُودٍ أَوْ سُورَةَ يُوسُفَ. فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَنْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾»^(٦).

[٧٦٠٦] حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ النَّسَائِيُّ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَابِسٍ الْجَهَنِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ عَابِسٍ! أَلَا أَدُلُّكَ - أَوْ: أَلَا أَخْبِرُكَ - بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هَاتَانِ السُّورَتَانِ^(٧). فَهَذِهِ طُرُقٌ عَنْ عُقْبَةَ كَالْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ، تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ فِي الْحَدِيثِ.

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٤٢ وأحمد ١٥١/٤ وإسناده على شرط مسلم، وقد صرح ببقية بالتحديث.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٥١ وإسناده على شرط مسلم.

(٣) حسن. أخرجه النسائي ٧٨٥٦ وفيه زياد هذا لم أجده له ترجمة، لكن للحديث طرق.

(٤) جيد. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٣٨ وإسناده حسن لأجل ابن عجلان، لكن توبع.

(٥) حسن. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٥٠ وإسناده ضعيف مكحول عن عقبة منقطع، لكن أخرجه النسائي ٧٨٤٨ من وجه آخر، فهو حسن.

(٦) أخرجه النسائي ٧٨٣٩ في «الكبرى» وإسناده ضعيف، يزيد مدلس، وقد عنعن، وتفرد بذكر سورة هود أو يوسف في المتن.

(٧) حسن. أخرجه النسائي ٧٨٤١ في «الكبرى» وإسناده حسن في الشواهد، أبو عبد الله مقبول.

[٧٦٠٧] وقد تقدّم في رواية صديّ بن عجلان، وفزوة بن مجاهد^(١)، عنه: «ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلهن؟» «قل هو الله أحد» و «قل أعوذ بربّ الفلق» و «قل أعوذ بربّ النّاس».

[٧٦٠٨] حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل، حدّثنا الجزيّري، عن أبي العلاء قال: قال رجل: كُنا مع رسول الله ﷺ في سفر، والناس يعتقبون، وفي الظهر قلّة، فحانت نزلة رسول الله ﷺ ونزلتني فلجّفتني فضرب من بعدي منكبّي، فقال: «قل أعوذ بربّ الفلق»، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، ثم قال: «قل أعوذ بربّ النّاس»، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال: «إذا صليت فاقرا بهما»^(٢). الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر، والله أعلم. ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُليّة، به.

[٧٦٠٩] حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمد بن المثنى، حدّثنا محمد بن جعفر، عن عبد الله ابن سعيد، حدّثني يزيد بن رومان، عن عقبة بن عامر، عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس -: أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال: «قل». فلم أدر ما أقول، ثم قال لي: «قل». قلت: «قل هو الله أحد». ثم قال لي: «قل». قلت: «قل أعوذ بربّ الفلق» ﴿١﴾ من شرّ ما خلق ﴿٢﴾ حتى فرغت منها. ثم قال لي: «قل». قلت: «قل أعوذ بربّ النّاس»، حتى فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا فتعوذ، ما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط»^(٣).

[٧٦١٠] حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص، حدّثنا بدّل، حدّثنا شداد بن سعيد أبو طلحة، عن سعيد الجزيّري، حدّثنا أبو نضرة، عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ يا جابر! قلت: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: اقرأ «قل أعوذ بربّ الفلق»، و «قل أعوذ بربّ النّاس». فقرأتهما، فقال: «اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما»^(٤).

[٧٦١١] وتقدّم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهنّ، وينثف في كفّيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده^(٥).

[٧٦١٢] وقال الإمام مالك، عن ابن شهاب، عن غزوة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينثف، فلما اشتدّ وجعه كنث أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه، رجاء بركتها^(٦). ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داود عن القعنبي، والنسائي عن قتيبة - ومن حديث ابن القاسم، وعيسى بن يونس - وابن ماجه من حديث مغنٍ وبشر بن غمر، ثمانيتهم عن مالك، به.

(١) تقدم عن صدي بن عجلان وهو: أبو أمانة - عن عقبة. وعن فروة بن مجاهد عن عقبة.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٧٩/٥ والنسائي ٧٨٥٩ ورجاله ثقات، وله طرق.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٤٥ ورجاله ثقات، وهو حسن إن كان يزيد سمعه من عقبة، حيث لم أجد من ذكر أنه روى عنه. وأصل الحديث محفوظ لكن عن عقبة.

(٤) حسن. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٥٤ وإسناده حسن، رجاله ثقات.

(٥) تقدم تحريجه وهو صحيح.

(٦) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٦ ومسلم ٢١٩٢ ح ٥١ وأبو داود ٣٩٠٢ والنسائي ٧٥٤٩ في «الكبرى» وابن ماجه ٣٥٢٩ ومالك في «الموطأ» ٩٤٢/٢ وأحمد ١٠٤/٦ و١٨١ وابن حبان ٢٩٦٣.

[٧٦١٣] وتَقْدَمُ في آخر سورة: ﴿تَّ﴾، من حديث أبي نُضْرَةَ، عن أبي سَعِيدٍ: أن رسولَ الله ﷺ كان يَتَعَوَّذُ من أعينِ الجانِّ وعَيْنِ الإنسانِ، فلما نَزَلَتِ المَعُودَتَانِ أَخَذَ بهما، وَتَرَكَ ما سِوَاهُمَا^(١). رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: «حَسَنٌ».

(١) تقدم تحريجه في آخر سورة القلم، وهو صحيح.

سُورَةُ الْفَلَقِ

آيَاتُهَا

تَرْتِيلُهَا
١١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ
الْأَفْتَلَقِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: ﴿الْفَلَقُ﴾ الصبح. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿الْفَلَقُ﴾، الصبح. وزوي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن محمد بن عقيل، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وابن زيد، ومالك بن زيد بن أسلم، مثل هذا. قال القرظي، وابن زيد، وابن جرير: وهي كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَلَمْ يَخْلُقْ﴾ [الأنعام: ٩٦]. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿الْفَلَقُ﴾: الخلق. وكذا قال الضحاك: أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله. وقال كعب الأحبار: ﴿الْفَلَقُ﴾: بيت في جهنم، إذا فُتِحَ صاح جميع أهل النار من شدة حره. رواه ابن أبي حاتم، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا شهيل بن عثمان، عن رجل سمّاه، عن السدي، عن زيد بن علي، عن أبياته أنهم قالوا: ﴿الْفَلَقُ﴾: جب في قعر جهنم، عليه غطاء، فإذا كُشِفَ عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم، من شدة حر ما يخرج منه. وكذا زوي عن عفرو بن عبسة، والسدي، وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع مذكّر.

[٧٦١٤] فقال ابن جرير: حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسى بن مُشكان الواسطي، حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ﴿الْفَلَقُ﴾ «جُبُّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًى»^(١). إسناده غريب ولا يصح رفعه. وقال أبو عبد الرحمن الحُبَلي: ﴿الْفَلَقُ﴾: من أسماء جهنم. قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح. وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري - رحمه الله - في صحيحه. وقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢)، أي: من شر جميع المخلوقات. وقال ثابت البناني، والحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق. ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣)، قال مجاهد: غاسق الليل إذا وَقَبَ: غروب الشمس. حكاها البخاري عنه. ورواه ابن أبي نجیح، عنه. وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخُصَيْف، والحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه. وقال الزهري: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣): الشمس إذا

(١) المرفوع باطل. أخرجه الطبري ٣٨٣٤٨. وفيه شعب بن صفوان، وهو غير حجة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه اه وفيه مجاهيل. وأخرجه الطبري ٣٨٣٤٥ و ٣٨٣٤٦ و ٣٨٣٤٧ عن السدي من قوله، وهو الصحيح، كونه من كلام السدي، وأمثاله.

عَزَبَتْ. وعن عَطِيَّةٍ وَقْتَادَةَ: إِذَا وَقَبَ اللَّيْلُ: إِذَا ذَقَبَ. وقال أَبُو الْمُهْزَمِ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الكوكب. وقال ابْنُ زَيْدٍ: كانت العربُ تقولُ: الغَاسِقُ: سقوطُ الشُّرْبَا، وكانت الأسقامُ والطواعينُ تكثرُ عند وُقُوعِهَا، وترتفع عند طُلُوعِهَا.

[٧٦١٥] قال ابْنُ جَرِيرٍ: ولهؤلاء من الأثر ما حَدَّثَنِي نصر بن علي، حَدَّثَنِي بكار بن عبد الله، ابن أخي هَمَامٍ، حَدَّثَنَا محمد بن عبد العزيز بن عَمَرٍ بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ، عن أبيه، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قال: «النَّجْمُ الْغَاسِقُ»^(١). قلتُ: وهذا الحديث لا يَصِحُّ رفعه إلى النبي ﷺ. قال ابْنُ جَرِيرٍ: وقال آخرون: هو القمرُ.

[٧٦١٦] قلت: وعُدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمدُ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، عن ابن أبي ذئبٍ، عن الحارث عن أبي سَلَمَةَ قال: قالت عائشة رضي الله عنها: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَأَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ طَلَعَ، وقال: «تَعُوذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»^(٢). ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سُنيهما، من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئبٍ، عن خَالِهِ الحارث بن عبد الرحمن، به. وقال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ». ولفظه: «تَعُوذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا الْغَاسِقَ إِذَا وَقَبَ». ولفظ النسائي: «تَعُوذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، هَذَا الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قال أصحاب القول الأول - وهو أنه الليلُ إِذَا وَلَجَ -: هذا لا يُنَافِي قولنا، لأن القمرَ آيَةُ اللَّيْلِ، لا يُوجَدُ له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تُضِي، إلا في الليل، فهو يرجعُ إلى ما قلناه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ الْفَقْهَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، قال مجاهدٌ، وعِكْرَمَةُ، والحسنُ، وقتادةٌ، والضحاكُ: يعني السواحر. قال مجاهدٌ: إِذَا رَقَيْنَ وَتَقَنَّ فِي الْعُقَدِ. وقال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عن معمرٍ، عن ابن طائوس، عن أبيه قال: ما مِن شيءٍ أَقْرَبَ مِنَ الشَّرِّ مِنْ رُقِيَةِ الْحَيَّةِ وَالْمَجَانِينِ.

[٧٦١٧] وفي الحديث الآخر: «أَنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: اسْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ». فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَزْزِيكَ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ»^(٣). ولعلَّ هذا كان من شُكُوَاهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ سَجَرَ، ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَفَّاهُ، وَرَدَّ كَيْدَ السَّحَرَةِ الْحُسَادِ مِنَ الْيَهُودِ فِي رُؤُوسِهِمْ، وَجَعَلَ تَذْمِيرَهُمْ فِي تَذْيِيرِهِمْ وَفَضَّحَهُمْ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَمْ يُعَاتِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، بَلْ كَفَى اللَّهُ وَشَفَى وَعَافَى.

[٧٦١٨] قال الإمام أحمدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عن يزيد بن حَيَّانَ، عن زيد بن أَرْقَمٍ قال: سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَكَى لَذَلِكَ أَيَّامًا، قال: فجاءه جبريلُ فقال: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عَقْدًا فِي بَثْرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهَا مَنْ يَجِيءُ بِهَا. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا، رضي الله

(١) أخرجه الطبري ٣٨٣٧٥. وهو ضعيف، فيه محمد بن عبد العزيز، وهو متروك الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٦٦ والنسائي في «الكبرى» ١٠١٣٨ وأحمد ٦١/٦ والحاكم ٥٤٠/٢ وإسناده حسن لأجل الحارث وهو ابن عبد الرحمن، لكن في المتن غرابة، والله أعلم، وهو في «الصحيحة» ٣٧٢.

(٣) تقدم في آخر سورة القلم.

تعالى عنه فاستخرجها، فجاء بها فحللها، قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما تُشيط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه حتى مات^(١). ورواه النسائي عن هناد، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير.

[٧٦١٩] وقال البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابن جريج، يقول: حدثني آل عروة، عن عروة، فسألت هشاماً عنه، فحدثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا - فقال: «يا عائشة! أعلمت أن الله قد أثناني فيما استفتيته فيه؟ أثناني رجلان فقام أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زريق حليف لليهود، كان منافقاً - قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاقة قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت رعوقة في بئر دزوان». قالت: فأتى - النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: هذه البئر التي أريتها، وكان ماءها نقاعة الجناء، وكان نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ أي: تئنسرت فقال: «أما الله فقد شفاني، وأكره أن أئير على أحد من الناس شراً»^(٢).

[٧٦٢٠] وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي صمرة أنس بن عياض، وأبي أسامة، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حتى كان يُخَيَّل إليه أنه فعل الشيء»^(٣) ولم يفعل. وعنده «فأمر بالبئر فدُفِنَتْ»^(٤). وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبي الزناد والليث بن سعد. وقد رواه مسلم، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن ثمير، ورواه أحمد، عن عفان، عن وهيب، عن هشام، به.

[٧٦٢١] ورواه الإمام أحمد أيضاً عن إبراهيم بن خالد، [عن رباح بن زيد]^(٥) عن مغمّر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي، فاتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم... وذكر تمام الحديث^(٦).

(١) أخرجه النسائي ٣٥٤٣ في «الكبرى» وأحمد ٤/٣٦٧ ورجاله ثقات.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٦٥.

(٣) هذه كناية. والمراد إتيانه عليه السلام نساء. وهذا أشد ما حصل له عليه السلام من ذلك السحر. وقد ذهب بعض أهل العلم قديماً وحديثاً إلى نفي خبر سحره عليه السلام، وما ذلك إلا بسبب أنهم لم يتدبروا ما ذكرته عائشة فإن قولها «حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء»، ولم يفعل، أشكل ذلك على هؤلاء حيث ظنوا أن النبي ﷺ صار ينسى، وضعف جسمه، وتغير حاله إلى ما هنالك. والصواب أن ذلك يفسر بالروايات المتقدمة منها المتقدم عن عائشة وفيه «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» فهذا هو المراد من قولها «يخيل إليه...» والدليل على أنه عليه الصلاة والسلام بقي سليماً ما عدا ذلك. هو أنه لو لوحظ عليه شيء غير عادي، لجاء ذلك عن جماعة من الصحابة، ولذكروا ذلك. ولكن كل ذلك لم يكن، بل إن النبي ﷺ كان يوم الناس فيقرأ القرآن بصوت مرتفع في الفجر والمغرب والعشاء، فلو صار ينسى أو نحو ذلك لنقل أيضاً، ولجاء متواتراً. ولم يستمر ذلك سوى أيام فقط أي عدم إتيانه لنسائه. والله تعالى أعلم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٦٦ و ٦٠٦٣ و ٦٣٩١ ومسلم ٢١٨٩ ح ٤٣.

(٥) زيادة عن «المسند» و «تهذيب التهذيب».

(٦) لفظ «ستة أشهر» منكر في هذا الحديث تفرد به معمر، وهو ثقة من رجال البخاري ومسلم إلا أن في روايته عن هشام ضعفاً، راجع التهذيب والتقريب وكتب الرجال، وقال الذهبي: له أوهام اهد وقد خالفه ابن جريج فلم يذكر فيه مدة محددة. في حين =

[٧٦٢٢] وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فذبت إليه اليهود، فلم يزألوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهم اليهود، فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك رجل منهم، يقال له: لييد بن أعصم، ثم دسها في بئر لبني زريق، يقال لها: ذزوان، فمريض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولبت ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يذري ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعدا أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُب. قال: وما طُب؟ قال: سُجِر. قال: ومن سحره؟ قال: لييد بن أعصم اليهودي. قال: وبِم طُب؟ قال: بِمُشِط ومُشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُف طُلعة تحت راعوفة في بئر ذزوان - والجُف: قشر الطلع. والراعوفة: حَجَر في أسفل البئر ناتيء يقوم عليه الماتح - فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً، وقال: «يا عائشة! أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟» ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار ابن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نفاغة الحناء، ثم رَفَعُوا الصخرة، وأخرجوا الجُف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود، فيه اثنتا عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نُشِط من عقال، وجعل جبريل - عليه السلام - يقول: باسم الله أزيك، من كل شر يؤذك، من حاسد وعين، الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله! أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فقد شَفاني الله، وأكره أن أتير على الناس شراً»^(١). هكذا أوردته بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

= ذكر زيد بن أرقم في حديثه المتقدم «أن ذلك كان أياماً فقط». والحديث أخرجه أحمد ٣٦/٦. ورجاله ثقات.

(١) ساقه الثعلبي بدون إسناد، مع أن الثعلبي كثيراً ما يروي الموضوعات في حال وصل الحديث فكيف إذا أرسله أو ذكره تعليقاً، ولبعضه شواهد كما ذكر ابن كثير، وكما تقدم، والمنكر فيه لفظ «وانتثر شعر رأسه» و«جعل يذوب» فهذا وما قبله باطل لا أصل له، وترك الثعلبي لإسناد هذا الحديث، يدل على أنه إما من رواية مقاتل بن سليمان أو الكلبي محمد بن السائب وكلاهما متهم. والله تعالى أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَفَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب - عز وجل -: الربوبية، والملكية، والإلهية. فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة، عبيد له، فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصرف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزَيِّن له الفواحش، ولا يألوه جهداً من الخبال. والمعصوم من عصم الله.

[٧٦٢٣] وقد ثبت في الصحيح أنه: «ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه». قالوا: وأنت يا رسول الله؟! قال: «نعم، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»^(١).

[٧٦٢٤] وثبت في الصحيحين، عن أنس في قصة زيارة صفيّة النبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً ليردّها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رآيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال رسول الله: «على رسلكما، إنها صفيّة بنت حبي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله!! فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإنني خشيته أن يقدف في قلوبكما شيئا، أو قال: شراً»^(٢).

[٧٦٢٥] وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن بخر، حدثنا عدي بن أبي عمارة، حدثنا زياد النميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»^(٣). غريب.

[٧٦٢٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبه، عن عاصم، سمعت أبا تميمه يحدث عن زديف رسول الله ﷺ قال: عثر بالنبي ﷺ جماره، فقلت: تعس الشيطان! فقال النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم، وقال: بقوتي صرعت. وإذا قلت: باسم الله،

(١) تقدم تخريجه في سورة الرعد آية ١١.

(٢) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ١٨٧.

(٣) أخرجه أبو يعلى ٤٣٠١. وإسناده ضعيف لضعف زياد النميري، وعدي بن أبي عمارة. وكذا ضعفه الهيثمي في «المجمع» ١٤٩/٧ والحافظ في «الفتح» ٧٤٢/٨. وانظر الحديث الآتي.

تصاغَرَ حتى يصيرَ مثل الذباب^(١). تَقَرَّد به أحمدُ، إسناده جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وفيه دلالةٌ على أن القلبَ متى ذَكَرَ الله تصاغَرَ الشيطانُ وغَلِبَ، وإن لم يَذْكُرِ الله تعاضَلَ وغَلِبَ.

[٧٦٢٧] وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ عَثْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَأَبْسَ بِهِ كَمَا يَبْسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ، فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنْقُهُ - أَوْ: أَلْجَمَهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ، أَمَا الْمَزْنُوقُ فَتَرَاهُ مَائِلًا - كَذَا - لَا يَذْكُرُ اللَّهَ، وَأَمَّا الْمُلْجَمُ فَفَاتِحَ فَاهُ، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(٢). تَقَرَّد به أحمد.

وقال سعيد بن جبَّير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسِ﴾، قال: الشيطان جائئٌ على قلب ابن آدم، فإذا سَهَا وغَفَلَ وسُوسَ، فإذا ذَكَرَ الله خَسَسَ. وكذا قال مجاهد، وقاتدة.

وقال الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ: ذُكِرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ، أَوْ: الْوَسْوَاسَ، يَنْفُثُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْحُزَنِ وَعِنْدَ الْفَرَحِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَسَسَ

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾، قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أُطِيعَ خَسَسَ.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أَوْ يَعْمُ بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكوئون قد دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِييًّا. وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم: «رجال من الجن» فلا يَدْخُلُ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، هل هو تفصيلٌ لقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، ثُمَّ بَيَّنَّهُمْ فَقَالَ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. وهذا يَقْوِي الْقَوْلَ الثَّانِي. وقيل: قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، تفسيرٌ للذي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

[٧٦٢٨] وكما قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو الدَّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ الْخَشَّاحِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! هَلْ صَلَّيْتَ؟» قلت: لا. قال: «قُمْ فَصَلِّ». قال: فَقُمْتُ فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ جَلَسْتُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ». قال: قلت: يا رسول الله! ولِلْإِنْسِ شَيَاطِينٌ؟ قال: «نَعَمْ». قال: قلت: يا رسول الله! الصلاة؟ قال: «خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، مِنْ شَاءَ أَقُلُّ، وَمِنْ شَاءَ أَكْثَرُ». قلت: يا رسول الله! فالصوم؟ قال: «فَرَضٌ مُجْزِئٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَزِيدٌ». قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «أَضَاعَفَ مِضَاعَفَةً». قلت: يا رسول الله! أيُّها أَفْضَلُ؟ قال: «جَهْدٌ مِنْ مِقْلٍ، أَوْ سِرٌّ إِلَى فَقِيرٍ». قلت: يا رسول الله! أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ؟ قال: «آدَمَ». قلت: يا رسول الله! وَنَبِيًّا كَانَ؟ قال: «نَعَمْ، نَبِيُّ مُكَلَّمٍ». قلت: يا رسول الله! كَمْ الْمُرْسَلُونَ؟ قال: «ثَلَاثُمِئَةٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا». وقال مرة: «خَمْسَةَ عَشَرَ». قلت: يا رسول الله! أَيُّمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟ قال: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٣). وَرَوَاهُ الثَّسَنَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَمْرِو الدَّمَشْقِيِّ، بِهِ.

(١) جيد. أخرجه أحمد ٧١/٥ وإسناده قوي كما قال المصنف، ولعله تقدم.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٣٣٠/٢ وإسناده حسن لأجل الضحَّاك، فإنه صدوق. والمزنوق: المربوط بحبل يمنع من الجماع.

(٣) أخرجه أحمد ١٧٨/٥ وإسناده ضعيف، فيه المسعودي اختلط، وتقدم في الأنعام.

وقد أخرج هذا الحديث مطوّلًا جدًا أبو حاتم بن حبان في صحيحه، بطريق آخر، ولفظ آخر مطوّل جدًا، فالله أعلم.

[٧٦٢٩] وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن زرّ بن عبد الله الهمداني، عن عبد الله بن شدّاد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أخذت نفسي بالشيء لأن أجزّ من السماء أحب إليّ من أن أتكلّم به. قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»^(١). ورواه أبو داود والنسائي، من حديث منصور - زاد النسائي: والأعمش - كلاهما عن زرّ، به.

آخر التفسير، والله الحمد والمثنة، والحمد لله رب العالمين

(١) أخرجه أحمد ٢٣٥/١ والطيالسي ٢٧٠٤ وأبو داود ١١٢، وابن حبان ١٤٧ وإسناده صحيح على شرطهما.

فهرس الأحاديث القدسية

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦١٠٦	ألا ترضين أن أصل من وصلك	- الألف -	
٣١١٦، ٤٤٨	ألم أزوجك، ألم أكرمك، ألم	٧٤١٥	أبشر عبدي، فوعزتي لا أنساك
٦٠٢٣، ٤١٠٠	ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء	٧٤١٤	أبشر عبدي، فوعزتي لأمكنن لك
٧٤٦٧	أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء	٦٤٠٩	ابن آدم، اركع لي أربع ركعات
٧٤٦٨	إن أحب عبادي إليّ أعجلهم فطراً	٤٠٧٥،	ابن آدم، أنى تعجزني وقد خلقتك
٨٣٢	إن رحمتي تغلب غضبي	٧١٧٩، ٧١٢٨	
٣٠٦٤، ٢٨٦٤	إن رحمتي سبقت غضبي	٩٤٣	ابن آدم، أنفق أنفق عليك
٣٧٧٣، ٢٨٨٧	إن رحمتي غلبت غضبي	٧١٧٧	ابن آدم، ما غرك بي؟
٢٨٨٦	إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني	٤٦٠٢	أنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي
٤٥٤٦، ٣٣٧٧	إن فلاناً عبدي يلتبس أن يرضيني	٤٥٦٣	أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال
٤٥٣١	إن كل مال منحه عبادي فهو لهم	١٣٢٦	إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة
٧٢١	إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها	٣٨٦١	إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له
٧١٢٢	إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً	١٣٢٥	إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها
٦٠٠٨	إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى	١٣٢٤	إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها
٥٩٣٦	إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر	٥٠١٦	إذهب فأتني بعبدي هذا
٤٢٥٤	أنا أغنى الشركاء عن الشرك، ومن عمل	٥٨٦٨	أربع خصال، واحدة منهن لي
٣٨٩٦	أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله	٢٠٠٠	ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة
٧٠٩٣	أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك	٦٠١٩	استقرضت عبدي فلم يعطني
٥٨١١	أنا خير شريك، فمن كان له معي شرك	٥٠٠٦، ٣٧٢٧	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
٤٤٤٥	أنا خير شريك، من أشرك بي أحداً	٦٥٨٤	
٤٤٤٩	أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك	٥١٢٧	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
٤٤٥٠	أنا ربكم، قد صدقكم وعدي	٥٢٨٧، ٥٢٨٤، ٥٢٨٣، ٥٢٨٢	
٦٣٠١	أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت	٣٢٦٨	أعط أخاك مظلمته
٦١١٣، ٢٨٩	أنا عند ظن عبدي بي	٣٠٠	اكتبها كما قال عبدي
١٤٩٦، ١٤٩٥، ٧٨٧	أنا مع عبدي ما ذكرني	٧١٩٩	اكتبوا كتابه في سجين
٧٨٨			

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
	- السنين -	٥٨٥٠	أنا الملك، أنا الجبار، أنا المتكبر
٥٦٦٦	السلام عليكم يا أهل الجنة	٤٩٩٩	أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك
١٦٧٥	سلني أعطك	٣٠٩، ٥٨٠٩	أنا الملك، أين ملوك الأرض
٢٨٥٨	سلوني، سلوني أعطكم	٥٨١٠	
٥٧٩٧	سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم	٦٠٢٢	أنت رحمتي أرحم بك من أشياء
	- العين -	٤٠١٧	انطلق إلى عدوي فأتني به، فإني
١٣٩١	عبدني عهد إلي وأنا أحق من وفي	٤٠١٦، ٦٥٩١	انطلق إلى وليي فأتني به، فإني
٦٧٣٠، ٦٠٢٤	العظمة إزاري والكبرياء ردائي	٣٧٨٤، ٤٢٤٨، ٥٥٨٣	أنفق أنفق عليك
٥٩٥٩	علم عبدني أنه لا يغفر الذنوب غيري	٢٥٧٨	إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك
	- القاف -	٣٠٤٩	إنما تركها من جراني
٥٧٦٠	قال تعالى لداود: ابن لي بيتاً في الأرض	٣٠٥١	إنما تركها من مخافتي
١٣٢٦	قالت الملائكة: رب، ذاك عبدك يريد	٢٩٢٢، ٣٠٨٩، ٣١٣٩	إني خلقت عبادي حنفاء
٦٥٥٣	قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها	٣١٩٤، ٣٧٩١، ٤٢٠٤، ٤٢٩٣، ٥١٨٩، ٧٢٩٩	
٥٣٠٣، ٣١٨٣	قد فعلت	٤٢٨٦	إني قد سمعت الذي قالوا، فإن شئت
٢٢٩، ٢٤٤	قسمت الصلاة بيني وبين عبدني	٥٨٦٧، ٥٢٢	إني لأنار لأوليائي كما يثار الليث
٣١٣، ٢٤٥		٤٥٣٧	إني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا
٧٠٦١	قم فابعث من ذريتك بعثاً	٥٦١٥	إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم
	- الكاف -	٤٩٩٥، ٥١٦٤	إني مبتليك، ومبتل بك
١٩٩٧	كذبت، إنما أردت أن يقال جواد	٧٣٤٩	أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟
٤٥١١	كذبتني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني	٥٨٨٤	أوليس كفى بي شهيداً؟
٥١٨٧، ٥٨٥	كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك	٢٦٨١	أي عبدني، رأيت منكراً فلم تنكره؟
٧٥٨٩			- التاء -
٥٨٦	كذبتني ابن آدم وما ينبغي له	٧١٠١	تريدون شيئاً أزيدكم؟
٥٦٦٨	كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام	٣٩٥٤	تمن... تمن من كذا، وتمن من كذا
٥١٩٥، ٢٥٧٨	كل مال نحلته عبادي حلال	١٦٧٦	تمن عليّ عبدني ما شئت أعطكه
٧٣٤٧	كيف رفعت ذكرك؟		- الثاء -
١٤٦٤	كيف وجدت منزلك؟	٥٨١٥	ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي
	- اللام -		- الحاء -
٤٢٩٦	لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي	٢٥٧٨، ٢٢٦٩	خلقت عبادي حنفاء
٤٢٩٧	لا أجعل من خلقت بيدي ونفخت فيه	٣١٩٩	خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٥١٩	هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن - الواو -	٢٨٥٧	لا أخزيك في أمتك يا محمد
١٨٤١	وعزتي، لا أمتعه التوبة ما دام وعزتي وجلالي إني لأهم بأهل الأرض ٣٤٧٦ وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ١٨٤٢، ٣٣٤٣ وعزتي وجلالي، لا يجاوزني اليوم ظلم ٥٦٤	٥٨٥١	لمن الملك اليوم؟ .. لله الواحد القهار
٣٩٢٢	وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي	٣٩٢٦	لو أن عبيدي أطاعون لأسقيتهم المطر
١٥٨٨	وعزتي وجلالي، ولا أزال أغفر لهم	٥٢٨٠	ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم - الميم -
٤٧٥٥	ومن أظلم ممن خلق كخلقي! فليخلقوا	٣٩٢٢	ما من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا
٤٧٥٦، ٥١٢٦	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟	٥٤٨٧	ما من عبد يصلي عليك صلاة
٥٢٣	ومن كنت خصمه خصمته	٢٧٣٠	ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره
٥٢٣	- الياء -	١٢٩٣	ماذا عملت في الدنيا؟
٤٤٢٨	يا آدم، ابعث بعث النار	١٢٨٩	ماذا عملت لي في الدنيا؟
٤٦٥٠	يا آدم، إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً	٥٢٢٨	من أغبط أوليائي عندي مؤمن
٤٦٤٩	يا آدم، فيقول: لييك ربنا وسعديك	٢٢٢٨	من انتدب خارجاً في سبيلي ابتغاء
٣٢٠٢	يا آدم، هؤلاء ذريتك	٥٤٢٣، ٦٩٦	من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
٦٩٧	يا ابن آدم، إن ذكرتني في نفسك	١٨٧	من شغله قراءة القرآن عن دعائي
٣٠٠١	يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني	٥٤٩٢	من صلى عليك من أمتك صلاة
٤٥٨٧	يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك	٥٤٨٥	من صلى عليك من أمتك واحدة
٦٣٢٠		٥٤٨٤، ٥٤٨٣	من صلى عليك صليت عليه
٧٥٣	يا ابن آدم، ثنان لم يكن لك	٥٢١، ٥١٩	من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب
٧٤٧٣	يا ابن آدم، حملتك على الخيل والإبل	٥٨٦٦، ٤١٠١	من علم أني ذو قدرة على مغفرة
٣٥٦٠	يا ابن آدم، فيم أخذت هذا الدين؟	٢٠٦٩	من عمل حسنة فله عشر أمثالها
٧٢٨١	يا ابن آدم، قد أنعمت عليك نعماً	٣٠٤٧	من يستغفرني أغفر له، من يسألني أعطه
٤٠٧٠	يا ابن آدم، لا تعجز عن أربع ركعات	٦٨٥٤، ١١٥٦	من يقرض غير عديم ولا ظلوم
٧٩٨	يا ابن آدم، واحدة لك وواحدة لي	- الهاء -	
٤٠٥٠	يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا	٦٥١١	هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار
٣٨١٧	يا أهل الجنة، إن لكم أن تعيشوا فلا	٥٩١٤	هذه لهذه، وهذه لهذه ولا أبالي
٤٥٨٣	يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً	٣٥٨٤	هل تشتهون شيئاً فأزيدكم؟
		٦٤٩٠	هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة
		٣٢٠٣	هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار
		٣٢١٢	هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٠١٦	يا عبادي، كيف وجدت مكانك ومقيلك؟	٦٠٠٧	يا أهل الجنة، خلود فلا موت
٢٠٥٧	يا عبادي، ما عبدتني ورجوتني فإني غافر	٣٥٨٣	يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك يا ربنا
١٥١٣	يا عيسى، إني باعث بعدك أمة	٤٥٨٢	
٥٧٦٧	يا محمد، أتدري فيم يختصم الملا	٤٨٢٥	يا أهل الجنة، كم لبثتم في الأرض
٥٨٣٠	يا محمد، أدخل من لا حساب عليه	٥٦٩٣	يا بني آدم، أتى تعجزني
٧٣٤٨	يا محمد، ألم أجذك يتيماً فأوتيك؟	٢٨٥٦	يا جبريل، اذهب إلى محمد فأسأله
٥٤٩١	يا محمد، أما يرضيك أن ربك عز وجل	٤٥٣٢، ٤٥٣٠	يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحبه
٢٩٢٠	يا محمد، فيم يختصم الملا الأعلى؟	٤٥٣٣	
٦٣٧٤	يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا	٥٧٦٠	يا داود، نصبت بيتك قبل بيتي؟
٦٣٧٥			يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
٧٠٦	يا ملك الموت، قبضت ولد عبادي؟	٥٧٩٧	
١٣٣١	يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه	٧١٢٩	يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نقعي
٦٠١٨	يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر	٣٧٤١، ٣٣٨٦	يا عبادي، إني حرمت الظلم
٤٥٣٧	يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة	٥٨٥٢	
١٣٨٦	ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى سماء	٥٦٩٥	يا عبادي، كلكم مذنب
٦٠١٦، ٥٥٣٥	يؤذيني ابن آدم يسب الدهر	٣٩٨٦، ٣٩٥٥	يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم
٦٢٨١	يؤذيني ابن آدم، يقول: لن يعيدني	٥٧٦٩، ٥٠٨٤	

فهرس الأحاديث والآثار النبوية

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٢٤١	آيئون تائبون عابدون لربنا	- الألف -	
٩٣٤، ٧٤٣	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب	٥٨٢٠	آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح
٧٠٢٥، ٦٧٨٨، ٤٧٧٣، ٤٤٨٥، ٣٩٤٢، ٣٥٩٨	آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي	٤٥٦٢، ١١٨٧	آتي تحت العرش فأخر لله ساجداً
٦٦٨٧	اتقدموا بالزيت وادهنوا به	٣٤٤٢	آخر آية نزلت (يستفتونك...)
٤٧٨٩	اتني بأحجار أستنجي بها ولا تأتني	٣٧١٤	آخر آية نزلت من القرآن هذه
٦٠٦٥	اتني به	٢٤٠٠	آخر سورة أنزلت إذا جاء
٣٨٥٢	اتنها على كل حال	٢٣٩٩	آخر سورة أنزلت سورة المائدة
٩٨٨	اتوني بأعلم رجلين منكم	٧٥٢٢	آخر سورة من القرآن نزلت
٢٦٤٧	اتوني بالتوراة	٢٣٧٨	آخر سورة نزلت «براءة» وآخر
٢٦٤٣	اثذنوا له، بشس أخو العشيرة	٧٥٣١	آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً
٦٢٣٩	أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً	١٢٦٢	آخر ما نزل على رسول الله ﷺ
٦٧٦٨، ٦٧٦٣	أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً	١٣٠٠	آخر ما نزل من القرآن كله
٦٧٥٩	ابتاع فرساً من أعرابي	٦٠٤٩	آذنته بالجن شجرة
١٣١٢	ابدأ بما بدأ الله به	٦٨٣٨	آذنوا بالرحيل
٢٥٣٠، ٧٠٩	ابدأ بنفسك فتصدق عليها	١٠٨١	أكل الربا وموكله وشاهداه
٩٦٢	ابدؤوا بما بدأ الله به	٧٥٠١، ٦٥٢٩	أكلها أنعم منها
٢٥٣٠	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم	١٠٣٠	ألى من نسائه شهراً
١٥٠٤	أبدلنا الله بذلك الجهاد	٦٨٨٨	ألى وحر، فعوتب في التحريم
٣٦٧٨	أبرهما وأوفاهما	٣٣٧٠	أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع
٥١١٦	أبشر بخير يوم مر عليك	٥٦٨٨	أمن شعره وكفر قلبه
٣٦٩٩	أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل	٣٢٠٥	أمن لسانه ولم يؤمن قلبه
٣٢٨٦	أبشر يا أبا سعيد! فإن الحسنة بعشر	٦٦٨	أمنوا بالتوراة والزبور والانجيل
٧٤٣٧	أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً	٣٢٥، ٣٢٤	أمين
٤٨٥٠	أبشروا أبشروا، من صلى الصلوات	٤٢٢٩	أمين... أمين... أمين
١٩٠٥	أبشروا وقاربوا وسددوا، فإنه	٣٣٧	أمين خاتم رب العالمين
٢٢٨٥			

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
أبصر في مشرق ثقيف وهو قائم	٧٢٣١	أنه ملكان فيما يرى النائم	٣٧١٢
أبصروها فإن جاءت به أسحم أدعج	٤٨٥٥	أنهم في بني ظفر، فجلس	٢٠٠٨
أبطاً جبريل على النبي ﷺ فجنح	٧٣٣٤	أنت قریش اليهود فقالوا: بم جاءكم ١٧١٩، ١٧٢٧	
أبطاً جبريل على رسول الله ﷺ فقال	٧٣٣١	أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها؟	٦٦٥٣
ابعثها قياماً مقيدة، ستة أبي القاسم	٤٧٢٤	اتخذوا السودان، فإن ثلاثة منهم سادات	٥٢٢١
أبعر رجل امرأته على عهد رسول الله ﷺ	٩٩٣	أتخوف أن يكون مسخاً	٣١٤٥
أبغض الحلال إلى الله الطلاق	٢٣٠٢	أتخوف على أمتي الشرك والشهوة	٤٤٤٨
أبغض الناس إلى الله من يبتغي	٢٦٦٩	أتدرون أي يوم ذاك؟	٤٦٤٥، ٤٦٤٤
أبلغني زيدا أنه أبطل جهاده مع	١٢٥٥	أتدرون أي يوم يومكم هذا؟	٣٤٦٣
ابن آدم، انك إن تبذل الفضل خير لك	٩٦٤	أتدرون فيم انتطحتا؟	٢٨٧٥
ابنك هذا	٦٩٥	أتدرون ماذا قال ربكم؟	٥٠٠٦
أبوك حذافة	٢٨٢٤	أتدرون ما أخبرها؟	٧٤٢٤
أبوك ذكر لك هذا	٢٣٩١	أتدرون ما الكوثر؟	٧٤٩٥
أبيت، ويلى كل شيء من الإنسان إلا	٥٨١٧	أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟	٦٥٧٥
أبيتي، لا ترموا الجمرة حتى تطلع	٥٢٩٨		٧٤٤٧
أتاني آت من ربي فقال لي	٥٤٨٧	أتدرون ما هذان الكتابان؟	٥٩١٢
أتاني الليلة آتيان فابتعثاني	٣٦٤٤	أتدرون ما هذه الريح؟	٦٢٥٤
أتاني جبريل بدابة فوق الحمار	٤١٦٨	أتدرون ما وقى؟	٦٠٥
أتاني جبريل فبشرني أنه من مات	٣٠٠٠	أتدرون مم أضحك؟	٥٦٦٨
أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك	٧٣٤٧	أتدرون من السابقون إلى ظل الله؟	٦٥١٢
أتاني جبريل فقال: يا محمد	٤٢٢٩، ١٦	أتدرون من هذا؟	٣١٣٠
أتاني جبريل في خضر معلق به الدر	٦٣٨٠	أتدري أين تذهب هذه الشمس؟	٥٦٦٤، ٤٦٦٤
أتاني جبريل وميكائيل فقال جبريل	٥٩	أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟	٥٧٨٣
أتاني جبريل، فأمرني أن أضع	٤١٠٩	أتدري لم بعثت إليك؟	١٦٥١
أتاني داعي الجن فذهبت معهم	٦٠٥١	أتدري ما حق الله على العباد؟	٢٨٨٨، ١٩٧١
أتاني ربي في أحسن صورة	٦٣٧٤، ٢٩٢٠	أتدري ما حق الله على عباده؟	٣٨٩
أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك	٦٨٣٧	أتدري ما وقى؟	٦٤٠٨
أتاني رسول الله ﷺ وأنا جالس	٤١٠٨	أتدري ما يوم الجمعة؟	١٩٠٠
أتاني ملكان فقال أحدهما: اقرأ	٥٧	أتراه يصلي صادقاً؟	٧٨٢
أنه فيما يرى النائم ملكان	٤٨٠١	أتدريين عليه حديثه؟	١٠٥٨، ١٠٥٤

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
أترون هذه تلقى ولدها في النار؟	٥٤٢٥	أتى ناس من حمير إلى رسول الله ﷺ	٩٨٧
أترون هذه طارحة ولدها في النار؟	١٨١٥ ، ٦٨٤	أتى نعمان بن أضاء	٢٥٧٦
أترونها للمؤمنين المتقين؟	١٩٤٠	أتى الله بعدد من عبيده يوم القيامة	١٢٨٩
أتري بما أقول بأساً؟	٧١٤٥	أتى بالبراق ليلة أسري به	٤١٣٧
أتريدون ان تقولوا كما قال أهل الكتابين؟	١٣١٧	أتى بصدقة فقسمها ها هنا	٣٥٤٥
أتشفع في حد من حدود الله؟	٢٦٣٩	أتى رسول الله بمال من البحرين	٣٤٢٥
أتشهد أن لا إله إلا الله؟	٢٢٥١	إتيان الرجال النساء في أدبارهن كفر	١٠١١
أتشهدين أن لا إله إلا الله؟	٢١٧٠	أتيت النبي ﷺ في ذين كان على أبي	٤٨٨٢
أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم والكلام	٦٣٦٨	أتيت النبي ﷺ لأبايعه فاشترط	٣٢٩٧
أتعجبون من دقة ساقيه؟	٣٠٧٣	أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض	٤١٣٦
أتعجبون من غيرة سعد؟	٣٠٠٩	أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل	٤١٤٦
أتعرف الحيرة؟	٤٩٧٦	أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ	٧٤٩٨
أتق الله حيشما كنت	١٧٧٣	أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم	١٢٥٢
أتق الله حيشما كنت، واتبع السيئة	٣٨٣٧	أثقل الصلاة على المنافقين	٢٣١١
أتقدر على رقبة؟	٦٦٥١	اثماً كبيراً	١٧٧٨
أتقروهن عن ظهر قلبك؟	١٢٩	اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل	٢٥٧٣
اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات	٦٧٢١	اثنان يكرهما ابن آدم	٣٨٨٦
اتقوا الله حق تقاته، فلو ان قطرة	٥٧٠٨	أجب عني، اللهم أيده بروح القدس	٥٠٢
اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم	١٩٦٨	اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه	٦٩٠٠
اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة	٧٤٢٨	اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا	٧٠٤٥
اتقوا فراسة المؤمن	٤٠٥٥ ، ٤٠٥٤ ، ١٢٣٦	اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا	٥٨٧٨
أتقولون: هذا أضل أم بعيره؟	٣١٦٦	اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث	٢٧٩٣
أتطلق أنت معي حيث انطلقت؟	٦٠٦٨	اجتنبوا السبع الموبقات	١٨٠٦ ، ١٩٠٢
أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين	٣٧١٦	اجتنبوا الكباثر، وسددوا وأبشروا	٤٨٧٠ ، ٣٢٩٦
أتى النبي ﷺ سائل فأمر له بتمرة	٣٩٨٥	اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة	١٩٣٧
أتى بكبشين أملحين أقرنين، فسجد	٤٧١٦	أجعلتني لله ندأ؟	٢٧٥٣
أتى جبريل بمرآة يبيض فيها نكتة	٦٣٠١	اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها	٣٩٣ ، ٣٩٢
أتى سباطة قوم، فبال وتوضأ	٢٥٥٢	اجعلوها في ركوعكم	١٥٢
أتى عبد الله بن أبي بعدما أدخل	٣٦٢٣	اجعلوها في سجودكم	٧٢٤٢ ، ٦٥٩٧
أتى فاطمة بعدد قد وهبه لها	٤٩١٠		٧٢٤٢ ، ٦٥٩٧

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٤٨٥	أحسنتم يا عمر حين وجدتمني ساجداً	٥٤٩٢	أجل، أتانني آت من ربي
٥٢٣١	أحسنهم خلقاً	٢٩٠٢	أجل، إنها صلاة رغب ورهب
٢٠٤	أحسنوا الأصوات بالقرآن	٦٨٧٧	أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها
٧٥٦٠	احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن	٧٥٠٧	أجل، وعرضه يعني أرضه ياقوت
١٨٨١	إحصانها إسلامها	٧٠٩٠	اجلس حتى أخبرك بغنى الرب عز وجل
	احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك	٣٨٥٢	اجلس، اقرأ علي
٦٨٦٧، ٥٧٨٦		٦٥٠٠	أجلوا الله يغفر لكم
٤٨٩٦	احفظ عورتك إلا من زوجتك	٣٦٠٢	اجمعوا صدقاتكم
٥٣٣٩	أحكم فيهم	٤٩٥	اجمعوا لي من كان من اليهود ههنا
٢٨١٤، ٢٤٢٢، ٧٢٦	أحلت لنا ميتتان ودمان	٤٣٩٨	اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به
٣١٤٣		٤٩٩١	اجمعوها لي في الآخرة
١٦٠١	احموا ظهورنا فإن رأيتونا	٤٩٦٨، ٢٣٧٦	أجورهم: يدخلهم الجنة ويزيدهم
٥٩٠٨	أحياناً يأتييني في مثل صلصلة الجرس	٥٣٩٨	أحب أهلي إلي فاطمة
٧٠٥٤		٧٠٢٤	أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل
٥١٤٣	أخبرك ان الله تعالى يجمع الأولين	٥٧٤١	أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود
٢٠٧٦	أخبركم بأكبر الكبائر: الشرك	٦٧٤١	أحب حبيبك هوناً ما نفعسى أن يكون
٤٣٦١	أخبركم غداً بما سألتكم عنه	٥٩٣٠	أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه
١١٢٨	أخبرنا أنها صلاة العصر	٤٥٠٤	احتبس جبريل عن رسول الله ﷺ
٦٩٣٧، ٥١٥	أخبرني بهن جبريل آنفاً	٥٧٦٧	احتبس علينا ذات غداة عن صلاة الصبح
٧٠٨٢	أخبروني عن تربة الجنة	٤٥٧٢	احتج آدم وموسى عند ربهما
٣٩٩٣	أخبروني عن شجرة تشبه المسلم	٤٩٠٢	احتجبا منه
٧٥٥٢	أخبروه أن الله تعالى يجبه	٦٢٩٤	احتجت الجنة والنار
٦٥٥١	أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز	٤٦٩٣	احتسب على الله أن يكفر السنة
١٧٨٩	اختر أربعاً أيتهن شئت	٤٦٨٣	احتكار الطعام بمكة إلحاد
١٧٨٨، ١٧٨٦	اختر منهن أربعاً	٤٠٥٦	احذروا فراسة المؤمن
٢١١٦	اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ	٣٥٤٦	احذروا هذا وأشباهه فإن أمتي
٤١٩٠، ٣٨٤٣	اختصمت الجنة والنار	١٨٠٩	أحرج مال الضعيفين
٦٦٥٤	أختك هي	٨٣، ٥٨، ٤٩	أحسنتم
٦٦٣٩	اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين	٣٧١٣	أحسنتم إليك
٢٤٩٨	أخذ الجزية من مجوس هجر	١٨٨٢	أحسنتم اتركها حتى تماثل

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٨٣٥	أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ	٤١٢٣	أخذ المشركون عمار بن ياسر
٦٢٥٣	أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب	٣٤٣٣	أخذ على رجل دخل في الإسلام
٣٥٦٦	أدرك القوم فإنهم قد احترقوا	٦٧٦١	أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة
٥١٦	أدركته الصلاة بواد فصلاها	٦٧٧٦	أخذ علينا فيما أخذ ألا تنحن
٧٠٨٢	أدعهم، أما إني سائلهم عن تربة الجنة	٢٦١٤	أخذ علينا كما أخذ على النساء
٥٠٨٦	ادعوا إلى الله وحده، الذي إن مسك	٢٣٩٣	أخذ عمر كتفاً وجمع أصحاب
٥٨٤٩	ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة	٤٢٧١	أخذ في يده حصيات، فسمع لهن
٢٢٠١	ادعوا لي المقداد	١٨٥٦	أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم
٣١٦٠	ادعوه	٩١	أخذته من في رسول الله ﷺ
٥٧٣٩	ادعوه أن يتكلموا بكلمة تدين لهم	٥١٠٥	أخذها من رسول الله ﷺ : خباب
٩٩٠	ادعي الأنصارية	٣٥٠٠	أخذها من مجوس هجر
٥٣٥٨	ادعي زوجك وابنيك	٣١٩٨	أخذوا من ظهره، كما يؤخذ بالمشط
٦٤٩٨	ادني أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون	٩٠٥	آخر الدفعة من عرفة حتى غربت
٩٧٤	أدني مني	٣٦٢٠	آخر عني يا عمر، اني خيرت
٣٧٤٤ ، ٢٨٤١	إذا أتاك الله مالاً فليز عليك	٢٢٤٥	آخر يوم الأحزاب الظهر والعصر
٣٤٣٧	إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه	٢٠٧٣	أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي
٣٤٣٦	إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه	٤٨٨٤	أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان
٢٧٨٢	إذا أتانا مال البحرين فأتنا	٢٣٢٦	أخرج متاعك فضعه على الطريق
١٩٨٩	إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه	٧١١٢	أخرج نفس صاحبكم الشوق إلى الجنة
٢٨٣	إذا أتيت أهلك فسم الله	٤٣٠٣	أخرج يا أبا بكر، فذاك حين دلكت
٩٣٨ ، ٥٠١٤	إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون	٣٦٤٢	أخرج يا فلان، فانك منافق
٤٠٣٦	إذا اجتمع أهل النار في النار	٨٥٠	أخرجوا باسم الله
٥٣٠٤ ، ٤٦١١	إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران	٦٦٩٥	أخرجوا... إلى أرض المحشر
٤٥٣٣	إذا أحب الله عبداً نادى جبريل	٥٢٦٢	أخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان
١٣٢٦	إذا أحسن أحدكم إسلامه	٥٩٩٢	إخساً، فلن تعدو قدرك
٧٥١٨	إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ	٥٩٨٧	إخساً، ما شاء الله كان
٤٥٥٠	إذا أخذتم، يعني الساحر، فاقتلوه	٢٣٢٠	أخلص دينك يكفك القليل
١٥٨٩	إذا أذنت فاستغفر ربك	٣٨٣١	أخلفت رجلاً غازياً في سبيل الله
٥٥٧٤	إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحي	٣٠٨	أخنع اسم عند الله، رجل
		٢٠٨٥	أد الأمانة إلى من ائتمنك

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
إذا أراد الله بقوم عاهة	٣٤٧٥	إذا توضع أحدكم فليجعل في منخره	٢٥١٨
إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل	٥٢٦٦ ، ٥٢٦٨ ، ٥٢٦٧	إذا توضع العبد المسلم	٢٥٦٢
إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد	٢٤٧٩ ، ٢٤٤٠	إذا توضع العبد ففسل يديه	٢٥٦٤
إذا أرسل الرجل كلبه وسى	٢٤٧٥	إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل	٦٨١٢
إذا أرسلت كلبك المعلم	٢٤٨٤ ، ٢٤٧٨	إذا جمع الله الأولين والآخرين	٣٨٩٧ ، ٣٩٩١
إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله	٢٩٥٤	إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم	٥٢٨٠ ، ٤٤٥٢
إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله	٢٤٨٥	إذا جىء بجهنم تقاد بسبعين ألف	٤١٠٣
إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله	٢٤٨١ ، ٢٤٣٨	إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم	٧٠٢٦
إذا استأذن أحدكم ثلاثاً	٤٨٧٦	إذا حدثكم عن رسول الله ﷺ حديثاً	٣١٧٧
إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه	١٦٤١	إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم	٣١٧٨
إذا استيقظ أحدكم من نومه	٢٥١٢	إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تكذبوهم	٣٢٣٩ ، ٥١٦٠
إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ	٤٤٩٠	إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها	٣٧٤
إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة	٧٤٥١	إذا خلع المؤمنون من النار حبسوا	٦٠٨٤ ، ٣١٠٤
إذا انتهى المؤمن الولد في الجنة	٦٢٩٩	إذا خلق الله العبد للجنة استعمله	٣١٩٩
إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار	٥٦٦٠ ، ٨٣٠	إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم	٤٩٥٧
إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون	٦٨١١	إذا دخل أحدكم المسجد فليقل	٤٩٥٦ ، ٣٨١١
إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء	٧٣٥٦	إذا دخل أهل الجنة الجنة	٣٧٣٣ ، ٤٤٨١ ، ٧١٠١
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	٦٧١٠	إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا	٦٣٣٥
إذا أمن الإمام فأمنوا	٣٣٣ ، ٣٢٧	إذا دخل الإنسان قبره	٤٠١٤
إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم	٤٩٨٦	إذا دخل الإيمان القلب انفسح له	٢٩٧٨
إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليتنفضه	٥٧٨٨	إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه	٦٣٣١
إذا أويت إلى فراشك فاقرأ	٧٥١٧	إذا دخل الرجل بيته فذكر الله	٢٤٩٢
إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا	٥٣٨٦	إذا دخل النور القلب انفسح	٢٩٨٠
إذا بلغ الرجل المسلم أربعين	٤٦٥٦	إذا دعا أحدكم أخاه فليجب	٥٤٦٢
إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب	٣٤٨٤	إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه	١٩٦٥
إذا تمنى أحدكم فليتنظر ما يتمنى	٦٣٩٧	إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب	٥٨٤٣ ، ٦٢٢١
إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى	٦٥٤٧	إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به	٣٨٥٦
إذا تواجه المسلمان بسيفيهما	٣٠٥٠ ، ٢٥٩٠	إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه	٦٩٩٦

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد ما شاء	٥٩٧٢	إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم	٣٣٧٢
إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا	٢٨٧٨	إذا صلت المرأة خمسها وصلت	١٩٦٣
إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه	٣٢٣ ، ١٣٥٤	إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله	٥٤٧٧
إذا رأيتم الذين يجادلون فيه	١٣٥٢	إذا صليت فاقراً بهما	٧٦٠٨
إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد	٣٤٧٢	إذا صليتم عليّ فسلوا الله لي الوسيلة	٣٥٧٧
إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد	٤٩٤٦	إذا صليتم عليّ فسلوا لي الوسيلة	٢٦١٨
إذا رجعت فطلق إحداهما	١٨٧٢	إذا طلعت الشمس من مغربها	٣٠٣٩
إذا رميت بالمعراض فخرق فكله	٢٤٣١	إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني	٥٥٣٠
(إذا زلزلت) تعدل ربع القرآن	٧٤٢٠	إذا طهرت فليطلق أو يمسك	٦٨٥٧
(إذا زلزلت) تعدل نصف القرآن	٧٤٢١	إذا ظهر السوء في الأرض	٣٣٢٦
إذا زنت أمة أحدكم فبين زناها	١٨٨٣ ، ١٨٩٠	إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم	٢٧٣٢
إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها	١٨٣٢	إذا ظهر القول، وخزن العمل	٦١١٥
إذا زنت الأمة فاجلدوها	١٨٨٦	إذا ظهرت المعاصي في أمتي	٣٣٢٣
إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس	١٥٦٢ ، ٤٤٤٣	إذا عملت الخطيئة في الأرض	٢٧٢٤
إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس	٦٠٩٦	إذا عملت حسنة أحبها قلبك	٧٣٢
إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب	٦٦٦٢	إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها	٣٨٣٨
إذا سلم عليكم اليهود	٢١٦٢	إذا غضب أحدكم وهو قائم	١٥٧٢
إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين	٥٧٣٣ ، ٣٢٨	إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق	٢٨٨٧
إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص	٢٦٨٦	إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين	٣٢٨
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٦٨١٠	إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم	٣٤٠
إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم	٣١٧٦ ، ٣٨١٠	إذا قال الإمام: ولا الضالين، فقولوا	٣٣١ ، ٣٢٩
إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله	٣٩٢٧	إذا قام أحدكم عن الصلاة	٤٥٤١
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل	٣٥٧٨ ، ٢٦١٧	إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان	٤٠١٠
إذا سمعتم بالطاعون بأرض	٤٧٠	إذا قرأ أحدكم (والتين والزيتون)	٧٣٥٨
إذا سمعتم صباح الديكة فاسألوا الله	٥٢١٨	إذا قرأ ابن آدم (السجدة)، اعتزل	٤٦٦٨
إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول	٥٥٠٧	إذا قرأ: ولا الضالين، فقولوا: آمين	٣٣٢
إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّ	٤٩٦٤	إذا قضى الله الأمر في السماء	٤٠٣٩ ، ٥٠٦٧
			٥٥٧٢
		إذا قضى الله منية عبد بأرض جعل	٥٢٦٥
		إذا قلت: (الحمد لله رب العالمين)	٢٩٥

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
إذا قمت إلى الصلاة فكبر	٢٤٦	إذا نودي للصلاة - صلاة الصبح	٨٢٩
إذا كان أجل أحدكم بأرض أوثيته	٥٢٦٩	إذا هم أحدكم بالأمر فليركع	٢٤٤٧
إذا كان بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا	١١٥٤	إذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف	٧٠٨٤
إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه	٢٢٠٠	إذا وضعت جنبك على الفراش	٢٥٥
إذا كان لإحداكن مكاتب	٤٩١١	إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا	١٦٩١
إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا	٥٥٢٠	أذكروا الجنة، واذكروا النار	٤٠٥١
إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد	٧١٩١	أذكروا الله ذكراً يقول المنافقون	٥٤٢١
إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج	٥٦٦٧	أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله	٧٠٠٧
إذا كان يوم القيامة، جاء أهل	٤١٩٨	أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة	
إذا كان يوم القيامة دعي بالانبياء	٢٨٥١	العرش	٧٠٠٦
إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم	٤٧٧٩	أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس	١٦٨٢
إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله	٤٨٧٢	اذن يكفيك الله ما أهمك	٥٤٩٠
	٥٨٨٥	اذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة	٥٤٨٧
إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين	٥٦٢٤	اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق	٦٦٥٠
إذا كان يوم القيامة كنت إمام الانبياء	٤٣١٤	اذهب إليه فقل له: أنك لست من أهل النار	٦١٩٩
إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض	٧٢٠٩، ٤٣٢٧	اذهب فأنت أميرهم	٣٥٨
إذا كان يوم القيامة نادى مناد	١٥٨١	اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً	٥٤٥٧
إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له	٥٩٤١، ٢٢٨٣	اذهب فاذكرها علي	٥٤٥٨، ٥٤٠١
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان	٦٦٦٦	اذهب فاطرحه في القبض	٣٢٥٩
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجين اثنان	٦٦٦٥	اذهب فزادهم وازدد ستين في الأجل	٥١٧٥
إذا كنز الناس الذهب والفضة	٤٣٩٥، ٣٥١٧	اذهب فواره ولا تحدثن شيئاً	٣٦٩٠
إذا لم تصطبحو ولم تغتبقوا	٢٤٦٥	اذهب معه فافعل ما يريد	٢١٦٦
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا	٥٠٣٩	اذهب، فادعه لي	٣٩٢٩
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث	٦٥٧	اذهبي إلى أم سلمة، فأعطيه	٣٩٨٥
	٦٤١١، ٦٣٣٤، ٥٦٥٠	اذهبي فغيري يدك	٦٧٦٨
إذا مشيت أمتي الميططاء	٤٢٦٨	أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء	١٥٦٥
إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان	٥٠٢٩	أرأيت لو عمد إلى متاع الدنيا؟	٣٩٩٦
إذا نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي	٢٣٢٣	أرأيت لو كنت في طريق وعرة؟	٤٨٠٠
إذا نعس أحدكم وهو يصلي	٢٠١٧	أرأيت ما رأيت مما تكره؟	٥٩٣٨
إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له	١٨٦٧	أرأيت إن أعطيتكم هذا، هل أنتم؟	٢٩٤٢

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦١٦٣	أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه	٧٥٤٢	أرايتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم؟
٤٠٢٩	أرض يبضاء لم يسقط عليها دم	٥٥٨٩	أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم؟
٥٢٩٦	أرضيه تحرمي عليه	٣٨٢٢	أرايتم لو أن بباب أحدكم نهراً؟
٥٤٥٦	أرفعوا طعامكم	٣٦٢٥	أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي
٤٧١٥	أركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها	٢٧٤٦	أراد رجال أن يبتلوا ويخصوا
٤٧١٤	أركبها، ويحك	٥٥٥٤ ، ٥٥٥٣	أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك
٤٢٧٢	أركبها سالمة، ودعوها سالمة	٦٧٨٢	أربع في أمتي من أمر الجاهلية
١٦١٤ ، ١٦١٣	أرم، فذاك أبي وأمي	٤٧٠٩	أربع لا تجوز في الأضاحي
٥٥٦٧	أرموا بني إسماعيل، فإن أباكم	٤٠٣٣	أربع من أمر الجاهلية لا يتركن
٣٣٩٠	أرموا وأركبوا، وإن ترموا خير	٤٨٨	أربع من الشقاء: جمود العين
٢٠٩٠	أرني المفتاح	٣٩٧٢	أربع من سنن المرسلين
١٦٦٩	أرواحهم في جوف طير خضر	٦٧٨٩	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً
٧٣٩٥	أرى رؤياكم قد توأطأت في السبع الأواخر	٤٨٥٨	أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك
٧٣٨١	أري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله	٤١٩٤	أربعة كلهم يدلي على الله بحجة
٧٣٧٠	أري بني أمية على منبره، فساء ذلك	٦٠٣٧	أربعة لعنهم الله من فوق عرشه
٥٩٦٩	أري ما يصيب أمته من بعده، فما رئي	٤١٩٦	أربعة يحتجون يوم القيامة:
٥٣٢٤	أريت في المنام دار هجرتكم	٥٥٣٨	أربي الربا عند الله استحلال عرض
٥٢٩١	أريت ليلة أسري بي موسى	٦٥٤٨	ارتفاعها كما بين السماء والأرض
٥٠٦٤	أزهد الناس في الدنيا الانبياء	٢٥٤٤ ، ٢٥٤٣	أرجع فأحسن وضوءك
٥٢	أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتي	٤٨٨٣	أرجع فقل: السلام عليكم، أَدْخِلْ
٢٥٤٨	أسبغ الوضوء، وخلل	١٨٥٨	أرجعي إلى بيتك
٢٥٣٥ ، ٢٥٣٤	أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب	١٥٩٢	أرحموا ترحموا
٤٩١٩	استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن	١٩٦١	أردت أمراً وأراد الله غيره
٤٨٧٧	استأذن على سعد بن عباد	٦٧٨٤	أرسل إلينا رجلاً، فجمعنا، فقراً
٣٩٩	استأذنت النار ربها فقالت	٦٨٦٥	أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر
٦٦٠٩	استح الله كما تستحي رجلاً من صالح	٢٩٦٥	أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا
١٠١٠	استحيوا من الله حق الحياء، لا تأتوا	٢٦٧٢	أرسلني
٩٩٨ ، ٩٩٦	استحيوا، إن الله لا يستحي من الحق	٦٧	أرسله، إقرأ يا هشام
٥٩٩٠	استسقى لهم فسقوا، فانزل الله	١٦٦٨	أرسلهم إلى أهل بئر معونة
٦٧٤٢	استعمل أبا سفيان على بعض اليمن	٢٦٤٦	أرسلو إلي أعلم رجلين فيكم

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٢٤١	أسلمنا لما قدم المدينة	٦٤٦١	استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر
٥٠٣١، ٥٠٣٠	أسلمت	٢٦٣	أستعذ بالله السميع العليم
١٤٠٣	اسم ابنك عبد الرحمن	٣١٠١، ٤٠٠١	استعيزوا بالله من عذاب القبر
١١٨١	اسم الله الأعظم اذا دعي به أجاب	٥٨٥٩	استعيزوا بالله، فان العين حق
١٣٩٨	اسم الله الأعظم الذي اذا دعي به أجاب	٦٩٩٣	استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها
٧١٨	اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين	٣٨٥٨	استغفاره ﷺ لأمة عشية عرفة
٤٦٢٥	اسم الله الذي اذا دعي به أجاب	٩١٥	استغفر ربك، وصل أربع ركعات
٢٩٦٣	اسم الله على كل مسلم	٣٨٣٣	استغفروا لأخيكم
٧٠٨٧	أسمع أطيع السماء، وما تلام أن تتط	١٧٣٨	استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت ٣٦٢٩، ٤٠١٨
٣٦٠٦	أسمع ربي قد رخص لي فيهم	١٢٦١	استفت قلبك وإن أفتاك الناس
٧٠٥٣، ٥٩١٠	أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك	٤٥٩٣	استقطعت من رسول الله ﷺ وادياً
١٦٦٤	أسمعت بلالاً ينادي؟	٤٧٧٥	استقيموا ولن تحصوا، واعلموا
٢٠٩٨	اسمعوا وأطيعوا	٤٣٩١	استكثروا من الباقيات الصالحات
٥٣٠٠	أشبهت خلقي وخلقي	٦١٧	استلم الركن فرمل ثلاثاً
١٦٠١	اشتد غضب الله على قوم آدموا	٤٨٤٨	استمتع بها
١٦١٨	اشتد غضب الله على قوم فعلوا	٣٦٨٦	استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم
١٦٢٠	اشتد غضب الله على من دمي	١٨٥٧	استوصوا بالنساء خيراً
١٦١٩	اشتد غضب الله على من قتله	٢٠٦٦	استوهب منه دينه، فإن أبي
٦٧٧٥	اشترط علينا من المعروف حين بايعنا	٦٢١٢	استووا حتى أثنى على ربي عز وجل
٣٦٧٣	اشترط لربي أن تعبده	٦٦٨٠	استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم
٧٤٥٠	اشتكت النار إلى ربها فقالت	٧٨	أسر إلي رسول الله ﷺ أن جبريل
٧٣٣٠، ٢٠	اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين	٣٤٨٨	أسرج لي فرسي
	اشتكى، فأتاه جبريل فقال: «باسم الله أرقيك	٤١٦٣	أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس
٦٩٨٦		٧١٣، ٧١٠	أسعوا فإن الله كتب عليكم السعي
٤٦١٥	أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون	٢١١٢	اسق ثم أرسل إلى جارك
٥١٣٥		٢١١٣، ٢١١١	اسق يا زبير، ثم أرسل
٤٧٤	أشد الناس عذاباً يوم القيامة	٤٠٩٠	أسقه عسلاً
٢٠٥	أشراف أمتي حملة القرآن	١١٩٥	أسلم
٢٧٦٤	أشعرت أنه قد حرمت بعدك؟	٤٨٠٠، ٣٥٤١	أسلم، وإن كنت كارهاً
٢١٥٩	اشفعوا تؤجروا		

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
أشكنب درد	٤٤٦	أطت السماء وحق لها ان تظ	٥٧٢٨ ، ٧٠٨٩
أشهد أن رسول الله كذلك كان يقرؤها	٤٧٩٨	أطرق بصرك	٤٨٩١
أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا	٧٣١٠	أطلبوا الخير دهركم كله	٣٧٧٤
أشهد يا أبا بكر	٦٤٤٤	أظلل الله عبداً في ظله، يوم لا ظل إلا ظله	١٢٩٧
اشهدوا	٦٤٣٨	أعاذك الله من إمارة السفهاء	٧١١٦
اشهدوا، اشهدوا	٦٤٣٩	اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن	١٧٧٦ ، ٥٣٨١
أشياء تكون في آخر هذه الأمة	٦٩١٣	أعتق النسمة وفك الرقبة	٣٥٥٧
أشيروا أيها الناس علي	٦١٧٤	أعتق رقبة	٦٦٥٠
أشيروا علي أيها المسلمون	٢٥٨٣	أعتق عددهن نسماً	٧١٧٣
أشيروا عليّ معشر المسلمين	١٦٣٦	أعتق عن كل واحدة منهن رقبة	٧١٧١
أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه	٦٨٨٦	أعتقها	٢١٧٠
أصابنا عطش وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ	٧٥٧٠	أعتقها، فإنها مؤمنة	٢٧٥١ ، ٢١٧١ ، ٦٦٥٦
أصبت	٧٤١٢	أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه	٢١٩٣ ، ٧٢٨٩
أصبت سيف بن عائذ يوم بدر	٣٢٦٢	اعتكف العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه	
أصبتما	٤٧		٧٣٨٤
أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة	٣٠٥٦	اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة	٨٦١
اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي	٧٥٢٤	أعنى الناس على الله رجل قتل نبياً	٣٧٢٦
أصبنا نساء من سبي أوطاس	١٨٧٤	أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم	٦٦١٣
أصدق الطيرة الغال، والعين حق	٦٩٩٠	أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل	٥٠٤٠
أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد	٥١٣٤	أعد من المال طائفة	٣٤٢٤
أصلحي لنا المجلس، فإنه ينزل	٤٥٠٩	أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره	٥٦٢٦
اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً	٦٨٦٥	أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه	٢٢٠
اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام	٥٠٦٣	أعرس ببعض نسائه فصنعت أم سليم	٥٤٥٧
اصنعوا كل شيء إلا النكاح	٩٧٢	أعط ابنتي سعد الثلثين	١٨١٤
أضاف النبي ﷺ ضيف	٤٠٦٤	أعطاك أحد شيئاً	٢٦٨٥
أضافه يهودي على خبز شعير	٢٤٩٦	أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين	٣٥٥٣
اضطجع وأهله في طولها	١٧٢٤	أعطني حصباً من الأرض	٣٣٠٢
أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا	٤١٢٨ ، ٦٨٠٩	أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان	٧٣٢٠
أضللت بعيراً لي بعرفة، فذهبت أطلبه	٩١٢	أعطها ثوباً	١٢٨
أضياف الله، فلن يعجزهم ما لديه	٤٠٢٨	أعطي يوسف وأمه ثلث حسن	٣٨٦٥

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٨٩٥	أعوذ بالله من ذلك	٣٨٦٤	أعطي يوسف وأمه شطر الحسن
٥٧٥٦	أعوذ بالله منك	٣٣٨	أعطيت أمين في الصلاة وعند الدعاء
٤٠٩٨	أعوذ بك من البخل والكسل	٣٥٥	أعطيت السبع الطوال مكان التوراة
٤٩٣٣	أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له	٧٤٩٦	أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري
٢٨٩٤	أعوذ بوجهك	٥٥٨٨	أعطيت ثلاثاً لم يعطهن أحد قبلي
٦٩٨٢	أعذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان	٢٩٣٤ ، ١٥٩٦	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد
٦٢٣٨	أغتبتيها	٢٠٤٧ ، ٥٥٧٥ ، ٤٩٩٠ ، ٣٤١١ ، ٣١٩١	
٢٧٧٤	أغد علي بها	٣٩٨١ ، ٣٢٦٧	
٣٤٢٩	اغزوا باسم الله في سبيل الله	٣١٨٥	أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي
٨٤٩	اغزوا في سبيل الله	٣١٩٠ ، ١٥٩٩	أعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر
٢٥٥٠	اغسلوا القدمين إلى الكعبين	١٣٣٧ ، ١٣٣٦	أعطيت خواتيم سورة البقرة
١٧٧٩	اغفر لنا حوبنا وخطايانا	١٥١٤	أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة
٧٤٩٣	أغفى إغفاءة فرفع رأسه متبسماً	١٣٤٤	أعطيت فاتحة الكتاب، وخواتيم
١٦٥٤	أف لك، أف لك	١٥١٢	أعطيت ما لم يعط أحد من الانبياء
٦٧٠٦	أفاء على رسوله أموال بني النضير	١١٧٩	أعظم آية في القرآن
٧٢٦٣ ، ٧٢٣٢ ، ٧١٧٥	أفتان يا معاذ؟	١٦٤٤	أعظم الغلول عند الله ذراع
٦٨٧٣ ، ١١٠٧	أفتاني باني قد حللت حين وضعت	٢٨٣١	أعظم المسلمين جرماً من سأل
٤٢٥٦	أفتحبه لأمك؟	١٧٩	اعلم أنك لم تتقرب إلى الله بأعظم
٦٢٩٥	افتخرت الجنة والنار	١٦٧١	أعلمت أن الله أحيا أبأك؟
١٩٤	أفستطيع أن تقعدني حيث لا يراني؟	٦٩٠٧	أعلمت أن الله زوجني في الجنة؟
٦١٩٩	افتقد ثابت بن قيس	٢٠٧	أعلمك كلمات ينفعك الله بهن
٢٢١٦	أفد نفسك وابن أخيك	٣٠١١	أعمار أمتي ما بين الستين
٣٧٨٤	أفرايتم ما أنفق منذ خلق السماء؟	٥٦٣١	أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين
٥٨٨٠	أفرغت يا أبا الوليد؟	٥٦٣٢	
٤٥٩٧	افش السلام، وأطعم الطعام	٧٣١٧	اعملوا فكل عامل ميسر لعمله
٢٧٢٧	أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان	٧٣١٣	اعملوا، فكل ميسر لما خلق له
٥٨٥٤	أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان	٧٠١٤ ، ٦٠١٣	اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا
٧١٣١	أفضل الحج العج والثج	٤٨١١	أعوذ بالله السميع العليم
٣٠٢ ، ٢٩٧	أفضل الذكر: لا إله إلا الله	٥٩٠٣	أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
٧٣٤	أفضل الصدقة ان تصدق وأنت صحيح	٤٩٥٥	أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
أفضل الصدقة الماء	٣١١٤	اقرأ ثلاثاً من ذوات آل	٧٤١٨
أفضل الصدقة جهد المقل	٦٧١٧	اقرأ علي	٢٠٠٧ ، ١٧٥ ، ١٦٤
أفضل ما قلت أنا والنبيون	٣٠١	اقرأ علي القرآن	١٦٢
أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة	٦٩١٩	اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت	٤٣٥٢
أفعلوا كما كنتم تفعلون	٦١٢٥	اقرأ يا ابن حضير	٣٤٩ ، ٩٢
أغلب قوم سنلوا عما لا يدرون فقالوا	٧٠٨٣	اقرأ يا جابر	٧٦١٠
أفلا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار؟	٣٧٥	اقرأ يا عمر	٦٧
أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتهم؟	٦٦٣٥	أقراني جبريل على حرف فراجعت	٤٤
أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتهم؟	٦٣٠٤	أقراني رسول الله ﷺ أني أنا الرزاق	٦٣١٩
أفلا أكون عبداً شكوراً؟	٦١٢٨ ، ٦١٢٦	أقراني رسول الله ﷺ: ذلك بان	٢٧٣٦
أفلا قبل أن تدخلوه!	٣٦٢٢	أقراني رسول الله ﷺ: مدكر	٦٤٤٥
أفلق من هدي إلى الإسلام	٥٧٨٥	أقراني رسول الله ﷺ: وليقولوا	٢٩٤١
أفلحت نفس زكاهها الله عز وجل	٧٣٠١	أقرأه في شهر	٩٠
أفلحت يا سواد	٦٠٦٧	أقرؤوا القرآن بلحون العرب	١١٨
أقام بالمدينة عشر سنين يضحي	٤٧٣٨	أقرؤوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم	١٨٠ ، ١٦٥
أقبل أبو سفيان في الركب من الشام	٣٣٧١	أقرؤوا القرآن وابتغوا به وجه الله	١٩٦
أقبل فبايع	٦١٤٩	أقرؤوا القرآن، فإنه شافع لأصحابه	٣٥٢
أقبلوا البشرى يا بني تميم	٣٧٨٢	أقرؤوا القرآن، ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه	١٧٤
أقتل رجلان: جهني وأنصاري	٣٥٨٥	أقرؤوا فكل حسن	١٩٧
أقتلت امرأتان من هذيل	٢١٧٣	أقرؤوها على موتاكم	٣٤٢
أقتدوا باللذين من بعدي	٦١٩	أقرؤوها على موتاكم، يعني «يس»	٥٦٤٦
أقتصوا - أو اقتصي - ظرفاً مكان ظرفك	٦٩٤٧	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٧٣٦٨
أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله	٣٣٥٦	أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت	٢٧٤٧
أقتلوها (عن الحية)	٧١٢٥	أقطعوا في ربع دينار	٢٦٣١
اقرأ	٤٩ ، ٤٧	أقطعوا يدها	٢٦٣٨
اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة	١٣٣٩	أقطعوا يدها اليمنى	٢٦٣٧
اقرأ القرآن في شهر	١٦٩	أقل أمتي أبناء سبعين	٥٦٣٤
اقرأ بالمعوذتين، فإنك لن تقرأ بمثلها	٧٥٩٩	أقلت: سام عليكم؟	٦٦٦٢
اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلها	٧٦١٠	أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك	٣٥٥٨
		أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب	٦٦٨١

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
أقيموا صفوفكم	٢٥٥٩	ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون؟	٤٤٧٧
أقيموا على سقايتكم فإن لكم	٣٤٧٨	ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بخير؟	٢٤٠
أكبر الكبائر الإشراك بالله	١٩١٦	ألا أخبركم؟	٣٧٦
أكبر الكبائر الشرك بالله	١٩١٧	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام؟	٢٢٦٤
اكتب باسمك اللهم، هذا ما صالح	٦١٦٥، ٦١٧٣	ألا أخبركم بأكملكم إيماناً؟ أحاسنكم	٥٢٤١
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم	٢٩٣، ٥٠١٢	ألا أخبركم بالنيس المستعار؟	١٠٨٥
اكتب لا يستوي القاعدون	٦١٦٥، ٦١٧٣، ٦١٧٦	ألا أخبركم بخياركم؟	٦٩٥٨
اكتب يا زيد	٢٢٠٣، ٢٢٠٦	ألا أخبركم بخير البرية؟	٧٤١٧
اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه	٢٢٠٥	ألا أخبركم بخير الشهداء؟	١٣٠٨، ١٣٠٩
اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج	٦١٧٧	ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟	١٨٦
أكثر جنود الله، لا أكله	٦٣٥٠	ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه؟	٤٢٧٥
أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله	٣١٤٤	ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟	٦٦٥٩
أكثر منافقي أمتي قراؤها	٦٩٩٧	ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا؟	١٧٤٤
أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم	٢١٥	ألا أخبركم لم سمى الله	
أكثرهم لله ذكراً	٢٩٧٦	إبراهيم خليله؟	٦٠٤، ٥١٨٢، ٦٤١٠
أكثرهم الصلاة علي يوم الجمعة	٥٣٩٠	ألا أدلك على أبواب الخير؟	٥٢٧٧
أكثرهم ذكر الله حتى يقولوا: مجنون	٥٥١٨	ألا أدلك على تجارة؟	٢٢٦٥
أكثرهم علي من الصلاة يوم الجمعة	٥٤٢٠	ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟	٤٣٨٦، ٤٣٨٥
أكرمهم عند الله أتقاهم	٧٢٢٦	ألا أدلكم عل ما يمحو الله به الخطايا؟	١٧٤٧
أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم	٣٨٥٤، ٦٢٦٢	ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب؟	١٧٤٦
أكرموا عمتمكم النخلة	٧١٨٢	ألا أراكم تضحكون؟	٤٠٥٢
أكره أن يتحدث العرب أن محمداً	٤٤٧٥	ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا؟	٤٩١٢، ٤٩١٤
اكشفها، فإن اللحية من الوجه	٣٨٠	ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن؟	٤٠٦٠
اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة	٢٥١٣	ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة	٧٦٠٧
أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم	٤٨٩٤	ألا أعلمك كلمات تذهب عنك؟	٤٣٥١
أكل ولدك نحلته مثله؟	٤٨٧٧	ألا أن أولياء الله المصلون	١٩٠٤
أكلوا من العمل ما تطيقون	٢٥٧٠	ألا ان الخمر قد حرمت	٢٧٦٧، ٢٧٦٨
ألا أحد لهؤلاء؟	١٨١	ألا ان الزكاة في الحلق واللثة	٢٤٤٢
ألا أحدثك بأشقى الناس؟	١٦٠٩	ألا ان الزمان قد استدار كهيئته	٣٥٢٨، ٣٥٣١
	٧٣٠٧	ألا ان العسيلة الجماع	١٠٧٨

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٧٢٦٢	ألا كلكم يدخل الجنة، إلا من شرد	٣٣٨٩	ألا ان القوة الرمي
٥٦٩	ألا لا يحجن بعد العام مشرك	٥٥٨٧	ألا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض
٢٦٧٩	ألا لا يمنعن أحدهم رهبة الناس	٥٥٨٦	إلا ان بعدكم زمان عضوض
٢٧٢٦	ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس	٤١٤	إلا إن تروا كفراً بواحاً
٥٦٦٥	ألا هل مشمر إلى الجنة، فإن الجنة	٥٩١٩	إلا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة
٧٢٥٧، ٣٥٨٢	ألا هل مشمر إلى الجنة؟	٤٨٣٣	ألا ان رسول الله ﷺ قد رجم
٦٥١٥	ألا وان من آدم إلي ثلة، وأمتي ثلة	١٢٨٤	ألا ان كل رباً كان في الجاهلية موضوع
٢٢٩١	ألا واني حبيب الله ولا فخر	٥٨٨١	إلا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل
٣٤٤٧	ألا يحج بعد العام مشرك	٥٠٣٥، ٤٦٩٨، ١٩١٢	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟
٦٧٧٤	ألا يحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم	٦٩٦٠	ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف
٢٤٩٩	ألبس ثوبه لعبد الله بن أبي	٦٦٨٣	ألا أنبئكم بخبر الثلاثة؟ أما الأول
٣٠٩٣، ٧١	ألبسوا من ثيابكم البياض	٥٤١٧	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها؟
٥٤٣٦	التي وهبت نفسها للنبي ﷺ: خولة	٢٢٥٥	ألا انما انا بشر، وانما أقضي
٢٣٨٨، ١٩٥٨	ألحقوا الفرائض بأهلها	٨٤٣	ألا انما انا بشر، وانما يأتيني الخصم
١١٦٢	الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة	١٩٣١	ألا انما هن أربع: ان لا تشركوا
٤٢٣٧	الزمها، فإن الجنة عند رجلها	٣	ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه
٥٧٩٦	ألست تشهد ان لا إله إلا الله؟	٥١٨٠	ألا احتطت يا أبا بكر، فإن البضع
٢٢٧١	ألست تعرض، ألست تنصب	٤١٠٨	ألا تجلس؟
٦٥٠٣	ألظوا بذی الجلال والإكرام	٦٠٨٧	ألا تجيئوه؟
٦٥٠٢	ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام	٥٨٨٦	ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض
٥٧٥٦	ألعنك بلعنة الله	٢٦٠١	ألا تخرجون مع راعينا في إبله؟
٣٥٢٣	ألحق الله فقيراً ولا تلقه غنياً	٦٨٨٩	ألا ترضين ان أحرما فلا أقربها؟
٨٦٥	ألحق عنك ثيابك ثم اغتسل	٥٨٨٤	ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت؟
١٦٨	القني به	٥٧٠١، ٣٢٥٧	ألا تصفون كما تصف الملائكة؟
١١٠	الله أشد أذنأ إلى الرجل الحسن	٤٤٠٦	ألا تصليان؟
٣٤١٨	الله أعلم بإسلامك، فإن يكن	٢٥٨٥	ألا تقاتلون؟
٤٢٢٠، ٤٢١٩	الله أعلم بما كانوا عاملين	٥٣١٩	ألا رجل يأتي بخبر القوم؟
٥١٩٣، ٥١٩٤		٦٧١٩	ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله؟
٥٦٩٧	الله أكبر - ثلاثاً - ذو الملكوت والجبروت	٧٢٣٤	إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن
٧٦٢٩	الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده	٢٨٤٤	ألا فليبلغ الشاهد الغائب

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
الله أكبر كبيراً - ثلاثاً	٢٥٧	اللهم اغفر لي عليهم بسبع كسيع	٣٨٧٧، ٤٨٠٤
الله أكبر، الله أكبر! جاء نصر الله والفتح	٧٥٢٧	اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه	٤٢٥٦
الله أكبر، الله أكبر، إنا اذا نزلنا بساحة	٥٧٣٢	اللهم اغفر لأمتي	٤٣١٥
الله أكبر، خربت خيبر، إنا اذا نزلنا	٥٧٣١	اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار	٣٥٨٦
الله أكبر، هذا خير لكم من ان لو أعطي	٧٤٨٦	اللهم اغفر للمؤمنين	٥٩٠٠
الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل	٣١٥٤	اللهم اغفر للمحلقين	٥٣٨٨
الله أكثر وأطيب	٤٥٢٠، ٧٥٧٢	اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي	٦١٠٠
الله أوسع من ذلك	٧٥٧٣	اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي	٤٩٥٨، ٥٥١١
الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً	٥٥٣٦	اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت	٦١٠١
الله يعلم ان أحدكما كاذب	١٨٥٤	اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني	٧١٩٨
الله يمنعي منك	٢٢٥٠	اللهم اكتب لي بها عندك أجراً واجعلها	٥٧٤٦
الله يمنعي منك، ضع السيف	٢٧١٣	اللهم العن فلاناً وفلاناً	١٥٥٩
اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها	٧٣٠٢	اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيتنا	٦٠٣٢
اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير	٧٣٠٣	اللهم أمتي، اللهم أمتي	٤٠٢١
اللهم ابعث إليه كلباً من كلابك	٦٣٥٨	اللهم أمتي، ويكي	٢٨٥٦
اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ	١٢١٤	اللهم أمرت بالدعاء، وتوكلت بالإجابة	٧٩٧
اللهم اجعل بالمدينة ضعفي	٦٣١	اللهم إن إبراهيم حرم مكة	٦٣٤
اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل	٤٨٧٨	اللهم إن تهلك هذه العصابة	٣٢٩١، ٣٣٠٠
اللهم اجعل في قلبي نوراً	١٧٢٦		٤٤١٩
اللهم اجعل له لساناً ذاكراً	٣٦٤١	اللهم إن عثمان في حاجة الله وحاجة	٦١٤٢
اللهم اجعلني أعظم شكرك وأتبع	٥٤١٨	اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم	٥٨٥٣
اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها	٥٧٠، ٤٣٦٤	اللهم أنت السلام ومنك السلام	٦٥٠٤
اللهم احفظه من بين يديه ومن خلقه	٥٣٢١	اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت	٣٠٦١
اللهم أحيينا مسلمين وأمنا مسلمين	٥٠٤٢	اللهم انج عياش بن أبي ربيعة	٢٢١٧
اللهم أذهب الشيطان عنه؛ يا أيّ	٤٩	اللهم انجز لي ما وعدتني	٣٢٧٧
اللهم أذهب عن أبيّ الشك	٥٨	اللهم أنشدك عهدك ووعدك	٣٢٨٠
اللهم أرنا الحق حقاً	٩٥٠	اللهم انفعني بما علمتني	٤٥٦٨
اللهم أشهد	٦٤٣٧	اللهم إني أحرم ما بين جليلها	٦٢٩
اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها	٦٩٩٦	اللهم إني أسألك الثبات في الأمر	٣٥١٧، ٤٣٩٥
اللهم أعم بصره واكمله ولده	٤٠٦٩	اللهم إني أسألك العافية في الدنيا	٣٠٧٩

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٥٣٣		٣٠٧٨	اللهم إني أسألك العفو والعافية
٥٥٣٢	اللهم صل على محمد وآله وأزواجه	٦٠٤٢	اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها
٥٤٨٠	اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	٥٩٦١	اللهم إني أسألك في سفري هذا البر
٥٥٣٣	اللهم صل عليهم	٢٥٨	اللهم إني أعوذ بك من الشيطان
٥٧٩٣ ، ٥٧٩١	اللهم فاطر السموات والأرض	٧٣٠٥	اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل
١٣٦٢ ، ٥	اللهم فقهه في الدين	٤٨١٢	اللهم إني أعوذ بك من الهرم
٥٠٤١ ، ٣٨٨٠	اللهم في الرفيق الأعلى	٦٠٤١	اللهم إني أعوذ بك من شر ما فيه
٦٤٠٠	اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا	٢١٧٤	اللهم إني لأبرأ إليك مما صنع خالد
٦٦٩٢	اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً	٥٥١٦	اللهم اهديني فيمن هديت وعافني فيمن
١٦٢١	اللهم لا تحل عليه الحول	٣١٥٠ ، ٢٨١٠	اللهم أهلك كباره واقتل صغاره
٦٩١٧	اللهم لا تخزني يوم القيامة	٥٠١	اللهم أيد حسان بروح القدس
٢٩٠٩	اللهم لا ترسل على أمتي عذاباً	١٥٥٤ ، ١٥٥٣	اللهم لعن فلاناً وفلاناً
٣٩٢٤	اللهم لا تقتلنا بغضبك	٦٠٤٧	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي
٢٨٦٨	اللهم لا مانع لما أعطيت	٥٣٥٩	اللهم إليك لا إلى النار انا وأهل بيتي
٥٦٠	اللهم لا نبغيها - ثلاثاً	٢١٢٣	اللهم الرفيق الأعلى
٤٠١٩	اللهم لك الحمد غير مكفي	٦٢٧	اللهم بارك لنا في ثمرنا
٣٠٣	اللهم لك الحمد كله ولك الملك	٦٣٠	اللهم بارك لهم في مكيالهم
٦٢١٢	اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض	٧٢١٣	اللهم حاسبني حساباً يسيراً
٤٩٣٤	اللهم لك الحمد، أنت قيم السموات	٢٢١٨	اللهم خلص الوليد بن الوليد
٣١١٩	اللهم لك الملك كله، ولك الحمد	٢٢١٩	اللهم خلص الوليد، وسلمة
١٣٦٧	اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي	٦٦٠١	اللهم رب السموات السبع ورب العرش
٥٣٣٤	اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب	٦٦٠٣	
٣٧٢٥	اللهم نعم	٦٦٠٢	اللهم رب السموات ورب الأرض
٥٣٥٨	اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي	٩٤٩ ، ٥٢٠	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
٥٣٥٧	اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب	٥٧٨٩	
٥٣٦٤ ، ٥٣٦٧		٩١٩ ، ٩١٨	اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة
٥٣٥٥	اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق	١	اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات
٤٧٢٣	اللهم هذا عن أمتي جميعها	٤٧٦١	اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا
٥٤٤٥	اللهم هذا فعلي فيما أملك	٢٨٠٢	اللهم سلط عليه كلبك
٢٣٠٣	اللهم هذا قسمي فيما أملك	٥٤٦٧ ، ٣٦٤٥	اللهم صل على آل أبي أوفى

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٤٨٨	أما أنه لو كان ذكر اسم الله لكفاكم	٣٣٧٣	اللهم هذه قريش قد أقبلت بفخرها
٦٨٨٠	أما أنه لو لم ترفعها لم تزل تدور	٣٣١٦	اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي
١٥٤٤	أما أنه ليس من أهل هذه الأديان	٦٧٤٠، ٣٥٩٥	ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟
٢٤٠١	أما أنها آخر سورة أنزلت	٧٥٩٦	ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة؟
٢٨٩٦	أما أنها كائنة، ولم يأت تأويلها	٣٥٠	ألم تر ثابت بن قيس بن شماس؟
٥١٧٤	أما إنهم سيغلبون	٦٤٤	ألم تري ان قومك حين بنوا البيت؟
٧٣١٤	أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل	١٩٨٢	إلى أقربهما منك باباً
٧٢٤٨	أما أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم	٢٤٦٧	إلى متى يروى أهلك من اللين؟
٥٦٢٣، ٤٥٥١، ٤٢٧	أما أهل النار الذين هم أهلها	٦٩٣٤	أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادر؟
٧٢٤٦	أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون	٢٠٦٧	أليس تشهد أن لا إله إلا الله؟
٧٢٤٧		٢٣٨٤	أليس قد بين الله ذلك؟
٤٥٥٢	أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون	٦٧٣٦	أليس قد شهد بدرأ؟
٦٩٣٧	أما أول أشراف الساعة فنار تحشرهم	٤٦٦٠	أليس كلكم ينظر القمر مخلياً به
٨٦٦	أما الحجة فأنزعها	٧٠٥٧	أليس لكم في أسوة حسنة؟
١١٩٦	أما الروضة، فروضة الإسلام	٦٧٣٥	أليس من أهل بدر؟
٥٤٤	أما الله فقد شفاني	٢٣٢	أم القرآن عوض من غيرها
٤٨٦٠	أما بعد أشيروا علي في اناس	٤٠٦١	أم القرآن هي السبع المثاني
٥٣٧٠،	أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك	٧٢٧٨	أما أن الملك سيقول لك هذا عند الموت
٥٩٢٧		٥٧٧٩، ٧٤٦٤	أما إن ذلك سيكون
٢٢٨٩	أما بعد أيها الناس، فلو كنت متخذاً	٢٩٦	أما إن ربك يحب الحمد
١٩٥	أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله	٥٠١٥	أما إن ملكاً بينكما يذب عنك
٦٤٢٩	أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم	٣٩٧١	أما أنا فأصوم وأفطر
٣٤٦١، ٩٠٦	أما بعد فإن هذا اليوم الحج الأكبر	٤٣٨٣	أما أنا فلا أكل متكتاً
١٥٣٦	أما ترضون أن تكونوا ريع	٢٢٧٥	أما أنت يا أبا بكر وأصحابك
٦٢٠٢، ١٧١٨	أما ترضى أن تعيش حميداً	٦٧٩٠	أما أنك لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة
٥٩٦٦	أما ترضى أن تكون لهم الدنيا	٦٣٠٣	أما أنكم ستعرضون على ربكم فترونه
٦٥٢٢	أما رأيت من الطريق السهل الرحب	٧٢٧٧	أما أنه سيقال لك هذا
٢٩٢٨	أما رأيتما إعراضي عن الرجل؟	٤٣٩٣	أما أنه سيكون بعدي أمراء يكذبون
٣٩٠٨	أما شعرت أن عمّ الرجل صنو	٦٩٥	أما أنه لا يجني عليك
٣١٨٤	أما صاحبكم هذا فقد غامر	٢٤٨٩	أما أنه لو ذكر اسم الله لكفاكم

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
إما لا، فاصبروا حتى تلقوني	٦٧١٣	أمر بقتله وسماه فويسقاً	٤٦٠٨
أما مررت بواد ممحل	٤٨١	أمر عائشة أن تسترقي من العين	٦٩٩٢
أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم	٦٢٤٠	أمر من كل جاد عشرة أوسق	٢٩٨٦
أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله	٤١٠٧	أمرؤ القيس حامل لواء شعراء	٣٨١٢
أما من في السموات فالملائكة	١٤٥٦	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	٧٠٣٨
أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله	٣٦٩٩	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا	٣٤٦٧، ٣٤٦٦
أما هو فقد جاءه اليقين من ربه	٦٠٢٧، ٧٠٩٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	٣٨١، ٨٥٦
أما والذي نفس محمد بيده ليعثن	١٥٣٤	٣٣٥٤، ٥٧٠٤، ٦١٧١، ٧٢٦١	
أما والذي نفسي بيده انها لكما أنزلت	٢٢٨٥	أمررت بأرض من أرض قومك مجدبة	٤٦٦١
أما والذي نفسي بيده ليعثن منكم	٦٥٢١	أمرنا اذا لقينا المداحين أن نحثو	٦٤٠٦
أما والذي نفسي بيده، لئن أطاعوه	٦٠٦١	أمرنا أن نحثو في وجوه المداحين	٢٠٧٧
أما والله إني لأمين من في السماء	٤٠٦٤	أمرنا أن نستشرف العين والأذن	٢٤١١، ٤٧٠٧
أما يستطيع أحدكم ان يقرأ (قل هو الله أحد)	٧٥٦٩	٤٧١٢	
أمان أمتي من الغرق اذا ركبوا	٣٧٩٩	أمرنا ان نشترك في الأضاحي	٤٧١٨
أمان لأمتي من الغرق اذا ركبوا	٤٨٢٨	أمرنا ان نشترك في الإبل والبقر	٨٧١
أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟	٣٨٤٩	أمرني ان أصرف بصري	٤٨٩١
أمتي ثلاث أثلاث، فثلث يدخلون	٥٦١٣	أمرني ان أطلق إحداهما	١٨٧١
امح رسول الله	٦١٨٧	أمرني بخمسين صلاة	١٨٩٢
امح يا علي، اللهم إنك تعلم اني رسولك	٦١٧٧	أمرني خليلي ﷺ بسبع	٢٦٧٧
أمر اذا مر رجل بسهام ان يقبض على	٤٩٤٩	أمرني رسول الله ﷺ ان أقرأ بالمعوذات	٧٥٩٨
أمر الله نبيه ﷺ ان يأتي عرفات	٩١١	أمرني رسول الله ﷺ ان أقول	٣٩٠٤
أمر امرأة حذيفة ان ترضعه	١١٠٣	أمرني رسول الله ﷺ ان أقول اذا أصبحت	٥٧٩٣
أمر ان يقتدي بهم	٢٩٣٣	أمره ان يأخذ منها الحديقة	١٠٥٩
أمر ان يقرأ بالسموات في العشاء	٧٢٢١	أمره ان يختار منهن أربعاً	١٧٨٧
أمر ان يمشي الناس في بطن الوادي	٣٥٩٢	أمره ان يصلي ركعتين	٢٢٣٠
أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت	٤٦٩٥	أمرها ان ترضع سالماً	١٨٦٦
أمر بالسواك عند كل صلاة	٢٥٠٤	أمرها ان تعتد بحیضة	١٠٦٢، ١٠٦١
أمر بالوضوء لكل صلاة	٢٥٠٤	أمسك حتى تكفر	٦٦٥٧
أمر ببناء المساجد في الدور	٤٩٤٠	أمسك عليك بعض مالك	٣٦٩٩
أمر بقتل الكلاب	٢٤٧٤، ٢٤٧٥	أمسكوا الشيطان	٥٠٦٩

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
أمك ماء؟	٦٠٥٨ ، ٦٠٦٢	ان ابراهيم رأى أباه يوم القيامة	٥٠٤٦ ، ٥٠٤٣
أمك نبذ؟	٦٠٦٢	ان ابراهيم كان عبد الله وخليله	٦٢٦
أمك . . أمك . . أباك	٤٩٨	ان ابراهيم لم يكذب غير ثلاث	٤٦٠٥
أمك وأباك، ثم أدناك أدناك	٤٢٤٢	ان ابراهيم يلقي أباه آزر يوم القيامة	٢٩١٩
أمك وأباك، وأختك وأخاك	٩٥٤	ان أبغض الرجال إلى الله الألد	٩٣٧ ، ٩٣٦ ، ٩٣٥
أمك في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله	١١٥٣	ان ابن آدم لفي غفلة مما خلق له	٧٢١٩
أمك في النار	٤٣١٩	ان ابن عمر - والله يغفر له - أوهم	٩٩٤
أملى علي رسول الله ﷺ هذه الآية	٤٧٨٧	ان ابن مسعود لا يكتب المعوذتين	٧٥٩٠
أملى علي: لا يستوي القاعدون	٢٢٠٤	ان ابني آدم ضربا لهذه الأمة مثلاً	٢٥٩٧
أمي مع أمك	٤٣١٩	ان ابني هذا سيد	٢٩٣٢
ان آثاركم تكتب	٥٦٥٢	ان ابني هذا سيد، ولعل الله ان يصلح	٦٢١٤
ان آدم عليه السلام لما أهبطه الله	٥٢٥	ان أبي وأباك في النار	٦٧٣٩ ، ٥٩٤
ان أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه	١٥٩٤	إن أتخذ المنبر فقد أتخذني إبراهيم	٦٠٣
ان أبا بكر وعمر لمنهم وأنعم	٤٥٥٥	ان أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله	٣٩٥٦
ان أبا جهل قال حين التقى القوم	٣٣١٠	ان أحب الأعمال إلى الله تعجيل الصلاة	١١١٧
ان أبا جهل قال يوم بدر	٣٣٠٩	ان أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود	٥٥٥٨
ان أبا ذر سأل النبي ﷺ، فذكر	٢٣٦٢	ان أحب الصيام إلى الله صيام داود	٤٧٩٣
ان أبا سعيد رأى رؤيا انه يكتب (ص)	٥٧٤٨	ان أحب الناس إلى الله يوم القيامة	٥٧٥١
ان أبا سفيان في موضع كذا وكذا	٣٣٢٨	ان أحببت أن تطوق بقوس من نار	٤٣٢
ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً	١٦٨٥ ، ١٦٠٠	ان أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً	٥٢٤٠
ان أبا سفيان قد رجع	١٦٨٧	ان أحذكم اذا كان في المسجد جاءه الشيطان	٧٦٢٧
ان أبا سفيان لما أسلم قال	٥٠٧٤	ان أحذكم اذا مات عرض عليه مقعده	٥٨٦٥
ان أباك رام أمراً قبله	١٩٩٨	ان أحذكم ليجمع خلقه في بطن أمه	٤٧٨٢
ان أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي	٥٥٠٠	ان أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن	٢٠٣
ان ابراهيم حرم بيت الله وأمنه	٦٢٥	ان أحق ما أخذتم عليه أجرأ	٤٣٠
ان ابراهيم حرم مكة	٦٢٨	ان أخاً لكم بالحشة قد مات	١٧٣٧
ان ابراهيم حرم مكة ودعا لأهلها	٦٣٣	ان أخاً لكم قد مات فصلوا عليه	٥٨٠
ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها	٦٣٢	ان أخاكم أصحمة قد مات	١٧٤٠
ان ابراهيم حين ألقى في النار	٤٦٠٩	ان أخت معقل بن يسار طلقها زوجها	١٠٩٧
		ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك	٤٤٥١ ، ٣٨٩٨

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٣٩	ان أناساً من أهل الجنة يطلعون	٤٥٨٥	ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح
٢٦٢٦	ان أناساً يخرجون من النار	٥٩٨٢ ، ٥٩٨٠	ان أدنى أهل الجنة منزلة
١٤٠٢	ان أنس بن مالك ذهب بأخيه إلى	٧١٢٣ ، ٧١٠٣ ، ٧٢٠٤	ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه
٦٢٦٨	ان أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد	٤٥٨١	ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر
٦٥٥٥	ان أهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عدن	٣٦١٦ ، ٣٦١٥	ان أدنى أهل النار عذاباً
٥٨٩٦	ان أهل الجنة اذا دخلوا فيها نزلوا بفضل	٦٥٩٥ ، ٧٠١	ان أرواح الشهداء في حواصل طير
٣٢٧١	ان أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات	٦٦٣١	
٦٦٢٩ ، ٢١٣٣	ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف	٥٤٥٩	ان أزواج رسول الله ﷺ كن يخرجن
٥٧٧٦	ان أهل الجنة ليتراءون الجنة	٢٩١٦	ان إسرافيل قد التقم الصور
٣٥٧٦	ان أهل الجنة ليتراءون الغرفة	٤٠٢٧	ان اسمي محمد الذي سماني به أهلي
٢١٣٤	ان أهل الجنة ليتراءون في الجنة	٥٩٥٦	ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له
٥٧٧٤	ان أهل الجنة ليتراءون في الغرفة	٣١١٣	ان أصحاب الأعراف قوم تكافأت
٣٧١٨	ان أهل الجنة يلهمون التسبيح	١٨٧٥	ان أصحابه أصابوا سبياً يوم أوطاس
٤٢٢٦	ان أهل الدرجات العلى ليرون	٢٢٧٠	ان أصدق الحديث كلام الله
١٥٠٨	ان أهل الكتائب افترقوا في دينهم	٦٤١٢	ان أطيّب ما أكل الرجل من كسبه
٣٦١٨	ان أهل النار اذا دخلوا النار	٤١٠٢	ان أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فسأله
٢٤٩٥	ان أهل خير أهدوا لرسول الله ﷺ شاة	٥٥٤	ان أعظم المسلمين جرماً
٣٢٧٠	ان أهل عليين ليراهم من أسفل منهم	٣٦٥٢ ، ٣٦٥١	ان أعمالكم تعرض على أقربائكم
٤٥٥٤	ان أهل عليين ليرون من فوقهم	٤٢٦٤	ان أفرى الفرى أن يري الرجل عينيه
٦٤٣٢	ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ ان يريهم	٦٦١١	ان أفضل الإيمان أن تعلم إن الله معك
٧٣٢٤ ، ٧٣٢٣ ، ٣٦١٤	ان أهون أهل النار عذاباً	١٢٧	ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه
٥٩٩٣	ان أول الآيات الدجال ، ونزول عيسى	١٤٠	ان أكبر ذنب
٣٠٣٨	ان أول الآيات خروجاً طلوع الشمس	٢٤٣٧	ان أكل فلا تأكل
٥٠٩٢		٤٢٢١	ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً
٣٠٣٥	ان أول الآيات طلوع الشمس	٥٦	ان أمتك يقرأون القرآن على سبعة
٥٠٠٢	ان أول الناس يدخل الجنة العبد	٢٥٢١	ان أمتي يدعون يوم القيامة غراً
١٩٨٤	ان أول خصمين يوم القيامة جاران	٣٩٨٣	ان أمر المؤمن كله عجب
٦٤٨٨	ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة	٢٧٠٤	ان أموالكم ودماءكم وأعراضكم
٦٩٣٦	ان أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون	١٩٣٣	ان أناساً ذكروا الكبائر
٦٩٤٢	ان أول شيء خلقه الله القلم ، فأمره		

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
١٦٥٨	ان الحجر ليرمى به في جهنم	٥٦٧٢ ، ٥٦٧١	ان أول عظم من الإنسان يتكلم
٣٢٠٨	ان الحمد لله، نحمده ونستعينه	٦٤٦٣	ان أول ما خلق الله القلم ثم قال له
٦٦٧٤	ان الحميم ليصب على رؤوسهم	٦٩٤١ ، ٦٩٣٥	
٦٥٦١ ، ٦٥٦٠	ان الحور العين ليغنين في الجنة	٢٧١٨	ان أول ما دخل النقص على
٤٣٣٨	ان الخضر نظر إلى عصفور وقع	٤٧٣٢	ان أول ما نبدا به في يومنا هذا
٥٢٤٥	ان الخلق الحسن ليزيب الذنوب	٢٨٦	ان أول ما نزل به جبريل
٣٣٩٩	ان الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله	٦٦٢٨	ان أول ما يرفع من الناس الخشوع
٥٨٦٩	ان الدعاء هو العبادة	٧٤٦٧	ان أول ما يسأل عنه العبد من النعيم
٣٩٧٥	ان الدعاء والقضاء ليعتلجان	١٣٠١	ان أول من جحد آدم عليه السلام
٤٣٦٢ ، ٣٧٢١ ، ٣٠٦٢	ان الدنيا حلوة خضرة	٢٨٣٩	ان أول من سئب السوائب
٥٠٠١	ان الذي أمشاء على رجله قادر	٢٥٧٧	ان أولى الناس بابن مريم لأنا
١٦٩٨	ان الذي لا يؤدي زكاة ماله	٣٣٧٩	ان إبليس خرج مع قریش
١٠٠٤	ان الذي يأتي امرأته في دبرها	٦٧١٦	ان إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد
٧٣٠	ان الذي يأكل أو يشرب في انية الذهب	٥١٠٠	ان إسرائيل هو الذي ينفخ فيه
١٢٧٣	ان الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير	٦٢٣	ان ابن عمر كان ينام في مسجد
٥٦٥٧	ان الرجل اذا توفي في غير مولده	٥٨٥٨	ان الأرض اذا زلزلت وانشقت
٦٥٢٥	ان الرجل اذا نزع ثمرة في الجنة عادت	٤٥٣٩	ان الأرضين بين كل أرض
٣٩٦٥	ان الرجل اذا نزع ثمرة من الجنة	٢١٢٥	ان الأعلى ينحدرون إلى من هو أسفل
٢٠١	ان الرجل الذي ليس في جوفه	٥٥٥٢	ان الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال
٦٣٠٢	ان الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة	٥٥٤٩	ان الأمانة والوفاء نزلا على آدم
١٠٣٦	ان الرجل كان اذا طلق امرأته	٦٢٣٤	ان الأمير اذا ابتغى الريبة في الناس
٦٧٠٧	ان الرجل كان يجعل له من ماله النخلات	٩٩	ان الأنبياء لم يورثوا ديناراً
٥١٤٠	ان الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات	٢٤٥٢	ان الإسلام بدأ غريباً
١٢٨٢	ان الرجل ليتصدق بالصدقة	٥٩٩٧	ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً
٦٢٠٣	ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله	٣٠٦٨	ان البقرة وآل عمران يأتیان يوم
٦٢٨٤		١٩٣	ان البيت الذي يقرأ فيه القرآن
٤٨٦٦	ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله	٤٤٠٢ ، ٢٨٧٧	ان الجماء لتقتص من القرناء
٦٣٢٩	ان الرجل ليتكىء المتكأ مقدار أربعين	١٥٤٣	ان الجنة حرمات على الأنبياء كلهم حتى
٣٩٧٣	ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب	٥٨٣٤ ، ٢٧١٥	ان الجنة لا يدخلها إلا نفس
٦٥٥٧	ان الرجل ليصل في اليوم إلى مئة عذراء	٧٠١١	ان الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٤٥	ان الشيطان يخرج من البيت اذا سمع	١٨٢٣	ان الرجل ليعمل أو المرأة
٢٤٩١	ان الشيطان يستحل الطعام اذا	٤٧٩٩ ، ٦٦٢	ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة
٥٣١	ان الشيطان يضع عرشه على الماء	١٨٢٢ ، ٧٥٩	ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير
٣٥٥٢	ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل	٣٨٨٧	ان الرجل ليعمر بالقبر
٤٧٣٦	ان الصدقة لتقع في يد الرحمن	٢٧١٩	ان الرجل من بني إسرائيل كان اذا رأى
٤٥٢٢ ، ١٢٠٥	ان الصلاة والصيام والذكر تضاعف	٣٩٦٧	ان الرجل منهم ليعطى قوة مئة
٧١٦	ان العالم يستغفر له كل شيء	٢٦٥٢	ان الرجل يقتل بالمرأة
٧٢٠٢	ان العبد اذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء	٦١١٠	ان الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل
١٣١	ان العبد اذا قرأ فحرف أو أخطأ	٥٤٠٦	ان الرسالة والنبوة قد انقطعت
٤٠٠٣	ان العبد اذا وضع في قبره	١٨٦٢	ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة
٥٢٣٢	ان العبد ليلبغ بحسن خلقه درجات	٣٨٩٣ ، ٣٨٩٢	ان الرقى والتائم والتولة شرك
٥٢٣٤	ان العبد ليلبغ بحسن خلقه درجة	٧٦٦	أن الزبور أنزل لتشتي عشرة خلت
٦٨٦٤ ، ٣٩٨٤	ان العبد ليحرم الرزق بالذنب	٣٥٣٤ ، ٣٥٢٩ ، ٢٤٠٩	ان الزمان قد استدار كهيئته
٧٣٩٨		٣٢٢١	ان الساعة تهيج بالناس والرجل
٣٠٨٦	ان العبد ليعمل فيما يرى الناس	٤٠٨٥	ان السحابة لتمر بالملا من أهل الجنة
٤٥٣١	ان العبد ليلتمس مرضاة الله	٤٤٧٤	ان السري الذي قال الله لمريم
٦٩٦٧	ان العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً	٥٥١٢	ان السنة في الصلاة على الجنابة
٧٢٦٥	ان العشر عشر الأضحى، والوتر يوم	٤٣١١	ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق
٢٠٨٠	ان العياقة والطرق والطيرة	٤٢٩٠	ان الشمس والقمر آيتان
٦٩٨٧	ان العين حق	٧١٣٢	ان الشمس والقمر ثوران في النار
٦٩٧٧	ان العين لتولغ الرجل إذا نزل الله فيتصاعد	٤٦٦٥	ان الشمس والقمر خلقان
٤١١٣	ان الغادر ينصب له لواء	٥٩٩٨	ان الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد
١٥٧٣	ان الغضب من الشيطان	٣٠٤١	ان الشمس والقمر يطلعان يومئذ
٥٢٠٢	ان الفاجر اذا مات تستريح العباد	٣٤٧٧	ان الشيطان ذئب الانسان
٣٦٨٥	ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة	٣٣٤٣	ان الشيطان قال: وعزتك يا رب
٦٩٤	ان القبلة قد حولت إلى الكعبة	٤٤٤٧	ان الشيطان قد ينس ان يعبد في جزيرة
٢١	ان القرآن أنزل بلسان قريش	٢٤٤٨	ان الشيطان قد ينس ان يعبد المصلون
٤٠	ان القرآن أنزل على نبيكم من سبعة	٣٠٧٧	ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه
٧٣٨٧	ان القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين	٧٦٢٥	ان الشيطان واضع خطمه على قلب
١٣٦١	ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه		

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ان الكافر اذا توفته ملائكة الموت	٤٧٠١	ان الله تبارك وتعالى خيرني بين	٥٧١٨
ان الكافر ليرى جهنم فيظن انها	٤٤٠٤	ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به	٤٨٦٧
ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه	٧١٥	ان الله تجاوز لأمتي عن ثلاث	١٣٥٠
ان الكباثر عند الله يوم القيامة	١٩١٠	ان الله تجاوز لأمتي ما حدثت به	٦٢٨٢ ، ٣١٨١
ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم	٥١٤٩ ، ٤٤٨٣	ان الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت	١٣٢٣
ان الكنز الذي ذكره الله في كتابه	٤٤١٨	ان الله تعالى اذا رضي عن العبد	٥٦٠٦
ان الله أبى على من قتل مؤمناً	٢١٨٧	ان الله تعالى أمرني ان أقول لك	٦٠٠٥
ان الله أحيا أمه فأمنت ثم عادت	٣٦٨٧	ان الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة	٧٢٣٠
ان الله أحيا له أباه وأمه	٣٦٨٨	ان الله تعالى فرض فرائض	٢٨٣٣
ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم	٣١٩٧	ان الله تعالى قبض بيمينه قبضه	٥٩١٤
ان الله اذا أحب عبداً دعا جبريل	٤٥٣٠	ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء	٣٦٦٠
ان الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة	٤٨٢٥	ان الله تعالى لا ينال ولا ينبغي له	٥٦٣٨
ان الله اذا أراد بقوم بقاء أو نماء	٢٨٧٩	ان الله تعالى لما لعن إبليس	١٨٤١
ان الله اذا أنعم نعمة على عبد	١٩٩٥	ان الله تعالى ليستحي ان ييسط العبد	٧٨٩
ان الله أذل بني آدم بالموت	٦٩٢٨	ان الله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب	٥٠١٣
ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية	٦٢٦٧	ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغفر	٥٨٧٧
ان الله أمر آدم بالسجود فسجد	٤٢٠	ان الله تعالى يقول لذلك الرجل	٣٩٥٤
ان الله أمرني ان آمركم ان تتقوا الله	٥٥٤٧	ان الله جميل يحب الجمال	٥١٣٣
ان الله أمرني ان أبشر خديجة	٤٠٤٩	ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها	٧٤٧٧
ان الله أمرني ان أقرأ القرآن على حرف	٤٨	ان الله حد حدوداً فلا تعتدوها	١٠٦٥
ان الله أمرني ان أقرأ عليك (لم يكن)	٧٤٠٨	ان الله حرم بيع الخمر والميتة	٢٤٢٧
ان الله أمرني ان أقرأ عليك القرآن	٧٤١٠	ان الله حرم دم أخي	٨٥٧
ان الله أمرني بمداواة الناس	١٦٣٤	ان الله حرم على أمتي الخمر والميسر	٢٧٧٠
ان الله أوحى إلى رسوله لما سألوه	٣٩٤٥	ان الله خلق آدم رجلاً طوالاً	٤٥٧٠ ، ٤٢٢
ان الله اتخذني خليلاً كما اتخذ	٢٢٩٠	ان الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح	٣١٩٩
ان الله اصطفى من ولد إبراهيم	٤٤٨٨ ، ٢٩٦٩	ان الله خلق آدم من قبضة قبضها	٥١٨٤ ، ٤٧٨٠
ان الله بعثني رحمة مهداة	٤٦٤٠	ان الله خلق آدم وطوله ستون	٢٥٨٢
ان الله بقبل توبة عبده ما لم يغفر	١٨٣٧	ان الله خلق ألف أمة	٣١٥١
ان الله تابع الوحي على رسوله	٤٥٦٧ ، ١٩	ان الله خلق الخلق فجعلني في خير	٢٩٧١
		ان الله خلق السموات والأرض وما بينهما	٥٢٧٣

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ان الله خلق خلقه في ظلمة	٢٩٦٨ ، ٤٩٣٥	ان الله قرأ طه ويس	٤٥٣٤
٤٩٣٦ ، ٥٧٥٨ ، ٥٥٩٨		ان الله قسم بينكم أخلاقكم	١٢١٥ ، ٣٨٢٨
٤٠٤٢		٤٧٩٦ ، ٥١٣١	
ان الله خلق في الجنة ريحاً	٥٣٠٥	ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى	٦٣٦٧
ان الله رفع عن أمي الخطأ والنسيان	٢٩٠	ان الله كتب الإحسان على كل شيء	٤٧٢٨
ان الله زوى لي الأرض حتى رأيت	٢٩٠٤	ان الله كتب الحسنات والسيئات	١٣٢٨
ان الله زوى لي الأرض فرأيت	٤٩٧٢	ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	٦٤٠١
ان الله زوى لي الأرض مشارقها	٣٥٠٤	ان الله كتب عليكم الحج	٢٨٢٨
ان الله سيجعل لك فرجاً	٦٨٦٣	ان الله كتب كتاباً فهو عنده	٣٧٧٣
ان الله صدقت	٦٨٣٥	ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات	١٣٤٢
ان الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً	٢٥٩٨	ان الله كتب مقادير الخلائق قبل	٦٤٦٥
ان الله طيب لا يقبل إلا طيباً	٤٧٩٥	ان الله لا يؤخر شيئاً اذا جاء أجله	٤٠٨٨
ان الله عز وجل أمر يحيى	٣٩٥	ان الله لا يؤخر نفساً اذا جاء أجلها	٦٨٤٣ ، ٥٦٠٤
ان الله عز وجل جعل حسنة ابن آدم	١٢٠٢	ان الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا	١٠١٣ ، ١٠١٤
ان الله عز وجل قد أنزل فيكما	٤٨٥٢	ان الله لا يظلم المؤمن حسنة	٢٠٠٢ ، ٤١١٨
ان الله عز وجل يذني المؤمن	٣٧٩٤	ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة	٢٧٢٣ ، ٣٣١٩
ان الله عز وجل يستخلص رجلاً	٤٦٠٢	ان الله لا يقبل صلاة من غير	٢٥٦٨
ان الله عز وجل يقبل الصدقة	١٢٧٩	ان الله لا يعمل حتى تملوا	٣٥٤٤
ان الله فتح باباً قبل المغرب	٣٠٣٦	ان الله لا ينال ولا ينبغي له	١١٨٥ ، ٢٩٤٠ ، ٥٠٧٨
ان الله فرض على المسلمين حج	١٤٨٨	ان الله لا ينظر إلى صوركم	١٢٧٢ ، ٢٨٨٤
ان الله قد أثنى عليكم في الطهور	٣٦٦٢	٤٧٣٥	
ان الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم	٣٢٠٣	ان الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	٥٥٨٠ ، ٦٢٦٣
ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه	٧٥٠ ، ٧٥١	٣٧١١	
١٨٢٠ ، ٣٤٤١		ان الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم	٣٧١١
ان الله قد أمكنكم منهم	٣٤٠٦	ان الله لم يخلق داء إلا أنزل له	٢٣٤٨
ان الله قد أنزل عذرك وصدقك	٦٨٣٤	ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره	٣٥٤٨
ان الله قد عصمني من الجن	٢٧١٠	ان الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب	٣٥١٦
ان الله قد وضع عن المسافر الصوم	٧٦٤	ان الله لم يمسح قوماً فيجعل لهم	٢٦٩٠
ان الله قدر مقادير الخلائق	٣٢٠٩ ، ٣٧٨٣	ان الله لم يهلك قوماً فيجعل لهم	٢٦٩٠
٤٧٥٣ ، ٧٢٤٥			

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٢١٠	ان الله يأخذ عهوده ومواثيقه	٣٢١٢	ان الله لما استخرج ذرية آدم
٢٣١٠	ان الله يأمر بالعبء إلى الجنة	٢٨٦٤	ان الله لما خلق الخلق كتب كتاباً
٤٦٥٠ ، ٣٧٣٤	ان الله يبعث يوم القيامة منادياً	٤٦٤٣ ، ٢٩١٨	ان الله لما فرغ من خلق السموات
٧١٠٢	ان الله يتجلى للمؤمنين يضحك	٥١٤٢	ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل
٣٥٣٧ ، ٢٠٠٦	ان الله يجزي بالحسنة ألف ألف	١١٦٤	ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مئة
٦٥٣٣	ان الله يجعل مكان كل شوكه منها ثمرة	١٢٨١	ان الله ليربي لأحدكم التمرة واللقة
٢٤٦٣	ان الله يحب أن تؤتى رخصه	٤١٨٣	ان الله ليرضى عن العبد ان يأكل
٦٦٩١	ان الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء	٦٣٣٣	ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح
٣٣٧٦	ان الله يحب الصمت عند ثلاث	٦٣٣٠	ان الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته
٥٨٠٢	ان الله يحب العبد المفتن التواب	٤٣٢٨ م	ان الله لينزع بالسلطان
٦٧٩٢ ، ١٩٩١	ان الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة	٢٣٥٣	ان الله ليس بأعور
٤١٠٦	ان الله يحب معالي الأخلاق	٢٧٣٠ ، ٢٦٨١	ان الله ليسأل العبد يوم القيامة
٦٦٢٥	ان الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم	٧٤١٥ ، ٧٤١٤	ان الله ليسمع قراءة (لم يكن)
٦٦٦٤	ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه	٦٥٨٦	ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها
١٥٠٢	ان الله يرضى لكم ثلاثاً	١١٦٥	ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم
٦٦٨٥	ان الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به	٢٠٠٤	ان الله ليضاعف الحسنة ألف ألف
٥٧١٥	ان الله يصنع كل صانع وصنعتة	١١٥٨	ان الله ليضاعف الحسنة ألفي حسنة
٢٠٠٥ ، ١١٥٩	ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف	٥٢٣٩	ان الله ليعطي العبد من الثواب على حسن
٤٩٩٩	ان الله يطوي السموات بيمينه	٣٨١٣ ، ٣٧٩٥ ، ٦٤١	ان الله ليملي للظالم
٤٣٨	ان الله يعافي الأمين يوم القيامة	٤٧٤٥ ، ٤٤٧٨ ، ٤٢٧٧ ، ٤٠٨٧ ، ٣٩٦٠	ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه
٢٠٠٣	ان الله يعطي عبده بالحسنة ألف ألف	٦٩٧٢	ان الله مع الحاكم ما لم يجر
٣٩٧٦	ان الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات	٢٠٩١	ان الله نظر في قلوب العباد
٤٦٣٥	ان الله يقبض الأرضين	٢٩٧٣	ان الله ورسوله حرم بيع الخمر
٥٨١٠	ان الله يقبض يوم القيامة الأرضين	٢٩٩٤	ان الله وضع عن أمتي الخطأ
٣٦٤٩	ان الله يقبل الصدقة ويأخذها	٢٩٦٢ ، ١٣٤٩	ان الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي
١٨٣٦	ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت	١٥٢٦	ان الله وعدني ان يدخل من أمتي
١٨٣٣	ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	١٥٣٢	ان الله وكل بالرحم ملكاً
١٨٣٩ ، ١٨٣٨	ان الله يقبل توبة عبده ما لم يقع	٤٧٨٥	ان الله وملائكته يصلون على ميامين
١٨٤٣	ان الله يلوم على العجز، ولكن عليك	٥٤٦٦	

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٥٣٢	ان الحق من الله، والصيت من السماء	٦٣١٣	ان الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا
٢٥٨٦	ان المقداد قال لرسول الله ﷺ	٣٩٢٣	ان الله ينشئ السحاب فينطق
٦٢١٧	ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ	٥٠٢٦	ان الله ينهاك أن تعبد المخلوق
٢٠٦٠	ان المكثرين هم المقلون	٧١٨٣	ان الله ينهاكم عن التعري
٤٠٩	ان الملائكة اذا صعدت إلى الرب تعالى	٤٢٣٨	ان الله يوصيكم بآبائكم
٤٩٩٨، ٥٨٩٥	ان الملائكة تقول لروح المؤمن	٣٧٩	ان المؤمن اذا أذنب ذنباً كانت نكتة
٥٢٦	ان الملائكة قالت: يا رب، كيف صبرك	٧٢٠٣	ان المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء
٤٢٩٦	ان الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت	٣٧٦٢	ان المؤمن اذا حضره الموت جاءه
٤٢٩٧	ان الملائكة قالوا: ربنا خلقتنا	٤٠٠٨	ان المؤمن اذا قبض أته ملائكة
٦٣٣٧	ان المنافق اذا مرض وعوفي مثله	٤٢٩٥	ان المؤمن لينضي شياطينه
٤٠٠٦، ٢٨٩٣	ان الميت تحضره الملائكة	٦٢٢٤	ان المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس
٤٠١٢	ان الميت ليسمع خفق نعالهم	٢٢٨٢	ان المؤمن يؤجر في كل شيء
٩٤١	ان الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات	٥٠٧٦	ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه
٢٨٤٢	ان الناس اذا رأوا المنكر	٤٠١٣	ان المؤمن ينزل به الموت، ويعاين
٣٨٤١	ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه	٦٠٢٦	ان المؤمنين قالوا: هنياً لك
٢٢٩٤، ١٧٨٤	ان الناس استفتوا رسول الله ﷺ	٦٣٣٢	ان المؤمنين وأولادهم في الجنة
٧٥٤١	ان الناس دخلوا في دين الله أفواجا	٤٢٠٩	ان المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة
٧٦٠٢	ان الناس لم يتعوذوا بمثل هذين	٥٠٠٤	ان الماء طهور لا يتجسه شيء
٦١٤٤	ان الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم	٣٥٩٣	ان الماء قليل، فلا يسبني إليه أحد
٤٣٤٢	ان الناس يحشرون على ثلاثة أفواج	٥٨٠٤	ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه
٤٣١٠	ان الناس يعبرون يوم القيامة جثاً	١٠٤٩	ان المختلعات المنتزعات هن المنافقات
٤٤٢٥	ان النبي ﷺ أقرأه (حمئة)	١٧٧٥	ان المرأة خلقت من ضلع
١٧٩٣	ان النساء السفهاء إلا التي أطاعت	٥٣٥١	ان المرأة عورة، فاذا خرجت
٤٨٩٩	ان النظر سهم من سهام إبليس	٦٤٨٦	ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى
٦١٩٣	ان الهدى الصالح والسمت الصالح	٤٩٥٠	ان المساجد لم تبني لهذا، إنما بنيت
٢٦٢١	ان الوسيلة درجة عند الله	١٢٤٨	ان المسلم اذا أنفق على أهله
٧٠٧٦	ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً	٣٨٣٥	ان المسلم اذا توضع فاحسن الوضوء
٧٠٨١	ان الوليد جاء إلى النبي فقرأ عليه	٣٤٠٣	ان المسلم اذا لقي أخاه المسلم
٥٢٢٤	ان اليسير من الرياء شرك	٣٨٨٨	ان المشركين كانوا يقولون في تليبتهم
٤٣٠١	ان اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوماً	٦٢٠	ان المقام كان ملتصقاً بالبيت

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ان اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين	٣٧٧٠	ان جبريل قال لي: ألا أبشرك	٥٤٨٣
ان اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين	٧٤١٦	ان جبريل وميكائيل أتاني فقعده	٤٥
ان اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين	٣٨٤٢	ان جهنم لما سيق إليها أهلها	٥٥٧٧ ، ٤٨٢٢
ان اليهود قالوا: من أتى امرأة	٩٨٥	ان حافيه قباب اللؤلؤ المجوف	٤٠٢
ان امرأة من الانصار قالت: يا رسول الله، اني أكون	٤٨٨٧	ان حبك إياها أدخلك الجنة	٧٥٥٤
في منزلي	٤٠١	ان حبيبي ﷺ نهاني أن أصلي ببابل	٥٢٨
ان أنهارها تجري من غير أخدود	٢٢٠٩	ان حبيبي ﷺ نهاني أن أصلي في المقبرة	٥٢٩
ان بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير	٣٦٣٤	ان خالد بن الوليد في خيل لقريش	٦١٧٤
ان بالمدينة أقواماً ما قطعتم	٥٦٣٩	ان خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك	٧٣٣٣
ان بالمغرب باباً للتوبة لا يزال مفتوحاً	٧١٤٧	ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه ٣٩١٢ ، ٤٦٥٣ ،	١١٠٨
ان بلائاً يؤذن لبيل، فكلوا واشربوا	٦٦٩	ان خلق رسول الله ﷺ كان القرآن	٦٩٤٤
ان بني إسرائيل قالوا	٥٨٣٩	ان خير دينكم أيسره	٧٧٧
ان بيتهم الليلة فقولوا: حم لا ينصرون	٥٨٤١	ان داود عليه السلام قال: يا رب	٣٨٧٣
ان تجعل لله نداً وهو خلقك ٣٨٨ ، ٧٢٠ ، ١٩١٣ ،	٥٠٢٠ ، ٤٢٥٥ ، ٣٨٩٠ ، ٣٠٠٧ ، ٢٠٧٥ ، ١٩٧٨	ان داود كان يأكل من كسب يده	٤٧٩٢
ان تدعو لله نداً وهو خلقك	٥٠٢١	ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم	٦٢٤٢
ان تطعمها اذا طعمت	١٩٦٧ ، ١٠٣٥	ان ذلك سيكون	٧٤٦٥
ان تعبد الله كأنك تراه	٦٦٠٨ ، ٣٧٤٥	ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا	٦٧٥١
ان تعطيه وأنت صحيح شحيح	٧٣٥	ان رأيتمونا تخطفنا الطير	١٦٠٨
ان تغفر اللهم تغفر جما	٦٤٠٢	ان ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان	٥٩٩٥
ان جبريل أبطأ عليه، فذكر ذلك له	٤٥٠٨	ان ربكم رحيم، من هم بحسنة	٣٠٤٦
ان جبريل أتاني فأخذ بيدي	٤١٨٠	ان ربكم عز وجل خيرني بين سبعين	٢٠٦٥
ان جبريل أتاني فبشرني	٥٤٨٤	ان ربي أعطاني سبعين ألفاً	١٥١٥
ان جبريل أتاه فقال: ان الله يأمرك أن تقرأ	٧٤١٢	ان ربي أمرني أن أعلمكم	٢٥٧٨
ان جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتماً	٧٠٠١	ان ربي حرم علي الخمر والكوبة	٢٧٦٩
ان جبريل أتى فقال: اشتكت يا محمد؟	٦٩٨٥	ان ربي زادني مع كل ألف سبعين	٢٠٦٥
ان جبريل أمرني ان أقرأك هذه السورة	٧٤٠٧	ان ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم	٥١٩٥
ان جبريل جاء فقال: اشتكت يا محمد	٧٦١٧	ان ربي عز وجل استشارني في أمتي	٢٨٥٧
ان جبريل علم النبي ﷺ اذا قام من مجلسه	٦٣٤٠	ان ربي وعدني ان يدخل الجنة من أمتي	١٥٢٧ ، ١٥٣٣

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ان ربي وعدني من امتي سبعين	١٥١٧	ان سبعة الأسلمية توفي عنها زوجها	٦٨٧٢
ان رجلاً من المنافقين كانوا اذا خرج	١٧١٥	ان سليمان سأل الله تعالى ثلاثاً	٥٧٥٨
ان رجلاً أتى به الله عز وجل	١٢٩٣	ان سليمان لما بنى بيت المقدس سأل	٥٧٥٩
ان رجلاً أذنب ذنباً فقال: رب	١٥٨٢	ان سمك كل سماء مسيرة خمسمئة	٤٥٣٨
ان رجلاً أصاب امرأة في دبرها	٩٨٩	ان سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت	٦٩٢١
ان رجلاً أقام سلعة له في السوق	١٤٤٩	ان سياحة أمتي الجهاد	٣٦٧٧
ان رجلاً حضره الموت فلما أيس	٥٦٩٤	ان سيد الأيام يوم الجمعة	٧٢٢٥
ان رجلاً قال: ما أبالي ألا أعمل عملاً	٣٤٧٩	ان شئت أسمعك تضاعيمهم في النار	٤٢١٥
ان رجلاً كانت له يتيمة فنكحها	١٧٨٣	ان شئت انبأتك بأبواب الخير	٥٢٧٩
ان رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه	٦٩٢٧	ان شئت دعوت الله ان يشفيك	٣٢٤٧
ان رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة	٢٨٤٨	ان شئت دعوت الله فشفاك	٣٢٤٦
ان رجلاً من بني إسرائيل سأل	١٣٠٤ ، ١٤٤١	ان شئت فقصم، وان شئت فأفطر	٥١١١ ، ٧٧٤
ان رجلاً وامرأته صنعا للنبي ﷺ طعاماً	٤٩٨١	ان شتتم قتلتموهم، وان شتتم	٣٤١٠
ان رجلين اختصما فقصى للمحق	٢١١٧	ان شتتما أعطيتكما، ولا حظ فيها	٣٥٥٠
ان رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة	٤٦٧١	ان صدق ليدخلن الجنة	٧٢٥٨
ان رسول الله ﷺ يأمركم ان تقرؤوا	١٨٣	ان صلاة النبي ﷺ لتدرك الرجل	٣٦٤٨
ان رسول الله ﷺ أقرأني بعدها	٣٧١٥	ان طائفة من اليهود حين سمعوا	٣٨٤٥
ان رسول الله ﷺ سجد فيها	٧٢٠٦	ان طلاق أم أيوب لحوب	١٧٨١
ان رسول الله ﷺ سماها آية العز	٤٣٥٠	ان طلاق أم سليم لحوب	١٧٨٢
ان رسول الله ﷺ صنع ما صنعت	٢٥٣٢	ان طير الجنة كأمثال البخت	٦٥٢٦
ان رسول الله ﷺ قد أنزل عليه	٦٧٤	ان عاد قحطوا فبعثوا وافداً لهم	٦٠٣٩
ان رسول الله ﷺ مر به ليلة الإسراء	٤٤٩١	ان عادوا فعد	٤١٢٣ ، ٤١٢٤
ان رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر	٣٠٦	ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً	٢٠١٦
ان رسول الله أخذ العقبة	٣٥٩١	ان عبد الله بن رواحة ضافه ضيف	٢٧٤٤
ان رسول الله قرأها «انه عَمِلَ»	٣٨٠٣	ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم	٥٧٢١
ان رسول الله يأمرك ان تعتزل امرأتك	٣٦٩٩	ان عبداً في جهنم لينادي ألف سنة	٥٠١٦
ان رضا عمر رحمة، والله لوددت	٧٠٩٠	ان عبداً من عباد الله قال: يا رب	٣٠٠
ان روح القدس نفث في روعي	٥٠٤ ، ٥٩٥٧	ان عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار	٥٧٥٦
ان زنت فحدوها، ثم إن زنت	١٨٨٤	ان عذاب الدنيا أهون من عذاب	٣٩٦١ ، ٤٥٧٨
ان زينب كانت تفتخر على أزواج النبي	٥٤٠٢	ان عفريتاً من الجن تقلت عليّ البارحة	٥٧٥٥

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٢١١	ان في الجنة مائة درجة	٤٩٢٦	ان علمتم فيهم حرفة
١١٤٣	ان في الصلاة لشغلاً	١٥٩٥	ان علياً كان يقول في حياة
٧٤٢	ان في المال حقاً سوى الزكاة	٥١٨	ان عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم
٥٧١٣	ان في المعارض لمدوحة عن الكذب	٣٢٢٨	ان عمر هذا لم يدركه الهرم
٧٤٨٢	ان في جهنم لوادياً، تستعذ جهنم	١٨٩٦	ان عمرو بن العاص صلى بالناس
١١٨٠	ان فيهما اسم الله الأعظم	٦٢٨٨	ان عتقا من النار يبرز للخلائق فينادي
٦١٦٧	ان قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم	٢٧٦	ان عيسى ابن مريم أسلمته أمه
٦١٤١	ان قريشاً بعثوا وعندهم عثمان سهيل	١٤٢٩	ان عيسى لم يمت، وانه راجع
٢١٢	ان قلبك حشي الإيمان	٢٦٥٧	ان غلاماً لأناس فقراء قطع أذن
٣٣١٧	ان قلوب بني آدم بين أصبعين	٥٠٢٧	ان غياً وأثاماً بثران في قعر جهنم
٧١٣٧	ان قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله	٨١٤	ان فصل ما بين صيامنا وصيام
٤٥٢٤	ان قول لا إله إلا الله، والله أكبر	٦٢٧٥	ان فقهم قليل، وان الشيطان ينطق
٥٠٤٩	ان قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان	٦٨٠٣	ان في أصلاب أصلاب رجال
١٤٦١	ان قوماً أسلموا ثم ارتدوا	١٣٥٩	ان في أمتي قوماً يقرؤون القرآن
٦٧٣٨، ٨٥٢	ان قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة	٥٨٢٧	ان في الجنة ثمانية أبواب
٦٥١	ان قومك استقصروا من بنيان البيت	٦٤٩٦	ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة
١٦٨٤	ان كان أبواك لمن الذين استجابوا لله	٣٩٧٠، ٣٩٥١	ان في الجنة شجرة يسير الراكب
٢٠٧٨	ان كان أحدكم مادحاً صاحبه	٣٩٤٨، ٤٥٦٩	
٣٣٢١	ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة	٦٥٣٩	ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد
٧١٥٥	ان كان عندي منه علم	٦٥٣٤	ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
٤٠٩٣	ان كان في شيء من أدويتكم	٦٥٤٢، ٦٥٤٠، ٦٥٣٦، ٦٥٣٥	
٢٤٨٠	ان كان لك كلاب مكلبة فكل	٦٣١٢	ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها
٥٥٩	ان كان ليأتي عليّ السنة	٥٧٦٥	ان في الجنة قصرأ يقال له: عدن
٧٠٥٥	ان كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو	٢٠٨٤	ان في الجنة لشجرة يسير الراكب
٨١٠	ان كان وسادك اذا لعريض	٦٥٣٠	ان في الجنة لطيراً فيه سبعون ألف ريشة
١١٩١	ان كرسية السموات والأرض	٥٥٨١	ان في الجنة لغرفاً ترى ظهورها
٦٦٩٣	ان كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي	٥٧٧٢	ان في الجنة لغرفاً يرى بطونها
١٢٨٥	ان كل رباً من ربا الجاهلية موضوع	٣٥٨١	ان في الجنة لغرفاً يرى ظهورها
٣٨٢٤	ان كل صلاة تحط ما بين يديها	٥٧٧٣	ان في الجنة لغرفة يرى ظاهرها
٥٧١٩	ان كنت رأيت قرني الكباش حين دخلت	٦٥٥٩	ان في الجنة لمجتمعاً لحوار العين

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ان لربكم في بقية أيام دهركم نفحات	٥٨٧٢	ان مثل ما بعثني الله به من الهدى	٣٩٣٦
ان لقمان الحكيم كان يقول: ان الله	٥٢١٩	ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	٥٤١٠
ان لك أجر رجل ممن شهد بذكراً	١٦٠٧	ان محمداً لم ير جبريل في صورته	٦٣٩١
ان لكل شيء سناماً	٣٤٧	ان مريم سألت ربها أن يطعمها	٣١٤٧
ان لكل شيء قلباً وقلب القرآن «يس»	٥٦٤١	ان معكم من لا يفارقكم إلا عند	٣٩١٨
	٥٦٤٢	ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس	١٤٧٣، ٦٣٧
ان لكل نبي حوارياً	١٤٢٧	ان ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح	٦٥٩٠
ان لكل نبي حوضاً	٢٨٦٦	ان ملائكة الله يعرفون بني آدم	٧١٨٥
ان لكل نبي دعوة مستجابة	٥٧١٧	ان ملك الموت اذا جاء الكافر	٣٣٨٥
ان لكل نبي ولاة من النبيين	١٤٣٩، ١٤٤٠	ان ملكاً من بني إسرائيل أخذ رجلاً	١٩١٥
ان للشهيد عند الله ست خصال	٦٠٨١	ان ملكين يصيحان كل يوم يقول أحدهما	٥٥٨٤
ان للشيطان لمة بابن آدم	١٢٢١	ان ملكين ينزلان من السماء صبيحة	٩٤٥
ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد	٨٠٠	أن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم	٦٥٠١
ان للمؤمن في الجنة لخيمة	٦٤٩٧، ٣٥٧٣	ان مما أتخوف عليكم رجل قرأ	٣٢٠٦
ان للمنافقين علامات يعرفون بها	٦٨٢٨	ان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن	١١٧
ان لله أهلين من الناس	١٨٨	ان من أكبر الكبائر ان يلعن	١٩١٩
ان لله تسعة وتسعين اسماً	٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢١٣	ان من أمتي قوماً على الحق	٣٢١٧
	٧٢٦٧، ٦٧٣١	ان من أمتي لرجالاً، الإيمان أثبت	٢١١٨
ان لله تعالى عباداً لا يكلمهم يوم	١٤٤٨	ان من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله	٥٢٢٦
ان لله عباداً يعرفون الناس	٧٠٥٧، ٤٠٥٨	ان من أهل النار من تأخذه	٤٠٤٦
ان لله عز وجل مئة رحمة	٣١٦٧	ان من البيان سحراً، وان من الشعر حكماً	٥٦٩٠
ان لله ما أخذ، وله ما أعطى	٣٩١٥	ان من البيان لسحراً	٥٤١
ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته	٧٠٩١	ان من السرف ان تأكل كل	٣٠٩٨
ان لله ملائكة سياحين في الأرض	٥٥٢٧	ان من الشجر شجرة لا يطرح	٣٩٩٥
ان لله ملكاً، لو قيل له: التقم	٧١٣٨، ٤٣٣٧	ان من الصدقة ان تعين صانعاً	١٣٠٥
ان له مرضعاً في الجنة	١١٠٠	ان من خياركم أحاسنكم أخلاقاً	٥٢٣٨
ان لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد	٦٧٩٤، ٥٤١٤	ان من عباد الله عباداً يغبطهم	٣٧٤٧
ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم	٣١١٢	ان من عباد الله من لو أقسم	٢٦٥٦
ان ما بين مصرعين في الجنة مسيرة	٥٨٣٣	ان من كان قبلكم كان أحدهم يوضع	٩٥١
ان مثل المنافق يوم القيامة كالشاة	٢٣١٦	ان من ملوك الجنة كل أشعث أغبر	٥٢٢٧

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ان من ورائكم الكذاب المضل	٦٣١٠	ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف	٦٤٤٩
ان منكم منافقين، فمن سميت فليقم	٦١١٨	ان هذا القرآن شافع مشفع	١٩٨
ان موسى أجر نفسه بعفة فرجه	٥١١٧، ٥١١٠	ان هذا القرآن مآدبة الله، فتعلموا	١٨
ان موسى أجر نفسه ثمانين سنين	٥١٠٩	ان هذا القرآن نزل على سبعة أحرف	٦٤، ٦٣
ان موسى بني إسرائيل سأل ربه فقال	٤٤١١	ان هذا القرآن هو حبل الله المتين	١٥٠١
ان موسى قام خطيباً في بني إسرائيل	٤٤٠٨	ان هذا الوجع والسقم رجز	٤٧١
ان موسى كان رجلاً حياً	٥٥٤٢، ٥٥٤١، ٥٥٤٠	ان هذا شيء ما سألتني عنه أحد	٤٠٢٦
ان موسى لما أراد فراق شعيب	٥١١٦	ان هذا من المكتوم، ولولا انكم سألتموني	٥٥٢٦
ان ناركم هذه جزء من سبعين	٣٦٠٩، ٦٥٧٣	ان هذه أيام أكل وشرب وذكر الله	٩٢٩
ان ناسا كانوا يحجون بغير زاد	٨٩٢	ان هذه الآية... هي في التوراة	٢٧٨٤
ان ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا	٥٠٢٥	ان هذه الأمة تبتلى في قبورها	٤٠٠٤
ان ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا	٥٧٩٤	ان هذه الأيام أيام أكل وشرب	٩٣٠
ان ناساً من أهل لا إله إلا الله	٤٠٣٥	ان هذه الصلاة عرضت على الذين من قبلكم	١١٣٦
ان ناساً من المنافقين كانوا يتخلفون	١٧١٦	ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء	١١٤٤
ان ناساً من عرينة قدموا المدينة	٢٦٠٢	ان هذه من غنائمكم، وانه ليس لي	٣٣٦١
ان نبي الله أيوب ليث به بلاؤه	٤٦١٧، ٥٧٦٣	ان وسادك إذا لعريض	٨١١
ان نبياً من الانبياء كان أعجب بأمره	٧٢٢٨	ان وفد أهل نجران قدموا	١٤٣٢
ان نفرأ من الأنصار غزوا مع	٢٢٥٧	ان يأجوج ومأجوج لهم نساء	٤٤٣٥
ان نفرأ من الجن خمسة عشر بني إخوة	٦٠٥٦	ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد	٤٤٣١
ان نفرأ من المنافقين اغتابوا ناساً	٦٢٥٥	ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم	٤٤٣٤
ان نفرأ من قريش من أشرف	٣٣٣٤	ان يؤخر هذا لم يدركه الهرم	٣٢٢٩
ان هؤلاء نزلوا على حكمك	٥٣٣٧	ان يطاع فلا يعصى	١٤٩١
ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما	٦٢٥٢، ٦٢٥١	ان يعيش هذا الغلام فمسي	٣٢٢٧
ان هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه	٥٩٧١	ان يعيش هذا لم يدركه الهرم	٣٢٢٦
ان هذا البلد حرمه الله	٦٣٥، ٨٥٣، ٣٥٣٢	ان يغفر ذنباً، ويفرج كرباً	٦٤٧٤
	٥١٠٣، ٧٢٨٠، ١٤٧٢	ان يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة	٢٦٩٥
ان هذا الدين يسر	٣٧٠٩	ان يونس حين بدا له أن يدعو	٥٧٢٥، ٤٦٢٢
ان هذا السقم عذب به الأمم قبلكم	١١٥٥	انا أحق بموسى	٣٨٠٠
ان هذا السيف لا لك ولا لي	٣٢٦٠	انا أفصح من نطق بالضاد	٣٢٢
		إنا أمة أمية لا نكتب	١٣٠٣، ٤٩١

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٧٩	انا وأمتي يوم القيامة على كوم	٤٨٨٢	انا أنا كأنه كرهه
٢٢٤٣	إنا وجدنا نبينا ﷺ يعمل عملاً	٧٣٣٧	إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة
٧٢٧٤	إنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة	٥٧٠٧	انا أول الناس خروجاً اذا بعثوا
٧٣٠٦	انبعث لها رجل عارم عزيز منيع	٥٨١٩	انا أول شفيح في الجنة
٦٠٨٩	انت أحب بلاد الله إلى الله	٦٣٠٨	انا أول من تنشق عنه الأرض
٥٣٠٠	انت أخونا ومولانا	٤٣٢٢	انا أول من يؤذن له بالسجود
٥٦٧٤	انت القاتل: أتجعل نهبي ونهب	٦٩١٦	انا أول من يؤذن له في السجود
٢٦٣٨ ، ٢٦٣٧	انت اليوم من خطيبتك كيوم	٦٦٢٤	انا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود
٢٧٥٢	انت بالخيار، إن شئت أعتقت	٤٦٧٣	انا أول من يجثو بين يدي الرحمن
٦٨٠	انت بما تقول	٥٨١٩	انا أول من يقرع باب الجنة
٣٩٧٩	انت عبد الله بن سلام	٢٣٣٦ ، ٢٣٣٥	انا أولى الناس بعيسى
٦٨٨٧	انت علي حرام، ووالله لا أطوك	٤٤٧٦	انا أولى بابن مريم
٥٣٦٢	انت من أهلي	٥٣١٢	انا أولى بكل مؤمن من نفسه
٥٣٠٠	انت مني، وأنا منك	٣٧٠٤	انا الضحوك القتال
٤٩٨٢	انت ومالك لأبيك	٣٩١١	انا المنذر، ولكل قوم هاد
٤٨٨٩	انتظروا حتى تدخل عشاء	٥٦٨٢	انا النبي لا كذب، انا ابن عبد المطلب
٣٧٦٩	انتم أحق بموسى منهم، فصوموه	٦٤١٨	انا النذير العريان
١٥١١ ، ١٠٣	انتم توفون سبعين أمة	٣٤٣٤	انا بريء من كل مسلم بين ظهرائي
٤٤٩	انتم توفون سبعين أمة انتم خيرها	٥٨٥٦	انا ذاك
٩٠١ ، ٩٠٠ ، ٨٩٨	انتم حجاج	٦١٨٧	انا رسول الله، وأنا محمد
٦١٥٣	انتم خير أهل الأرض اليوم	٤٣٢٣ ، ٤١٨٤	انا سيد الناس يوم القيامة
١٥٤٠	انتم ربيع أهل الجنة	٤٣٢٤	انا سيد ولد آدم يوم القيامة
١٩١	انتم في خير، تقرؤون كتاب الله	٦٢٣١	انا قد نهينا عن التجسس
٦٤٢٧	انتم والساعة كهاتين	٣٣١٨	إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ
٦٧٦٢	أنتن على ذلك	٢٨١٦	انا لم نرده عليك إلا إنا حرم
٣٤٩١	انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء	٣٤٩٥	انا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين
٣٦٠٥	انثره في الصدقة	٥٤١٥	انا محمد النبي الأمي . . ولا نبي بعدي
٧١٧١	انحر عن كل واحدة منهن بدنة	٥٤٩٦	
٧٣٢٢	أنذرتكم النار، أنذرتكم النار	٢٩٧١	انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
٢٢٩٨	أنزل الله تعالى في سودة وأشباهها	٦٧٩٥	انا محمد، وأحمد، والهاشر، والمقفي

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٤٣٧	انشق فلقتين : فلقه من دون الجبل	٥٣١٤	انزل الله عز وجل فينا خاصة
٢٤١٥ ، ٢٤١٤	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	٣٣٤٢	انزل الله علي أمانين لأمتي
٦٢١٥		١٢	انزل القرآن على أربعة أحرف
١٦٥٧	انطلق أبا مسعود لا ألفينك	٦٢ ، ٦٠ ، ٤٦	انزل القرآن على سبعة أحرف
١٨٠٧	انطلق بي إلى خلق من خلق الله	٤٣٠٢	انزل القرآن في ثلاثة أمكنة
٥١٧	انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود	٣٨٤٧	انزل على النبي ﷺ القرآن
٦٠٤٥	انطلق في طائفة من أصحابه عامدين	٢٣٩٨	انزلت سورة المائدة وهو راكب
٥٣٩١	انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة	٤٧٥١	انزلت سورة النجم وكان المشركون
١٨١٠	انطلق من كان عنده يتيم فعزل	٧٦٥	انزلت صحف إبراهيم في أول ليلة
٥٤٢٧	انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا	٢٧٧	انزلت علي آية لم تنزل على نبي
٢٢٥٠	انطلقنا نلتقى عيراً لقريش	٥٩٢	انزلت علي : (ان أرسلناك بالحق)
٦٧٣٥ ، ٦٧٣٤	انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ	٣٣٢٧	انزلت في أبي لبابة حين بعثه
٦٧٧٦	انطلقني فكافيتهم	٢٧٧٦	انزلت في الخمر أربع آيات
٦٢٦٤	انظر فإنك لست بخير من أحمر	٣٠٩٢	انزلت في الصلاة في النعال
٣٢٦٩	انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة	٣٣٠٧	انزلت في رمية رسول الله ﷺ
١١٠٤	انظرون من إخوانكن	٦٨٣٠	انزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي
٦٠٦٣	أنظرنني حتى آتيك	٧٥٢٣	انزلت هذه السورة أوسط أيام التشريق
٨٩٠	انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع	٢٦٤٨	أنزلها الله في الطائفتين من اليهود
٦٨٥٩	انظري يا بنت آل قيس، انما النفقة	٥٣٣٩	أنزلوا على حكم سعد بن معاذ
٧١٣٢	انعت لك الكرسف	٨٧٩	انسك شاة أو أطعم ستة مساكين
٤٤٣٠	انعت لي	٦٥٤٩	أنشأ عجائزكن في الدنيا عمشاً رمصاً
٩٤٤	أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقللاً	٣١٧١	أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل
٥٥٨٥ ، ٦٤٠٧		٣٩٧٩	أنشدك بالله، أما تجدني في التوراة
٦٦٢١	أنفق ماله علي قبل الفتح	٦٤٥٠	أنشدك عهدك ووعدك
٩٦١	أنفقه على نفسك	٢٦٤٤	أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة
٤٢٤٧	أنفقي هكذا وهكذا وهكذا	٥١٢ ، ٥٠٣	أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل
٦٢٣٣	انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم	٦٤٤١	انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين
١٨٠٤	انك إن تذر ورثك أغنياء خير	٦٤٣٣	انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ
٥٣٦٥ ، ٥٣٥٨	انك إلى خير	٦٤٤٣ ، ٦٤٤٠	
٥٣٦٠	انك إلى خير، أنت من أزواج النبي	٦٤٣٤	انشق القمر في زمان رسول الله ﷺ

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
انك تموت بالربوة	٤٧٩٠	انما أجلكم في أجل من خلا	١٠٢
انك جئتنا فساتنا فأعطيناك	٣٧١٣	انما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة	٥٩٣٥
انك كالذي قال الأول: اللهم أبغني	٦١٥٠	انما أمر رسول الله ﷺ ان يتعوذ بهما	٧٥٩٤
انك لا تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك	٥٧٥٤	انما أمرت بالوضوء اذا قمت	٢٥٠٨
انك لتشتهي الطير في الجنة فيخر	٦٢٩٨	انما أمروا بأدنى بقرة	٤٧٧
انك لتنظر إلى الطير في الجنة	٦٥٣١ ، ٣٩٦٨	انما أنا رحمة مهداة	٤٦٣٩ ، ٤٦٣٨
انك لزهد	٦٦٨٨	انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم	٥٣١٣
انك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين	٨١٢	انما الأعمال بالخواتيم	٣٠٨٦
انك لم تدع لنا شيئاً	٢١٦٠	انما الأعمال بالنيات	٢٢٢٢
انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله	١٢٤٧	انما السكنى والنفقة للمرأة اذا كان	٦٨٦٠
انكحوا الأيامى	٣٧٨٠	انما الطاعة في المعروف	٢١٠٨
انكدرت في جهنم، وكل من عبد من دون	١٧٩٢	انما القصر في صلاة المخافة	٢٢٤٤
انكم تختصمون إلي، وانما أنا بشر	٧١٦٣	انما النسيء من الشيطان	٣٥٣٥
انكم تقولون: لا عدو لكم	٢٢٥٦	انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٦٩٥٣
انكم تحشرون إلى الله يوم القيامة	٤٦٢٩	انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد	٣٣٦٧
انكم تدعون مقدماً على أفواهكم	٤٦٥١	انما بنيت المساجد لما بنيت له	٦٢٤
انكم تدعون يوم القيامة مقدماً على أفواهكم	٥٦٦٩	انما جعل الإمام ليؤتم به	٣٢٤٨ ، ٢٥٣
انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر	٥٨٨٨	انما جعل الطواف بالبيت	٩٣٣
انكم سترون ربكم عياناً	٧٠٩٩	انما خيرني الله فقال: (استغفر...)	٣٦١٩
انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	٧٠٩٧	انما ذاك جبريل	٦٣٨٢
انكم لا تدعون أصم ولا غائباً	٤٥٧٩	انما سعى بالبيت وبالصفاء والمروة ليري	٦١٨٤
انكم لا تسعون الناس بأموالكم	٣٢٥٦ ، ٣١٢٠	انما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا	٧١٨٦
انكم لتأولون هذه الآية على غير التأويل	٥٥٩٤	انما سماوا الأبرار لأنهم بروا	١٧٣٥
انكم محشورون إلى الله حفاة	٥٢٤٦	انما سمي البيت العتيق لأنه	٤٦٩٧
انكم مسؤولون عني فما انتم قائلون	٨٦٠	انما سمي الخضر لأنه جلس على فروة	٤٤٢٢ ، ٤٤٢٣
انكم معشر الموالي قد بشركم الله	٢٨	انما عمار المساجد هم أهل الله	٣٤٧٤ ، ٣٤٧٣
انكم وليتم أمراً هلك فيه الأمم	٣٠١٩	انما كان يتسم	٦٠٤٠
انكما قد اتدتمتا بسلامان بقولكما	٣٠١٨	انما كان يكفيك ان تقول هكذا	٢٠٤٥
	٦٢٥٦	انما كان يكفيك، وضرب	٢٠٤٣

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه	٧٠٧١	انه سيأتكم إنسان ينظر بعيني شيطان	٦٦٨٩
انما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح	٥٩٣١	انه سيحال بيني وبينها	٧٥٤٧
انما مثل صاحب القرآن كمثل	١٣٢	انه سيفتح لكم مشارق الأرض	٣٥٠٥
انما مثلي ومثل ما بعثني الله به	٤٠٦٥	انه سيكون بعدي اختلاف	٣٤٠١
انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين	٢٧٧٧	انه سيلحد فيه رجل من قريش	٤٦٨٦
انما نزل ما نزل منه سورة	٧٠	انه سينهاه ما تقول	٥١٥٨
انما نزلت فينا	٨٥٩	انه صدقكم	٦٧٣٤
انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة	٦٥٩٤	انه طرأ علي حزبي من القرآن	٦٢٧٦
انما هلك من كان قبلكم بهذا	١٣٦٤	انه في النفخة يأمر الله الأرواح	٥١٠٢
انما هلك الأمم قبلكم باختلافهم	٢١٤٦	انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن	٥٤٦٠
انما هي أربعة أشهر وعشر	١١١١	انه قد سن لكم معاذ، فهكذا فاصنعوا	٧٦٢
انما هي المصيبات في الدنيا	٢٢٧٦	انه قد شهد بدرأ، وما يدريك	٦٧٣٤، ٣٢٨٤
انما هي توبة نبي، ولكني رأيتكم	٥٧٤٩		٣٢٨٤
انما يحضر المشركون فيطوفون	٣٤٤٦	انه قد نعت إلي نفسي	٧٥٢٤
انما يفتن يهود	٥٨٦١	انه كائن في القوم خبر	٥٣٢١
انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون	٤٠٨١	انه كان في مسير مع رسول الله ﷺ	٢٣٩٧
انه خير بين أن يكون نبياً	٤٩٩٧	انه كان معك ملك يرد عنك	٥٩٥٤
انه أتاني آت من ربي فقال	٢٢٦١	انه كان يقول في كتاب الله ما يقول	٣٣٣٨
انه أتاني الملك فقال: يا محمد	٥٤٩١	انه كان ينافع عن رسول الله ﷺ	٤٨٦٥
انه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم	٦٠٥٠	انه لا يقام لي، انما يقام لله تعالى	٤٥٩٤
انه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: (فمن يعمل)	٧٤٢٧	انه لم يكن نبي من قبلي إلا كان حقاً	٢١٠٥
انه اذا فرغ منه عاد طائراً كما كان	٣٩٦٩	انه ليأتي الرجل العظيم السمين	٤٤٣٩
انه أواه	٣٦٩٣، ٣٦٩٤، ٣٦٩٦	انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً	٧٢١٢
انه أوحى إلي ان تواضعوا حتى لا يفخر	٥١٣٢	انه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا	١٩٢٤
انه أوحى إلي انكم تفتنون في قبوركم	٥٨٦٠	انه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان	٥٢١٢
انه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه	٦٤٢٨	انه ليس عليك بأس، انما هو أبوك	٤٩١٠
انه بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا	٥٦٥١	انه ليس من فرس عربي	٣٣٩٤
انه تعالى اذا قبض أرواح جميع خلقه	٥٨٥١	انه مر بالنبي ﷺ وهو يبول	٢٠٤٦
انه تعالى يطوي السموات والأرض بيده	٥٨٥٠	انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة	٢٧٥٩
انه سيأتكم إنسان ينظر إليكم	٣٥٨٩	انه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم	٦٦٦١

طوف الحديث	الرقم	طوف الحديث	الرقم
انه يشخب فيه ميزانان من السماء	٧٤٩٤	انهما قد اتتدما	٦٢٥٧
انه يشهد لمن استلمه بحق	٤٨٦	انهما ليستا من كتاب الله	٧٥٩٥
انه يلبس علينا القرآن	٥٢١٠ ، ٣٦٦٩	انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	٦٩٥٤ ، ٤٢٧٦
انها آخر آية نزلت في القرآن	٤٤٥٩	انهما من كثر الرحمن تحت العرش	١٣٤٣
انها النظر إلى وجه الله الكريم	٦٣٠٠	أنى كانت لك الشاة	٤٧٩٤
انها تعدل ربع القرآن	٧٥٢١ ، ٧٥١٥	اني أخاف على أمتي اثنتين	٤٤٩٧
انها حبة أليك ورب الكعبة	٥٩٥٠	اني أحب ان أسمع من غيري	٢٠٠٧ ، ١٦٢
انها ستكون فتنة	١٧	اني أخاف ان يقتلوك	٥٦٥٨
انها ستكون فتنة القاعد فيها	٢٥٩١	اني أخبرت عن غير أبي سفيان	٣٢٧٢
انها ستكون هجرة بعد هجرة	٥١٤٤ ، ٥١٤٥	اني أختم ألف ألف نبي أو أكثر	٢٣٦٤
انها طيبة، وانها تنفي الخبث	٢١٦٥	اني أخشى ان يصيبكم مثل ما أصابهم	٣١٢٦
انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً	٧٤٤٢	اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون	٧٠٨٥
انها في علم الله قليل	٥٢٥٤	اني أريد ان أذكر لك أمراً فلا تقضي	٥٣٤٢
انها قد حرمت بعدك	٢٧٦٣	اني أشتهي أن أسمع من غيري	١٧٥
انها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها	٧١٢٧	اني أقول: ما لي انازع في القرآن؟	٣٢٥٣
انها لن تراني	٤٢٧٨	اني أكره ان تتحدث العرب أن محمداً	٣٨٢
انها لن تراني، وقرأ قرآنًا اعتصم به	٧٥٤٦	اني أمرت ان أدينك ولا أقصيك	٧٠٠٥
انها لو لم تكن ربيتي في حجري	١٨٦٨	اني أمرت ان أقرأ على الجن	٦٠٦٤
انها ليست بنجس، إنها من الطوائف	٤٩٨٠	اني أمرت ان أقرأ عليك سورة كذا	٧٤٠٩
انها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين	٧٣٧٧ ، ٧٣٩٣	اني أمرت بالعفو	٢١٣٨
انها ليلة سبع وعشرين	٧٣٨٩	اني استأذنت ربي في الدعاء لها	٣٦٨٥
انها مما نسخ وأنسي	٥٥١	اني استأذنت ربي في زيارة قبر	٣٦٨٣
انها من كثر أعطيه نبيكم	١٣٤١	اني بعثت إلى أمة أمين	٥٤
أنهار الجنة تفجر من تحت تلال	٤٠٣ ، ٧٢٥٦	اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي	٥٩٢٤
انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد	١٦٠٩	اني تارك فيكم ما ان تمسكنم به	٥٩٢٨
انهم افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة	٥١٧٩	اني خاتم ألف نبي أو أكثر	٢٣٦٣
انهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن	٣١٠٩	اني خبأت لك خبئاً	٥٩٩٢
انهم لا يحسدونا على شيء كما	٣٣٥ ، ٦٧٥	اني خيرت فاخترت	٣٨٣ ، ٣٦٢١
انهم ليسوا بشيء	٥٠٦٦	اني ذاكر لك أمراً، فلا عليك ان لا	٥٣٤٥ ، ٥٣٤٠
انهم يلهمون التسبيح والتحميد	٤٦٧٩	اني ذاهب بالهدي فناحره	٢٥٨٩

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
اني رأيت البارحة عجباً	٤٠١٥	اني لأرجو ان يكون من يتبعني	١٥٣٥
اني رأيت الجنة - أو أريت - فتناولت	٣٩٦٢	اني لأسمع أطيح السماء وما تلام	٤٥٩٦ ، ٣٦٩٧
اني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقوداً	٦٥٤٤	اني لأشبهكم صلاة برسول الله	٢٦٨
اني رأيت في المنام كان جبريل	٣٧٣١	اني لأعرف آخر أهل النار خروجاً	٥٠٢٨
اني رأيت ليلة القدر فأنسيتها	٧٣٨٠	اني لأعرف أول من سيب السوائب	٢٨٤٠
اني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة	٥٧٦٧	اني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم	٤٨٥
اني سألت الله ثلاثاً	٢٨٩٩	اني لأعطي الرجل وغيره أحب	٣٥٥٤
اني سألت ربي الشفاعة لأمتي	٢٨٥٤	اني لأعطي رجلاً وأدع من هو أحب	٦٢٧٢
اني سألت ربي في الاستغفار لأمي	٣٦٨٢	اني لأعلم آية لم تنزل على نبي قبلي	٥٠٨٣
اني صليت صلاة رغبة ورهبة	٢٩٠٠ ، ٢٩٠١	اني لأعلم شيئاً لو قاله لذهب عنه	٢٦٠
اني عرضت علي الجنة وما فيها	٣٩٦٣	اني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه	٢٦١ ، ٢٦٢
اني على جناح سفر وحال شغل	٣٦٥٤		٣٢٤٥
اني عمداً فعلته يا عمر	٢٥٠٢	اني لأعلم، والله أنكم لتعلمون	٢٣٧١
اني عند الله لخاتم النبيين	٦٧٩٧ ، ٥٤١٣ ، ٦٥٨	اني لا أحل المسجد لحائض	٢٠٢٠
اني قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر	٥٨١٤	اني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة	٢٩٠٤
اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة	٥٠٦٢	اني لا أصافح النساء، إنما قولني لامرأة	٦٧٥٧
اني قد خبأت خبئاً فما هو؟	٥٩٨٧	اني لبدت رأسي وقلدت هديي	٨٧٣
اني قد رأيته نوراً	٤١٥١	اني لخاتم ألف نبي أو أكثر	٢٣٦٥
اني قد عرفت ان أناساً من بني هاشم	٣٤١٥	اني لست أريدها لنفسي	٥٣٩٥
اني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم	٤٧٣٠	اني لست بشاعر ولا ينبغي لي	٥٦٧٩
اني لأخذة بزمام العضباء	٢٣٩٦	اني لست كهيتكم اني يطعمني ربي	٨٣٦
اني لأرجو ألا تعجز أمتي	٤٧٤٧	اني لعلي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم	١٢٦٤
اني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها	٧٠٤٤	اني لفني الصحراء ابن عشر سنين	٧٣٤٦
اني لأرجو ألا يدخل النار	٤٥١٤	اني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط	٤٣١٧
اني لأرجو ان أشفع يوم القيامة عدد	٤٣١٨	اني لم أبعث لأعذب بعذاب الله	٣٢٩٢
اني لأرجو ان تكونوا ثلث أهل الجنة	٦٥٦٨	اني لم أبعث لعنائاً، وإنما بعثت	٤٦٣٧
اني لأرجو ان تكونوا ربيع	٦٥١٤ ، ٤٦٤٨ ، ٦٥١٦	اني لم أرد عليك إلا اني كنت في صلاة	١١٤٦
اني لأرجو ان تكونوا نصف أهل الجنة	٦٥٦٨	اني لم أنم الليلة من أجل عمي	٣٤٠٨
اني لأرجو ان لا تخرج من باب	٢٣٧	اني لم أومر بهذا	٤٧٤٤
اني لأرجو ان لا تخرج من هذا الباب	٢٣٨	اني لن يجيرني من الله أحد	٦٠٥٧

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٠٩٩	أوصاني خليلي ان أسمع وأطيع	٤٨٠٢	اني ممسك بحجزكم: هلم عن النار
١٠٤	أوصى بكتاب الله عز وجل	٤١١٠ ، ١٠٢٠	اني والله ان شاء الله، لا أحلف
٦٦٤٣	أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء	٥٦٧٨	اني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي
٤٩٠٢	أوعمياوان انتما؟ ألتما تبصرانه؟	٥٠٧٥	اهجههم أو قال هاجهم وجبريل معك
٥١١٥	أوفاهما وأبرهما	٨٧٢	أهدى مرة غنماً
٥١١٤	أوفاهما وأتمهما	٢٧٨٣	أهرقها
٥٩٦٦	أوفي شك انت يا ابن الخطاب؟	٢٦٤٥	أهكذا تجدون حد الزنى
٣٦١٠ ، ٧٤٤٨	أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت	١٥٣٩ ، ١٥٣٨	أهل الجنة عشرون ومائة صف
٣٦١١	أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت	١٨٨	أهل القرآن هم أهل الله وخاصته
٣٨٠٨	أوقد قالوها، ولئن فعلت ذلك	٦٩٦١	أهل النار: كل جعظري جواظ مستكبر
٥٧٨١	أول الخصمين يوم القيامة جاران	٥٣٧١	أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا
٣٩٤٠	أول ثلة يدخلون الجنة فقراء	٣٦٢٦	أهلكك حب يهود
٥٨٢١ ، ٤٥٠٠	أول زمرة تلج الجنة صورهم	٧٤٤٩	أهون أهل النار عذاباً
٦٥٦٢ ، ٥٨٢٢	أول زمرة يدخلون الجنة على صورة	١٨٦٨	أو تحبين ذلك
٦٣٤٨	أول سورة انزلت فيها سجدة «والنجم»	٦٨٦١	أو خير من ذلك
٧٠٧٢	أول شيء نزل من القرآن	٢١٢٨	أو غير ذلك
٦٩٢	أول صلاة صلاها إلى الكعبة الظهر	٤٢٢١	أو غير ذلك يا عائشة
٤٨٥٨	أول لعان كان في الإسلام	٣٢١	أو غير ذلك يا عائشة، ان الله خلق
٦٤٢	أول ما اتخذ النساء المنطق	٤٥٨٤	أو في شك انت يا ابن الخطاب
٧٣٥٩	أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي	٦٨٣٨	أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله
٤٧٥٤	أول ما خلق الله القلم، قال له	٣٨٠٩	أو قد قالوها، والله لو فعلت لكان
٥٧٢	أول ما نسخ من القرآن	٦٢٧٢	أو مسلم
٢١٧٥	أول ما يقضى بين الناس يوم	٧٠٦٧	أوتروا يا أهل القرآن
٦٦٥٢	أول من ظاهر في الإسلام أوس	٥٢٥٩	أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس
٦٦٥١	أول من ظاهر من أمراته أوس	٥٢٥٨	أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس
٧٢٣٦	أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ	٧١٩	أوثقوا لي لئن دعوت ربي فجعل لكم
٤٩٩٤	أول من يكسى حلة من النار إبليس	١١٨٣	أوحى الله إلى موسى ان اقرأ
٣١٠٨	أولئك أصحاب الأعراف	٣٠٠٤	أوصانا بسبع خصال
٣٧١	أولئك قوم آمنوا بالغيب	٣٠٠٦	أوصاني خليلي ﷺ: أطع والديك

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٠٢٥	أيكم يبأييني على هؤلاء الآيات	٤٥٨٤ ، ٦٨٩٦	أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم
٦٠٦٩	أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة؟	٥٩٦٦	
١٠٦٦	أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم	٦٠٦٨	أولئك وفد جن نصيبين، أتوني
٦٧٧٢	أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم	٥٤٨٦	أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم
١٠٤٧	أيما امرأة سألت زوجها الطلاق	٧١٠٤	أولى لك فأولى
١٠٤٥	أيما امرأة سألت زوجها طلاقها	١٣١٢	أوليس قد ابتعته منك
٥٧٠٣	أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفاً معه	١١٧١	أي آية في القرآن أعظم
٣٥٢٢	أيما ذهب أو فضة أوكي عليه	١١٦٩	أي آية في كتاب الله أعظم
٤٦٤٢	أيما رجل من أمتي سبته سبة	٣٧٠	أي الخلق أعجب إليكم إيماناً
١٨٧٩	أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه	١٤٩٠ ، ٦٦١٣	أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟
٧٢٠٥	أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة على ظمأ	٢٩٤٤	أي شيء تحبون أن أتاكم به؟
٧٢٨٥	أيما مسلم أعتق رجلاً مسلماً	٣٦٨٠	أي عم، قل: لا إله إلا الله
٦٨١	أيما مسلم شهد له أربعة بخير	٤٣٥١	أي فلان، ما بلغ بك ما أرى
٢٣٢٤	أيما مسلم ضاف قوماً فأصبح	١١٧٣	إي فلان، هل تزوجت؟
٣٨٣١	أين أبو اليسر؟	٣٤٦٤ ، ٣٤٦٥	إي يوم هذا؟
٥٩٥	أين أبواي؟	٨٧٥ ، ٨٧٦	أيؤذك هو أم رأسك
٨٣٨	أين أنت من وصال آل محمد؟	٨٨٣ ، ٩٢٤	أيام التشريق أيام أكل وشرب
٥٣٦٤	أين ابن عمك وابنك؟	٩٢٧	أيام التشريق أيام طعم
٢٢	أين الذي سألني عن العمرة انفاً؟	٤٧٣٤	أيام التشريق كلها ذبح
٢٧٢٨	أين السائل؟	٩٢٦	أيام منى ثلاثة، فمن تعجل
٨٦٥	أين السائل عن العمرة؟	٦٨٧٦	آية آية؟
٢٧٥١ ، ٢١٧١	أين الله؟	١٢٦٦	أيسرها أن ينكح الرجل أمه
١٩٣٣	أين تجعلون: (الذين يشترون...)	٣٤١٥	أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف
٢٠٨٧	أين عثمان بن طلحة؟	٧٥٥٧	أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة
١١٥	أين كنت؟	٧٥٦١	
٣٨٣٤	أين هذا الرجل القاتل: أقم في حد الله؟	٧٥٦٤	أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن
٥٣٣٠	أيها السائل، هذا منهم	٢٦٨٨	أيكم الذي سمعت صوته
٢٣٧٣	أيها الناس عليكم يقولكم	١٥٦٨	أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله
١٤٧٧	أيها الناس قد فرض عليكم الحج	٧٠٧١	أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟
٣٢٥٦	أيها الناس، أربعوا على أنفسكم	٢٩٩٩	أيكم يبأييني على ثلاث

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
أيها الناس، إن الزمان قد استدار	٣٥٣٠	الأبدال في أمتي ثلاثون	١١٦٧
أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً	٧٢٣	الأجوفان: الغم والفرج	٥٢٣٥
أيها الناس، انكم مسؤولون عني	٣١٢٤، ٢٧٠٣	الأرواح جنود مجندة	٦١١٤، ٤٣٦٥
أيها الناس، اتقوا هذا الشرك	٣٩٠٠	الأعمال بالنيات	٢٥١٠
أيها الناس، أربعوا على انفسكم	٣١٢٠	الأمن والصحة	٧٤٦٩
أيها الناس، السكينة السكينة	٩٠٧	الأنبياء إخوة لعلات	٢٣٣٤
أيها الناس، اكفلوا من الأعمال ما تطيقون	٧٠٥٨	الأواء: المتضرع	٣٦٩٢
أيها الناس، تدرن ما مثلي ومثلكم	٥٥٩٠	الإثم ما حاك في القلب	١٢٦٠
أيها الناس، هلموا إلي انا	٣٤٨٩	الإثم ما حاك في صدرك	٢٩٥٣
إي والذي نفس محمد بيده انه لفتح	٦١٢٤	الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل	٥٢٦١
إياك وإسبال الإزار	١٩٩٢	الإسلام علانية والإيمان في القلب	٦٢١١
إياك ومكر السيء فإنه لا يحق المكر	٥٦٤٠	الإسلام يجب ما قبله	٦٩١٤، ٣٣٤٨
إياك يا سعد ان تجيء يوم القيامة	١٦٦١	الإضرار في الوصية من الكبائر	١٩٣٢، ١٨١٩
إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم	٤٨٣٤	الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن	٥٨٩٩
إياكم والتمادح فإنه الذبح	٢٠٧٩	الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه	٥٢٦٠
إياكم والجلوس على الطرقات	٤٨٩٣	البحر هو جهنم	٥١٦٧، ٤٣٨٠
إياكم والدخول على النساء	٥٤٦١، ٤٩١٥	البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي	٥٤٩٩
إياكم والشع فإنه أهلك من كان	٤٢٥١، ١٩٩٤	البقرة سنام القرآن وذروته	٥٦٤٥، ٣٤١
إياكم والظلم، فان الظلم ظلمات	٤٥٦٥، ٥٠٧٦، ٦٧٢٠	البكران يجلدان وينفيان	١٨٢٨
إياكم والظلم، فان الله يعزم يوم القيامة	٥١٣٩	البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله	٥١٦٨
إياكم والظن، ان الظن أكذب	٤٢٦٢، ١٨٢١	البيت قبله لأهل المسجد	٦٨٨
إياكم والمعاصي، ان العبد ليذنب	٦٣٩٨، ٦٢٢٨	البيع عن تراض والخيار بعد الصفقة	١٨٩٣
إياكم ومحقرات الذنوب	٤٩٦، ٦٤١٩، ٧٤٣٨	البيعان بالخيار ما لم يتفرقا	٢٤٠٦، ١٨٩٤
إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان	٢٧٩٨	البيّنة أو حد في ظهرك	٤٨٥١
إيمان بالله، وتصديق به وجهاد في سبيله	٦٨٤٦	التائب من الذنب كمن لا ذنب له	٤٤٩٩
الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي	٦٠٧٨	التاجر الصدوق الأمين مع النبيين	٢١٣١
الآن نغزوهم ولا يغزونا	٥٣٣٦	التبين من الله والعجلة من الشيطان	٦٢١٠
الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأ	١٤٩	التسريح بإحسان	١٠٤٢، ١٠٤١
		التقوى هاهنا، التقوى هاهنا	٦٢١١
		التقى آدم وموسى	٤٥٤٥

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦١٩٥	الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله	٧٣٨٨	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان
٢٨٦٧	الحمد لله الذي يُطعم ولا يُطعم	٧٣٨٢	التمسوها في العشر الأول والعشر الأواخر
٥٥٩٩	الحمد لله الذي يهدي من الضلالة	٦٩١١	التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود
	الحمد لله ذي الملكوت والجبروت	٢٠٣٩	التيمن ضربتان
٥٦٩٦	والكبرياء	٦٤٧٨	الثقلان الانس والجن
٢٣٥	الحمد لله رب العالمين سبع آيات	١٨٠٥ ، ١٨٠٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٤	الثلاث والثلاث كثير
٤٩١٥	الحمو الموت	١٢٢٦	الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة
٣٠٥٧	الحنيفية السمحة	٣٠٥٤	الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة
٢٦٩٢	الحيات مسخ الجن	٥٥٥٧	الجن على ثلاثة أصناف
٢٨٠٤	الحية، والعقرب، والفويسقة	٤٥٥٣	الجنة مئة درجة
٥٣٠٠ ، ١٤١١	الخالة بمنزلة الأم	٧٥٨	الجنف في الوصية من الكبائر
٦٠٢٥	الخط	١٩٨١	الجيران ثلاثة
٤٩٧٤	الخلافة بعدي ثلاثون سنة	٢٠٦	الحال المرتحل
١٥٠٥	الخير اتباع القرآن وستي	٨٨٦	الحج أشهر معلومات : شوال
٣٣٩٢	الخيال ثلاثة : ففرس للرحمن	٩٠٢	الحج عرفات ، فمن أدرك
٣٣٩١	الخيال لثلاثة : لرجل أجر	٥٤٠	الحرب خدعة
٧٤٢٦	الخيال لثلاثة : لرجل أجر ولرجل ستر	٧٠٠١	الحسن والحسين أصابتهما عين
٣٣٩٦ ، ٣٣٩٥	الخيال معقود في نواصيها الخير	٧٣١١	الحسنى : الجنة
٢٤١٨	الدال على الخير كفاعله	٣٧٣٦	الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر
٥٩٠٢	الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة	٧١٣٤	الحقب شهر ، الشهر ثلاثون يوماً
٥٥١٤	الدعاء موقوف بين السماء والأرض	١٢٢٢	الحكمة القرآن
٣٩٠٩	الدقل والفارسي ، والحلو والحامض	٤٨٧٥	الحكمة ضالة المؤمن
٤٣٨٨	الدنيا حلوة خضرة	١٢٥٨	الحلال بين والحرام بين
٦٣٩٩ ، ٤٢٢٥ ، ٩٤٧	الدنيا دار من لا دار له	٧٢٧	الحلال ما أحل الله في كتابه
٧٢٥٠		٢٢٨	الحمد لله ، أم القرآن وأم الكتاب
١٣٧٦	الدنيا متاع وخير متاعها المرأة	١٤٢٨	الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا
٩٧١	الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة	٤٣٧٨	الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني
٢٧١٦	الدواوين ثلاثة	٣٠٨٢	الحمد لله الذي رزقني من الرياش
٢٠٥٤	الدواوين عند الله ثلاثة	٣٠٨١	الحمد لله الذي كساني ما أوارني به
٥٣٨٨	الذاكرون الله كثيراً	٦٦٤٧	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٩٠٢	الشرك أخفى في أمتي من ديب	٥٣٨٧	الذاكرون الله كثيراً والذاكرات
٣٩٠١	الشرك أخفى فيكم من ديب النمل	١١٧	الذي اذا سمعته رأيته يخشى الله
١٩٢٩ ، ١٩٢٨	الشرك بالله، والياس من روح الله	٤٣٤١	الذي أمشاهم على أرجلهم قادر
١٩١١	الشرك بالله، وقتل النفس	١٠٠٠	الذي يأتي امرأته في دبرها
١٤٨٣	الشعث النفل	٧١٤٨	الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة
٤٠٩٢	الشفاء في ثلاثة: في شرطة	٦٩٥٨ ، ٣٧٤٦	الذين اذا رؤوا ذكر الله
٢٣٧٦	الشفاعة فيمن وجبت له النار	٥٦٠٢	الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه
٥٩٣٤	الشفاعة لمن وجبت له النار	٣٧٦٠	الرؤيا الحسنة هي البشرى
٧٢٦٦	الشفع اليومان، والوتر الثالث	٣٧٥٨ ، ٣٧٥٧	الرؤيا الصالحة يشرها المؤمن
٧١٦٠	الشمس والقمر نوران عقيران في النار	٣٧٥٥	الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له
٧١٦١	الشمس والقمر يكوران يوم القيامة	٣٧٥٠	الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له
٦٦٣٢	الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان	٣٨٦٧ ، ٣٨٥٧	الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر
٤٥٠١ ، ١٦٧٧	الشهداء على بارق نهر بياض الجنة	٣٨٦٨	الرؤيا لأول عابر
١٠٣٠	الشهر تسع وعشرون	٧٢٩٤ ، ٦١١٢	الراحمون يرحمهم الرحمن
٥٤٩	الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما	١٢٦٥	الربا ثلاثة وسبعون باباً
٦٢٨٣	الشیطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	١٢٦٧	الربا سبعون حوباً
٥٣٨٣	الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ	٢٣٠١	الرجل تكون عنده المرأة المسنة
١٩٧٢ ، ٧٣٦	الصدقة على المساكين صدقة	١٥٦٩	الرقوب كل الرقوب الذي له ولد
٧٢٩٣		٤٠٤١	الريح الجنوب من الجنة
٣١٥	الصراط المستقيم كتاب الله	٦٣١٧ ، ٥٢٠٤	الريح مسخرة من الثانية
٢٠٣٨ ، ٢٠٢٢	الصعيد الطيب طهور المسلم	١٤٨٥ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٣	الزاد والراحلة
١٩٨٥	الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم	٤٥٢٣	الزوالن والزالات يومئذ كثير
١١٢١	الصلاة الوسطى الظهر	٣٦٧٥	السائحون هم الصائمون
١١٣٠ ، ١١٢٧	الصلاة الوسطى صلاة العصر	٥٦٥٩	السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى
٤٠٧٧	الصلاة جامعة، ولا يدخل الجنة إلا مسلم	٨١٥	السحور أكله بركة؛ فلا تدعوه
٢٣٦١	الصلاة خير موضوع، فاستكثر	٥٤٥٦	السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله
٤٧٧٤ ، ٣٠٠٥ ، ٤٩٧	الصلاة على وقتها	٥٢٠٧	السلام عليكم دار قوم مؤمنين
١١١٦	الصلاة في وقتها	٤٨٨٦	السلام قبل الكلام
٧١١٩ ، ٧٠١٦	الصلاة وما ملكت أيمانكم	٦٨٤٦	السماحة والصبر
٥٣٥٣	الصلاة يا أهل البيت	٢٠٩٦	السمع والطاعة على المرء المسلم

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
الصلوات الخمس والجمعة	٥٦١، ٣٨٢٣	العين: الضخام العيون، شفر الحوراء	٥٧٠٦
الصمد الذي لا جوف له	٧٥٨٧	الغلام الذي قتله الخضر طبع	٤٤١٦
الصوم زكاة البدن	٥٣٨٤	الغنية: ذكرك أخاك بما يكره	٦٢٣٦
الصوم نصف الصبر	٤٤١	الفجر فجران	٨٢٦
الصيام والقرآن يشفعان للعبد	٢١٤	الفردوس ربوة الجنة، هي أوسطها	٤٤٤٢
الضرباء، كل رجل مع كل قوم	٦٥١٠، ٧١٦٥	الفطرة خمس: الختان	٦٠٢
الطاعون رجز عذاب	٤٦٩	الفلق جب في جهنم مغطى	٧٦١٤، ٧٢٠٠
الطهور شطر الإيمان	٢٥٦٦	القبر كقطع الليل المظلم	٥٨٥٩
الطوفان: الموت	٣١٤١	القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها	٥٥٥١
الطيرة في ثلاث: في المسكن والفرس	٦٩٩٠	القرآن صراط الله المستقيم	٢٣٧٧
الظلم ثلاثة	٢٠٥٥	القرآن غنى لا فقر بعده	١٨٩
العائد في هبته كالكلب يعود	٣٢٠٧	القصاص	٢٦٥٥، ١٩٦٠
العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود	٥٢١٧	القضاة ثلاثة: قاض في الجنة	٤٦١٢
العائد في هبته: كالكلب يقيء ثم يرجع	٦٢٤١	القلوب أربعة: قلب أجرد	٤٩٣٧، ٣٨٧
العار والتخزية تبلغ من ابن آدم	١٧٢٢	القلوب أوعية، وبعضها أوعى	٧٩٥
العبد آمن من عذاب الله ما استغفر	٣٣٤٤	القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية	١٣٨١
العبد اذا تصدق من طيب	١٢٨٠	القنطار ألفا أوقية	١٣٨٣
العبد المسلم اذا بلغ أربعين سنة	٦٠٣١	القنطار اثنا عشر ألف وأوقية	١٣٨٠
العج والثج	١٤٨٣	الكبائر سبع	١٩٠٣
العجوة من الجنة	٤٥٤	الكبائر سبع، ألا تسألوني عنهن	١٩٣٠
العدل الفدية	٤٥٠	الكبر بطر الحق	٤٧٢
العلم ثلاثة، وما سوى ذلك	١٨١١	الكبر بطر الحق وغمص الناس	٦٢٢٥
العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم	٥٦٢٨	الكبر بطر الحق وغمط الناس	١٣٩٦
العنبر	٧٢٤	الكریم ابن الکریم ابن الکریم	٣٨٥٣
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة	١٩٢٥، ٤٤٩٤	الكفور الذي يأكل وحده ويضرب عبده	٧٤٤٠
العين حق	٥٣٥، ٦٩٨٨	الكلب الأسود شيطان	٢٩٥١
العين حق، العين حق، تستنزل الحائق	٦٩٨٠	الكمة من المن	٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧
العين حق، لتورد الرجل القبر	٦٩٩٨		٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣
العين حق، ولو كان شيء سابق القدر	٦٩٨١	الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب	٧٥٠٥
العين حق، ويحضرها الشيطان	٦٩٨٩		٧٥٠٦

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٦٥٣، ٧٤٧	المسلمون تنكافأ دماؤهم	٣١١	الكيس من دان نفسه
٦٥٧٦	المسلمون شركاء في ثلاثة	٦٤٠٣	اللغة من الزنا ثم يتوب ولا يعود
٢٢٧٧	المصائب والأمراض والأحزان	٥٨٩٨	المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة
٤٥٧٥	المعيشة الضنك الذي قال الله تعالى	٧٣٣	المؤمن اذا عمل حسنة سرتة
٣٢٠	المغضوب عليهم - وأشار إلى اليهود	٢٤١٧، ٢٤١٦	المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر
٦٧٤٧، ٥٧٥٠	المقسطون على منابر من نور	٣٩٠٦	
٦٤٦٧	المقسطون عند الله على منابر من نور	١٧٨	المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به
٦٢١٨	المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر	٦٦١٩	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله
٥٠٦٨	الملائكة تتحدث في العنان بالأمر	٤٥٧٤	المؤمن في قبره في روضة خضراء
٣٤٤٠، ٣٤٢٦	المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم	٣٤٩٩	المؤمن لا ينجس
٣٤٢٧	المهاجرون والأنصار والطلاق	٣٥٧٠	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
٧١٧٠	الموءودة في الجنة	٦٢٢٣، ٦١٨٩	
٤٦٥٥	المولود حتى يبلغ الحنث	٦٠٨٨	المؤمن يأكل في معنى واحد، والكافر
٤٢١٢	المولود في الجنة	٦٢٧٣	المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء
٣١٠٣	الميت تحضره الملائكة	٤٠٤٨	المتحابون في الله، ينظر
٤٠٣٤	النافعة اذا لم تتب توقف في طريق	١٧١٣	المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور
٢٦٠٨	النار	١٠٤٨	المختلعات هن المنافات
٣٠٥٢	الناس أربعة والأعمال ستة	١٠٥٠	المختلعات والمتزعات هن المنافات
٧٥٣٢	الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز	٣٤٣٨، ٣٢٢٥، ٢١٣٢	المرء مع من أحب
٦٢٦٨	الناس لآدم وحواء، طف الصاع	٢١٢٢	المستبان ما قال
٧١٦٩، ٤٢٠٧	النبي في الجنة، والشهيد في الجنة	٥٩٥٣	المستبان ما قال، فعلى البادىء
٧٦١٥	النجم الغاسق	١٦٤٠، ١٦٣٩	المستشار مؤتمن
٥٩٧٠	النجوم أمانة للسماء، فاذا ذهبت	٤٦٨٨، ٦٦١	المسجد الحرام
٧٣٢٠	النخلة لك ولعمالك	١٤٦٩	المسجد الحرام - ثم - المسجد الأقصى
٦٩١٢	الندم توبة	٣٦٦٣	المسجد الذي أسس على التقوى
٨٧٧	النسك شاة، والصيام ثلاثة أيام	٤٢٨٣، ٦٢١٩	المسلم أخو المسلم لا يظلمه
٣٧٣٥	النظر إلى وجه الرحمن عز وجل	٧٤٩٢	المسلم أخو المسلم، اذا لقيه حياه
٦٧٧٨	النوح	٤٠٠٠	المسلم اذا سئل في القبر
٦٠١٠	النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون	٢٩٦١	المسلم يكفيه اسمه، إن نسي
٦٠١١		٦٢٦٥	المسلمون إخوة، لا فضل لأحد على أحد

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
الوائدة والموودة في النار	٤٢١٧	بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان	٤٣٩٤
٤٢١٨ ، ٧١٦٧ ، ٧١٦٨		بذلك أمرت الرسل ، ألا تأكل إلا	٤٧٩٤
الولد ثمرة القلوب ، وانهم مجبنة	٦٨٥٠	بركة بدعوة إبراهيم	٦٤٣
الولد عبد لك	١٨٥٥	بريء الناس منها غيري وغير عدي	٢٨٤٦
الولد للفراش ، وللعاهر الحجر	١٨٨٩	بريء من الصالحة والحالقة والشاقة	٦٧٨١
الويل ، جبل في النار	٤٩٣	بريء من الشح من أدى الزكاة	٦٧٢٣
اليد زناها للمس	٢٠٢٥	بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة	٤٨١٣
اليهود	٣٢١	بشر المشائين إلى المساجد في الظلم	٤٩٥٤
اليوم الموعود يوم القيامة	٧٢٢٤	بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة	٥٩١٧ ، ٤٩٧٧
- الباء -		بشرا ولا تنفرا	٧٨٠
بش عشيرة النبي كتم لنبيكم	٣١٣٣	بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا	٤٧٥٩ ، ٣١٨٠
بش ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية	١٤٨ ، ١٣٤	بشيراً بالجنة ونذيراً من النار	٥٩٢
بش مطية الرجل زعموا	٤٢٦٣ ، ٢١٤٩	بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه	٧١٧٩
بشما قلت ! أما كنت تقرأ هذه الآية	٥٠٣٣	بطر الحق ، وغمط الناس	٦٠٢٩
بادروا بالأعمال ستاً	٥٠٩٣ ، ٥٠٩٤ ، ٥٠٩٥	بظلم : بشرك	٢٩٢٦
بارك الله لك فيما أعطيت	٣٦٠٤	بعث أبا بكر أميراً على الموسم	٣٤٤٥
بارك الله لك فيما أمسكت وفيما	٣٦٠٢	بعث أبا بكر يقيم للناس الحج	٣٤٥٩
باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب	١٤٣٦	بعث أبا رافع في قتل الكلاب	٢٤٧٧
باسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عني	٤٧٢١	بعث ابن الحضرمي من البحرين ثمانين	٣٤٢٤
بايع النساء وعلى يده ثوب	٦٧٧١	بعث إلى النبي ﷺ بذبيحة	٣٥٥٥
بايعت رسول الله ﷺ أن لا آخر	١٤٩٨	بعث إلى جبار يدعو	٣٩٣٠
بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة	٦١٤٨	بعث إلى سودة بطلاقها	٢٣٠٠
بايعت رسول الله قبل أن يبعث	٤٤٨٤	بعث الله السماء وكان الوادي دهباً	٣٢٩٠
بايعنا رسول الله ﷺ على السمع	٢٥٦٩ ، ٢٠٩٧	بعث الله ثمانية آلاف نبي	٢٣٥٨
بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا	٦٧٦٠	بعث الله جبريل إلى آدم وحواء	١٤٧٠
بايعني يا سلمة	٦١٥٠	بعث بعثاً قبل الساحل ، فأمر عليهم	٢٨٠٦
بت الليلة أقرأ على الجن واقفاً بالحجون	٦٠٥٢	بعث بعثاً وهم ذوو عدد ، فاستقرأهم	٣٤٨
بت عند خالتي ميمونة	١٧٢٣	بعث حين دنا من بدر علياً والزبير	٣٣٧٢
بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده	٥٥٠١	بعث خيلاً فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خير	٧٤٣٩
بخ بخ ذاك مال رابع	١٤٦٥	بعث دحية إلى قيصر	٤١٨٢

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣١٧٥	بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته	٢٠٤٩	بعث رجالاً في طلبها فوجدوها
١١٤٩	بعثه إلى خالد بن سفيان الهذلي ليقتله	٦٢٠٨	بعث رجلاً في صدقات بني المصطلق
١٨٦٠	بعثه إلى رجل تزوج امرأة أبيه	٣٩٢٩	بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة
٢٠٩٤	بعثه رسول الله ﷺ في سرية	٥٧٩	بعث سرية فأخذتهم ضبابة
٢٣٠٥	بعثه يخرص على أهل خيبر	٢٢٠١	بعث سرية فيها المقداد
٣٤٥١	بعثه ينادي، فكان إذا صحل	٥٧٧	بعث سرية كنت فيها
٦٦٠٥	بعد ما بين الأرضين مسيرة سبعمئة عام	٢٤١٢	بعث عام تسع لما أمر الصديق
١١٣٥	بكروا بالصلاة في يوم الغيم	٣٤٩٧	بعث علياً صحبة أبي بكر
٥٦٥	بكل شيء بصير	٢١٩٩	بعث معلم بن جثامة مبعثاً
٢٨٤٣	بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا	٥٠٣٨	بعث النبي على أشد حال بعث عليها
٧٣١٨	بل أمر قد فرغ منه	٦٢٠٩	بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق
١٦١٦	بل أنا أقتله، إن شاء الله	٥٥٩١	بعثت أنا والساعة جميعاً
٣٦٠٧	بل أنت عبد الله بن عبد الله	٦٠٩٩ ، ٣٢٣٦	بعثت أنا والساعة كهاتين
٤٩٤	بل أنتم خالدون مخلصون	٣١٧٢	بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل
٢٩٦٧	بل إنهم أحلوا لهم الحرام	٢ ، ١٣٩٣	بعثت إلى الأحمر والأسود
٤٢٨٨ ، ٢٨٥٠	بل باب التوبة والرحمة	٥٥٧٦ ، ٥١٢٤ ، ٥٠٠٧ ، ٤٩٨٩	
٢٥٠٣	بل رأيت النبي ﷺ يصنعه	٣١٧٩ ، ١٣٥١ ، ٧٨١	بعثت بالحنيفية السمحة
٥٥٦٤	بل رجل، ولد عشرة فسكن اليمن	٤٧٥٨ ، ٣٧٠٨	
٧٣٠٠	بل شيء قد قضي عليهم	٦٦٣٧	بعثت بالسيف بين يدي الساعة
٧٣١٢	بل على أمر قد فرغ منه	٥٤٦	بعثت بين يدي الساعة بالسيف
٥٣٩١	بل فأنكحيه	٢٣٦٠	بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي
٧٣١٧	بل فيما جفت به الأقلام وجرت به	٣٤١٨	بعثت قريش فداء أسراهم
٢٠٢٨	بل للمؤمنين عامة	٢٩٧٠	بعثت من خير قرون بني آدم
٣٨٣٢	بل للمسلمين عامة	٦٤٢٦ ، ٦٤٢٥	بعثت والساعة هكذا
٣٨٢٧	بل للناس كافة	٢١٩٨	بعثنا إلى أضمر، فخرجت في نفر
٣٢٨٨	بل منزل نزلته للحرب والمكيدة	٦٧٩٩	بعثنا إلى النجاشي ونحن
٦٨٣٩	بل تترفق ونحسن صحبتته ما بقي معنا	٤٨٢٧	بعثنا في سرية، وأمرنا أن نقول
٦٥٥٢	بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين	١٨٦١	بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه
٥٥٦١	بل هو رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن	٢٤٢٣	بعثني إلى قومي أدعوهم إلى الله
٦٢٠١	بل هو من أهل الجنة	٣٤٥٦	بعثني حين أنزلت براءة بأربع

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
بل هي إلى يوم القيامة	٧٣٨٢	بيننا أنا نائم عشاء في المسجد	٤١٥٩
بل هي في رمضان	٧٣٨٢	بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع	٥٦٦٦
بلحم أخيكما	٦٢٥٧	بيننا رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين	٥١٢٩، ٥١٣٠
بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي ﷺ	٤١٠٧	بيننا رجل يعجز إزاره خسف به	٥١٢٨
بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين	٦٩٠١	بيننا رجل يمشي فيمن كان قبلكم	٤٢٦٦
بلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه	٣٤٨٧	بيننا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذ سمع	١٣٤٥
بلغوا عن الله، فمن بلغته آية	٢٨٦٩	بيننا رسول الله ﷺ يصلي العشاء	٢٢١٧
بلغوا عني ولو آية	٢٩	بيننا رسول الله ﷺ يناجي عتبة وأبا جهل	٧١٤٦
بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل	٦	بيننا موسى عليه السلام في ملا	٤٤١٣
بلى	٦٠٩، ٣٦٤	بيننا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء	٦٨٣
بلى، أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟	٧٤١٣	بيننا النبي ﷺ يخطب الجمعة فقدمت غير	٦٨٢٥
بلى إنهم أحلوا لهم الحرام	١٤٥٢	بيننا نحن نعود على شراب لنا	٢٧٧٨
بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال	٣٥٠٣	بيننا يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة	٥٨٥٥
بلى، قلبي: اللهم رب النبي محمد	١٣٦٨	بيننا امرأتان معهما ابنان لهما	٤٦١٣
بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين	٧٣٥٨	بيننا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر	٧٥٠٠
بلى، والله إنني أستغفر لأبي	٣٦٨٩	بيننا أنا في الحطيم إذ أتاني آت	٤١٤٨
بم تحكم؟	٦١٩٥	بيننا أنا نائم أطوف بالكعبة	٢٣٥٥
بماذا قرأت في أذنه؟	٤٨٢٦	بيننا أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد	٥٧٦٤
بناه وأسس أول قدومه ونزوله	٣٦٥٧	بيننا رجل وامرأة له في السلف الخالي	٦٨٧٩
بنعم الله تبارك وتعالى	٣٩٨٢	بيننا رجل يتبختر في برديه	٥٢٥٢
بني الإسلام على خمس	٤٥٩٨، ٣٧٢	بيننا رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس	٤١٠٨
بني على النبي ﷺ بزئب بخبز ولحم	٥٤٥٦	بيننا عمر بن الخطاب يخطب الناس	٦٠٦٧
بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة	٤٤٩٣، ١٩٢٤	بيننا نحن مع رسول الله ﷺ في قتال	٢٢٥٢
بين النفختين أربعون	٥٨١٧	- التاء -	
بين كل أذانين صلاة	٥٩٠١	تأخذ ماله، فتحابي به غيره	٦٧٥٨
بين كل صفتين أربعين يوماً	٤٤٧٢	تب إلى الله	٢٦٣٥
بيننا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء	٧٠٧٤	تباً للذهب والفضة	٣٥١٣، ٣٥١٤
بيننا أنا قاعد إذ جاء جبريل فوكر بين	٦٣٥٥	تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء	٦٦٤٨
بيننا أنا مع النبي ﷺ في حرث	٤٣٣٢	تبايعن على ألا تشركن بالله شيئاً	٦٧٧٩
بيننا أنا نائم إذ جاء جبريل	٤١٤٢		

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً	٦٧٦٤	تركنا وما يقلب طائر جناحيه	٢٨٧٦
تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة	٥٥١٣	تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أدخلت عليه	١١١٣،
تبدل الأرض غير الأرض	٤٠٣٢		٥٤٣١
تبدل في ساعة مائة مرة	٢٠٨١	تزوج بخمس عشرة امرأة	١٧٨٥
تبع في ذلك قضاء رسول الله ﷺ في		تزوج ثلاث عشرة امرأة، وست	٥٤٣٩
مريم المغالية	١٠٦٣	تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر	١٣٧٩
تبعث كل نفس على ما كانت عليه	٣٠٨٧	تزوجوا تولدوا تناسلوا، فإني مباه	٤٩٢١
تبكي السماء من عبد أصبح الله جسمه	٦٩٦٤	تزوجوا فقراء يغنكم الله	٤٩٢٣
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ	٤٦٧٧، ٢٥٢٢،	تزوج ما تكف به وجهك عن الناس	٨٩٦
	٥٦١٦	تسألوني عن الساعة، وإنما علمها	٣٢٣١
تجبي الأعمال يوم القيامة	١٤٥٩	تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا	٨١٦
تحتاج الجنة والنار	٣٩٨، ٤١٩١، ٦٢٩٣	تسحرنا مع رسول الله ﷺ، وكان النهار	٨١٩
تحب أن تأخذ صاحبك هذا	١١٧٧	تسحروا فإن في السحور بركة	٨١٣
تحب ذلك	٣٦٩٨	تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً	٦٨٦١
تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر	٧٣٩٦	تشاورت قریش ليلة بمكة	٣٣٣٧
تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً	٧١٥٣، ٧١٥٢	تشهد أن لا إله إلا الله وأني	٣٨٤٠
تحفظوا من الأرض فإنها أمكم	٧٤٢٥	تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار	٤٣٠٦، ٤٣٠٤
تحقرون صلاتكم مع صلاتهم	٦٦١٧	تشويه النار فتقلص شفته العليا	٤٨٢٤
تحل لك الطيبات، وتحرم عليك	٢٤٦٨	تصدق رجل من ديناره	١٧٧٧، ٦٧٢٨
تخرج الدابة من هذا الموضع	٥٠٩٨	تصدق عليّ بخاتمه وهو راکع	٢٦٨٣
تخرج الزكاة من مالك، فإنها	٤٢٤٥	تصدقوا عليه	٣٥٥٩
تخرج من الأرض، ومعها عصا موسى	٥٠٩٦	تصدقوا، فإني أريد أن أبعث بعثاً	٣٦٠٤
تخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو	٥٠٩٧	تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها، يعني الشمس	٧٣٩٠
تدرون ما الرقوب؟	١٥٦٩	تطلع عليكم عند الساعة سحابة	٤٠٧٤
تدرون مم أصبحك؟	٤٨٧٣	تطول تلك الليلة حتى تكون قدر	٣٠٣٣
تدري أين تذهب الشمس؟	٣٠٣١	تعافوا الحدود فيما بينكم	٤٨٣٧
تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس	٧١٩٣	تعاهدنا	٥٠٤٠
تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل	٧١٩٢	تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده	١٣٥
تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد	٤٥٤٤	تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة	١٤٨٦
تردين عليه حديثه؟	١٠٥٥	تعدل ثلث القرآن	٧٥٦٣، ٧٥٦٥

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
تعديل ثلث القرآن لمن صلى بها	٧٥٦٦	تكلم أربعة وهم صفار	٣٨٦٢
تعبدون أنتم الفتح فتح مكة	٦١٢١	تكون النسمة طيراً يعلق بالشجر	٦٥٩٣
تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله	٤٤٥٦	تلا عليهم سورة الرحمن	٢٩٨٤
تعرض الفتن على القلوب كالحصير	٣٧٨	تلا يوماً (أفلا يتدبرون...)	٦١١٦
تعرض لهم وأعظم الخطر	٥١٧٦	تلاوته سورة الفتح حين أنزلت	٥١
تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك	٥٧٢٤	تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم	٤٨٢٣
تعس عبد الدينار وعبد الدرهم	٦٠٨٦ ، ١٧٧٠	تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل	٣٧٥٣
تعلمت (سيح) قبل أن يقدم النبي ﷺ	٧٥	تلك السكينة نزلت للقرآن	٩٣
تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة	٣٥١	تلك امرأة يغشاها أصحابي	٦٨٥٨
تعلموا كتاب الله واقتنوه	١٠٨	تلك صريح الإيمان	١٣٣٠
تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به	١٣٦	تلك صلاة المنافق	٧٤٨١ ، ٢٣١٤
تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم	٦٢٦١	تلك عاجل بشرى المؤمن	٣٧٥٦
تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس	٢٩٤٦	تلك غنيمة المسلمين غداً	١٧٦٦
تعوذ بالله من شر هذا الفاسق إذا وقب	٧٦١٦	تمثل يوم حفر الخندق بأبيات	٥٦٨١
تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين	٢٦٩٨	تمرة طيبة وماء طهور	٦٠٥٨
تفسيرها: لا إله إلا الله والله أكبر	٥٨٠٥	تنام عيناه ولا ينام قلبه	٤٥٤٠ ، ١٤٦٨ ، ٥١٣
تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق	٦٤١٥	تنام عيناى، وقلبي يقظان	٤١٨١
تفكروا في مخلوقات الله، ولا تفكروا	٦٤١٧	تنحي، فإنك على خير	٥٣٦٧
تقاتلون قوماً نعالهم الشعر	٦١٦٠	تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر	٣٣٦٤
تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان	٥٩٨٨	تنكح المرأة لأربع	٩٧٠
تقطع يد السارق في ربع دينار	٢٦٣٠	توضاً ثلاثاً ثلاثاً	٢٥٢٨
تقولون: لا إله إلا الله	٥٧٣٩	توضاً ثم صل	٢٠٢٨
تقوم الساعة والرجل يحلب اللقمة	٣٢٢٣	توضاً فغسل رجله اليمنى	٢٥٥٨
تقوى الله وحسن الخلق	٥٢٣٥	توضاً كما أمرك الله	٢٥١٦
تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان	٧٤٢٣	توضاً وضوءاً حسناً، ثم قم فصل	٣٨٣٢
تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة	٣٤٣٣	توضع الرحم يوم القيامة لها حجنة	٦١١١
تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة	٣٩٢٨	توضع الموازين يوم القيامة	٤٦٠٣
تكفل الله للمجاهد في سبيله	٣٥٤٠ ، ٢١٣٦	توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري	٥٤٢
تكفل الله لمن خرج في سبيله	٣٦٧٤	توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر	٤٦٨١
تكفيك آية الصيف	٢٣٨١	توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر	١٤٣

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٨٧٨	ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير	١٤٥	توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون
١٧٤٣ ، ١٣١٤ ، ٣٧٣	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين	٢٢٩٦	توفي عن تسع نسوة
٦٦٤٤ ، ٥١١٩		١٣١٥	توفي ودرعه مرهونة
١٤٤٤	ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يشنؤهم	٢٠٤١	تيمم فمسح وجهه وذراعيه
١٣١٣	ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم		- الناء -
٦٧٩١	ثلاثة يضحك الله إليهم	٢١٨٢ ، ٢١٨١	ثكلته أمه ، رجل قتل مؤمناً متعمداً
٧٠٦٢	ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن	١٥٧٩	ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال
٥٨٦٣	ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير	١٢٤	ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم
٦٢٤٩		٣٠٢٨	ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً
٦١٤٠	ثم دعا عمر ليعثه إلى مكة	٤٠٩٤	ثلاث إن كان في شيء شفاء
٦٣٦٠	ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى	١٠٩٤	ثلاث جدهن جد ، وهزلهن جد
٦٣٢٤	ثم رفع بي إلى البيت المعمور	٥٣٠٨	ثلاث في الناس كفر : الطعن في النسب
٣٢٠٢	ثم عرضهم على آدم	٦٢٣٠	ثلاث لازمات لأمتي
٧٠٧٥	ثم فتر الوحي عني فترة ، فبيناً أنا أمشي	٦٥٧٧	ثلاث لا يمنعن : الماء ، والكلا ، والنار
١٣١٠	ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم	٧٥٨٠	ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل
١٣١١	ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون	٥٢٩٠	ثلاث من فعلهن فقد أجرم
٤٣٢٠	ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة	٦٦١٠	ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان
٣٢١١	ثم يبعث إليه الملك ، فيؤمر بأربع	١٠٩٣	ثلاث من قالهن لاعباً أو غير لاعب
٢٨٥٨	ثم يتجلى لهم الرب تعالى	٣٨٦	ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً
٥٦٧٠	ثم يلقي الثالث فيقول : ما أنت ؟	٣٣٣٠	ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة
	- الجيم -	١٢٥٧	ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ عهد إلينا
٣٣٧٨	جاء إبليس يوم بدر في جند	٤٨٤٥	ثلاثة حرم الله عليهم الجنة
٤٦٣٣	جاء ابن الزبيرى إلى النبي ﷺ	٤٩٢٧ ، ٤٩٢٢ ، ٣٥٥٦	ثلاثة حق على الله عونهم
٧١٤٤	جاء ابن مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم	٨٠١	ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل
٤٨٠٣	جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ	٤٨٤٤	ثلاثة لا يدخلون الجنة
٣١٦٦	جاء أعرابي فأناخ راحلته	١٤٤٣	ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم
٢٨٨٢	جاء الأقرع بن حابس وعيينة	٧٣١ ، ١٢٠٩ ، ١٤٥٠	
٧٥٢٨	جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن	١٩٣٥ ، ١٢١١	ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة
٧٥٣٥	جاء الفتح ، وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن	٢٧٨٩	
٦٩	جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ	٣٢٩٨	ثلاثة لا ينفع معهن عمل

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال	١٦٦٦	جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت	١٦٢٥
جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه	٤١٧٣	جعل أبو عبيدة ينعت الآلهة	٣٤٨١
جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر	٣٤٠٩	جعل الله الأهله مواقيت للناس	٨٤٥ ، ٨٤٤
جاء جبريل فمرت خديجة فقال	٦٩٠٥	جعل الله الرحمة مئة جزء	٣٠٦٥
جاء جبريل ليستأذن عليه	٢٤٧٦	جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين	٢٧
جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله	٥٨٠٦	جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر	٣٤١٣
جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب	٥٨٠٧	جعل في الحائض تصاب ديناراً	٩٨٣
جاء رجل من أهل البادية	٥٢٦٣	جعل موسى هدى لبني إسرائيل	٥٢٩٢
جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ	٧١٢٤	جعل يمر بين القتلى يوم بدر	٥٦٧٥ ، ٣٢٩٣
جاء رجل من اليهود إلى عمر	٢٤٥٣	جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون	٤٩٠٣
جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين	٣٦٠١	جعلت الصلوات كفارات لما بينهن	٣٨٢٥
جاء عتبة بن ربيعة وشيبة	٢٨٨٥	جلس على شفير بئر الحديبية ثم دعا	٦١٢١
جاء قوم حفاة عراة مجتأبي النمار	٦٧٢٨	جلس يوماً فذكر الناس، ثم قام	٢٧٤٧
جاء مشركو قريش يخاصمون في القدر	٦٤٥٣	جلس يوماً مع الوليد بن المغيرة	٥٩٧٣
جاء من يحدثنا أن رسول الله ﷺ قد		جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً	٥٠٣٨
استقبل البيت	٦٩٣	جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة	٢٣
جاء يهودي فقال: يا محمد	٣٩٣١	جمع الله الأولين والآخرين	٤٩٦٧
جاءت أم كجعة إلى رسول الله ﷺ	١٨٠٢	جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين	٥٣٦٢
جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله	٦٧٦٣	جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ	١٤٤
جاءت الراحفة، تتبعها الرادفة	٧١٤٠ ، ٥٤٨٨	جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم	٤٩٤٨
جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة	٤٢٧٨	جتان من ذهب آنيتهما وما فيهما	٦٤٩٣ ، ٣٥٧٢
جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه	٦٦٤٧		٧١٠٠
جاءت المجادلة تشتكي زوجها	٣٩١٦	جتان من ذهب للمقربين	٦٤٨٢
جاءت امرأة تستعديه على زوجها	١٩٦٠	جتان من فضة، آنيتهما وما فيهما	٦٤٨١
جاءت فاطمة بنت عتبة تباع	٦٧٧٠	جيثوني بقوس غيرها	٣٣٠٦
جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله	٦٧٦٨	- الحاء -	
جاءني به جبريل من عند الله	٤٣٣٦	حاج موسى آدم فقال له	٤٥٧١
جاءه أبو أسيد بابنه ليحنكه	١٤٠٤	حاربت النضير وقرينة، فأجلى	٦٧٠٢
جاءهم في صفة المهاجرين	١١٧٢	حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى	١١٢٥
جاورت بحراء، فلما قضيت جوازي	٧٠٧٣		١١٤١ ، ١١٤٠ ، ١١٣٩ ، ١١٣٨ ، ١١٣٧

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٧٦١	حرمت الخمر	٢٧١٢	حال الله بينك وبين ما تريد
٥٢٩٧	حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب	٧٢١٧، ٧٢١٥	حالا بعد حال
٥٢٢٩	حسب امرئ من الشر أن يشير الناس	٤١١٢	حالف بين المهاجرين والأنصار
٤١٠٤	حسبك	٤٧٦٩، ١٣٧٧	حبب إلي النساء والطيب
١٤١٩	حسبك من نساء العالمين مريم	١٤١٦	حبب إلي من دنياكم
٤٦٠٦	حسبي الله ونعم الوكيل	١٤٦٦	حبس الأصل وسبل الشجرة
٥٢٣٦	حسن الخلق	٢٨٩٩	حبستك يا حذيفة؟
٤٥٤٩	حضر جنازة، فلما دفن الميت	٦١٢٩	حبسها حابس الفيل
٢٣٨٥	حضرت رسول الله ﷺ قضى بذلك	٧٥٦٨، ٧٥٥٥، ٧٥٥٣	حبك إياها أدخلك الجنة
٧١٥٥	حفاة عراة	٣١٦٣، ٥٠٧	حبك الشيء يعمي ويصم
	حق الله على كل مسلم أن يغتسل في	٤٤١٥	حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً
٦٨١٤	كل جمعة	٤٠٠٢	حتى إذا خرج روحه صلى عليه
٥٠٥٠	حق لي، وإنما نزل القرآن بلساني	١٠٦٨	حتى تذوق العسيلة
١٨١٧	حكم لابنتي سعد بالثلثين	٧٦٢٠	حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء
٣٥١٢	حلية السيوف من الكنز	١١٤٥	حتى نزلت.. فأمرنا بالسكوت
٣٣٤٦	حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا	٧٤٥٢	حتى يأتیکم الموت
٥٩٠٧	حم: اسم من أسماء الله تعالى	٣٣٤	حتى يرتج المسجد
٢٢٢	حملة القرآن عرفاء أهل الجنة	٧١٨٩	حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف
٦٧٢٩	حن الجذع وجعل يثن كما يثن الصبي	٨٧٠	حجي واشترطي
٤٨٤	حنين الجذع	٥٣٢	حد الساحر ضربه بالسيف
٦٥٥٢	حور: بيض، عين: ضخام العيون	٤٤٨٦	حدثني فصدقني، ووعدني فوفى
٣١٤	حولها ندندن	٦٢٨٠، ٣٢٤٠	حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
٤١٥٧	حين انتهى إلى بيت المقدس لقي	٥٣٨، ٥٣٧	حدثوا عني ولا تكذبوا علي
٥٠٧٢	حين نزلت: (والشعراء...)	٥٧٩٨	حديث الذي قتل تسعا وتسعين نفساً
٦٤٨٠	حين يوضع الصراط، لا أملك لأحد	٢٩١٨	حديث الصور (بكامله)
	- الخاء -	٤٥٤٤	حديث الفتون
٢١١٤	خاصم الزبير رجلاً إلى النبي ﷺ	٩٨٦	حرثك، انت حرثك أنى شئت
٢٩٦٤	خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا	١٧٦٤، ١٧٥٧	حرس ليلة في سبيل الله أفضل
٢١٨٨	خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة	٦٧٠٤، ٦٧٠٣	حرق نخل بني النضير وقطع
٢٩٩٢	خبیثة من الخبائث	٦٨٩١	حرم سريره

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٧٠١٧	خرجت أتعرض رسول الله ﷺ	٦٩٥٠	خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين
٦٩٧٣	خرجت الكلمة تحف حول العرش	٢٦٥٨	خذ الدية، بارك الله لك فيها
٣١٧٤	خرجت تاجراً إلى الشام	١٠٥٣	خذ بعض مالها وفارقها
٧٣٩٧	خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحي	٥٩١٤	خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني
٧٠٣٣	خرجت مع أبي من المدينة في حاجة	٣٤٢٥	خذ، فحثا في ثوبه
٣٤٩٤	خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين	٥٠٦٩	خذوا الشيطان
٣٧٠٦	خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح	٨١	خذوا القرآن من أربعة
٣٧٠٧		١٨٢٦	خذوا خذوا، قد جعل الله لهن سبيلاً
٣٦٩٨	خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد	١٨٢٤	خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله
٤٠٠١	خرجنا في جنازة رجل من الأنصار	٤٨٣٦، ١٨٨٧، ١٨٢٧، ١٨٢٥	
٣١٥٤	خرجنا قبل حنين فمررنا بسدرة	٦٧٦٩	خذني من ماله بالمعروف ما يكفيك
٣١٠١	خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة	٦٦٩٤	خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية
٣١٠٢		٣٥٣٣	خرج إلى هوازن في شوال
٦٨٣٦	خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر	١٦٨٦	خرج حتى انتهى إلى حمراء الأسد
٧٧١	خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان	٥٣٦٦	خرج ذات غداة وعليه مرط مرحل
٢٠٥٠	خرجنا معه في بعض أسفاره	١٧٢٦	خرج ذات ليلة بعدما مضى ليل
٤٢٧٩	خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ	٢٨٤٧	خرج رجل من بني سهم مع تميم
٣١٥٣	خرجوا من مكة إلى حنين	٧٤٦٢	خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمر بي فدعاني
٤٠٤٠	خزائن الله الكلام . فإذا أراد شيئاً	٦١٧٤	خرج زمن الحديبية في بضع عشرة
٦٨٨٢	خسف به إلى سبع أرضين	٢٢٢٦	خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله
٦٥٤٤	خسفت الشمس، فصلى رسول الله ﷺ	٦١٣٩	خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت
٢٢٩٥	خشيت سودة أن يطلقها	٥٧٠٥	خرج علينا فتلاً: (على سرر . .)
٤٩٤٧	خصال لا تبغي في المسجد	١٦٦٧	خرج علينا في ألف رجل
٥٢٤٣	خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل	٧٦٩	خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح
٦٥٣٢	خضد الله شوكه	٢٤٤٥	خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر
٣٠٢٣، ٣٠٢١	خط رسول الله ﷺ خطأ بيده	٦١٨٦	خرج معتمراً فحال كفار قريش بينه
٥٣٩٢	خطب زينب بنت جحش لزيد	٢٢٣٣	خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف
٥٣٩٤	خطب على جلييب امرأة من الأنصار	٤٤٠٩	خرج موسى ومعه فتاه يوشع
٣٧٠١	خطب فحث على جيش العسرة	٦١٧٣	خرج يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً
٥٤٣٢	خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه	٣٦٨٤	خرج يوماً إلى المقابر فاتبعناه

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٧٢٧٣	خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم	٤٢٨٥ ، ٣٩٥٧	خففت على داود القراءة فكان يأمر
٥٧٦٢	خير بين أن يكون عبداً رسولاً وبين	٢٨٧٣ ، ٣٠٤	خلق الله ألف أمة، ستمئة
٤٢٢٣ ، ١٣٨٥	خير مال امرئ له مهرة مأمورة	٥٨٨٢	خلق الله الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين
٤٩٦٠	خير مساجد النساء قعر بيوتهن	٥٨٨٣ ، ٣١١٧ ، ٤٠٨	خلق الله التربة يوم السبت
١٤٢٠	خير نساء العالمين أربع	٤٧٦٤ ، ٤٧٦٣	خلق الله الجنة لبنة من ذهب
١٤١٧	خير نساء ركن الإبل نساء قريش	٦١٠٦	خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم
٥٣٤٨	خير نساء الدنيا والآخرة	٣٠٧٥	خلق الله الملائكة من نور العرش
١٤١٨	خير نساها مريم بنت عمران	٦٩٤٠	خلق الله النون، وهي الدواة
٤٢٤ ، ٤٦٠٠	خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة	٤٧٦٧	خلق الله جنة عدن بيده لبنة
٦٥٥٢	خيرات الأخلاق، حسان الوجوه	٣٠٧٦	خلقت الحور العين من الزعفران
١٨٤٧	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم	٤٤٠٣ ، ٤٠٤٤ ، ٣٠٧٤	خلقت الملائكة من نور
١٢٦	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٦٤٧٢	خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان
٥٠٩	خيركم من طال عمره، وحسن عمله	٢٥٤٧	خلل بين أصابعه
٥٣٤٦	خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه	٧٠٧٠ ، ٦٣٤٥	خمس صلوات في اليوم والليلة
٣٤٢٨	خيرني رسول الله ﷺ بين الهجرة	٢٧٩٩ ، ٤٠٧	خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم
١٨٧٦	خيرها بين الفسخ والبقاء	٦٤٣٠	خمس قد مضين: الروم والدخان والزام
- الدال -		٥٢٥٦ ، ٢٨٩١	خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل
٤١١	دحيت الأرض من مكة	٢٨٠٠	خمس من الدواب ليس على المحرم
٢٦٨٧	دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال	٥٥٥٠	خمس من جاء بهن يوم القيامة
٧٠٨٠	دخل الوليد على أبي بكر فسأله عن القرآن	٢٨٠٣	خمس يقتلن المحرم: الحية
٦٨٨٠	دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم	٦٩٥٩	خيار عباد الله الذين إذا يروا ذكر الله
٧١٢١	دخل علي رسول الله ﷺ مسروراً تبرق	٣٨٥٤ ، ٣٨٥٤	خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام
٢٣٧٩	دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مريض	٦٢٦٢	
٥٧٤٣	دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح	١٩٧٥	خير الأصحاب عند الله
٥٤٥١	دخل عمر على حفصة وهي تبكي	٢٣٠٦	خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة
٤٣٢٩	دخل مكة وحول البيت ستون	٣٤٨٦	خير الصحابة أربعة وخير السرايا
٥٣٧٨	دخل نساء على النبي ﷺ فقلن	٩٦٣	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى
٧٤٩٧	دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه	٦٥١٧ ، ٥٠٠٣	خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم
٨٦٤	دخلت العمرة في الحج	٦٢٧٠ ، ١٥١٠	خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله
		١٩٦٢	خير النساء امرأة إذا نظرت إليها

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٩٥١	دونك فانتصري	٣٣٣٦	دخلت فاطمة وهي تبكي
	- الذال -	٤٣٣٠	دخلنا مكة وحول البيت ثلاثمة
٤٠١١	ذاك إذا قيل له في القبر: من ربك	٤٦٦	دخلوا الباب - الذي أمروا أن يدخلوا
٦٢٠٥ ، ٦٢٠٤	ذاك الله عز وجل	٥٨٣٧	درمكة بيضاء مسك خالص
١٩٧٩	ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار	١٢٥٩	دع ما يربك إلى ما لا يربك
٧٠٦٦	ذاك رجل بال الشيطان في أذنه	٦٧٨٥	دعا أولئك نفر رجلاً رجلاً
١٣٢٩	ذاك صريح الإيمان	٦٧١٣	دعا الأنصار أن يقطع لهم البحرين
٣٣٨٤	ذاك ضرب الملائكة	٢٨٩٨	دعا بالآ يظهر عليهم عدواً
٨٨٠	ذبح بقرة عن نسائه	٢٨٨٢	دعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب
٤٠٧٩	ذبحنا يوم خير الخيل والبغال	٣٣٠٦	دعا بقوس، فأتي بقوس طويلة
٢٩٥٩	ذبيحة المسلم حلال	٢٢٠٢	دعا زيدا فكتبها فجاء ابن أم مكتوم
٤٢٠٣	ذري المسلمين في الجنة	٥٩٨٩	دعا عليهم بسنين كسني يوسف
٢٨٣٢ ، ٥٥٧	ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك	٤٢٤٤	دعا فاطمة فأعطهاها فذك
١٧٢٨	ذروني أتعبد لربي عز وجل	٣٣٢٩	دعه، فإنه قد شهد بداراً
٢٤٠٨	ذكاة الجنين ذكاة أمه	٦٨٣٣	دعه، لا يتحدث الناس: أن محمداً يقتل
٤٦٢٨ ، ٢٣٤٣	ذكر الدجال ذات غداة، فخفض فيه	٦٦١٤	دعوالي أصحابي
٧٣٧١	ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح	٦٧٩٨ ، ٦٧٩٦	دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى
٣١٠٠	ذكر قبض روح الفاجر	٦٥٩ ، ٦٣٨	دعوة إبراهيم وبشرى عيسى
٣٩٣٢	ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن	٤٦٢٣	دعوة ذي النون، إذ هو في بطن الحوت
٤٦٢٣	ذكر لنا أول دعوة، ثم جاء أعرابي	٢٩٠٨	دعوت ربي عز وجل أن يرفع
٧٣٧٢	ذكر يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا	٢٨٥٥	دعوت لأمتي
٦٢٣٦ ، ٥٥٣٧	ذكرك أخاك بما يكره	٣٣٨٨	دعوني أدعوه كما رأيت رسول الله ﷺ
٧١٦٦	ذلك الواد الخفي	١٦١٧	دعوه
٧٠٦١	ذلك يوم القيامة	٢١٦٦	دعوه، ما تريد
٥٢٣٣	ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة	١٤٣١	دعوه
٣٧٦١	ذهبت النبوة وبقيت المبشرات	٤٢٢١ ، ٣٢١٠	دعي إلى جنازة صبي من الأنصار
	- الرءاء -	١٠٣٣	دعي الصلاة أيام أقرائك
٦٣٦٥	رآه بفؤاده مرتين	٢٠٨٩	دفعه إليه وقال: أعينوه
١٢٢٣	رأس الحكمة مخافة الله	٢٤٩٤	دلي بجراب من شحم يوم خير
٤١٤٩	رأى البيت المعمور يدخله كل يوم	٤٧٠٢	دم عفراء أحب إلى الله من دم

طُرف الحديث	الرقم	طُرف الحديث	الرقم
رأى بني فلان ينزون على منبره	٤٢٩٢	رأيت رسول الله ﷺ فعل الذي	٢٥١٤
رأى جبريل عليه السلام	٦٣٨٧	رأيت رسول الله ﷺ وهو يقرئ	٢٠٩٢
رأى جبريل عليه حلثا رفرف	٦٣٦٤	رأيت رسول الله ﷺ يبول	٢٠٤٢
رأى جبريل في صورته وله ستمئة ٦٣٥٦، ٦٣٦٣	٦٣٧٨	رأيت رسول الله ﷺ يشب في الدرع	٦٤٥١
رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمئة	٥٥٩٥	رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها	٥٧٤٤
رأى ربه بقلبه ولم يره ببصره	٦٣٨٦	رأيت رسول الله ﷺ يمسح	٢٥٥٥
رأى ربه عز وجل	٤١٤٤	رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة	١٤٢
رأى ربه مرتين	٦٣٦٦	رأيت عمرو بن العاص واقفاً يوم أحد	٣٣٤٠
رأى رجلاً يسوق بدنة، قال: اركبها	٤٧١٤	رأيت عمرو بن عامر الخزاعي	٢٨٣٦
رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه	٢٥٤٦	رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه	٥٩١٨
رأى رسول الله ﷺ يصلي من الليل	٥٦٩٧	رأيت في النوم رسول الله ﷺ	٤١٦٠
رأى في منامه جبريل بأجياذ	٦٣٦٢	رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا ٣٢٢٠، ٤١٧٦	٤١٧٦
رأى محمد ربه	٢٩٣٩، ٦٣٦٦	رأيت ليلة أسري بي موسى	٤١٦٤
رأى محمد ربه بفؤاده مرتين	٦٣٥٩	رأيت موسى وعيسى وإبراهيم	٢٣٥٢
رأى مع إبراهيم أولاد المسلمين	٤٢١١	رأيت نهرأ، ورأيت وراء النهر حجاباً	٦٣٧٢
رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب	٦٣٩٠	رأيت نورأ ٤١٣٥، ٤١٥٣، ٦٣٦٩، ٦٣٨٥	٦٣٨٥
رأيت الليلة كأننا في دار عقبة	٤٥٩٠	رأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق	٢٥٨٧
رأيت النبي ﷺ وهو على ناقته	١٦٠	رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها	١٦١٠
رأيت جبريل على سدة المتهى	٦٣٧٩	رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ	١٦١٥
رأيت جبريل له ستمئة جناح	٦٣٦١، ٦٣٧٧	رأيت بفؤادي مرتين	٦٣٧٠
رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً	٢٨٣٧	رؤيا الأنبياء في المنام وحي	٥٧١٦
رأيت خيراً، أما المنهج العظيم فالمحشر	١١٩٧	رب، أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه	٤١٧
رأيت ربي عز وجل	٦٣٧٣	رب أشعث ذي طمرين يصفح عن	٥٢٢٢
رأيت ربي في أحسن صورة	٦٣٧٥	رب، أفعل	٣٣٠
رأيت رسول الله ﷺ أتى سباطة	٢٥٥٤	رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير	٧٣٠٤
رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء	٥٣٥٤	رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم	٥٢٢٥
رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ	٢٥٥٦	رب، زد امتي ١٢٠٧، ١١٦١	١١٦١
رأيت رسول الله ﷺ توضأ هكذا	٢٥٢٩	رب، هؤلاء أهلي وأهل بيتي	٥٣٦٩
رأيت رسول الله ﷺ توضأ ومسح	٢٥٥٣	رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة	٧٣٧٣
		رباط يوم في سبيل الله ١٧٥٠، ١٧٦١، ١٧٥٩	١٧٥٩

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر	١٧٦٢ ، ١٧٥١	ردوا الخياط والمخيظ	١٦٥٦
ريح البيع، ربح البيع	٩٤٠	ردوا السائل ولو بظلف محرق	٧٤٣١
ريح صهيب، ربح صهيب	٩٣٩	ردوا علي الرجل	١٦٩٢
ريح الكتابة	٤٩٢٨	ردوه علي	٣٨٢٧
ربنا آتانا في الدنيا حسنة	٩٢١	رش على قدميه الماء وهما في التعلين	٢٥٥١
رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب	٤٤٤	رغبة أحدكم عن بيتيمته التي تكون	٢٢٩٤
رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله	٧٤١٧	رغبت لكم عن غسالة الأيدي	٣٣٦٩
رجل في ثلة من غنمه، يقيم الصلاة	٧٤١٧	رغم أنف امرئ ذكرت عنده	٤٢٢٩
رجل قتل نبياً أو من أمر بالمعروف	١٣٩٧	رغم أنف رجل أدرك والديه	٤٢٣٤
رجلان جثيا من أمتي بين يدي رب العزة	٣٢٦٨	رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ٤٢٣٥،	٥٥٠٢
رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة	٧٣٠٧	رفع القلم عن ثلاثة	١٧٩٥
رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده	٤٨٣٢ ، ٤٨٣١	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان	٣١٨٢ ، ٢٩١٥
رجم ماعزاً والغامدية واليهوديين	١٨٣٠	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان	٤٩٣٢
رحم الله أخي زكريا، ما كان عليه	٤٤٦٥	رفعت رأسي يوم أحد	١٦٢٧
رحم الله المحلقين	٨٦٧ ، ٦١٧٩	رقتن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل	٦٥٥٢
رحم الله حارس الحرس	١٧٦٥	ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها	٦٣٤٧
رحم الله رجلاً ردهم عنا	١٦٠٢	رمقت النبي ﷺ أربعاً وعشرين مرة	٧٥١٣
رحم الله رجلاً فسح لأخيه	٦٦٦٩	رمقت النبي ﷺ شهراً، وكان يقرأ	٧٥١٤
رحم الله رجلاً قام من الليل	٤٤٨٩	رمل ثلاثة أشواط ومشى	٦١٦
رحمة الله على لوط لقد كان يأوي	٣٨٠٦	- الزاي -	
رحمة الله على موسى، لقد أوذى	٥٥٤٤ ، ٦٧٩٣	زارنا في منزلنا فقال: السلام عليكم	٤٨٧٨
رحمة الله عليك، إن كنت ما علمت	٤١٣٠	زملوني زملوني	٧٣٥٩ ، ٧٠٧٤
رحمة الله علينا وعلى موسى	٤٤١٤	زنت؟	٦٢٥٣
رحمك الله إن كنت لأوآها	٣٦٩٥	زوج أخته رجلاً من المسلمين على	١٠٩٨
رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما	٢٩٢	زوجتكها بما معك من القرآن	٤٣١
رخص لهم في قطع النخل	٦٧٠٠	زوجني ابتك	٥٣٩٥
رد ابنته زينب على أبي العاص على النكاح	٦٧٥٢	زوجني الله، وزوجكن أهلوكن	١٦٩٤
رد ابنته على أبي العاص بمهر جديد	٦٧٥٣	زيادة كبد الحوت	٦٩٣٨
ردهما وأخذ في مقابلتها	٣٤١٤	زينوا القرآن بأصواتكم	١١٣ ، ٧٠٤٩

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥١٧١	سافروا تصحوا وتغنموا	-	السين -
٥٧١١	سام أبو العرب، وحام أبو الحبش	٢٢٥٨	سامر في ذلك
٥٧١٠	سام، وحام، وياث	٥٣٤٤	سأذكر لك أمراً فلا تعجلي حتى
١٩٢٠، ٨٨٨، ٨٨٧	سباب المسلم فسوق	٧٨٥	سأل أصحاب رسول الله ﷺ أين ربنا
١٥٦٤، ١٥٦٣	سبحان الله فأين الليل إذا جاء	٤٣٣٤	سأل أهل الكتاب عن الروح
٦٥٢٢، ٧٥٣٧	سبحان الله وبحمده أستغفر الله	٦٤٣١	سأل أهل مكة النبي ﷺ آية
٦٢٨٥	سبحان الله: إن للموت لسكرات	٤٢٨٧	سأل أهل مكة النبي أن يجعل لهم
٤٣٩٦، ٤٣٩٠	سبحان الله، والحمد لله	٥٨٣٦	سأل ابن صائد عن تربة الجنة
٧٢٤٤، ٧٢٤٣	سبحان ربي الأعلى	٦٣٥٧	سأل جبريل أن يراه في صورته
٣٩٢٥	سبحان من يسبح الرعد بحمده	٥١١٣	سأل جبريل: أي الأجلين قضى
٥٠١١	سبحانك اللهم ربنا وبحمدك	٢٢٤٧	سأل قوم من بني النجار
٧٥٣٦	سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي	٥٢٨٨	سأل موسى ربه عز وجل: ما أدنى أهل
٧١٠٧	سبحانك اللهم فبلى	٤١٢٢، ٩٥٢	سأل هرقل أبا سفيان
٧٥٣٩	سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي	٤٧٥	سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم
٦٣٤٢، ٦٣٤٠	سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد	٥٨١٨	سألت جبريل عليه السلام عن هذه الآية
٥٧٣٨	سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت	٥١١٢	سألت جبريل: أي الأجلين قضى
٢٥٦	سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك	٦٣٣٢، ٤٢١٦	سألت خديجة عن ولدين لها ماتا
٦٣٣٨	سبحانك فبلى	٤٨٢٠	سألت ربي ألا أتزوج إلى أحد
٧١١٠، ٧١٠٨	سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة	٧٠٠٤	سألت ربي أن يجعلها أذن علي
٤٧٧٢، ١٠٠٢	سبعة يظلهم الله في ظل عرشه	٢٩٠٧	سألت ربي ثلاث خصال
٦٩٣١	سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل	٢٩١١، ٢٨٩٧	سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين
١٢٢٧	سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل	٢٩٠٦	سألت ربي عز وجل أربعاً
٥٣٨٢، ٣٨٦٦	سبق درهم مئة ألف	٢٩١٠	سألت ربي لأمتي أربع خصال
٦٦٢٠	سبقك بها عكاشة	٧٣٤٨	سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن
٦٥٦٨، ٥٨٢٢	سبيها	٧٤٠	سألت رسول الله ﷺ: أفي المال حق
٥٩٥٠	سته منهم تكفيهم الدبيلة	١٧١٤	سألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه
٣٦٤٣	سترأ: أي بناء	٢١٥٣	سئل البراء عن الرجل يلقي المثة
٤٤٢٧	ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين	٤٠٦٢	سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى
١٣٥٨	سافروا تريحوا، وصوموا تصحوا	١٨٤٨	سأبني رسول الله ﷺ فسبقتة ﷺ
٢٩١٣		٥١٧٢	

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٦٨١	سمعت رجلاً يستغفر لأبيه	٥١٤٦	ستكون هجرة بعد هجرة
	سمعت رسول الله وهو يقرأ، وهو يصلي	٦٤٢٠	سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون
٦٤٧١	نحو الركن قبل أن يصدع	٥٧٤٥	سجد في «ص»
٥٨٦١	سمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيد	٧٢٠٧	سجدت خلف أبي القاسم، فلا أزال
١٠٦٤	سمعت رسول الله ﷺ يأمر امرأة ثابت	٧٢٠٨	سجدنا مع رسول الله ﷺ في (إذا انشقت)
٥٩٨٤	سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر	٥٧٤٥	سجدها داود توبة ونسجدها شكراً
	سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب	٧٦١٨	سحر النبي ﷺ رجل من اليهود
١١٦	بالطور	٢٢٨٤	سدودا وقاربوا، فإن في كل ما يصاب
٣٨٠٢، ٥٧٩٧	سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «إنه عمل»	٢٠١٨	سدوا كل خوخة في المسجد
	سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «فروح	١٢٢٩	سر إلى فقير، أو جهد من مقل
٦٥٩٢	وريحان»	٩٥٨	سر حتى تنزل بطن نخلة
٦٧٠٨	سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة	٦٨٩٥	سقتني حفصة شربة عسل
٦٤٤٨	سمعت رسول الله يقرؤها دالاً	٢٥٦٠	سقطت قلادة لي بالبيداء
٣٦٤	سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله تعالى	٤٥٤٠	سل عما شئت
٢٦١٢	سمل أعينهم وترك حسمهم	٧١٢٤، ٢١٣٥	سل واستفهم
٢٩٥٨، ٢٩٦٠، ٢٤٨٧	سموا الله أنتم وكلوا	٥٢٠٨	سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين
٦٤٠٤	سموها زينب	٦٣٧٦	سلط الله عليه كلباً من كلابه
٧٠٧	سن الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع	٣٥٧٩، ٢٦٢٠	سلوا الله لي الوسيلة
٤٧١٧	سنة أبيكم إبراهيم	١٩٤٧، ١٩٤٦	سلوا الله من فضله
٢٤٩٧	سنوا بهم سنة أهل الكتاب	١٤٦٧، ٥١١	سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي
٥٤٤٩	سودة هي سبب نزول قوله تعالى	٢٨٢٥	سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء
١١٧٨	سورة البقرة فيها آية سيدة القرآن	٧٥٥٢	سلوه: لأي شيء يصنع ذلك
٦٩٢٢	سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها	٢٤٨٦	سم الله، وكل يمينك
٥٠٦٥	سوا صفوكم فإني أراكم من وراء	٨١٨	سماء الغداء المبارك
٦٩٠٣	سياحة هذه الأمة الصيام	٥٥٩٧	سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد
٩١٦	سيد الاستغفار أن يقول العبد	٣٤١٦	سمعت أنين عمي العباس
٦٤٥٧	سيكون في أمي أقوام يكذبون بالقدر	٦٣٢٢، ٦٣٣٦	سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب الطور
٦٤٥٨	سيكون في هذه الأمة مسخ		سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب
٣١٢١	سيكون قوم يعتدون في الدعاء	٧١٢٦	بالمرسلات

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
سليكم بعدي ولاة	٢١٠١	صدق	٥٨٤٤ ، ٥٨٣٦
سينها ما تقول	٥١٥٧	صدق أبو أيوب	٧٥٥٩
سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة	٥١٤٨	صدق أمية في شيء من شعره	٥٨٤٤
- الشين -		صدق الخبيث	١١٧٠
شأن الله أعظم من ذلك	٤٨٠٥	صدق الله وكذب بطن أخيك	٤٠٩٠
شأنكم بها	٣٦٢٧	صدق والذي بعثني بالحق	٢٩٣٠
شاهت الوجوه	٣٤٨٨ ، ٣٣٣٦ ، ٣٣٠٤ ، ٣٣٠٣	صدق لا تقولوا له إلا خيراً	٦٧٣٥
شاورهم يوم بدر	١٦٣٥	صدقة السر تطفئ غضب الرب	١٢٣٠
شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة	٣٩٤٦	صدقة تصدق الله بها عليكم	٢٢٣١
شر ما في الرجل شح هالغ وجبن خالغ	٧٠٢٣	صدقت، ذلك من مدد السماء	٣٢٨٢
شعرت أن الله أحيا أباك	١٦٧٦	صدقت، كيف يقدر الله قوماً لا يؤخذ	٥٨٨٦
شغلونا عن الصلاة الوسطى	١١٢٢ ، ١١٢٣	صديق أهل النار	٣٩٨٨
شفاعتي لأهل الكبائر من أمي	١١٣٣	صعد الصفا فدعا بطون قريش	٣٧٧٩
شكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم	١٩٣٨ ، ١٩٣٩	صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف	٦٥٥٢
شهدت أحداً فنظرت إلى النبل	٥٦٠٧	صفة رسول الله ﷺ في التوراة	٣١٧٣ ، ٥٩٦
شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله	٥٦٥٣	صفة رسول الله ﷺ في الكتب	١٦٣٣
شهدت حلف المطيبين	١٦٢٢	صفة وضوء رسول الله ﷺ	٢٥٢٤
شهدت من المقداد مشهداً	٦٧٦٢	صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً	٤٠٧٣ ، ١٧٢٠
شهيداً عليهم ما دمت فيهم	١٩٥١	صلاة الرجل في الجماعة تضعف	٤٩٥٢
شييتني هود، والواقعة	٣٢٧٩	صلاة السفر ركعتان	٢٢٤٠
شييتني هود وأخواتها	٢٠٠٩	صلاة الليل	٤٣٠٩
- الصاد -		صلاة المرأة في بيتها أفضل	٤٩٥٩
صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح	٦٥٠٥ ، ٣٧٧٦ ، ٣٧٧٥	صلاة المرأة في مخدعها أفضل	٥٣٥٢
صالح ملك أيلة، وكتب له ببحره	٣٧٧٧	صلاة الوسطى صلاة العصر	١١٢٤ ، ١١٣١
صالحهم على أن يحقن لهم دماءهم	٧٠٣٠	صلاة الرجل في مسجد قباء كعمرة	١١٣٢
صالحهم على أنه من أتاه منهم رد إليهم	٥٢٠٠	صلة الرحم تزيد في العمر	٣٦٥٥
صبح ناس غداة أحد الخمر	٦٦٩٨	صلح الحديدية	٧٠٢٩ ، ٣٩٧٤
صبر لا شكوى فيه	٦٧٥٥	صلوا على أنبياء الله ورسله	٢١٦٧
	٢٧٧٩	صلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني	٥٥٢٩
	٣٨٥٩		٥٥٢٥

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٧٠٦ ، ٤٧٠٣	ضحى بكبشين أملحين أقرنين	٢٦١٩	صلوا علي صلاتكم وسلوا الله
٤٧٠٥	ضحى بكبشين عظيمين سمينين أقرنين	٥٤٩٥ ، ٥٤٩٤	صلوا علي فإنها زكاة لكم، وسلوا
٤٧٢٢ ، ٣٠٥٩	ضحى في يوم عيد بكبشين وقال	٥٥٠٩	صلوا علي، فإن صلاتكم علي زكاة لكم
٣٠٢٤ ، ٣١٧	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً	٦٧٠	صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً
٧١٧٨	ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة	٥٧٥٣	صلى العصر بعدما غربت الشمس
٢٠٤٠	ضرب يديه على الحائط ومسح	٥٥٣٤ ، ٣٦٤٦	صلى الله عليك وعلى زوجك
٦٧٣٨	ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثلاً	٥٤٦٨	
١٦٣١	ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم	٢٢٤٢	صلى بأصحابه صلاة الظهر
٢٠٤٤	ضربة للوجه والكفين	٢٢٥٤	صلى بإحدى الطائفتين ركعة
٣٢٦١	ضعه من حيث أخذته	٢٢٣٦	صلى بنا آمن ما كان بمنى
٣٣	ضعوا هذه الآيات في السورة التي	٢٢٥٣	صلى بهم صلاة الخوف، فقام
٤٥٧٣	ضمة القبر	٦٣٠٧	صلى تلك الليلة مع النبي ﷺ
	- الطاء -	٢٢٥١	صلى صلاة الخوف، فكان الناس
٤١٨٦	طائر كل إنسان في عنقه	٦٨٩	صلى قبل بيت المقدس ستة عشر
٤٦٩٦	طاف رسول الله ﷺ من ورائه	٧٢٦٣	صلى معاذ صلاة
٧٧	طراً علي حزب من القرآن	٧١٧٤	صليت خلف النبي ﷺ الصبح فسمعت
٢٨٠٥	طعامه ما لفظه ميتاً	٢٧٤	صليت خلف النبي ﷺ، وأبي بكر
١٠٣٢	طلاق الأمة تطليقتان	٤١٦١	صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة
٥٣٣٢ ، ٥٣٣١	طلحة ممن قضى نجه	٢٢٣٨	صليت مع رسول الله ﷺ بمنى
١٨٧٣	طلق أيهما شئت	٢٢٣٧	صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين
٥٤٥٠	طلق حفصة ثم راجعها	٢٢٣٥	صليت مع النبي ﷺ الظهر
١٠٩١	طلق رجل امرأته وهو يلعب	٢٢٣٢	صلينا مع رسول الله ﷺ بين مكة
٦٨٥٥	طلق رسول الله ﷺ حفصة	٨٧٨	صم ثلاثة أيام
٦٨٩٦	طلق رسول الله ﷺ نساءه	٩٩٠	صماماً واحداً
٤٨٤٨	طلقها	٦٩٤٧	صنعت له طعاماً! وصنعت له حفصة
٣٠٣٤	طلوع الشمس من مغربها	٧٦١	صيام رمضان كتبه الله على الأمم
٦٥٢٧	طوبى : شجرة في الجنة	٢٨١٨ ، ٢٨١٥	صيد البر لكم حلال وأنت حرم
٥٢٢٣	طوبى للأتقياء الأثرياء الذين إذا حضروا		- الضاد -
٣٩٤٧	طوبى لمن رآني وآمن بي	٤٧١١	ضح به
٦٣٢٣	طوفي من وراء الناس وأنت راكبة	٤٧٠٤	ضحى بكبش أقرن فحيل

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
طير كل عبد في عنقه	٤١٨٨	عرضت علي أمتي البارحة	٣٧٤٢
- العيين -		عرضت علي الأمم بالموسم	١٥١٩
عاب رسول الله ﷺ المسائل	٤٨٥٥	عرضت علي الأمم، فرأيت	١٥٢٣
عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر	١٨١٣	عرضت علي الأنبياء بأممها	٦٥٦٨ ، ١٥١٨
عاش ثلاثاً وستين سنة، وقيل: ستين	٥٦٣٦	عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة	٦٥٤٥
عبادة لكل مسكين	٢٧٥٠	عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة	١٧٩٧
عثر بالنبي حمارة، فقلت	٧٦٢٦	عرف الحق لأهله	١٥٩٠
عجب ربك من قنوط عباده	٩٥٣	عرفت أنني إن بادأت بها قومي رأيت	٥٠٦١
عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة	١١٩٤ ،	عرفة كلها موقف	٩٢٥ ، ٩٠٩
	١٤٥٧	عزيز، لا أدري أنبيأ كان أم لا؟	٦٠٠٠
عجب ربنا من رجلين	٥٢٧٥	عسقلان أحد العروسين	١٧٢١
عجباً لأمر المؤمن لا يقضي الله له	٣٧٢٠	عشرون .. عشرون .. ثلاثون	٢١٦١
عجباً للمؤمن! لا يقضي الله له قضاء	٦٩٩ ،	عشر من الفطرة: قص الشارب	٦٠١
	٣١٣٦ ، ٦٨٤٥ ، ٥٥٦٩ ، ٥١٩٧	عصارة أهل النار	٣٩٨٩
عجبت من قضاء الله للمؤمن	٥٥٦٨	عفا عن أولئك النفر الثمانين	٥٩٤٥
عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة	٥٨٨٤	عفا عن غورث الذي أراد الفتك به	٥٩٤٦
عجل هذا	٥٤٧٧	عفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره	٥٩٤٧
عدة أصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت	١١٦٣	عق عن ولده إبراهيم يوم سابعه	١٤٠٦
عدلاً	٦٧٨	عقلت عن رسول الله ﷺ ألف مثل	٥١٥١
عدلت شهادة الزور الإشراك بالله	٤٧٠٠	علام تبايعني؟	٦١٤٣
عدها في سجديات القرآن	٣٢٥٨	علام تشتمني أنت وفلان وفلان	٦٦٨٩
عذاب القبر	٤٥٧٦	علام يقتل أحدكم أخاه؟	٦٩٩٥ ، ٦٩٨٣
عرج بي إلى السماء فأريت إبراهيم	٤٣٩٢	علم أن قد نعتت إليه نفسه	٧٥٢٩
عزّس بأولات الجيش	٢٠٥١	علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن	٦٤٦٨
عرض ربي عز وجل لي يجعل لي بطحاء	٤٣٤٠	علمها بلالاً فليؤذن بها	٧٦٢
عرض علي رسول الله ﷺ ما هو مفتوح	٧٣٣٦	علمها عند ربي عز وجل، لا يجليها	٣٢٣٤
عرض علي الأنبياء، فجعل النبي	٣٧٧٢	علموا أرقاءكم سورة يوسف	٣٨٤٤
عرضت علي النبي ﷺ يوم أحد	١٧٩٦	على أنهار غسل مصفى	٦٠٩٧
عرضت علي النبي ﷺ يوم قريظة	٥٣٣٨	على أي حال أعطاكاه؟	٢٦٨٥
عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة	١٤١ ، ١٣٩	على الصراط	٤٠٢٣

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
على اليد ما أخذت حتى تؤديه	١٣١٦	غزونا سبع غزوات نأكل	٣١٤٢
على رسلكما، إنها صفة	٨٤١، ٧٦٢٤	غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة	٤٠٧٧
على شيء قد فرغ منه يا عمر	٣٨١٥	غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس	٦٨٣٧
على ظهر كل بعير شيطان	٥٩٦٣	غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٦٨١٣، ٦٨١٨
على كل أهل بيت في كل عام أضحية	٤٧٤٠	غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد	١٦٢٩
على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام	٦٨١٥	غفر الله لك يا أبا بكر	٢٢٧١
عليّ بهؤلاء النفر	٣٥٦٧	غنوا بالقرآن، ليس منا من لم يغن	١١١
عليك السلام ورحمة الله	٢٤٠	غير الدجال أخوفني عليكم	٤٦٢٨، ٢٣٤٣
عليك بتقوى الله فإنها رأس كل خير	٢٢٦	- الفاء -	
عليكم بالثياب البيضاء فالبسوها	٣٠٩٤	فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل	٢٦٦٨
عليكم بالسنا والسنت	٤٠٩٧	فأتت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له	١٠٣٧
عليكم بالشفائين: العسل والقرآن	٤٠٩٥	فأتينا على نهر أحمر مثل الدم	١٢٥٣
عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر	٥٣٨٠، ٣٧٠٠	فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي وسأله	٣٤١٩
عليكم برخصة الله التي رخص لكم	٧٧٣	فأدخل على ربي في داره	٢٣٧٥
عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين	٣٢	فأسجد لله فیدعني ما شاء الله أن يدعني	٥٥٧٠
عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار	١٥٨٧، ٦١٠٤	فأعني على نفسك بكثرة السجود	٢١٢٨
عليكما صاحبكما	١٦٢٣	فأقام ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت	٣٣٣٥
عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم	٢٢٥٨	فأقول: أمتي أمتي	٣٧٨٧
عمر الذباب أربعون يوماً	٤٠٨٩	فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون	٥٦٠٩
عمرة في رمضان تعدل حجة معي	٨٦٢	فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب	٥٦١١
عمي أنس بن النضر سميت به لم يشهد	٥٣٢٨	فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه	٥٦١٠
عن لا إله إلا الله	٤٠٦٦	فأما من كان منكم من أهل السعادة	٣٠٩١
عن نور عظيم يخرون له سجداً	٦٩٧١	فأمر أن يرض رأسه بين حجرين	٤٨٢
عيسى، وعزير، والملائكة	٤٦٣٢	فأمر به فقطعت يده	٢٦٣٥
عينان لا تمسهما النار	١٧٦٨	فأمره أن يعيد الوضوء	٢٥٤٦
- الفين -		فأمره بقبضها	٤٩٢٩
غاب عنا يوماً فلم يخرج	٢٨٥٧	فأني أتأها ذلك؟	٧١٨١
غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ	١٦٠٦، ٥٣٢٩	فاهد إن شئت عن كل واحدة بدنة	٧١٧٢
غزا غزوة المريسيع	٦٨٣٨	فأين الاستئذان؟	٥٤٥٢

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٢١٦	فانطلق إليه نبي الله ﷺ وركب حماراً	٤٨٢٩	فأيهم إذا أصابك ضر فدعوته كشفه
٦٠٦٨	فانطلق لعلي أجد لك شيئاً	١٤١٠	فإذا يبحي وعيسى، وهما ابنا الخالة
٤١٥٨	فانطلقنا حتى أتينا بيت المقدس	١١١٢	فإذا حللت فأذنيني
٤٨٥٣	فبدأ بالرجل فوعظه وذكره	١٣٥٣	فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه
٤	فبم تحكم؟	٢٣٤٩	فإذا رأيتموه فاعرفوه
٤٤٣٣	فتح اليوم من ردم يأجوج	١١٧٥	فإذا رأيتموها فقل: بسم الله
٦٦٥٠	فتصدق	٣٨٦٣	فإذا هو قد أعطي شطر الحسن
١٥٢٤	فتنحو أول زمرة وجوههم كالقمر	٦٥٤٣	فإذا ورقها كأذان الفيلة ونبقها مثل قلال
١٧٢٥	فالحق الحق	١٠٤٤	فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
٥٤٤٢	فحكم لها بصداد مثلها	٧٤٢٤	فإن أخبرها أن تشهد على كل عبد وأمة
٢٦٤٩	فحملهم على الحق في ذلك	٥٠٣٠	فإن الله غافر لك ما كنت كذلك
٣٠٢٢	فخط خطأ هكذا أمامه	١٩٦٦	فإن خفتن نشوزهن فاهجروهن
٢٠٨٨	فدعا عثمان إليه فدفع إليه المفتاح	١٨٦٨	فإن ذلك لا يحل لي
٤١٥٤، ٤١٥٠	ففرج سقف بيتي وأنا بمكة	٥٩٠، ٥٨٩	فإن كل محدثة بدعة
٥٧٥٢	فرس له جناحان؟	٦١٩٥	فإن لم تجد؟
	فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في	٥٤٢٨	فإنه قد أنزلت علي: (يا أيها النبي...)
٢٢٤١، ١١٥٠	الحضر	٧٤٩٥	فإنه نهر وعديني ربي عز وجل
٢٢٣٩	فرضت الصلاة ركعتين ركعتين	٥٦٦٣	فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها
٥٨٧٨	فرغت؟	٥٦٦١	فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش
٥٩١٣	فريق في الجنة وفريق في السعير	٥٦٦٤	
٦٦٥٠	فصم شهرين	٢٤٥٦	فإنها نزلت في يوم عيدين
٤٧٨٧	فضحك رسول الله ﷺ	٥٣٩٤	فإنني قد رضيته
٥٣٤٧	فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه	٢٣٠	فاتحة الكتاب شفاء من كل سم
٥٨٠٧، ٥٨٠٦		١٠٣٤	فاتقوا الله في النساء
٧٤٧٨	فضل الله قريشاً بسبع خلال	١٦٩٥	فاشترأها فربح فيها مالاً، فقسمه
٤٣٠٥	فضل صلاة الجميع على صلاة	٤٨١٦، ٤٨١٥	فاطمة بضعة مني، يقبضني
١٣٠	فضل قراءة القرآن نظراً	٥٩٢٣	فاطمة وولدها عليهم السلام
٤٧٥٧	فضلت سورة الحج بسجديتين	٥٠٣١	فافعل الخيرات، واترك السيئات
٤٦٧٠	فضلت سورة الحج على القرآن	٦١٧٤	فامضوا على اسم الله تعالى
٥٤١١	فضلت على الأنبياء بست		

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
فضلنا على الناس بثلاث ١٣٤٠ ، ٢٠٣٧ ، ٢٠٤٨ ،	٥٧٣٠ ، ٥٧٠٠	فليقل : آمنت بالله وبما أنزل	٧١٣٠
فضلني ربي على الأنبياء بأربع	١٥٩٧	فما ألوانها؟	٧١٨١
فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة	٥٦٩٨	فمن دخلها كانت عليه برداً	٤١٩٣
فقدوا قطيفة يوم بدر	١٦٤٢	فمه؟	١٧٢٥
فقرأ عليه النبي ﷺ : (والزانية . . .)	٤٨٤٠	فندب المسلمين ، فانتدبوا	١٦٨١
فقرأها علينا رسول الله ﷺ	٦٧٨٦	فنعم إذا	٧٤٥٨
فقصها على النبي ﷺ فلم يزل يسجد بها	٥٧٤٨	فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل	٣٠٨٥
فكانه سري عن رسول الله ﷺ	٢٥٨٨	فوالذي لا إله غيره ، إن الرجل	٤٧٩٩
فكان المقام عند البيت ، فحوله	٦٢٢	في أصحابي اثنا عشر منافقاً	٣٥٩٤
فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به	٥٧٤٧	في الجنة بحر اللبن وبحر الماء	٦٠٩٤
فكذلك فافعلوا ، تفكروا في خلقه	٦٨٨٤	في الجنة درجة تدعى الوسيلة	٢٦٢٢
فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها	٥٥٥	في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها	٣٩٤٩ ، ٦٥٣٨ ، ٣٩٥٠
فكلوا وتصدقوا ، واستمتعوا بجلودها	٤٧٣١	في الجنة غراً يرى ظاهرها من باطنها	٥١٦٩
فكيف إذا تحدث الناس يا عمر	٦٨٣٢	في الدنيا	٤٥٩٢
فلا يزال معذباً فيها	٤٨١٤	في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين	٢٢٢٣
فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء	٧٠١٨	في السماء السابعة بيت يقال له : المعمور	٦٣٢٥
فلعل الله اطلع إلى أهل بدر	٦٧٣٦	في المال حق سوى الزكاة	٧٤١
فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته	٥٤٣	في النار	٦٧٣٩ ، ٢٨٢٤
فلعلكم تأكلون متفرقين ، اجتمعوا	٢٤٩٣	في تسع ييقين ، أو سبع ييقين ، أو خمس	٧٣٩٤
فلعله قرأ سورة البقرة	٩٤	في رمضان ، فالتمسوها في العشر الأواخر	٧٣٩٢
فلعلها مغيبة في سبيل الله	٣٨٣٠	في كل خمس عشرة	١٧٠
فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء	٤٥٢	في نار الله الحامية	٤٤٢٦
فلم أر عبقرياً يفري فريه	٦٤٩٩	في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة	٦٥٢٠
فلم يعب الصائم على المفطر	٧٧٠	في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة	٧١٩٥
فلولا أخذتم مسكها	٢٩٩١	فيأتي المؤمن شاب حسن اللون	٣٠٧٠
فليرابط امرؤ كيف شاء	١٧٦٠	فيأمرهم نبي الله بطاعة الله	٣٧٠٣
فليصم شهرين متتابعين	٦٦٤٩	فيتميز الناس ، وتجتوا الأمم	٦٠٢١
فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر	٦٦٤٩	فيسأل : ما فعل فلان ، ما فعل	٤٠٠٩
فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منه	٢١٩٢	فيصعدون بها ، فلا تمر على ملا	٣١٠٠

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو	٦٦٣	قال ابن عمر: ما سمعت عمر يقول لشيء	٦٠٦٦
فيقال لليهود يوم القيامة	٣٩٣٥	قال أعرابي للنبي: انسب لنا ربك	٧٥٤٩
فيقال: يا أهل الجنة، إن لكم	٣٨١٧	قال الجن لقومهم: (لما قام عبد الله)	٧٠٣٩
فيقول الملك: أي رب، أذكر	٣٩١٣	قال الله لبني إسرائيل (وادخلوا الباب)	٤٦٧، ٤٦٥
فيما قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب	٧٣١٥	قال المقداد يوم بدر: إنا لا نقول	٢٥٨٨
فيما أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا	٣٢٦٣	قال النساء للنبي: ما له يذكر المؤمنين	٥٣٧٧
فيما نزلت (إذ همت طافتان)	١٥٥١	قال جابر: رأيت مسجد الضرار	٣٦٧٢
فيما نزلت في بني سلمة (ولا تنازوا...)	٦٢٢٦	قال جبريل: إن الله قد أحسن الثناء	١٣٤٨
فيتزل عند المنارة البيضاء	٢٣٥٠	قال جبريل: يا محمدا! عش ما شئت	٧٢١٠
فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم	٣٧٣٩	قال خباب: كنت رجلاً قيناً	٤٥٢٥
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت	٥٢٨٦	قال خباب: كنت قيناً بمكة، فكنت	٤٥٢٦
فيها من أوراقي؟	٧١٨١	قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ	٥٩١
فيومئذ يبعث الله مقاماً محموداً	٤٣١٢	قال رجل في غزوة تبوك	٣٥٦٥
- القاف -		قال رجل من المنافقين: ما أرى	٣٥٦٤
قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا		قال رجل: إنك لأحب إلي من نفسي	٢١٢٦
قاتل الله اليهود! حرمت عليهم	٦٣١٦	قال رجل: إني أقف المواقف أريد	٤٤٤٤
قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافراً	٢٩٩٥	قال رجل: إني لأحبك حتى إني لأذكرك	٢١٢٧
قاتلهم الله! لقد علموا أنهما لم يستقسما	٦١٦٩	قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة	١٢٣٤
قال آدم: أرايت يا رب إن تبت	٢٤٤٤	قال رجل: ما أبالي ألا أعمل عملاً	٣٤٨٠
قال أبو بكر: والله لا أكلمك إلا كأخي السرار	٤٢٥	قال رجل: والشرك بالله، فكره ذلك	٢٠٧٤
قال أبو بكر: والله لا أكلمك إلا كأخي السرار		قال زيد: لما نسخنا الصحف فقدت آية	٥٣٢٦
قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك	٦١٩٨	قال سعد: نزلت في أربع آيات	٥١٣٦، ٢٠١٢
قال أبو ذر: إني أظن أن هذا الفرس	٢٨٧٠	قال سلمان لأهل فارس: إنما كنت رجلاً	٣٣٨٨
قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه	٣٣٩٣	قال سليمان: لأطوفن الليلة	٤٣٧٠
قال أنس: كنت أسقي أبا عبيدة	٢٩٢٣	قال علي: صنع لنا عبد الرحمن طعاماً	٢١١٣
قال إبليس: يا رب وعزتك وجلالك	٢٧٦٦	قال علي: كنت وعبد الرحمن ورجل آخر	٢٠١٤
قال ابن عباس: كانت أمي ممن عذر الله	١٥٨٨	قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر	٢٠١٠
قال ابن عباس: كنت أنا وأمي	٦١٠٥	قال عمر: ثلاث لأن يكون النبي ﷺ	٢٣٩٥
		قال عمر: ثلاث وددت أن رسول الله	٢٣٨٠
		قال عمر: لأن أكون سألت	٢٣٩٤

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٤٤٠	قالت عائشة: ما أرى ربك إلا يسارع في	١٨٥٣	قال عمر: لا تزيدوا في مهور النساء
٥٤٤٣		١٨٥٢	قال عمر: لا تغالوا في مهور النساء
٦٠٣٥	قالت عائشة: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن	٦١١	قال عمر: وافقت ربي عز وجل في ثلاث
٣٨٦٠	قالت عائشة: والله لا أجد لي ولكم مثلاً	٥٤٥٣، ٦١٥، ٦١٤، ٦١٣، ٦١٢	
٦٠٣٤	قالت عائشة: يا مروان أنت القاتل	٤٧٨٦	قال عمر: وافقت ربي في أربع
٤٣٣٣	قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً	٥٤٥٤	قال عمر: يا رسول الله، يدخل عليك البر
٤٢٨٨	قالت قريش: ادع لنا ربك أن يجعل	٥٢٢٠	قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني
٧٥٥٠	قالت قريش للنبي: انسب لنا ربك	٢٩٧٢	قال لي جبريل: قلبت الأرض
٧١٠٥	قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله	٣٧٦٧	قال لي جبريل: لو رأيته وأنا آخذ
١٦٨٨	قالها إبراهيم حين ألقى في النار	٣٧٦٨	قال لي جبريل: يا محمد، لو رأيته
٣٩٥٩	قالوا لمحمد ﷺ: لو سيرت لنا جبال	١٨٩٢	قال موسى لنبينا ليلة الإسراء
٣٨٤٦	قالوا: يا رسول الله، لو قصصت	٥٥٧٩، ٣٧٢٣	قال هرقل لأبي سفيان
٢٨٥٥	قام ليلة من الليالي في صلاة العشاء	٣١٥٨	قال هكذا، يعني أنه أخرج
٢٢٤٩	قام وقام الناس معه، فكبر	٦٠٧٣	قال ورقة: يخ، هذا الناموس
٥٩٢٧، ٥٣٧٠	قام يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً	٢٩٤٥	قال ورقة: إنه لم يأت أحد
٥٢٩٤	قام يوماً يصلي، فخطر خطرة	٥٦٨٢	قال يوم حنين وهو راكب البغلة
٢٠٣١	قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة	٦٧٤٤	قالت أسماء: قدمت أمي وهي مشركة
٢٠٣٣	قبل ثم صلى ولم يتوضأ	٤٨٦٣	قالت أم رومان: بينا أنا عند عائشة إذ دخلت
٢٥٩٥	قتل الصبر لا يمر بذنوب إلا محاه	٦٠٣٠	قالت أم سعد لسعد: أليس قد أمر الله
٦٨٧١	قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى	١٧٣٣	قالت أم سلمة: لا نسمع الله ذكر النساء
٣٣٣٨	قتل يوم بدر صبراً عقبة وطعيمة	١٩٤٣	قالت أم سلمة: لا نقاتل فنستشهد
٣٦٧٠	قد أثنى الله عليكم في الطهور	١٩٤١	قالت أم سلمة: يغزو الرجال
٥٧٨	قد أجزأت صلاتكم	٥٥٥٩	قالت أم سليمان بن داود: يا بني لا تكثر
٦٨	قد أحسنت	٦٧١٤	قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا
٢٤٧٦	قد أذن لك يا رسول الله	٧٠٣٧	قالت الجن لنبي الله ﷺ: كيف لنا
٥٥٨٢، ٤١١٦	قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً	٢٤٥٤	قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون
٧٣٣٩		١٩٤٤	قالت امرأة: للذكر مثل حظ الأنثيين
٤١١٧	قد أفلح من هدي إلى الإسلام	٦٧٤٦	قالت عائشة وأسماء: قدمت علينا أمتنا
٢١٥٥	قد أمرني ربي بالقتال	٥٤٤٠	قالت عائشة: كنت أغار من اللاتي وهبن
٦٧٥٦	قد بايعتك على ذلك	٤٨٦٢، ٤٨٦١	قالت عائشة: لما نزل عذري قام

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
قد تدخل الرجل العين في القبر	٦٩٩٩	قدمت غير المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب	٦٨٢٤
قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك	٧٣٧٥	قدمت قتيلة على ابتها أسماء	٦٧٤٥
قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر	٤٨٣٦	قدمنا الحديث مع رسول الله ﷺ ونحن	٦١٥٠
قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاعرفوهم	١٣٥٥	قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف	٦٢٧٦
قد حرموا خير جنتهم بذنهم	٦٩٦٨	قذف المحصنة يهدم عمل مئة سنة	٤٨٧١
قد رأيته نوراً، أنى أراه؟	٦٣٨٣	قرأ: (كيف ننشزها)	١١٩٨
قد سمعت كلامكم وتعجبكم	٢٢٩١	قرأ البسمة في أول الفاتحة	٢٦٧
قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت	٥٨٠٠	قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران	٣٧
قد علمت الذي قلت	٢٦٨٧	قرأ السبع الطول في سبع ركعات	٥٦٩٦
قد علمت أنك تحبين الصلاة معي	٤٩٦١	قرأ النبي ﷺ سجدة، ثم سجد	٤٦٦٦
قد غفر لك غدراتك وفجراتك	٥٧٩٦	قرأ بمكة سورة النجم فسجد	٦٤٢١، ٤٧٤٩
قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم	٥٨٩١	قرأ بهذه السورة، و(قل هو الله أحد) في	
قد قبلت	٥٣٩٣	ركعتي الطواف	٧٥١٠
قد قبلتها	٥٤٣٥	قرأ بهما في ركعة واحدة	٣٥٤
قد قد	٣٣٤١، ٣٥٩١، ٣٨٨٩	قرأ بهما في ركعتي الفجر	٧٥١١
قد قضى فيك وفي امرأتك	٤٨٥٦	قرأ بهما في صلاة الصبح	٧٦٠٤
قد كانت صلاة رغبة ورهبة	٢٩٠٣	قرأ ذات يوم على المنبر (وما قدرُوا..)	٥٨١١
قد كنت أنهلك عن حب يهود	٢٦٧٤	قرأ رسول الله ﷺ بمكة «النجم»	٤٧٤٨
قد مضى ذلك كان قبل الهجرة	٦٤٣٥	قرأ عام الفتح في مسيره سورة الفتح	٦١٢٠
قد نهيتك فعصيتني، فأبعدك الله	٢٦٥٩	قرأ في الركعتين قبل الفجر	٧٥١٢
قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات	٦٦٣٦	قرأ في العيد ب: ق، واقتربت	٣٥
قدم المدينة وهم يشربون الخمر	٢٧٥٧	قرأ في العيدين «الأعلى» و «الغاشية»	٧٢٣٩
قدم المدينة، وهو يصلي سبعة عشر	٧٦٢	قرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة	٣٤
قدم رجال من بني فزاة	٢٦٠٩	قرأ في قيام الليل بالبقرة ثم النساء	٧٣
قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ	٦١٩٧	قرأ كعب: (كلما نضجت جلودهم..)	٢٠٨٢
قدم علينا معاذ، وكان بعثه النبي ﷺ	٥٢١٣	قرأ هذه الآية على المنبر: (وما قدرُوا..)	٥٨١٣
قدم فطاف بالبيت سبعاً	٦١٨	قرأ: (الآن خفف الله..)	٣٤٠٥
قدم قوم من عرينة	٢٦٠٣، ٢٦٠٨	قرأ: (من الذين استحق..)	٢٨٤٥
قدم وأصحابه مكة وقد وهتهم حمى يثرب	٦١٨٣	قرأت على النبي ﷺ: «فهل من مذكر»	٦٤٤٦
قدم وفد نصارى نجران ستون ركباً	١٤٣٠	قرأت على النبي ﷺ: (ذلك بأن..)	٢٧٣٧

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٨٤	قل: بسم الله، وكل يمينك	٥٢٠٩	قرأت على رسول الله ﷺ كما قرأت
٥٨٩٣	قل: ربي الله، ثم استقم	١٦٦٣	قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين
٦٣٩٤	قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٥٢٩٣	قرأنا فيها: الشيخ والشيخه إذا زنيا
٦٧٦٦	قل لهن: إن رسول الله يباعدن	٢٦٥١	قرأها: (وكتبنا عليهم فيها...)
٧٤٢٠	«قل هو الله أحد»: تعدل ثلث القرآن	٣٩٧٨	قرأها: «ومن عنده علم الكتاب»
٥٨٨٠	قل يا أبا الوليد أسمع	١٥٩	قراءة مفسرة حرفاً حرفاً
٢٠٢٦	قل يوم إلا يطوف علينا	٥٠٨١	قرصت نبياً من الأنبياء نملة
٧٣٥٩	قلت: ما أنا بقارىء	٤٥٦٠	قرن عظيم، الدارة منه بقدر
٣١٥٣	قلتم، والذي نفسي بيده كما قال	٥٠٩٩، ٤٥٥٩، ٤٤٣٦، ٢٩١٧	قرن ينفخ فيه
٢٨٢٠	قليل تؤدي شكره خير من كثير	٤٣٧٢	قص، فلان أقعد غدوة إلى أن تشرق
٤٤٦	قم فصل، فإن الصلاة شفاء	٢٨٧٢	قصة أبي جهل حين جاء يستمع
٤٧٧١	قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة	٢٧٤٥	قصة الصديق مع أضيافه
٥٣١٩	قم يا نومان	٣٠٦٩	قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه
١٦٧٩	قنت يدعو على الذين قتلوهم	٣٠٧٠	قصة سؤال القبر
٥٤٧٩	قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك	٦٥٢٤	قصي رؤياك
٥٤٧٢، ٣٨٠٥	قولوا: اللهم صل على محمد عبدك	٢١١٥	قضى أن يسقي الأعلى ثم الأسفل
٥٤٧٤	قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه	١٨١٨	قضى بالدين قبل الوصية
٥٤٦٩، ٥٤٧٠، ٥٤٧٦، ٥٤٧٥	قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل	١١٠٦	قضى به في بروع بنت واشق
٦٠٨٧، ١٦٠٢	قولوا: الله أعلى وأجل	٤٦١٠	قضى على أهل الحوائط حفظها بالنهار
٦٣٩٢، ٦٠٨٧	قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم	٢١٧٢	قضى في دية الخطأ عشرين
١٣١٩	قولوا: سمعنا وأطعنا	١٨٩١	قضى فيمن زنى ولم يحصن
١٣١٨	قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا	٢٣٨٦	قضى فينا معاذ بن جبل
٧٤٠٥، ٧٤٠٤	قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو	٢٢١٣	قطع على أهل المدينة بعث
٧٤٠٦		٢٦٢٩	قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم
٣٤٠٤، ٢١٥٦	قوموا إلى جنة عرضها السموات	٦٧٠١	قطع نخل بني النضير وحرق
٦٦٧٦، ٦٦٧٤، ٥٣٣٧	قوموا إلى سيدكم	٥٨٩٢، ٥٨٩٤	قل: آمنت بالله، ثم استقم
٥٣٣٩	قوموا إلى سيدكم فأنزلوه	٧٢٧٩	قل: اللهم، إني أسألك نفساً بك مطمئنة
٤٨٨٥	قومي إلى هذا فعلمي، فإنه لا يحسن	٥٥٣٩، ٩١٧	قل: اللهم إني ظلمت نفسي
٥٣٥٩	قومي فتنحي لي عن أهل بيتي	٥١٨٥	قل: اللهم، غارت النجوم وهدأت
		٣٩٠٣	قل: اللهم فاطر السموات والأرض

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٨٥٩	كان إذا أراد أن يخرج سقراً أقرع	٥٢٧٨	قيام العبد من الليل
١٥٥٧	كان إذا أراد أن يدعو على أحد	٧٣٦٠	قيدوا العلم بالكتابة
٥٧٣٥	كان إذا أراد أن يسلم قال: سبحان	٤٦٤	قيل لبني إسرائيل: (وادخلوا الباب)
٩٧٣	كان إذا أراد من الحائض شيئاً ألقى	٢١٥٤	قيل للبراء: الرجل يحمل على المشركين
٢٥٠٧	كان إذا أراق البول	١٦٨٩	قيل له يوم أحد: إن الناس قد جمعوا
٤٥٨٦	كان إذا أصابه خصاصة نادى أهله	٢٩٢٧، ٢٧٩٧	قيل لي: أنت منهم
٧٠٥٦	كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته	٧٥٩٣	قيل لي، فقلت
٧٥٨٦	كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة	٧٥٩٢	قيل لي، فقلت لكم، فقولوا
٥٦٧٦	كان إذا استراث الخبر تمثل فيه بيت	٧٥٩١	قيل لي: (قل)، فقلت
٧٦١٢	كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين	٣٧٣٠	قيل لي: لتتم عينك وليعقل قلبك
٣٤٢٩	كان إذا بعث أميراً على سرية		- الكاف -
٣٣٥٩	كان إذا بعث سرية فغنموا خمس	٢٩٢٨	كان هذا الركاب إياكم يريد
٧٤٠٣	كان إذا بقي عشر من رمضان شدّ	١٠٧٦	كانك تريد أن ترجعي إلى رفاة
٢٥٢٠	كان إذا توضع أدار الماء	٦٠٢٠	كاني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم
٦٦٧٧	كان إذا جاء لا يقومون له	٦٤٥٦	كاني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج
٤٣٤٧	كان إذا جهر بالقرآن وهو يصلي	٦٥٤	كاني به أسود أفحج يقلعها
٣٧٦٥، ٧٠٠، ٤٤٢	كان إذا حزبه أمر صلى	٥٢٩٣	كأين تقرأ سورة الأحزاب؟
٥٣٢٢، ٥٣٢١، ٤٠٧١		٦١٩٦	كاد الخير أن يهلكا، رفعا أصواتهما
٤٤٣	كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة	٣٠٨٠	كان آدم رجلاً طوالاً، كأنه نخلة
٧٤٠١	كان إذا دخل العشر أحيا الليل	٥٦٨٥	كان أبغض الحديث إليه
٣٦٤٧	كان إذا دعا لرجل أصابته	٥٦٧٨	كان أبغض الحديث إليه، غير أنه
٣٦٢٧	كان إذا دعي لجنازة سأل عنها	٧٣٢١	كان أبو بكر يعتقد على الإسلام بمكة
٥٥٩٧	كان إذا رفع رأسه من الركوع	٦١٥١	كان أبي ممن بايع رسول الله ﷺ
٥٩٦١	كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً	٧٩	كان أجود الناس بالخير
١١٤٨، ٥٧٥	كان إذا سئل عن صلاة الخوف	٣٧٨١	كان أحدهم إذا مر برسول الله ﷺ
٧١٢٠	كان إذا سر استنار وجهه	٦٩٥١	كان أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس
٦٨٦	كان إذا سلم من صلاته إلى بيت	٧٠٩٥	كان إذا أتاه جبريل أطرق
٣٩٢٥	كان إذا سمع الرعد قال: سبحان	٤٨٧٩	كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب
٦٥٧١	كان إذا شرب الماء قال: الحمد لله	٧٥١٩	كان إذا أخذ مضجعه قرأ
٧٢٢٨	كان إذا صلى العصر همس	٩٧٩	كان إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته	٤٣٤٦	كان العباس فيمن يحرسه	٢٧٠٨
كان إذا صلى قام على رجل	٤٥٣٥	كان العباس يقول: في نزلت	٣٤٢٠
كان إذا ضحى اشترى كبشين سميين	٤٧٢٣	كان العباس يقول: ما أحب أن هذه الآية	٣٤٢١
كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله	٩١٣	كان الكتاب الأول نزل من باب واحد	٦٥
كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم	٥٧٨٩	كان الكفل من بني إسرائيل	٤٦١٩
كان إذا كبر استفتح	٣٠٦١	كان الله قبل كل شيء وكان عرشه	٣٧٨٢
كان إذا مر بآية رحمة سأل	٥٩٩	كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا	٨٠٤
كان إذا نزل جبريل بالوحي	١٥٥	كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية	٨٠٦
كان إذا نزل عليه الوحي يلقي منه شدة	٧٠٩٦	كان المسلمون يحبون ظهور الروم	٥١٧٧
كان إذا نزل منزلاً اختار له	٢٧١١	كان المسلمون يرون أن من شكر النعم	٧٣٤٠
كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه	٦٨٣١	كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون	٣٣٤١
كان أزواج النبي ﷺ يتهادين	٣١٤٦	كان المطوعون من المؤمنين في الصدقة	٣٦٠٣
كان أصحاب الشجرة ألفاً وأربعمئة	٦١٣٨	كان المقام من سقع البيت	٦٢١
كان أكثر ما يصلي الركعتين	٦٦٧	كان الناس في رمضان إذا صام الرجل	٨٠٨
كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء	٢٩٩٠	كان النبي يبعث إلى قومه خاصة	٥٠٠٨ ، ١٣٩٤
كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا	٦٠١٧	كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس	٦٨٢٢
كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون	٨٩٤	كان بالحديبية وأصحابه حين صدّهم	٢٤١٣
كان أهل بيت يقال لهم: بنو أبيرق	٢٢٥٨	كان بمكة ثم أمر بالهجرة	٤٣٢٨
كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى	٦٣٦٢	كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم	٢٥٧٩
كان أول ما نسخ من القرآن القبلة	٥٧٣	كان بين بني عمرو وبني المغيرة رباً	١٢٨٣
كان الجن يستمعون الوحي	٦٠٤٦	كان تاجر يداين الناس	١٢٩٠
كان الذين شهدوا بيعة الرضوان	٦١٣٦	كان تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل	٦٥٢٤
كان الرجل أحق برجعة امرأته	١٠٣٨	كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً ستين	٦٢٧٨
كان الرجل منهم يأتي على الصخرة	٧٢٧١	كان ثمن المحجن عشرة دراهم	٢٦٣٣
كان الرجل يرث امرأة ذي قرابته	١٨٤٥	كان خلق رسول الله ﷺ القرآن	٦٩٤٩ ، ٤٧٦٢
كان الرجل يضحي بالشاة الواحدة عنه	٤٧٤١	كان خلقه القرآن	٦٩٤٨ ، ٦٩٤٦ ، ٦٩٤٥ ، ٦٩٤٣
كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت	٤٦٦٢	كان داود فيه غيرة شديدة	٥٠٨٠
كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا		كان ذكره مثل هذا	١٤١٣
التقيا	٧٤٧٤	كان رجال إذا أرادوا الصوم، ربط	٨٠٩
كان العباس أسر يوم بدر فافتدى	٣٤٢٢	كان رجل في غنيمة له	٢١٩٥

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
كان رجل ممن كان قبلكم	١٨٩٩	كان كثيراً ما يجلس عند المروة	٤١١٩
كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد	١٤٦٠	كان كثيراً ما يحدث عن امرأة كانت	٤٨٠٧
كان رجل يقال له : مرثد	٤٨٤٢	كان لا يأكل الجراد ولا الكلوتين	٣١٤٥
كان رجلان شريكان خرج أحدهما	٥٥٧٨	كان لا يختم القرآن في أقل من ثلاث	١٧٣
كان رهط من عرينة أتوا	٢٦٠٥	كان لا يزال يذكر من شأن الساعة	٣٢٣٥
كان سحر حتى كان يرى أنه يأتي	٧٦١٩	كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل	٢٦٦
كان سليمان إذا صلى رأى شجرة نابذة	٥٥٦٠	كان لا يفضل بعضنا على بعض	٢٢٩٩
كان شاباً من الروم ، وأنه بنى	٤٤٢٤	كان لا ينام حتى يقرأ (الم تنزيل)	٦٩٢٤
كان عاشوراء يصام ، فلما نزل فرض	٧٦٣	كان لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك	٥٢٧٢
كان عظماء المستهزين خمسة	٤٠٦٩	كان لعلي أربعة دراهم	١٢٥٠
كان على الصفا ، فدعا قريشاً	٣٢١٩	كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما	٦٨٢٦
كان على موسى يوم كلمه ربه	٢٣٦٨	كان للنبي غلام يقال له يسار	٢٦١٠
كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي	٢٦٨٤	كان لنا غلامان روميان يقرآن	٤١٢١
كان علي في نفر من أصحاب	٢٠١٥	كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ	٣٨٧٤
كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر	٧٥٢٥	كان مخيراً ، إن شاء حكم بينهم	٢٦٦٦
كان عمل رسول الله ﷺ ديمة	٣٢٣٧	كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر	٧٢٢٧
كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ	٧٦٢٢	كان مما أنزل عليه آية الرجم	٥٣٠٧
كان فلان بن معتب رجلاً من الأنصار	٣٨٢٩	كان مما يأتي عليه الزمان	٣٤٤٣
كان في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد	٧٥٣٨	كان من أحسن الناس خلقاً	٥٢٣٠
كان في بني إسرائيل رجلان	٢٠٦٨	كان من شأن مخرج رسول الله ﷺ	٣٣٥٧
كان في بيت أم هانئ رافداً	٤١٧٧	كان موسى رجلاً حياً	٥٥٤٣
كان في سفر فقرأ في إحدى الركعتين	٧٣٥٧	كان ناس من الأعراب يأتون	٤٦٦٣
كان في عماء ، ما تحته هواء	٣٧٨٥	كان ناس يحجون بغير زاد	٨٩٣
كان في ملا من أصحابه فجاءه جبريل	٤١٤٣	كان نساء المؤمنات يشهدن الفجر	٤٩٦٥
كان فيما أخذ علينا ألا نعصيه	٦٧٧٧	كان نوح مكث في قومه ألف سنة	٣٨٠١
كان فيما أنزل : «عشر رضعات»	١٨٦٥	كان هذا في صحف إبراهيم وموسى	٧٢٥٢
كان فيمن خلا من إخواني	٢٣٥٩	كان وأصحابه وإنما الصدقات	١٨٥١
كان قد صلى إلى بيت المقدس	٦٧٢	كان وأصحابه يعفون عن المشركين	١٧٠٩ ، ٥٦٤
كان قوم من أهل مكة أسلموا	٢٢١٤	كان يأخذ منها نفقة سنة	٦٧٠٦
كان قوم يسألونه استهزاء	٢٨٢٦	كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على	٣٤٠٠ ، ١٢٣٣

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
١٤٦٨ ، ٥١٣	كان يشتكي عرق النسا	٥٦٩٩	كان يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات
٦٨٩٣	كان يشرب عسلاً عند زنب	٩٧٥	كان يأمرني فأغسل رأسه
٨٢٧	كان يصبح جنباً من جماع	٣٣٥٨	كان يؤتى بالغنيمة فيقسمها
١١١٩	كان يصلي الظهر بالهاجرة	٦٩٩٤	كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه
٥٧٤	كان يصلي حيث توجهت به راحلته	٦٩٨٤ ،	كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس
٢٢٣٤	كان يصلي ركعتين ركعتين	٧٦١٣	
٦٣٠٥	كان يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة	٧١٩٧	كان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة
٤٧٥٠	كان يصلي عند المقام إذ نرس	٥٦٧٣	كان يمثل بهذا البيت : كفى بالإسلام
٧٣٦٤	كان يصلي عند المقام، فمر به أبو جهل	٥٦٧٧	كان يمثل من الأشعار : ويأتيك بالأخبار
٦٧١	كان يصلي نحو بيت المقدس	٢٠٣٠	كان يتوضأ ثم يقبل
٦٨٢٧	كان يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة	٢٥٠٥ ، ٢٥٠٢	كان يتوضأ عند كل صلاة
١١١٨	كان يصليها بالهجير	٧٤٠٢	كان يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره
٤١٣٣ ،	كان يصوم حتى نقول : ما يريد أن يفطر	٦٦٧٨	كان يجلس حيث انتهى به المجلس
٥٧٦٨		٢٧٠	كان يجهر بيسم الله
٤٦٩٢	كان يصوم هذا العشر	٦٨٩٥	كان يحب الحلواء والعسل
٢٣١٩	كان يضرب مثلاً للمؤمن وللمنافق	٥٧٢٦	كان يحب الدباء، ويتبعه من حواشي
٧٠٩٤ ، ٤٥٦٦	كان يعالج من الوحي شدة	٧٢٣٧	كان يحب هذه السورة (الأعلى)
٧٤٠٠ ، ٧٣٩٩ ، ٨٤٠	كان يعتكف العشر الأواخر	٧٢٦٠	كان يحدث عن امرأة في الجاهلية
٥٦٨٥	كان يعجبه الجوامع من الدعاء	٦٥٠٩	كان يخفف، كانت صلاته أخف
٤٠٩١	كان يعجبه الحلواء والعسل	١٥٥٥	كان يدعو على أربعة
٨٠	كان يعرض على النبي ﷺ القرآن	١٥٥٦	كان يدعو على رجال من المشركين
٤٣٤٩	كان يعلم أهله هذه الآية	٦٦٠١	كان يدعو عند النوم : اللهم رب
٤١٢٠	كان يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام	٨٤٢	كان يدني إلي رأسه فأرجله
٢٤٤٧	كان يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا	٣٩٤١	كان يزور قبور الشهداء
٦٠٣٢	كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد	٣٦٥٦	كان يزور مسجد قباء ركباً
٢٧٣	كان يفتح الصلاة بالتكبير	٥٤٤٤	كان يستأذن في يوم المرأة منا
٢٦٩	كان يفتح الصلاة بيسم الله	٧٣٦٩	كان يسجد في : (إذا السماء انشقت)
٧١٩٨	كان يفتح قيام الليل : يكبر عشراً	٧٥٣٤	كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين
٤٧٦٨	كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الآية	٢٢٩٢	كان يسمع لصدره أزيز كأزيز
٣٣٥٠	كان يقاتل المشركين، وكان الدخول	٩٠٨	كان يسير العنق

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٧٥٠	كان يمتحنهن: بالله ما خرجت من بغض	٢٠٣٥	كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ
١٥٧	كان يمد مداً	٢٠٣٤	كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر
٥٣٥٣	كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر		كان يقرأ «الأعلى» و «الغاشية» في صلاة العيد
٦٨٩٤	كان يمشي عند زينب ويشرب عندها	٧٢٥٣	
٢٠٣٢	كان ينال مني القبلة بعد الوضوء	٦٦٠٠	كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد
٥٥٦	كان ينهى عن قيل وقال	٦٤٢٢	كان يقرأ بقاف، واقتربت، في الأضحى
٥٨٧٤، ٥٨٤٦	كان يهل بهن دبر كل صلاة	٧٦١١	كان يقرأ بهن، وينفث في كفيه
٨٣٩	كان يواصل من السحر إلى السحر	١٧٣٢	كان يقرأ عشر آيات من آخر آل عمران
٣٢٤١	كانا يعدوان في الليل على أصنام	٧٢٥٤	كان يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة
٦٧٠٥	كانت أموال بني النضير مما أفاء الله	٧٢٢٠	كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء
٨٤٧	كانت الأنصار إذا قدموا من سفر	٦٢٧٧	كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت
١١٩٢	كانت المرأة تكون مقلتاً	٧٢٤٠	كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ
٩٨٤	كانت اليهود تقول: إذا جامعها	٥٢٧١	كان يقرأ في الفجر يوم الجمعة
٢٦٤٠	كانت امرأة مخزومية تستعير	٧٢٤١	كان يقرأ في الوتر بـ (الأعلى)
٤٨٤١	كانت امرأة يقال لها: أم مهزول	٦٨٠١	كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة
٢١٠٢	كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء	٣٦٢، ٣٦	كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة
٤٠٤٣	كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ امرأة	٧١١١	
٥٤٠٣	كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدل	٥٧٦٨، ٤١٣٣	كان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل
٣٣٦٥	كانت صفية من الصفي	٦٤٤٧	كان يقرأ: (فهل من مذكر)
٨٩٧	كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز	٧٦	كان يقرأهن اثنين اثنين
٥١٧٧	كانت فارس يوم نزلت هذه الآية	٣٠٧	كان يقرأها: (مالك يوم الدين)
٥١٧٨	كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك	٥٤٤٥	كان يقسم بين نسائه فيعدل
٢٧١	كانت قراءته مداً	٧٠٤٧، ٢٧٢	كان يقطع قراءته آية آية
٨٤٨	كانت قريش تدعى الحمس	٢٩٤	كان يقطع قراءته حرفاً حرفاً
٢٦٥٠	كانت قريظة والنضير، وكانت النضير	٥٨٤٨	كان يقول عقب الصلوات المكتوبات
٧٠٥٩	كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه	٥٨٧٥، ٥٨٤٧	كان يقول في دبر الصلاة
٥٧٠٢	كانت للشياطين مقاعد في السماء	٢٧٤٩	كان يقيم كفارة اليمين مداً
٦٨٨٥	كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة	٧٥٣٧	كان يكثر في آخر أمره من قول
٧٠٤٦، ١٥٨	كانت مداً	٥١٨٨	كان يلي أهل الشرك: لبيك اللهم
٥٤٣٧	كانت من اللاتي وهبن أنفسهن	٦٧٥٦	كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦١٥٨	كذبت، لا يدخلها فإنه قد شهد بدمراً	٦٣٩٦	كانت مناة للأوس والخزرج ومن دان
٦٠٧٩	كذبوا، الآن جاء القتال، لا يزال الله	٥٦٥٥	كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد
٦٧	كذلك أنزلت	٦٦٩٧	كانت وقعة بني النضير، وهم طائفة
١١٨٨	كرسيه موضع قدميه	٢٦٠٤	كانوا أربعة نفر من عرينة
١٠٦٠	كره أن يأخذ منها أكثر	٨٤٦	كانوا إذا أحرموا في الجاهلية
٦٤٣٦	كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ	١٨٤٤	كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه
٢٢٨٧	كفارات	٦١٣٥	كانوا خمس عشرة مئة
٥٨٠١	كفارة الذنب الندامة	٣٢٤٩	كانوا يتكلمون في الصلاة
٢٧٤٨	كفر بصاع من تمر وأمر الناس به	١٢٣٢	كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم
٧٢	كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب	٤٧٢٥	كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى
١٩٨٧	كفى بالمرء إثماً أن يحبس	٦١٤٥	كانوا يوم الحديبية قد تفرقوا في ظلال
٢١٤٧	كفى بالمرء كذباً أن يحدث	٧٣٢٨	كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة
٧٣٢٦	كل أمتي يدخل الجنة يوم القيامة إلا	٧٣٢٩	كبر فرحاً وسروراً
٢٨١	كل أمر لا يبدأ فيه بسم الله	١٥٠٠	كتاب الله هو حبل الله الممدود
١٧٢٩ ، ١٧٢٨	كل أمره كان عجباً	٣٣٦٦	كتاب رسول الله إلى بني زهير
٣١٠٥	كل أهل الجنة يرى مقعده من النار	١٤٣٨	كتاب رسول الله إلى هرقل
٥٩٨٣ ، ٥٨٠٣	كل أهل النار يرى مقعده من الجنة	٣٣٥٧	كتاب عروة إلى عبد الملك عن الهجرة
٧١٥٠ ، ٥٦٠٠	كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب	٣٥٠٢	كتاب عمر لنصارى أهل الشام
١٤١٥	كل ابن آدم يلقي الله بذنب	١٧٧١	كتب أبو عبيدة إلى عمر
٦٢٤٣	كل المسلم على المسلم حرام	٤٥٤٧	كتب إلى هرقل عظيم الروم كتاباً
٣٠٩٠	كل الناس يغدو، فبائع نفسه فموقها	٦٧٣٧	كتب حاطب كتاباً إلى قريش
٧١١٣		٤٩٠٠	كتب على ابن آدم حظه من الزنا
٧٣١٨	كل امرئ مهياً لما خلق له	٢٨٢٩	كتب عليكم الحج
١٧٩٩	كل بالمعروف غير مسرف	٧١١	كتب عليكم السعي فاسعوا
٤٤٦٩	كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب	٧٤٨٤	كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية
١٤٠٩	كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه	٤٥٤٨	كتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ كتاباً
٣٣٤٥	كل تقي	٥١٢٣	كتب معي قيصر إلى رسول الله ﷺ
٤٧٨١	كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب	١٤٤٢	كذب أعداء الله
٥٨٨	كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت	٥٨٥٩	كذبت يهود، وهم على الله أكذب
٥١٨٦ ، ١٤٢٣		٦٥٨٧	كذبت، بل هو رزق الله

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
١٠٢٨	كلا، أيما الرما لغو	١٩٤٨	كل حلف كان في الجاهلية أو عقد
١٦٥٩	كلا، إني رأيته في النار	٢٠٥٦، ٢١٨٥	كل ذنب عسى الله أن يغفره
١٥٠٩	كلا ب النار، شر قتلى تحت أديم	٢١٩١، ٢١٨٤	
١٨٢	كلا كما محسن فاقراً	٤٨١٨	كل سبب ونسب فإنه منقطع
٢٢٦٣	كلام ابن آدم كله عليه	٢٤٣٣	كل شراب أسكر فهو حرام
٦٥٥٨	كلامهن عربي	٦٤٦٠	كل شيء بقدر حتى العجز والكيس
٣٠٦٧	كلكم راع وكلكم مسؤول	٤٥٩٦، ٤٥٩٧	كل شيء خلق من ماء
٦٢٦٦	كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب	٧٠٦٤	كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج
٢٧٢٨	كلمة حق تقال عند ذي سلطان	٧٣١٦	كل عامل ميسر لعمله
٦٥٩٩، ٤٦٠١	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان	٩١٠	كل عرفات موقف
٢٥٧٤	كلهم من قريش	١٢٠٣	كل عمل ابن آدم يضاعف
٥٦١٣	كلهم من هذه الأمة	٤٩٠١	كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً
٤٧٨٨	كلوا الزيت وادمنوا به	٤٩١٦	كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت
٤٩٨٤	كلوا جميعاً ولا تفرقوا، فإن البركة	١٤٠٥	كل غلام رهين بعقيقته
٣٠٩٥، ٢٩٨٨	كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا	٣٩٧	كل مؤذ في النار
٣٠٩٦		٢٧٨٦	كل مخمر خمر وكل مسكر حرام
٢٤٠٧	كلوه إن شئتم، فإن ذكاته ذكاة أمه	٢٧٨٨	كل مسكر خمر وكل مسكر حرام
٦٦٢٢	كم من عذق رداح، في الجنة أبي الدحداح	٧٤٩٠	كل معروف صدقة
١٣٧٤	كم ينحرون كل يوم	٥٩٧٣، ٤٦٣٤	كل من أحب أن يعبد من دون الله
٥٧٦٧	كما أنتم، على مصافكم	١٧٩٨	كل من مال يتيملك غير مسرف
٦٠١٥	كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب	٢٩٢١، ٢٢٦٨	كل مولود يولد على الفطرة
٥٤٧٣	كما صليت على إبراهيم، وبارك	٣١٩٣، ٣١٤٠، ٣٧٩٠، ٤٢٠٢	
١٤٢١	كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء	٧٢٩٨، ٧١١٤، ٥١٩٢، ٤٢٠٥	
٦٩٢٠، ١٤٢٢		٣٧٩٢	كل مولود يولد على هذه الملة
٦٠٥٤	كن بين ظهري هذه لا تخرج منها	١٧٥٣	كل ميت يختم على عمله إلا المرباط
٢٥٩٢	كن كابن آدم	١٧٥٢	كل ميت يختم على عمله، إلا الذي
٢٤٩١	كنا إذا حضرنا مع النبي على طعام	٧٣١٢	كل ميسر لما خلق له
٢٧١٣	كنا إذا صحبنا رسول الله ﷺ في سفر	٤٨١٩	كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة
٤٨٥٤	كنا جلوساً عشية الجمعة في المسجد	٤٣٣٥	كلّا قد عنت
٧٣١٤	كنا في جنازة في بقيع الغرقد	٥٩٠٠	كلا يا عمر، إنه يأتي على الناس زمان

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٣٣١	كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرث	٢٠٧١	كنا لا نشك في قاتل النفس
٩٧٧	كنت أنا ورسول الله ﷺ نبيت في الشعار	٢٠٧٢	كنا لا نشك فيمن أوجب الله له
٥٣١٥	كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم	٤٣٧١	كنا مع النبي ﷺ ستة نفر
٩٧٨	كنت إذا حضت نزلت عن المثال	٧٥٨٢	كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت
٣٤٨٨	كنت في غزوة حنين	٢٢٤٨	كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان
١٦٢٨	كنت فيمن ألقى عليه النعاس	٦١٣٧	كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة
١٦٢٦	كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد	٥٧٦	كنا مع رسول الله ﷺ، في ليلة سوداء
٦٧٦٥	كنت فيمن حضر العقبة الأولى	٦٨٩٦	كنا معشر قريش قوماً تغلب النساء
٥٨٨٧	كنت مستترأ بأستار الكعبة فجاء ثلاثة	٩٩٥	كنا معشر قريش نجبي النساء
٤٥٤٠	كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك	١٣٨٨	كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن
٧١٥٩	كورت في جهنم	٥٤٣٨	كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت
٣٥٢٥	كية! .. كيتان	٢٧٠٧	كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل
٣٥٢٤	كيتان، صلوا على صاحبكم	٧٠٨	كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية
٣٢٦٩	كيف أصبحت يا حارث	٧٤٥٣	كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت
٧١٩٦	كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس	٢٨٨٣	كنا نستبق إلى النبي ﷺ وندنو
١٤٩٧	كيف أنت يا فلان	٤٢٧٠	كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل
١٥٣٧	كيف أنتم وربع الجنة لكم	٧٤٨٩	كنا نعد الماعون: عارية الدلو والقدر
٦٩٣٢	كيف أنتم وربكم؟	٦٩١	كنا نغدو إلى المسجد فنمر
١٦٩٣	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم	٤٨٣٥	كنا نقرا: والشيخ والشيخة
٧٠٧٧، ٦٢٨٧، ٤٥٦١، ٤٤٣٧	كيف يقوم فعلوا هذا بنبيهم	٧٤٨٨	كنا نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه
١٥٦١	كيف تجد قلبك	٣٢٥٠	كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة
٤١٢٤، ٤١٢٣	كيف تجدك؟	٦١٣٣	كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمئة
٥٧٧٠	كيف ترون	٦١٤٦	كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمئة، فبايعناه
٣٢٧٣	كيف ترون بواسقها	٦١٣٤	كنا يومئذ ألفاً وأربعمئة، ووضع يده
٥٠٥٠	كيف تصوم؟	٥٤٦٤	كنت أكل مع النبي ﷺ حيساً
١٦٨	كيف تيكم	٩٧٦	كنت أترق العرق وأنا حائض
٤٨٥٩	كيف قلت؟	٧٠٥٨	كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً
١١٥٣، ١٧٣٤	كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ	٦١٧٢	كنت أدخل على رسول الله ﷺ فيعلمني
٢٥٢٣	كيف وأنتم إذا نزل ابن مريم	١٥٤	كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام
٢٣٣٣		٣٦٣٠	كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
كيف يفلح قوم شجوا نبيهم	١٥٥٨	لا أشك ولا أسأل	٣٧٧١ ، ٢٩٥٢
كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم	١٥٦٠	لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذ الدية	٧٤٩
- اللام -		لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة	١٦٤٨
لا بعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين	١٤٣٣	لا أقسم ، لا أقسم	١٩٠٥
لا أعلمنك أعظم سورة في القرآن	٣٣١١ ، ٢٣٦	لا أقول إلا حقاً	٦٣٥٢
لأمر قد فرغ منه	٧٣١٦	لا ، إلا أن تطوع	٧٠٧٠ ، ٦٣٤٥
لأن أجالس قوماً يذكرون الله	٤٣٧٤	لا ، إلا نكاح رغبة	١٠٨٩ ، ١٠٨٧
لأن أقعد في مثل هذا المجلس	٤٣٧٣	لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة	١٦٥٢
لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه	١٩٧٧	لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجله	٣٤٦
لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خير له	٥٠٢٣	لا إله إلا أنت سبحانك	١٣٧٠
لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً يريه	٥٠٦٩	لا إله إلا الله	٦١٧٠
لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر، وتبايعتم	٥٠٧٠	لا إله إلا الله وحده	٢٠٨٧
لئن اقتتلتم لأنظرنن إلى أقصى	٥١٤٧	لا إله إلا الله، وحده لا شريك له	٥٣٣٣
لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين	٢٥٩٤	لا إله إلا الله، وحده لا شريك له	٥٨٤٦ ، ٥٥٩٦
لئن فعله لأخذته الملائكة	٤١٢٩	لا إله إلا الله، وحده لا شريك له	٥٨٧٥ ، ٥٨٧٤ ، ٥٨٤٨ ، ٥٨٤٧
لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت	٧٣٦٣	لا إله إلا الله، وحده لا شريك له	٤٤٣٢
لا أجد ما أحملكم عليه	٧٢٩٢	لا ، إن الله جميل يحب الجمال	٥١٣٣
لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله	٣٦٣٢	لا ، إن الله لم يلعن قوماً فيمسخهم	٢٦٩١
لا أحد أغير من الله	٥٨٧ ، ٦٤٠	لا ، انحرها إياها	٤٧١٣
لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت	٧٥٨٨ ، ٤٥٢٩ ، ٤٤٧٩ ، ٤٠٨٦	لا ، إنه لم يقل يوماً من الدهر	١٩٩٩ ، ١٤٦٢
لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال	٣٠٩٩ ، ٣٠٠٨ ، ٢٣٧٠	لا أبأس إذا كان في صمام واحد	٧٧٨
لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ	٥٢٥٣ ، ٢٩٣٧	لا أبأس بالغنى لمن اتقى الله، والصحة	٩٩١
لا ، إذن تتركون جميعاً، ولكن خذ بالفضل	١٣٦٠	لا أبأس بصيد البحر	٣١٤٩ ، ٢٨٠٩
لا أرى عليك ثياب من لا يعقل	٥٥٣	لا أبأس في الهام والعين حق	٦٩٧٩
لا أسألكم على ما آتيتكم من البيئات	٦١٠٩	لا أبأس، طهور إن شاء الله	٧٤٥٨
لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني	٤٢٧٤	لا ، بل استأني بهم	٤٢٨٧
لا أستطيع الآن	٥٩٢١	لا ، بل أنتم العكازون أنا ففتكم	٣٢٩٤
	٥٩٢٠	لا ، بل شربت عسلاً عند زينب	٦٨٩٤

طُرف الحديث	الرقم	طُرف الحديث	الرقم
لا، بل للأبد	١٤٨١	لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي	٣٥٤٩
لا، بل هو من أهل الجنة	٦٢٠٠		٦٣٥٣
لا تأتوا النساء في أعجازهن	١٠١٦	لا تحل لزوجها الأول حتى يذوق الآخر	١٠٧٣
لا تأذني لأحد	٥٣٦٥	لا تحل لك حتى تذوق العسيلة	١٠٧٧
لا تأكل الأرض جسد من كلمه روح	٥٥١٩	لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم علي	٦٨٩٠
لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم	٤٨٦٨	لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة	٦٩٠٢
لا تبأشر المرأة المرأة، تنعتها	٤٩٠٩	لا تخبروني على موسى	٣١٦١
لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام	٢١٦٣، ٣٥٠١	لا تخبروني من بين الأنبياء	٣١٦٠
لا تبرح حتى آتيك	٦٠٦٣	لا تدخلوا بيوت المعذبين	٤٠٥٩
لا تبرح مكانك	٦٠٦٢	لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين	٣١٢٧
لا تبرح منها	٦٠٥٥	لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم	٣٧١٩
لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا	١٦٠٣		٤١٨٥
لا تبكه، ما زالت الملائكة تظله	١٦٧٢	لا تدعوها وإن طردتكم الخيل	٦٣٤٤
لا تتبعوا هؤلاء، فإنهم قد هوكوا	٣٨٥٢	لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر	٤٧٤٢
لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم	٥٥٢٤	لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها	٦٧٢٥
لا تتمنوا لقاء العدو	١٥٩٣، ٣٣٧٥	لا تراءى ناراهما	١٥٤٨
لا تنهم الله في شيء قضى لك به	٦٨٤٦	لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود	٤٧٦، ٣١٩٢
لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن	٢٤٩	لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم	٢٩١٤
لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا	٧٠٦٥	لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار	٨١٧
لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري	٦٢٣٥	لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع	٢٠٦٣
	٣٤٤	لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول	٦٢٩١
	٥٥٢٢، ٥٥٢٣	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق	٦٦٠، ٦٥١٩
لا تجعلوني كقدح الراكب إذا علّق	٥٥١٥		٣٢١٨، ٦٠٧٧، ٦٥١٩
لا تجلسوا على القبور	٤١٧٢	لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون	٥٩٧
لا تجوروا	١٧٩٠	لا تركوا أنفسكم	٦٤٠٤
لا تحرم الرضعة أو الرضعتان	١٨٦٤	لا تزوج المرأة المرأة	١٠٩٥، ١٨٨٠
لا تحرم المصّة ولا المصتان	١٨٦٣	لا تسأل الرجل فيم ضرب امرأته	١٩٧٠
لا تحقرن من المعروف شيئاً	٥٠٨٧، ٤٩٩، ٧٤٢٩	لا تسأل امرأة زوجها في غير كنهه	١٠٥١
لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله	٣٥٦٢	لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم	٣١٢٩
لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة	٣٥٦١	لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء	١٤٥٤

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيته	٢٨٢٣	لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباضوا	٦٢٢٩
لا تسبخي عنه	٢٣٢١	لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم	٢٥٩٦
لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده	٦١٩٤	لا تقتلوا الجراد، فإنه جند الله	٣١٤٨
لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس	٦٦١٥	لا تقطع الأيدي في الغزو	٥٧١
لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم	٦٠٠٢، ٦٠٠١	لا تقطع يد السارق في دون	٢٦٣٤، ٢٦٣٢
لا تستضيئوا بنار المشركين	١٥٤٦	لا تقل: تعس الشيطان	٧٦٢٦، ٢٧٩
لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحي	٣٨٧٩	لا تقل هكذا فإنه يتعاضم	٢٨٠
	٥٠١٠	لا تقولن ذلك، فإن فيهم قرة عين	٦٨٤٩
لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم	٦٦٤٠	لا تقولن: زرعت، ولكن قل: حرثت	٦٥٧٠
لا تشربوا في آنية الذهب والفضة	٥٩٦٧	لا تقولوا رمضان، فإن رمضان اسم	٧٦٧
لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم	٣٠٠٣	لا تقولوا سورة البقرة	٣٥٩
لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا	٤٣٤٤	لا تقولوا للعنب الكرم	٥٤٨
لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا	٥٠٢٢	لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات	٢٣٤٧
لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا مؤمن	٧٠٣٢، ٧٥٠٠	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس	٣٠٢٦، ٣٠٢٧
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	٥١٥٩، ٦٦٦	لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار	٦١٥٩
لا تصوموا هذه الأيام	٩٢٨	لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس	٤٩٤٣
لا تضربوا إماء الله	١٩٦٩	لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون	٢٣٤٢
لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض	٥٩٧٨	لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم	٢٣٣٧
لا تطروني كما أطرت النصارى	٢٣٧٢	لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله	٤٨٧
لا تطروني كما أطري عيسى	٥٣٠٧	لا تكرهن أحداً على السير معك	٩٥٧
لا تطعموهم مما لا تأكلون	١٢٢٠	لا تلبسوا الحرير ولا الديباج	٤٦٧٨
لا تعجل حتى يبرأ جرحك	٢٦٥٩	لا تلبسوا علينا سنة نبينا، عدة أم الولد	١١٠٩
لا تعجلوا النفوس أن تزحق	٤٧٢٧	لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله	٧١٧
لا تعذبوا بعداب الله	٤١٢٥	لا تمنعوا الماعون	٧٤٩١
لا تغضب	١٥٧١، ١٥٧٠	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٤٩٦٢، ٥٣٤٩
لا تفضلوا بين الأنبياء	٤٢٨٤	لا تنافس بينكم إلا في اثنتين	١٢٣
لا تفضلوني على الأنبياء	١١٦٨	لا تنعت المرأة المرأة لزوجها	٤٨٠
لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم	٦١٨٢	لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاثل	٣٠٤٠

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
لا تنكحها	٤٨٤٢	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	٢٤٨ ، ٢٥٠
لا تنكحوا النساء لحسنهن	٩٦٩		٣١٢ ، ٧٠٦٣
لا تواصلوا	٨٣٥	لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة	٢٥١
لا تواصلوا، فأيكُم أراد أن يواصل	٨٣٧	لا طاعة إلا في المعروف	٦٠٦
لا توعي فيوعي الله عليك	٧٠٢٢	لا طاعة في معصية الخالق	٢١٠٩
لا تياسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما	٥١٩٩ ،	لا طلاق قبل نكاح	٥٤٣٠
	٦٣٢١	لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك	٥٤٢٩
لا حاجة لي في ابتك	٥٤٣٥	لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا حسد	٤١٨٧ ،
لا حبس	١٧٧٤		٧٠٠٠
لا حبس بعد سورة النساء	١٨٢٩	لا علم لي	٥١١٢
لا، حتى تذوق العسيلة	١٠٦٩	لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا	٣٦٥٣
لا، حتى تذوق عسيلته	١٠٦٧	لا فكرة في الرب	٦٤١٤
لا، حتى تذوق عسيلته	١٠٧٥	لا، فقلت: الله أكبر	٢١٥١
لا، حتى يذوق الآخر عسيلتها	١٠٧١	لا، لا، لا، الصدقة خمس	٧٥٦
لا، حتى يذوق عسيلتها	١٠٧٢ ، ١٠٧٤	لا، لو كنت أمراً بشراً أن يسجد	٤١٨
لا، حتى يكون الآخر قد ذاق من	١٠٧٠	لا، ليس ذلك بالبغي	٤٧٣
لا حسد إلا في اثنتين	١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٢٥	لا، ما أئنتم عليهم ودعوتم الله لهم	٦٧١٢
	١٩٤٥	لا، ما دعوتم الله وأئنتم عليهم	٧٣٤٢
لا حلف في الإسلام	١٩٥٠ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٥	لا نبوة بعدي إلا المبشرات	٥٤٠٩
	٤١١١	لا نذر ولا يمين فيما لا يملك	١٠٢٤
لا حول ولا قوة إلا بالله	٦٨٦٥	لا نكاح إلا بولي مرشد	١٠٩٦
لا رضاع بعد فصال	١١٠٢	لا نورث، ما تركنا فهو صدقة	١٠٠ ، ٤٤٦١ ،
لا رقية إلا من عين أو حمة	١٥٢٣ ، ٦٩٧٥ ، ٦٩٧٦		٦٧٠٦
لا سواء، وكنا مستضعفين مستذلين	٦٢٧٦	لا، النوم أخو الموت	٦٠١٢
لا شيء في الهام، والعين حق	٦٩٧٨	لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية	٩٥٦ ، ٧٥٣٢ ،
لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث	١٦٧		١٤٧١ ، ٧٥٣٣
لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه	٧٣٥٥	لا والذي نفسي بيده	٤٨٠٨
لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد	٤٩٥٣	لا وباء مع السيف ولا نجاء	٣١٥٢
لا صلاة لمن لا وضوء له	٥٤٧٨	لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما	٤٩٤٤
لا صلاة لمن لم يطع الصلاة	٥١٥٤ ، ٥١٥٥	لا وصية لوارث	٣٤٤١

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٧٢٢	لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم	٢٥١١ ، ٢٨٢	لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه
٥٧٧٠	لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا	٤٥٢٥	لا ، والله لا أكفر بمحمد ﷺ
٣٤٤٨	لا يحج بعد العام مشرك	٣٤١٧	لا ، والله لا تذرون منه درهماً
١٠٩٩	لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق	٢٥٧٥	لا ، والله ما يلقي حبيبه في النار
١١٠١	لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين	٥٨٥٩	لا ، وعم ذلك؟
٥٤٠٤ ، ٢٧٢٩	لا يحقر أحدكم نفسه	٤٢٤٠	لا ، ولا بزفرة واحدة
٢٦٨٠	لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى	٣٤٥٧	لا ، ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل
٥٢١١	لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن	٢٩٠٥	لا ، ولكنها كانت صلاة رغبة
٣٠١٣ ، ٣٠١٢	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد	٢٨٢٧ ، ١٤٧٩	لا ، ولو قلت نعم لوجبت
٤٢٥٨ ، ٢١٦٨ ، ٣٠١٤	لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح	٤٨٠٩	لا ، ومقلب القلوب
١٤٧٤ ، ٦٣٩	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن	١٧٠١	لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل
١١١٠	تحد	٧٢١٦	لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه
٦٦٨٤	لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين	٣٤٥٨	لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي
٣٣٦٣	لا يحل لي من غنائمكم مثل هذه	٣٤٨٢	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
٤٩٢٥	لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب	٦٤٦٤	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع
٣٣٩٨	لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل	٤٧٩٧	لا يا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق
٦٩٣٠	لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم	٥٣١٠	لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك
٧٠١٢	لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز	٤٥١٢	لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها
٣٤٥٠	لا يدخل الجنة إلا مؤمن	٣٥٠٧	لا يبقى على ظهر الأرض بيت
٣٤٥٥	لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة	٤٤٢١	لا يبقى ممن هو على وجه الأرض
٦٩٦٣	لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري	٣٦٥	لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين
٤٨٤٦	لا يدخل الجنة ديوث	٢٨٣٠ ، ٢٨٢١	لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً
٢٧٩١ ، ١٢١٠	لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن	٥٥٤٥ ، ٥٥٤٦	لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً
٦٩٥٦ ، ٦٩٥٥	لا يدخل الجنة قتات	٣٤٥٢	لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً
١٢١٢	لا يدخل الجنة مدمن خمر	٧١٣٩	لا يتكلم يومئذ إلا الرسل
٥٢٤٧ ، ٤١٩	لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة	١٧٩٤ ، ٧٣٧	لا يتم بعد احتلام
٢٧٩٢ ، ٢٧٩٠	لا يدخل الجنة منان ولا عاق	٥١٠ ، ١١٩	لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل
٦٩٥٧		٣٨٨٢ ، ٣٨٨١	
٦٩٦٥	لا يدخل الجنة ولد زنا	٣٨٨٤	لا يتمن أحدكم الموت ولا يدعون به
		٧٥٢٠ ، ٣٤٣٢ ، ٣٤٣٠	لا يتوارث أهل ملتين شتى

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
لا يدخل النار أحد شهد بدرأ	٤٥١٥	لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني	
لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة	٦١٥٤	قريظة	٥٣٣٧ ، ٢٢٤٦ ، ١١٥٢
لا يدخل النار إلا شقي	٧٣٢٥	لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة	٧٠٣
لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب	٦١٥٧	لا يصيب رجلاً خدش عود	٢١٤٠
لا يدخل مسجدنا بعد عامنا هذا مشرك	٣٤٩٨	لا يغرنكم أذان بلال ولا هذا البياض	٨٢٤ ، ٨٢٢
لا يدخلن علينا قسبة المدينة إلا مؤمن	٤٨٩	لا يفرك مؤمن مؤمنة	١٨٤٩
لا يدخلن هذا عليك	٤٩١٣	لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث	١٧٢
لا يذهب الليل ولا النهار حتى تعبد	٣٥٠٩	لا يقبل الله صدقة من غلول	٢٥٦٧
لا يرث الكافر المسلم	٤٦٨٠	لا يقبل الله صلاة امرأة تطليت	٤٩١٧
لا يرث المسلم الكافر	٣٤٣١	لا يقتل مسلم بكافر	٢٦٥٤ ، ٧٤٦
لا يرحم الله من لا يرحم الناس	٧٢٩٥	لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه	٤٢٦١
لا يركب البحر إلا غاز أو حاج	٤٠٣١ ، ٧١٦٤	لا يقربن الصلاة سكران	٢٠١١
لا يرى القوم فيكم غمزة	٦١٨٢	لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا	٤٤١٧
لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم	٢٥٧٤ ، ٤٩٧٣	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه	٦٦٧٢ ، ٦٦٧٠
لا يزال أمر هذه الأمة موافقاً	٤٢٢٢	لا يقولن أحدكم: ما شاء الله وشاء فلان	٣٩٠
لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج	٣١٣٧	لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه	٦٦٧٠ ، ٦٦٧٣
لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب	٥٢٤٩	لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة	٦٦٧١
لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل	٧٩٤	لا يمس القرآن إلا طاهر	٦٥٨٢ ، ٦٥٨١
لا يزال المؤمن معتقاً صالحاً	٢١٧٦	لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاً	١٩٣٤
لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر	٨٣١	لا يمنعكم أذان بلال عن سحوركم	٨٢٣ ، ٨٢٠
لا يزال فيكم سبعة، بهم تنصرون	١١٦٦		٨٢٥
لا يزال لسانك رطباً بذكر الله	٥٤١٩	لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة	٤٥١٨ ، ٤٥١٦
لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم	٧٩٣	لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله	
لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد	٣٧٠٥	الظن	٥٨٨٩ ، ١٤٩٤
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٢٧٩٤ ، ٥٣٧٩	لا يمين عليك، ولا نذر	١٠٢٩
لا يستوي القاعدون عن بدر	٢٢٠٨ ، ٢٢٠٧	لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا	٨٨٥
لا يشبع الرجل دون جاره	١٩٧٦	لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس	٦٩٧٤ ، ٤٦٢١
لا يشكر الله من لا يشكر الناس	٧٣٤٣		
لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح	٤٢٨٢	لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه	٢٧٣١
لا يصلح ردها	٢٧٨٢	لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً	٩٩٩

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٧١٩٠	لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة	١٠٠٥	لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها
٧٦٠٠	لعلك تهاونت بها؟ فما قمت تصلي	٥٢٥١	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر
٢٠٢٤	لعلك قبّلت أو لمست	٤٨٤٣، ٢٥٠١	لا يتكح الزاني المجلود إلا مثله
٢٧٣٩	لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم	٣٥٢٧	لا يوضع الدينار على الدينار
٤٩٨٣	لعلكم تأكلون متفرقين، اجتمعوا	٤٨٥٠	لاعنوا بينهم
٦٠٩٨	لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري	١٣	لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه
١٠٨٢	لعن آكل الربا وموكله	٤٥٠٥	لبث جبريل عن محمد ﷺ
٦٠٣٦	لعن أبا مروان ومروان في صلبه	٧٦٢١	لبث ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي
١٢٧١	لعن الله آكل الربا وموكله	٣٥٨٠	لبنة ذهب، ولبنة فضة
٥٢٧	لعن الله الزهرة	١٢٠١	لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة
٢٦٢٨	لعن الله السارق، يسرق البيضة	٣٦٤٠	لتأتينكم أجوركم ولو كنتم
١٠٨٠	لعن الله المحلل والمحلل له	٩٠٣، ٧١٢	لتأخذوا عني مناسككم
٢٢٦٧، ٢٢٦٧	لعن الله الواشمات والمستوشمات	٢٠٨٦	لتؤذن الحقوق إلى أهلها
٦٧٠٩		٢٦٤١	لتب هذه المرأة إلى الله
٢٩٩٦	لعن الله اليهود - ثلاثاً	٤٢٩٩، ٣٧٣٨	لتب كل أمة ما كانت تعبد
٤٣٦٩	لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا	٣٥١٠	لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة
١٢٧٠، ٢٩٩٧، ٢٩٩٣	لعن الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم	٧٢١٨	
٢٩٩٨	لعن الله اليهود، يحرمون شحوم	٧٤٦١	لتسألن عن هذا يوم القيامة، أخرجكم
٢٢٦٦	لعن الله من فعل ذلك	٧٤٦٢	
١٠٨٨، ١٠٨٦، ١٠٨٤	لعن المحلل والمحلل له	٣٠٥٨	لتعلم يهود أن في ديننا فسحة
٦٧٨٣	لعن النائحة والمستمعة	٤٨٩٨	لتغضن أبصاركم، ولتحفظن فروجكم
١٠٧٩	لعن الواشمة والمستوشمة	٢٣٤١	لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول
١٠٨٣	لعن صاحب الربا وأكله	٣٨٢٦	لجميع أمتي كلهم
٢٧٧٢	لعنت الخمر على عشرة وجوه	٤٠٤٥	لجهنم أبواب: باب منها
٢٧٧٣	لعنت الخمر وشاربها وساقياها	٥٢٠١	لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها
٦٤٨٩	لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا	٤٨٣٨	لحد يقام في الأرض خير لأهلها
٢٣٨٩	لقانيها رسول الله ﷺ فلقيتها	٢١٩٦	لحق المسلمون رجلاً في غيمة له
٦٠٧٠	لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمئة سنة	١٧٦٣	لرباط يوم في سبيل الله
		٤٢٥٩، ٢١٧٧	لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل
		٤٣٧٩	لسرادق النار أربعة جدر

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٢٠٦	لقد صدق الله قولك يا زيد	٥٠٣٦	لقد أصبح ابن مسعود! أو أمسى كريماً
٦٧١٩	لقد عجب الله عز وجل، من فلان	٥٠٣٧	
٣٨٧٢	لقد عجبت من يوسف وصبره	٥٦٢٥	لقد أعذر الله إلى عبد أحياء حتى بلغ ستين
٣٨	لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ	٥٦٣٠	لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب
٦٤٦٩	لقد قرأتها على الجن ليلة الجن	٣١٨٦	لقد أعطيت الليلة خمساً
٦٢٣٧	لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر	٤٩٠٧	لقد أنزلت سورة النور
٢٨٨٩	لقد لقيت من قومك، وكان أشد	٦١٢٣	لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلي
٣١٣٤	لقد مر به هود وصالح على بكرات	٤٦١٤	لقد أوتي هذا زمزماً من زمزير آل داود
٣٩٠٥	لقد هممت ألا أتعب هبة	٧٠٥١، ٥٥٥٦	
٣٦٣٧	لقد هممت ألا أقبل هدية	٦٦٩٣	لقد بلغ وعيد قریش منكم المبالغ
٧١٦٦	لقد هممت أن أنهى عن الغيلة	٢٢١٠	لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم
٤٥٢٨	لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله	٥٤٨١	لقد حجرت واسعاً
٢٨٧١	لقي أبو جهل فصافحه	٥٣٣٧	لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة
٢٨٥٢	لقي عيسى حجته، ولقاءه الله تعالى	٥٣٣٩	
٥٥	لقيت جبريل عند أحجار المراء فقلت	٥٣٣٧	لقد حكمت فيهم بحكم الملك
٣٢٣٣، ٢٣٣٨	لقيت ليلة أسري بي إبراهيم	١٣٥٧	لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل
٤٦٣٠، ٤١٦٩		٣٥٤٧	
٤١٧٤	لقيت موسى فإذا رجل حسبته	٣٦٣٣	لقد خلفتم بالمدينة أقواماً
٣٩٣٤	لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم	٣٦٣٥	لقد خلفتم بالمدينة رجالاً
١٤٣٤	لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة	٢٧٨	لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها
٦٦٤٢	لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة	١٩٨٠	لقد رأيت خيراً كثيراً هذا جبريل
٦٤٥٩	لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي	٤٤٥	لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم
١٩٠	لكل شيء حلية، وحلية القرآن	٤١٧٥	لقد رأيته في الحجر وقریش تسألني
٣٤٣	لكل شيء سنم، وإن سنم القرآن	١٦٣٠	لقد رأيته مع رسول الله ﷺ حين اشتد
٧٥٥١	لكل شيء نسبة، ونسبة الله	٦١٤٧	لقد رأيته يوم الشجرة والنبى ﷺ يبايع
٤٣٩٩	لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به	٥٢٧٦، ٤٤٤٧	لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير
٦٦٤١	لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة	٤٠٢٤، ٣٧٥٣	لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه
٢٩٥٦	لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه	٧٣٠٩	لقد سمعتها من رسول الله ﷺ
٣٤٩٠	لكن رسول الله ﷺ لم يفر	٢٥٨٧	لقد شهدت من المقداد مشهداً
٥١٧٠	لكني أشتيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أذك	٢٨٦١	لقد شيع هذه السورة من الملائكة

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
لكني أصوم وأفطر، وأصلي وإنام	٢٧٤٠	لم يخرج من بطون النحل	٦٠٩٣
للأبنة النصف ولأبنة الابن السدس	٢٣٨٧	لم يخرج من ضروع الماشية	٦٠٩١
للإيمان أثبت في قلوب أهله	٢١١٩	لم يرَ جبريل في صورته إلا مرتين	٦٣٥٤
للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله	٦٦٣٤	لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن	٨٨٢
للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور	٦٤٨٧	لم يطلق نساءه	٢١٥٢
للسائل حق وإن جاء على فرس ٧٣٩، ٦٣١٤		لم يقل لأحد: إنه من أهل الجنة	٦٠٢٨
للسائم عند إفطاره دعوة مستجابة	٧٩٩	لم يكذب إبراهيم غير ثلاث كذبات	٥٧١٢
للمملوك طعامه وكسوته	١٩٨٨	لم يكن يغزو في الشهر الحرام	٨٥٨
لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن	١٠٧	لم يكن شيء أحب إليه من النساء	١٣٧٨
لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه	٥٩٣٢	لم يكن على شيء من النوافل أشد	٦٣٤٦
لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم	٥٩٣٣	لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت	٥٤٤١
لله خمسها، وأربعة أخماس للجيش	٣٣٦٠	لم يكن للطلاق وقت	١٠٤٠
لله مئة رحمة، عنده تسعة وتسعون	٣١٦٨	لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها	٤١٩٥
لله مئة رحمة، فقسم منها جزءاً	٣١٦٩	لم يمض حتى أحل الله له أن يتزوج	٥٤٤٧
لله ملك موكل بالميزان	٤٨٢١	لم يمض حتى تعلم الكتابة	٥١٦٢
لم! أصلي فأتوضاً	٢٥٠٩	لما ألى من نسائه	٥٩٦٦
لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزاة	٣٦٩٩	لما أنزل صوم رمضان كانوا لا يقربون	٨٠٣
لم أره بعيني، ورأيت بفؤادي مرتين	٦٣٧١	لما أجمعت قريش المسير	٣٣٨١
لم ارتفعت أصواتكم؟	٢١٣٩	لما أراد أن يأتي مكة أسراً إلى ناس	٦٧٣٥
لم تحل الغنائم لسود الرؤوس	٣٤١٢	لما أراد الله حبس يونس	٤٦٢٠
لم ترع لم ترع، ولو أردت ذلك	٢٧١٤	لما أسر الأسارى يوم بدر	٣٤٠٨
لم تعصرها الرجال بأقدامها	٦٠٩٢	لما أسري بالنبي إلى المسجد الأقصى	٤١٧٨
لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون	٧٠٣٦	لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى	٦٣٨٩
لم تكن فتنة الأرض منذ ذرأ الله	٢٢٤٠	لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به	٦٣٨٨
لم لطمت وجهه؟	٣١٦٠	لما أسري برسول الله ﷺ مضى به جبريل	٧٤٩٩
لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي	١٠٦	لما أسري به فأنتهى إلى سدره المنتهى	٤١٦٧
لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا بلغه	٣٩٨٠	لما أسري بي مرت بي راتحة	٤١٦٥
لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض	١٦١١	لما أصيب إخوانكم بأحد	١٦٧٤
لم يتعوذ المتعوذون بمثلها	٥٤٥	لما اعتزل نساءه دخلت المسجد	٦٨٩٨
لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة	١٤٢٥	لما اعتمر سترناه من غلمان المشركين	٦١٨٥

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٢٠١	لما خلق آدم مسح ظهره	٥١٧٣	لما افتتح مكة ذهب عكرمة فاراً منها
٧١٤٢ ، ١٢٢٨	لما خلق الله الأرض جعلت تميد	٣٣٧٣	لما التقى الناس يوم بدر
٣٠٦٤	لما خلق الله الخلق كتب في كتاب	١٣٣٨	لما انتهى به إلى سدره المتهى
٣٢٠٤	لما خلق الله الخلق وقضى القضية	٤٦٠٧	لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار
٤٧٦٦	لما خلق الله جنة عدن بيده، ودلى	٥٣٣٠	لما أن رجع من أحد صعد المنبر
٧٧٦٥	لما خلق جنة عدن خلق فيها ما لا عين	٣٠١٧	لما أنزل الله (ولا تقربوا مال اليتيم)
٥٥٩٢	لما دخل المسجد الحرام يوم الفتح	٤٩٠٥ ،	لما أنزل الله : (وليضربن . . .) شققن
٦١٨١ ، ٦١٨٠	لما دخل مكة في عمرة القضاء	٤٩٠٨	
٦١٥٢	لما دعا الناس إلى البيعة وجدنا رجلاً	٨٠٣	لما أنزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
٧٥٤٥	لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب	٧٤٦٨	لما أنزلت هذه الآية : (ثم لتسألن . . .)
٤٢٣	لما ذاق آدم من الشجرة فر هارباً	٤٢٦	لما أهبط الله آدم إلى الأرض طاف
٣٧٩٦	لما سأل هرقل أبا سفيان	٥٧٤٩	لما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس
٢٥٨٤	لما سار إلى بدر استشار	٦٤٩	لما بلغ خمساً وثلاثين سنة
٣٢٧٦	لما سمع بأبي سفيان مقبلاً من الشام	٣١٥٩	لما تجلى الله للجيال طارت
٣٢٧٤	لما شاور في لقاء العدو يوم بدر	٣١٦٢	لما تجلى الله لموسى كان يبصر
٤٤١٢	لما ظهر موسى وقومه على مصر	٣١٥٥	لما تجلى ربه للجبل أشار بإصبعه
٤٦١٨	لما عافى الله أيوب أمطر عليه	٥٤٥٥	لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم
٦٧٥٤	لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساء	٦٢٨٥	لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق
٤١٣٨	لما عرج بي إلى ربي عز وجل	٣٣٨٠	لما تواقف الناس أغمى على رسول الله
٦٢٤٨	لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار	١٨٥٨	لما توفي أبو قيس بن الأسلت
١٦٩٦	لما عمد لموعد أبي سفيان	١٧٠٤	لما توفي وجاءت التعزية جاءهم آت
٦٧٢٩	لما عمل له المنبر	٤١٤٥	لما جاء جبريل إلى رسول الله بالبراق
٢٧١٢	لما غزا بني أنمار نزل ذات الرقاع	٣٢٢٤	لما جاء جبريل في صورة أعرابي
٦٣٩٥	لما فتح مكة بعث خالد إلى نخلة	٢٦٧٣	لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ
٣٤٨٧	لما فرغ من فتح مكة وتمهدت	٢٤١٠	لما حج بات بذى الحليفة
٧٣٤٩	لما فرغت مما أمرني الله به	٢٧٩٥	لما حرمت الخمر
٣٧٦٦	لما قال فرعون : (أمنت أنه . . .)	٢٩٤٢	لما حضر أبا طالب الموت
١٦٧٣	لما قتل أبي يوم أحد	٥١٢٢ ، ٥١٢١	لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه
٣٥٨٧	لما قدم ﷺ أخذني قومي	٣٧٩٨	لما حمل نوح في السفينة
٥٦٧	لما قدم أهل نجران من النصارى	٤٧٤٣	لما خرج من مكة ، قال أبو بكر

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٧٨١ ، ٢٧٥٨ ، ٩٥٩	لما نزل تحريم الخمر	٦٩٠	لما قدم المدينة صلى نحو بيت المقدس
٦١٨٢	لما نزل مر الظهران في عمرته	٧١٨٨	لما قدم المدينة كانوا من أخبث الناس
٥٧٧٨	لما نزلت (ثم إنكم يوم القيامة...)	٦٨٢٩	لما قدم المدينة يعني مرجعه من أحد
٣٥٩٩	لما نزلت آية الصدقة	٣٧٢٥	لما قدم ضمَام على رسول الله ﷺ
١٢٦٩	لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة	٣٤٢٣	لما قدم عليه مال البحرين ثمانون
١٨١٦	لما نزلت الفرائض التي فرض الله	١٧٣٦	لما قرأ جعفر «كهيعص» بحضرة النجاشي
٣٤٥٣	لما نزلت عشر آيات من براءة	٢٨٨٦	لما قضى الله الخلق، كتب
٧٥٣٠	لما نزلت نعت إلى رسول الله ﷺ نفسه	٣٤٤٩	لما قفل من حنين اعتمر من الجعرانة
٤٩٠٦	لما نزلت هذه الآية: (وليضربن...)	٤٦٤٦	لما قفل من غزوة العسرة
٥٠٧٣ ، ٥٠٧١	لما نزلت: (والشعراء...)	٦٨٤٠	لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف
٩٦٥	لما نزلت: (ولا تقربوا مال اليتيم)	٧٥٤٠	لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم
١٨٦٩	لما نكح امرأة زيد، قال المشركون	٤١٤٧	لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ
٦٧٣	لما هاجر إلى المدينة أمره الله	٤١٦٦ ، ٤١٥٥	لما كان ليلة أسري بي
٦٨٥	لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر	٤١٣١	لما كان يوم أحد قتل من الأنصار
٢٧١٧	لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي	١٦٦٥	لما كان يوم أحد من العام المقبل
٦١٠	لما وقف يوم فتح مكة عند مقام	١٦٠٤	لما كان يوم أحد هزم المشركون
٣٢٣٨	لما ولدت حواء طاف بها إبليس	٦١٦٤	لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله
١٧٠٦	لموضع سوط أحدكم في الجنة	٣٢٧٨	لما كان يوم بدر جعل يناشد ربه
٤٩٧٥	لن تغربوا إلا يسيراً حتى يجلس	٣٣٠٥	لما كان يوم بدر، سمعنا صوتاً وقع
٥٣٣٥	لن تغربوا قريش بعد عامكم هذا	٥١٨١	لما كان يوم بدر، ظهرت الروم
٧٦٠٥	لن تقرأ شيئاً أنفع عند الله من	٢٢٩٧	لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة
٥٦٢٢	لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة	٤١٥٦	لما كذبتني قريش حين أسري بي
٧٠٤٣	لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم	٢٣٦٧	لما كلم الله موسى كان يبصر
٧٣٥٣ ، ٧٣٥٢	لن يغلب عسر يسرين	٢٣٦٩	لما كلم الله موسى يوم الطور
١٩٥٩	لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة	١٧٤١	لما مات النجاشي
٢٤٤٦	لن يلج الدرجات من تكهن	٣٦٢٤	لما مات رأس المنافقين بالمدينة
٤٥٨٠	لن يلج النار أحد صلى قبل	٣١١٥	لما مرض أبو طالب قالوا له
٢٧٢٥ ، ٦٩٢٩	لن يهلك الناس حتى يعذبوا من أنفسهم	٤٦٩٤	لما نحر هديه أمر من كل بدنة
٧٤٨٥	له أجران: أجر السر وأجر العلانية	٣١٢٦	لما نزل بالناس على تبوك
		٢٠٨٧	لما نزل بمكة واطمأن الناس

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٩٣٣	لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله	٥٠٩١	لها ثلاث خرجات من الدهر
١٥٨٣	لو أنكم تكونون على كل حال على الحال	٢١٧٨	لو اجتمع أهل السموات والأرض
٥٧٧٧		١٦٣٧	لو اجتمعا في مشورة
٢٨٢٢	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً	٦٨٧٩	لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها
٥٨٥٩	لو تعلمون ما أعلم بكم كثيراً وضحكتم	٤٩٦٦	لو أدرك ما أحدث النساء لمنعهن
٥٧٣٩	لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها	٣٨٥٠	لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه
٧٣٥٠	لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر	٣٨٣	لو أعلم أنني لو زدت على السبعين
٧٣٥١		١٢١٧	لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطى
٤٤٨٧	لو جاء مال البحرين أعطيتك	١٠١٧، ٢٨٥	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله
٦٠٥٥	لو خرجت لم آمن أن يخطفك بعضهم	٤٢٩٤	
٢٠٩٥	لو دخلتموها ما خرجتم منها	٣٦٥٠	لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء
٤٥٦٣	لو دعيت إلى ذراع لأجبت	٦١٩٢، ٥٢١٤	
٧٣٦٧	لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً	٤٨٨١	لو أن أمراً أطلع عليك بغير إذن
٦٠٦٣	لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة	٢١٢١	لو أن الله كتب ذلك لكان هذا
٤٨٥٧	لو رأيت مع أم رومان رجلاً	٢٩٣٨	لو أن الجن والإنس والشياطين
٦٣٣٢	لو رأيت مكانهما لأبغضتهما	٦٠٠٦	لو أن حوراء بزقت في بحر لجي
٥٧٥٧	لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي	٥٧٦٦	لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا
١١٤	لو رأيتموني وأنا أستمع قراءتك	٥٩٦٤، ٤٠٥	لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
٧٠٣١، ٣٨٠١	لو رحم الله من قوم نوح أحداً	٢٩٩	لو أن الدنيا كلها بحذافيرها في يد
٤٩٩٦	لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب	٤٦٨٢	لو أن رجلاً أراد فيه بالحاد بظلم
٤٦٧٦	لو ضرب الجبل بمقمع من حديد	٤٨٢٦	لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال
٢٤٤٣	لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك	٥٩٧٩	لو أن رجلين تحابا في الله
٥٩٦٥	لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة	٧٠١٥	لو أن رصاصة مثل هذه، أرسلت
٦٨٠٥، ١٤٣٥	لو فعل لأخذته الملائكة عياناً	٣٦١٢	لو أن شرارة بالمشرق لوجد حرها
٧٣٦٥		٤٤٩٨	لو أن صخرة زنة عشر أواق
٦٥٨٩	لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا	٧٢٧٦	لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد
١٤٨٠	لو قلت: نعم لوجب	٢٢٤	لو أن القرآن جعل في إهاب
٦٨٠٢	لو كان الإيمان عند الثريا لنال رجال	١٤٩٢	لو أن قطرة من الزقوم قطرت
٥١٦٥	لو كان القرآن في إهاب ما أحرقت النار	٤٦٧٥	لو أن مقمعا من حديد وضع
٣٣٣٩	لو كان المطعم حياً ثم سألني	٥٠٨	لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٤	ليؤم القوم أقرؤهم	٣٦١٣	لو كان في هذا المسجد مئة ألف
٣٥٠٦	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل	٥٥٠	لو كان لابن آدم واديان من ذهب
٢٧٠٥	ليت رجلاً صالحاً من أصحابي	٢٧٠٠	لو كان محمد ﷺ كاتماً
٥٩٣	ليت شعري ما فعل أبوي	٤٤٢٠ ، ١٤٥٥	لو كان موسى وعيسى حين
٣٥١٥	ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً	٢٧١٤	لو كان هذا في غير هذا المكان
٤٦٣١ ، ٦٥٦	ليحجن هذا البيت وليعتمرن	٥٩٦٨	لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
٤٩٦٣	ليخرجن وهن ثقلات	٥٤٠٠	لو كنتم محمد ﷺ شيئاً مما أوحى الله
٦٣٤٩	ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي	٣٨٧٨ ، ١٩٦٤	لو كنت أماً أحداً أن يسجد لأحد
١٥١٦ ، ١٥٢٢	ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً	٣٨٧١	لو كنت أنا لأسرعت الإجابة
٥٨٢٣ ، ١٥٢٢	ليراجعها، ثم يمسكها حتى تظهر	٥٨٠١	لو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذبون
٦٨٥٧ ، ٦٨٥٦	ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم	٣٨٦٩	لو لم يقل، يعني يوسف، الكلمة
٣٢٦٤	ليس أولئك عنيت	٦١٦٢	لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف
٦٧٧٣	ليس الخبر كالمعاينة	٢١٢٠	لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم
٤٥٥٨ ، ٣١٦٤	ليس السن والظفر	٤٠٥٣	لو يعلم العبد قدر عفو الله
٢٤٣٤	ليس الشديد بالصرعة	٣٠٥	لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة
١٥٦٧	ليس الغنى عن كثرة العرض	٣٠٦٣	لوح من نور، وقلم من نور يجري بما
٧٣٣٨	ليس الفجر المستطيل في الأفق	٦٩٣٩	لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي
٨٢١	ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس	٥٦٤٧	٦٩٢٦ ، ٦٩٢٥
٢٢٦٣	ليس المسكين الذي ترده التمرة	٣٤٦٩	لولا أن الرسل لا تقتل ضربت
١٢٣٨ ، ١٢٣٧	ليس المسكين بالطواف	٦٥٠	لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر
٣٥٥١ ، ١٢٣٥ ، ٧٣٨	ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد	٤٧٩ ، ٤٧٨	لولا أن بني إسرائيل قالوا
٦٣١٥ ، ١٢٣٩	ليس بالكذاب من ينم خيراً	٦٤٥	لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية
٥٥٦٥	ليس ذلك الكبير، إنما الكبير أن تسفه	٧٤٣٦	لولا أنكم تخطئون وتذبون فيغفر الله لكم
٥٣٩	ليس ذلك لك ولا لقومك	٥٨٠٠	لولا أنكم تذبون لخلق الله قوماً يذبون
٥٢١٦	ليس ذلك النفاق	٦٤٧	لولا حادثة عهد قومك بالكفر
٣٩٣٤	ليس عدوك الذي إن قتله كان نوراً لك	٣٩١٠	لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحداً العيش
٦٩٣٢	ليس على أمية حد حتى تحصن	٥٩٠٥	ليأتين على الناس زمان عضوض
٦٨٥١		١١١٥	ليأتين على الناس ليلة تعدل
١٨٨٥		٣٠٣٧	

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٦٨٢ ، ٦٦٧٩	لييني منكم أولو الأحلام والنهى	٤٢٨١	ليس على أهل «لا إله إلا الله» وحشة
١١٢٠	ليتنهين رجال أو لأحرقن بيوتهم	٥٦٢١ ، ٥٦٢٠	
٢٣٣١	ليهلن عيسى ابن مريم بفتح	٤٧٣٩	ليس في المال حق سوى الزكاة
١١٧١	ليهنك العلم يا أبا المنذر	٧٠٣٥	ليس كذلك، ولكن الله إذا قضى الأمر
	- الميم -	٢٩٢٥	ليس كما تظنون، إنما قال لقمان
٤٢٢٤	مأزورات غير مأجورات	٦٨٥٨	ليس لك عليه نفقة
٧٤٧٥	مؤصدة: مطبقة	٥٢١٧ ، ٣٢٠٧	ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته
٦٦٣٠	مؤمنو أمتي شهداء	١٩٦١	ليس له ذلك
٧٠٦٩	مئة آية	٧٧٥	ليس من البر الصيام في السفر
٥٦٨٤	ما أبالي ما أتيت إن أنا شريت ترياقاً	٥٣٠٦ ، ٥٣٠٢	ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه
٦٧١٨	ما أبقيت لأهلك؟	٤١٨٩	ليس من عمل يوم إلا وهو يختم
٧٤٦١	ما أجلسكما ها هنا؟	١٣٨٤	ليس من فرس عربي إلا يؤذن له
٢٠٥٩	ما أحب أن لي أحداً ذاك عندي ذهباً	٦٣٢٧	ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها
٥٧٩٥	ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية	٦٧٨٠	ليس منا من ضرب الخدود
٦٢٣٧	ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا	٤٠٦٣ ، ١٢٠ ، ١١٢	ليس منا من لم يتغن بالقرآن
١٢٧٤	ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة	٧٠٥٠	
٥٠١٩	ما أحسن القصد في الغنى	٣٠٤٢	ليسوا منك، هم أهل البدع
٥٨٦٤	ما أحسن معحسن من مسلم أو كافر	١٣٧٢ ، ١٣٧١	ليظهرون الإيمان حتى يرد الكفر
٤٥١٠	ما أحل الله في كتابه فهو حلال	٢٩١٢	ليكونن في هذه الأمة قذف
٢٦٣٥	ما إخاله سرق	٤١٣٤	ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد
٦٣٥١	ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي	٤١٦٢	ليلة أسري بنبي الله ﷺ دخل الجنة
٦٠٦٨	ما أخذك أحد يعشيك؟	٤٢٦٩	ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى
٧٤٦٠	ما أخرجك هذه الساعة؟	٤١٣	ليلة أسري به سمع تسبيحاً
٥٩٩٩	ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا؟	٤١٤٠ ، ٤١٤١	ليلة أسري به مر على موسى
٦٠٠٤	ما أدري تبع نبياً كان أم غير نبي	٤١٧٠	ليلة أسري به من المسجد الحرام
٣٥١١	ما أدري زكاته فليس بكنز	٢٣٥١	ليلة أسري بي لقيت موسى
٤١	ما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي	٢٣٢٥	ليلة الضيف واجبة على كل مسلم
٣٦٧	ما استفاد المرء بعد تقوى الله خيراً	٧٣٧٨	ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن
٦١٩١	ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها	٧٣٨٥ ، ٧٣٨٦	ليلة القدر ليلة أربع وعشرين
٦١١٧	ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى	٧٣٧٩	ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣١٩٥	ما بال أقوام يتناولون الذرية	٤١٧٩	ما أسري برسول الله إلا وهو
٢٧٤١	ما بال أقوام يقول أحدهم كذا	٣٦٠٧	ما اسمك؟
١٦٤٩	ما بال العامل نبهته فيجيء فيقول	٣٢١٥	ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن
٦٨٣٣	ما بال دعوى الجاهلية؟!	٥٩٣٩	ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء
٤٨١٧	ما بال رجال يقولون: إن رحم	١٨٥٠	ما أصدق امرأة من نسائه
٢٤٧٤	ما بالهم وبال الكلاب	١٥٩١	ما أصر من استغفر
٣٤٥٤	ما بدا لي أن أذهب بها أنا أو تذهب	٤١٢	ما اصطفى الله لملائكته: سبحانه الله
٥١٧٥	ما بضع سنين عندهم؟	١٩٨٦	ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة
١٥٤٥	ما بعث الله من نبي ولا استخلف	٧٢٨	ما أطعمته إذ كان جائعاً
٥٣٩٧	ما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا	٦٢٢٧	ما أطيبك وأطيب ريحك
٣٧١٠	ما بقي شيء يقرب من الجنة	٦٢٧١	ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا
٤٣٣٩	ما بي ما تقولون، ما جئتمكم بما	٦٦٥٣	ما أعلمك إلا قد حرمت عليه
٥٦٣٥	ما بين الخمسين إلى الستين	٦٤٢٤	ما أعماركم في أعمار من مضى
٥٨٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨١	ما بين المشرق والمغرب قبله	٤٩٤٢	ما أمرت بتشيد المساجد
٦٨٧ ، ٥٨٤		٥٥٦٤	ما أمرت فيهم بشيء بعد
٧١٣٣	ما بين النفتين أربعون	٢٤٧٢	ما أمسك عليك فكل
٥٨٣١	ما بين مصراعين من مصاريع الجنة	٥١٩٦	ما أنا عليه وأصحابي
٢٦٤٢	ما تجدون في التوراة في شأن الرجم	٥٩٤٣	ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرما
١٥٧٨	ما تجرع عبد من جرعة أفضل	٤٤٠٧	ما انجاب ماء منذ كان الناس
٣١٢٨	ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم	٥٢٤	ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء
١٧٩٢ ، ١٧٩١	ما تراضى عليه أهلهم	٢٣٩	ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل
٩٧	ما ترك إلا ما بين الدفتين	٦٥٨٥	ما أنزل الله من السماء من بركة إلا
٩٨	ما ترك ديناراً ولا درهماً	٢٩٨	ما أنعم الله على عبد نعمة فقال
١٣٧٥	ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال	٤٣٨٤	ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل
٤٣٦٨	ما تركت شيئاً يقرىكم إلى الجنة	٤٧٢٠	ما أنفقت الورق في شيء أفضل
٦٦٨٨	ما ترى؟ دينار؟	٢٤٣٢ ، ٢٤٣٥	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه
٢٩٤٢	ما تريدون؟	٢٩٥٥ ، ٢٤٤١	
٥٨٤٥	ما تسمون هذه؟	٥١١٨	ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء
٤٨٢٩	ما تعبد؟	٥١٩١	ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم
٣٨٠٨	ما تقول؟	٢٧٤٧	ما بال أقوام حرموا النساء والطعام

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦١٣٠ ، ٥٩٤٩	ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً	٥٠٢٣ ، ١٩٧٧	ما تقولون في الزنا؟
١٩٧٤ ، ١٩٧٣	ما زال جبريل يوصيني بالجار	٣٤٠٧	ما تقولون في هؤلاء الأسارى
٥٠٥	ما زالت أكلة خيبر تعاودني	١٠٥٧	ما تقولين؟
٧٤٥٩	ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت	١٤٢٤	ما تكلم مولود في صغره إلا عيسى
٧٦٠٣	ما سأل سائل بمثلها، ولا استعاذ مستعيز	٢١٣	ما تنقم أن ابنك يظل ذاكراً
٥٨٠٥	ما سألتني عنها أحد قبلك يا عثمان	٥٢٦٤ ، ٥٢٧٠	ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل
٣٧٥٤	ما سألتني عنها أحد قبلك، الرؤيا	٥٥٠٥	ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه
٤٩٤١	ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا	٥٦٨٠	ما جمع بيت شعر قط
٢٩٨٧	ما سقط من السنب	٥٠٤٠	ما حاجتك؟
٥٧٦١	ما سمعت رسول الله ﷺ دعا إلا	٤٥٠٧	ما حبسك يا جبريل؟
١١٨٩	ما السموات السبع في الكرسي إلا	٣٣٦	ما حسدتكم اليهود على شيء ما
٤٨٠٦	ما السموات السبع والأرضون	٥٢٤٢	ما حسن الله خلق رجل وخلق
٣٩٠٧ ، ٦٨٨٣	ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن	٦٢٧٩	ما حفظت (ق) إلا من في رسول الله ﷺ
١٠٥٢	ما شأنك؟	٧٥٢	ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي
٦٢٥٠	ما صامتا، وكيف صام من ظل يأكل	٣٥٦٣	ما حملك على الذي قلت؟
٢٨١٣	ما صدمته وهو حي فمات	٥٩٤٨	ما حملك على ذلك؟
٣٧٠٢	ما ضر ابن عفان ما عمل	٦٧٣٥ ، ١٧٠٣ ، ٨٤٨	ما حملك على ما صنعت؟
٦٩٥٢	ما ضرب بيده خادماً له قط	٦٦٥٥	ما حملك على هذا يرحمك الله؟
٥٩٧٦	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا	١٨٠٣	ما خالطت الصدقة مالا
٥٩٧٧	ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول	٦١٧٣ ، ٧٤٧٦ ، ٦١٧٤	ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق
٢٤٦٩	ما طعامكم؟	٢٧٣٥	ما خلا يهودي قط بمسلم إلا هم
٧٢٢٢	ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل	١٢٣١	ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر
٥٠١٨ ، ٤٢٥٣	ما عال من اقتصد	٥١٧٦	ما دعاك إلى هذا؟
٦٨٢١	ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ	٣٧٩٧	ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا
٦٨٢٠	ما على أحدكم لو اشترى ثوبين	٣٥٣٦	ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل
٧٩١	ما على ظهر الأرض من رجل يدعو الله	٣٩٤٣	ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل
٥٣٨٩	ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له	٦٠٤٠	ما رأيت رسول الله ﷺ متجمعا ضاحكاً
٤٧١٩	ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً	٣٣٨٣	ما رئي إبليس في يوم هو فيه أصغر
٤٦٨٩	ما العمل في أيام أفضل منها في هذه		

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٨٠٥	ما كنت خليقاً أن تفعل	٦٠٧٦	ما عندك يا ثمامة؟
١٨٠٠	ما كنت ضارباً منه ولدك	٦٠٤٣	ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع
٧٠٣٥	ما كنتم تقولون في هذا؟	٧٠٠٣	
٥٥٧٣	ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا	٣٦٩٩	ما فعل كعب بن مالك
١٥٦٨	ما لك من مالك إلا ما قدمت	٩٨٠	ما فوق الإزار
٦٨٥٩	ما لك ولا بنة آل قيس	٩٨١	ما فوق الإزار، والتعفف عن ذلك أفضل
٥٤٨٣	ما لك يا عبد الرحمن	٧٤٧٢	ما فوق الإزار، وظل الحائط وجر الماء
٢٧٤٧	ما لك يا عثمان؟	٧٠٨٦	ما في السموات موضع قدم ولا شبر
٢١٤٥	ما لكم تضربون كتاب الله بعضه	٦٥٤١	ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب
٦٨٨٤	ما لكم لا تتكلمون؟	٧٠٨٨	ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه
٥٣٧٣	ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال	٣٨٣٩	ما قال عبد: لا إله إلا الله، في ساعة
٥٩٤٤	ما له؟ تربت يمينه	٥٥٤٨	ما قام على المنبر إلا سمعته يقول
٦٠٧٢	ما لي أراكم سكوتاً! للجن كانوا أحسن منكم	٥١٣٨	ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم
٧٠٢٨، ٧٠٢٧	ما لي أراكم عزيزين؟	٥٨٩٠	
٦٤٧٠	ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم	٤٧٢٩	ما قطع من البهيمة وهي حية
١٢٨	ما لي في النساء من حاجة	٢٨١٩	ما قل وكفى خير مما كثر وألهى
١٦٥٥	ما لي فيه إلا مثل ما لأحدكم	٥٦٨	ما كان أحد يصد عن هذا البيت
٧٣٣٥	ما لي والدنيا؟ ما أنا والدنيا؟ إنما مثلي	٦٦٢٦	ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله
٥٤٤٦	ما مات حتى أحل الله له النساء	٣٢٨٥	ما كان فينا فارس يوم بدر غير
٤٦٨	ما مثل هذه الثنية الليلة، إلا كمثل	١٩٤٩	ما كان من الجاهلية لم يزد الإسلام
٩٢٢	ما مررت على الركن إلا ورأيت	١٩٥٢	ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا
٦٥٧٩	ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط	١٩٥٦	
٥٠٨٩، ٣٢٢٤	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	٢٤٨٢	ما كان من كلب ضار أمسك عليك
٧١٤٣، ٧٠٤٠، ٥٩٠٦		١١	ما كان يفسر شيئاً من القرآن
٦٥٨٨	ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها	١٦٧٥	ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب
٣٠٩٧	ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه	٥٩٥٨	
٤٤٧٠	ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ	٥٢٩٥	ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد
١٩١٥	ما من أحد يشرب الخمر	٧٨٣	ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله
٤٤٦٨	ما من أحد يلقي الله يوم القيامة إلا	٨٧٤	ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا
٥٢٠٦	ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم	٢١١٦	ما كنت أظن أن يجتريه عمر

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ما من أمير عشرة إلا ويؤتى به	١٣٨ ، ١٣٧	ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه	٧٠٢١
ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب	٤٦٩٠	ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف	١٢٠٨
ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله	٧٢٦٤	ما من عبد أذنب فقام فتوضأ	٢٢٦٠
ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش	٥٨٥٧	ما من عبد إلا وله في السماء بابان	٥٩٩٦
ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه	٥٢٠٣	ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول	٧٠٤
ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع	٥٩٦٠	ما من عبد قال : لا إله إلا الله	٢٠٥٨
ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً	٦٢٦٠	ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله	١٦٩٩
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن	٥١٦٦ ، ١٥	ما من عبد مؤمن يتوب	١٨٣٤
ما من بعير إلا في ذروته شيطان	٥٩٦٢	ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ	٢٠٢٩
ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام	٦٦٩٠	ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا	٤٢٢٧
ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل	٧١٨٤	ما من عبد يصلي الصلوات الخمس	١٩٠١
ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان	٧١١٥	ما من عبد يقول : حسبي الله	٣٧١٧
ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته	٢٥٩٩	ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب	١٤١٤
٣٧٢٨ ، ٤١٠٥ ، ٦١٠٧		ما من غداة من غدوات الجنة	٤٥٠٢
ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق	٥٢٤٤	ما من قلب إلا وهو بين أصبعين	٣٣١٤
ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله	٤٢٥٧	ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله	٤٣٧٧
٥٠٢٤		ما من قوم جلسوا مجلساً لم يذكروا الله	٥٤٢٢
ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه	١٧٠٢	ما من قوم يعملون بالمعاصي	٣٣٢٥ ، ٣٣٢٤
ما من رجل قرأ القرآن فنسيه	٤٥٧٧	ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون	٥٥٠٦
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله	٣٥٢٠	ما من قوم يكون بين أظهرهم	٢٦٩٣
ما من رجل يتوضأ فيغسل	٢٥٦٣	ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث	٣٦٢٨
ما من رجل يجرح من جسده	٢٦٦٤	ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به	٥٣١١
ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ	١٥٨٤	ما من مسلم ولا مسلمة يصاب مصيبة	٧٠٥
ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس	٥٢٠٧	ما من مسلم يتوضأ فيحسن	٢٥٦١
ما من رجل يكون في قوم	٢٦٩٤	ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة	٧٩٠
ما من رجل يموت وعنده أحمر	٣٥٢٦	ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ	٣٨١٩ ، ٢٢٥٩
ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه	٥٧٢٩	ما من مسلم يشاك شوكه فما فوقها	٤٠٦
ما من شيء أثقل في الميزان من خلق	٥٢٣٧	ما من مسلم يصاب بشيء في جسده	٢٦٦١
ما من شيء أكرم على الله يوم القيامة	٤٢٩٨	٢٦٦٢	
ما من شيء يصيب المؤمن في جسده	٥٩٤٠	ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة	٤٨٩٧

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٧٥٢	ما هذا الذي أرى وسطهن؟	٤٦٥٨ ، ٤٦٥٩	ما من معمر يعمر في الإسلام
٣٦٥٩	ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم	١٤٠٨	ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان
٣٨٥١	ما هذا في يدك يا عمر	٥١٩٠	ما من مولود يولد إلا على الفطرة
٣٨٠٠	ما هذا من الصوم	١٤٠٧	ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان
٣٢٤٢	ما هذا يا جبريل	٦٨٤٤	ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك
٣٨٧٨	ما هذا يا معاذ	٤٧٩١	ما من نبي إلا رعى الغنم
٣٧٦٩ ، ٤٥١	ما هذا اليوم الذي تصومون	٣٩٦ ، ٣٧٤٠ ، ٤٥٩١ ، ٣٩٥٨ ، ٥١٦٣	ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله
٤٤٤٦ ، ٦٦٥٩	ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟	٢١٢٢	ما من نبي يمرض إلا خير
٥١٧٨	ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث	٢٠٦٢	ما من نفس تموت لا تشرك بالله
٣٠٦٦	ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم	١٦٧٠	ما من نفس تموت لها عند الله خير
٩٦٨	ما هي؟	٧٣١٤	ما من نفس مبنوسة إلا كتب مكانها
٢٢٨٠	ما هي يا عائشة؟	٣٧٣٢	ما من يوم طلعت فيه شمس
٧١٨٠	ما ولد لك؟	٧٣١٩	ما من يوم غربت فيه شمس إلا
٧٤٣٦	ما يبيحك يا أبا بكر؟	٤٢٤٩	ما من يوم يصبح العباد فيه
٣٣٣٦	ما يبيحك يا بنية؟	٤٠٦٠ ، ٣٣١١ ، ٢٣٦	ما منكم أن تأتيني
٤٥٨٤ ، ٢٤٥١	ما يبيحك يا عمر؟	٢٣٨	ما منكم أي أبي إذ دعوتك أن تجييني
١٩٨٣	ما يحملكم على ذلك؟	٧٣١٣	ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده
٤٢٥٢	ما يخرج رجل صدقة حتى يفك	٣٩٢٠ ، ٧٦٢٣	ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه
٦٧٣٧	ما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع	٤٧٧٧	ما منكم من أحد إلا وله منزلان
٣٥٢١	ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً	٥٨٢٨ ، ١٥٨٥	ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ
٦٢٥٦	ما يصنع أصحابك بالآدم؟	٣٩٥٣	ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا
٢٢٨٦	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب	٥٥٢١	ما منكم من أحد يسلم علي إلا رد الله
٢٧٤٧	ما يضحكن؟	٢٥٤٩	ما منكم من أحد يقرب وضوءه
٣٨٠٩	ما يقول؟	٥٧١٤	ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله
٤٥٠٣	ما يمنعك أن تزورنا أكثر	٤٥٠٦	ما نزلت حتى اشتقت إليك
٣٦٩	ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين	٦٤٥٤	ما نزلت هذه الآيات إلا في أهل القدر
٥٧٢٣	ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس	٤٢٥٠ ، ٢٣٢٧	ما نقص مال من صدقة
٢٦٨٢	ما ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه	٣٦٦١	ما هذا الذي أثنى الله عليكم
١٥٥٠	ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته		

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
ماء كالمهل، قال: كعكر الزيت	٤٣٨١	مثل المنافق كمثل الشاة العائرة	٢٣١٥
مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً	٢٣٥٦، ٢٣٥٧	مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر	١٢٥
مات بعد يوم عرفة بأحد وثمانين	٢٤٥٠	مثلكم ومثل اليهود والنصارى	٦٦٤٥
مات رجل من أهل الصفة فوجد	٣٥٢٤، ٣٥٢٥	مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً	٥٤٠٥، ٥٤١٢، ٥٤٠٨، ٥٤٠٧
مات وقد ملك قبيلة بنت الأشعث	٥٤٦٥	مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً	٣٩٣٧، ٤٩٨٨
مات ولم يجمع القرآن غير أربعة	٨٨، ٢٣	مجادلة العبد ربه يوم القيامة	٤٨٧٣
مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله	٦٥١٨	محاش النساء حرام	١٠١٥
مثل البخيل والمنفق كمثل	٤٢٤٦	مر الملا من قريش برسول الله ﷺ	٢٨٨١، ٢٨٨٠
مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحدث	٤٨٧٤	مرّ ييوسف في السماء الثالثة	٣٨٦٣
مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته	٤٥٤٣، ٥١٠٦	مر رجل من بني سليم بنفر من	٢١٩٤
مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب	٦٢٨٦، ٦٨٠٦	مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ	٣٦٣٩
مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب	٦٢٨٦	مر فغمزه بعضهم، فجاء جبريل	٤٠٦٨
مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة	١٠١	مر ليلتذ بقوم لهم أجواف	١٢٥١
مثل الذي يلعب بالترد	٢٧٥٦	مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس	٥٨٠٨
مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها	٤٩١٨	مراء في القرآن كفر	٢١٩
مثل الصانع الذي يحتسب	٤٥٤٣، ٥١٠٦	مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح	٤٤٩٢
مثل صلصة الجرس، فيقصم عني	٥٩٠٩	مرحباً بقوم شعيب وأختان موسى	٥١٠٧
مثل العالم الذي يعلم الناس الخير	٤٣٣	مرحباً بك يا سواد بن قارب	٦٠٦٧
مثل القائم على حدود الله	٣٣٢٢	مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض	٤٣٥، ٤٣٤
مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه	١٣٣	مررت ليلة أسري بي على موسى	٤١٣٩
مثل القرآن مثل الإبل المعقلة	٢٠٩	مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين	٦٩٠٨
مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة	٣٩٩٨	مروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر	٢٧٢١
مثل ما بعثني الله به من الهدى	٣١٢٣	مريه فليعتق رقبة	٦٦٤٩
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	٥٠٠، ٣٥٧١	مستقرها تحت العرش	٥٦٦٢
مثل المسلمين واليهود والنصارى	٦٢٢٢، ٦١٨٨	مسح برأسه مرة واحدة	٢٥٢٧
مثل الملوك على الأسرة	٣١٠	مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر	٥٦١٩
مثل المنافق كالشاة بين ريضين	٢٣١٧، ٢٣١٨	مسمومين: معلمين	١٥٥٢
		مسيرة شهر للغراب الأبقع	٣٩٦٤

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم	١٦٣٨	من أتى كاهناً أو ساحراً، فصدقه	٥٣٠
مع كل ألف سبعون ألفاً	٦٥٢٠	من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا	٥٣١٧
مع كل إنسان ملك إذا نام	٢٨٩٢	من أحب أن ييسط له في رزقه	٤٢٤٣
مع كل واحد سبعون ألفاً	٦٥٢٠	من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً	٦٦٧٥
معاذ الله أن نعبد غير الله	١٤٥١	من أحب أن يزحزح عن النار	١٧٠٧، ١٤٩٣
معتك المنايا ما بين الستين إلى السبعين	٥٦٣٣	من أحب أن يقرأ القرآن غضاً	٨٦، ٨٥
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	٢٨٩٠	من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل	٥٧٨٧
	٥٢٥٧، ٣٩١٤	من أحب دنياه أضر بآخرته	٧٢٥١
مفتاح الجنة: لا إله إلا الله	٥٨٢٩	من أحب قوماً حشر معهم	٣٤٣٩
مكتوب بين عينيه: كافر	٥١٦١	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره	٦٥٩٦، ٥٨٩٧
مكث على هذه الحال عشر سنين	٧٠٦٠	من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة	٦٠٥٣
مكثت سنة أريد أن أسأل عمر	٦٨٩٧	من احتكر على المسلمين طعامهم	١٢٧٦، ١٢٧٥
مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة	٦٦٢٧، ٣٨٤٨	من أحسن الصلاة حيث يراه الناس	٤٤٥٨، ٢٣١٣
ملعون من أتى امرأته في دبرها	١٠٠٧، ١٠٠٦	من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل	٣٣٤٧
	١٠٠٨		
ملعون من سب والديه	٢٩٤٣		٦٩١٥
ملك على يمينك على حسناتك	٣٩١٩	من أخذ السبع الأول من القرآن	٣٥٧
ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب	١٤٦٨، ٥١٣	من أخذ السبع فهو حبر	٣٥٦
من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته	١٦٩٧	من أدرك والديه أو أحدهما	٤٢٣٣، ٤٢٣١
من آخر ما نزل، آية الربا	١٢٦٣	من ادعى دعوى كاذبة	١٧١٢
من أذن النبي ليلة استمعوا القرآن؟	٦٠٤٩	من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه	٢١٠
من آمن بالله ورسوله وأقام	٣٥٧٤، ٢١٥٧	من أذنب ذنباً في الدنيا فعوقب	٢٦١٥
من أوى محدثاً	٣٨٧٦	من أراد أن تستجاب دعوته	١٢٩٢
من أبلى بلاء فذكره فقد شكره	٧٣٤٤	من أراد أن يلقى الله طاهراً	٤٨٤٧
من اتبع كتاب الله هداه الله	٢٠٢	من أراد أن ينام على فراشه	٧٥٧٧
من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله	٥٦٢٩	من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل	١٦٢٤
من اتقى الله دخل الجنة	٦٠٠٩	من أراد الحج فليتعجل	١٤٨٧
من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها	١٠٠٩	من أرسل بنفقة في سبيل الله	١٢٠٦
من أتى شيئاً من الرجال والنساء في الأدبار	١٠١٢	من استجد ثوباً فلبسه	٣٠٨١
من أتى عزافاً أو كاهناً، فقد كفر	٥٣٣	من استغنى أعفه الله	١٢٤٠

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
١٩٢٢	من أكبر الكبائر استطالة المرء	١٢٤١	من استغنى أغناه الله
١٩٢١	من أكبر الكبائر عرض الرجل	١٠١٩	من استلج في أهله يمين
٦٨٦٢	من أكثر من الاستغفار جعل الله له	٢١٨	من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له
٦٢٤٧	من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه	٣٢٥٥	من أسلف فليسلف في كيل معلوم
٦٩١٨	من أكل مع مغفور له غفر له	١٣٠٢	من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين
٦٢٥٨	من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب له	٥١٢٠	من أصاب منه من ذي حاجة بفيه
٢٣٩٢	من أمرك بهذا؟ أمراً؟	٧٢٩	من أصابته فاقة فأنزلها بالناس
٢١٧١	من أنا؟	٤٢٢٨	من أصابه كسر أو عرج وهو محرم
٢٣٠٧	من انتسب إلى تسعة آباء كفار	٨٦٩	من أصبح منكم معافى في جسده
١٢٩٦، ١٢٩٥	من أنظر معسراً أو وضع عنه	٢٥٨١	من أصيب بشيء من جسده
١٥٧٤، ١٢٩٨	من أنظر معسراً إلى ميسرته	٢٦٦٥	من أصيب بقتل أو خبل فإنه يختار
١٢٩٩	من أنظر معسراً فله بكل يوم	٧٤٨	من أطاعني فقد أطاع الله
١٢٨٧	من أنعم الله عليه نعمة	٢١٤٢، ٢١٠٧	من أعان باطلاً ليدحض بباطله حقاً
٦٩٨	من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله	٥٨٤٢	من أعان ظالماً سلطه الله عليه
٥٨٢٦	من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله	٢٩٨٣	من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة
٧٣٢٧	من أنفق نفقة في سبيل الله	٢١٧٩، ٣٦٣	من أعان مجاهداً في سبيل الله
١٢٠٠	من أنفق نفقة في سبيل الله	١٢٩١	من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب
١٢٠٤	من انقطع إلى الله كفاه الله	٧٢٨٤	من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه
٦٨٦٦	من أوفى على يده في الكيل	٧٢٩١	من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه
٣٠٢٠	من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما	٧٢٩٠، ٤٢٣٢	من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه
٥١٠٨	من بدل دينه فاقتلوه	٧٢٨٧	من أعطي عطاء فوجد فليجز به
٤١٢٦، ٤١٢٥	من برت يمينه، صدق لسانه	٧٣٤٥	من أعطي فشكر، ومنع فصبر
١٣٦٣	من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه	٢٩٣١	من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة
٦٦٥	من بلغ بسهم في سبيل الله فله	٦٨١٧	من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب
٢٢١٢	من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع	٦٨١٩	من أغلق بابه فهو آمن
٦٠٨٥	من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له	٨٥٤	من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق
٦٦٦٧	من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له	٥٥١٧	من أفضل المسلمين
٧٢٨٦	من بنى مسجداً يتغني به وجهه الله	٣٢٨٣	من أظفر فحسناً، ومن صام فلا جناح عليه
٤٩٣٨	من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله	٧٧٢	من اقتطع مال امرئ مسلم
٤٩٣٩		١٤٤٧	

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
١٩٢٣	من جمع بين صلاتين من غير عذر	٣٠٣٠	من تاب قبل أن تطلع الشمس
٨٨٩	من حج هذا البيت، فلم يرفث	١٨٣٥	من تاب قبل موته بعام
٢١٥٠	من حدث بحديث وهو يرى أنه	٦٩٨٣	من تتهمون به؟
٦٣٨١	من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب	٤٢٦٥	من تحلم حلماً كلف يوم القيامة
٢٦٩٩	من حدثك أن محمداً كتم شيئاً	٢٧٨٥	من ترك الصلاة سكرأ مرة واحدة
١٧٦٩	من حرس من وراء المسلمين	٣٥١٩، ١٧٠٠	من ترك بعده كنزاً مثل له شجاعاً
١٢٢٤	من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه	١٩٢٦	من ترك صلاة العصر
٤٣٥٣	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف	٥٤٧	من تشبه بقوم فهو منهم
٥٥٥٥	من حلف بالأمانة فليس منا	٢٦٦٣	من تصدق بدم فما دونه
٣٨٩١	من حلف بغير الله فقد أشرك	١٢٧٧	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
١٠٢٥	من حلف على قطيعة رحم	١٢٧٨	
١٠٢٣، ١٠٢٢	من حلف على يمين فرأى غيرها	٦٣٣٩	من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله
١٠٣١		٣٨٩٥	من تعلق تميمة فلا أتم الله له
١٤٤٥	من حلف على يمين كاذبة ليقطع	٣٨٩٤	من تعلق شيئاً وكل إليه
١٤٤٦	من حلف على يمين هو فيها فاجر	٢٢٥	من تعلم القرآن ثم تركه فقد عصاني
٦٣٩٣، ١٠٢٦	من حلف فقال في حلفه: والللات	٤٢٩	من تعلم علماً مما يتفنى به وجه الله
٦٢٥٩	من حمى مؤمناً من منافق يعيبه	٤٨٩٥	من تكفل لي ما بين لحييه وما بين
٤٠٤	من الحيض والغائط والنخامة والبزاق	٦٨٠٤	من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب
٦٤٩١	من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل	٤٢٦٧	من تواضع لله رفعه الله، فهو
٢٢٢٩	من خرج حاجاً فمات، كتب له	٢٥٠٦	من تواضأ على طهر كتب له
٢٢٢٤	من خرج من بيته مجاهداً	٢٥٦٥	من تواضأ فأحسن الوضوء
٢١٠٤	من خلع يداً من طاعة	٢٥١٧	من تواضأ فليستشر
١٤٧٦	من دخل البيت دخل في حسنة	٢٥٢٦، ١٥٨٦	من تواضأ نحو وضوئي هذا
٦٨٢٣، ١١٦٠	من دخل سوقاً من الأسواق فقال	٤٣٨٩، ٣٨٢١، ٣٨٢٠	
٢٤١٩	من دعا إلى هدى كان له من الأجر	٤١٥	من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق
٦٤١٣، ٥١٣٧، ٤٠٨٣		١٥٤٩	من جامع المشرك أو سكن معه فإنه مثله
٤٤٠	من دعا الناس إلى قول أو عمل	٣٤٣٥، ٢٢١٥	
٤٦٢٤	من دعا بدعاء يونس استجيب له	٥٢٥٠	من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه
٤٧٦٠	من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثي	٤٥٨٨	من جعل الهموم همأً واحداً
٥٩٥٢	من دعا على ظلمه فقد انتصر	٦٣٤١	من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦١٠٨	من سره النساء في الأجل، والزيادة	٤٩٧٠	من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو
٣٦٣٦	من سكن البادية جفا ومن اتبع	٢٩٥٧	من ذبح قبل أن يصلي فليذبح
٦١٣١	من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله	٥٤٧٩	من ذكرت عنده فليصل عليّ
٥٦١٤	من سلك طريقاً يطلب فيها علماً	٢١٠٣	من رأى من أميره شيئاً فكرهه
٧٤٨٣ ، ٤٤٥٥	من سمع الناس بعمله سمع الله به	٢٧٢٢ ، ١٥٠٦	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٣١٨٧	من سمع بي من أمّتي أو يهودي	١٨٣١	من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط
٤٤٥٣ ، ٢٣٠٩	من سمع سمع الله به ومن رأى	١٧٥٦	من رابط في شيء من سواحل
٥٣٢٥	من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله	١٧٥٨	من رابط ليلة في سبيل الله
٦٧٢٨	من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها	١٤٢٦ ، ٦٨٠٠	من رجل يؤديني حتى أبلغ رسالة ربي
٥٦٤٩	من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له	٥٣١٨	من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم
٦٤٧٥	من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً	٣٨٩٩	من رده الطيرة من حاجة فقد أشرك
٣٩٩٤	من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل	٥٠٨٨	من زعم أن النبي يعلم ما يكون في غد
٢٧٨٧	من شرب الخمر في الدنيا	٢٩٣٦	من زعم أن محمداً أبصر ربه
٢٧٩٦	من شرب الخمر لم يرض الله عنه	٥٥٠٨	من سأل الله لي الوسيلة حقت عليه
٥٧٥٨	من شرب شربة خمر لم يقبل الله له	١٢٤٦ ، ١٢٤٥	من سأل وله أربعون فقد ألحف
٥٧٥٨	من شرب من الخمر شربة لم تقبل له	١٢٤٣	من سأل وله أوقية - أو عدلها
٤١١٤	من شرط لأخيه شرطاً	١٢٤٢	من سأل وله أوقية فهو ملحف
٤٤٨٠ ، ٢٣٧٤	من شهد أن لا إله إلا الله وحده	١٢٤٤	من سأل وله ما يغنيه
٧٢٤٩	من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد	١٧١١ ، ٧١٤ ، ١٠	من سئل عن علم فكتمه ألجم
٣٦٢٨	من شهد الجنائز حتى يصلى عليها	٦٢٣٢	من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا
٩٠٤	من شهد صلاتنا هذه، فوقف معنا	٦٢١٣	من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن
٤٤٤٧	من الشهوة الخفية والشرك	٢٦١٣	من سرق مالاً وأخاف السبيل
٣٠٥٥	من صام ثلاثة أيام من كل شهر	٥٦٠٣	من سره أن ييسر له في رزقه وينسأ
١٢١٣ ، ٧٦٨	من صام رمضان إيماناً واحتساباً	١٩٨٣	من سره أن يحبه الله ورسوله
٥١٥٦	من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء	١٥٨٠	من سره أن يشرف له البنيان
٢٤٧ ، ٢٤٣	من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن	١٢٨٦	من سره أن يظله الله يوم القيامة
٧٥٠٩	من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا فقد أصاب	٥٧٣٦	من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى
٥٥١٠	من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله	٧١٥٨	من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين
٥٤٨٢	من صلى عليّ صلاة لم تزل الملائكة	٧١٧٦	

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٦٥٩٨	من قال: سبحان الله العظيم ويحمده	٥٤٩٣	من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه
٢٧٧١	من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ	٥٤٩٨	
٧	من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم	٥٥٢٨	من صلى عليّ عند قبري سمعته
٨	من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ	٥٥٣١	من صلى عليّ في كتاب
٩	من قال في كتاب الله برأيه فأصاب	٣٢٦٥	من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا
٢١٣٥	من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد	٤٢٣٠	من ضم يتيماً بين أبيوين مسلمين
٧١٢٤	من قال: لا إله إلا الله، واحداً واحداً صمداً	٥٤١٩	من طال عمره وحسن عمله
٧٥٧١	من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله	١٠٩٢	من طلق أو أعتق أو نكح
٤٤٥٧	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً	٦٨٨١، ١٦٤٥	من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه
٧٣٧٦	من قام من الليل فتوضأ ومضمض	١٩٠٩	من عبد الله لا يشرك به شيئاً
٤٣٩٧	من قتل عبده قتلناه	٥٣٤	من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر
٧٤٥	من قتل قتيلاً فله كذا وكذا	٣٨٩٥	من علق تميمه فقد أشرك
٣٢٦٦	من قتل مؤمناً متعمداً فقد كفر	٥٦٢٧	من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه
٢١٨٦	من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة	٧٣٦١	من عمل بما علم وأورثه علم ما لم يكن يعلم
٣٠١٥	من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة	٥٦٦	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ
٣٠١٦	من قتل نفسه بحديدة	٤٩٨٧، ١٤٥٨، ١٣٩٩	من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر
١٨٩٧	من قتل نفسه بشيء عذب به	٦٨١٥	من غل منها بغيراً أو شاة
١٨٩٨	من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر	١٦٦٠	من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر
١٧٣١	من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة	١٩٢٧، ١١٣٤	من فارق الدنيا على الإخلاص لله
١٣٣٥	من قرأ: (إذا زلزلت) عدلت له بنصف	٣٤٧٠، ٣٤٦٨	من فصل في سبيل الله فمات أو قتل
٧١٩	من قرأ آية الكرسي وأول سورة حم	٢٢٢٨	من فقه الرجل رفقه في معيشته
٥٨٤٠	من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب	٥٠١٧	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
٤٥٢١، ٢١٣٠	من قرأ ألف آية كتب الله له قطاراً	٣٣٥٥، ٨٥٥	
٢٠٠	من قرأ أول سورة الكهف وآخرها	٣٥٣٩	من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو
٤٣٥٦	من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف	٣٢٩٩	من قال: اللهم فاطر السموات والأرض
٤٣٥٤	من قرأ القرآن فكلنا استدرجت النبوة	٥٧٩٠	من قال حين يسمع النداء: اللهم
٤٣٥٥	من قرأ القرآن فكلنا استدرجت النبوة	٤٣١٣، ٢٦١٦	من قال حين يصبح ثلاث مرات
٢١٧	من قرأ القرآن فكلنا استدرجت النبوة	٦٧٣٣	من قال حين يصبح: سبحان الله
٢١٦	من قرأ القرآن في أقل من ثلاث	٥١٨٣	من قال دبر كل صلاة: سبحان ربك
		٥٧٣٧	

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٩٧١	من كان بينه وبين أخيه شيء فدعي	١٦٦	من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة
٣٣٨٧	من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن	١٣٣٣ ، ١٣٣٤	
٤١١٥		٧٥٦٢	من قرأ بـ (قل هو الله أحد) فكأنما قرأ
٢٧٧٥	من كان عنده من هذه الخمر شيء	٥٧٧١	من قرأ بمئة آية في ليلة كتب له
٥٢٤٨	من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	٥٩٨٦ ، ٥٩٨٥	من قرأ «حم» الدخان، في ليلة
١٦٤٧	من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة	١١٨٤	من قرأ «حم» المؤمن إلى
٣٣٩ ، ٢٥٢	من كان له إمام فقرأه الإمام له	٤٣٥٧	من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة
٣٢٥٤		٤٣٦٠ ، ٤٣٥٨	
٢٥٨٠	من كان له بيت وخادم	٤٣٥٩	من قرأ سورة الكهف كما أنزلت
١٢٩٤	من كان له على رجل حق	٦٥٠٨ ، ٦٥٠٧	من قرأ سورة الواقعة كل ليلة
٦٨٤٢	من كان له مال يبلغه حج بيت ربه	٦٥٠٦	
٨٦٣	من كان معه هدي فليهل بحج	٢٢١	من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له
٨٨٤	من كان منكم أهدى فإنه لا يحل	١١٨٢	من قرأ في دبر كل صلاة آية الكرسي
٥٠٣٤ ، ٢٣٠٨	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا	٤٤٦٠	من قرأ في ليلة: (فمن كان يرجو...)
٤٥٨٩	من كانت الدنيا همه فرق الله	٧٥٧٥	من قرأ في يوم (قل هو الله أحد) مئة مرة
٧٠٢٠	من كانت له إبل لا يعطي حقها	٧٥٧٦	
٢٣٠٤	من كانت له امرأتان فمال	١٣٨٢	من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين
١٩١٨	من الكباثر أن يشتم الرجل والديه	٧١٠٩	من قرأ منكم بالتين والزيتون
٣٠	من كتب عني سوى القرآن فليمح	٥٦٤٤	من قرأ «يس» في ليلة ابتغاء وجه الله
١٣٠٦	من كتّم علماً يعلمه النجم	٥٦٤٣	من قرأ «يس» في ليلة أصبح مغفوراً له
٦١٩٠	من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه	٤٥٢٠	من قرأ: (قل هو الله أحد) حتى يختمها
٥٣٦	من كذب علي متعمداً	٧٥٧٢	
٨٦٨	من كسر أو عرج فقد حل	٧٥٨١	من قرأ: (قل هو الله أحد) حين يدخل منزله
١٥٧٧ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٥	من كظم غيظاً وهو قادر	٧٥٧٤	من قرأ: (قل هو الله أحد) خمسين مرة
١٥٦٦	من كف غضبه كف الله عنه عذابه	٧٥٧٣	من قرأ: (قل هو الله أحد) عشر مرات
١٣٨٧	من كل الليل قد أوتر رسول الله	٧٥٧٨	من قرأ: (قل هو الله أحد) مئة مرة
٢٤٦٢	من كنت مولاه فعلي مولاه	٥٦٨٧	من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة
٥٨٧١	من لا يسأله يغضب عليه	٨٩١	من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه
٥٦١٧	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في	٥٣٥٠	من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك
٣٨٠٤	من لزم الاستغفار جعل الله له	٣٢٩٤	من القوم؟
		٧٣٠٠	من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٥٣٣٩	من لعب بالنرد فقد عصى الله	٢٧٥٥	من مر بكم؟
٢٤٢٠	من لعب بالنردشير فكأنما صبغ	٢٧٥٤ ، ٢٤٢٦	من مشى مع ظالم ليعينه
١١٠٥	من لعق العسل ثلاث غدوات	٤٠٩٦	من ملك ذا رحم محرم
١٤٨٩	من لم تزود بالأخبار	٥٦٧٩	من ملك زاداً وراحلة ولم يحج
١٩٣٦	من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر	٥١٥٢	من منع فضل الماء وفضل الكلال
٤٥٤٢	من لم يلك فليتبك	٥١٥٣	من نام عن صلاة أو نسيها
٧١١٧	من لم يحمد الله على ما عمل	٥٨١٤	من نذر أن يطيع الله فليطعه
٦٨٦٨	من لم يدع الله عز وجل غضب الله عليه	٣١١٨	من نزل به حاجة فأنزلها بالناس
٥٥٠٣	من لم يذر المخابرة، فليؤذن بحرب	٥٨٧٠	من نسي الصلاة علي خطيء طريق الجنة
٥٥٠٤	من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا	١٢٥٦	من نفس عن غريمه - أو محاه عنه
١٢٨٨	من لم يسأل الله يغضب عليه	٢٩١	من نوقش الحساب عذب
٧٢١١ ، ٣٩٣٨	من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير	٧٣٤١	من هذا؟ - أو كما قال - قلت: هذا دحية
١٤	من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم	٧٧٦	من هذا؟ عبد الله
١٧٢٥	من لم يوتر فليس منا	٢٤٦٤	من هذه؟
١٠٥٢	من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة	٧٠٦٨	من هلك من كفره الجن والإنس
٤٦٤٧	من مات على ذلك كان مع النبيين	٣٨٥	من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
٣٠٤٨ ، ١٣٢٧	من مات لا يشرك بالله شيئاً	٦٦٢٣	من هم بحسنة كتب الله له حسنة
٣٠٥١	من مات له ثلاثة أم يشرك بالله عليه من الإثم	٢١٢٩	من هم بسبئة فلم يعملها
٥٦٢	من مات له ثلاثة لم تمسه النار	٢٠٦٤ ، ٢٠٦١	من وافدك؟
٣١٨	من مات مرابطاً أجرى الله عليه عمله	٣٠٠٢	من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن
٤٧٣٧	من مات مرابطاً في سبيل الله	٤٥١٧	من وجدتم في متاعه غلواً
١٦٦٢	من مات مرابطاً وفي فتنه القبر	١٧٥٤	من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط
٣٨٠٧ ، ٣١٣٥	من مات من أهل الجنة من صغير	٤٧٥٢	من وعده الله على عمل ثواباً
٢٠٧٠	من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه	١٧٥٥	من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام
٧٢٨٨	من مات رسول الله إلى بني زهير	٦٥٦٥	من ولي لنا عملاً وليس له منزل
١٦٤٦	من محمد رسول الله إلى مسيلمة	٩٥٥	من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها
٦٥٢٨	من محمد رسول الله إلى هرقل	٣٣٦٦	من يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة
٨٩٥		٤٥٨٤	من يتصدق بصدقة أشهد له بها
٣٦٠٠		٤٥٤٧ ، ١٤٣٨	من يحرسنا الليلة؟
١٧٦٦			

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٧٢٦	نحر بيده ثلاثاً وستين بدنة	١٧٦٧	من يحرسنا هذه الليلة فادعوا له
٦١٧٨	نحر يوم الحديبية سبعين بدنة	٥٢٨٥	من يدخل الجنة ينعم لا يبأس
٤٠٨٠	نحرنا فرساً فأكلناه ونحن بالمدينة	١٦٨٣	من يذهب في إثرهم؟
٣٨٧٠ ، ١١٩٩	نحن أحق بالشك من إبراهيم	٤٤٥٤	من يراني يراني الله به ، ومن يسمع
٤٥٥٦	نحن أولى بموسى ، فصوصوه	٤٥٣٦ ، ٢٠٧٩	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
١٥٤١ ، ٩٤٨	نحن الآخرون الأولون يوم القيامة	١٦١٢	من يردهم عنا وله الجنة
١٥٤٢		٦٦٦٨	من يسر على معسر يسر الله عليه
١٠١٨	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٦١٥٦	من يصعد الثنية ، ثنية المزار ، فإنه يحط
٦٨٠٨ ، ٦٥١٣ ، ٤١٢٧ ، ٣٧٤٣		٥٠٥٩	من يضمن عني ديني ومواعيدي
٣٠٤٥ ، ٦٦٤	نحن معاشر الأنبياء أولاد علات	٢١٤٣	من يطلع الله ورسوله فقد رشد
٥٩١٥ ، ٤٦٢٦ ، ٣٧٦٣ ، ٣٠٦٠		٢٢٧٣ ، ٢٢٧٢	من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا
٢٦٦٧	نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات	٢٢٧٤	
٤٤٦٣ ، ٤٤٦٢	نحن معاشر الأنبياء لا نورث	٤٩٩٢	من يقل علي ما لم أقل ، أو ادعى
٥٩٧٩		٦٢٠٧	منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟
٣٧٣٧	نحن يوم القيامة على كرم	٤٠٣٨	منهم من تأخذ النار إلى ركبتيه
٩١٤	ندب إلى التسبيح والتحميد والتكبير	٧٣٦٢	منهومان لا يشبعان : طالب علم
١٦٨٠	ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم	٧١٨٠	مه ، لا تقولن هكذا ، إن النطفة إذا استقرت
٥٣٢٧	نرى هذه الآية نزلت في أنس	٤٩٣١	مهر البغي خبيث ، وكسب الحجام
٦٦	نزل القرآن على ثلاثة أحرف	٢١٤٤	مهلاً يا قوم ، بهذا أهلكم الأمم
١٣٦٥ ، ٦١	نزل القرآن على سبعة أحرف	٣١٣٨	موت الفجأة راحة للمؤمن
٧٣٥٤	نزل المعونة من السماء على قدر المؤونة	٤٤١٠	موسى رسول الله ، ذكر الناس
١٧٤٢	نزل بالنجاشي عدو من أرضهم	١٧٠٥	موضع سوط في الجنة خير من الدنيا
٢٧٦٠	نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة	٦٦٣٣	
٧٥٨٣	نزل جبريل فقال : مات معاوية الليثي		- النون -
٣٢٨١	نزل جبريل في ألف من الملائكة	٣٦٠٨	نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين
٣٢٨٧	نزل حين سار إلى بدر	٧٤٤٥ ، ٧٤٤٣ ، ٧٤٤١ ، ٦٥٧٤ ، ٦٥٧٢	
٦٤٥٢	نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية	٣٤٩٢	ناولني كفاً من التراب
٣٢٨٩	نزل ملك من السماء وجبريل جالس	٢٠١٩	ناوليني الخمرة من المسجد
٢٥٧١	نزل منزلاً ، وتفرق الناس	٤٣٤٨	نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى
٢٣٩٠	نزلت آية الكلاله وهو في مسير له	٩٦٧	تنزج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٤٥٧	نزلت هذه الآية وهو قائم عشية	٨٨١	نزلت آية المتعة في كتاب الله
٢٤٤٩	نزلت هذه الآية يوم عرفة	٢٨٤٩	نزلت المائدة من السماء وعليها خبز
٢٤٦٢	نزلت يوم غدیر خم	١٦٩٤	نزلت براءتي من السماء
١١٤٢	نزلت: (حافظوا على الصلوات)	٢٨٥٩	نزلت سورة الأنعام جملة
٧٠٢	نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة	٢٨٦٢	نزلت سورة الأنعام معها موكب
١٦٧٨		٢٨٦٠	نزلت سورة الأنعام وهو في مسير
٥٣٢٠	نشكو إلى الله صحبتكم لرسول الله ﷺ	٦١٢٢	نزلت عليّ البارحة سورة هي أحب إلي
٤١٣١	نصبر ولا نعاقب	٢٨٦٣	نزلت عليّ سورة الأنعام جملة
١٥٩٨	نصرت بالرعب على العدو	١٩٥٧	نزلت في أبي بكر وابنه
٣٤٩٦	نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع	٦٤٥٥	نزلت في أناس من أمتي يكونون
٥٣١٦	نصرت بالصبا، وأهلكك عاد بالدبور	١٢١٦	نزلت في الأنصار
٧٠٠٢، ٦٣١٨		٢٦٠٦	نزلت في أولئك النفر العرينين
٤٤٢٦	نظر إلى الشمس حين غابت	٢٧٦١	نزلت في الخمر ثلاث آيات
٥٢٧٤	نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل	٤٦٧٢	نزلت في حمزة وصاحبيه
٦٤٩٥	نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة	١١٩٣	نزلت في رجل من الأنصار
٦٨٤٨	نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران	٢٠٢٣	نزلت في رجل من الأنصار كان مريضاً
١٧١	نعم	٢٥٧٢	نزلت في شأن بني النضير
١٧٣٤	نعم، إلا الدين، قاله لي جبريل	٥٣٩٩	نزلت في شأن زينب وزيد
٧٠١٠	نعم، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا	٤٦٨٤	نزلت في عبد الله بن أنيس
٤٢٣٦	نعم، خصال أربع: الصلاة	١٧٤٥	نزلت في قوم يعمرّون المساجد
٥٦٠٥	نعم، صبغاً لا ينفض، أحمر وأصفر	١٨٤٦	نزلت في كبيشة بنت معن
٦٧٤٤	نعم، صلي أمك	٢٧٣٤	نزلت في وفد بعثهم النجاشي
٥٨٦٢	نعم، عذاب القبر حق	٢٤٥٥، ٢٤٥٨	نزلت في يوم عرفة في يوم الجمعة
٦٧٤٦	نعم، فصلاها	٢٤٥٩	نزلت هذه الآية (اليوم أكملت...)
٥٥٦٢	نعم، فقاتل بمقبل قومك مدبرهم	١٢٤٩	نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل
٦٩٩١	نعم، فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين	٣٦٧١، ٣٦٥٨	نزلت هذه الآية في أهل قباء
٤٦٦٩	نعم، فمن لم يسجد لهما فلا يقرأهما	٧١٧٨	نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق
٦٤٩٤	نعم، فيها فاكهة ونخل ورومان	٢٧٣٨	نزلت هذه الآية في النجاشي
٦٠٨، ٦٠٧	نعم، قال: أفلا تتخذ مصلى	٥٣٦٨	نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي
٧٢٥٥، ٧٢٢٩	نعم، قد جاءني	٣٢٥٢	نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
١٠٠٣	نهى أن تؤتى النساء في أدبارهن	٥٣٢٣	نعم، قولوا: اللهم استر عورتنا
٤٧٠٨	نهى أن نضحى بأعضب القرن والأذن	٣٩٤	نعم القوم أنتم، لولا أنكم تنددون
٩٩٧	نهى أن يأتي الرجل امرأته في دبرها	٣٦٨	نعم، قوم من بعدكم يؤمنون بي
٦٠١٤	نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو	٥٧٨٠	نعم، ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل
٦٥٨٠		٤٢١	نعم، نبياً رسولاً كلمة الله قبلاً
٧٢٣٣، ٤٨٨٨	نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً	٢٠٠١	نعم، هو في ضحضاح من نار
٢٦٥٩	نهى أن يقتص من جرح حتى يبرأ	٤٢٠٨	نعم، وأولاد المشركين
١٥٤٧	نهى أن ينقش أحد على نقشه	٣٩٦٧	نعم، والذي نفس محمد بيده
٦٠٥٣	نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم	٢١٣٥	نعم، والذي نفسي بيده إنه ليرى
٤٦٦٧	نهى عن اتخاذ ظهور الدواب	٦٥٥٤	نعم، والذي نفسي بيده، دحماً دحماً
٤٠٧٦	نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال	٢٢٦١	نعم، وإن زنى وإن سرق
٢٠٢٧	نهى عن بيع الملامسة	٦٥٤٦	نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى
٤٩٤٥	نهى عن البيع والابتياح وعن تناشد	٢٢٨٨	نعم، ومن يعمل حسنة يجز بها عشراً
٦٩٦٩	نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل	٥٦٣	نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل
١٢١٩	نهى عن الجعرور ولون الحبيق	٦٦٢٢، ١١٥٧	نعم، يا أبا الدحداح
٦٧١١	نهى عن الدباء والحتم والنقير والمزفت	٢٢٧٩	نعم، يجزى به المؤمن في الدنيا
٦٠٠٣	نهى عن سب تبع	٥٦٩٢، ٥٦٩١	نعم، يميئك الله تعالى ثم يبعثك
٤٠٨٢	نهى عن السوم قبل طلوع الشمس	٧٤٧١	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
٩٣١	نهى عن صوم أيام التشريق	٣٨٤	نعوذ بالله من شياطين الإنس والجن
٢٤٣٠	نهى عن طعام المتبارين أن يؤكل	٧٥٢٦	نعت إلي نفسي
٥٠٨٢	نهى عن قتل أربع من الدواب	٦٠٦١، ٦٠٦٠	نعت إلي نفسي يا ابن مسعود
٤٢٧٣، ٢٨١١	نهى عن قتل الضفدع	٧٥٣٥	نعت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت
٢١٤٨	نهى عن قيل وقال	٧١٥١	نفسى نفسي، لا أسأله إلا نفسي
٤٩٣٠	نهى عن كسب الحجام ومهر البغي	٤٢٧٣، ٢٨١٢	نقيقها تسبيح
٥٠٨٥	نهى عن كسر سكة المسلمين	٢٧٤٣	نهانا عن الخصاء، ورخص لنا أن
٤٠٧٨، ٢٩٨٩	نهى عن لحوم الحمر الأهلية	٢٤٢٨	نهانا عن الميتة والدم
١٢١٨	نهى عن لونين من التمر	٦٦٥٨	نهاهم عن النجوى، فلم يتنوها وعادوا
٤٧١٠	نهى عن المصفرة والمستأصلة	٧٥٠٢، ٦٥٢٩	نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة
٢٤٢٩	نهى عن معاقرة الأعراب	٧٥٠٣	نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه
٤٤٧١	نهى عن مهر البغي	٦٦٨٦	نوها عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
نهى عن نكاح المتعة	١٨٧٧ ، ٢٥٥٧	هذا رجل غادر	٦١٧٣
نهى عن هذا الاسم	٦٤٠٤	هذا سالم مولى أبي حذيفة	١١٥
نهى عن أصناف النساء، إلا ما كان	٩٦٦ ، ٥٤٤٨	هذا سبيل الله	٣٠٢٢
نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء	٥٥٨	هذا سبيل الله مستقيماً	٣٠٢١
	٧٢٥٨	هذا عن محمد وآل محمد	٤٧٢٣
نور أنى أراه	٤١٣٥ ، ٤١٥٢ ، ٦٣٦٩ ، ٦٣٨٤	هذا العنان، هذه روايا الأرض	٦٦٠٤
نور يقذف به في القلب	٢٩٧٩	هذا قبر أبي رغال	٣١٣١ ، ٣١٣٠
- الهاء -		هذا كتاب من الله ورسوله	٢٤٠٥
هؤلاء أهل بيتي	٥٣٦٢	هَذَا كَهَذَا الشعر؟	١٥٣ ، ٧٠٥٢
هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس	٥٣٦٥	هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ	٥٧٩٢
هؤلاء قوم من أهل اليمن	٢٦٧٥	هذا مثله كمثل صاحب «يس»	٥٦٥٨
هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة	٥٦٠٨	هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر	٤٣٧٥ ، ٤٣٧٦
هاؤم	٣٢٢٥ ، ٥٩١٦	هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة	٣٦٠
هاتوا	٥١٣ ، ١٤٦٨	هذا ممن عمل قليلاً وأجر كثيراً	٢٩٢٩
هاجر إلى رسول الله ﷺ، عن أمر أبيه	٢١٩٧	هذا من النعيم الذي تسألون عنه	٧٤٦٠ ، ٧٤٦٣
هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة	٢٢٢٥	هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى	٦١٧٣
هاجرت أم كلثوم بنت عقبة	٦٧٤٩	هذا موج مكفوف عنكم	٤٥٩٩
هاجهم وجبريل معك	٤٨٦٤	هذا هو العشر الذي أقسم الله به	٤٦٩١
هاك مفتاحك يا عثمان	٢٠٨٧	هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به	٢٥٣١ ، ٢٥٣٣
هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن	٦٠٤٨	هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا	٦١١٩
هذايا العمال غلول	١٦٥٠	هذا يوم الحج الأكبر	٣٤٦٠ ، ٣٤٦٢
هذا أحد جبل يحبنا ونحبه	٤٨٣	هذا إبل قومي، هذه صدقات قومي	٦٥٢٣
هذا أحرق مطاع، وإنه على ما ترين	٥٤٥٢	هذه الآية: نزلت في قطيفة حمراء	١٦٤٣
هذا أول الحشر، وإننا على الأثر	٦٦٩٦	هذه الأنهار تشخب من جنة عدن	٦٠٩٥
هذا أيسر	٢٨٩٤ ، ٢٨٩٥	هذه، ثم ظهور الحصر	١٤٨٢
هذا باب قد فتح من السماء	٢٤٢	هذه بتلك	١٨٤٨
هذا بيان من الله ورسوله	٢٤٠٤	هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت	١٠٥٢
هذا جبل يحبنا ونحبه	٦٢٩	هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ	٦١٦١
هذا جمندان، سيروا فقد سبق المفردون	٥٣٨٨	هذه عائشة أم المؤمنين	٥٤٥٢
هذا حجر ألقى به من سفير جهنم	٤٠٠		

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
هذه الفجر . . هذه الظهر	١١٢٩	هل تدرون ما قال ربكم؟	٦٥٨٤ ، ٦٤٩٠
هذه لرسول الله ﷺ خاصة، قرى عرينة	٦٧٢٦	هل تدرون ما هذا؟	٦٦٠٦ ، ٦٦٠٤
هذه اللقاح تغدو عليكم وتروح	٢٦١١	هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟	٣٧٢٧
هذه لكم، وقد أعطي القوم بين	٣٢١٦	هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ؟	٢٨٩٨
هذه مبايعة الله العبد	١٣٣٢	هل تدري ما حق الله على العباد	٤٩٧٨
هذه النار جزء من مئة جزء من جهنم	٧٤٤٦	هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه	٩٢٠
هذه يد عثمان	١٦٠٧	هل تزوجت يا فلان؟	٧٤٢٢
هكذا أمرني به ربي عز وجل	٢٥١٥	هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر	١٧٧٢
هكذا بإصبعه، ووضع إصبعه الإبهام	٣١٥٦	هل تسمع ما أسمع	٣٦٩٧
هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ	٢٥١٩	هل تسمعون ما أسمع	٧٠٨٩ ، ٧٠٨٧ ، ٤٥٩٥
هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها	٢٠٩٣	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر	٧٠٩٨
هكذا عنك	٤٨٨٠	هل تعرف هذا	٣٢٨٩
هكذا فتعوذ، ما تعوذ المتعوذون بمثلهن	٧٦٠٩	هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب	٤٢٨
هكذا، فإنما الاستئذان من النظر	٤٨٨٠	هل رأى أحد منكم شيئاً	٦٥٢٢
هكذا، وطبق كفيه	٧٠٨٣	هل عرفتم القوم	٣٥٩٠
هل أنتمت الرضوء وصليت معنا آنفاً؟	٣٨٣٤	هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا	٦٦٣٨
هل أخبرت بها أحداً	٣٩١	هل عندك غنى يغنيك	٢٤٧٠
هل أنت إلا إصبع دमित	٧٣٣٢ ، ٥٦٨٣	هل عندك من شيء تصدقها إياه	٥٤٣٣
هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟	٣٨٥٥	هل عندكم شيء من الوحي	٢٧٠٢
هل بكما من قوة، تنطلقان إلى هذا النخل	٧٤٦٠	هل فيكم من غيركم	٣٣٤٦
هل بلغت	١٣٧٢	هل قرأ أحد منكم معي آنفاً	٣٢٥٣
هل بلغت، اللهم هل بلغت	١٣٧١	هل كان بينكم وبين تميم شيء؟	٦٠٣٩
هل بينكم وبين تميم شيء؟	٣١٢٥	هل كان منكم أحد أشار إليها	٢٨١٧
هل تهتمون فيه من أحد؟	٦٩٩٥	هل لك أم	٤٢٣٧
هل تدرون أول من يدخل الجنة	٣٩٣٩	هل لك إلى بيعة ولك الجنة	٢٦٧٨
هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟	٥٨٤٥	هل لك في دين أبيك إبراهيم	٥١٢٣
هل تدرون لم أرسلت إليهم؟	٤٠٣٠	هل لك في ربيبة لنا تكفلها	٧٥١٦
هل تدرون ما الإيمان بالله	٣٣٧٠	هل لك مال؟	٣٧٤٤
هل تدرون ما البيت المعمور؟	٦٣٢٦	هل لك من إبل؟	٧١٨١
هل تدرون ما الكوثر؟	٧٤٩٣	هل لك من مال؟	٢٨٤١

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٧٢٨٢	هما نجدان، فما جعل نجد الشر أحب	٦٨٤٩	هل لك من ولد؟
٦٥٥٢	هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز	٣٥٤٢	هل لك يا جد العام في جلد بني
١٩٠٨	هن تسع	١٧٤٨	هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب
٥٣٤٧	هن حولي كما ترى يسألني النفقة	٦١٦٨	هل لكم علي عهد؟ هل لكم علي ذمة؟
٥٧٢٠	هو إسحاق	٢٥٢٥	هل معك ماء
٢٧٥	هو اسم من أسماء الله	٣١٣٢، ٣١٠٧	هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟
٢٦٦٠	هو الذي تكسر سنه	٢١٦٩	هلا شققت عن قلبه
٥٠٠٩، ٢٨٠٨، ٧٢٥	هو الطهور ماؤه الحل ميتته	٧٢٩٧	هلا صليت بـ (سبح اسم ربك الأعلى)
٢٤٢١		٧٣٠٨، ٧٢٣٨	
٦٧٣٢، ٣٢١٤	هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن	٧١٣٦	هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل
٧٠٧٩	هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده	٢٠٥٢	هلك عقد لعائشة، فأقام حتى أضاء
١٤٩٩	هو جبل الله المتين	٣١١١	هم آخر من يفصل بينهم من العباد
٢٢٩٣	هو الرجل تكون عنده اليتيمة	٣٠٤٤	هم أصحاب البدع
٢٨٠٧	هو رزق أخرجه الله لكم، هل معكم	١٩٩٠	هم إخوانكم وخولكم
٦٩٦٢	هو الشديد الخلق المصحح الأكل	٧٤٨٧	هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها
٢٩٨٢	هو صراط الله المستقيم وجبل الله	٤٢١٣	هم تبع لآبائهم
٦٨٩٩	هو علي بن أبي طالب	٣٣٩٧	هم الجن
١٠٢٧	هو كلام الرجل في بيته: كلا والله	٤٤٩٦	هم الخلف الذين قال الله تعالى
٢٢٨٠	هو ما يصيب العبد المؤمن	٣٠٤٣، ١٣٥٦	هم الخوارج
٣٦٦٨	هو مسجدكم هذا	٤٢٠٦	هم خدم أهل الجنة
٥٣٧٢، ٣٦٦٥، ٣٦٦٤، ٣٦٦٦	هو مسجدي هذا	٣٦٧٦	هم الصائمون
٤٣٢٦	هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه	٤٠٢٥	هم على متن جهنم
٧٤٩٣، ٧٥٠١	هو نهر أعطانيه ربي عز وجل	٢٦٧٦	هم قوم هذا
٧٥٠١	هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة	٢٦٧٢	هم لك
٣٦٦٧	هو هذا المسجد	٤٢١٤، ٤١٩٧	هم مع آبائهم
٣٧٧٨	هود والواقعة	٣١١٠	هم ناس قتلوا في سبيل الله
٢١٨٠	هي آخر ما نزل وما نسخها	٣١٩	هم اليهود
١٩١٤	هي أكبر الكبائر وأم الفواحش	٦٥٦٩	هما جميعاً من أمتي
٢٣٣	هي أم القرآن، وهي السبع المثاني	٣٨١٨	هما زلفتنا الليل: المغرب والعشاء
٢٣٤	هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب	٦٣٣٢، ٤٢١٦	هما في النار

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٢٣٥٤	وأراني الله الليلة عند الكعبة	٩٣١	هي أيام أكل وشرب
٤٧٣٣	وَأَلَّا تَذْبَحُوا حَتَّى يَذْبَحَ الْإِمَامُ	٧٣٩١	هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها
٦٦٩٩	وأمروا بقطع النخل	١٩٠٧	هي تسع
٣٦٣٨	وأملك أن كان الله نزع منكم الرحمة	١٩٠٦	هي تسع، وسأعدهن عليك
١٣٩٠	وأنا أشهد أي رب	٣٩٩٩	هي الحنظل
٥٦٤٨	وأنا أقول ذلك : إن لهم مني لذبحاً	٥٤٣٤	هي خير منك، رغبت في النبي
٥٣٧٠	وأنا تارك فيكم ثقلين	٤٢٩١	هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ
٨٢٨	وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم	٣٧٥١	هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل
١٣٨٩	وأنا على ذلك من الشاهدين	٦٣٠٩	هي الرياح
٥٨	وأنت قد أحسنت	٦٣٠٩	هي السحاب
٥٣٥٦	وأنت من أهلي	٦٣٠٩	هي السفن
٣٥٤٣ ، ١٩٩٣	وأني داء أدوأ من البخل	٣٩٩٧	هي الشريان
٤٨١٠ ، ٣٨٨٥	وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك	٤٣٢٥	هي الشفاعة
٧٤٤	وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر	٧٢٧٠ ، ٧٢٦٨	هي الصلاة منها شفع ومنها وتر
٢٥٤	وإذا قرأ فأنصتوا	١١٢٦	هي العصر
٢٤٣٦	وإن أصابه بعرضه فإنما هو وقيد	٣٧٥٩	هي في الدنيا الرؤيا الصالحة
٦٤٩٢ ، ٦٤٨٣	وإن رغم أنف أبي الدرداء	٤٣٣٥	هي في علم الله قليل ، وقد آتاكم
٢٢٨٧	وإن شوكة فما فوقها	٧٣٨٣	هي في كل رمضان
٨٠٢	وإن قيس بن صرمة كان صائماً	٦٨٧٥	هي للمطلقة ثلاثاً وللمتوفى عنها
١١٩٥	وإن كنت كارها	٥٦١٨	هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة
٨٣٤	واصل يومين وليلة	١٠٠١	هي اللوطية الصغرى
٦٤٦٢	واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك	٦٩٢٣	هي المانعة ، هي المنجية ، تنجي
٣١٠٦	واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله	٦٣٠٩	هي الملائكة
١٤٣٧	والذي بعثني بالحق لو قال : لا	٣٩٢١	هي من قدر الله
٧٤٦١	والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره	٣٩٩٩ ، ٣٩٩٧ ، ٣٩٩٢	هي النخلة
٦٥٥٣	والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف	٥٦٨٩	هيه
٣٨٥٠	والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم	٦٠٣٩ ، ٣١٢٥	هيه ، وما وافد عاد؟
٥٩٨١	والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم	- الواو -	
٥٩٤٢	والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود	١٩٩٦	واجعلنا شاكرين لنعمتك
٣٠٨٣	والذي نفس محمد بيده ، ما عمل أحد	١٣٤٧	وأحق له أن يؤمن

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣١٧٠	والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة	٤٠١٢	والذي نفسي بيده إن الميت ليسمع
٢٣٢٩	والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل	٢٨٦٥	والذي نفسي بيده إن فيه لماء
٣٥٤٦	والذي نفسي بيده، ما أعطاكم شيئاً	٥٧٨٢	والذي نفسي بيده إنه ليختصم
٥٢٠٥	والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع	٥٠٠٠	والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن
٦٤٢٣	والذي نفسي بيده، ما بقي من الدنيا	٧٠١٩	
١١٩٠	والذي نفسي بيده، ما السموات السبع	٧٥٥٦	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن
٥٩٣٧	والذي نفسي بيده، ما يصيب المؤمن		والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من
١٨٨٨	والسلام ما قد علمتم	٥٨٣٨ ، ٤٥٢٧	قبورهم
٧٠٣٤	والشر ليس إليك	٤٤٩٣	والذي نفسي بيده إنهم ليستكروهن
٥٩١١ ، ١٤٧٥	والله إنك لخير أرض الله	٤٦٤١	والذي نفسي بيده لأقتلنهم
٥٤٢٦	والله إنه لموصوف في التوراة بصفته	٤٨٣٠	والذي نفسي بيده لأقضي بينكما
٣٠١٠	والله إني لأغار، والله أغير مني	٢١٦٤	والذي نفسي بيده لا تدخلوا
٣٥١٨	والله الذي لا إله غيره، لا يكوى	٣٤٨٣	والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى
٦٢٢٠	والله في عون العبد ما كان العبد في عون	٥٣٩٦ ، ٥٣٠٩	
٣٦٣١	والله لا أجد ما أحملكم عليه	٥٩٢٥	والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل
٧١٣٥	والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث	٦١٧٤	والذي نفسي بيده لا يسألوني خطئة
٥٩٢٦	والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى	١٣٩٢ ، ٦٠٠	والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد
٨٢	والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ	٥٠٥٢ ، ٣٧٩٣ ، ٣٧٨٦ ، ٣١٨٩ ، ٣١٨٨	
١٦٠٥	والله لقد رأيته أنظر إلى خدم هند	٢١٤١	والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم
٣٩٤٤	والله للدنيا أهون على الله من هذا	٣٧٨٨	
٦١٣٢	والله ليعثه الله يوم القيامة له عينان	٣٧٨٩	والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن
٦٤٨٥	والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك	٣٣٢٠ ، ٢٧٢٠	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
١٧٠٨ ، ٥١٢٥	والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس	٣٥٦٨	والذي نفسي بيده لتبعن سنن
٢٤٩٠	والله ما زال الشيطان يأكل معه	٧٥٥٨	والذي نفسي بيده لتعدل نصف القرآن
٥٧٥٣	والله ما صليتها	٦٩١٠	والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم
٢٧٠١	والله ما ورثنا رسول الله ﷺ	٧٥٧٩	والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم
٦١٧٩ ، ٥٣٨٨	والمقصرين	٥٧٩٩	والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ
٤٠٩٩	والولد عبد لك	١٤٥٣	والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى
٦٥٨٣	وتجعلون رزقكم يقول: شكركم	٤٨٢٦	والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً
		٦٨٢٥	والذي نفسي بيده، لو تابعتكم حتى لم يبق
		٢٣١٢	والذي نفسي بيده، لو علم أحدهم

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
وتدري ما الزنا؟	٦٢٥٣	ولا الله لا يلقي حبيبه في النار	٥٤٢٤
وتفعلون	٢٨٥٠	ولا تغششن أزواجكن	٦٧٥٨
وثمنه حرام	٦٥٧٨	ولا تقتلن أولادكن	٦٧٧١ ، ٦٧٦٧
وجبت	٦٨٠ ، ٧٥٦٧	ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل	٣٨١٤
وجدت امرأة في بعض مغازي النبي	٨٥١	ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه	٦٩٦٦
وجه علياً في نفر معه في طلب	١٦٩٠	ولد لي الليلة ولد سميت به باسم	١٤٠١
وجّهت وجهي للذي فطر السموات	٣٠٥٩	ولد نوح ثلاثة: سام أبو العرب	٤٤٢٩
وذاك عند ذهاب العلم	٢٦٩٧	ولد يوم الاثنين واستنبيء	٢٤٦١
ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه	٦٢٩٧	ولد يوم الاثنين وخرج من مكة	٢٤٦٠
وصلتك رحم يا عم	٣٦٩١	ولدت من نكاح لا من سفاح	١٨٥٩
وضع الإبهام قريباً من طرف خنصره	٣١٥٧	ولقد رأيته	١٩٧٩
وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يزوجه	٦٩٠٤	ولك	٦١٠٣
وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمتي	١٥٢٥ ، ١٥٢٨ ، ١٥٣٠ ، ٥٨٢٤	ولك في ذلك أجر	٤٨٣٩
وعليك السلام - أيها المسلم	١١٤٧	ولكن أصلي حيث صلى رسول الله	٤١٧١
وعليك السلام ورحمة الله	٢١٦٠	ولم؟	٣٢٧٥
وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا	٢٣٢٨	ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط	٥٢١٥
وعن أي ذلك تسألين، إنه قد نزل	٧١٥٥	ولو استعمل عليكم عبد يقودكم	٢١٠٠
وفى: عمل يوم بأربع ركعات	٦٤٠٨	ولي عقدة النكاح الزوج	١١١٤
وقت المغرب ما لم يغب الشفق	٧٢١٤	وما اجتمع قوم في بيت من بيوت	٩٥
وقد رأيته	١٩٨٠	وما أردت أن تعطيه؟	٦٧٩٠
وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب	٥٨٧٩	وما الذي أهلكك	٩٩٢
وقد وجدتموه؟	١٣٢٩	وما تصدق أحد بعدل ثمرة من كسب	٥١٩٨
وقع في نفس موسى هل ينام الله	٥٦٣٧ ، ١١٨٦	وما دينه	٢٠٦٦
وقيت شركم كما وقيت شرها	٧١٢٥	وما صنعت	٨٠٥
وكل بلاء حسن أبلانا	٣٣٠٨	وما علمك بذلك؟	٥٥٧٨
وكل رباً في الجاهلية موضوع تحت	١٢٥٤	وما قضيت لنا من قضاء فاجعل	٤٣٦٣
وكلني بحفظ زكاة رمضان	١١٧٦	وما كان يدريه أنه رقية	٢٤١
وكننت تكتب الوحي	٤٢	وما يدريك أن الله أكرمهم؟	٤٠٧٢ ، ٦٠٢٧
وكيف تصومين؟	٨٣٨	وما يدريك أنها رقية؟	٢٣١
		وما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً	٣٥٩٦ ، ٢٦٨٩

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٩٦٦	يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون	٣٤٤٤	ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد
٧١٤٩	يأكل التراب كل شيء من الإنسان	٧١٨١	وهذا عسى أن يكون نزره عرق
٤١٩٦	يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود	٤٦٨٠	وهل ترك لنا عقيل من رباع
٣٧٢٩	يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس	١٤٠٠	وهل الدين إلا الحب في الله
٧٢٧٥، ٤٤٣٨	يؤتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام	٣١٦	وهو حبلى الله المتين
٣٩٨٧	يؤتى بجهنم، فتتادي الخلائق	١٣٤٦	ويحق له أن يؤمن
٦٠٣٣، ٥٢٨٩	يؤتى بحسنات العبد وسيئاته	٢٦٧٢	ويحك أرسلني
٤٤٤٠	يؤتى بالرجل الأكل الشروب	٧٠٤١، ٥٩١٦	ويحك. إنها كائنه، فما أعددت لها
١٤٦٤	يؤتى بالرجل من أهل الجنة	٣٢٢٥	ويحك، إن الساعة آتية فما أعددت
٢٦٢٤	يؤتى بالرجل من أهل النار	٢٠٧٨	ويحك قطعت عنق صاحبك
٣٥٣	يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله	١٧٢٨	ويحك يا بلال، وما يمنعني
٥٠٥١	يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة	٣٥٩٧	ويحك يا ثعلبة! قليل تؤدي شكره
٦٠٠٧، ٣٨١٦	يؤتى بالموت في صورة كبش أملح	٧٤٨٠	ويحكم يا معشر قریش، اعبدوا رب
٤١٩٩	يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه	٧٤٧٩	ويل امكم قریش، لإيلاف قریش
٣٠٧٢	يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين	٢٥٤٢، ٢٥٤١، ٢٥٤٠	ويل للأعقاب من النار
٤٢٠٠	يؤتى يوم القيامة بالممسوح عقلاً	٢٥٣٦	ويل للأعقاب وبطون الأقدام
٨٩	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	٧٢٠١	ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس
٤٢٨٩	يا آل عبد مناف، إني نذير	٢٥٣٩، ٢٥٣٧	ويل للعراقيب من النار
١٦٣٢	يا أبا أمانة، إن من المؤمنين	٢٥٣٨	ويل للعقب من النار
١٧٨٠	يا أبا أيوب، إن طلاق أم أيوب	٤٩٢،	ويل: واد في جهنم، يهوي فيه الكافر
٢٦٧١	يا أبا الحباب، رأيت الذي نفست به	٧٠٧٨	
٢٦٧٠	يا أبا الحباب، ما بخلت به	٦٤٠٥	ويللك! قطعت عنق صاحبك
٢٠٨	يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات	-	الياء -
٧٤١١	يا أبا المنذر! إني أمرت أن أعرض عليك	٣٩٣٣	يأبى الله عليك ذلك وأبناء قبيلة
٦٥٢٧	يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى؟	١٠٥	يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر
٧٤٣٤	يا أبا بكر! ما رأيت في الدنيا مما تكره	٦٤١٦	يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق
٢٢٧٥	يا أبا بكر، ألا أقرئك آية أنزلت	١٢٦٨	يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا
٢٢٧٨	يا أبا بكر، أليس يصيبك كذا وكذا	١٧٦	يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء
٣١٣٤	يا أبا بكر، أي واد هذا؟	٣٧٤٩	يأتي من أفناء الناس ونوازع
٥٩٥٤	يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق	٥٨١٢	يأخذ الله سمواته وأرضيه بيده

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٤٧	يا أباي، إن ربي أرسل إلي أن اقرأ	٥٧٩٢	يا أبا بكر، قل: اللهم فاطر السموات
٤٩٠	يا إخوان القردة والخنازير	٤٣٦٧، ٣٥٣٨	يا أبا بكر، ما ظنك باثنين
٢٠٥٣	يا أسلع، ما لي أرى رحلتك	٦١٧٣	يا أبا جندل، اصبر واحتسب
٤٩٠٤	يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت	٥٢٥٥	يا أبا ذر، أتدري أين تذهب هذه
٣٦١	يا أصحاب سورة البقرة	٥٦٦١	يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس
٢٨٣٨	يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي	٢٥٩٣	يا أبا ذر، أرايت إن أصاب
٦١٧٣	يا أم سلمة، ما شأن الناس؟	٤٢٦٠، ١٨٠١	يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً
٦٥٥١	يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز	٥٦٦٣	يا أبا ذر، تدري أين تذهب الشمس
٤٩٨٥	يا أنس، أسبغ الوضوء يزد في عمرك	٢٠٦٠	يا أبا ذر، تعال
٢٦٥٥	يا أنس، كتاب الله القصاص	٧٦٢٨	يا أبا ذر! تعوذ بالله من شر شياطين الإنس
٢٢٣، ١٠٩	يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن	٢٦٤	يا أبا ذر، تعوذ بالله من شياطين
٤٥٨٦	يا أهلاه، صلوا. صلوا	٢٩٥٠	يا أبا ذر، تعوذت من شياطين الجن
٣٦١٧	يا أيها الناس، ابكوا، فإن لم تبكوا	٦٨٦١	يا أبا ذر! كيف تصنع إن أخرجت
٥٤٨٩	يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة	٦٨٦١	يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها
٧١٤١		٢٨٧٤	يا أبا ذر، هل تدري فيم تتطحنان
٧٨٦	يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم	٢٩٤٨، ٢٩٤٧، ١١٧٤	يا أبا ذر، هل صليت؟
٦٣١١	يا أيها الناس أطعموا الطعام وصلوا	٧٦٢٨	
٣٧٢٤	يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا	٥٦٠١	يا أبا رزين، أما مررت بوادي قومك
٦٣٦	يا أيها الناس، إن الله حرم مكة	٢١٥٨	يا أبا سعيد، من رضي بالله رباً
٤٧٩٥	يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل	٩٦٨	يا أبا عبد الله، هذه مؤمنة
٢٨٣٥	يا أيها الناس، إن الله قد كتب	٦٢٠١	يا أبا عمرو؟ ما شأن ثابت
١٤٧٨	يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج	١٦١	يا أبا موسى، لقد أوتيت زمزماراً
٢٦٢٣	يا أيها الناس، إن في الجنة لؤلؤتين	١٦٣	يا أبا موسى، لو رأيته وأنا أستمع
٤٠٠٥	يا أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى	٤٣٨٧	يا أبا هريرة، ألا أدلك على كنز
٣٠٨٤	يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله	١٨١٢	يا أبا هريرة تعلموا الفرائض
٩٣٢	يا أيها الناس، إنها ليست بأيام صيام	٦١٧٥	يا ابن الخطاب إني رسول الله
٧٢٨٣	يا أيها الناس، إنهما النجدان: نجد الخير	٧٦٠٦	يا ابن عباس! ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به
٥٩٢٩	يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم	٦٣٠٦	يا ابن عباس ركعتين قبل صلاة الفجر
٣٨٥١	يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم	٥١٧٠	يا ابن عمر، ما لك لا تأكل؟
١٨٧٨	يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم	٥٣	يا أباي، إني أقرئت القرآن فليل لي

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٣٥٨٨	يا جلاس، أقلت الذي قاله	٦١٧٣	يا أيها الناس، انحروا واحلقوا
١٠٥٦	يا جميلة، كرهت من ثابت	٢٧٠٦	يا أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله
٦٧٣٦	يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟	٢٧٠٤	يا أيها الناس أي يوم هذا
٦٧٣٧	يا حاطب، ما حملك على هذا؟	٦١٠٢	يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم
٦٧٣٤	يا حاطب، ما هذا؟	٧٥٤٣	يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله
٥٣١٨	يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم	٤٦٩٩	يا أيها الناس، عدلت شهادة الزور
٥٣١٩	يا حذيفة، قم فأتنا بخبر من القوم	٣٣٧٤	يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو
٥٣٢١	يا حذيفة، لا تحدثن في القوم شيئاً	٥١٠٤	يا أيها الناس، لا يغترون أحدكم بالله
٢٦٠٠	يا حمزة، نفس تحيها أحب إليك	١٩٥٤	يا أيها الناس، ما كان من حلف
٦٤٧٣	يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض	١٦٥٣	يا أيها الناس، من عمل منكم لنا
٢١٠٦	يا خالد، لا تسب عماراً	٤٤٤١	يا بريدة، هذا ممن لا يقيم الله له
٦١٦٦	يا خالد هذا ابن عمك أذاك في الخيل	٤٧٧٠	يا بلال أرحنا بالصلاة
٦٩٠٦	يا خديجة، إذا لقيت ضرائك فأقريهين	١٧٢٩	يا بلال، أفلا أكون عبداً شكوراً
٦٦٤٩	يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير	٥٢٩٩	يا بني
٦٦٥٢	يا خويلة، ما أمرنا في أمرك بشيء	٧٠٤٢، ٢٩٨٥	يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا
٤٢٨٦	يا رب، أستأني	٥٠٥٦	يا بني عبد المطلب، اشتروا أنفسكم
٣٣٠١	يا رب إن تهلك هذه العصاة	٥٠٦٠	يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم
٣٢٤٤	يا رب، كيف بالغضب	٥٠٥٣	يا بني عبد المطلب، يا بني فهر
٧٩٦	يا رب، مسألة عائشة	٥٠٥٨	يا بني عبد مناف، إنما أنا نذير
٢٠٠٨	يا رب، هذا شهدت على من أنا	٧٥٤٤	يا بني فلان! إني رسول الله إليكم
٤٣٤٥	يا رحمن يا رحيم	٥٠٥٧	يا بني قصي، يا بني هاشم
٧٨٤	يا رسول الله، أقرب ربنا	٧١٨٧	يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار
٥٣٧٥	يا رسول الله، أذكر الرجال في كل شيء	١٤١٢	يا بنية، هل عندك شيء أكله
٩٦٠	يا رسول الله، إن لنا أرقاء وأهلين	١٦٧٦	يا جابر ألا أبشرك
٨٠٧	يا رسول الله، إني أردت أهلي الباردة	٥٠٠٥	يا جبريل، إني أحب أن أعلم أمر السحاب
٥٧٤٦	يا رسول الله، إني رأيت فيما يرى النائم	١٦٧٥	يا جابر ما لي أراك مهتماً
٦٧٤٣	يا رسول الله! ثلاث أعطينهن	٧٥٠٨	يا جبريل! ما هذه النخيرة التي أمرني بها
٣٢٦	يا رسول الله، لا تسبقني بآمين	٧٤٩٩	يا جبريل، ما هذا النهر؟
٥٣٧٦	يا رسول الله، يذكر الرجال ولا نذكر	٤٣٦	يا جبريل من هؤلاء؟
٧٢٢	يا سعد، أطب مطعمك	٦٣٠١	يا جبريل، وما يوم المزيد

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٧٥٩٧	يا عقيب، ألا أعلمك سورتين	٣٨٨٣	يا سعد أعندي تمنى الموت
٧٦٠٣	يا عقيب، قل	١٧١٠	يا سعد، ألم تسمع إلى ما قاله أبو حباب
٦٥٢٣	يا عكراش، كل من موضع واحد	٢٩٧٤	يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك
٤٨٩٢	يا علي، لا تتبع النظرة النظرة	٦٨٠٧	يا سلمان، ما يوم الجمعة؟
٢٠٢١	يا علي، لا يحل لأحد أن يجنب	٤٧٥	يا سلمان هم من أهل النار
٥٧٣٩	يا عم، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم	٦١٤٩	يا سلمة، ألا تباع؟
٢٧٠٩	يا عم، إن الله قد عصمني	٣٤٩٣	يا شيب، يا شيب، ادن مني
٥٧٤٠	يا عم، إني أريدكم على كلمة واحدة	٧٥٤٢، ٥٥٨٩، ٥٠٥٣	يا صباحاه
٥١٢١	يا عم، قل: «لا إله إلا الله»، كلمة	١٧٢٩	يا عائشة ائذني لي أن أتعبد لربي
٣٥٩١	يا عمار، هل عرفت القوم؟	٤٨٦٩	يا عائشة، أبشري
٥١٢٢	يا عماء، قل: «لا إله إلا الله»، أشهد	٧٤٣٢	يا عائشة! استري من النار ولو بشق
٦٨	يا عمر، إن القرآن كله صواب	٦١٢٧	يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً؟
٦٥١٥	يا عمر، تعال فاسمع ما قد أنزل الله	٤٦٥٢	يا عائشة، أما عندك ثلاث فلا
١٨٩٥	يا عمرو، صليت بأصحابك	٦٠٧٤	يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد
٣٤٧١	يا عويش، قل لي اللهم رب النبي	٦٦٦٠	يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش
٥٤٥٢	يا عيينة، إن الله قد حرم ذلك	٥٣٤٣	يا عائشة، إني عارض عليك أمراً
٦٨٦٧	يا غلام، إني معلمك كلمات، احفظ الله	٦٤٨	يا عائشة لولا قومك حديثو عهد بشرك
٥٠٥٤	يا فاطمة ابنة محمد، يا صفية	٦٥٢	يا عائشة، لولا حدثان قومك بالكفر
٤٤٨٤	يا فتى، لقد شققت علي	٦٤٦	يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم
٧٥٥٣	يا فلان! ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به	٧٤٣٣، ٦٤٦٦	يا عائشة! إياك ومحقرات الذنوب
٢٧٦٢	يا فلان، أما علمت أن الله حرمها	٦٠٤٠	يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب
١٣٩٥	يا فلان، قل: لا إله إلا الله	٢٢٨١	يا عائشة، هذه معاتبة الله للعبد
٢١٢٤	يا فلان، مالي أراك محزوناً	٣٤٨٩	يا عباس اصرخ: يا أصحاب السمرة
٢٠٣٦	يا فلان، ما منعك أن تصلي	١٠٢١	يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة
٢٨٣٤	يا قوم، كتب عليكم الحج	٦٠٥٩	يا عبد الله، أمعك ماء
٢٧٦٥	يا كيسان، إنها قد حرمت بعدك	٦٠٥٩	يا عبد الله، شراب وطهور
٥٦٥٧	يا ليت مات في غير مولده	٣٥٠٨	يا عدي، أسلم تسلم
٧٥٤٨	يا محمد، انسب لنا ربك	٧٥٨٤	يا عقبة! احرس لسانك
٤٨٤٢	يا مرثد، (الزاني لا ينكح...)	٧٥٩٧	يا عقبة! ألا تركب
٣٨٣٦	يا معاذ، أتبع السيئة الحسنة تمحها	٣٢٤٣	يا عقبة، صل من قطعك، وأعط

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
يا معاذ، إن المؤمن لدى الحق أسير	٧٢٧٢	يبعث الناس يوم القيامة فأكون	٤٣٢١
يا معاذ، إن المؤمن ليسأل	٤٠٦٧	يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش	٦٤٧٩
يا معاذ، إن المؤمن يسأل يوم القيامة	٥١٤١	يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم	١٨٠٨
يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول	٤٨٥٠	يبقى رجل في النار ينادي ألف سنة	٤٤٦٧
يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً	١٥٠٣،	يبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه	٥٨١٧
يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلة	٦٢٧٤، ٣٤٠٢	يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان	٧٤٥٦
يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة	٥٩٢٢، ٧٦٠،	يتبعونه حق اتباعه	٥٩٨
يا معشر المسلمين إياكم والزنا	٥٣٨٥، ٤٩٢٤، ٤٩٢٠	يتصدق بدينار أو نصف دينار	٩٨٢
يا معشر النساء تصدقن وأكثرن	٢٧٣٣	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	٤٣٠٧، ٣٩١٧، ٩٦
يا معشر النساء، تصدقن فأني رأيتكن	١٣٠٧	يتكلم الرجل بتسيحة أو تكبيرة	٤٨٩٠
يا معشر قريش، رأيتم لو أخبرتكم	٥٩٥٥	يجاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة	٥٧٨٤
يا معشر قريش، أنفذوا أنفسكم	٣٧٧٩	يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى	٤٣٧
يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد	٥٠٥٥	يجاء بالموت يوم القيامة كأنه	٤٢٨٠
يا معشر من آمن بلسانه لا تفتابوا	٥٩٧٥، ٥٩٧٤	يجاء بصاحبها يوم القيامة	١٣٩١
يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل	٦٢٤٥	يجتمع المؤمنون يوم القيامة	٤١٦
يا معشر من آمن بلسانه ولم يفرض	٦٢٤٤	يجزىء من الاضطراب غبوق	٢٤٦٦
يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم	٦٢٤٦	يجزيك الثلث أن تصدق به	٣٣٢٧
يا مقلب القلوب ثبت قلبي	١٣٧٣	يجمع الله الأولين والآخرين لميقات	٩٤٢
يا مقلب القلوب ثبت قلبي	١٣٦٦، ١٣٦٩،	يجمع المؤمنون يوم القيامة، فيلهمون	٤٣١٦
يا مقلب القلوب ثبت قلبي	٣٣١٥، ٣٣١٣، ٣٣١٢	يجيء المقتول متعلقاً بقاتله	٢١٨٣
يا ملك الموت، ارفق بصاحبي فإنه مؤمن	٥٢٧٤	يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان	٦٧٧
يا نبي الله، ما لي أسمع الرجال يذكرون	٥٣٧٤	يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين	٤٧٧٨
يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة	٧٤٣٠	يحبس الناس يوم القيامة في بقيع	٣٦٦
يا وريح قريش! قد أكلتهم الحرب	٦١٧٣	يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم	٥١٥٠
يا يهودي، من كل يخلق، من نطفة	٤٧٨٣	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	١٨٧٠
يبتلى الرجل على قدر دينه	٤٦١٦	يحسب ما خانوك وعضوك	٤٦٠٤
يبعث أهل الجنة على صورة آدم	٦٥٦٧	يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة	٤٤٠١
يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً	٧١٥٤،	يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر	٥٠٦،
	٧١٥٦	يحشر الناس يوم القيامة على أرض	٥٨٧٣، ٤٠٢٢

طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث	الرقم
يحضر الجمعة ثلاثة نفر	٣٠٥٣	يرحم الله موسى، ليس المعادين	٣١٦٥
يحل لكم ما علمتم من الجوارح	٢٤٨٣	يرحمنا الله وأخا عاد	٦٠٣٨
يحلها ويحل به رجل من قريش	٤٦٨٧	يرحمه الله، قد أذكرني كذا	١٥١، ١٤٧، ١٤٦
يخرب الكعبة ذو السويقتين	٦٥٥، ٦٥٣	يرد الناس كلهم، ثم يصدرون	٤٥١٣
يخرج الدجال في أمتي فيمكث	٥١٠١، ٢٣٤٤	يرد من صدقة الجانف في حياته	٧٥٧
	٥٨١٦	يرفع إليه عمل الليل قبل النهار	٦٦٠٧، ٤١٠
يخرج الله ناساً من المؤمنين من النار	٤٠٣٧	يرفع لكل غادر لواء عند استه	٧٢٣٥، ٤٤٠٠
يخرج عنق من النار يتكلم	٦٢٨٩	يريدون أن يسحروني أو يقتلوني	٣٣٣٣، ٣٣٣٢
يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم	١٧٧	يزيدون عشرين ألفاً	٥٧٢٧
يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة	٤٠٢٠	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	٧٩٢
يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة	٢٦٢٥	يستظل في ظل الفن منها مئة راكب	٦٤٨٤
يخرج من النار من كان في قلبه أدنى	٢١٩٠	يسروا ولا تسروا	٧٧٩
يخرجون من النار بعد ما دخلوا	٢٦٢٧	يسمعها كل شيء إلا الثقلين	٦٤٧٧
يخلص المؤمنون من النار فيحبسون	٤٠٤٧	يسير في ظل الفن منها الراكب	٦٤٨٤، ٣٩٥٢
يد الله ملأى لا يغيضها نفقة	٤٣٤٣، ٣٧٨٤	يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته	٦٠٨٣
يد المعطي العليا. أمك وأباك	٤٢٣٩	يشفع كل ألف في سبعين ألفاً	٥٨٢٥
يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأ	٦٥٦٤، ٦٥٦٣	يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة	٦٥٥٣
يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم	٦٥٦٦	يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة	٦٧١٥
يدخل الجنة من أمتي زمرة	٥٨٢٢، ١٥٢١	يعجب الرب عز وجل من عبده إذا قال	٥٩٥٩
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً	١٥٣١، ١٥٢٠	يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات	٧٠٠٨
يدخل الملك على النطفة	٤٧٨٤، ٤٦٥٤	يعرفني الله عز وجل نفسه يوم القيامة	٦٢٩٦
يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل	٤٧٤٦	يعطى الشهيد ست خصال عند أول	٦٠٨٠
يدخل فيه النور فينفسح	٢٩٨١	يعطى المؤمن جوازاً على الصراط	٧٠١٣
يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة	٦١٥٥	يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا	٦٥٥٦
يدعو الله بصاحب الدين	٣٥٦٠	يعظم أهل النار في النار	٢٠٨٣
يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه	٤٣٠٠	يعني: الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا	٦٥٥٠
يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له	٦٧٦	يعني الشاهد يوم الجمعة	٧٢٢٣
يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه	١٣٣١	يعني: شيع البطون، وبارد الماء	٧٤٧٠
يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره	٧٠٠٩	يعني الصافي الذي لا كدر فيه	٧٢٢٣
يرحم الله زكريا، وما كان عليه	٤٤٦٤	يغزو هذا البيت جيش	٤٦٨٥

الرقم	طرف الحديث	الرقم	طرف الحديث
٧٣٧٤	يكتب له عمل سنة، أجر صيامها وقيامها	٤٦٧٦	يفغر ذنباً، ويكشف كرباً
٦٩٧٠	يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن	٦٠٨٢	يفغر للشهيد كل شيء إلا الدين
٢٣٨٣، ٢٣٨٢	يكفيك آية الصيف	٤٦٢٧	يفتح يأجوج ومأجوج
٤٤٩٥، ١٨٥	يكون خلف من بعد الستين سنة	٨٣٣	يفعل ذلك النصارى
٣١٢٢	يكون قوم يعتدون في الدعاء	٦٠٠٨	يقال لأهل الجنة: إن لكم أن
٢٣٣٩	يكون للمسلمين ثلاثة أمصار	٦٢٩٢	يقال لجهنم: هل امتلأت؟
١٤٦٨، ٥١٣	يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل	٣١٩٦	يقال لرجل من أهل النار
٧١٥٧	يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة	١٨٤	يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة
٥٠٤٥	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	١٥٦، ٢١١	يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق
٥٠٤٤	يلقى إبراهيم أباه، فيقول: يا رب	٧٠٤٨	
٦٢٩٠	يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟	١٤٦٣	يقال للرجل من أهل النار
٥٨١١	يمجد الرب نفسه	٤٩٦٩	يقال يوم القيامة لليهود: ما كنتم
٣٩٧٧	يمحو من الرزق ويزيد فيه	٥٨٠٩، ٣٠٩	يقبض الله الأرض، ويطوي السماء
٥٥٥٢	ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه	٢٣٤٦	يقتل ابن مريم الدجال بباب لد
٦٩٣٨	ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل	٢٣٤٥	يقتل ابن مريم المسيح الدجال
٢٣٣٢	ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير	٥٧٠٩	يقرب إلى أهل النار ماء فيتكرهه
٥٨٧٦	ينشئ الله عز وجل سحابة لأهل النار	٤٣٨٢	يقرب إليه فيتكرهه
٤٤٠٥	ينصب الكافر مقدار خمسين ألف	٣٩٩٠	يقرب إليه فيتكرهه، فإذا أدنى منه
٤٠٨٤، ٢٩٧٥	ينصب لكل غادر لوا	١٨١٤	يقضي الله في ذلك
٦٠٧٥	يهديكم الله ويصلح بالكم	٢٦٥	يقطع الصلاة الحمار والمرأة
٧٤٥٧	يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان	٢٤٧٣	يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب
٥٩٩٤	يهيج الدخان بالناس، فأما المؤمن	٦٦١٢، ٢٩٣٥، ٩٤٦	يقول ابن آدم: مالي مالي
٣٠٧٢	يوزن صاحب العمل	٧٤٥٤	
٣٠٧١	يوزن كتاب الأعمال	١٠٩٠	يقول أحدكم: قد طلقت، قد راجعت
٤٤٨٢	يوسف نبي الله ابن يعقوب	٧٤٥٥	يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله
٦٨٢	يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم	٣٧٦٤	يقول المؤمنون: أنت أول رسول بعثه الله
٦٦١٦	يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم	١٩٩٧	يقول صاحب المال: ما تركت
٦٦١٨		٣٨٧٥	يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة
٢٦٩٦	يوشك أن يرفع العلم	٧١٩٤	يقومون سبعين سنة لا يتكلمون
٤٣٦٦	يوشك أن يكون خير مال أحدهم	٣٩٧٧	يكتب القول كله، حتى إذا كان

<u>طرف الحديث</u>	<u>الرقم</u>	<u>طرف الحديث</u>	<u>الرقم</u>
يوشك أن يكون خير مال الرجل	٣٦٧٩	يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق	٩٢٣
يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم	٢٣٣٠	يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات	٥٧٤٢
يوم جمع فيه أبواك، أو أبوكم	٦٨٠٧	يوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ	٥٩٩٨

فهرس المحتويات

٥	سورة الطور
١٧	سورة النجم
٤٠	سورة القمر
٥٤	سورة الرحمن
٧٢	سورة الواقعة
١٠٥	سورة الحديد
١٢٨	سورة المجادلة
١٤٥	سورة الحشر
١٦٦	سورة الممتحنة
١٨٣	سورة الصف
١٩٢	سورة الجمعة
٢٠١	سورة المنافقون
٢٠٩	سورة التغابن
٢١٥	سورة الطلاق
٢٢٨	سورة التحريم
٢٤٢	سورة الملك
٢٥٠	سورة القلم
٢٧٠	سورة الحاقة
٢٧٩	سورة المعارج
٢٨٧	سورة نوح
٢٩٣	سورة الجن
٣٠١	سورة المزمل
٣١٠	سورة المدثر
٣٢١	سورة القيامة

٣٢٩	سورة الإنسان
٣٣٧	سورة المرسلات
٣٤٢	سورة النازعات
٣٤٩	سورة النازعات
٣٥٤	سورة عبس
٣٦١	سورة التكويد
٣٧٠	سورة الانفطاء
٣٧٤	سورة المطففين
٣٨١	سورة الانشقاق
٣٨٧	سورة البروج
٣٩٦	سورة الطارق
٣٩٩	سورة الأعلى
٤٠٥	سورة الفاشية
٤١٠	سورة الفجر
٤٢٠	سورة البلد
٤٢٦	سورة الشمس
٤٣١	سورة الليل
٤٣٧	سورة الضحى
٤٤٢	سورة الشرح
٤٤٦	سورة التين
٤٤٨	سورة العلق
٤٥٣	سورة القدر
٤٦٤	سورة البينة
٤٦٨	سورة الزلزلة
٤٧٤	سورة العاديات
٤٧٧	سورة القارعة
٤٨٠	سورة التكاثر
٤٨٦	سورة العصر
٤٨٨	سورة الهمزة

٤٩٠	سورة الفيل
٤٩٦	سورة قريش
٤٩٨	سورة الماعون
٥٠٣	سورة الكوثر
٥٠٩	الكافرون
٥١٢	سورة النص
٥١٧	سورة المسد
٥٢١	سورة الإخلاص
٥٣١	تفسير سورتي المَعْوَدَتَيْنِ
٥٣٦	سورة الفلق
٥٤٠	سورة الناس
٥٤٣	فهرس الأحاديث القدسية
٥٤٧	فهرس الأحاديث والآثار النبوية